

2020

8.1.2020

عافى يحاوي



أحياء الشَّعْر

الْبُرُودِي وَالزَّهَّادِي وَشَوْقِي
وَحَافِظُ الرِّصَّافِي وَالْجَوَاهِرِي



المشرق

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرصافي
والجواهري

عارف حجاوي





mohamed khatab

إحياء الشعر

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

إحياء الشعر: البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ

والرصافي والجواهري/ عارف حجاوي.

٦٣٩ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

???

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع الممراس

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧ مقدمة وعرفان
١٧ محمود سامي البارودي (١٨٣٩م - ١٩٠٤م)
٧٧ جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣م - ١٩٣٦م)
١٣٩ أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م)
٤٠٣ حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)
٤٨٥ معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)
٥٥٩ محمد مهدي الجواهري (١٩٠٢م - ١٩٩٧م)
٦٢١ فهرس القوافي العام

مقدمة

نفخ البارودي في صورهِ وأقام الشعر العربي من قبرهِ، فنهض بفرك عينهِ،
ولبس جبته، واعتجر عمامته وركب ناقته.
لا، ليس كذلك بالضبط.

أريد أن أدخل إلى أشعار هذا العصر من باب أكاديمي، ولو على سبيل
التغيير. هذا العصر الذي يتناول كتابنا أشعاره عصر قريب منا، بعضنا عاشه،
وكلنا عايشه. فآخر من تناولنا من شعراء هذا العصر توفي عام ١٩٩٧، وله
حضور قوي بصوته وصورته، ذلك هو الجواهري. وكل شعرائنا في هذا
الكتاب - وهو الكتاب الرابع من سلسلة الزبدة - ماتوا في القرن العشرين.
وسترى أننا في الكتاب الخامس والأخير سنعرض لشعراء ماتوا جميعاً في القرن
العشرين أيضاً. سيعترض أحدهم قائلاً: ما أراك جعلت القرن العشرين في
كتابين إلا لأن المادة كثرت عليك، فلم يكن لك يد من القسمة. في هذا
الاعتراض شيء من الحق. وليس كل الحق.

سأفنع القارئ بأن ثمة فارقاً بين هذا الكتاب الرابع، وبين الخامس الذي
سيبته. ومن هنا التمس مدخلاً أكاديمياً. والكلمة المفتاح هنا هي الكلاسيكية.

عندما انتصف إنتاج بيتهوفن ركبه عفریت «التعبير». صار يعبر في موسيقاه
عن الحنان والرفقة والغضب. تسمعه في سيمفونياته المتأخرة ويدك على مفتاح
الصوت حتى تخفضه خفضاً سريعاً عندما يجن جنون صاحبنا وتأخذ الأوركسترا
تصرخ بطبولها ونحاسها بغضب.. أنت لا تريد أن يدق لك ساكن الشقة
المجاورة على الحائط.

خرج صاحبنا من الكلاسيك إلى نمط جديد، سيسميه أهل الصناعة
«الرومنس».

الكلاسيك انضباط ووقار، والتزام بالأعراف الفنية في الشكل وفي المشاعر. والرومنس حرية في التعبير عن مكونات الفؤاد، وقسط من الحرية في الخروج عن الشكل المعروف.

في الشعر العربي أعراف راسخة من حيث الشكل، فالأوزان أوزان الخليل، واللغة لغة الخليل، فإذا أدخل الشاعر في قصيدته لفظة عامية فلا يكون ذلك إلا من باب التطرف، وسرعان ما يستغفر آلهة اللغة ويعود إلى الفصحى المعجمية.

عندما «أحيا» البارودي الشعر العربي لم يخرج عن الكلاسيك، بل عاد به إلى زمن أوغل في القدم من زمن مجايله. لا بل جعل معظم شعره مصبوحاً في قوالب الشعراء القدامى تقليداً في الشكل واللغة، ومجاراة في المعاني وطريقة سوقها.

الكلاسيك انضباط، والرومنس تحرر. لكن، حنانيك، الرومنس ليس فلتاناً. فيه تحرر عظيم في المشاعر وفي التعبير عنها، ولكنه يتخذ لنفسه ضوابط. فماذا لو مل الشعراء من الرومنس، وابتغوا التجديد؟

سأعيدك إلى الموسيقى هنيهة. بعد بيهوفن، الذي جاء عند مسمار المقص بين الكلاسيك والرومنس، أتحننا أهل الرومنس بموسيقى بدبعة فسمعنا برليوز وتشايكوفسكي وبيزيه. ثم حدثت أشياء.

المشعوزون

في سنة ١٩٥٢ قُدمت على مسرح في نيويورك قطعة موسيقية غريبة اسمها ٣٣:٤. جلس العازف إلى البيانو، وصمتت القاعة. وضع العازف النوبة الموسيقية أمامه بعناية، وأخرج من جيبه ساعة وقف، وضغط على الزر. وظل جالساً أربع دقائق وثلاثاً وثلاثين ثانية، لم يلمس البيانو. ثم قام. هذه القطعة «الموسيقية» هي موسيقى بلا صوت. يقول «الموسيقار» جون كيج إن الموسيقى في قطعه تلك «ليست صوتاً منبعثاً من البيانو، بل هي همهمات الجمهور». فإذا كنت تملك حاسوباً وكان عندك إنترنت فاكتب ٣٣:٤ وستسمع تلك القطعة العبقريّة. وستسمع أن الجمهور لم يهتمهم ولا صنع شيئاً بل قعد مؤدباً وصدق للعازف، الذي لم يعزف، عندما قام - قامت قيامته - عن البيانو. ولك أن تسمع هذه الموسيقى الفريدة معزوفة - بغير صوت - على أوركسترا كاملة.

ولي مع هؤلاء الدجالين تجريتي الخاصة. كان ذلك في الإسكندرية في نحو عام ٢٠٠٩. وكان ملتقى إعلامياً - فنياً في شبه قرية سياحية قرب بحيرة مريوط. حضر من لبنان بعض مشاهير الممثلين، حضرت نضال الأشقر وحضر روجيه عساف، ومن فلسطين حضرت ممثلة عن مؤسسة يبوس، ومن تونس حضرت فتاة لا أذكر اسمها، وكنت أمثل مؤسسة إعلامية عربية، وحضر من مصر كثيرون بالطبع؛ لكن المصيبة كانت لبنانية.

جرى نقاش حاد في إحدى الجلسات عن الأعمال الفنية وحظها من الظهور إعلامياً. وصدع الحاضرون رأسي بكلمات من قبيل الفضائات والمديات والإبداع والجديد وما بعد الجديد والحداثة والحراثة في السباخ. فقلت في مداخلتي إن ما يهمني عرضه إعلامياً - وكنت أشغل موقع مدير البرامج في مؤسستي - هو الفن الذي يصل إلى الجمهور ويحمل قضية أو فيه على الأقل متعة، ويجعل المشاهد يشاهد. ولعلي أيضاً مسحت بلاط القاعة بتلك المصطلحات التي أراها بضاعة الضعيف. وانبرت لي الفتاة التونسية. تكلمت واقفة ومتشجعة، وشتت هجوماً عليّ كاد أن يكون شخصياً. ولأنها تصغرنني كثيراً فقد أثرت أن يكون ردي رد الشيوخ الهادئين المحتملين نزوات الشباب. وانتهت تلك الجلسة.

وقبل ختام المنتدى دعينا إلى حفل موسيقي. حملونا في حافلة كبيرة إلى وسط الإسكندرية. الفرقة لبنانية. وعلى المسرح أشياء عجيبة. وفي الصالة مجموعة الكبيرة، وراهبان، وبضعة أشخاص آخرين. وبدأ العزف. بدأ «العزف» على لوح فيه ترانزستورات وأسلاك ويصدر أصوات صفقات كهربائية مصحوبة ببعض الشرر، وهناك آلة نفخ في الزاوية تقول شيئاً واحداً أسمع أسمع. وفي الوسط منشار كهربائي راح يلوث الجو بضجيجيه. بدأ الناس ينسلون واحداً واحداً، وخرجت الراهبان بعد نحو عشر دقائق. وصبرت أنا حتى أرى آخرتها. وانتهى العرض. ولا أتذكر إن كان الخمسة أو الستة الباقيون قد صفقوا.

في طريق العودة إلى متجعنا كنت جالساً في الحافلة صامتاً. وسمعت من خلف ظهري الفتاة التونسية تقدم لي اعتذاراً.

وسأنقلك إلى الرسم حتى تكتمل لديك صورة الحداثة وما بعدها. لعلك تقف متأدباً أمام تلك اللوحات الخرايش؟ مؤكداً أن تقف متأدباً. أنا مثلك. لا أحب أن أقول للرسام: إلى الجحيم بك وبلوحاتك يا مشعوز.

قد أحتمل سلفادور دالي، فلديه الريشة وجنون التعبير، ولديه الشكل. وقد أحتمل بيكاسو مع بعض التفسير. لكن فن الرسم أصبح شعوذة خالية من أي شكل ومن أي معنى، اللهم إلا تلك المعاني التي يجب أن يقولها لك الرسام، بيد أنك لا تراها في لوحته.

كلاسيك الكراسي

كنا في سن اليفاعه نشتغل في مشغل في الحي نقشش الكراسي بقشور الخيزران. القشة طولها نحو متر وعرضها مليمتران، ونسج القش في ست طبقات: الأولى عرضية بأجر قرشين، والثانية طولية بأجر قرشين، والثالثة موروبة قطرية بستة قروش، والرابعة تكرار للأولى بقرشين، والخامسة طولية بثمانية قروش (السبب أن القشة في هذه الطبقة يجب أن تفتح ما بين الأولى والرابعة)، والسادسة موروبة قطرية بستة قروش. ولربط القشة بالقشة طريقة معينة، ولا بد من بل القش بالماء باستمرار وشده شداً. ويخرج الكرسي بخلاياه السداسية المميزة آية في الجمال. كلاسيك. ثم أخذ أصحاب المقاهي يسترخصون، فبطلبون وضع قطعة من الخشب المعاكس، الأبلكاج، بدل القش، فيخرج الكرسي قبيحاً، وغير مريح. لكن، البشر تفتنوا في الكراسي، وإنك لتجد تصميمات بالعشرات للكراسي بتوقيع جماعة الباو هاوس المعمارية المشهورة، وفيها تفن كثير، وبعضها يعتمد النقشيس الذي كنا نصنعه بالخلايا السداسية نفسها.

صادف في مدينة دارمشتادت بألمانيا ذات سنة أن كنت في جلسة لعب ورق مع الشباب العرب، وذكر صديقي المخضرم في البلد - كان في السنة السادسة عشرة من دراسته. - تلك ألمانيا التي كانت تبتلع الشاب العربي ابتلاعاً - أن له صديقاً ألمانياً يملك كراسي موروثه ثمينة ولكن للأسف! لقد تخرق القش عليها، ولا سبيل لتجديده لأن إنتاج هذ النوع من الكراسي توقف منذ زمن طويل. في اليوم التالي كانت الكراسي عندي في غرفتي، وجلبت القش الفرنسي الملائم، وبعد أيام كنت أدفع جيبي ببعض الماركات.

للكلاسيك رونقه. وأنت لا تطلب من الشعر أن يشيع معدتك، لا بد من الجمال، ولا بد للجمال من شكل، ومن ضوابط.

كتابنا هذا يضم الكلاسيك الجديد، وكتابنا المقبل يضم الرومنس المنضبط

عمودياً . فأما عندما خرج الشعر العربي إلى التفعيلة، وهذا نمط جميل وله انضباطه وإيقاعه الحلو، فقد اجترح فعلاً صاعباً وكبيراً، وسيحتاج شعر التفعيلة إلى بضعة عقود كي تبرز قممه، فالزمن يغربل كل الأشياء. عندها سيكون الأمر، والعمر، قد خرج من يدنا. نعم، قد قصرنا جهودنا على الشعر العمودي التقليدي في هذه السلسلة الخماسية كلها.

شعراء الإحياء

كان البارودي يعيش طفولته وصباه في برج عاجي هو طبقته المتميزة عن بقية الناس. فهو من الجراكسة، ولكنه أتيح له أن يكون عربي اللسان، وأن يكون متعلقاً بالأدب منذ الطفولة. واتصل سريعاً بحماسة الشعر القديم. لم يدرس - لحسن حظه - المتون والحواشي، وعاش يقرأ الفصيح من كلام الفصحاء القدماء. وفلدهم. وليس البارودي طفرة بأي حال. ففي زمنه وقبل زمنه كانت الأشعار تجري على ألسنة الفصحاء. في لبنان نسمع مدائح الشعراء في أمراء الجبل، ونسمع أكثر ما نسمع تهادي الشعراء بقصائد المدح، وهذه القصائد من أركّ ما ورد في باب «الإخوانيات»، وفي مصر انتشر شعر الإخوانيات في غياب السلطان الذي يفهم الشعر أو يقدره. وطرق الشعر باب الهزل، والغزل، وباب الرقاعة.

لكنه لم يقيض للشعر رجل تلقى الفصاحة عن غير طريق حلقات المساجد حتى جاء البارودي. كان ضابطاً فوزيراً، وكان يشعر في أعماقه بأنه من حكام البلاد، وكان يعيش في بلد مستقل استقلالاً لا بأس به عن الدولة العثمانية وله جيشه ويملك إلى حد بعيد قراره، وكان ثائراً عانى النفي الطويل. فجعله كل ذلك - الذي لم يتوفر لغيره - أكبر شاعر عربي في القرن التاسع عشر. زودته تجاربه الحربية ووضعه الطبقي بالشموخ، وزودته المعصية الثورية - المتمثلة في اشتراكه بعض الاشتراك في ثورة عرابي وما تلا ذلك سريعاً من العيشة القاسية في المنفى - برقة ومرارة وبعثي فهم للطبيعة البشرية.

لا، لم يقل البارودي للشعر العربي قم فقام. لكن ظروفه جعلته المرشح لاستهلال شعور العربي بذاته في عالم الشعر.

وفي العراق بدأ الزهاوي يقول الشعر في أواخر القرن التاسع عشر، لم يكن الزهاوي صاحب سيف، لكنه كان صاحب قلم وكتاب، وكان من كبار

المثقفين، وبدأ يشم ريح التحرر ضمن الدولة العثمانية مع الدستور، ١٩٠٨، ثم ربح الاستقلال السياسي للعراق مع الحكم الفيصلي، وكان مهادناً للإنجليز كملكه. لكنه كان يشاق إلى أن يتحرر العربي من الجهل ومن الأمية ومن الخرافات ومن حجب المرأة عن النشاط الاقتصادي والاجتماعي. كأنما لم ير الزهاوي أن الاستقلال السياسي سيكون شيئاً عظيم الأهمية في حضور الجهل والأمية والتخلف الاجتماعي. وستصدق السنين. وكالزهاوي في فكره كان الرصافي في العراق، مع اختلاف في المزاج، ومثلهما كان الجواهري في الفكر وفي أشواق الانعتاق من أسر التخلف؛ ولكنهم، ثلاثتهم، تمسكوا بالشكل الشعري الكلاسيكي. الأقدمان منهما كانا مع سهولة اللفظ، والجواهري ابن القرن العشرين ميلاداً كان أميل إلى اللفظة القديمة، وإن عاقه السير في طرق ملتوية لبلوغ المعنى الدقيق عن أن يبلغ صاحبيه في الفصاحة.

وفي مصر كان شوقي ابن ثقافة واسعة، وبيئة مترفة. أحس في نفسه بشموخ واستقلال لأن أميره الذي يمدحه ابن بلده. نعم، قد مدح سلطان الدولة العثمانية ونال منه رتبة البكوية؛ لكن، كان له في مصر من دواعي الفخر الكثير، فبنى صرح فخره على صخر الفراعنة، وأحس بما في مصر من نهضة تبشر بعودة النهضة الأولى في عصر محمد علي، والثانية في عصر إسماعيل فافتخر بينك مصر وبما كانت مصر تعالجه من وضع دستور جديد وحياة سياسية نشطة. ورغم أن شوقي كان من كبار المثقفين، فلم يكن في جرأة الزهاوي. على أن ثقافة شوقي العريضة، وخياله الواسع، وتبحره في شعر القدماء فتحت له أبواب القول، فديوانه بستان. لم يجعله شعر البارودي - وهو أكثر شعر أثر في نفسه، على اختلافه في السياسة مع البارودي - ينظر نظرة مراجعة في مسألة تقليد القدماء. لا، بل مضى يصب الشعر في قوالبهم. لكن، ديوان شوقي ليس نمطاً واحداً، ففيه أشعار في أولاده، وفيه أناشيد للأطفال، وفيه تلك المسرحيات، التي جعلها ضفة النقاد ميزته الكبرى. شوقي دنيا شعرية جميلة، وقد أنفقنا صفحات كثيرة معه في كتابنا، عرضنا فيها أحداث ذلك الزمن، وتبعناها تبعاً من خلال شعره.

وقرين شوقي حافظ إبراهيم صوت شعري رنان. ولم يكن حافظ بأقل محافظة من شوقي. كان إمعة في مسائل الفكر والمجتمع، وكثير التحفظ في جانب السياسة، لا سيما بعد أن نال الوظيفة السميعة.

بثلاثة من مصر، وثلاثة من العراق قام الشعر العربي في القرن العشرين، وقبله بقليل، ليكون صوتاً لضمير أمة خرجت بعد أربعمئة سنة من القمم العثماني، وأخذت تفرك عينيها. ترى في هذا الشعر الأمة العربية تنوق إلى التقدم والاستقلال، وترى أيضاً أنها غير واثقة، وأنها لا ترى معالم الطريق الذي يؤدي إلى اللحاق بالأمم المتقدمة. أعاد شعراؤنا الستة إلينا بعض الثقة بأن لغتنا الفصحى لم تمت، فها هي على ألسنتهم تترنم بشعر جميل. لكنهم أدركوا وأدركنا أن شعرهم شعر النخبة. فلئن كانت الفصحى لغة حبة وقادرة على أداء كل المعاني فإن عامة الناس لا يتقنونها، لا قولاً ولا فهماً، إلا بقدر.

حال بين الناس وبين إتقان الفصحى أن قواعد النحو ليست كفواعد لهجاتهم، وأن مفردات اللغة الأدبية تختلف اختلافاً غير هين عما يستعملون من مفردات. وحال بينهم وبين شعر الفصحى الذي أتاهم به هؤلاء الرواد، علاوة على القواعد والمفردات، أن أوزان الشعر العربي خرجت من آذانهم منذ قرون.

قال شوقي، فيما نقل إلينا، «أخشى على الفصحى من بيرم». واعترف الرصافي للملا عبود الكرخي الشاعر العامي بأن أشعاره العامية هي ما يفهمه الناس.

لكننا لا نقول إن الفصحى كائن لا ميرر لوجوده، ليس فقط لأننا نكتب هذه الأسطر بها، بل لأنها هي ما يجمع العرب. هذا مظفر النواب يعد نفسه شاعر العامية البغدادية، ويقول إنه لا يعرف العروض، ثم رأيناه في السبعينات، عندما دعت دواعي النضال والسياسة، يقول أشعاراً فصيحة موزونة على التفعيلة مع قليل جداً من التجاوزات، فيتسامع بشعره العالم العربي كله، ويخرج من ضيق بغداد إلى رحاب العالم العربي، ويعبر عن أوجاع العرب السياسية أحر تعبير وأقواه.

المعركة بين الفصحى والعامية مستمرة في مجال الشعر، وفي كل مجال.

عرفان

صحوت على موظفة المصرف تقول لي «البوليس». وبما أنني «صحوت» فلا شرطة ولا بوليس، هو كابوس. والذي فتح الباب للكابوس أمران: الأول أكلة دسمة شعت منها وبقيت في الطبق بقية، لا هي تصلح للثلاحة، ولا أنا

أصلح أن أرمي طعاماً في كيس القمامة، فرميت بالباقي في معدتي. والثاني أنني كنت في المصرف فعلاً قبل هذه القيلولة الثقيلة.

للمرة الكذا يعيدون لي صكوك أجرة المنزل.. ويطلبونني لفرع المصرف كي أوقع أمامهم. لكن هذه المرة، وهي المرة الكذا، كانت مختلفة. أحالي الموظف إلى الموظفة ذات الخال كي أسجل بضمتي في الحاسوب، فمنذ اليوم لن يُقبل مني أي توقيع. وعلي، أسوة بالحاجة فلانة والحاج فلان، أن أبصم بإبهامي الأيمن. وفرحت. وبعد طول استعلام، كانت المسألة قد وصلت إلى نائب المدير. وانتغل نصف موظفي المصرف بهذه القضية المعجبة. (هذا ليس الكابوس، بل هو ما حدث فعلاً).

ثم تبين أن البصمة غير مقبولة في الصكوك.

أخذ نائب المدير بنفسه يدريني على توقيع جديد. وتوقعي الجديد مثل القديم، هو كتابة اسمي ليس غير. لكنني مبتلئ بمرض لم يكن مكتشفاً حتى ظهر اليوم: أنا لا أستطيع التوقيع مرتين بنفس الطريقة. وأنا عارف هذا الشيء عن نفسي، فقد واجهت مشكلات في معاملاتي في أكثر من مناسبة للسبب نفسه. لكن مصرفي الحالي أراد أن يداويني. وبعد أن اتفقنا على صورة مبسطة جداً لكتابتي اسمي، أخذت أتدرب على ورقة وموظف الصندوق يرفع أمامي النموذج قبل أن يعتمد في الحاسوب.

ثم وقعت. ثم ذهب الموظف إلى نائب المدير، ثم عاد وهو يمزق ورقة المعاملة. ومرة أخرى وقعت. وهذه المرة مشت المعاملة مع شفتين تتحركان من الموظف المرهق. وعندما ستكون لي معاملة مقبلة فسوف تتكرر المأساة.

لم أقل لأحد في المصرف إنني كنت أعمل ذات سنة خطأً في وزارة حكومية، تلك وزارة الدفاع في الكويت في أواخر السبعينات. ولم أقل لهم إنني رجل صحب القلم والورقة سنين طويلة قبل دخول الحاسوب في حياتنا. فلم يكن ينقصهم المزيد من الأعاجيب في تلك الظهيرة.

قواعد الخط العربي

القواعد في الخط العربي مقيسة قياساً دقيقاً بالنقاط التي تضبط النسبة بين عرض القلم وحجم الحرف، وهي ترشد الخطاط حتى يكتب الحرف في كل مرة بالكيفية نفسها. وتعلمت هذه القواعد وسرت عليها وأصبحت خطاطاً. لكن

علتي ليست في أصابعي فحسب، هي في عقلي أيضاً. والخطاط الجيد يضبط عقله ضبطاً محكماً فيسكب الحرف على وجه الورقة سكباً من قالب ذهني لا يتغير. وأقص هنا قصة عن خطاط لم أر أضبط من ذهنه، هو المرحوم عبد الغني الباشا، وكان لي زميلاً في القدس، يعمل خطاطاً في جريدة الشعب، وكنت فيها محرراً.

ذات يوم زرت صديقاً لي يعمل أستاذاً في مدرسة الأمة في ضواحي القدس. وبينما نحن نهبط الدرجات رأيت على مبعدة مجلات الحائط. قلت لصاحبي: تلك المجلة هل تراها! يبدو أن أحد الطلبة من أقارب الخطاط عبد الغني، فخطوط عناوينها بقلم عبد الغني. صاح بي الصديق: هذه خطوط بأقلام ملونة رفيعة، فلوماستر، وكيف حكمت من هذه المسافة أنها من خطوط عبد الغني؟ وعبد الغني أهم خطاط في القدس. وتحققنا من الأمر - ولم يكن بي حاجة للتحقق أصلاً - فتيقن صاحبي أنني على حق، وتعجب. فشرحت له أنني أميز خط الرجل ولو من حرف واحد. لكن أحداً لا يميز خطي أنا، لا من حرف ولا من فقرة فهو شديد الثقل.

أنا لا أصنع كوب شاي ولا طبخة مقلوبة مرتين بنفس الطريقة.

عزيزي القارئ، أكتب لك فقرة من هذا الكلام، وأنصرف بعدها إلى ورقة بجانب الحاسوب أتدرب على توقيعي المبسط الجديد.

لهذه العلة في ذهني، ولعلة أخرى، عرفت باكراً أنني لن أصبح خطاطاً ماهراً. العلة الأخرى أن يدي غير ثابتة الثبات المطلوب من يد الخطاط.

العرفان الآن

في الكابوس - وقبل أن تتوعدني الموظفة بالك «بوليس» - سألتها وماذا يكون شأن رصيدي في المصرف وأنتم قد حجزتم عليه؟ فقالت لي ببساطة: اشتر به لوحة فنية. وثمرت بها ثورة عارمة ربما هي التي أدت إلى ذلك التهديد. وعندما سأنام الليلة سأقول للموظفة في الكابوس المقبل: يا فالحه، عندما سأشتري لوحة فنية سأكتب للبائع صكاً بالمبلغ وأوقع عليه، وسيعود الصك مفروضاً. ألم تفكر في هذا؟

خليق بمن يكتب كتاباً أن يكون لديه ميزان في رأسه، بحيث يضبط الإملاء فلا يكتب بعض الكلمات كتابة مختلفة في كل مرة. وأنا قد اعتمدت في هذا

الكتاب على أخي الشاعر عمران القفيني، اعتمدت عليه في الإملاء، وفي ضبط النحو والصرف، وفي بضعة أمور أخرى، منها مراجعة فهمي المنحرف لبعض الأبيات. في كل مرة يصحح لي خطأ في النحو أقول في نفسي: لعلي معذور، فأنا أشكل بعض الكلمات «على الوهم». وهذا من معاذير قدامى الكتاب. ولعله يقول في نفسه: حسناً، هذا مشكول خطأ «على الوهم». ثم أسمعه بأذن التوهم يردف قائلاً: ما أكثر أوهامك يا أخي!

قد قرأ عمران معي هذا الكتاب منجماً لم يغادر منه باباً، وأشرت القارئ في ملاحظاته واستحسناته حتى يقرأ ما يقرأ وكأنه جالس إلينا.

وللصديق محمد عبد العزيز الشكر الجزيل لأنه يأبى أن يتركني بحالي، فهو يلح علي أن أوافيه بالمخطوط حتى يدفعه إلى المطبعة. وما إن يطبع الكتاب في بلد بعيد حتى أراه تجشم أجر البريد السريع - وهو أجر غير هين - لكي يأتيني بنسخة سريعة. لعله رأى فيّ، أنا الكسول المتواني، فرخاً في العش لم ينبت ريشه، فهو يزقني زقاً، أو سيارة تعطلت في الطريق الصحراوي، فهو يزقها زقاً.

محمود سامي البارودي

(١٨٣٩م - ١٩٠٤م)

كان محمود سامي البارودي - الذي تعبت الأقلام وهي تصفه بأنه الشاعر الذي قاد عملية «إحياء الشعر العربي» - زعيم حركة شعرية رجعية. خرج من الركافة التي وجدها في شعر زمانه ماشياً إلى الوراء. ركب «آلة الزمن» وضغط على الزر الخطأ فأعاده تسعمئة سنة، فرأى من النافذة رياضاً حسنة فتزل.

هذا قدر، ولا تناقش في القدر. ولا نقول لو.

كان البارودي شاعراً. كان في قلبه شعر حق، وكانت نفسه نفس شاعر، وكان ذا خيال خصب. وكان لديه من خفة الدم قدر صالح، لعله كان صالحاً جداً. . غير أن اصطناع شاعرنا اللغة القديمة عقد لسانه.

مشكلة البارودي - ومشكلتنا جميعاً، المستمرة حتى اليوم، ومشكلتي وأنا أكتب هذا الكلام - أن إرثنا اللغوي قديم ومكتنز، فنحن لا نريد أن نخلع ذلك الثوب خلعاً. لا نريد أن نكتب باللهجة التي تعلمناها من أمهاتنا، بالعامية كيفما كانت، باللهجة التي نتحدث بها في الشارع وفي الجلسة الثقافية، وفي كل مكان. اللهجة التي ليس فيها «تشكيل»، وليست فيها ألفاظ وأساليب عتيقة. نحن كلنا - حتى دعاة الحداثة، وحتى كاتبو قصيدة النثر - نكتب بالفصحى. والفصحى ليست لساننا البريء. وقد ورثنا، ضمن ما ورثنا، شعراً كثيراً طال تردادنا له في المدارس، وهذا الشعر ذو رائحة نفاذة، وهو طيبخ معقد فيه مكونات كثيرة وتوابل، له أوزان كثيرة ولهذه الأوزان قواعد صارمة. وله طرائق في التعبير بناها القدماء عبر قرون كثيرة. فكل عصر شعري يتخذ من كل ما سبقه أساساً، ويضيف مداماً.

انظر إلى شعر إيليا أبو ماضي في بواكيره، وستفتح عينيك دهشة. . ستسمع صليل السيوف، وستقابل لغة متنبئية.

البارودي قدّر شعر الفصحى. قدر هذا الشعر أن يستأنف مسيرته الطويلة بعملية «مراجعة». عز علينا أن نرمي ما بقي في القدر من طبخة الأمس - التي وضعنا فيها ألواناً من التوابل وبالغنا في تجويدها بمقادير محسوبة من المكونات المختلفة - ونطبخ طيخاً جديداً؛ فأضفنا إلى طبخة الأمس بعض الخضار ورفعنا القدر على النار.

قد وفر البارودي على نفسه كثيراً من الجهد إذ جعل الشعر العباسي وحده نموذجاً، وهذا واضح من «مختاراته» التي لم تضم شيئاً سوى الشعر العباسي. على أن الشعر العباسي يحمل في جوفه قدراً كبيراً من طبخة أول أمس. فهو امتداد للشعر الأموي والجاهلي.

حتى الطرماح والكميت، اللذان عاشا في قلب العصر الأموي، كانا موضع انتقاد لأنهما كانا يحاولان تمثيل القديم ويسعيان في ذلك سعيّاً. وحتى الفرزدق، فهو كان يحفظ الشعر الجاهلي ويطبخ شعره عليه.

هذه السمة الرجوعية التي نجدها بتفاوت في شعرنا العربي كله جعلت من هذا الشعر إرثاً واحداً، وجعلته لوحة جدارية ضخمة يروعك وأنت تنظر إليها من بعيد ذلك التماسك رغم كثرة التفاصيل. وهذه الجدارية البديعة هي ما أدى بنا إلى تعقب أكثر من أربعين شاعراً في سلسلة «الزبدة» هذه، التي بيدك الجزء الرابع منها. أردنا أن ننظر إلى اللوحة التي اكتمل تشكيلها وقعدت داخل إطارها. فأما لو نظرت إلى الشعر الذي قلناه بعد أن طأقنا العمودي فسوف ترى لوحة أخرى مختلفة، ولعلها لم تكتمل بعد.

المتنبى والبارودي والمتنمصات الهنديات

ترفع سماعه الهاتف وأنت في بيتك في كاليفورنيا، عذراً للتعبير العتيق.. بل أنت تدق الرقم على موبايلك. تريد أن تعرف عن العرض المغري الذي طرحته شركة السيارات. وبأنيك على الخط صوت فتاة رقيقة تحدثك بلهجة نيويورك وتشرح لك العرض وشروطه، وتجيب عن أسئلتك. هذه الفتاة ليست من نيويورك، وليست أميركية. هي تعيش في شقة ضيقة في نيودلهي بالهند على مسافة ١٢ ألف كيلومتر. وهذه الفتاة تعيش حياة غريبة.. تلبس الملابس التي تلبسها فتيات نيويورك، وتصبغ شعرها كشعورهن، وتتعاطى مساحيق تبييض البشرة، وتتفق ساعات عمرها وهي تتقمص شخصية فتاة نيويورك، وتتخذ

لنفسها اسماً ملائماً للحالة.. تسمي نفسها ماري مثلاً. وتخوض مع نفسها صراعاً، قد تجده لذيذاً، لتقمص شخصية أخرى، ونقطة البداية هي «دي إنديانايزشن» أي «نزع الهنديّة»، تخلع الفتاة شخصيتها الهندية، وتتعلم طريقة الكلام النيويوركية من حيث اللهجة ومن حيث الكلمات المستعملة، ومن حيث اتخاذ الموقف الأميركي من الأشياء. وفي النهاية تنجح.. وآلاف نجحن. عندما تطلب رقاقة بيتزا من المطعم المجاور لبيتك في سان فرانسيسكو فالفتاة الهندية على بعد اثني عشر ألف كيلومتر ستسألك إن كانت البيتزا التي تريدها رقيقة أم منفوخة، وستخوض معك في الزوائد التي تريدها فوق بيتزتك.. لائحة المطعم محفوظة في عقلها.

نعيش «ماري» هندية في الصباح ونيويوركية في الليل. قد لا تستطيع أن تتخلى عن الكاري والماسالا لصالح البيتزا الرديئة التي تبيعها، لكنها تستطيع أن تفرض على إنسانيتها شيزوفرينيا للذبة.

في حياته اليومية كان المتنبي إنساناً يعيش عصره، فإذا جنه الليل أوقد شمعه وكتب أبياتاً يستحضر فيها روح الشعراء القدامى وأساليبهم.

والبارودي عاش فصامه، يتقمص الشعراء القدامى حيناً ويحاكيهم حيناً. ومثلما كانت تبرز شخصية المتنبي الحقيقية عندما يغضب كانت شخصية البارودي الحقيقية تظهر عندما يحزن. فأما إن غضب البارودي فكان يستعير ثوب المتنبي ليغضب فيه.

عارض البارودي أبا فراس الحمداني في قصيدته «أراك عصي الدمع»، فقال قصيدة في بحرهما وقافيتها، ولم نأخذ من قصيدة البارودي شيئاً. وسترانا - إذا قرأت ما صنعناه عن أبي فراس - نأخذ أبياتاته الأربعة والخمسين كلها، لم نترك منها بيتاً واحداً. أعود الآن وأقرأ قصيدة أبي فراس، يا لها قصيدة! هذا شيء لا يحاكي.

لئن جازت الهندية المتقمصة قميصَ نيويورك في الأميركيات فإن الشاعر المحاكي لا يجوز في الشعراء الأصل.

الآن، كيف أخلع نفسي من أبي فراس ومن المتنبي ومن أبي نواس وأعود إلى البارودي المقلد؟ هل أستطيع بعد الشوكولاتة السويسرية والبلجيكية أن أعود إلى شوكولاتة بلدنا التي كنا نمضغها طويلاً وتأبى أن تذوب.

أضع القلم. وانتظر سائحة أكمل فيها هذه المقدمة.

الإمساك بالقلم

فلماذا، بعد كل هذا الذي قلته عن البارودي المقلد، أختار من شعره وأكتب مقدمة عنه؟ لا بل لماذا أهتم أصلاً بكل الشعر العربي الذي قيد نفسه بقيود محاكاة القديم؟

هذا كله تاريخنا، وهذا ما عندنا من زاد شعري. وقد قرأت أمس مقالة لأحمد أمين شن فيها حرباً هوجاء على الشعر العربي، وطالب بأن لا ندرس التلاميذ إلا أقل القليل منه. وكنت طالبت بذلك كثيراً، وقد فرحت إذ وجدت من يؤيدني. وثمة شيء آخر. أنا نفسي نتاج كل هذا التاريخ. فلا تظن أبداً أنني لا أستمع بشعر المتنبي، وبشعر شوقي، و.. بشعر البارودي أيضاً. أنا عتيق في ذوقي الشعري. هكذا رمتني رحم أمتي. هكذا شكلتني العصور السابقة. ومثلما أشتي أن أعتمر طربوش جدي، وأرتدي بذلته ذات الصدرية، وأن أضع في جيب تلك الصدرية ساعة بسلسلة مثل ساعته، أشتي أن أطلع الشعر القديم. لكنني لا أرتدي ملابس جدي، ربما خشية أن أصبح أضحوكة في البلد. فلماذا أطلع الشعر القديم؟ ثمة ههنا أمران: فائدة تاريخية، فالشعر القديم أبلغ في وصف عصوره المختلفة من كتابات المؤرخين، وومضات شعورية، فكل شعر - حتى ذلك الذي يحاكي في موضوعاته، وأسلوبه، ومفرداته العصور السابقة عليه - فيه شيء من نبض الشاعر، وفيه قدر من مشاعره.

حياة البارودي

سماه محمود شاكر «الإمام الأول» الذي «رد الشعر إلى شباب فقده في عصور متتابعة». ومدحه مصطفى صادق الرافعي كثيراً، ونبهنا إلى أن البارودي ولّد شوقي. وقال فيه العقاد إنه «وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة. . . فإذا أرسلت بصرك خمسمئة سنة وراء عصر البارودي لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه» فهو «الإمام القدير» والفضل الذي له على عصره أكبر من الفضل الذي لعصره عليه. . . وذلك وحده خليف أن يبوته زعامة جيله، ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه. وفي الكلمة الأخيرة «تابعيه» يريد العقاد أن يجعل البارودي أعلى من شوقي مقاماً.

ذكروا في تاريخ مولده ثلاثة أعوام ميلادية متتالية، فإن صح ما اتفقوا عليه من أنه ولد في رجب عام ١٢٥٥ للهجرة فقد ولد محمود سامي البارودي عام ١٨٣٩.

ولد جركسياً ابن جركسي وجركسية. وهؤلاء من بعض المماليك. وكان محمد علي باشا قد قتل قادة المماليك في مذبحه القلعة قبل ولادة شاعرنا بشمان وعشرين سنة. قتل منهم بضعة مئات غيلة وغدرًا، ثم تعقبهم جنوده بالقتل في أنحاء مصر. واستتب الأمر لمحمد علي. والبقية الباقية من المماليك الذي لجأوا إلى دنقلة بشمال السودان ظلوا فيها حتى بعد أن اكتسحتها جنود محمد علي. واحتفظ الصف الثاني من المماليك بمزارعهم وبوظائفهم وخدموا دولة محمد علي جنوداً وموظفين، فهذا الحاكم الباطش دخيل على مصر وقادته دخلاء، والمماليك دخلاء. بانتهاء سطوة المماليك دخلت بقيتهم في خدمة الدولة، ومن هؤلاء والد شاعرنا حسن حسني بك أحد أمراء المدفعية.

لعل العائلة منسوبة إلى إيتاي البارود في مديرية البحيرة بمصر، ولعله كان لها أملاك في الدلتا، وفي القاهرة، فقد قيل لنا إن محمود سامي ولد في القاهرة. وقد ذاق الينم باكراً، فأبوه يعيش في دنقلة بالسودان وهو يعيش عند أخواله بمصر، وما بلغ السابعة حتى توفي أبوه في دنقلة.

تعمنا هذه السنوات السبع الأولى في حياة البارودي، وفي حياة كل إنسان نحاول أن نفهمه. لقد عاش فيها مدلاً عند أخواله، ولا نظنه عانى كل ما يعانيه يتيم الأب. وكان خاله إبراهيم شاعراً. وبخاله افتخر في الشعر، كأنما أراد أن يقول إنني من بيت فيه شعر. وخير ما صنعه له بيت خاله أنه جئبه دخول تلك المدارس التي كانت موجودة في القاهرة آنذاك - وسيأتي زمن تغلق فيه، ثم سيأتي زمن تفتح فيه من جديد -، لقد درس في البيت. درس على خاله وعلى معلمين كانوا يفتشون ذلك البيت. وطالع كتب النحو والصرف والعروض والبلاغة. (وقد مزق الباحثون الجادون أسطورة، اخترعها حسين المرصفي وتلقاها دون تمحيص الرافعي، بأن البارودي لم يعرف شيئاً من علوم اللغة). على أن دراسة البارودي كانت تلك الدراسة الحرة التي تؤتي ثمراتاً أطيب بكثير من الدراسة المقيدة في المدارس.

لعله بين السابعة والثانية عشرة لم يقرأ سوى الأشعار والقصص، على أنه بعد ذلك تقف نفسه بعلوم العربية، ما وسعه.

في الثانية عشرة دخل المدرسة الحربية أسوة بأبناء الجراكسة. وتخرج بعد

أربع سنين وعمره ست عشرة سنة. وأصبح ضابطاً في الجيش. في تلك السنة نفسها تولى سعيد باشا عرش مصر.

وهو طفل يقرأ القصص في بيت خاله كان البارودي يسمع عن أمجاد محمد علي العجوز الذي حكم مصر قرابة خمسين سنة، وما دخل المدرسة الحربية إلا وعباس الأول على عرش مصر، وتخرج منها وسعيد في الحكم. ومكث البارودي بضع سنوات لاهياً، ثم توجه إلى إستانبول، والتحق بوزارة الخارجية، وفي عاصمة الدولة العثمانية - وكانت مصر تتبعها بعض التبعية - أتقن البارودي التركية، وتعلم الفارسية، وزعموا أنه قال شعراً في اللغتين، غير أنه لم يصلنا شيء من هذا. ولا نظنه إلا قد انشغل بما في إستانبول من كتب عربية مطبوعة ومخطوطة، ولا سيما دواوين الشعراء القدامى.

ومات سعيد باشا، وتولى عرش مصر إسماعيل، وفي سنة توليه الحكم توجه إسماعيل باشا إلى إستانبول، ليعود منها ويصحبه محمود سامي البارودي الذي كان بلغ الرابعة والعشرين. وترقى البارودي في الجيش، وحضر دورة عسكرية في فرنسا وأخرى في بريطانيا، وكانت هاتان الدولتان قد بدأنا تعدان الخطط لتضييق الخناق على مصر التي كانت تُحفر فيها قناة السويس، وتعد بموقع استراتيجي متزايد الأهمية.

وكان إسماعيل باشا (وسنقول «الخدوي» إسماعيل منذ سنة ١٨٦٦ حين نال اللقب من السلطان العثماني، ونال معه الحق في توريث العرش لأكثر أبنائه) قد بدأ نهضة كبيرة في التعليم والعمران ذُكرت الناس بجده محمد علي. في هذه السنة نفسها قامت في جزيرة كريت (في اليونان حالياً) ثورة على الحكم العثماني، فأرسل إسماعيل جيشاً لقمعها كان من بين ضباطه البارودي. وأخمدت الثورة. وقال البارودي في ذلك شعراً، غير عالم أنه سيشارك عما قليل في ثورة سُخمد، وسيقول فيها شعراً من نوع آخر.

ثم استرخى البارودي في مزرعته، يلهو ويقول الشعر، ويتصل بأقطاب البيان في مصر، وأهمهم الشيخ حسين المَرْصفي، صاحب الكتاب التعليمي المدرسي المهم «الوسيلة الأدبية»، وأهم شيء في هذا الكتاب على الإطلاق أنه احتوى على قصائد عديدة للبارودي. كان حسين المَرْصفي شيخ العربية في دار العلوم التي أنشئت في أواسط عهد إسماعيل. وكانت داراً للعلوم حقاً، وفيها عدد من الأساتذة الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين يدرسون العمارة والسكة

الحديد والآلات والفلك والتاريخ. وجاءها المرفعي من الأزهر، وهو شيخ معمم أعمى يحب اللغة ويحب الأدب، ويعرف كيف يصيخ بسمعه إلى شعر متين السبك حتى لو جاء من شاب يافع. وباعتناء الشيخ بأشعار الشاب ونشره لها في كتابه الخطير عرف شوقي أن الشعر العربي المتين يمكن له أن يولد في هذا الزمن أيضاً. ويخبرنا الرفاعي بأن تأثر شوقي بالبارودي أهم من تأثره بالمتنبى والبحري لما بين شوقي والبارودي من معاصرة.

في هذه الفترة عب البارودي من شعر القدماء ما شاء له أن يعب.

ولما كنا قلنا «ما شاء له» وهي عبارة طه حسين الأثرية، فنحن نذكر المرفعي الآخر «سيد بن علي المرفعي» الذي تلقى عليه طه حسين وعدد من كبار الأدباء في زمنه علمهم، وكان سيد المرفعي محباً للأدب راعياً للشباب كابن قريته حسين المرفعي.

اثنتا عشرة سنة وضع فيها البارودي السيف في قرابه، وراح يدرس الأدب، ويحفظ روائع الشعر القديم، وقد يقوم بمهام دبلوماسية إلى إستانبول، وقد يخلد إلى مزرعته يلهو ويشرب، ويقول في ذلك الشعر. ثم قامت حرب البلقان بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٧٨، فأرسل البارودي، وهو الآن ضابط مهم في نحو الأربعين من عمره، إلى الجبهة. وقال في ذلك شعراً كثيراً.

بعد هذه الحرب بقليل نُحي إسماعيل عن الحكم بضغط من فرنسا وبريطانيا، وتولى عرش مصر ابنه توفيق. وكان البارودي قريباً من توفيق وهو ولي عهد. فترقى البارودي وأصبح مديراً للأوقاف، ثم جمع إليها الحربية. ثم اختلف مع رئيس النظار (رئيس الوزراء) رياض باشا، فاستقال، وجيء بشريف باشا، فعاد البارودي، ثم استقال شريف، فعين البارودي في عام ١٨٨٢ رئيس وزراء لأربعة أشهر. وسميت وزارته «وزارة الثورة» لأنها ضمت ثلاثة من أقطاب الثورة.

كان الجيش متمسكاً، يشعر ضباطه أن أقدار البلاد ومقدراتها تنتسب لشكون بيد الإنجليز والفرنسيين. وكان في الجيش سحق على عدم إعطاء الوطنيين، وعلى رأسهم أحمد عرابي، المكانة التي يستحقون بإزاء الجراكسة. ومع أن البارودي كان رأس الجراكسة فقد كان محبوباً من الجميع، وكان يعطف على قضية الجيش في وجه التضييق الأوروبي.

كانت ديون مصر كثيرة، فقد أسرف إسماعيل في الاستدانة لبنني البنايات وينشئ المدارس ويقوي الجيش، .. ليكون مسرفاً. . واتخذ الأوروبيون من

هذه الديون حجة للاستيلاء على مصر التي جعلت لها قناة السويس من الموقع الاستراتيجي ما أسال لعاب أوروبا.

أراد الجيش خلع الخديوي توفيق، ولكن عرابي تلكاً في إعلانها صريحة، ولعل حلم السلطة نما في عقل البارودي، ولكنه أثر الاكتفاء بالتعاطف مع الجيش، دون التقدم خطوة أخرى نحو الانقلاب على توفيق.

ودخل الإنجليز مصر، وهزموا جيش عرابي، وحكموا عليه وعلى البارودي وعلى بعض كبار الضباط بالنفي. وعلى سفينة إنجليزية حُمل الضباط إلى جزيرة سيلان، سرنديب.

قضى البارودي سبع سنين في كولمبو، ولما استفحل الشقاق بين الضباط وتراشقوا بالاتهامات بشأن أسباب فشل حركتهم، انتحى البارودي في «كاندي» في وسط الجزيرة (و١٤٪ من سكانها الآن، بحسب الويكيبيديا، مسلمون). وراح يعلم المسلمين العربية ويؤمهم في صلاتهم. وقيل إنه تعلم الإنجليزية هناك. ومن سرنديب (جزيرة سيلان، وهي الآن دولة سريلانكا) كان البارودي يتصل بمصر بالبريد، ويتساجل مع الأدباء كالأمير شكيب أرسلان.

كان منفاه السرنديبي سبع عشرة سنة قال فيها بعض أجمل شعره، ورجع بعدها إلى مصر بعفو في مايو/أيار ١٩٠٠، وفي القاهرة توفي في ديسمبر/كانون الأول ١٩٠٤.

خدم البارودي شعره بأن جمعه قبل وفاته، وكتب له مقدمة. وقد غير في أبياته بعض التغيير، وخفف من غلواء الغزل والمجون بعض التخفيف، ويبدو هذا واضحاً من خلال مقارنة أبيات الديوان بأبيات نشرها المرفص في «الوسيلة الأدبية». كان البارودي في آخر سنواته قد فقد بصره، على أن بيته أصبح مجلساً عامراً بأهل الأدب.

وقد طبع ديوانه بعد وفاته، طبعته أرملته، وطبعت مختاراته التي هي قصائد لثلاثين شاعراً عباسياً جمعها البارودي ورتب شعراءها تاريخياً، وهي تملأ ثلاثة مجلدات كبيرة.

عاش شعر البارودي، واخترنا منه صفحات كثيرة رغم ما قلنا عن صاحبه من أنه رجع للوراء. فقد عاش شعر البارودي لأنه شعر جميل فيه قوة وفيه تعبير صادق عما في نفس صاحبه من فرح وألم. هذا شعر طيب، فإن كنت ما زلت تحت تأثير كلامنا الأول فهذه دعوة إلى الاتزان: شعر البارودي شعر ذكي، وفصيح.

١ شقيقة القمرين

يا هاجري من غير ذنب في الهوى، مهلاً، فهجرُك والمنونُ سواءُ
المنون: الموت

أغرِيتَ لَحْفَظَكَ بِالْفَوَادِ فَشَفَّهُ وَمِنْ الْعَيُونِ عَلَى النُّفُوسِ بَلَاءُ
أغرِيتَ نظرك بمؤادي فشفه (براه برياً فجعله شفافاً)، وقد يقع البلاء على النفوس من عيون
الجماليات

هِيَ نَظْرَةٌ، فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِأَحْتِهَا فَالْخَمْرُ، مِنْ أَلَمِ الْخُمَارِ، شَفَاءُ
انظر إليَّ أيها المحبوب مرة أخرى تشفيني من النظرة الأولى، فهذا مثل الخمر التي تصيب المرء
بالخمار (صداع السكر) فيداويه بشرب مزيد من الخمر

لَا أَنْتَ تَرَحُّنُنِي، وَلَا نَارُ الْهَوَى تَخْبُو، وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ
فِيْ قَلْبٍ كُلِّ فِتْنَى غَرَامٌ كَامِنٌ وَيَعْظِفُ كُلِّ مَلِيحَةٍ خُيَلَاءُ
العطف: الخصر، الخيلاء: الزهو والشتي

فَدَعَ التَّكْهُنُ يَا طَبِيبُ، فَإِنَّمَا دَائِي الْهَوَى، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
أَلَمِ الصُّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحِبُّ بِهَا نَفْسِي، ودائي لو علمت دواء
حَكَمَ الْجَمَالُ لَهَا بِمَا تَخْتَارُهُ فَتَحَكَّمْتُ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ
أَشْشِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ! أَيُّ وَسِيلَةٍ تُذْنِي إِلَيْكَ، فليس لي شُفْعَاءُ
يا شقيقة الشمس والقمر، كيف أقرب منك؟ فليس لي من يشفع عندك

وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ، وَلَكِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الرُّثْبَةِ الْآرَاءُ
الناس متشابهون جسمًا، والفوارق بينهم في المنزلة قائمة على الآراء (الفكر والمواقف). التسويد
لممران القفيني

وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَّتْ، وَإِذَا خَلَّتْ مِنْ فِطْنَةٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
النفس الصالحة تزكو (تسمو وتتمو)، وإذا خلت من الفطنة تميل مع شتى الأهواء

كَيْفَ الْوُثُوقُ بِلِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ وَيَكُلُّ قَلْبٌ نُقْطَةً سَوْدَاءُ؟
كيف أتق صاحب وكل امرئ له قلب وكل قلب فيه نقطة سوداء (يشير إلى تعبير سويداء القلب أي
وسطه/إن فقلت قلب دجاجة رأيت النقطة السوداء)

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَالْسَّعْيُ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ

٢ الصغيرة الواسعة

قال يمدح الخديوي عباس حلمي الثاني:

أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتُ لِي وَجْهًا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَثْنَائِهِ
أُولَيْتِي: منحتي، جلوت لي: بينت لي

الْعَدْلُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَالْعِلْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْحِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ
هذا الخديوي عادل عالم حليم، والحلم من أسمائه إشارة إلى اسمه المركب «عباس حلمي»
لَا غَرَوُ أَنْ جَمَعَ الْمَحَامِدَ يَافِعًا وَسَمَا بِهِئْتِهِ عَلَى نُظَرَائِهِ
لا غرو: لا عجب، يافعاً: قتي، وارتفع بهمة (طموحه) على أقرانه

فَالْعَيْنُ وَفِي صَغِيرَةٍ فِي حَجْمِهَا تَسَعُ الْفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فهو في صغره واسع المعرفة والطموح، ولا عجب فالعين على صغرها ترى الأرض والسماء
فكأنها تسعها

٣ في الواقع .. هي نار

قال يذكر أياماً مضت له بالجيزة:

حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ، كَأَنَّمَا شَفَقَ بَدَتْ فِيهِ نَجُومُ سَمَاءِ
خمر حمراء دار على وجه كأسها العباب (الفقايق)، فكان الخمر بجمرتها شفق الشمس عند
المغرب، وكان الفقايق نجوم تتلألأ

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْبَقِيَّةِ فَإِنَّهَا نَارٌ تَحُلُّ جِسْمَهَا فِي مَاءِ
وفي الواقع فالخمر بلونها الأحمر ومذاقها اللاسع كالنار، وعند مزجها بالماء فكان جسمها يتحلل
فيه

تَجْرِي فَتَفْعَلُ بِالْعَقُولِ كَوُوسَهَا مَا نَفْعَلُ الْأَلْحَاطُ بِالْأَحْشَاءِ
التوريد لمران القفني

هِيَ جَفْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا أَمْلَاكُهَا فِي سَالِفِ الْأَنْاءِ
الخمر كار المجوس التي كان يسجد لها أملاكها (ملوكها) في سالف الأمان (الأرمان)

أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ، وَمَعَاشِيرِ يَتَلَوْنُونَ تَلَوْنَ الْجَرِيَاءِ
شَقِيَّ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ إِنَّ الْفَضِيلَةَ أَفْءُ الْمُعْقَلَاءِ
إن الفضيلة أفء (أكثر) المعقلاء

٤ حفل زفاف

أَلَا عَاطِنِيهَا بِنْتُ كَرَمٍ تَزَوَّجَتْ عَلَى نَعَمَاتِ الْعُودِ بِابْنِ سَمَاءٍ
عاطيها (نادلي كؤوسها) بنت كرم (معصورة من عنب الكروم) وقد مزجت بالماء الذي هو ابن
السماء، وهكذا تزوجت بنت الكرم ابن السماء على نعمات العود في مجلسنا هذا

إِذَا اتَّقَدْتُ فِي الْكَأْسِ خِلْتِ وَمِیْضَهَا عَلَى وَتَرَاتِ الْكَفِّ نَضَحَ دِمَاءُ
تشعل الخمر في الكأس بلونها الأحمر وتظن وميضها إذ ينمكس على وترات الكف (الجلد الذي
بين الأصابع) نضح دماء (دم مرشوش)

أَبِي آدَمَ بَاعَ الْجِنَانِ بِحَبَّةٍ وَيَفْتُ أَنَا الدُّنْيَا بِجُرْعَةٍ مَاءٍ
آدم أخرجه من الجنة تفاحة، وأنا بعت دنياي بشربة ماء (بعث بالتعبير العامي، وهنا تورية لطيفة،
فشربة الماء هي الخمر، وهي أيضاً أنه باع الدنيا بسهولة.. بشربة ماء). التسويد لعمران الفيني

٥ إلا أقلهم

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا وَبِهِ لِلْحُقُودِ دَاءٌ عَيَاءُ
سليماً: بريئاً، الحقود: الأحقاد، داء عياء: أعياء الأطباء

فَاخْذِرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النَّاسَ، إِلَّا أَقْلَهُمْ، أَعْدَاءُ

٦ سواي

قال في صباه يروض الفول:

سِوَايَ يَتَخَنَّنُ الْأَغَارِيدَ يَطْرُبُ وَغَيْرِي بِاللَّدَائِنِ يَلْهُو وَيُغْجِبُ
لست أنا من يهتم بالأغاريد (الأغاني) وباللذات.. فأننا أخو حرب وضرب

وَمَا أَنَا بِمَنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبُّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعَهُ الْبِرَاعُ الْمُقْتَبُ
ولا تسولي الخمر على قلبي (يشربها لكن دون أن يكون عبداً لها)، ولا يستولي على سمعي البراع
المقرب (القصة ذات القيوب، أي الناي، أي الموسيقى)

وَلَكِنْ أَخُوهُمْ، إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذَابُ
لكنني أخوهم (صاحب طموح) إذا ترجعت به (تأرجعت) سورة (فورة نشاط وعصب) تؤدي نحو
المجد فهو يحث خطاه

نَفَى النَّوْمَ عَنْ حَيْنِيهِ نَفْسٍ أَبْيَةً لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
أسهرته نفسه الأبية (الرافضة لما يشين) التي تجد مطلبها في الكفاح بين الأسنة (أطراف الرماح)

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ فكلُّ الذي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ
 من تكثر العلياء (المجد) همة نفسه (طلبه ومطمحه) أحب الصعوبات التي يلقاها في سبيل الوصول
 إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَنِي خَالٌ، وَلَا ضَمَنِي أَبٌ
 إذا لم أبدأ للمكارم (الأمجاد) ما تستحق من جهد فليس لي أن أعتر بأخوال ولا أعمام
 وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتِ طِمْرَةٍ وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُذْرَبٌ
 ولا معنى لركوبي، لابساً درعي، الكمية (الفرس الداكنة اللون) الطمرة (العرس العالية)، ولا
 لحملتي الرمح ذا السنان المذهب الحاد

خُلِقْتُ عَيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ لَدَنِّي يَدَا أَغْضِي لَهَا حِينَ يَفْضُبُ
 خلقت عيُوفاً (أبياً) لا أرى لأحد يداً علي (فضلاً يمن به) بحيث أغضي (أطأطأ رأسي) عند غضبه
 فَلَسْتُ لِأَمْرِ، لَمْ يَكُنْ، مُتَوَقَّعًا وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ
 لا أترب بخوف أمراً لم يحدث بعد، ولا أتعجب (أندمر) على شيء حدث وانتهى
 أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ، لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يَحَاوُلُ مَذَقَبُ
 طريقتي خلاف ما يرى الناس، ولكل إنسان في تحقيق أغراضه طريق
 وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضَّتْ عُبَابُهُ وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُسْطَبُ
 ورب هيجاء (حرب) كأنها البحر، وقد خضت عيابه (موجه) إذ لم يكن هناك ما يعصم المرء (يقه)
 إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُسْطَبُ (اليف ذو الحزوز)

تَنْظِلُ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا حَوَاسِرَ فِي أَلْوَانِهَا تَنْقَلِبُ
 ويهر الحرب هذا فيه المنايا الحمر والسود (الموت جرحاً أو غرقاً)، وهذه المينات حواسر
 (كاشفة رؤوسها) وتقلب بين المتحاربين أخذة هذا وذاك

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي وَيَبِيضُ الْقَلْبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَقْرُبُ
 دخلت وسط القتال حيث الخيل تلتقي بالخيل، وحيث يبيض القلب (شعرات السيوف) تظهر ثم
 تقرب (تغيب) داخل الرؤوس

فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيَّنَّ الْكَرَّ مَوْقِفِي لَدَى سَاعَةٍ فِيهَا الْعَقُولُ تَغْيِبُ
 ظللت في المعركة أقاتل حتى بدأ الكر (التقدم) فشوهدتُ هاجماً بعد إذ كنت مخفي الشخص في
 الالتحام، وهذه ساعة تغيب فيها العقول لهولها

لَدُنْ غُدُوٍّ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ، وَالتَّقَى عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ سَاطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبُ
 هذا عند عودة (باكراً) . . ثم استمر القتال حتى الليل فالتقى غيهب (ظلام) ساطع النقع (الغبار
 المرتفع) بظلام الليل

يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً وَلَمْ يَذُرْ أَنَّ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قُلُوبَ

المرء يتمنى ما لا يكون (المستحيل) طمعاً، غير مدرك أن الزمن يتقلب بالناس

وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لِأَبْصَرَ مَا يَأْتِيهِ وَمَا يَنْتَجِبُ

ولو علم المرء سلفاً الأمر الذي فيه فائدة له، لكان عرف ما الذي يجب أن يأتيه (يفعله) وما الذي يجب أن ينتجبه. التسويد لعمران القفني

٧ ذو الهية والبدية

في مدح الخليوي إسماعيل:

ذُو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جَنُودِهِ وَبَدِيهَةٍ تُغْنِيهِ عَنِ الشَّجَرِيبِ

له هيبة لا حاجة به معها إلى أن يفود الجنود ليحارب عدواً، فالعدو لا يجرؤ على تحديه أصلاً، وله بدية (فكر فطري) يجعله يدرك الأمور قبل أن يجرها

٨ نعاشر من لقينا

قال يذكر أيام الشباب:

زَمَانٌ كُلَّمَا لَاحَتْ بِفِكْرِي مَخَايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ مَا بِي

مخاييله: صوره المتطبعة في الخيال

مَضَى عَنِّي وَغَادَرَ بِي وَلُوعاً تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي وَاكْتِنَابِي

الزُّلُوع، ونقول اليوم الزُّلُوع، وهي أقبس: شدة التعلق

وَكَيْفَ تَلَدُّ بَعْدَ الثُّبِّ نَفْسِي وَفِي اللَّذَاتِ إِنْ سَنَحْتُ عَذَابِي

إن أتيمت اللذات وجدتها تمنيني لأنني شبت

أَصْدُ عَنِ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجَزٍ وَأَظْهَرُ سَلَوَةً، وَالْقَلْبُ صَابِ

أتجنب الحياة المرفهة عجزاً عن الاستمتاع بها، وأبدي سلوة (انصرافاً عنها)، مع أن قلبي يصير (يحن)

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَةً مَلِيّاً وَذُقْتُ الْعَبَثَ مِنْ أَرِيٍّ وَصَابِ

حلبت الدهر أشطره (تمرست واحتنكت) ملياً (كثيراً)، وذقت الأري (العسل) والصاب (المر)

فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الْإِخْوَانِ نَذْباً يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامَةِ وَالْمِتَابِ

لم أجد في الأصدقاء نذباً (مبادراً للتصرة) يرفع قدره عن اللوم والعنب

ولكننا نعاشر مَنْ لَقِينَا عَلَى حُكْمِ الْمُرُوءَةِ وَالْتَفَافِي

نعاشر من تلقى ونستعمل معهم المروءة والتفافي (التفاضي بادعاء الغباء)

٩ انتهاء العمران بدء الخراب

قال وهو بِسَرْنَدِيبٍ بِشَوْقٍ إِلَى مِصْرَ، وَيُرْتِي صَدِيقَهُ الشَّيْخَ حَسِبْتَا التَّرَصُّفِي، وَعَبَدَ اللَّهَ
بِأَشَا فِكْرِي:

كُلُّ شَيْءٍ يَسْأَلُوهُ فَوَ اللَّبِّ إِلَّا مَاضِيَّ اللَّهْوِ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ

ينصرف العاقل عن كل شيء إلا ذكرى لهوه في شبابه

فَلَمَّا زَالَ، فَاشْتَبَاكِي إِلَيْهِ، وَثُلُّ قَوْلِي، بَاقٍ عَلَى الْأَخْقَابِ

زال الشباب ولكن اشتياقي إليه باق على مرور الأزمان، وكذا شعري.. فشعري باق على الزمان

بِأَنْدِيسِيٍّ مِنْ «سَرْنَدِيبٍ» كُفَّا عَنْ مَلَامِي، وَخَلِّيَانِي لِمَا بِي

سرنديب: جزيرة سيلان، وهي دولة سريلانكا، وكان البارودي منفياً فيها

كَيْفَ لَا أُنْدُبُ الشَّبَابَ وَقَدْ أَضْمَرَ بَحْتُ كَهْلًا فِي مِغْنَةٍ وَاضْطَرَبُ

أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي، وَكَسَانِي خِلْمَةً مِنْهُ رَغَّةَ الْجِلْبَابِ

أخلق (أبلى، وهرا/ من الاهتراء) الشيب ما كان جديداً من جسمي ونفسي، وكساني خلعة (ثوباً) رقة (مهترقة)

وَلَوْ شِئْتُ لَمَرَّ حَاجِبِي عَلَى عَيْنِي، حَتَّى أَطَّلَ كَالسَّهْدَابِ

الهداب: الشراشيب، الخيوط المتتالية من أطراف النسيج

لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَبَالٍ كَأَنِّي فِي ضَبَابٍ

أرى الأشياء حين تسنح (تبدو) خيالاً كأن حولي الضباب لضعف بعصري

وَإِذَا مَا دُهِبَتْ حِزْتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

إذا ناداني أحد تحيرت لا أعرف مصدر الصوت، كأنه يتناديني من وراء ستار

كَلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي وَنَيَْةً لَا تُقْلِيهَا أَعْصَابِي

إذا رمت (ابتغيث) نهضة (قياماً) أقعدتني ونية (ضعف) لا تحملها أعصابي

لَمْ تَدْخِ صَوْلَةُ الْحَوَادِثِ مِنِّي ضَيْعَ أَشْلَاءٍ هَمَّةٍ فِي ثِيَابِ

هجمة الحوادث (المصائب) علي تركتني أشلاء همة (بقايا عزيمة)

فَجَمَعْنِي بِوَالِدَيْ، وَأَهْلِي ثُمَّ أَنْعَتْ تَكْرُّ فِي أَتْرَابِي
فجعتني المصائب بأبوي وأهلي، ثم أنعت (مالت) تكر (تهجم) على أترابي (من هم في سبي، لدائي)

أَيْنَ مِنِّي (حُسَيْنٌ) بَلْ أَيْنَ (عَبْدُ الْـ) لَهُ رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ؟
لَمْ أَجِدْ مِنْهُمَا بَدِيلًا لِنَفْسِي غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاكْتِنَابِي
ليس لي من يعوضني عن قتلعهما، وبقي لي منهما الحزن والاكتئاب

قَدْ لَمَعَرِي عَرَفْتُ دَهْرِي، فَانْكُرْ ثُ أُمُورًا مَا كُنْتُ لِي فِي حِسَابِ
وَتَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى كَانَ عَوْنًا عَلَى الثَّقَاةِ اجْتِنَابِي
اجتنب الناس أعانني على التقوى

لَا أَبَالِي بِمَا يُقَالُ، وَإِنْ كُنْتُ ثُ مَلِيًّا بِرَدِّ كُلِّ جَوَابِ
ملياً: قادراً

قَدْ كَفَانِي بُعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي فِي أَمَانٍ مِنْ غَيْبَةِ الْمُغْتَابِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَنْغَابِي، وَالْحَزْمُ إِلْفُ الثَّغَابِي
الحصافة مصاحبة للثغابي، فمن أراد أن يكون حازماً فعليه أن يتغاضى عن السفاسف، وهو مدرك
ليهاها

وَكَفَى بِالْمَشِيبِ، وَهُوَ أَخُو الْحَزْ مِ دَلِيلًا إِلَى طَرِيقِ الصُّوَابِ
إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وَانْتِهَاءُ الْعُمُرَانِ بَدْءُ الْخَرَابِ

١٠ سبب فيضان النيل

قال يَرُوضُ القول:

إِذَا لَمْ تُعِينُونِي وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي فَمِيرُوا، وَخَلُّونِي، فَلَسْتُ بِذَاهِبِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ لَدَى كُلِّ مَكْرُوهِ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ
لَعَنُوكَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَهِيَ رَحِيَّةٌ كَغَزْلَانِ هَذَا الْحَيِّ عُذْرٌ لِنَاسِبِ
ليس في الدنيا على اتساعها من عذر للناسيب (المتغزل) مثل غزلان (فتيات) هذا الحي (هؤلاء
القوم). فمن يتغزل معذور لفرط جمالهن

فَلَا تَطْلُبَنَّ الْحُسْنَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَأَبْدَعْ مَا فِي الْأَرْضِ حُسْنَ الْأَعَارِبِ
فَهَنَّ الْأَلَى عَوْدَنَ قَلْبِي عَلَى الْهَوَى وَأَخْلَقَنَ ظَنِّي بِالْعِدَاتِ الْكَوَارِبِ
عودن قلبي على الهوى، ثم أعطيتني الوعود الكاذبة

وما زاد ماء النبل إلا لأتني وقفتُ به أبكي فراق الحبايب
يقول إن دموعه رفعت منسوب مياه النيل . أوائق يا محمود باشا من هذا؟ مبالغة قد يراها بعضهم
سمجة، لكنها جارية على طريقة القدماء في صنع صورة كاريكاتيرية

١١ ملكت حلمي

وقال وهو بسر نديب:

أَضَعْتُموني وكانت لي بِكُمْ ثِقَةٌ متى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ العهدِ يا عَرَبُ؟
خفرتم ذمام العهد: نقضتم العهد

أَبَيْتُ في غُرْبَةٍ لا النفسُ راضيةٌ بها، ولا المُلتَقَى من شِيعَتِي كُتِبَ
أصبحت في غربة فلا نفسي راضية، ولا اللقاء بشيعتي (أصحابي) كتب (قرب)

فلا رَفِيقٌ تُسَرُّ النفسُ طلعته ولا صديقٌ يرى ما بي فيكْتَتِبُ
فهل دَفَاعِي عن ديني وعن وطني ذَنْبٌ أَذَانٌ به ظُلُمًا وأَغْتَرِبُ؟
فلا يَظُنُّ بِني الحُسَادُ مَنَدمَةً فإنني صابِرٌ في اللُّو مُحْتَسِبُ
مندمة: ندم، محتسب: راض بنيل الثواب من الله

لا يَحْفَظُ البُؤْسُ نَفْساً وَهِيَ عَالِيَةٌ ولا يُشِيدُ بِذِكْرِ الخَاوِلِ النَّشْبُ
الخامل: غير المعروف، النشب: المال

إني امرؤٌ لا يَرُدُّ الخَوْفُ بِأِدْرَتِي ولا يَحِيفُ على أَخْلَاقِي الغَضَبُ
بادرتي: إقدامي، يحيف: يجني ويتقص

مَلَكْتُ حِلْمِي فلم أنطق بِمُنْذِيَةٍ وصُنْتُ عِرْضِي فلم تَغْلُقْ بِو الرِّيبِ
مندبة: كلمة مخجلة يندى لها الجبين، الريب: الشبهات

١٢ في المعركة

ولمَّا تَدَاعَى القَوْمُ، واشتَبَكَ القَنَا ودارتْ كما تَهْوَى على قُطْبِهَا الحربُ ..

لما دعا القوم بعضهم بعضاً، واشتبكت القنا (الرماح)، ودارت الحرب كما تهوى الحرب (دور أن يتحكم بها أحد) على قطبها (محورها) مثلما تدور الرمح فتطحن ..

وَرُيِّنَ للنَّاسِ الفِرَارُ مِنَ الرِّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الخِيَلِ، وَالتَّهَبَ الصَّرْبُ ..

زين للناس الفرار (صار حسناً في عيونهم الهرب) من الموت، وصارت صدور الخيل تتلانى كالأمواج، واشتد الضرب بالسيف ..

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا سَقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبٌ ..

.. ودارت بنا الأرض الفضاء (الواسعة) كأننا سقينا بكأس لا يصحو لها شرب (شاربون) ..

صَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَ بِي الْخَطْبُ

عندئذ صبرت حتى اتجلت سماء المعركة وركد غبارها، وأنا صبور إن ألم بي (عرض لي) خطب ومصيبة

١٣ الجود بالنفس والمال

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ هَرَّ الرَّمَحَ وَانْتَضَبَا

يَسْتَسْهَلُ الصُّعْبُ إِنْ هَاجَتْ حَفِظَتُهُ وَلَا يُشَاوِرُ غَيْرَ السِّيفِ إِنْ غَضِبَا

حفيظته : غضبه

إِنْ خَلَّ أَرْضاً حَمَى بِالسِّيفِ جَانِبَهَا وَإِنْ وَعَى نَبَأَةً مِنْ صَارِخٍ رَكِبَا

إن وعى نبأه (سمع صوتاً خفياً) يطلب النجدة، ركب حصانه لتلبية النداء

فَذَلِكَ إِنْ يَحْيَى تَحَى الْأَرْضُ فِي رَحْدٍ وَإِنْ يَمُتْ يَنْقَلِبُ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا

فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا فَالْيَتُ لَا يَرْمُبُ الْأَخْطَارَ إِنْ وَبَا

لَا يَقْعُدُ الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ مِنْ كَرَمٍ مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ لَمْ يَبْغُلْ بِمَا كَسَبَا

الصنديد (الشجاع) لا يقعد (لا يتوانى) من كرم، فمن يجود بروحه لا يبخل بماله

١٤ صوني القناة

أَفْتَانَةُ الْعَيْنَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ وَصُونِي حِمَاءَ، فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ

منزلة : موضع

وَلَا تُسْلِمِي عَيْنِي لِلشَّهْدِ وَالْبُكََا فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَوَاكِ إِلَى قَلْبِي

١٥ يَا حُسَيْنَ مِنْ حَدِيثٍ

قَالَتْ، وَقَدْ سَمِعْتُ شِعْرِي فَأَعْجَبَهَا: إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي

تخاف عليه من سطوة أبيها

أَرَاهُ يَهْتِفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِتٍ وَلَوْ كُنْتُ لَمْ يَدْعُ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبٍ

لو كنتي: لو تحايل ولم يذكر الاسم صراحة

فكيف أصنع إن ذاعت مقالته ما بين قومي، وهم من سادة العرب؟
 فنارعتها فتاة من صواحيها قولاً يؤلف بين الماء واللهب
 نازعتها (خالقتها) صديقتها بقول توفقي يجمع بين المتافضين

قالت دعيه يصوغ القول في جمل وما عليك وفي الأسماء مشتركة
 من الهوى، هي آيات من الأدب إن قال في الشعر يا ليلي ولم يعب؟
 عن رقة ألبسنني خلعة الطرب يا حسنة من حديث شف باطنه
 ما أجمل حديث صاحبها

١٦ النائحات

قال وقد مر بصحراء القرافة، فرأى نسوة ينحن على ميت:
 رأيت بصحراء القرافة نسوة نوازع، لا يأوين حزنًا إلى بيت
 نوازع: خارجات من بيوتهن
 ينحن على ميت سيبغن أثره ومن عجب ميت ينوح على ميت

١٧ براءة بلا براهين

قال يمدح النبي ﷺ:

أبيت أرعى نجوم الليل في ظلم يخشى الضلالة فيها كل مدلج
 أراقب النجوم في ظلمات ليل يخشى أن يضل فيه كل مدلج (سائر ليل)
 كأن أنجمه والجو معتكر غيد بأخيرة ينظرون من فرج
 كان النجوم والجو معتكر (مسود) هيون الغيد (الحسان) وهم ينظرون من فرج (شقوق) الأخية
 (الخيام)

ليل غياهبه خيري، وأنجمه خسري، وساعاته في الطول كالجحج
 ليل غياهه (ظلماته) خيري، أي يتحير فيها المرء، ونجومه خسري (مفتة)، أي تتعب في مراقبتها
 العين، وساعاته طويلة كأنها الجحج (السنوات)

قلبت من لامي لانت شكيمته فكفت عني فضول المنطق السمج
 ليت اللائم لانت شكيمته (خفف تشده)، فكفت عني فضول المنطق (أي الزائد من الكلام)
 هيئات يسلك لوم العاذلين إلى قلب يحب رسول الله ممترج

يَا رَبِّ بِالنُّصَافَى هَبْ لِي، وَإِنْ عَظُمَتْ جَرَّائِمِي، رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ
 أعطني يا رب، بشفاعة النبي، رحمة تغني عن تقديم الحجج (البراهين على براءتي) مهما كبرت ذنوبي
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، إِذَا ضَاقَ الرَّحَامُ عِدَاةَ الْمَوْقِفِ الْحَرَجِ
 ما لي سوى شفاعة النبي في زحمة الموقف الحرج (يوم القيامة)

١٨ حسام الفجر

قال يوازن قصيدة ابن النيه (يا ساكني السفق كم عين بكم سفحت):
 خَفَّتْ مَعَاطِفُهَا لَكِنْ رَوَّدُفَهَا بِمَثَلِ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى رَجَحْتُ
 معاطفها (عصرها) رقيقة، وأردافها ثقيلة وراجحة مثل الهم الذي حملتني إياه في حبها
 وَلَيْلِي سَأَلَ فِي أَحْصَابِهَا شَفَقٌ كَأَنَّهَا بِحُسَامِ الْفَجْرِ قَدْ دُبِحَتْ
 ليلة جاء بعدها شفق (غسق، التور الخفيف المؤذن بالفجر) كأنه دم سال عندما ذبح سيف الفجر
 ظلمة الليل

طَالَتْ وَقَصُرَها لَهْوِي بِغَايَةِ إِنْ أَعْرَضْتَ قَتَلْتُ، أَوْ أَقْبَلْتُ فَضَحْتُ
 طالت الليلة وأحست أنها قصيرة وأنا ألهم مع غاية (جميلة)، إعراضها يقتلني وإقبالها علي
 يفضحني (يفضح شهواتي، أو يفضحني بين الناس)
 دَارَتْ عَلَيْنَا بِهَا الْكَاسَاتُ مُنْرَعَةً بِخُمْرَةٍ لَوْ بَدَتْ فِي ظُلْمَةٍ قَدْ حُتْ
 منرعة: مملوءة

١٩ ابنة الفرح

قال علي وزن مخترع:

إِنَّمَا الْفَرَحُ وَاغْصِرْ مَنْ نَصَخَ
 وَازِرٍ غُلْنِي بِإِنْنَةِ الْفَرَحِ
 غلني: عطشي

وَهَمِي إِنْ سَرَرْتُ فِي السَّعِيلِ صَخ

٢٠ روح بلا جسد

وقال في الروح بعد مفارقة الجسم:

بَلِغْتَ مَدَاكِ مِنْ أَرْبٍ فَسِيحِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوْ قَسِيحِ
 بلغت أيتها الروح، بعد موت الإنسان، أقصى المدى من أريك (مبتناك) فاطلقتي

فَعَادَتْ صُورَةُ الْجُثْمَانِ عُظْلًا لِمَقْدِيكَ مِثْلَ دِينَارٍ مَسِيحٍ
 أصبح الجسم معطلاً من روحه، فهو كالدينار الذهبي المسح (المسوح)، فلا كتابة ولا صورة عليه)
 فَلَيْتَكَ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصَدَقٍ يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَالٍ مَسِيحٍ
 ليتك ترجعين للجسم في البعث فيفاجأ كل منكر ختال (ماكر) مسيح (دجال)
 بِرَبِّكَ هَلْ وَجَدْتَ كَمَا وَجَدْنَا خِلَافًا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ؟
 سؤال للروح: هل ثمة فعلاً خلاف بين دين أحمد، الإسلام، ودين المسيح؟

٢١ عش عزيزاً

قال بفخر ويمرّض بالمظالم على عهد الحكومة الاستبدادية:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أَوْدُهُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَفْقَوِي عَلَى الدَّهْرِ زُنْدُهُ
 رضيت من الدنيا بما لا أربغ فيه فعلاً، وليس هناك إنسان يستطيع زنده (ذراعه) أن يلوي ذراع
 الدهر

أَحَاوُلُ وَضَلًا، وَالصُّدُودُ خَصِيْمُهُ وَأَبْخِي وَفَاءَ وَالطَّبِيعَةُ ضِمْدُهُ
 أحاول وصل المليحة، ولكن الصدود يمترضني، وأطلب الوفاء ولكن طبع الأشياء ضد الوفاء
 حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا، وَلَمْ أَذِرْ أَنَّهُ أَخُو عَذْرَاتٍ يَتَّبِعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ
 وما الحب إلا حاكم غير عادل إذا رام أمراً لم يجد من يصدّه
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرَدُّهُ
 حل بي من الشيب خطب (معية) لا سبيل إلى مقاومته

وَكَيْفَ أَلُومُ النَّاسَ فِي الْعَدْرِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ؟
 كيف ألوم الناس على العدر وشبابي غدر بي، وذهب

أَطَالِبُ أَهَامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وَجَدَهُ
 أعياء وجده: أعجزه إيجاده والثور عليه

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيْعُهُ وَيَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُهُ
 أبى الدهر إلا أن يجهل الوضع يصبح في موقع سيادة، وأن يتحكم الوغد في الأوراق

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ عَلَيْهِ، فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
 من لم يقاوم يد الجور (الظلم) عندما تسطو عليه فلا يأسف عندما يضيع مجده

وَأَقْتُلْ ذَاؤَ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ ظَالِمًا يُسِيءُ وَيُثَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
مما يؤذي المرء أن يرى ظالماً مسياً ومع ذلك يشيدون به في المجالس

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ بِهَا بَطْلاً يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شُدُّهُ
عفاء على الدنيا (لتنهب إلى الجحيم) إذا لم يعش المرء بطلاً يحمي شُدُّهُ (إقدامه) الحقيقة
(الشرف)

أَبَتْ لِي حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الْأَذَى شَبَّ وَقُدُّهُ
نمسي الآية ترفض تقبل الظلم، وقلبي إذا سيم الأذى (تعرض للأذى) شبت ناره غضباً

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعَلَا بِمَا كَانَ أَوْصَاءُ آبُوهُ وَجَدُّهُ
كفى المرء مجداً أن يطلب من المكارم ما كان أوصاء به أبوه وجده

أَصْدُ عَنِ الْمَرَمَى الْقَرِيبِ تَرْتُعَا وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُفْجِزُ الطَّيْرَ بُغْدُهُ
اترك المرامي (الأهداف) السهلة مترفعاً عنها، وأطلب البعيد العالي الذي لا يصل إليه الطير في
سمائه

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبَ بِالْقَنَا أَسْوَدُ الْوَعَى فِيهِ وَتَمَرَحَ الْجُرْدُ جُرْدُهُ
لا بد من يوم تتلاعب بالرماح فيه أسود الوعى (العرب)، وتمرح الجرد (الخيول)

يُمَزَّقُ أَسْنَارَ النَّوَظِرِ بَرْقُهُ وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِيعِ رَعْدُهُ
لعمان السيوف يمزق أسنار النواظر (العيون) والهمون مستورة بغبار المعركة، ويقرع رعد الضرب
صواوين الأذان التي كالأصداغ

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعْمَانِ كُھُولُهُ وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الْأَعْنَةِ مُرْدُهُ
الكهول يدبرون سير المعركة، والمرد (الشباب الذين لم تنبت لحاهم بعد) يصرفون الأعنة
(يتحكمون في مقادير الخيل). أي أن التخطيط للكحول والقتال للشباب

فَإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَسْتَهِي الْعَلَا وَإِمَّا رَدَى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَقُدُّهُ
إما حياة عزيزة ترضى عنها المكارم، وإما موت يشفي وقده (قُدومه) ما بالنفس من حمية ضد الظلم

٢٢ مسحتها وخليتها

وقال على روي قصيدة النابتة الذبياني التي أولها «أمن آل مية راتح أو مغتد:

قالوا غداً يومُ الرحيل، وَمَنْ لَهُمْ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى عَدَى؟
قالوا سيرحلون غداً، قللت إني لشدة خوفي من فراقهم قد لا أعيش إلى يوم الغد

هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهُوَى بِشَغَافِهَا مَعْمُودَةٌ، إِنْ لَمْ تَكُنْ فَكَأَنَّ قَدْ
مهجتي (قلبي) ذهب الهوى بشغافها (غشاء القلب) وهي معمودة (منهكة جداً) إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي
فَكَأَنَّ قَدْ (كادت)

يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةً مُقْصِدٍ
يا أهل البيت العالي أدعوكم دعوة رجل مقصد (مصاب بطعنة)

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي، فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَقْتَدِي
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَلِي
استفيدوني (ادفعوا دية قلبي) بإعطائي بعض قيانكم (إحدى قياتكم)، حتى ترجع لي نفسي أو تلي
(تدفع الدية)

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِيَّانِهَا وَلَيْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدْ
شهدت الحرب في إيانها (في عزِّ التهابها)، وسأكون بنس راعي الحي (حامي القوم) لو لم أشهدها

بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَاتَهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةً مِنْ عَسَجِدٍ
شهدت الحرب بمهر مضمر (مدربٌ نحيل اكتملت عضلاته بالجري) أَرِنِ (ممرح) كَأَنَّ سَرَاتَهُ
(ظهره) بَعْدَ الْحَمِيمِ (العرق) سَبِيكَةً عَسَجِدٍ (ذهب)، فجسمه يلمع مع العرق

خَلَصْتُ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدٍ
قائمته اليمنى خلصت من البياض، فلونها كلون سائر جسمه، والقوائم الثلاث الأخرى فيها بياض
من الحافر حتى الوظيف (الساقي تحت الركبة) الأجرد (ذو الشعر القصير)

فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ سَلْبًا، وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدٍ
كَأَنَّهُ بَلُونُهُ الْمَحْمَرُّ قَدْ انْتَزَعَ مِنَ الْأَصِيلِ (وقت الغروب) رِدَاءَهُ سَلْبًا (أي غنيمة)، وَكَأَنَّهُ خَاضَ
شَمْسَ الضُّحَى بَدَلُ أَنْ يَخُوضَ مَوْرِدَ الْمَاءِ، فَلُونُهُ مَحْمَرٌ عَلَى أَصْفَرٍ

مُتَلَفِّئًا عَنْ جَانِبَيْهِ، يَهْزُهُ مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَفَرِّدِ
يتلطف بمرح كأنه شارب خمرة يترنم

فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ يَمْطُو كَسِيدِ الرَّذْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
إِنْ ثَنَيْتَ عَنَانَهُ (مقوده) وشددته فهو يَمْطُو (يسير حثيثاً) كَسِيدِ الرَّذْهَةِ (كثب الرابية) المتوردد (الوردي
اللون)

وَإِذَا أَطْلَتَ لَهُ الْعِنَانَ رَأَيْتَهُ يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَذَفْدًا فِي فَذْدٍ
وَإِذَا أُرْجِحَ مَقُودُهُ أُسْرِعَ وَصَارَ يَطْوِي الْمَهَامَةَ (الصحاري) فَذَفْدًا بَعْدَ فَذْدٍ (فلاة بعد فلاة)

نِعْمَ الْعَنَادُ إِذَا الشَّفَاءُ تَقَلَّصَتْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرِيدِ
المهر غير عناد (عدة الحرب) إذا اشتد القتال وتقلصت شفاء المحاربين لشدة التوتر في يوم
الكريهة (الحرب) وسط العجاج (الغبار) الأريد (القائم)

بَلْ رَبُّ عَانِيَةٍ طَرَقَتْ خِبَاءَهَا وَالنَّجْمُ يَظْهَرُ عَنْ لَوَاحِظٍ أَرْمَدِ
رب عانية طرقت خبائها (أتيت خيمتها ليلاً) بينما النجم يظهر كأنه لواظ (عبود) شخص
مصاب بالرمد تطرف

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ: فَضَحَّتَنِي فَارْجِعْ لِشَانِكَ فَالرَّجَالُ بِمَرْصَدِ
فَمَسَخَتْهَا حَتَّى أَطْمَأَنَّ فِرَاذَهَا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيِ مُخَصَّدِ
مسحتها مثلما يسح الحالب ضرع البقرة لهدئتها عند الحلب، ونفيت روعتها (خوفها) برأي محصد
(سدبد). تعليق عمران القفني: هل أنت متأكد أن البارودي كان يفعل هذا؟ الجواب: لعله!

وَحَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رُضِّنَهَا وَطَوَّيْتُهَا طَلِيَّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
وحلبتها (فتتها) بالكلام حتى روضتها، ثم ضممتها كما يضم المرأة الحبيرة (الثوب) بيدي. البيت
أسقطه البارودي عندما جمع ديوانه، لكنه موجود في كتاب الوسيلة الأدبية للمرصفي

وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا مَتَلَتَّمًا وَالسَيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي

٢٣ سرى البرق

وقال وهو بأقريطش (جزيرة كريت) أيام الحرب يتشوق إلى مصر (١٨٦٥ م):
سرى البرق مصرياً، فأرَّقَنِي وَحْدِي وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ
سرى البرق (سار ليلاً) أتياً من مصر فبهرت له وحدي، وذكّرني بعهود لن أنساها
فيا برقُ حدّثني، وأنت مُصَدِّقٌ، عن الآلِ والأَصْحَابِ: ما فعلوا بعدي

٢٤ صؤول ضروب

وقال وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية ١٨٧٧م، وأرسل بها إلى الشيخ حسين
المرصفي:

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا، وَذَلَّتْ لَهُ الْأَسْدُ
يقول إن نفسه كبيرة شديدة عزيزة تنصدع (تشقق وتتكسر) لها الدنيا وتذل الأسد
وَمِنْ شَيْمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
سجيني وشيمتي (خُلقي وطبعي) الوفاء، وما خير (لا خير في) قلب لا يدوم له عهد

ولكنَّ إِيْخْوَانَا بِمَصْرَ وَرُقُقَةً نَسُونَا، فَلَا عَهْدَ لَدَيْنِهِمْ وَلَا وَغْدُ
فِيَا سَاكِنِي الْقُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتُبِنَا ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ؟
القسطاط: القاهرة القديمة، ثوت: قعدت

نَأَتْ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةً، وَتَجَهَّمَتْ بِوَجْهِي أَيَّامَ خِلَافَتِهَا نُكْدُ
أُعدتني عنكم غربة، وكشرت بوجهي أيام خلافتها (طباعها) نُكد (مشاكسة)
أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُوُّ
الروس: يعني السلافيين بشكل عام

جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِعَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
هؤلاء القوم جواث (جاثون رابضون) على رؤوس الجبال مستعدون لغارة، يطرون فيها من جبالهم
مع بزوغ شمس الصباح

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشُّرُّ بِأَسْمِهِ وَصَاحَ الْفَنَّا بِالْمَوْتِ، وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
إذا مشينا إلى أعدائنا غداً واهضاً أن شراً سيقع، واستدعى الفنا (الرماح) الموت استدعاءً، ورمى
الجنود أنفسهم على الموت

إِذَا اشْتَبَكُوا، أَوْ رَاجَعُوا الزَّخَفَ، خَلَّتْهُمْ بُحُورًا تَوَالِي بَيْنَهَا الْجَزُرُ وَالْمَدُّ
ففي الاشتباك، وفي الكر والفر، تحسب جموع الجنود مثل بحر يعتوره الجزر والمد

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ، وَهَارِبٍ طَلِيحٍ، وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقَيْدُ
الجنود موزعون بين مقتول مطروح أرضاً وبين فار طليح (مرهق) ومأسور يجاذب القيد (القيد
المصنوع من سير جلدي)

نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَنَغْدُو عَلَيْهِمْ بِالْمَنَايَا إِذَا نَغْدُو
في الليل نشاور ونخطط، ونغدو (نتطلق صباحاً) ومعنا للأعداء المنايا (الموت)

وَنَقِيعُ كُلِّجِ الْبَحْرِ خُضَّتْ عِمَارُهُ وَلَا مَغْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
رب نقيع (غبار) كلج البحر (مائه) خضت في غماره (مياهه العميقة)، وليس من مغل (حصن)
يحميني إلا المناصل (السيف) والجرد (الخنجر)

صَبَرْتُ لَهُ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُّ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ قَبَسُودُ
صبرت وحولي الموت يحمر بدم القتلى تارة، وينغل (يتغلغل) طوراً وسط العجاج (الفبار) فيكون
موتاً أسود

فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثُ أَنْهَضَهُ الطَّوِيُّ وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ
كنت كاللث نهض شراً للصيد فجعل الطوى (الجوع)، وكالسيف الذي فارقه غمده (بيته)

ضُؤُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقَرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو
 صؤول (هاجم) بينما الأبطال يهيمون من الوني (التعب)، وضارب بينما قلب القرن (الخصم)
 يركض في صدره خوفاً

فَمَا مُهْجَةً إِلَّا وَرُمَحِي ضَمِيرُهَا وَلَا لَبَّةً إِلَّا وَسِيفِي لَهَا عِقْدُ
 رمحي دخل في كل مهجة (قلب) فصار كأنه ضمير لها مخبئ فيها، ولا لبة (عنق) إلا جعلت
 سيفي لها مثل العقد

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرَكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلُهَا إِدُ
 إذا لم يكن قلبك قوياً فينصرك فلا تنفع في السيف وحده، فهو فقط أداة حملها إد (يؤورك ويتعبك)

٢٥ الصبا في وادي الفناء

وقال يَرُوضُ الشعر:

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي، فَكَيْفَ أَصْبَهُ وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بِرَيْدِهِ
 البريد هو البغل، وكانت البغال تحمل الرسائل من بلد إلى بلد. المعنى: ذهب عهد الصبا ولا
 عودة له، فقد سار عني إلى.. وادي الفناء..

أَحَاوَلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى، وَذَلِكَ رَأَيْ غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ
 أحاول إرجاع الصبا وهذا ليس بالرأي السديد

وَفِي الْحَيِّ ظَنِّي إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ تَنَمَّرَ وَاشِيَهُ وَهَاجَ حَسُودُهُ
 في الحي (القوم) فتاة حسنة إن ترنمت باسمها في شعري تنمر (تحتفز) واشيه (تحتفز) واستنفر الحسود
 تهيئ به أسناره وخدوره (تلفه وتحوطه) والخدر بيت داخل البيت، أو خيمة داخل الخيمة،
 كانت المرأة تنثر بها عن الغرياء قديماً/واليوم لبست المرأة في بلادنا خيمتها، وتعلق بالظلي
 المحبوب. أقراطه (والقرط الحلق) وعقوده

تَأْتَقُ فِيهِ الْحُسْنُ فَاِمْتَدَّ قَرْعُهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَاسْتَدَارَتْ نُهُودُهُ
 الجمال تأتق في صوغ هذا الظلي فطال فرعه (شعره) ووصل إلى قدميه، واستدارت أنداده

فَلَيْلِمِسْكِ رَيَّاهُ، وَلِلْبَانِ قَدُّهُ وَلِلْوَرْدِ خَدَّاهُ، وَلِلظَّلِيِّ جِيدُهُ
 رياه (رائحته) منسوبة للمسك، وقده منسوب لغصن البان، وخداه في حمرتهما كالورد، وجيده
 كجيد الظلي

أَضَاحِكَ وَجْهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بِشْرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودُهُ

حكمة أبادل المرء الضحك إذا كان يغشى (يغطي) وجهه البشر والانشراح، مع أنني أعلم أن الحقوق (الأحقاد) تغلي في قلبه. التسويد لعمران القفنيي.. وأبني لأنني لم أكن سودته، في المسودة، فما قد سودناه يا سيدي

وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ وَأَنْكَرُهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ

لكن من لا يداري الناس يعاديه مصاحبه، ويستكر أفعاله من قومه من هو سيد لهم، والسيد يجب أن يكون بشوشاً، حليماً لا يعادي الناس بسهولة

٢٦ رجال السياسة

وقال يذم رجال الحكومة الاستبدادية في عهد إسماعيل خديوي مصر:

لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحِكْمَ حَمَةً مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ
السيادة ليست بامتلاك الحكمة فقط، بل لا بد من أن يكون المرء أيضاً من الأجواد (الأسخياء)

رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلَّقَ الْمُحِبَّيَا وَهُوَ جَهَنَّمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ
رب خيل (صديق) تراه طلق المحيا (بشوشاً) وضيره جهنم (مسود) بالأحقاد

فَتَأْمَلُ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعَلَّمْ مَا طَوَّنَتْهُ صَحَائِفُ الْأَكْبَادِ
فأتمعن النظر في مواقع اللحظ (النظرات) فالتعوى تفضح ما طوئته صحائف الأكباد من حقد ونية غدر (شبه الكبد بكتاب له صحائف مكتوبة فيها أضياء)

إِنْ فِي الْعَيْنِ وَهْيَ عُضْوٌ صَغِيرٌ لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ
أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحَسُودٍ وَالسَّمْعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَادِ
قَلِيمُوتُوا يَغِيظُهُمْ، فَاحْتِمَالُ الْخَبِيْظِ مَوْتُ لَهُمْ بِلا مِيعَادِ
الغيبظ للحاسدين عقاب، فهو كالموت جاءهم قبل مواعده

كَيْفَ تَبْيَضُّ مِنْ أَنْاسٍ وَجُوهٌ صَبَغَ اللَّوْمُ عِرْضَهُمْ بِسَوَادٍ؟
فَتَرَى الْمَرْءَ مِنْهُمْ ضَاحِكُ السَّنِّ - وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْمِبَادِ
مَعَشَرَ لَا وَلِيَّ لَهُمْ ظَاهِرُ الْمَهْ - وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ
حَكَمُوا مِصْرَ وَهِيَ حَاضِرَةُ الدُّنْ - يَا، قَامَسَتْ وَقَدْ خَلَّتْ فِي الْبَوَادِي
أَضْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ، وَكَانَتْ جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ
وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءَ لِلْجِدِّ - إِذَا كَانَ سَسَاقِطَ الْأَجْدَادِ

٢٧ رثاء الزوجة

وقال يبرني زوجته وقد ورد إليه نعيها وهو بسرنديب، وتوفيت سنة ١٨٨٣ بالقاهرة:

أَيْدِ الْمَنُونِ! قَدَحَتْ أَيْ زِنَادٍ وَأَطْرَزَتْ أَيْةً شُغْلَةً بِفَوَادِي
يا يد الموت، قدحت أي زناد (حجر النار)! فأوقعت الحريق بقلبي

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ وَأَسْفُهُ الْعَبَرَاتِ وَهِيَ بَوَادٍ
أطلب النجدة من زفراتي اللوافح (الحارة)، وأسفهُ الدموع (لا أدرك وجودها) وهي ظاهرة
لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفَوَادَ، وَلَا يَدُ تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي
لا لوعتي ترك قلبي، ولا يدي تستطيع رد الحبيب الغادي (المفارق)

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةً عُذَّتَنِي وَعَنَادِي
فيم (لماذا) فجعتني يا دهر بحليلة (زوجة) كانت خلاصة عدتي في هذه الحياة. تعليق عمران
القفيبي: (رغم أنه استخدم «حليلة» بدل «حياة»، إلا أن البيت يبقى تحفة.. انظر إليه تراه يقطر
تفجعا)

إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِيهَا أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي
أَفَرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمُنْ تَوَجُّعًا قَرَحَى الْعَيُونَ، رَوَّاجِفَ الْأَكْبَادِ
بناتي أصبحن في وحلة، وهيونهن قرحى من البكاء (مجرحة)، وأكبادهن راجفة

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ، وَصَغْنَ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
رمن لأن العقود واسبلن بها لأن هي الدموع في الأجياد (الأعناق)

وَلَهِيَ عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَبْرَتِي وَالِدَمْعُ فَبِكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي
ولهي عليك (حزني) مصاحبني في مسيرة النهار، ودمعي فبك يلزم وسادتي ليلاً

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتَ آخِرُ زَادِي
التسويد لعمران القفيبي. وعبارته: أدرك هذا البيت بالتسويد

فَلَيْشَ «لَبِيدُهُ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ فِي الْحَزَنِ فَهَوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادٍ
ليبد الشاعر، الذي يقول إن الذي يبكي حولاً (سنة) قد بلغ المدى واكسى، لم يكن جواداً
(سخياً).. فالسنة لا تكفي

كُلُّ أَمْرِي يَوْمًا مُلَاقٍ رَبِّهِ وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَبْعَادٍ
الناس في دنياهم ماكنون على ميعاد يكون في الآخرة حين يلاقون ربهم

فاسْتَهْدِ «يا محمود» رَبِّكَ، والتمنَّ منه المَعُونَةَ فَهُوَ نِعْمَ الْهَادِي

يا محمود سامي البارودي اطلب الهداية من ربك واستعن به

٢٨ واكبيدي يا علي بعدك

وقال يرثي ولده علياً من زوجته الثانية التي تزوجها وهو في المنفى أواخر سنة

(١٨٨٥):

كَيْفَ طَوَّنَكَ الْمَنُونُ يَا وَلَدِي؟ وَكَيْفَ أَوْدَعَتْكَ الشَّرَى بِيَدِي؟

وَاكْبِدِي يَا «عَلِيٌّ» بَعْدَكَ! لَوْ كَانَتْ تَبْلُ الْغَلِيلَ «وَاكْبِدِي»

فَقَدْكَ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي وَرَدَّ الصَّبْرَ حَنِي، وَفَتَّ فِي عَضْدِي

فت في عضدي: انهكتني

كَمْ لَيْلَةٌ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا سَهَرْتُهَا بِسَاكِبٍ بِلَا مَدَدٍ

٢٩ رثاء الوالد

وقال في صباه يرثي والده:

أَبِي، وَمَنْ كَأَبِي فِي الْحَيِّ نَعْلَمُهُ أَوْفَى وَأَكْرَمُ فِي وَعْدٍ وَإِعَادٍ

والذي ليس في الحي (القوم) مثله، وهو وفِّي عندما يعد وعندما يوعد (يهدد)

لَا يَسْتَبْدُ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِيرَةٍ وَلَا يَهْتُمُّ بِأَمْرٍ قَبْلَ إِعْدَادٍ

كان حقيقاً لا يستبد برأيه إلا بعد التبصرة (إدانة النظر)، ولا يهم بتنفيذ أمر إلا وقد أعد له عدته

نَرَاهُ ذَا أَفْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ كَاللَّيْلِ مَرْتَقِباً صَيْدًا بِمِرْصَادٍ

٣٠ حوار العاشق مع سيفه

وقال وهو بسرنديب ينشوق إلى مصر:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْتَ مُوَلِّعٌ بِمَنْ لَيْسَ يَعْينِي بُكَائِي وَلَا سُهْدِي

أَبَيْتُ غَلِيلاً فِي «سَرَنْدِيبٍ» سَاهِراً أَعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَخُدِي

وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحُسَامِ مَنُوطَةٌ حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقِي صَلْدٍ

صاحبي الوحيد السيف المنوطة حمائله (المعلقة سيوره) على عاتقي (كفّي) الصلد (الشديد)

لَقَدْ كُنْتُ لِي عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً فَمَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مُنْثَلِمَ الْحَدِّ

فَقَالَ: إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ مَوَرَّةَ الْهَوَى وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ، مَا أَنَا بِالْجَلِيدِ
قال السيف. إذا لم تقوَ على سورة (هجمة) الهوى، وأنت الجليد (الصبور) فأنا لن أكون أصر
منك

وَهَلْ أَنَا إِلَّا شِقَّةٌ مِنْ حَدِيدَةٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِالْقَرْزِ وَالْحَدِّ؟

ما أنا - يقول السيف - سوى قطعة حديد بالغ القين (الحداد) في طرقها وتمضية شفرتها

فَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَنِي وَاهِنُ الْقَوَى أَعْلَقْتُ فِي خَيْطٍ وَأَخْبَسْتُ فِي جِلْدٍ

وأنا جماد - يقول السيف - ولولا أنني ضعيف القوى لما عُلِّقْتُ بخيط، ولما حبست في قِوَابٍ من
جلد

فَدُونُكَ غَيْرِي، فَاسْتَعْنَهُ عَلَى الْجَوَى وَدَعَنِي مِنَ الشُّكْوَى فِدَاءُ الْهَوَى يُعْذِي

دونك (التمس) غيري ليعينك على الجوى (حزن العاشق)، واطركني بحالي فدء الهوى يعدي

٣١ ما لي وللناس

لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدا

لو علم الإنسان ما تضرع له الأحباب من غدر لهان عليه الأعداء

مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَصْمَالِهِمْ؟ كُلُّ امْرِئٍ زَهْنٌ حِسَابٌ خُدا

نصبا زهن على الظرفية، ولك أن تنصبا على أنها مفعول مطلق، ولك الرفع على الإخبار فعل
شارحي الديوان

هَلْ هِيَ إِلَّا مِدَّةٌ تَنْقُضِي؟ وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِفَتْ لِلرَّءْيِ

٣٢ طلب اللهو

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ قَنْدٌ؟ أَمْ هَلْ يَعْيبُ الْفَتَى الْكَرِيمَ دَدٌ؟

هل في التصابي (لهو الكهل) قند (خطأ) أم هل يعيب الفتى الكريم دد (لعب)؟

وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ اللَّبِّ هُوَ وَأَنْوَابُ عَمْرِهِ جُدُدٌ؟

وهل لومة لوم على من التمس اللهو وأنوَابُ عمره جديدة (وهو شاب)؟

فَاصْنَعْ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّبِعٍ فَلَنْ يَحُورَ الْكِمَالُ مُتَّبِعِدٌ

اصنع ما شئت غير متتبع (بلا إبطاء)، فالمتردد لا يصل إلى الكمال

٣٣ اللوم في الحب من الحسد

دَعْنِي مِنَ اللُّومِ إِنْ كُنْتُ أَمْرًا قَطِنًا فاللوم في الحب معدود من الحسد
لو كان للمرء عقل يستدل به على الحقيقة لم يعتب على أحد
التويد لمران القفني

إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ فَإِنَّهُ الصَّبَابَةُ عَنْ قلبي لتغتم شكري آخر الأبد
إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ (قدرة) فاجعل الصباة (الفرام) تنتهي عن الحلول بطني، وأما لك شاكر
أَوْ لَا، فَدَعْنِي وَلَا تَغْنَفْ عَلَيَّ فَمَا أمري إلي، ولا حكم الهوى يدي
والا فاتركني، فليس أمر الهوى طوع يدي

٣٤ عنصراً الدنيا

وما الدنيا سوى حَجَزٍ وَحَرَصٍ هما أصل الخليفة في العباد
فلولا العجز ما كان التَّصَافِي ولولا الحرص ما كان التعمادي
عجز المرء عن مقارعة عدوه يلجئ إلى التصافي (المصالحة)، وحرص المرء على جز النفع إلى
نفسه يوقعه في معاداة الآخرين. وكل شيء سوى هذين تفاصيل، الحياة صراع

٣٥ واحدة بواحدة

قال يصف أيام الربيع ويذكر مواسم اللهب في عصر الشباب:
وقد شائني، والصَّبْحُ فِي خَيْلِ أُمٍّ، حنين حمامات تجاوبن في وكري
شافني (أماج شوفي) والصبح لم يطلع بعد صوت حمامات يتردد في عشرين
هتفن فاطرين القلوب كأنما نعلن الحان الصباية من شعري
فبادر ليمقات الصلاة، ومِلْ بِنَا إلى القصف ما بين الجزيرة والنهر
لنصل أولاً، ثم لنذهب للقصف (اللهم) في ذلك المكان على النيل
إذا ما قَصِينَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ فليس علينا في الخلاعة من وزر
لا إثم علينا في الخلاعة بعد أن أدينا واجب الدين
لدى روضة رَيَا الغصون تَرْتَحَتْ معاطفها رقصاً على نغمة القمري
لهو في روضة ريا (طرية) الغصون، تترنح جنباتها على نغمة القمري (الحمام)

تدور علينا بالمُدَامَةِ بَيْنَهَا تَمَائِيلُ إِلَّا أَنَّهَا بَيْنَنَا تَجْرِي

تدور الفتيات الشبهات بالتمايل لحسنهن علينا يكومس الشراب

لَوَى قَدْهَا سُكْرُ الْخَلَاةِ وَالصَّبَا فَمَالَتْ بِشَطْرِ، وَامْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ

تلوي قدود الفتيات نشوة اللهو والشباب، فنصف الجسم الأسفل معتدل والنصف الأعلى يتمايل .
أو العكس . للرجل الذي لم يفهم معنى البيت تقول: استعمل عينك

وَعَلَّمَهَا وَخِي الدَّلَالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقْتَ جَاءَتْ بِشِيءٍ مِنَ السُّحْرِ

الدلال أوحى للفتيات بكهانة (سحر) فينطقن بكلام يليق قلوبنا

٣٦ قلبي ولساني : سراج وصيف

وَلَا تَحَسَبَنَّ الْجَلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَقُوعَ الْأَذَى، فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرِ

لا تظنن أن الشخص الحليم السمج يمتنع من إيقاع الأذى بالآخرين، ففي الإنسان كل المتناقضات
فهو مثل الصخر الذي ينبجس من الماء، لكنه أيضاً يخرج الشر عندما يتدح

بَلَفْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً جَعَلْتُ بِهَا أَشْيَ عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ

عمري سبع وخمسون سنة، وطفيت بلاداً كثيرة كأنني أرافق النبي «الخضر»، النبي الرحالة

فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةً وَشَيْبِي مَصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي؟

لا أخشى أن أضل عن الطريق السوي فشيبى مصباح أسري (أسير ليلاً) على نوره . يعني أنه أصبح
رزيناً وتقياً يمتعه الشيب من العبث

أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ

أقول الشعر عن طبع، فلا أضطر إلى المنهل المطروق (الحوض الذي يرده الناس) ولا إلى المنهج
الوعر (الطريق الوعر)، أي أنه لا يأتي بالمعاني المعروفة المطروقة ولا بالمعاني الملتوية

وَلِي مِنْ جَنَانِي، إِنْ عَزَمْتُ، وَمَقُولِي سَرَّاجٌ وَعَضْبٌ: ذَا يُضِيءُ وَذَا يُفْرِي

جناني (قلبي) ومقولي (لساني) هما لي كالسراج والسيف: قلبي يضيء لي الطريق، ولساني يفري (يقطع)

إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالْدَّرِّ مَنَاطِقِي وَلَا عَجَبٌ فَالْدَّرُ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ

إذا حاش طبعي (زخرو وماج) فاض من كلامي الدرد (اللؤلؤ)، أليس اللؤلؤ يتكون في البحر؟

سَيَذْكُرْنِي بِالشَّعْرِ مَنْ لَمْ يَلَايَنِي وَذَكَرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمَرِ

من لم يلتق بي في الحياة سيذكرني من شعري، وذكر المرء (شهوته الحسنة) امتداد
لعمره بعد إذ يموت . تعليق عمران القفيني: (قال المتنبي: ذكر الفتى عمره الثاني
وحاجته/ ما فاتته وفضول العيش أشغال، وسيأتي أحمد شوقي ويقول: فاحفظ لنفسك
بعد موتك ذكرها/ فالذكر للإنسان عمر ثان، ولا نعلم من سيمضغ هذا المعنى لاحقاً)

٣٧ دوران الكرة الأرضية

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَاهَا، فَإِنَّمَا بقاء الفتى بعد الشبابِ يَسِيرُ
أدز كؤوس الشراب فالحياة قصيرة

إذا ما شربناها أَقَمْنَا مَكَانَنَا وظَلَّتْ بنا الأرضُ الفضاءُ تَدُورُ
شرب الخمر، ونمكث في مجلنا قاعلين، ولكننا نشعر أن الأرض تدور بنا

٣٨ عندي أمل

وقال بعد وصوله إلى جزيرة سَرَندِيب، وقد رأى ابته الوسطى في المنام:

صَبْرْتُ عَلَى كُرْهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَدْوَحَةً فَهُوَ صَابِرٌ
من لم يجد مندوحة (بهذلاً) فلا بد له من الصبر

وَمَا الْجَلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ، وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ، بِمَسْتَحْسِنٍ كَالْجَلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
الحلم والتسامح عند وقوع الخطب (المصيبة) ليس مصدر فخر عندما يكون الإنسان عاجزاً، فهو إذ
ذاك مضطر للحلم، ولا كذلك الحلم عندما يكون المرء مقتدراً

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ أَهْوِجَاجِهِ وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
قد تتصلح الأحوال، وقد تنهض بالمرء الجود العوائر (المحظوظ المنثرة)

وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحِيًّا بِهِ الْمُنَى وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ، وَالْخَطْبُ كَاشِرٌ
أملِي في الله يحيي في قلبي الأمنيات ويجعل وجه الظن (الفكر) يشرق بينما الخطب كاشر (المصيبة
صعبة مكشرة)

وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَحِبُّ جَبَانٌ، وَلَمْ يَخْوِ الْفَضِيلَةُ نَائِرُ
لولا تكاليف السيادة (مطلباتها) لكان كل الناس سادة، ولكان الجبان لا ييؤ بالخيفة، ولما كان
النائر على الظلم يعد ذا فضل. المعنى: صعوبة الوصول إلى السيادة تكشف معدن الإنسان،
وتجعل الجبان يقصر عنها، والنائر على الظلم يتألق بها

وَلَوْ رُمْتُ مَا زَامَ أَمْرُؤُ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرٌ
لو طلبت ما يطلبه الإنسان عن طريق ارتكاب الخيانة لجأني صباحاً المال الغامر الكثير

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاتَرَ رَبُّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرٌ
ولو كانت السيادة بالغنى لكاتر (اقتخر) التاجر الغني رب الفضل (صاحب الفضل)

٣٩ تاريخ اللّٰهُ

فَبَا لَهَا لَيْلَةٌ كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا تَارِيخُ لَهَا، لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطْرِ
حوت تلك الليلة روتقها (بهاتها) كل عناصر اللّٰهُ فهي تاريخ اللّٰهُ كله، وقد نلت فيها وطري
(بغيتي)

لو كَانَ يَسْمَحُ لِي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا لَبِثْتُ فِيهَا لَذِيذَ النَّوْمِ بِالسَّهْرِ

٤٠ لَا تَكْلَنِي لِمَنْ يَعْذِبُنِي

وقال، ولعله قالها وقد لجأ إلى عزته بعد إخفاق حركة هرايي:

صُبْحَ مَطِيرٍ، وَنَسْمَةً عَطِرَةً وَأَنْفُسَ لِلصُّبُوحِ مُنْتَظِرَةً
المصبح: شرب الخمر عند الصباح

فَيَا ابْنَ وَدِّيْ هَلُمَّ نَقْتَسِمِ اللّٰهَ وَ، فَنَفْسِي إِلَى الصُّبَا حَسِرَةً
يا صديقي تعال للّٰهُ نفسي تتحسر على انقضاء الشباب

وَعَلَّنَا مِنْ مِّسْيَاسَةٍ دَرَجَتْ بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغِرَةً
وغرة: حاقلة

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ فَيُبْسَ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةَ
الاساة يحيط بعبائهم الخطر، وبس عفى السباسة (نتيجتها)

مَا لِي وَلِلنَّاسِ، لَا لَذِيْ لَهُمْ حَقٌّ يُؤْدِي، وَلَا عَلَيَّ نِرَةً
ليس للناس عندي حقوق، ولا ثرات (ثارات)

يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكِرَامَةِ مَا يَسُرُّ نَفْسِي، فَلَئِنَّهَا وَجِرَةٌ
وجرة: خائفة

وَلَا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي فَلِإِنَّ نَفْسِي إِلَيْكَ مُفْتَخِرَةٌ

٤١ كرم العنصر

صَبِرْتُ عَلَى رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَضِيرِ
المعاذر: السعي لتجنب اللوم

فَلَا تَحْسَبْنِي جِهَلْتُ الصَّوَابَ وَلَكِنْ، هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ

وَكُنَّا جَمِيعاً، فَلَمَّا وَقَعْتُ صَبِرْتُ وَعَاقِلْتُ مَعْشَرِي

كنا معاً فلما وقعت في المشكلة صبرت وعادرتني صحابي

وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ لَقُلْتُ مَقَالَةً مُسْتَبْصِرٍ

لو قصدت إعناتهم (إرهاقهم) لقلت قول مستبصر يعرف حقيقة تخاذلهم

وَلَكِنَّنِي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْفُنْصُرِ

لكنني حين اشتد الخصام رجعت إلى طيب أصلي فلم أقل شيئاً

٤٢ معاكسة في «شبرة»

سَنَرَاءُ تَهْفُو بِقَدِّ كَالرَّمَحِ لِبِنَاءٍ وَشُورَةٍ

تتحرك بقد مثل الرمح في لبنه ولونه الأسمر

مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى مِثْلَ الْمَهَادَى بِشُورَةٍ

مرت تهادي كالمهاد (البقرة الوحشية) في حي شبرا بالقاهرة

فَقُلْتُ يَا نَوْرَ عَيْنِي مَا لِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرَةٌ

فَنَقَّبْتُ وَجَعَنْتُ بِهَا يَدُ الْحَيَاءِ بِحُشْمَةٍ

يد الحياء وضعت نقاباً من الحمرة على خديها . أي أنها احمر وجهها خجلاً

٤٣ أعطيه فرصة بعد فرصة

أَصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي، فَإِنْ جَفَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ جَفَافٍ وَلَا وَغَيْرِ

أصافي خليلي (أعامل صاحبي بصفاء نية) ما دام لي مصافياً، فإن جفا وابتعد عتبت عليه بلا جفاء وبلا خشونة

فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُذْتُ، وَإِنْ أَبَى صَبِرْتُ لِأَرْعَى ذِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ

فإن عاد إلى الود عدت، وإن رفض صبرت احتراماً للذة الود (العهد المودة السابق)

فَإِنْ زَادَنِي هَجْراً ضَرَبْتُ عَلَى اسْمِهِ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ شُكْرِي

فإن زاد في الهجر ضربت على اسمه (محوت اسمه)، ولم أكن لا ساخطاً ولا شاكرأ

وَمَا بَلَكَ مِنِّي تَبَوُّةٌ، غَيْرَ أَنَّنِي أَنْزَعُ نَفْسِي عَنْ مُلَابَسَةِ الْعَذْرِ

وهذا اللين من حائبي ليس نبوة وليس انحرافاً في الخلق، ولا ضعفاً . . بل إني أترفع عن ملابسة (مخالطة) العذر

٤٤ نعيش مرة واحدة

فَخُذْ فِي أَفَانِينَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا وَدَفْنِي مِنْ زَيْلِ النُّحَا وَمِنْ عَمْرٍ

مارس أفانين (صنوف) الخلاعة والصبا (العبث)، وارك هذا العلم العتيق

وَكَيْفَ يَعْيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ آيَاتاً وَلِلْمَوْتِ فِينَا وَثْبَةٌ اللَّبِثِ وَالنَّشْرِ؟

على أن الإنسان لا يعيش آناً وهو يرى الموت يختلف الناس، وشب عليهم كأنه أسد أو نمر

٤٥ العصامي والعظامي

أَتَلَفْتُ دُنْيَاكَ الَّتِي أَوْتَيْتَهَا وَلَسَوْفَ تَهْلِكُ خَسِرَةً فِي الْآخِرَةِ

اتلفت دنياك التي أعطيتها بما ارتكبت، وسوف تهلك حسرة (حزناً) في الآخرة

حَتَّامٌ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ، وَلَمْ تَنْلُ مَا أَحْرَزْتَ تِلْكَ الْجُدُودُ الْفَاحِشَةُ؟

إلى متى تظل تفتخر بجودك، وأنت لم تحرز ما أحرزته تلك الجودود؟

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فَعَالِكَ شَاهِداً يُخْبِنِكَ عَنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ النَّاخِرَةِ

ليكن شاهدك فعالك أنت، بحيث تستفي من ذكر عظام أجداد الناخرة (المنخورة). انظروا من يقول هذا

٤٦ سلطان الشعر

لِلشَّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لَا يُغَيِّرُهُ مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرٍ

الشعر يحكم على الحوادث حكماً يبقى على الدهر

لَوْلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمَأْتُورُ مَنْطِقُهُ مَا سَارَ فِي الدَّهْرِ يَوْماً ذِكْرُ كَافُورٍ

لولا المتنبي ذو القول المأثور الخالد لما سار لكافور الإخشيدي ذكر ولما سمع به أحد

٤٧ صفة الحاكم

وَقَالَ فِي مَا يَجِبُ عَلَى الْحَاكِمِ:

إِذَا سُدَّتْ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّيَعَ سَبِيلَ الرِّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصاً

إن كنت سيداً لقوم فكن رشيداً مخلصاً

وَوَالِ الْكَرِيمَ، وَدَارِ السَّفِيَةَ وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ، وَخُذْ مَنْ عَصَى

حالف الكريم الأصل، ودار السفية مداراة، وصل (كافى) المطيع وخذ (عاقب) العاصي

وَنَقَّبَ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا
تعقب الأمور لتعرف الخفايا

وَلَا تُبْقِرَنَّ عَلَى فَاجِرٍ فَإِنَّ اللَّئَامَ عَيْدُ الْعَصَا
لا تقين (لا تترك بدون عقوبة) الفاجر الذي لا ييالي بأي أخلاق، فاللائام لا يرتدعون إلا بالعقوبة
وإن خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا خَضَحَصَا
اصبر حتى تتبين وجه الحق، فإذا حصحص (ظهر) فأسرع إليه

٤٨ سطور على وجه الماء

قال يَرُوضُ القول:

وَمَرْبَعٌ، لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَةً فِيهِ، وَلِلطَّيْرِ لَفْظٌ أَرْجَائِهِ لَقَطٌ
رب مربع (مكان معشوب) لنسيم الفجر فيه هيئة (غمغمة، همس) وللطيور لفظ (كلام غير مفهوم)
كَأَنَّمَا الْقَطَرُ دُرٌّ فِي جَوَائِهِ بِكَادٍ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَقَطُ
كأن حبات المطر في أنحائه لأثر، نلتقطها من أوراق الأزهار الشيبة بالأصداق
وَلِلنَّسِيمِ خِلَالِ النَّبْتِ قَلْعَلَةٌ كَمَا تَغْلُغَلُ وَسَطَ اللَّيْمَةِ الْمُشَطُّ
ويتغلغل النسيم خلال النبات كما يتغلغل المشط في اللمة (الشعر)
وَالرِّيحُ تَمْنَعُو سَطُوراً ثُمَّ تُثْبِتُهَا فِي النَّهْرِ، لَا صِجَّةٌ فِيهَا وَلَا خَلَطٌ
والريح تصنع على وجه مياه النهر أمواجاً صغيرة كأنها السطور. لكنها سطور ليس فيها كلمات
صحيحة وكلمات خطأ

٤٩ فيم اقتناء الدرع؟

قال يروض القول:

فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّرْعَ لُعْبَةً هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ
ليس الدرع لعبة، ولا هزل فيه، فكله صروف (أحداث مؤلمة) وفجائع (مصائب)
فَبِمَا رَبَّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهُوَ آمِنٌ وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِغُ
قد بام المرء شاعراً بالأمان، ويأتي عليه الصباح وقد سدت في وجهه المطالغ (الطرق)
فَفِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِدٌ؟ وَفِيمَ اتِّخَاذِ الْمَالِ وَالْعَمْرِ ضَائِعٌ؟
لماذا فتي الدرع والسهم مستفقد في جسمنا؟ ولماذا تدخر المال والعمر كله رائل؟

٥٠ شيب القلب

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَ قَوْلُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لِلْبَشَاشَةِ مَوْضِعٌ
فعلاً لا نرى شيباً مستبشراً ضاحكاً إلا في الفلوات. فإن رأيت شيخاً هازلاً لاعباً فهو بالتأكيد ذو
صحة جيدة أولاً، وذو عقل خفيف. . أو ربما كان فيلسوفاً عرف أن الدنيا شيء سخيف

٥١ النصيح التقرير

لكل قولٍ مَنَارٍ يَسْتَقِيمُ بِهِ عند الخطابِ فَمَلْفُوظٌ وَمَسْمُوعٌ
لكل قول ميزان يوزن به: عندما يقال، وعندما يصل إلى أذن السامع

فَالْعُتْبُ إِن جَارَ حَدِّ الْعَدْلِ مَقْطَعَةً وَالنُّصْحُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّرِّ تَقْرِيرٌ
العتاب الذي يتجاوز حد العدل (درجة التوسط) مقطعة (يؤدي للقطيعة)؛ والنصح العلني تقرير
(توبيخ)

٥٢ همي بين أضلاحي

قال وهو بسرنديب:

وَيْلَاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامٌ بَهَا قَلْبِي، وَقَصَّرَ عَنْ إدْرَاكِهَا بَاعِي
الويل لي من حاجة لنفسي لا يدركها باعي (لا أستطيع تحقيقها)

يَا هَلْ أَرَانِي بِذَاكَ الْحَيِّ مُجْتَمِعاً بِأَهْلِ وَدَيِّ مِنْ قَوْمِي وَأَشْيَاعِي؟
يا هل أراني (يا هل نرى) أجمع بذاك الحي (القوم) من أحابي وأشياحي (رفاقي)

وَهَلْ أَسُوقُ جَوَادِي لِلطَّرَادِ إِلَى صَيْدِ الْجَاوِرِ فِي خُضْرَاءِ وَمِزْرَاعِ؟
وهل يتاح لي أن أسوق حصاني للطراد (الميد) فأصيد الجاؤر (بقر الوحش) في أرض خضراء
مزرعة (خضبة)؟

مَنَازِلُ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلْهَنِيَّةٍ مُتَمَتِّعاً بَيْنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي
منازل (مواضع) كنت أعيش فيها في بلهنية (رخاء) متمتعا بالحياة بين غلماني وأتباعي

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لَا سَهْمِي بِذِي صَرَدٍ إِذَا رَمَيْتُ، وَلَا سِيفِي بِقَطَّاعِ
اليوم أصبحت عاجزاً: لا سهمي ذو صرد (صائب)، ولا سيفي قاطع

لَا فِي «سَرَنْدِيبٍ» خِلٌّ أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْهَمُومِ إِذَا هَاجَتْ، وَلَا رَاعٍ
لا صديق بسرنديب يعيتني على الهموم إن تكاثرت علي، ولا من يرعاني

يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاحِكاً جَذَلاً أَنِّي خَلِيٌّ، وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
 مِنْ رَأْيِي ضَاحِكاً جَذَلاً (مُتَشَرِّحاً) ظَنَ أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ الْهَمِّ، وَلَكِنْ هُمُومِي مَكْتُونَةٌ دَاخِلَ صَدْرِي
 فَإِنْ يَكُنْ سَاعَتِي دَهْرِي، وَغَادِرُنِي رَهْنُ الْأَسَى بَيْنَ جَذَبٍ بَعْدَ إِفْرَاجٍ ..
 إِنْ كَانَ دَهْرِي قَدْ سَاعَنِي وَتَرَكَتَنِي يَدُ الْأَسَى فِي جَذَبٍ رُوحِيٍّ بَعْدَ زَمَنِ الْخُصْبِ ..
 .. فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَاناً يَسْرُهُمْ قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِنْدَاعِي
 فَهَنَّاكَ فِي مِصْرَ مِنْ يَسْرِهِ قُرْبِي وَمَنْ يَعْجِبُهُ شِعْرِي

٥٣ العثور على صديق

وَقَالَ يَجِيبُ رَجُلًا مِنْ قَصِيدَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنَ الْهِنْدِ بِخُطْبٍ بِهَا مَوَدَّتُهُ:
 قَلِيلٌ بِآدَابِ السُّودَةِ مِنْ يَفِيٍّ فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَصْطَفِيٍّ وَأَكْتَفِيٍّ؟
 مَا أَقْلَ مِنْ لَدَيْهِمُ الْوَفَاءَ وَمِرَاعَاةَ آدَبِ الْعُدَّةِ، فَكَيْفَ لِي بِالْحَصُولِ عَلَى صَاحِبِ أَصْطَفِيٍّ وَأَكْتَفِيٍّ
 بِصَحْبَتِهِ؟
 بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أَرْ صَاحِبًا يَدُومُ عَلَى وَدٍّ بِغَيْرِ تَكْلَفٍ
 بَلَوْتُ (جَرَبْتُ) النَّاسَ فَلَا صَاحِبَ يَدُومُ عَلَى الْوَدِّ الْخَالِي مِنَ التَّكْلَفِ
 رَضِيتُ بِمَنْ لَا تَشْتَهِي النَّفْسُ قَرِيبَهُ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنُودَةً يَتَكَلَّفُ
 رَضِيتُ بِالْمَتَّاحِ الَّذِي لَا أَتَشْتَهِي مَعَاشِرَتَهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ بَدِيلًا فَهُوَ يَتَكَلَّفُ (يَتَجَسَّمُ مَا لَا يَرِيدُ)
 أَدِيبٌ لَهُ فِي جَنَّةِ الشُّعْرِ دَوْخَةٌ أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرُفٍ
 هَذَا أَدِيبٌ لَهُ دَوْخَةٌ (شَجَرَةٌ وَارِفَةٌ) فِي عَالَمِ الشُّعْرِ، أَفَاءَتْ (ظَلَّلَتْ) عَلَى الدُّنْيَا بِظِلَالِ مَزْخَرَفَةٍ بِدَعْمَةٍ
 تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَمَا زَالَ أَنْسُهَا وَنَوَّةٌ بِاسْمِي بَعْدَمَا كَادَ يَخْتَفِي
 تَأَلَّفَ نَفْسِي (جَعَلَهَا الْبُفَّةَ) بَعْدَ أَنْ تَوَحَّشَتْ وَزَالَ مِنْهَا الْأَنْسُ، وَذَكَرَ اسْمِي بِغَيْرِ بَعْدَ أَنْ نَسِيتُ
 النَّاسَ

تَوَسَّعْتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبَرَ بَعْدَ التَّعَرُّفِ
 تَأَمَّلْتُ حَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْلِقَاءِ بِهِ، وَأَحْمَدْتُ الْخَيْرَ (وَجَدْتُ حَقِيقَتَهُ حَمِيدَةً) بَعْدَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ

٥٤ .. وقامتي ألف

وِعِصَابَةٌ غَلَبَ الْكَمَالُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَغَذَّاهُمْ التَّرَفُ
 رَبُّ جَمَاعَةٍ فِيهِمْ كَمَالُ الْأَخْلَاقِ، وَنَشَأُوا عَلَى التَّرَفِ

لِلْأَيَّامِ بِهِمْ سَلَفَتْ لَوْ أَنَّهَا بِالْوَصْلِ تُؤْتَنَفُ

ما كان أجمل الأيام القديمة بصحبهم، وما ليتها توتف (تستأنف)

إِذْ لِمَتِي فَيَنَانَةٌ، وَيَدِي فَوْقَ الْأَكْفِ، وَقَامَتِي أَلْفُ
أيامك كانت لمتي (شعري) فينانة (طويلة، كأنها ذات أعصان)، وكانت يدي فوق الأكف (كنت
محاً للناس/ فاليد العليا خير من اليد السفلى)، وكانت قامتي معتدلة كحرف الألف

٥٥ استخفاف

قَلْبِي عَلَيْكَ بِرَفٍّ وَعَبْرَتِي لَا تَجِفُّ
وَأَنْتَ يَا نُورَ مِثْنِي يَلُومُنِي نَسِيخُ

٥٦ خذي ما بقي

عُودِي بِوَصْلٍ، أَوْ خُذِي مَا بَقِيَ فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِيَ
عودي للوصل أو خذي ما بقي من قلبي، فهو قد تداعى (تهدم) مما لقي من هجرانك

عَلَّمَتْنِي الذَّلَّ، وَكُنْتُ أَمْرًا أَفْعَلُ مَا شِئْتُ وَلَا أَتَّقِي
علمتني الذلل، وكنت أمراً (معتداً) أفعل ما شئت ولا أتقي
علمتني الذلل في العشق وكنت أفعل ما أشاء لا أحسب حساب أحد

٥٧ وحيداً في سرنديب

وقال وهو بسرنديب ينشوق إلى وطنه:

قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْبَاقِي
الهوى كان قد استولى على مهجتي مبقاً (بقية قليلة)، ثم جاء البين (الفراق) فذهب بهذه
البقية

حُزْنُ بَرَانِي، وَأَشْوَاقُ رَعَتْ كَبْدِي يَا وَنَحْ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقٍ
الحزن أنحلني وبري جسدي، والشوق أكل كبدي فيا ويلي

لَا فِي «سَرَنْدِيبٍ» لِي خِلٌّ أَلَوْذُ بِهِ وَلَا أَنْيْسُ سِوَى هَمِّي وَإِظْرَاقِي
ليس لي سرنديب صديق ألجأ إليه وآتس به، اللهم إلا الهم والإطراق بالرأس في تفكير

يَا قَلْبُ، صَبِرًا جَمِيلًا، إِنَّهُ قَدَرٌ يَجْرِي عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَسْرِ وَإِطْلَاقٍ
يحث قلبه على الصبر، فالأسر والإطلاق قضاء وقدر

لا بد للضيق بعد اليأس من فرج وكل داجية يوماً لإشراق
كل ليلة داجية (مُظلمة) ستؤول إلى إشراق

٥٨ الخذلان

وقال يمرض برؤساء الجند الذين تخاذلوا في الثورة العربية:

بَلَوْتُ بني الدنيا فلم أرَ صادقاً فأين لعمري الأكرمون الأصادق؟
بلوت: جريت

أحاولُ أمراً قصَّرتُ دونه النُّهى وشابَّتْ، ولم تبُلِّغْ مداهُ، المَفَارِقُ
اسمى لتحقيق أمر قصَّرت دونه النهى (العقول)، وشابت المفارِق (الرؤوس) قبل أن تبلغ آخره
وأصْغَمُ ما تَرْجُوهُ ما لا تَسْأَلُهُ وأكثرُ مَنْ تَلْقَاهُ مَنْ لا يُوافِقُ
الأمانيات الكبرى تبقى بلا تحقق، وأكثر من تلقى من الناس من لا يوافق طبعه طبعك. التسويد
لعمران القفيني

مَعَايِرُ سَادُوا بِالنِّفَاقِ، وما لَهُمْ أَصُولُ أَظْلَلَتْهَا فُرُوعُ بَوَاسِقِ
قوم وصلوا إلى السيادة بالنفاق، وليس لهم أنساب عريقة تكون لهم كالجنود التي لها فوقها
أغصان بواسق (عالية) ترمي بظلالها

طَلَاقَةٌ وَجُوْ تَحْتَهَا الْعَبِيطُ كَاشِرٌ وَنُفْمَةٌ وَدُ بَيْنَهَا الْغَدْرُ نَاعِقُ
يسمون لك ويكتمون غبطاً مكشراً، ويكلمون بنفمة ود، ولكنها تكتم نبق الغدر

تَعَلَّمْتُ كَظَمَ الْعَبِيطُ فِيهِمْ، وإنه لَجَلْمٌ، وَلَكِنْ لِلْحَفِيطَةِ مَا حِجُّ
تعلمت بوجودي بينهم أن اكظم غبطي، وهذا من الحلم (التسامح) ولكنه يمحق الحفيظة (الغضب)
للشرف

دَعَوْنِي إِلَى الْجُلَى فَمَعْتُ مُبَادِراً وَإِنِّي إِلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَسَابِقُ
دعوني إلى الجلى (العمل العظيم) فأسرت وبادرت، وأنا لمثل هذا مبادر سابق

عَلَى أَنَسِي حَذَرْتُهُمْ غِبَّ أَمْرِهِمْ وَأَنْتَرْتُهُمْ لَوْ كَانَ يَفْقَهُ مَائِقُ
لكنني حذرتهم غيب (عاقبة) أمرهم، وأنترتهم لو كان المائق (الأحمق) يفقه

فِيَا لَيْتَنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَلَمْ أَكُنْ رَعِيماً، وَعَاقَتْنِي لِذَاكَ الْعَوَائِقُ
ليتني كنت راجعت حلمي (عقلي) ولم أرض بالزعامة، وليتها كانت عاقتي العوائق عن ذلك

هُمْ عَرَّضُونِي لِلْقَنَا ثُمَّ أَعْرَضُوا سِرَافاً، وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقُ

لقد عرضوني للقنا (الرماح) ثم أعرضوا (تجنبوا) القتال سريعاً وقبل أن يلم بهم أي خطر

وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا، فَمَا بَدَأَ سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءَ طَوَالِقُ

وكانوا قد أقسموا بالطلاق ألا يزولوا (يفروا)، فما إن بدا سنا الفجر (ضوءه) حتى فروا، فلذا
ساوهم يجب أن يكن طوالق!

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبَأَةٌ فَتَفَرَّقُوا كَمَا انْقَضَ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ

دعتهن نبأ (مهمة بسيطة) ففرق جمعهم، كأنهم سرب طيور انقض عليه باشق (طير كاسر)

إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصاً يَقُولُونَ جَحْفَلُ وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفُ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ

إذا رأوا شخصاً قالوا هنا جحفل (جيش)، والجبن سيف مسلط يبرق أمام عيني الجبان ويخيفه

أَسْوَدَ لَدَى الْأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهَيَاجِ نَقَانِي

أسود في بيوتهم، وعند الهياج (المعركة) نقاني (نمام)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمِ سَيْفِهِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ؟

إذا المرء لم ينهض وقائم سيفه (مقبضه) يده، فكيف تُحمى الحقائق (الشرف)

٥٩ الصديق الحق

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعْ أَحَدًا عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضِيقٍ..

من لم ينفع صديقه، سواء أكان في سعة من الرزق أم في ضيق..

فَدَفَعَهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ

فأتركه، فأحسن منه إخوان الطريق (زملاء السفر الذين تنتهي صحبتهم بانتهاء السفر)

٦٠ العين بالعين

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاءَ بِمِثْلِهَا لِيَذْفَعَ ضَمِيمًا فَهُوَ بِالذَّلِّ أُخْلِقُ

إذا لم يرد الإنسان على الهناء (الإساءة) بمثلها كي يدفع الظلم، فهو خليق (مستحق) بالذل

وَمَنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ يَذُودُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ أَحْمَقُ

فهو كمن يشهد الحرب بغير سلاح

٦١ أنا والشعر

وما كَلَفَنِي بِالشَّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ مَنَارٌ لِسَارٍ، أَوْ نَكَالٌ لِأَحْمَنِ
كلمي بالشعر (غرامي به) إنما هو لأنه ينير الطريق للساري (الساير ليلاً)، أو يمثل تقريباً وتنكيلاً
بالأحمق ومجاء له

عَلِفْتُ بِهِ طِفْلاً وَشَبْتُ، وَلَمْ يَزَلْ شَدِيداً بِأَهْدَابِ الْكَلَامِ تَعْلُقِي
تعلفت بالشعر منذ الطفولة، وقد شاب رأسي وما زلت شديد التعلق بأهداب الكلام (شديد الشغف به)
بَلِغْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ، فَلَمْ أَدْعُ بَدَائِعَ فِي أَكْصَامِهَا لَمْ تُفْنِئْ
بلغت بشعري ما أردت من ذبوع الصب، ولم أترك إبداعاتي مخبأة كالزهر الذي ظل في أكمامه لم
يُفْنِئْ

٦٢ تبرير بعد الهزيمة

كَفَى بِمُقَامِي فِي «سَرَنْدِيبَ» غُرْبَةً نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلَاثِقِ
كفى بهذه الغربة في جزيرة سرنديب (سيلان) أنني نزعت بها عني صلاتي بكل من كنت أعرف
فَإِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ رَنْقَنَ مَشْرِيبِي وَتَلْمَظُ حَذِي بِالْخَطُوبِ الطَّوَارِقِ ..
إن يكن الزمن قد رنق مشربي (كثر مشربي)، وتلمظ حدي (أضعفني) بالخطوب الطوارق (المصائب
التي تهجم ليلاً) ..

فَمَا غَيَّرْتَنِي بِمُحَنَّةٍ عَنْ خَلِيقَتِي وَلَا حَوَّلْتَنِي خُدْعَةً عَنْ طَرَائِقِي
فالمحنة لم تغير أخلاقي، والخداع لم يحرفني عن طريقي في الحياة

فَحَسْرَةٌ لِعَدِي عَنْ حَبِيبٍ مُصَادِقٍ كَفَرَحَةٍ لِعَدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَادِقٍ
فالحزن لبعدي عن الحبيب يقابله الفرح ببعدي عن العدو المماذق (المخادع). التسويد لعمران
القفني

فَنِلْتُكَ بِهَذِي، وَالنَّجَاةُ غَنِيْسَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَالْدُنْيَا مَكِيدَةٌ حَادِقٌ
فهذه واحدة بواحدة، والنجاة من الناس غنيمة، والدنيا كلها كأنها مكيده من تدبير حاذق (ذكي)

يَقُولُ أَنَا نَسْ إِنْشِي ثُرْتُ خَالِجاً وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَاتِفِي
يقولون إنني ثرت خالماً طاعة من ولاني الأمر، وهذه هنات (صفات) ليست من أخلاقي

وَلَكِنِّي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً رَضَا اللَّهِ وَاسْتَهْضَتْ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
فأنا ناديت بالعدل طالباً لرضا الله، واستهضت أهل الحقائق (الشرف) وأبعت بهم للخروج

فَإِنْ كَانَ عِصْيَانًا قِيَامِي، فَلِئَنِّي أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةً خَالِقِي

فإن كان قيامي بما قمت به عصياناً فلم أرد به إلا طاعة الله

عَلَى أَنَّنِي لَمْ آلْ نَصْحًا لِمَعْشَرٍ أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقٍ

لكنني لم آل (لم أقصر) نصحاً للقوم، ولكن غدروهم منعهم من قبول صديقي

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ

فلما استمر الظلم قامت جماعة من الجنود تسعى لتحقيق العدل تحت ظل الخوافيق (الرايات)

وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ سِرَاعًا بَيْنَ آتٍ وَآخِرٍ

وشايعهم (ناصرهم) أهل البلاد فالتفوا حولهم بين مبادر سريعاً ولاحق به فيما بعد

يَرْمُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقٍ

يطلبون من مولى البلاد (الخدوي) تنفيذ ما تألاه (أقسم عليه) من وعود

فِيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ، وَارْتَوَى ثَرَاكِ بَسَلَسَالٍ مِنَ الشَّيْلِ دَافِقٍ

يدعو لمصر بدوام النعيم، ولتراها بالارتواء من سلسال النيل (مائه المتدفق)

فَإِنْ تُكْنِ الْأَيَّامُ سَاءَتِ ضُرُوفُهَا فَلِئَنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوَّلُ وَآخِرُ

فقد يستقيم الأمر بعد اضوئها (الضوء) ويرجع للأوطان كل مفارق

٦٣ تحريض

وقال بدم سيرة الحكام، ويحرض الناس على طلب العدل في الأحكام، وذلك في عهد

الخدوي إسماعيل:

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُغْتَلِيًا، فَالْبَازُ لَمْ يَأُو إِلَّا عَالِي الْقُلُلِ

ثم لاعتلاء صهوات المجد، والباز (الطير الجارح) لا يمكن إلا القتل (القسم) العالية. صهوات الخيل طهورها، وجعلها صهوات مجد، وعندما انصرف بسرعة إلى الباز خلط طيراً بداية فجعل في البيت طعوماً شتى كذلك الطباخ الذي حشا جوف الخروف بديك رومي فاضطرب مداف طبعته

وَدَعِ مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ لِأَبْعَلِيهِ، فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ

اترك الأمر القريب لصالح الأمر البعيد، ففي لجة البحر (وسطه) من الصيد واللؤلؤ ما يعينك عن الوشل (الماء الضحل)

حَلَبْتُ أَشْطَرَ هَذَا الدَّغْرِ تَجْرِبَةً وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ عَسَلٍ

حببت ضرع هذا الزمن مثلاً يحلب المرء البقرة لكثرة ما جربت، وذقت الصاب (المر) والعسل

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَةِ الْعَمَلِ
أشهى شيء أن يعمل المرء بحرية ودون أن يتقيد بتنفيذ أمور سخيفة يريده عليها مديره أو رئيسه .
فعلاً المرء يستمتع بالعمل الحر، فمهنة اللص أمتع من مهنة الشرطي، ومهنة الروائي أمتع من مهنة
كاتب المحكمة

لَكُنَّا نَعْرِضُ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ أَهْلِ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ
نحن هدف للشر في زمن يسيطر فيه الخمل (الخاملون البليدون) على أهل العقول، ويجعلونهم
عاملين في طاعتهم

قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ أَدْمَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُؤْسٍ عَلَى تَكْلِ
قامت به (بهذا الزمن) مجموعة من رجال السوء وأخذت تحكم، وهي أسوأ تأثيراً على نفس
الإنسان من بؤس يأتي بعد تكل (فقدان عزيز)

مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَاذُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ بُغْضًا، وَيَلْفِظُهُ الدِّيْوَانُ مِنْ مَلَلٍ
هؤلاء مكونون من كل وغد يكاذ الدست (المتصب) يرفضه كراهة له، ويكاد ديوان الوزارة يلفظه
(يطرده) لأنه ممل

ذَلَّتْ بِهِمْ مَصْرُوعًا بَعْدَ الْعِزِّ، وَاضْطَرَبَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلٍ
ولا تليجوا إذا ما الرأي لآخ لكم إن اللجاجة مدعاة إلى الفشل
يا صبحي لا تلجوا (لا تكثرُوا الجدل) إذا اهتديتم إلى الرأي الصحيح، فاللجاجة مدعاة (سبب)
للفشل (الجن)

وَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشُؤُكُمْ فَالْحَوْثُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ
لا تخافوا النكال (العقوبة) فقد نشأتم في ظل العقوبات والمظالم، فأنتم متعودون، ومثلكم في هذا
مثل الحوت الذي لا يخاف من البلل لأنه نشأ في جوف البحر

٦٤ مضى اللهو

وقال، وكتب بها إلى الشيخ حسين المرصفي:

مَضَى اللَّهْوُ، إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلٌ وَوَلَّى الصَّبَا إِلَّا بَوَاقِي فَلَا تِلْ
انتهى زمن اللهو، ولم يبق منه إلا كلام أقوله جواباً لسؤال من يسألني، وولّى عهد الشباب إلا بقية
قليلة

رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا، وَإِنَّا لَلَّذِي إِذَا التَقَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
رضينا بحكم الحب فينا، مع أننا لد (شديدو الخصام) في الحرب حيث تلف علينا جموع الجند

وإِنَّا رِجَالٌ تَعَلَّمُ الْحَرْبَ أَنَّنَا بَنُوها، وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ

نحن أبناء الحرب، وهي تعلم ذلك؛ ويعلم المجد ما الذي نسمى إليه

إِذَا مَا ابْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونَ فَمَا لَنَا سِوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّذَانِ مَعَاقِلُ

الناس يبون الحصون يحتمون بها، ونحن نحتمي بالبيض (السيف) والسمر اللذان (الرماح السراء اللينة) فهي فقط معاقلنا

إِذَا أَنْتَ أَعْظَمْتَكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَأَضْيَعُ شَيْءٌ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ

إذا أتاح لك حسن طالعك أن تسيطر على مجريات الأمور، عجزت العوازل عنك وضاع كلامها سدى. والعوازل كالفوارس تصلح لجماعة الذكور ولجماعة الإناث

بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طَرًّا فَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْمَرْصُفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ

جربت صنوف الناس طراً فلم يكن فيهم من كامل سوى الحبر (العالم) الشيخ حسين المرصفي

٦٥ تصديق الأباطيل

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى يَقَّةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ

يظهر لك الواحد من الناس وكأنه واثق من كل شيء، كلام فارغ... كل أمورهم قائمة على الظنون والتخيل (الوهم)

حُبُّ الْحَيَاةِ وَيُغْضُ الْمَوْتَ أَوْرَثَهُمْ جُبْنَ الطَّبَاعِ وَتَصْدِيقَ الْأَبَاطِيلِ

حب الحياة وكره الموت أورثهم (زودهم) الجبن في الطبع، وتصديق كل باطل. كأنني ألمح بادرة جحد عند البارودي في هذين البيتين اللذين وردا وحدهما، كأنه يقول إن حب الحياة والخوف من الموت جعل الناس يتخيلون حياة أخرى، لا نضع الكلام في فمه، بل نحاول قراءته، والبارودي في شعره من أشد الناس إيماناً بالله وتمسكاً بالإسلام، لكن كذلك كان أبو العتامية وقالوا في دينه ما قالوا

٦٦ علو في ثياب صديق

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَغْلُو مَنَاسِبُهُ بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ

ليس صديقك الحق من كان ذا نسب عال، بل من كان ذا شمائل زكية (طبائع طيبة)

لَا كَالَّذِي يَدَّعِي وُدًّا وَبَاطِلُهُ بِجَمْرِ أَحْقَابِهِ تَغْلِي مَرَايِلُهُ

فهذا ليس كمن يدعي الود بينما باطله كالمرجل الذي يغلي بجمر الحقد

بَلِّغْ نَمَلَ أَخِيهِ مُظْهِراً أَسْفَا لِيَوْمِ النَّاسِ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ

هذا النوع من الناس يؤنبك على أفعالك وهو يظهر الأسف، ليوم الناس أنه حزين من أحلك

وَذَاكَ مِنْهُ عَدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ فَاحْذَرَةَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَائِذُكُمُ

فهذا عداء من جانبه يوقه سؤق المجاملة، فاحذر منه فسوف يخذل الله سمعاه. في هذه الآيات
لقطة بارعة لما عند أهل التفاه من طباع

٦٧ هجاء الصَّغْل

وقال يهجو عثمان رقتي، وهو ناظر الحرية الذي عزله الخديوي توفيق وعين بدلاً منه
البارودي:

صَغُرَتْ رَأْسُهُ، وَأَفْرَطَ فِي الطُّلُو لِ شَوَاهُ وَعُثْقُهُ، فَهَوَّ صَغْلُ

رأسه صغير وشواه (أطرافه) وعقته طويلة، فهو صغل (أي صغير الرأس). وأنت الرأس على العامة
المصرية، وعلى وجه ضعيف في الفصحى

أَبْرَزَتْ قُدْرَةُ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ شَكْلَ لُؤْمٍ، إِنْ كَانَ لِللُّؤْمِ شَكْلٌ

قدرة الطبيعة أرتنا شكل اللوم في شخصه، هذا إن كان اللوم شكل

هَذَفَ لِلْعُيُوبِ، فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَضْلٌ

في كل عضو من جسمه هدف لأسهم ونصال الطاعنين

نَسَلَتْهُ مِنْ أُمِّهَا أُمُّ سُوءٍ مَا لَهَا غَيْرُ طَائِفٍ اللَّيْلِ بَعْلٌ

ولدت له أمه من خلف، وهي أم سوء ليس لها زوج سوى شخص بطوف ليلاً ويدخل عليها

نَارَقَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيكَ الْنَّصَارَى، فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَعْلٌ

اليهود تدعيك لنفسها والنصارى مختلفون هل أنت منهم أم لا، فأنت كالبلبل أبوه حمار وأمه فرس

إِنَّ بَيْتَ الْوَزَّانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْئاً، وَلَكِنْ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلٌ

أسرة الوزان لم تزن شيئاً (ليس لها وزن ولا قيمة)، ومع ذلك فهم ثقلاء. من هذه

الأسرة، والأغلب أنها كانت يهودية، مصطفى رياض الذي أصبح رئيس وزراء في

عهد توفيق، وكان البارودي يعد عثمان رقتي من أقارب هذه الأسرة. ولم أجد

مصدراً يصل نسب رقتي بأسرة الوزان

كَثُرُوا عِدَّةً، وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا بَ أَبْوَهُمْ مِنَ الزُّنَا لَقَلُّوا

عدهم كثير، ولو كان أبوهم أحصن الباب (أغلقه) ولم يسمح للزناة بالدخول، لقلوا. أي أنهم أولاد زنا

لَوْ عَزَّوْنَا كُلَّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ مِنْ فِرَاحِ الْوَزَّانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلٌ

لو نسبنا أولاده لأبائهم الحقيقيين لم يبق للنوزان نسل

كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَا زٍ، وَلَكِنْ مِنَ الْجَمَارِ أَضْلُ
كل وغد مهم أهدى (أكثر اعتناء) إلى اللؤم من الباز (الطير الجارح ذي البصر الحديد) ولكنه أكثر
ضللاً من حمار

كُنْتُ لَا أَحْسِنُ الْهَجَاءَ، وَلَكِنْ عَلَّمْتَنِي صِفَاتُهُمْ كَيْفَ أَتْلُو
لم أكن أحسن الهجاء، ولكن صفاتكم علمتني كيف أتلو

٦٨ ها هي الأهرام

ذَهَبَ الصُّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصُّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ
تَجَرِّي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَتْ وَلِزَامُ
في مجالس الشراب تلك كان سلامنا عناقاً ولزماً (بالأحضان)

حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَمَا ذَهَبَ الصُّبَا أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصُّبَا أَخْلَامُ
لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ هِيَهَاتَ، لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا لَنْعَ السُّرَابِ وَتَنْقُضِي الْأَعْوَامُ
فَإِذَا هُمُومُ النَّفْسِ عِنْدَكَ إِذَا اغْتَرَّتْ بِالكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهَمُومِ حُسَامُ
ادراً (ادفع) هنك الهموم بالكأس فهي سيف مضت على الهموم

مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غُلَامُ
خُسَيْسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَقُمْ بِفَنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَنْبَرْخْ عَلَيْهِ ظَلَامُ
حبست الخمر في دن أكلف (جرة كبيرة مغيرة اللون) في قبو مظلم لم يظهر نور في فناءه، وما برح
الظلام سائداً حوله

فَاطْمَحْ بِظَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أَمَةٍ خَلَدَتْ، وَهَلْ لَابِنِ السَّبِيلِ مَقَامُ؟
اطمح بظرفك (ارفع رأسك وانظر بعينيك) هل ترى أمة خلدت؟ وهل لابن السيل (المسافر) مكوث؟

هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ النَّعِيمِ، وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ

هذه المدن خلّت من أهلها الأولين، وها هي أمامك الأهرام... كل قوم إلى روال. يوازن
زكي مبارك بين قصيدة البارودي هذه وبين قصيدة أبي نواس (يا دار ما فعلت بك الأيام)،
ويصف ديباجة البارودي الجميلة، ولا يعجبه وصفه للخمر، فهو ليس متغصناً في حمايتها
انعماساً مقعاً، فأما أبو نواس ففي شعره حرارة جعلت زكي مبارك يقف عند البيت (وبلغت
ما بلغ امرؤ بشابه/ فلذا عصارة كل ذاك أنام) قائلاً: «الله أكبر، هذا هو الشعر، وذلك هو
الشاعر، أبو نواس!» وعن وصف الشاعرين للخمر يقول زكي مبارك: «إن خمرية البارودي
هذه لن تهوي بأحد إلى الجحيم، ولن يسأل عنها يوم الحساب، أما خمريات أبي نواس
فقد صبرت قبره سعيراً لا يخمد له أوار، وسيكون يوم الدين جبلاً يتفجر بالراكين»

٦٩ لذات فانيات

وقال يصف روضة المقياس:

وَمَنْزِلَةٌ لِلْأَنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا وَنَرَعَى بِهَا اللَّذَاتِ رَغَى السَّوَائِمِ
رب مكان أنس ولهو كنا نحل فيه ونستمتع باللذات كأننا نرعاها رعي السوائم (المواشي)

عَفَتْ وَكَأَنَّ لَمْ تَعْرِ بِالْأَمْسِ، وَالتَّقَتْ عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيحِ الْهَوَاجِمِ
هذه المنزلة (المكان) عفت (امّحت) كأنها لم تكن عامرة بالأمس، والتقت فيها الرياح الهاجمة عليها فغيرت معالمها

وَمَا خَيْرُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمٍ؟
ما خير دنيا (لا خير في دنيا) لا يبقى لها عهد، ولا طيب لعيش ربه (صاحبه) خير سالم، فلا بد له بعد العيش من موت

٧٠ إلى كم تنام؟

وقال، وكتب بها من حرب الدولة العثمانية مع روسيا (١٨٧٧م) إلى صديقه الشيخ حسين المرصفي:

يَا نَاصِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ؟ أَسَهَرْتُني فَبِكَ وَتَامَ الْأَنَامُ
يا أيها المحبوب الناصس الطرف (النائم)، أسهرني عشقي لك، وتام الناس

أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي وَالْمِيزَانُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ
اللَّهُ فِي عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى فَبِكُمْ، وَقَلْبٌ قَدْ بَرَأَهُ الْفَرَامُ
اتق الله في عيني التي جفاها الكرى (هجرها النوم) فيكم (بيكم)، وفي قلب براه (أنهكه) الفرام

طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ، وَانْقَضَتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ، وَسَاءَ الْمَقَامُ
طال النوى (البعاد) وذهبت بشاشة العيش (طيه)، وساء وجودي هنا

أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا، وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعَاً وَالسَّقَامُ
نسيم الصبا يذكرني بك فهو لي براء (شفاء)، لكنه أيضاً سقام (مرض)

يَا لَيْتَنِي فِي السَّلَكِ حَزَفَ سَرَى أَوْ رِيْشَةً بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامِ
ليتني حرف يسير في سلك التلغراف فأصل إليك بشخصي، أو ليتني ريشة بين خوافي الحمام (الريشات الداخلية في الجناح)

حَتَّى أَوَافِي مِضْرَ فِي لَحْظَةٍ أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الدَّمَامِ
حتى آتي إلى مصر فأقضي حق الدمام (العهد) للحب

٧١ عنر العاشق

أَلَا لَا تَلُمَّ صَبَّأً عَلَى طَوْلِ سُقْمِهِ وَدَعُهُ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ
لا تلم القصب (العاشق) على طول سقمه (مرضه)، فهذا أمر ليس خاضعاً لحكمه
إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْمًا بِفَنِيهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لَحَاجَةُ خَضِيهِ؟
لحاجة: جدال، ومماحكة

٧٢ أنا كمجلة الأحكام

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِكَ حَتُّهُ، وَجَدُّ كَهَامٍ
أنا ضائع بين فهم حاد وذكاء، وبين جدّ (خطأ) كهام (مثلث). يعني أنه فاهم وذكي لكن حظه سيء
حُزْتُ عِلْمًا، وَمَا رَزَقْتُ قَبُولًا فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الْأَحْكَامِ
أحرزت العلم، ولكنني لم أحرز القبول، تماماً كمجلة الأحكام الرسمية التي تنشر بنود القوانين:
فهي مملوءة بالمعلومات، لكنها جافة لا يقبل الناس عليها

٧٣ صديق صعب

أَلَا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبٍ جَزَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلَقَمَا؟
من يعينني على صديق تجرعت في صحبته العلقم؟
بَلُومٌ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا
سريع اللوم سريع الغضب
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقُهُ وَإِنْ لَمْ أَجِبْ قَوْلَهُ بَرَّظَمَا
برطم: زعل

٧٤ ارغب عن الدنيا

الْمَرْءُ ظَنُوعٌ بِيَدِ الزَّمَانِ، يَقْوَدُهُ قَوْدُ الْجَنِيْبِ لِغَايَةِ لَمْ تُغْلَمِ
المرء بيد الزمان يقوده مثلما يقود المرء الجنيب (الحصان) ويأخذه إلى غاية مجهولة
إِنْ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ غَرَضًا لِأَمْرَةٍ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمِ
ما لم تكن أنت مستهدفاً من ظالم
لَا أَرْتَصِي عَيْنَ الْجَبَانِ، وَلَا أَرَى فَضْلًا لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقَدِّمِ
لا فضل للشريف ذي الحسب إذا لم يكن شجاعاً مقداماً

لو كان للإنسان علمٌ بالذي في الغيبِ لم يفرّخ ولم يتندّم
فدع الأمور إلى مدبرِ شأنها وارغب عن الدنيا بنفسك تسلم

٧٥ سيف وقيد

سكوتي إذا دام الحديثُ كلامٌ وتقلبُ عيني في الوجوه ملامٌ
سكوتي وهم يتكلمون له معنى فهو كالكلام، ونظراتي في وجوه المتحليين تحمل اللوم لهم
وصبري على الأيام لا من مدلةٍ ولكن يَدَ مغلولةٍ وحسامٍ
صابر على الأيام ليس لأنني ذليل، لكن لأن يدي مغلولة (مقبدة) وإن كانت تحمل سيفاً
الأم على أنني صبرْتُ، وهل فتى على الصبر، إن قلّ المعين، يلام؟

٧٦ المال الضعيف

لا تغذِلْنِي على وفّرِ سمحتُ به للمغتفين فإنني ماجدُ السيم
لا تلمني على مال سمحت به (تفضلت به) للمغتنين (الفقراء) فأنا ماجد السيم (شريف الطباع)
فإن يكن قلّ مالي بعد وفرتِه فإنّ مالي لا يَفْوَ على كرمي
فإن كان مالي قد أصبح قليلاً بعد ثراء، فذلك لأن مالي لا يشمل سخائي

٧٧ الذم بالمدح

أيها الشاعرُ المُجيدُ تدبّر واجعل القول منك ذا تحكيم
لا تَذمَّ اللئيمَ، وامدح كريماً إن مدحَ الكريمِ ذمُّ اللئيمِ

٧٨ القامة المقوسة

حتى الشيبُ عُودي، فاستقامت رويتي ولولا انحناء القوس ما صرّد السهم
حتى العمر قامي، فاستقامت رويتي (حكمتي)، وكذا القوس فإنها محنية ولذا فالسهم الذي يطلق
عنها يصرود (يصيب)

٧٩ رب السيف والقلم

ولو كان للإنسان علمٌ يَنُذُّه على خاقيات الغيب ما كان يندّم
لو علم الإنسان الغيب لما ندم على شيء، إذ سيعرف أن كل شيء مقدر محتوم

كُتِبَتْ الْهَوَى خَوْفُ الْوُشَاةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِي الدَّمْعُ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ

كُتِبَتْ حَبِي خَوْفًا مِنَ الْوُشَاةِ، وَظَل دَمْعِي يَسِيلُ حَتَّى ظَهَرَ مَا أَكْتُمُ

وَيَضْحَكُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ: حَسَامٌ، وَطَرْفٌ أَغْوَجِي، وَلَهْذَمٌ

بَصَحْنِي فِي الرُّوعِ (الْحَرْبِ) سَيْفٌ، وَطَرْفٌ أَغْوَجِي (حَصَانٌ أَصِيلٌ) وَلَهْذَمٌ (رَمَحٌ)

وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ: لِسَانٌ، وَبُرْهَانٌ، وَرَأْيٌ مُحْكَمٌ

يَنْصُرُنِي فِي الْمَجَالِسِ لِسَانِي، وَمَا عِنْدِي مِنْ بَرَاهِينٍ عَلَى مَا أَقُولُ، وَرَأْيِي الصَّائِبُ

فَلَا تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِي

لَا تَحْتَقِرْ أَهَمِيَّةَ الْكَلَامِ، فَتَمَتَّ مَا يَصْنَعُ لِلْعَمْرِ الْمَعَالِي (الْأَمْجَادُ)، وَمَتَّ مَا يُسْقِطُ صَاحِبَهُ وَيَفْضَحُهُ

فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقَصَائِدَ شَاعِرٌ وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ النَّسِيبَ مُثَيِّمٌ

فَإِنْ يَكُ عَصْرُ الْقَوْلِ وَلِيٌّ، فَإِنَّنِي بِفَضْلِي، وَإِنْ كُنْتُ الْآخِيرَ، مُقَدِّمٌ

لَنْ وَلِيَّ عَصْرِ الْفَصَاحَةِ فَإِنِّي مُقَدِّمٌ وَمَتَّعِزٌّ وَإِنْ جِئْتُ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمَتَأَخَّرِ

٨٠ بين يوسف وكافور

وَمَا بِمُضَرٍّ، عُمَرُ الدَّهْرِ، إِلَّا غَنِيمَةٌ لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا، وَنَهَبُ مُقَسَّمٌ

مِصْرَ، طَوْلَ عَمْرُهَا، غَنِيمَةٌ لِمَنْ يَنْزِلُ فِي مَغْنَاهَا (جَنَانُهَا) وَمَنْهَوِيَّةٌ مَقْسَمَةٌ بَيْنَ الْفَاتِحِينَ

تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَنَالَ بِهَا حَطًّا فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ

تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ، وَنَالَ بِهَا الْفَنَى الْفَصِيحُ وَالْعَجَمِيُّ. فَالْعَرَبُ الْفَصَحَاءُ نَالُوا بِهَا حِظًّا عِنْدَمَا فَتَحُوهَا،

وَفِي زَمَنِ الْبَارُودِيِّ كَانَ لِلْإِيطَالِيِّينَ وَالْيُونَانِيِّينَ وَالْفَرَنْسِيِّينَ ثُمَّ الْإِنْجِلِيزِ مَكَانَةٌ، وَاجْتَنَبُوا بِمِصْرَ

فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا وَلَا زَوْجُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمٌ

سَطَا: اسْتَبَدَّ

عِدَاؤُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِّيَّةِ خِزْيَةٌ وَدَعَاؤُكَ حَقُّ الْمُلْكِ أَذْهَى وَأَعْظَمُ

أَنْ نَعُدَّكَ فِي سِلْكِ الْبَشَرِ شَيْءٌ مَخْزٍ، وَادْعَاؤُكَ الْمُلْكَ أَذْهَى، وَيَنْطَبِقُ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى الْخَدِيِّو

تَوْفِيْقُ الَّذِي شَايَعَ الْإِنْجِلِيزِ

لَقَدْ هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ بِهَا فِي مُلْكِ «يُوسُفَ» تَحْكُمُ

الدُّنْيَا هَانَ شَأْنُهَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ تَحْكُمُ مِصْرَ الَّتِي حَكَمَهَا ذَاتَ يَوْمٍ النَّبِيُّ يُوسُفَ

فَإِنْ تَكْ أَوْلَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلِ عَبْدٍ مُزْنَمٍ
 إِنْ كُنْتَ تَوَلَّيْتَ أَمْرَ مِصْرَ، فَقَدْ تَوَلَّاهَا قَبْلَكَ عَبْدٌ مُزْنَمٍ (دعي منسوب إلى غير أبيه)، يقصد كاهنًا
 الإخشيدي الذي هجاء المتنبّي

٨١ الداء القديم

أَعِذْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَآنِ وَالْعَلَمِ وَاعِزِّزْ شَأْيِي بِدَمْعِي إِنْ جَرَتْ يَدِي
 كرر على مسامعي ذكر البان والعلم (مكانين في الحجاز)، واعزني على شأني (زحات) دمي إِنْ
 جرى معها الدم لشدة البكاء

وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَاراً قَدْ نَشَأْتُ بِهَا فِي مَنِيَةِ الْعِزِّ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ؟
 يتذكر الآن مكان نشأته بمصر في بيئة العز وحوله الأهل والحشم (الخدم)

وَدَعْتُ شَطَرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ وَصَافَحْتَنِي يَدُ الْأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ
 ودعت شطر (نصف) حياتي عندما فارقتهم، وجاءني الحزن وهجمت علي الشيوخنة

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَاسْتَحْكَمَ الْغَدْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ
 وَظَلُّوا أَغْدَلُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ رَجُلٍ أَغْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى عَنَمٍ
 أعدل الناس صار أكثر اعتداءً من الذنب على الغنم

لَمْ أَذِرْ هَلْ نَبَغَتْ فِي الْأَرْضِ نَابِغَةً أَمْ هَذِهِ شَيْمَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقِدَمِ؟
 هل انبثقت طفرة من الطفرات فصار الأمر كذلك، أم أن هذه شيمة الدنيا منذ القدم؟

٨٢ تفرّد

كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلًا أَضْحَكْتَنِي مِنْ غَدْرِ الْأَيَّامِ
 أصبت خليلًا: عثرت على صديق

فَنَفَرْتُ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرّاً رُبَّ قَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشٌ لُهُامٍ
 عش وحيداً حراً، فرب فرد يخشاه الجيش اللهام (الكبير)

٨٣ وداع الوطن

وقال بذكر وداعه للوطن، (كان ذلك في ديسمبر/ كانون الأول ١٨٨٢، إذ احتل الإنجليز
 مصر، ونفوا البارودي وعرايي وخمسة آخرين من قادة الثورة إلى جزيرة سيلان التي كانت
 مستعمرة بريطانية):

مَحَا الْبَيْتُ مَا أَبَقَتْ عَيُونُ الْمَهَا مَنِّي فَشَيْتُ، وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي
 محاه الفراق ذلك القليل الذي أبقت عيون المهامني، فداهمني الشيب قبل أن أقضي اللبانة (الحاجة) من شبابي

فَإِنْ أَكْ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا فَوَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي

لئن فارقت البلاد فلي بها قلب ضيعته مني عيون المها

فَهَلْ مِنْ فَتَى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا؟ فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَعْنٍ

فهل أجد من يجمعني بقلبي؟ فلا غنى لي عنه، ولا غنى له عني

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلدُّوَادِ، وَأَسْبَلْتُ مَدَامَعُنَا فَوْقَ الثَّرَائِبِ كَالْمُرْنِ .

لما وقفنا تتوادع، وأسبلت دموعنا (نزلت) فوق الترائب (أعلى الصدر) كالمرن (الحجاب)

أَقْبَبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ

طلبت من صبري أن يعود فعزني (قوي علي وأبى)، وناديت حلمي (عقلي) أن يثوب (يعود) فلم يغن

وَلَمْ تَمُضْ إِلَّا خَطَرَةً ثُمَّ أَقْلَعْتُ بِنَا عَنْ سُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنِئَةَ السُّفْنِ

وما هي إلا خطرة (برهة) حتى أقلعت بنا السفن ناشرة أجنحتها (أشرعتها)

وَلَوْلَا بُنْيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ لَمَّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى قَائِتٍ سِنِّي

لولا بناتي الصغيرات، والنساء الكبيرات العواطل (غير المتزينات) من الأهل لما قرعت نفسي السن (لما ندمت) على ما فات من أمر

وَمَنْ شَاغَبَ الْأَيَّامَ لَانَ مَرِيرُهُ وَأَسْلَمَهُ طَوْلُ الْمِرَاسِ إِلَى الْوَهْنِ

من عاند الأيام لان مريره (قوته)، وأسلمه (أدى به) طول المراس (المعافرة ومزاولة المخاطر) إلى الضعف

٨٤ واطول شوقي

وقال وهو برنديب:

وَاطُولُ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ! وَإِنْ عَرَفْتَنِي بِحُبِّكَ الْمَحَنُ

عرفتني: احترتني

لَسْتُ أَبَالِي، وَقَدْ سَلِمْتَ عَلَى الدَّبِّ هَرٍ، إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزَنُ

إن سلم الوطن فلست أبالي ما أصابني من حزن

٨٥ المكفي بعقله

رَضِيتُ مِنَ الْهَوَى بِتَحْوِيلِ جِسْمِي وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي

وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِيَلًا يُنَاصِحُنِي، فَعَقَلِي قَدْ كَفَانِي

٨٦ ليلة أنس

لَاعَبَ الشُّكْرُ قَدَّهُ فَتَنَّنِي وَدَعَاهُ قَرْطُ السُّرُورِ فَتَنَّنِي

سكر المحبوب فأخذ يميل بقله ويتنى، ومن قرط سروره أخذ يغني

رَشَاءُ تَغْبُذُ النَّوَاطِرُ مِنْهُ وَاحِدًا فِي الْجَمَالِ لَيْسَ يُثْنِي

رشأ (عزال) تمهد النواظر (العيون) إذ تنظر إليه الواحد الذي لا ثاني له، يقول الناس سبحان الله الخالق عندما يرون مثل هذا الجمال

أَتَبَتِ الْحُسْنُ فَوْقَ خَدَّيْهِ وَرَدًّا لَيْسَ إِلَّا بِغَمَزَةِ اللَّحْظِ يُجَنِّي

الحسن جعل في خديه ورداً هو الاحمرار، وتقطف هذا الورد بنظراتنا

لَمْ يَزَلْ يَرْضَعُ السَّلَافَةَ حَتَّى غَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا

شرب المحبوب كثيراً من السلافة (الخمر) حتى غاب عن الوعي

٨٧ حبيب افتراضي

يَا ذُكْرَةً أَبْصَرْتُ فِي مِرَاتِيهَا صُورَ النَّمْنَمِي

يا ذكورة (خاطرة) رأيت فيها صورة من صور النمني

خَطَرْتُ عَلَيَّ فَتَفَرَّتْ طَيْرَ الْكُرَى مِنْ وَكْرِ جَفْنِي

خطرت لي، ففرت طير الكرى (أبعدت النوم) من وكر جفني

عَلِقْتُ جِبَالَهُ خَاطِرِي مِنْهَا بِمَكْحُولٍ أَغْنَى

حباله خاطري (ممبدة ذهن) أسكت هذا الغزال المكحول الأذن (الأكمل العيين ذا الصوت الذي فيه هنة)

كَانَتْ مِثْلًا خَطُّهُ بِمَخِيلَتِي نَقَاشُ ذَهْنِي

كانت هذه الخطرة كالمثال (الصورة) التي رسمها ذهني فكانه نقاش يرسم يلزميله على الحجر رسماً

هِيَ لُفْيَةٌ وَهَمِيَّةٌ سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي

هذا لقاء وهمي، من بنات الظنون

٨٨ نصحت قومي

نصحتُ قومي وقلتُ الحربُ مَفْجَعَةٌ وربما تَاحَ أمرٌ غيرُ مَظنونٍ
قلتُ لقومي: الحرب تأتي بالفواجع، وقد يأتي أمر لم يخطر بالبال

فخَالَفُونِي؛ وشَبَّوْهَا مُكَابِرَةً وكان أَوْلَى بِقومي لو أَطَاعُونِي
خالفوني وأشعلوا نار الحرب مكابرة وعناداً، وكان أولى بهم لو أطاعوني

تأتي الأمورُ على ما ليس في خَلَدٍ ويُخَطِئُ الظنُّ في بعضِ الأحيانِ
الأمور تأتي بما ليس في خلد (عقل) والظن يخطئ أحياناً

٨٩ علّمت الحمام الأغانيا

وما لي ذنبٌ عندَهُمْ، غيرَ أنني شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الحمامَ الأغانيا
وهل بكنتم المرة الهوى وهو شاهرٌ ويَنُنِّي علي أعقابِهِنَّ القَوَافيا
الشاعر لا يكرم الهوى، ولا يرد القوافي على أعقابها ولا يرفضها

فبِأَ نَسَمَاتِ القَجَرِ مَا لَكَ كَلَمًا تَنَسَّمَتِ أَضْرَمَتِ الهوى في فؤاديا
ويا رَوْضَةَ المِقْيَاسِ جَادَكَ سَلْسَلٌ مِن النبلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَابيا
أبتها الروضة جادك سلسل من مياه النيل يجعل السواقي تدور وتصدر صوتاً كحنين الإبل. وفي جزيرة الروضة هذه مقياس يقيس ارتفاع النيل

هِيَ الوطنُ المألوفُ والنفسُ صَبِيَّةٌ بِمَنْزِلِهَا الأَدْنَى، وإن كان نَائِيا
هذا وطني الذي ألفته، والنفس صبة (مفرمة) بمنزلها القريب إلى القلب حتى وإن كان بعيد المسافة

فلا حَبْذا الدنيا إذا هِيَ أَذْبَرَتْ وإن أَقْبَلَتْ يوماً فِيا حَبْذا هِيا
الدنيا رديئة عندما تدبر عن المرء وتولي ظهرها، وما أجملها عندما تقبل

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٧	مُلَجِّج	١	سَوَاء
٢٠	فَسَحِ	٥	عِيَاء
١٩	نَصَحِ	٣	سَمَاء
١٨	رَجَحَتْ	٤	سَمَاء
٣١	الْعِدَا	٢	أَثْنَاءِ
٢٤	الْأَسْدُ	١٣	وَانْتَقَبَا
٣٢	دَدُ	١٢	الْحَرْبُ
٢٦	الْأَجْوَادِ	١١	عَرَبُ
٣٣	الْحَسِدِ	٦	وَيُعْجَبُ
٣٤	الْعِيَادِ	١٥	أَبِي
٢٧	يَفْؤَادِي	٧	التَّجْرِيبِ
٢٨	يَيْدِي	١٤	الْمُحِبِّ
٣٠	سُهْدِي	٩	الشَّابِ
٢٣	عَهْدِ	١٠	بِذَاهِبِ
٢٢	عَدِ	٨	مَا بِي
٢٩	وَأِعْمَادِ	١٦	يَبْتَ

٦٠	أَخْلَقُ	٢٥	بَرِيءُهُ
٥٨	الْأَصَادِقُ	٢١	زَنْدُهُ
٦١	لَاخَمَقِي	٣٨	صَابِرُ
٥٧	الْبَاقِي	٣٧	يَسِيرُ
٦٢	الْعَلَاقِي	٤١	أَضِيرُ
٥٦	لَقِي	٣٦	صَخِرُ
٥٩	وَضَبِي	٤٤	عَمُرُو
٦٧	صَغُلُ	٤٦	وَتَغْيِيرُ
٦٤	فَلَاذِلُ	٣٩	وَطَرِ
٦٣	الْقُلُلِ	٤٣	وَعَرِ
٦٥	وَتَخْيِيلُ	٣٥	وَحَرِ
٦٦	شَمَائِلُهُ	٤٥	الْآخِرَةُ
٧٣	الْعَلَقَمَا	٤٠	مُنْتَظَرَةٌ
٨٢	الْأَبَامُ	٤٢	وَسُمْرَةٌ
٧٨	السَّهْمُ	٤٧	مُخْلِصًا
٦٨	سَلَامُ	٤٨	لَقَطُ
٨٠	مُقَسَّمُ	٥٠	مَوْضِعُ
٧٥	مَلَامُ	٤٩	وَالْعَجَائِظُ
٧٩	يَنْتَمُ	٥١	وَمُسْمُوعُ
٦٩	السَّوَائِمِ	٥٢	بَاعِي
٧٦	الشِّيمِ	٥٤	التَّرَفُ
٨١	يَلِمُ	٥٥	نَجِثُ
٧٧	تَحْكِيمِ	٥٣	وَأَكْتَفِي

٨٤	الْمَحَنُّ	٧٤	تُعَلِّمُ
٨٥	يَا أَمَانِي	٧٢	كَهَامِ
٨٣	سَيِّ	٧٠	الْأَنَامِ
٨٨	مَظْنُونِ	٧١	لِحُكْمِهِ
٨٩	الْأَغَانِيَا	٨٦	فَقَتَّى
		٨٧	الْتَمَنِّي

جميل صدقي الزهاوي

(١٨٦٣م - ١٩٣٦م)

يذهب الرجل للتعزية. وما يكاد يسخن تحته الكرسي حتى يتحنح ويسأل ابن الفقيد أو أخاه هامساً: كيف مات؟ أبجلطة على قلبه، أم ببلطة شفت رأسه؟

وما لك ولهذا السؤال البارد يا ثقل!

وهبك تريث بعد أن تنحنحت، ولم تشعر بعد أنك استجمعت ما يكفي من الشجاعة كي تسأل سؤالك. لا بأس عليك! لا نستجمع شجاعتك يا أخي، لا لزوم لذلك. فذوو الفقيد سيصدعون رأسك بوصف الميتة كيف ميتت، وبالميت كيف لفظ آخر أنفاسه. ولن تجدهم يذرفون دموعاً وهم يقصون القصة بأدق التفاصيل، لا بل سيتدفقون في الحديث بحماسة وشهوة حكي عجيبين.

وكيف مات جميل صدقي الزهاوي؟ وقع وهو يمشي داخل بيته وتفتت عظم في قدمه، فلزم سريره. ومات.

فكيف إذن عاش؟

كل الكتب والمقالات تعدد لك وظائفه ومناصبه كأنها تكتب سيرة وظيفية لإرفاقها بطلب عمل. الزهاوي أكبر من وظائفه ومناصبه.

لا أكتفك أنني أذكر وظائفه ومناصبه في بعض ما أكتب وبعض ما أقول. وقد تراني أفعل ما يفعله صغار النفوس من دسّ عبارة في أثناء كلامي تُشعر بأني توليت ذات يوم الوظيفة الفلانية أو الفلانية. هذا بعض ما في طباعي من لزوم. وإما أفعل ذلك كي أدرا عن نفسي تهمة كان ينبغي أن أشرف بها: تهمة أنني فاشل في المناصب.

لا، لا، لست فاشلاً فقد كنت ذات يوم كذا أو كذا. سبحان من خلقي!
لا شيء أجلب للشرف على الكاتب من أن يكون فاشلاً في سباق
الجرذان، هذا السباق على المناصب.

على أنني، ككل الناس، أريد أن أبدو ناجحاً اجتماعياً ووظيفياً. لكنني ما
سمعت بكاتب أو أديب ذي مناصب إلا وهو مخفق في أدبه بقدر نجاحه في
مناصبه. وعندما تدبرت حياة الشاعر ابن المعتز، الذي تولى الخلافة يوماً وليلة
ثم قتل، قلت في نفسي: هكذا ينبغي للأمر أن يكون.

لن أذكر لك مناصب الزهاوي. لكنني سأقول لك إنه كان يعيش في بيت
مريح بناه هو بماله في بغداد مع زوجته «زكية» التي تصغره كثيراً. ولم ينجبا،
غير أنه كان عنده كلب أسود وحمارة بيضاء يتنقل بها بين مقاهي بغداد.

وقد تعجّب بعض الأدباء من رفائيل بُطي كيف يعتمي في كتابه عن تاريخ
الأدب المعاصر في العراق بذكر كلب الزهاوي وبذكر اسمه، واسمه بالمناسبة
«ولك»، وأما اسم الحمارة فهو من غوامض الأمور التي تحتاج إلى دفتر من
هذه الدفاتر التي يسمونها رسائل دكتوراه لتحقيقها.

أحدرك من أن ما ستقرأه من شعر الزهاوي مزعج. فالزهاوي متمرد على
المعتقدات حد الجحد. وهو علماني، وإن لم يكن ملحداً ولا علمياً.. قد كان
صاحبنا يؤمن بالإنسان. لكنه سيزعج كثيرين الآن مثلما أزعج كثيرين في حياته.
يكفي أن ابن أخيه الفقيه الدُّبِّي رفض أن يشيع جنازته.

عاش الزهاوي مع زوجة أحبته وخدمته، وكان لها محباً مخلصاً. وكان
على بعض اليسار، (ربما بسبب الوظائف والمناصب، لا حول ولا قوة إلا
بالله.. وهل تريد أن يعيش سائلاً أمام باب المسجد؟)

هذا رجل عتيق.. ولد والعراق عثمانية جداً. ولد عام ١٨٦٣، بحسب
المتواتر، أو قبلها بعشرة أعوام إن صدّقنا إبراهيم عبد القادر المازني وأحمد
حسن الزيات. وانتزعه أبوه، وحده من بين إخوته، وأعاشه في بيته. يبدو أن
أمه كانت تعيش وأولادها في بيت آخر. لعل والده رأى فيه نبوغاً باكراً. وأبوه
رجل فقه وعلم وفتيا، ورجل شعر أيضاً، وكان يتقن الفارسية ويظم بها علاوة
على نظمه بالعربية.

كان أبوه يعطيه درهماً على كل بيت يستقيم له نظمه بغض النظر عن معناه.

ذلك بالعربية. ونشأ الزهاوي على اللغة العربية. لكنه تعلم الفارسية والتركية حديثاً، وأجادهما إجادة بلغت أن كان ينظم بالفارسية، وينشد بها شعره، وأن كان يكتب في الصحف التركية ويترجم القوانين من التركية إلى العربية، ويتولى التدريس في معاهد إستانبول العليا. وقيل إنه عرف الكردية، وبعض الفرنسية.

آن أن نقول لك إنه كردي. قال إبراهيم الدروبي صاحب كتاب «البغداديون في أخارهم ومجالسهم» إن أصل العشيرة من مخزوم القرشية، غير أن العائلة أخذت اسمها من «زهاو» التي عاش بها الأجداد، وهي اليوم في إيران. وقيل إنه من أصل كردي.

لا تلمس في كل شعر الزهاوي وحياته شيئاً من كرديته. فهو قد نشأ في حضان أبيه الفقيه المفتي على حب اللغة العربية، ونشأ عربياً.

الزهاوي فحل من فحول البيان العربي. انظر في الصفحات السبع التي كتبها تقديماً لديوانه المطبوع بمصر، عام ١٩٢٤، وسترى قلماً بديعاً. وانظر في شعره وسترى الرجل يعرف العربية معرفة عميقة. ولا تغتر بهذه البساطة في شعره، ولا بأسلوبه المعاصر والمباشر، هذا كله وليد فكره المعاصر والمتمرد على القديم.

أشبه الزهاوي بابن الرومي في هذه، وأشبهه به في كثير غيرها. فهو بغدادي جداً، وابن الرومي لم يكذب يبرح بغداد طول عمره. والزهاوي يبلغ به تطلّب المعنى أن يسترسل في «نثرية» يتلهم منها الشعر ويكاد يأبأها، والزهاوي يطيل جداً ويكرر المعنى نفسه باللفظ نفسه في القصيدة بعد القصيدة، والزهاوي كان مضطرب الأعصاب مصاباً في نخاعه الشوكي منذ سن الخامسة والعشرين، وكان نحيلاً شديد النحول. وهذه كلها كانت في ابن الرومي. وكان الشاعران كلاهما متمردين، وكانا على معرفة عميقة بالعربية يسترها الأسلوب السهل. على أن ابن الرومي، المعتزلي المتمرد الرافض، كان يثوب إلى الإيمان بين الحين والحين فيقول أشياء تشعرنا بإيمانه الديني العميق، ولكن الزهاوي كان في هذه شبيهاً بالمعري.

يقول الزهاوي الأبيات الكثيرة في الجحد ثم يلس بيتاً يتقي به تهمة الإلحاد. وقد يلقي قصيدة في احتفال المولد النبوي فتأتي باردة.

عاش الزهاوي في بغداد، وقضى فترات تطول وتقصّر في إستانبول،

وأزعج عن بغداد، أي هجَّ منها وطفش، فرحل إلى الشام فيبروت وزار مصر
وتعرف على أديائها وعلمائها. وقابل يعقوب صروف.

كانت صحيفة «المقتطف»، التي أسسها يعقوب صروف ثم حررها خمسين
سنة، معلماً درس الزهاوي على يديه العلم والفكر. كان والده يحتفظ بمجلدات
من هذه المجلة، والتهمها الزهاوي يافعاً. وكانت المقتطف مدرسة تقدم العلم
والأدب. وعلى هذه الصحيفة - التي بدأت في بيروت ثم انتقلت إلى مصر -
نشأ خلق من كبار الأدباء والعلماء. منها ومن الكتب التركية المترجمة عن
اللغات الأوروبية استقى الزهاوي العلم.

طريف أن ترى الزهاوي والعقاد يتناقشان عبر الصحف في نظرية آينشتاين
عن الضوء والكون المحدث وطبيعة الجاذبية. ولعل العقاد كان أحسن اطلاعاً
على الكتب الأوروبية لأنه كان يقرأها مباشرة بالإنجليزية، غير أن الزهاوي كان
أثقب ذهناً.

كان الزهاوي من الأدباء الذين اشتهوا أن يكونوا علماء طبيعيين. مثله في
ذلك مثل غوته الألماني الذي حبر مئات الصفحات في العلم المحض، وأصاب
وأخطأ، وظل مجرد أديب يرفض تحويل أمور العلم إلى «الجهات المختصة».
مثل غوته كتب الزهاوي في العلم كتباً، ونشرها. وما بقي لها من القيمة هو
أنها تنبئ عن ذهن منفتح وتوق شديد إلى العلم.

غير أن ما تعلمه الزهاوي من المقتطف، ومن الكتب التركية المترجمة عن
أصول أوروبية، كان ثميناً. كان الأساس في فلسفة الرجل. وللزهاوي فلسفة
حقيقية: هو مادي يرى الحياة مجرد تعبير عن التركيب المعقد للمادة، فالجماد
مادة دنيئة بسيطة التركيب، والحي معقد التركيب بدرجات بين حيوان وحيد الخلية
وإنسان فيه ما بين ٣٧ تريليون خلية (دراسة من الدراسات لشخص وزنه ٧٠ كغم)،
و٧٢٤ تريليون خلية (دراسة أخرى). والروح هي الحياة، هي تعبير عن هذا
التعقيد في التركيب. وعليه فإذا فني الجسم، أي تفكك التركيب، فالروح تفتى.

ولأن الروح من أمر ربي فلا نمعنُ في مناقشة الزهاوي، ونظل نطالب
العلماء بتخليق خلية حية في المختبر - وهو أمر حاولوه مراراً منذ خمسينات
القرن العشرين، ومنتهى ما توصلوا إليه أن اشتقوا حياة من حياة عن طريق
الاستساخ - قبل أن نحملهم على محمل الجد. الاستساخ شيء وتخليق الحياة
شيء آخر.

وقد عالج الزهاوي المقولة الإلهية معالجة عابثة جرّت عليه كثيراً من العنت، وألجأته مرةً إلى التزام بيته أياماً خوفاً على نفسه من «الاغتيال» على يد العامة ببغداد. والعامة اليوم تغتال الزهاوي على صفحات الإنترنت. لا تراهم يصفونه إلا بالكلب، أو لعل أحدهم وصفه بهذه الكلمة ثم بيّنها الناس من بعده، فالإنترنت حديقة حيوان يكثر فيها على وجه الخصوص طائر البيغاء.

عرف الزهاوي أنه كان في القديم آلهة، وعرف أنهم في القديم وحّدوها في إله. ولو كان حسن الإيمان بالدين لما أتعّب نفسه وأزعج القوم بعشرات الأبيات التي يرواح فيها بين الجد والهزل متناولاً قضية أصل الكون وخالق الكون.

ونحن لسنا ممن أزعجهم الزهاوي، بل نقول: ليقُل ما شاء كيفما شاء. إيماننا بحرية الفكر وحرية الجهر به فوق أن نزعج من أي رأي.

كان يجلس في مقاهي بغداد، وكان يجلس إليه بعض مريديه. ولا يندر أن يتلاسن بأبيات الهجاء مع رضا الطالباتي، وبأبيات المديح مع معروف الرصافي. ومن عجب أنه كان للطالباتي صديقاً، وللرصافي خصماً. فكان بين شاعري العراق الكبيرين منافسة شديدة تشوّر فتصبح خصومة، فتعقبها مصالحة ينشد فيها كل منهما أبياتاً في تقيظ صاحبه.

في إستانبول مدح الزهاوي السلطان عبد الحميد ثم هجا الاستبداد، ثم سجن سجنَةً صغيرة، ثم رحّلوه إلى بغداد. كانت الأمور في تلك الحقبة، في أواخر القرن التاسع عشر، مختلفة عما عهدناه بعدها، حتى إنه ليصعب عليّ تخيّل أن العراق وسوريا ولبنان... الخ، لم تكن سوى قطعة من الدولة العثمانية.

وعندما انقلب ضباط الاتحاد والترقي على السلطان ثم خلعه وحب الزهاوي بالخطوة وبالدستور الجديد. ثم بدأ يشعر بتوجه الحكام الجدد إلى مزيد من التشريك. ولئن كان شاعرنا يحسن من الثقافة التركية ما يحسنه أهلها فإنه كان عربياً منزوعاً في تراب اللغة العربية. وهبه كان تركي الهوى، أفلا يعني التشريك أن حكام إستانبول قد جعلوا هذا المشترك في درجة ثانية بعد درجة التركي الأصل؟

مع تفكك الدولة العثمانية في أخريات الحرب العالمية الأولى انقلب

الزهاوي عليها، فأصبح أكثر عروبية، ومالاً الإنجليز الذين احتلوا العراق بعد الحرب، وتقرب من فيصل بن الحسين الذي عينوه ملكاً.

لكنه ظل يشكو من أنه لم يعين في وظيفة كبيرة.

وظل الزهاوي ينظم. برغم قلمه الثري الجميل فإن الزهاوي عاش للشعر، وأدمن النظم. عندما أصدر ديواناً له في مصر باسم «ديوان الزهاوي»، عام ١٩٢٤ في ٤٤٣ صفحة، قال إن الديوان يضم أقل من الثلث وأكثر من الربع من شعره. وقد ترجم ما صبح له من رباعيات الخيام نثراً وشعراً، مثبِتاً الأصل الفارسي فوق الترجمتين لكل رباعية. وطبع دواوين أخرى وكتباً في العلم، قد لا تريد أن تعد كتابه عن لعبة «الدامة» أحدها.

في الزهاوي خفة تجدها في شعره مختلطة بغير قليل من التذمر. يصطاد قوافيه بمهارة، وقد تتحكم فيه الفكرة فيلقي بالقوافي على عواهنها، ولكنه في كل ذلك محافظ على العريية القويمة السليمة المتينة، لا غرو فقد حفظ جزء عم من القرآن طفلاً لم يتعلم النطق سوى أول أمس.

نقلوا عنه كثيراً قوله إنه كان يسمى «المجنون» في طفولته لحركاته غير المألوفة، و«الطاش» في شبابه لنزوعه إلى الطرب، و«الجرىء» في كهولته لمقاومته الاستبداد، و«الزندقي» في شيخوخته لمجاهرته بآرائه الفلسفية.

كان كذلك.

إن كنت ممن يقرأون الشعر بآذانهم، ويحسون بوزنه - وهذا ما ينبغي للشعر، وإلا كان الشعر كطبخة صاحبنا الذي وجد امرأته تلف أوراق العنب ورقة بعد ورقة على حشوة من الأرز واللحم وتقضي في ذلك بياض يومها، فجاءها باختراع جديد: فتت أوراق العنب تفتتاً وجعلها في القدر مع الأرز واللحم وصب على ذلك الخليط ماء وطبخه، فكانت طبخته بدعة منكرة، ونال من زوجته المثل المعروف: العين هي اللي تأكل، وهنا نقول: الأذن هي التي تأكل الشعر. فعندما تقرأ بعينك وحدها غير حاسٍ بما فيه من إيقاع يفوتك شيء هو الفارق بين الشعر والنثر - إن كنت ممن يحسون بالوزن فسوف تجد في الزهاوي ما يزعجك، بخلاف آرائه الخارجة عن المألوف إن كنت من أهل المألوف.

الزهاوي يحب البحر الخفيف. وكأنه لم يكتف بما في هذا البحر من علة

وقوع الكلمة بين الشطرين، وهي علة ظاهرة في الخفيف ظهوراً لا تراه في أي بحر آخر، فصاحبنا يُجلس كلماته فيما بين التفعيلات في داخل الشطر على هيئة غير مألوفة. وقد ظن العقاد - بعد إذ سمع الزهاوي ينشد - أن شاعرنا إنما تأثر بالطريقة الفارسية في الإنشاد. وليس لنا على قول العقاد تعليق، فلا نحن نعرف الفارسية ولا طريقة إنشادها، ولا ندرى إن كان العقاد يعرف. وزاد العقاد فقال أشياء عن مستفعلن ومتفعلن، ونرى أن الأمر أهون من ذلك، فكل شعراء العربية ركبوا هذا الزحاف المستساغ كل الاستساغة، على أن شاعرنا كان لا يبالي أن يقطع الكلمة بين التفعيلة وجارتها في مكان غريب (فأنت إن قطعت بعد آل التعريف ساغ ذلك ولم يجلب تلك الضعضة التي تحدث عند تحطيم الكلمة من متصفها).

لن أحدثك عن معارك الزهاوي الأدبية الكثيرة، فتفاصيلها موجودة في الكتب، ولكنني أطللت من خلالها على خصلة في شخصية الزهاوي، فهو كثير الامتداح لشعره عميق الإيمان بشاعريته، ينافع عن نفسه وعن آرائه وشعره ويمقت النقد مقتاً - كلنا ذلك الرجل - ويزيد صاحبنا فيجأ بالشكوى من النقد، وكثيرون منا يكرهون النقد لكنهم يسكتون تعالياً أو دهاء، فإهمال الناقد أسكت له من الرد عليه، ولا كذلك الزهاوي، فهو يرد على كل ناقد.

الزهاوي على نور أبيض

ذكرني بالزهاوي الليلة مصباحي الأثير ذو الضوء الأبيض، وهو مصباح لا يكاد ينفق شيئاً من الكهرباء، وإذا انقطعت الكهرباء فهو يبقى مشتعلًا ساعات، فإذا شئت وصلته بالحاسوب فيستمد قليل ما يحتاجه من طاقة من جوف الحاسوب، غير أنني أركبته قائم سريري ليلقي عليّ أشعته البيضاء من خلف كتفي فينير صفحة كتابي. أخذت في ساعات المساء أقرأ عن الزهاوي على نور مصباحي الأبيض - الواقع أن المصباح نفسه أبيض، لكنني أقصد أن نوره أبيض، وأنا عاشق للنور الأبيض من مصابيح النيون، ولا أرى ما يرى كثيرون من أن النور البرتقالي يعطيهم إحساساً بالدفء؛ ويتفوق مصباحي على مصابيح النيون، وهي اقتصادية، في أنه اقتصادي جداً حتى إنني لأحجل منه وهو يدوي بنوره ساعة بعد ساعة لا يكل ولا يمل فأكاد أخرج من جيبي بعض الدراهم لأعوضه بها عما يبدله في خدمتي - ومرت ساعات المساء ودخلت في عمق الليل، وأشحت بوجهي عن كتبي، وعادت بي الذاكرة عقوداً.

قبل أربعين سنة، قد تنقص سنة لا أكثر، وقد تزيد سنة لا أكثر، اشترى لي أبي مصباح نيون للمنضدة. كان في متجر ورأى المصباح، وقال في نفسه: ما أجدر أن يكون هذا ذا نفع لولدي الذي يقرأ كثيراً. لم يكن والذي كَتَلَهُ يعرف ما سأصنع بالمصباح فور استقبالي الهدية الثمينة. كنت آنذاك في نحو العشرين من العمر، أصغر من ذلك بسنة لا أكثر، أو أكبر من ذلك بسنة لا أكثر.

نصبت المصباح على منضدة عالية سوداء بجانب سريري، واتفق أن كانت والدتي رحمها الله وسائر إخوتي مد الله في أعمارهم. . هل سأمضي هكذا في الحديث عن أفراد العائلة الكريمة؟ الحاصل. . أنهم كانوا جميعاً مسافرين. . ربما كانوا يحضرون مناسبة ما في بلد قريب. . لا أدري. كنت وحيداً في البيت مع أبي. مثلما كان الزهاوي ملازماً لأبيه الذي انتزعه من بين إخوته واختص نفسه بالطفل النابغ. على أن أبي لم يكن يقرأ عليّ ديوان المتنبي مثلما فعل والد الزهاوي بطفله، كان أبي صاحب مخيطة يروح إلى عمله صباحاً ويغدو إلى البيت عند العصر فيؤلف من بطن الثلاثة طبقاً نتغدى به. لكنه في تلك المدة رأى مني عجباً. . كان يصحو ومصباحي مشتعل وأنا نحتة أقرأ، ويعود من عمله ومصباحي مطفاً لكنني أقرأ، ويهبط الظلام فيشتعل المصباح وأنا أقرأ، فإذا أيقظت أبي حاجة في قلب الليل رأى المصباح مشتعل ورأني أقرأ. مضت علي ست وثمانون ساعة وأنا أقرأ. كنت أنام ساعتني الثماني على الكتاب وأصحو عليه. وهذه الساعات تُعد ثلاثة أيام ونصف يوم وساعتين، وبانقضائها عاد أهل البيت إلى البيت واعتدلت حياتي. وقعدت فور عودتهم أحسب كم مضى علي وأنا منشغل بقراءاتي، فمن هنا جاء الرقم الدقيق ٨٦. والشاهد في الموضوع أنني في تلك الأيام المضاءة بالأبيض كنت أقرأ الزهاوي وعن الزهاوي في كتب كانت تحفل بها المكتبة العامة في بلدنا نابلس بفلسطين.

تركت كتبني في ليلتي هذه التي أكتب لك فيها، وقلت في نفسي: أما اكتفيت من الزهاوي؟ أما أعدت قراءة شعره كله كي أنتخب منه أبياتاً، ثم شرحتها؟ لا، لم أكتف. قد عدت إلى الزهاوي وقرأت عنه في كتب أخرى يسرّها الإنترنت في صورة بي دي إف، ونبشت مواقع النت - وأنا أفعل ذلك عادة حتى أتجنب ترداد ما في النت من أشياء، فقد أصابتنني مواقع النت بعقدة لكثرة ما فيها من القص والوصف - ورأيت أننا بحاجة إلى كتاب سيرة حقيقي عن الزهاوي. وهذا يحيلني إلى استطراد جديد.

أولعت، بعد ذلك المصباح القديم بنحو عشر سنين، بكاتب إنجليزي هو سومرست موم، وقرأت معظم ما كتب في سنوات حياته الاثنتين والتسعين. إدمان. ولما صار الرجل شغلي الشاغل مضيت إلى الكتب التي كتبت عنه فقرأت منها اثنين، وقرأت له هو نفسه ثلاثة كتب تحدث فيها عن مهنته ككاتب. ثم؟ طبعاً نسيت كل شيء قرأته.

وبقي عالماً في نفسي أن القوم يكتبون السيرة بحرفية عالية. وقرأت بعد ذلك حمل بعير من كتبهم التي تروي سير المشاهير. ثمة حرفة ههنا. أذكر كتاباً من ثلاثة أجزاء عن برنارد شو، بلغ فيه كاتبه مايكل هولرويد أن اندس في أدق تفاصيل حياة وفكر وإنتاج الرجل. كان برنارد شو يحب أن تصنع له شطيرته أمه لا الخادم، لأن أمه كانت تضع زبدة ومرعى أكثر في الشطيرة. تلك طرفة أتت في سياقها، ومثلها مئات، لكن الكتاب ليس كتاب طرائف، هو كتاب منسوج نسجاً محكماً ومبحوث بحثاً لا أصفه إلا بأنه ذلك النوع من البحث الذي لم نعرفه نحن العرب حتى الآن.

وأسارع بالإقرار بأنني لست كاتب سيرة ولا باحثاً. أنا هنا، وهناك أيضاً وفي كل ما أكتب، امرؤ يسجل انطباعاته. فاعلم أنني لا أنتقد الآخرين لأنني صنعت ما لم يصنعوا، بل أنتقدهم لأنني أريد أن يصنعوا ما عجزت أنا عن صنعه، وما رأيت قوماً آخرين يصنعونه.

كتاب السير الأدبية الكبير الذي انحدر إلينا عبر العصور هو الأغاني للأصفهاني. وسيرة كل أديب داخل الأغاني هي مجموعة من الطرائف والخرافات، والروايات المتضاربة. قد كنا في ذلك العصر، قبل أكثر من ألف سنة مرت على تأليف الأغاني، متفوقين على غيرنا.

واليوم تغيرت الدنيا، وتوفرت المعلومات، وتيسرت أدوات البحث. ولكننا لم نقطع شوطاً بعيداً، وما زالت الكتب التي تترجم لأديب أو لسياسي بعيدة عن التجرد، قريبة من الخرافة. نحن في دائرة السيرة التمجيدية، فإن خرجنا منها فإلى دائرة سيرة اللعنات: فالمشهور عندنا إما قديس أو شيطان. وهناك شيء أسوأ: أن نكتب عن المشهور كتاباً مثل الماء لا لون ولا طعم له ولا رائحة، ولكنه لا يروي كالماء بل يهوم تهوياً في ثرثرة باردة. عند أهل الثقافة السكسونية من بريطانيا وأمريكا كثير من السير التمجيدية، ووجدت عندهم في القديم، قبل مئة سنة مثلاً، سيراً فيها الثرثرة والتهويم، لكن أدب

السيرة عندهم ظل في صعود، وأحسبهم فيه الآن رواداً في العالم.

فماذا يصنع الأكاديميون في جامعاتنا؟ هؤلاء قاعدون - أقعدوا - ينتظرون مستشرقاً يأتي ويكتب لهم كتاباً يسرقون مادته ويشوهونها ثم ينشرونها مشوهة، ثم . . يشتمون المستشرقين. رأيهم بعيني يمشون في ممرات الأبنية الجامعية فيلتقي الواحد منهم بزميله الدكتور الآخر - وبالمناسبة فدكاتيرنا ينادون بعضهم بعضاً بيا دكتور - يقول له: يا دكتور. ويتلمظ ويتمطق. هو لا يريد أن يقول له شيئاً سوى يا دكتور، فيجيب الآخر: يا دكتور.

لست أتهمهم بالغباء، ولا والله لن تجدني في أي شيء أقوله أو أكتبه أتهم أحداً بالغباء، فكل إنسان لديه عقل، ولكن بعض خلق الله يملك من الفحة أن يأخذ ثمن عقله ثم لا يستعمله، ويمد يده - شلّت - لأخذ مرتبه وهو لا يصنع شيئاً سوى تشغيل الطلبة في كتابة أبحاث ليست بالأبحاث، ويحسبها لجعله أبحاثاً فيسرقها ويضمنها كتاباً له يضيفه إلى قائمة الكتب التي يتخي بها نيل ترقية جامعية. يؤذني الدكاتير التقليديون الذين يلوذون بالماضي ليأذ خائف من أسد مزير. يؤذني من بين هؤلاء التقليديين أكثر من هو نشط متبحر في علوم الأوائل. تراه يمشي كالطاووس، مستشهداً بألفية ابن مالك، أو متكئاً - مالت عليه - على نص لابن جني، أو كاتباً كتاباً ثقيلاً، في وزن نكبتنا بوجوده، عن خز عيلة تافهة أساسها رمل رجراج، لكنها - والله غالب - قد وردت في نص قديم.

وقد رأيت في الأشهر الأخيرة كتاباً من أربعة أجزاء لكاتب عباسي، قامت على نشره وزارة الثقافة في دولة نفطية. ذهبت الوزارة إلى بلد عربي آخر فيه رمل، ولكن لا يوجد تحت رمله سوى مزيد من الرمل، ووظفت لتحقيق الكتاب خمسة من الرجال. وطبعوا الكتاب مرة ثم صدرت بعد تسع عشرة سنة طبعة ثانية، وهذه الطبعة الثانية وقعت، ووقع محققوها، في يدي.

خمس من الدكاتير أصروا على وضع كلمة «الدكتور» كاملة قبل اسم كل منهم، غير قانعين بحرف الدال. ثم إذا التحقّق - وفي طبعته الثانية، وبعد طول المهلة - مشحون بالأخطاء، وبالحواشي القلقة، وبالفهارس غير النافعة. أحسب هذه الدراهم التي أهدرتها في ذلك الكتاب. ليس أنه يخلو من كل فائدة، فالمرء يستطيع أن يعثر في صفحاته على معلومة مفيدة هنا وهناك، لكن ثمة فرقاً بين أن تمشي واثقاً في ردهات كتاب حققه محقق أمين، وأن تمشي خائفاً متحسباً في ممرات مظلمة داخل كتاب مملوء بالأغلاط وبإساءة الفهم.

بعد هذه الوصلة المعتادة في قدح الأكاديميين لا بد من عودة إلى جميل
صدقي الزهاوي.

هذا رجل داعية: يدعو إلى السفور، ويدعو إلى العلم، ويدعو إلى نظرية
داروين. وهو ابن عصر بدأت تنفتح فيه لنا طاقة صغيرة على الغرب فملأت
الدهشة نفوسنا.

ما زلنا في هذا العصر.

١ أبيات فرائد

وما زلتُ في جَوْ مِنْ الْفِكْرِ طَائِرًا وَمِنْ عَادَتِي أَلَّا أُطْبِرَ مَعَ السُّرْبِ

* * *

إِنِّي إِنْ حَمِذْتُ رَبِّي عَلَى مَا أَتَشَكَّى مِنْهُ أَكْذَبُ نَفْسِي

* * *

يَحْيَا الْجَمَادُ إِذَا الشُّرُوطُ تَوَقَّرَتْ وَالْحَيُّ إِنْ فَقَدَ الشُّرُوطَ جَمَادُ

الحياة لا تكون بوجود روح، بل بتوفر «الشروط»

* * *

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَأَنْتَ بَعْدَ ذَهَابِهِ مُتَمَسِّكٌ بِالْعَيْشِ مِنْ أَذْنَابِهِ

* * *

وَلَيْسَ بِعَقْلِ الْمَرْءِ بِكَبُرُ شِعْرُهُ وَلَكِنْ بِمَا فِي رُوحِهِ مِنْ تَكْهَرُبِ

٢ ننف

مَنْ كَانَ فِي سَعَةِ تَسِيرٍ وَرَاءَهُ أَنْبَاءُهُ، فَكَأَنَّهُمْ أَفْبَاءُهُ

كانهم أقباء: أي يتبعونه كظله

وَإِذَا اللَّيَالِي غَبَرَتْ سَعْدَ امْرِئٍ يَحْقَى الصَّدِيقُ وَتَظْهَرُ الْأَعْدَاءُ

* * *

يَا سَمَاءَ الْعِرَاقِ إِنِّي مَرِيضٌ يَا سَمَاءَ الْعِرَاقِ أَنْتِ شِفَائِي

افْتَحِي فِي سِتَارِ مُخْبِكَ شِفَاءً وَانْظُرِيَنِي بِمِيزَانِكَ الزَّرْقَاءُ

* * *

مَنْ لَمْ يَجِئْ بِمُعْجَازَةٍ فَلَا يَفِيدُهُ الصَّخَبُ
لَا تَسْتَقِلُّ أُمَّةٌ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ

* * *

لَا خَيْرَ فِي نَاسٍ إِذَا أَفْحَمْتَهُمْ وَلَوْ أَغْضَابَا
عَزَوْا الْحِجَابَ إِلَى الْكِتَابِ بِ، فَلَيْتَهُمْ قَرَأُوا الْكِتَابَا

* * *

أَنَا لَا يَسْأَلُ عَنِّي أَحَدٌ حِينَ أَغِيْبُ
أَنَا كَمَا لِرَحْمَةٍ مَنُوبُ دُ، وَكَمَا لِسَخْنٍ غَرِيْبُ

* * *

أَهْمَوَى السَّجْبَاحُ فَمَا نَسِي فِي ظِلْمِهِ أَنْسَى اكْتِشَابِي
وَكَأَنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ رَجَعَتْ إِلَيَّ مِنْ الشَّبَابِ

* * *

يَا جَهْلُ أَنْتَ بَرَّغَمَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مَمْتَعٌ بِعُلُوِّ الْجَاءِ وَالرُّتَبِ
يَا جَهْلُ يَأْتِيكَ عَفْوَاً مَا تَحَاوَلُهُ يَا جَهْلُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنْكَ أَوْ تَعَبِ

* * *

لَيْتَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ، فَلَا تَخَفْ مِنْ أَنْ تُفَارِقَهَا، تُبَوِّثْ
وَمِنْ الطَّبِيعَةِ أَنْتَ جُزْءٌ ءَ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمُوتُ

* * *

فِي حَيَاتِي أَنَا لَأَقْبُ تُ صُنُوفَ الْمُشْكَلَاتِ
فَجَزَّ أُنْسِي لَمْ أَجِدْ مُنْجِي كِلَّةً مِثْلَ حَيَاتِي

* * *

إِنَّ الَّذِينَ عَنِ الْأَقْرَابِ قَدْ بَعُدُوا لَمْ يَجْعَلُوا أَنَّهُمْ مِنْهُمْ قَدْ وُلِدُوا
النَّاسَ الَّذِينَ تَطَوَّرُوا كَثِيراً وَابْتَعَدُوا عَنِ جِنْسِ الْقَرَدَةِ، وَآمَنُوا بِنَظَرِيَةِ التَّطَوُّرِ، لَا يَنْكُرُونَ أَنَّ أَصْلَ الْإِنْسَانِ قَرَدٌ

أَمَّا الْأَلَى لَمْ يَزَالُوا فِي مَدَارِكِهِمْ أَدْنَى إِلَى أَصْلِهِمْ مِنْهَا فَقَدْ جَعَلُوا
وَمِنْ ظَلَمُوا فِي مَدَارِكِهِمْ، فَهَمُّهُمْ، قَرِيبِينَ مِنْ أَصْلِهِمْ الْقَرْدِيِّ فَهَمُ يَنْكُرُونَ نَظَرِيَةَ التَّطَوُّرِ

* * *

أَقُولُ لِبَاكِ صُنْ مِنَ اللَّعْمِ بَعْضَهُ لَا تَلِجِي الرَّزَايَا، إِنَّهَا تَنْجَدُّ
وَمَا بِي عَلَى عَيْنِكَ خَوْفٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا بَكْنَا، لَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْفَدُ
وَتَرُدُّ دُمُوعَكَ لِلرَّزَايَا، الْمَصَائِبُ، الْمُقْبِلَةُ... وَلَسْتُ خَائِفاً عَلَى عَيْنِكَ وَلَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْفَدُ... لَا
يَقُتُّكَ مَا فِي الْبَيْتَيْنِ مِنْ سِحْرِيَّةٍ

* * *

أَيُّهَا الرُّوحُ الَّذِي اسْتَقَرَّ أُنْثَى بِأَذَلٍّ فِي الْبَحْرِ عَنْهُ جَلْدِي
إِنَّكَ الْمُنْعُ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ شُعْباً أَعْصَابُهُ فِي جَسَدِي
الرُّوحُ، الَّذِي ظَلَلَتْ أُبْحَثُ عَنْهُ، هُوَ فِي الْوَاقِعِ الْمَخْ وَالْأَعْصَابُ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي الْجَسْمِ

* * *

مَنْعَ الَّذِينَ تَسَيِّطُرُوا أَنْ يُحْيِنُوا يُخَنُّ الْوُجُوهُ وَغِلْظَةُ الْأَكْبَادِ
مَهْمَا تَقْدَمُ فِي حَضَارَتِهِ الْفَتَى لَمْ يَخُلْ مِنْ هَمَجِيَّةِ الْأَجْدَادِ

* * *

عَجَبِي مِنَ الْإِنْسَانِ يَهْجَعُ آمناً وَالْمَوْتُ لِلْإِنْسَانِ بِالْمَرْصَادِ
لَا تَطْمَئِنَّ بِكَوْنِ لِبَاكِ هَادِئاً فَلَسَوْفَ يَأْتِي السَّبِيلُ مِلْءَ الْوَادِي

* * *

لَا تَخُونُ الْعَقُولُ أَصْحَابَهَا فِيهِ حَمَا تَرَاهُ، وَقَدْ يَخُونُ الضَّمِيرُ
قَبْلَ لِي قِفْ فَقُلْتُ غَيْرَ مُلَبٍّ: أَنَا إِنْ لَمْ أَسِرْ فَمَنْ ذَا يَسِيرُ

غَيْرُ مُلَبٍّ: غَيْرُ مُسْتَجِيبٍ، وَلَا إِلَهِي الدَّعْوَةُ لِلْوُقُوفِ

* * *

فَتَرُ غَمَّتِ الْبَلَادُ فَمَا أَغْدُ نَحْنُ عَنِ الْمَرِّ أَهْلُهُ وَالْعَشِيرُ
وَإِذَا تَارَتْ الْجَمَاعَةُ يَوْمَاً فَهَيْ قَدْ لَا تُدْرِي لِمَاذَا تَشُورُ

* * *

يَا عَلِّمُ يَا كُلَّ الْهَدَايَةِ لِلْمَوْرِ صَلَّيْ عَلَى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْأَبْرَارُ
الْحَرْبُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَرْبٌ مِيَّاسَةٌ وَالْغَالِبُونَ بِهَا هُمُ الْأَحْرَارُ

* * *

لَسَانِي عَلَى الصَّمْتِ الطَوِيلِ مُوَاطِبٌ وَفِي الصَّدْرِ آرَاءٌ يَضِيقُ بِهَا صَدْرِي

وقد كنت لا أدري حقيقة ما أرى زماناً، ولا أدري بأنّي لا أدري

* * *

أقول لشعري أيها الشعر ضلّ وجلّ فأنت بميلدان الفصاحة فارسُ
يُمارسُ شعري اليوم إصلاح أمة فليله شعري اليوم ماذا يُمارسُ

* * *

قلبت للشاعِر والشا عسّر ذو سهم يطيش
أنت إن عشت تمثّ جو عاً وإن مُثّ تعيسُ

المبدعون يكرمون بعد موتهم

* * *

إذا ما قضى ربّ السماوات حاجنا حَمَدناه حَمْدَ المخلصين على الأرض
وإن يَأْب مِنْ بعدِ الدعاءِ قضاءها نَكُنْ نحنُ أرباباً لحاجتنا نُقضي
أرباباً: أصحاباً

* * *

ولله عبد الله، والد الشاعر اللبناني بشارة الخوري:

جزعتُ لعبدِ اللّهِ إذ مات إنني على كلّ ذي فضلٍ بموتٍ جزوعُ
فتى مثلاً ترجوه: أمّا لسانه فَرَطِبْ، وأمّا كُفّه فَرَبِيعُ

* * *

ما في السُّفسورِ مَمرّةٌ تُخشى على امرأةٍ عفيفةٍ
إن النّظيفةَ في قبرا رةً تغيها تبنى نظيفةً

* * *

أنا يا شمسُ ذرةٌ فوق أرضٍ هي في سيرها عليك تطوفُ
لا تكوني مغرورةً، إنما مثـ نلّك في أجوازِ الفضاءِ ألوفُ

* * *

لا يخافُ الرّاعي ذئباً تعاوى من بعيدٍ مُلحّةً في الطّوافِ
إنما خوفه إذا الليلُ أذجى من ذئابٍ تَنَلَسُ بينَ الخِرافِ

* * *

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِنَحْرِيرِ أَمَةٍ يَهُودٌ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالسَّجْنُ وَالشَّنَقُ
إِذَا رُمْتَ مِنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ رِحْلَةً فَيَزِ قَبْلَ أَنْ تَنْسَدَ فِي وَجْهِكَ الطُّرُقُ

* * *

أَخْبَيْتُ النَّعْصَاصِ صَدِيقُ عَنْ نِفَاقٍ بِمَنْحَرِّكَ
فَمَعَ الْمَظْلُومِ بِبَيْكِي وَمَعَ الظَّالِمِ بِضَحْكَ

* * *

أَحْبَلَ النَّبِيلَ نَهَارٌ قَدْ نَزَا لِمِ تَوَلَّى
أَحْبَلُ: جَعَلَهُ يَحِلُّ وَيَحْمِلُ جَنْبًا، نَزَا: اعْتَلَى

فَانْتَظَرُوا مَا تَلِيدُ السَّيِّدِ لِمَةً، فَالْلَّيْلَةُ حُبْلَى

* * *

أَمَّا النِّجَاحُ فَلَا نِجَاحَ لِأَمَةٍ مَا أَبَدَتْ أَقْوَالُهَا أَفْعَالُهَا
غُلَّتْ فَمَا أَبَدَتْ أَقْلًا تَذْمُرُ فَكُنَّا نَمَا طَابَتْ لَهَا أَغْلَالُهَا
غُلَّتْ: قَبِيتْ

* * *

إِنِّي إِذَا حَادِثَةٌ غَيَّرْتُ حَقِيقَةً، غَيَّرْتُ أَقْوَالِي
لَوْ نَبَّهْتُ لِحَالَتِي لِحَيَّةٍ سَمَّيْتُهَا عِنْدَئِذٍ خَالِي
كَانَ الْعَقْدُ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَغْيِرْ قَطُّ أَرَامًا، الزَّهَاوِيُّ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِتَغْيِيرِ آرَائِهِ بِحَسَبِ مَا يَجِدُ مِنْ حَقَائِقَ

* * *

يَا حَامِلَ الصَّنْصَامِ لَا يَحْمِي بِهِ حَقًّا، لِمَاذَا تَحِيلُ الصَّنْصَامَا؟
الصَّنْصَامُ: الْبُفْ

جَهْلُ الَّذِينَ عَلَى قَدِيمٍ عَوَّلُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُغَيِّرُ الْأَحْكَامَا

* * *

النَّاسُ إِمَّا أَذُوبُ فَتَّائِكَةٌ أَوْ غَنَمُ
الذُّوبُ لَا يَرُوي عَلِيًّا لَ جَوْفِهِ إِلَّا السَّدَمُ
غَلِيلٌ: عَطَشٌ

* * *

لَمْ نَكُنْ بِالْأَرْزَاءِ نَعْبَأُ حَتَّى أَخَذَ الْمَوْتُ قَاهِرًا إِدْسُونَا

الأرزاء: المصائب، توماس إديسون: المخترع الأميركي المشهور

أَيُّهَا الْمَبْدَعُ الْكَثِيرُ الْمَنَاحِي أَيَّ شَيْءٍ تَرَكْتَ لِأَخْرِينَا

* * *

وَوَاعِظُ غَارِقٍ فِي لَحِيَةٍ كَبُرَتْ بِأَنِّي بِكُلِّ قَبِيحٍ لَمْ يَنْهَانَا

لَا وَاللَّحَى، وَالَّذِي فِي الْوَجْهِ أَتَبَّهَا مَا إِنْ تَكُونُ اللَّحَى لِلْفَضْلِ مِيزَانَا

* * *

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّعْرَ نَحْنُ عِمَادُهُ فَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ «نَحْنُ»

وَمَنْ لَمْ يَزِنْ عِنْدَ التَّكَلُّمِ نَفْسَهُ فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يُقَامَ لَهُ وَزْنُ

* * *

لَقَدْ جَاءَ شَيْطَانٌ مِنَ الْجِنَّ دَاعِيًا إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا عَذَارَى وَغِلْمَانُ

فَقُلْتُ لَهُ: اغْرُبْ أَنْتَ لَسْتُ بِخَادِعِي فَإِنِّي شَيْطَانٌ كَمَا أَنْتَ شَيْطَانُ

* * *

بِأَعْمَالِهِ الْإِنْسَانُ يُعَرِّفُ عَقْلُهُ فَلَيْسَ سِوَاهَا لِلنُّهَى مِنْ مُوَازِينِ

النهي: العقول

سَلِيمًا يَقْلُ الْخَيْطُ بَيْنَ أُولِي النُّهَى وَيَنْقَطِعُ الْجَنْزِيرُ بَيْنَ الْمَجَانِينِ

الجنزير: السلسلة الحديدية. ونسي البث المخطوبة السوار الذهبي الذي هو عبارة عن حلقات من ذهب يسلك بعضها ببعض، وتمسك كلها بخناق الخطيب المسكين، جنزيراً

* * *

فَهَيْتُ بِالْمَحَقِّ فَجَارَزُو نَسِي بِسَبِّ وَامْتِنِهَا

فهت: تفوّهت

إِنَّنِي بِأَلْشَّقَائِي جِئْتُ فِي غَيْبِ زَمَانِي

* * *

أَنْتَ فِي صُورَةِ الْأَطْيَافِ لَيْلِي لَيْلِي فِيهِ قَدْ هَاجَتْ شُجُونِي

جَعَلْتُ لِنَوْمِهَا صَدْرِي فِرَاشًا فَعَاثَتْهُ، وَنَامَتْ فِي عُيُونِي
تعلیق صدیقی الشاعر عمران القفینی: (هذا نفسه: بذلت لها المطارف والحشايا - فعافتها ونامت
في عظامي)، وتعلیقي أن بیت المتنبی أشهر من أن یرق، ولكن كان الزهاوي «استعان» بالكبير
العظيم

* * *

لَقَدْ جُرْنْتُ بِلَيْلِي فطابَ فيها جنوني
سَبروا... ارجِعُوا، عند ليلى لا تَذْكُرُونِي، اذْكُرُونِي

* * *

فِي حَبَّةِ الرَّمْلِ فَوْقَ الْأَرْضِ سَاكِنَةٌ مِنَ الْقُوَى مَا بِهِ الْأَطْوَادُ تَنْفَطِرُ
لَيْسَ الْقُوَى غَيْرَ بَعْضِ الْجِسْمِ قَدْ لَطَفًا وَالْجِسْمُ إِلَّا قُوَى مَجْمُوعَةٌ كَثْفًا
هذان البيتان يختصران النظرية الذرية الحديثة: الذرات مادة تتحول إلى طاقة تنفطر بها الأطواد،
تتحطم الجبال. فالقوى، أي الطاقة، هي مادة في الأصل. والمادة ليست سوى طاقة مجموعة
كثفاً، أي جماعات

* * *

إِنْ طِبْتُ طِبْتُ وَإِنْ هُنْتُ تَ، يَا عِرَاقُ، أَهْوَنُ
إِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ كَمَا تَكُونُ أَكْسَوْنُ

* * *

أَنَا يَا شِعْرُ كَرِيبٌ مَثَلَمَا أَنْتَ كَنِيبٌ
وَكِلَانَا أَهْلُ الشُّمِّ رُبِيفْدَادُ غَرِيبٌ

* * *

أَوْ مِنْ هَمٍّ نَظَّلَ النَّـ فَنُ فَيُو وَتَبِيبْتُ
لَا تَمُوتُ الشُّفْسُ بِالْهَمِّ وَلَا الْهَسْمُ بِمَمُوتُ

* * *

لَا تُطِلْ شِعْرَكَ وَابْذُلْ كُلَّ جَهْدٍ أَنْ تُجْبِدَ
رَبِّ بَيْتِ هُوَ إِنْ أَحـ سَنَنْتَ خَيْرٌ مِنْ قَصِيدَةٍ

* * *

إِنَّمَا الْمَرْأَةُ وَالْمَمَرُ سَوَاءٌ فَيَا السَّجْدَةَ

عَلَّمُوا الْمَرْأَةَ فَالْمَرْءُ أَقْدَمَنُوا الْحَضْرَةَ

* * *

يَرْفَعُ الشَّعْبَ قَرِيبًا نِ: إِنَّمَا وَذَكَوْرُ
وَمَلِ السَّطَوَاتِ إِلَّا بِجَنَاحِيهِ يَطِيرُ

* * *

أَضْحَبُ النَّاسَ وَمِنْهُمْ حَذَرِي مِثْلُ وَثُوقِي
كُلُّ إِنْسَانٍ عَدُوِّي، كَلُّ إِنْسَانٍ صَدِيقِي

* * *

لَا تَقِفْ فِي وَجْهِ لَدَا نِكَ مَكْنُوفِ الْبَيْدِي
أَنْتَ لَا تَأْتِي إِلَيَّ دُنَى بِكَ هَلْذِي مَرَّتَيْنِ

كان عباس العقاد يحب هذين البيتين للزهاوي

* * *

إِنَّ جِسْمَ الْمَرْءِ لِلرُّوحِ حِ التِّي فِيهِ يَفُوتُ
فَإِذَا مَا مَاتَ جِسْمُ الْـ حَرُّهُ فَالرُّوحُ تَمُوتُ

سيظل الزهاوي يكرر هذه المقولة، ومن مجمل شعره فالرجل «مادي» فلسفياً

* * *

الغَرْبُ يَلْقَاكَ مِنْ مَكَّةَ رِهِ بِوَجْهِ ظَلَمِي
يَا شَرْقُ لَا تَأْتِيَنِي فَالْغَرْبُ غَيْرُ صَدِيقِي

* * *

سَمِعْتُ كُلَّ قَدِيمٍ عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِي
إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْجَدِيدِ فَمَهَاتِ

* * *

إِنَّ الْحَقِيقَةَ تَأْبَى لِنَظْمِي أَنْ تَبْهِنَا

تئين: تظهر

إِذَا جَمَعْتُ شُكُوكِي فَلَا تُسَاوِي يَبْقِينَا
مجرد شكّي في أمور كثيرة لا يعني أنني وصلت إلى معرفة يقينية... صفر + صفر = صمراً

* * *

قَالُوا لِشَاحِرٍ مُضَرٍّ قَصِرَ الْإِمَارَةُ يُبْنَى

نَقَلْتُ: يَا أَهْلَ مُضَرٍّ، مِنْكُمْ أَمِيرٌ وَمِنَّا..

قال الزهاوي البيهني عندما نصب الناس أحد شوقي أميراً للشعراء، في حفل كبير عام ١٩٢٧، ويردد الزهاوي قول الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «مستم أمير ومنا أمير». وحذف الأمير الأخيرة اكتماء.. وظرف في هذين البيتين ما شاء له.. وانه القافية أي مواتاة

* * *

قَدْ مَدَحْتُ السَّيِّئِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا مَدَائِحِي

إِخْسِيسُهَا عَلَى ضَرُو رَزَّيْهَا مِنْ قَبَائِحِي

على ضرورتها: أي رغم أنها جاءت لضرورة. والمدح لا يأتي إلا لضرورة نفاقية. قد حسبناها من قبائحك، ولم نقطف منها شيئاً في مختاراتنا

* * *

إِرْتَجَلُ عَنْ بَلَدٍ أَنْتَ فِيهِ مُهْمَلٌ

إِنَّمَا الْخُرُّ إِذَا سِيَمَ خَشَفَ يَرْحَلُ

سيم خفياً: عُرض للذل

* * *

لَيْسَ تَرَقَّى الْأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتِ الْأُمَمَاتُ

أَخَّرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَسَمِ الْأَرَضِيِّ حِجَابٌ تَشْقَى بِهِ الْمُسْلِمَاتُ

* * *

إِنَّ الْخَيَالَ نِهَائِيَّةٌ فِي أُمَّةٍ لِسُكُونِهَا، وَيَدَاءَةُ الْحَرَكَاتِ

كُنَّا نَدُّمُ مِنَ الشُّعُوبِ خَيَالَهَا وَإِذَا الْخَيَالُ مُوَلَّدَ الرُّغَبَاتِ

مشكلة المدارس أنها تفتل في الطفل الخيال، لصالح الواقع، المدرسة تسعى لنحويلك إلى خروف اجتماعي يساهم في تثبيت الأحوال، والخيال يجعلك تسعى لتغيير الأحوال

* * *

لَقَدْ عَلِمْتُ، لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي، مِنْ طَوْلٍ مَا جِئْتُ قَبْلَ أَنْ أَدْرُسَ النَّاسَ..

أَنَّ الْجَمَاعَةَ دُونَ الْفَرْدِ مَعْرِفَةٌ وَفَوْقَهُ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ إِخْسَاسًا

* * *

ما زال للمرء من لذات عيشته رضى، وللمرء من آلامه برم

برم: صجر

لم يعرف المرء في كل الحياة سوى حقيقتين هما اللذات والألم

* * *

من اطمأن بدين كان يرخصه فليس يسمع تأنيب البراهين
وليس يقبل في دين معارضة إلا الذي هو في شك من الدين

في نظر الزهاوي فالدين فكرة ميطرة تستولي على الإنسان استيلاء، وتمنع سداً يمنع دخول فكرة أخرى. والمرء يصادف في حياته المتدين الذي يقبل أن يناقش في العقائد، والمتدين الذي يقبل أن يناقش في «المسح على الخفين» ثم يقف عندها. قلت: «المرء»، ولم أقل أنا، فأنا فرغت من مثل هذا النقاش منذ أن كنت في المرحلة الإعدادية، وأعددت نفسي لاستقبال المعلومات عن هذه الدنيا تاركاً الأخرى لصاحب الكون الجليل

* * *

إنها العادات لا يخلعها غير ذاك المارق المنطلي
قد تلقاها ثرائاً سيئاً أحق عن أحق عن أحق

* * *

قد استطاب فوق صد رهبا السهوى رقادة
مئخذاً لنفسه من ثديها وسادة

* * *

جملأ أبصر في حو مائة التراج أمس

حومانة الدراج: موضع تنهى به قدامى الشعراء

يتراءى كالغثيب الـ خرد، فاستضمرت نفسي

* * *

ليس يستطيع وإن جمد ابمن أوى أن يطبيرا
فل أن يملك ريشاً كافياً أو يستعيرا

ولماذا اخترت هذين البيتين؟ لا أدري. ربما لأنهما يعبران عن هذا الشاعر المهذار الذي لا يقدر بفرد دون أن ينظم شيئاً. لا يستطيع ابن أوى أن يطير.. لكن، لا تعجلوا.. بإمكانه الطيران إن امتلك الريش.. أو إن استعار ريشاً. بالله عليك يا جميل صدقي ما هذا؟ أرجوك! أرايتم كيف يمكن لعبث صراح أن يكون شعراً؟

* * *

رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ شَيْخاً قَدْ انْحَنَى بِأَضْطِرَابٍ
فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ، مَاذَا أَضَعْتُ؟ قَالَ: شِبَابِي
يَا سَلام!

٣ الجماعة الخشب

لَيْسَ تَسْتَجِثُّ حَيَا ةَ جَمَاعَةٍ خَشَبُ
مَمَشَرٌ إِذَا وَعَمَدُوا فِي كَلَامِهِمْ كَذَبُوا
أَوْ إِذَا بَمَسَدًا وَهَنَ مِنْ أَخٍ لَهُمْ وَلَبُوا

٤ ذهب السعادة

سَكُنْنَا حِينَ ذُمُّنَا وَعَابُوا وَإِنْ سَكَوْنَا عَنْهُمْ جَوَابُ
سَارْحَلُ جَاعِلًا بِغَدَادَ خَلْفِي فَمَا عَيْشِي بِهَا إِلَّا عَذَابُ
وَلَا أَرْجُو السَّعَادَةَ بَعْدَ شَيْبِي فَقَدْ ذَهَبَ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ

٥ الزهاوي يتمشى في دروب بغداد

لَقَدْ كُنْتُ فِي دَرْبٍ بِبَغْدَادَ مَاشِياً وَبَغْدَادُ فِيهَا لِلْمُشَاةِ دُرُوبُ
فَصَادَفْتُ شَيْخاً قَدْ حَنَى الدَّهْرُ ظَهْرَهُ لَهُ فَوْقَ مُسْتَنَ الطَّرِيقِ دَبِيبُ
مستن الطريق: أي الطريق المستن، أي المهد

عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَتْةٌ غَيْرُ أَنَهَا نِظَافٌ فَلَمْ تَذْنُرْ لَهُنَّ جُبُوبُ
نَدَس: تنسخ، جيب الثوب: فتحة العنق فيه

نَدُلُّ قُضُوبٌ فِي وَسْجِجِ جَبِينِهِ عَلَى أَنَّهُ بَيْنَ الشَّبُوحِ كَثِيبُ
يَسِيرُ الْهُوَيْنَا وَالْجَمَاهِيرُ خَلْفَهُ يَسْبُوتُهُ، وَالشَّيْخُ لَيْسَ يُجِيبُ
لَهُ وَفْعَةٌ يَفُوقُ بِهَا ثَمَّ شَهَقَةً تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
فَسَاءَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ مُجَابِبُ هُوَ «الْحَقُّ» جَاءَ الْيَوْمَ قَهْوُ غَرِيبُ
فَقُلْتُ لَهُ: «إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ»

تضمين لبيت امرئ القيس المشهور

٦ رسالة إلى الدمة

أَنْتِ مَا إِنَّ تُخَفِّفِينَ مُصَابِي دَمَعَتِي؛ فَارْجِعِي عَلَى الْأَعْقَابِ
أَنْتِ لَا تَدْفَعِينَ وَظَاءَةً شَيْبِي أَنْتِ لَا تُرْجِعِينَ عَهْدَ شَبَابِي
إِنَّمَا أَنْتِ قَطْرَةٌ سَتَبُلِّي سَنَ إِذَا مِلَّتْ بُقْعَةً مِنْ ثِيَابِي
يَا ابْنَةَ الْهَمِّ إِنَّ عُرْفَتَكَ الْقُلْدُ ب، فَلَا تَخْرُجِي إِلَى الْأَبْوَابِ
أَنَا لَمْ أَمَالِ الْعَيُونَ بُكَاءَ لَتَكُونِي عَنِ السُّؤَالِ جَوَابِي

٧ غروبها وشرقها

مَاذَا تُجِئُ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِثًا لَشُحُوبِهَا؟
مَا إِنَّ رَأَتْ عَيْنِي وَقَدْ رَاقَبْتُهَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا
إِنِّي لَيُخْرِئُنِي الْغُرُوبُ، فَلِئِنَّ لَمَذْكَرَ نَفْسِي بِكُلِّ كُرُوبِهَا

٨ ميت ابن موني

تَنَاسَيْتَ يَا إِنْسَانُ أَنْكَ مَيِّتٌ وَأَنْتَ مِنَ الْأَمْوَاتِ تَرْفَعُ أَبْيَانَا
الْإِنْسَانُ بَيْنِي يَوْمًا وَيَرْفَعُهَا، وَالتُّرَابُ الَّذِي يَسْتَعْدِمُهُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ رَفَاتِ الْبَشَرِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ
أَزْمَانٍ

وَتَمْشِي عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ وَتَأْكُلُ أَمْوَانًا وَتَلْبَسُ أَمْوَانَا
تَنَاسَلْتُ مِنْ أَمْوَاتِهَا ثُمَّ رُمْتُ أَنْ تَعِيشَ بِهَا عِشْرَ الْخُلُودِ وَفِيهَا نَا
وَأَنَّكَ فِي أَعْمَاقِ قَبْرِكَ لَا تَرَى وَجُوهًا، وَلَا فِي الْغَيْبِ تَسْمَعُ أَصْوَاتًا
وَلَسْتُ بِمَسْؤُولٍ إِذَا مَا سَكَنْتُهُ أَكُنْتُ عَبَدْتُ اللَّهَ قَبْلًا أَمْ اللَّاتَا
اللات: اسم من

٩ نهاية الحركات

تَبْكِي الشَّبَابَ عَلَى شَيْءٍ بٍ فِي الْحَفَائِرِ بَاتُوا
الشَّيْبُ: الشَّيْبُ الشَّائِبُونَ، الْحَفَائِرُ: الْقُبُورُ
وَالشَّيْبُ تَبْكِي شَبَابًا عَاشُوا قَلِيلًا وَمَاتُوا
إِلَى مَكُونٍ طَوِيلٍ سَتَنْتَهِي الْحَرَكَاتُ

يَرْدَى الصَّدِيقُ وَتَسْبِقُ مِنْ بَعْدِهِ الذِّكْرِيَّاتُ
يردى: يموت

١٠ ورقة الأسئلة

هَاتُوا اذْكُرُوا لِي هَاتُوا مَا هَذِهِ الْكَائِنَاتُ
مَا أَنْتَ، مَا أَنَا، مَاذَا وَجُودُنَا وَالْحَيَاةُ؟
وَمَا الْمَكَانَ، وَمَسَافَا مِنْ الْمَكَانِ السَّجْهَاتُ؟
مَا الْجِسْمُ، مَا الْجَذْبُ، مَاذَا الشُّ كَوْنٌ وَالْحَرَكَاتُ؟
وَمَا لِشَيْءٍ زَوَالٌ وَمَا لِشَيْءٍ ثَبَاتٌ
لا شيء يزول، بل يتحول إلى صورة أخرى، ولا شيء ثابت فالحركة أساس الكون

وَرَبِّمَا سَوْفَ تَسْتَسْعِلُ هَذِهِ السُّسُوكِلَاتُ
إِذَا تَفَكَّرْتُ كَانَتْ لَلشَّكِّ بِي وَخَرَاتُ
دَعِ السُّسُورَ فَمَا فَبِ لَكَ وَحَدِّكَ الْمَلَكَاتُ
بخطاب الإنسان: لست وحدك صاحب الملكات، أي المواهب والمهارات

إِنْ كُنْتَ طَيْرٌ فَقَدْ طَا رَثَ قَبْلَكَ السَّخَرَاتُ
أَوْ كُنْتَ حُفَّتْ فَقَدْ حَا صَتْ مِثْلَكَ السُّلْحَفَاتُ
الأكثر في اللغة السُّلْحَفَةُ بفتح اللام، وأورد تاج العروس السُّلْحَفَةُ كما أجاء الوزن الزهاوي إليها. يومن عمران القفني إلى أن هذه القميدة تناظر قصيدة «الطلاس» لأبيليا أبو ماضي، فهذه طلاس الزهاوي

١١ النهايات المتشابهة

سَجِدُ الْإِبْنَاءِ سَيَرَا لِدَارِ نَزَلَتْهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ
رُبُّ قَوْمٍ عَاشُوا بِأَمْنٍ زَمَاناً ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمُ السَّدَائِرَاتُ
وَقَبِيلٍ بَاتُوا جَمِيعاً بَلِيلٍ فَلِذَا هُمْ فِي صُبْحِهِ أَشْتَاتُ
قيل: قوم، جميعاً: مجتمعين

١٢ لن أسكت

إِنَّ هَذَا الْحِجَابَ قَبْرٌ كَثِيفٌ حَالٌ بَيْنَ الْفَتَاةِ وَالنِّسَمَاتِ

إِنْ هَذَا إِثْمٌ أَقْبَحُهُ، مَا جَاءَ حَصُّ عَلَيْهِ فِي الْآيَاتِ
أَيُّهَا الْمُسْكِتِي عَنِ الْقَوْلِ مَا أَنْتَ بِذِي قُدْرَةٍ عَلَى إِسْكَانِي

١٣ أسفل الدرجات

جَنَّةٌ عِنْدَ جَنَّةٍ عِنْدَ أُخْرَى هَكَذَا يَمْتَدِّدْنَ مُتَّصِلَاتِ
غَادَرَتْهَا أَيْدِي الْجَهَالَةِ قَفَرًا بَعْدَ تِلْكَ الرِّبَاضِ وَالْجَنَّاتِ
قهرًا: قاحلة غير مزروعة

مَنْ رَأَى الْأَرْضَ فِي الْعِرَاقِ مَوَاتًا ذَهَبَتْ مِنْهُ نَفْسُهُ خَسَرَاتٍ
وَانْتَهَتْ سُلْطَةُ الْبِلَادِ لِقَوْمٍ خُلِقُوا لِلرُّسَى وَلِلسَّرِقَاتِ
إِزْتَنَّتْ سُلْمَ التَّنْقِذِ نَاسٌ وَوَقَفْنَا فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ
فَخَرُّوا بِالْعِلْمِ إِذْ رَفَعْتُهُمْ وَقَحَرْنَا بِالْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ

١٤ سوف ثاني

يَرْجُو وَصَالَ الْخُورِ بَعْدَ لَدِ الْمَوْتِ قَوْمٌ بِالصَّلَاةِ
هَيْهَاتَ، لَيْسَ لِمَنْ بِهِ ثُودِي الْمَنِيَّةُ مِنْ حَيَاةِ
إِلَّا إِذَا أَتَتِ السَّقِيْبَا مَةً، وَهِيَ يَوْمًا سَوْفَ ثَانِي

١٥ الموت ميراثاً

أَخَذْتَنِي الْأَيَّامُ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَهِيَ مَدْفُوعَةٌ إِلَى إِخْدَانِي
أَخَذْتَنِي، وَبَعْدَمَا أَخَذْتَنِي أَلْبَسْتَنِي فَلَمْ تُطْلُ الْبَاسِي
أحدثني: أوجدتني، الباسي: إيقاني

إِنَّمَا الْمَوْتُ خَيْرٌ مَا خَلَقْتُهُ لِبَنِيهَا الْأَبَاءُ مِنْ مِيرَاثٍ

١٦ الامتزاج

نَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَهِيَ بِيضَاءُ تَبْهَجُ بِحَدِّهِ مَاءُ الصَّبَا يَتَمَوَّجُ
تبهج: تاللق. قال يريم التونسي: ليه يا بنفسج بتهج/ وابت زهر حزين

عَلَى صَدْرِهَا نَهْدَانِ قَامَا أَمَامَهَا وَمِنْ خَلْفِهَا أَرْدَافُهَا تَتَرَجَّرُجُ
بل «قاما» وقعدا بك يا جميل صديقي

وقد خَرَجْتُ مِنْ دَارِهَا لِلْبَيَانَةِ فَأَحَسَسْتُ مِنْهَا أَنَّ رُوحِي تَخْرُجُ

لبانة : حاجة

مَشَتْ وَمَشَى قَلْبِي الْمَتِيمُ خَلْفَهَا يُقْبِلُ آثَارَ الْخُطَى حَيْثُ تَنْهَجُ

تنهج : تسير في النهج أي الطريق

أُرِيدُ إِذَا قَابَلْتُهَا أَنْ أَبَيِّتُهَا غَرَامِي بِهَا، لِكِنِّي أَتَلْجَلِجُ

أتلجلج : أتلعثم

تَمَنَيْتُ يَا لَيْلَى، وَهَلْ تَنْفَعُ الْمَنَى لَوْ أَنَّ حَيَاتِي فِي حَيَاتِكَ تُنَزَّجُ

كان ابن الرومي، على صراحته، أعفَ إذ جعل الروحين يمتزجان

١٧ الفرار

بُتِّبْتُني حُبِّ بَغْدَادَ لَا زَمَ وَيَدْفَعُنِي شَوْقٌ إِلَى مِصْرَ مُشْتَدُّ

يطبطني : يقل عزمي ويحبطني

وَلَمْ تَكْ بَغْدَادَ سِوَى دَارِ كُورِي نَهَارِي فِيهَا مِثْلُ لَيْلِي مُسَوَّدُ

مَشَيْتُ إِلَى مِصْرَ أَسَارُ قَبْلَمَا طَرِيقِي إِلَى مِصْرَ الْجَمِيلَةِ يَنْسَدُ

شهد الزهاوي الدولة العثمانية شاباً فرجلاً وكانت إستانبول قبلته وورثته الثقافية، يهرب إليها من العراق ويمنع بالاقتراب من مركز الكون (بالنسبة إلى عربي يعيش في ظل الدولة العثمانية)؛ وفضاء تبخرت إستانبول من عالم الزهاوي. فأصبحت مصر بالنسبة إليه هي الجنة، وهي المهرب: فيها نشر شعره، وفيها لقي التكريم، وهي الملاذ. بعيداً عن بغداد وما يلقى فيها من عنت المتشددين في الدين، وما يعاني فيها من ضيق الأفق الثقافي

١٨ فرار الشيخ

جَعَلْتُ عَلَى سَيَارَةِ ذَاتِ سُرْعَةٍ إِلَى الشَّامِ أَطْوِي فَدَقْدَأُ ثُمَّ فَدَقْدَأُ

جعلت: بدأت، القفد: الأرض الخلاء

فَأَدْرَكْتُهَا مِنْ بَعْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمِنْهَا إِلَى بَيْرُوتَ قَدْ جِئْتُ مُوقَدًا

وَكُنْتُ بِبَغْدَادٍ أَكَايِدُ جَفْوَةً وَكَانَ يُسَمِّنِي بِهَا الْقَوْمُ مُلْجِدًا

وَقَالُوا لِي أَخَمَدُ فِي الْبِلَادِ هُمَامًا فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا هُمَاماً لِأَخَمَدَا

الهوام، بالمعنى القديم: الزعيم

إذا المرء رامَّ البُعدَ عن أرضي ذلَّةٍ فلا ينبغي للمرء أن يترددا
ولا خيرَ في غمٍّ خلا من حُسامِهِ ولا في حسامٍ ظلَّ بضداً مُغمداً
وإنِّي على شيخوختي وزمانتي أريدُ بشعري في الحياة التَّجُداً
زمانتي: مرضي المزمن

ولا خيرَ في شعري مضى اليومَ عهدُهُ وفي شاعري إن قال قال مُقلداً
وما شاعرُ العصرِ الجديدِ سوى الذي على دولة الشعرِ القديمِ نمرداً
هذا الزهاوي شيخاً. وكان شهد العز وارتقاء الحال أيام الدولة العثمانية، ثم جاء الإنجليز وجاء فيصل ملكاً على العراق فتملق الزهاوي بالعصر الجديد متأملاً أن يزداد رفعة، وتقرب من الحكم الجديد، ومات فيصل وأحسن الزهاوي بوطاة الشيخوخة، ووطاة الناس الذي ضجوا لأفكاره، فهو الآن شيخ يرم بالحياة. . يفر من بغداد إلى الشام وإلى مصر كأنه يفر من زمن لم يعد زمنه

١٩ الفيلسوف المؤمن!

ملأوا صدورَ الصُّخفِ جَفداً والحقُّ قد سَمَّوهُ نَفداً
قالوا دَخيلٌ في القَريبِ بضِ فَمَّا أَجَادَ ولا أَجَدَاً
قالوا صَغيرٌ لا يُعَدُّ مِنَ الفُحولِ ولن يُعَدَّ
ولهُ جَرائَةٌ فيلسو في يُومِيعُ الأديانَ جَحداً
كَذَبُوا فلأنِّي شاعرٌ وأدينُ بالإسلامِ جَدًّا
إنَّ الحُطوبَ نَزَلْنَ بي فترجَّني عَظماً وجِلداً

٢٠ اللامتاهي

لقد ضَجَّكَتْ فكان الصُّخُكُ ملءَ فَمِي مِن الذي قالَ إنَّ الكونَ محدودُ
ما الأرضُ بين شُوسٍ لا عِدادَ لها إلَّا حِصاةٌ حَوَالِئِهَا جَلاميدُ
جلاميد: صخور

وكم بها سُدماً تَمَتَّدُ واربعةً فيها النجومُ عناقيدُ عناقيدُ
السُّدَمُ، وواحدها سديم: الغيوم الكونية، مجموعات من الشمس تبدو كأنها غيوم

٢١ القيامة؟

ما لِلحياةِ وراءَ الموتِ تَجديدُ فلا يَقومُ مِنَ الأجداتِ مَلحدُ

فيها النهارُ كَلَيْلٍ لا صَبَاحَ له أما الليالي فَتَلْكُمُ كُلُّها سُودُ
القبرُ آخرُ بيتٍ لِلأَلَى هَلَكُوا والجحشُ في الهالكِ المَلْحُودِ مَفْقُودُ

٢٢ معاهدات

تُلْفَى معاهدةٌ وأخرى تُعَقَّدُ والشعبُ يُسْتَفْتَى لها، ويُهَدَّدُ
والشعبُ يُطْرِي لِلْجِهَالَةِ خِنْجَرًا في صدره عَمَّا قَرِيبٍ يُغْمَدُ
أَمَّا الزعيمُ فما تَحَرَّكَ، ذَائِدًا عن حَقِّهِمْ، مِنْهُ اللِّسَانُ ولا يَدُ

٢٣ قصيدة عتيقة

يُحَوَّلُ عنها العَيْنُ ثم يُعْبِلُهَا حِذَارَ حِدَى تَغْلِي عِلْبَ حُقُودِهَا
وَيُغْضِي خِلَالَ النَّظَرَيْنِ مُحَافِرًا رَقِيبًا لها، إِنْ لَمْ يَكُنْ يَكِيدُهَا
بداية غزلية ثم دخول في معنى آخر

تُنازَعُهُ حَوْضُ الْمَنِيِّ نَفْسُهُ فَتَطْلُبُ وَدَادَ عُنْتَهُ وَتَلُودُهَا
نفس الشاعر تنازعه حوض الموت طالبة وروده، ولكنه يلود نفسه ويصددها عن حوض الموت
إِذَا هِيَ مَاتَتْ مَاتَ كُلُّ هَمِيمِهَا وَأَقْلَعَ عَنْهَا نَحْسُهَا وَسُموذُهَا
إذا النفس ماتت انتهى كل شيء

سِوَاهُ عَلَى مَنْ بَاتَ فِي بَطْنِ حُفْرَةٍ رَهْمِ الْبَلَى بِيضُ اللَّيَالِي وَسُودُهَا
يَعِزُّ عَلَى عَيْنِي أَنْ تَنْظُرَا إِلَى بِلَادِ تَسْوَسُ النَّاسِ لَهَا قُرُودُهَا

٢٤ شوق إلى المجد

وَهُوَ الْعِرَاقُ يَسْوُونِي أَلَا يُرَى مُتَقَدِّمًا وَلِأَهْلِهِ اسْتِعْدَادُ
لَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْعِرَاقَ بِأَهْلِهِ يَسْمُو إِذَا أَهْلُ الْعِرَاقِ أَرَادُوا
يَغْلِي سُورِي كُلِّمَا فَكَّرْتُ فِي مَجْدٍ إِلَى بَغْدَادَ سَوْفَ يُعَادُ
شعور متوقع من ابن مدينة كانت عاصمة الدنيا ذات يوم. على أن المجد الزائل لا يعود، بل يخلق مجد جديد. ، إذا أراد الناس

٢٥ قيود الشعر

بِأَدَاثِ شُعُوبٍ لَا تَرِيدُ وَإِذَا أَرَادَتْ لَا تَبِيدُ
لا تريد: ليس عندها إرادة

لا النار تُوقِفُ ما أرا ذَنُ الشُّعوبِ ولا الحَدِيدُ
 العِزُّ في صِدْقِ العَزيزِ حمة، والشُّعوبُ كما تُريدُ
 والنَّاسُ إمَّا سادةٌ لَهُمُ الإرادةُ أو عبيدُ
 كلُّ الفَنونِ تَجِدَدَتْ والشُّعُرُ يُعَوِّزُهُ الجَدِيدُ
 ما قامَ حَتَّى أَثَقَلْتُ هُ مِنْ قَوافِيهِ القُيودُ
 وَضَعَ السَّوْرِي حَدًّا لَهُ والشُّعُرُ لَيْسَ لَهُ حَدودُ
 ما ضَرَّ سامِعَها لو اُخِرَ تَلَقَّتْ قَوافِيها القَصيدُ
 مَنْ كانَ يَنْظِمُ عَن شُعو رِ صادِقٍ فَهُوَ المُجِيدُ
 وفي أخريات حياته كتب الزهاوي قصائد مرسله القوافي، لكنه ظل حبيس الأسطر المتساوية،
 ويبتظر الشعر في العراق بعد الزهاوي عشرين سنة حتى يكسر شعراؤه قالب الشطرين المتساوين

٢٦ فلسفتي

حَبَّرْتُكَ الحِياةَ وَهِيَ لَعَمري لَيْسَ إِلَّا تَطَوُّراً فِي الجِمالِ
 فكرة فلسفية عميقة في نفس الزهاوي: الكائن الحي ليس شيئاً مختلفاً نوعياً، بل هو مادة تعقدت
 في تركيبها فشأت فيها «الحياة»

تَحْذُ النوعُ فِي السَّوْرِ لِلتَّعالِي سُلِّماً مِنْ جِمالِهمِ الأَفرادِ
 تغذ: اتَّخذ، أي أن أجيالاً تموت وتأتي أجيالاً ويتعاقبها يتطور الكائن

لَيْسَ مَنْ يَدْرُسُ الطَّبِيعَةَ بَحْثاً ثأً يَنجِ مِنْ تُهمَةٍ الإِلحادِ
 أَنْتَ يا عَقْلُ، فِي جَمِيعِ حِياتِي، سَنَدٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ اعْتِمادي
 قَدْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَكُونَ صَريحاً فَأَقولُ الَّذِي عَلَيهِ اعْتِقادي
 إِنْ تَكُنْ مِنِّي الصَّراحَةُ إِنْما فَهُوَ جِزءٌ مِنْمُمٌ لِجِهادِي
 فَقَدْ اخْتَرْتُ لِي جَهَنَّمَ مَثوًى وَتَرَكْتُ الجِسانَ لِلزُّهادِ
 أَنَا هَذا، وَلَسْتُ أَقوًى عَلَى تَغْ يَبِرُ نَفْسي يَوماً أَوْ اسْتِعْداي

٢٧ كفر وإيمان

سَبَقْتَنِي إِلَى المَقابِرِ مَوْتِي أَنَا فِي الرَاحِلِينَ غَيْرُ وَحيدِ
 مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَنامَ بِقَبْرِ لا يُبالِي طُولَ اللَّيالي السُّودِ

لَسْتُ أَدْرِي الْإِلْفَاءِ سَنَمُضِي بَعْدَ أَنَا نَمُوتُ أَمْ لِلْخُلُودِ
حُبًّا لَوْ حَظِيتُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي بِحَيَاتِي الَّتِي انْتَهَتْ مِنْ جَدِيدِ
إِنِّي فِي شَكٍّ وَإِنْ مَلَأُوا سَمْعَ عَمِي بِوَعْدِ يَرُوءَنَّهُ وَوَعِيدِ
لَا تَشُقُّ بِالْجُمْهُورِ يَا عَقْلُ يَوْمًا إِنَّ رَأْيَ الْجُمْهُورِ غَيْرُ سَدِيدِ
يَمُوتُ يَا نَفْسِي السَّمَاءَ فَإِنِّي لَا أَرَى فِي الثَّرَى طَرِيقَ الْخُلُودِ
أَنْتِ إِنْ تَعَزَمِي يَهْنُ كُلُّ صَغْبٍ لَا يَنَالُ الْمِرَادَ غَيْرُ الْمُتَرِيدِ
أَحْمَدُ الْبَارِئِ الَّذِي يَتَسَاوَى عِنْدَهُ إِيْمَانِي بِهِ وَجُحُودِي
قِيلَ إِنَّ الشَّهيدَ بِحَيَا لَدَى الرَّبِّ فَمَنْ ذَا فِي الْأَرْضِ غَيْرُ شَهِيدِ
كُلُّنَا مُؤْمِنٌ يَسْبُحُ لِلرَّحْمَنِ مَنِي فِي ظِلِّ عَرْشِهِ الْمَمْدُودِ
إِنِّي مَا سَجَدْتُ يَوْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ وَ، فَاللَّهِ وَحْدَهُ مَعْبُودِي

٢٨ العربية والحِصَان

لَيْسَ مِنَّا الْأَجْسَادُ بِالرُّوحِ تَحْيَا إِنَّمَا يَحْيَا الرُّوحُ بِالْأَجْسَادِ
أَنَا بِالشَّعْرِ وَحْدَهُ أَنْسَلَى إِنَّهُ كُلُّ طَارِفِي وَتِلَادِي
وَإِذَا وَاقَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلِي فَاحْفَرُوا حَفْرَةً لَهُ فِي فُؤَادِي

٢٩ زجاج المعري

بَعْدَ أَنِّي أَمُوتُ قُلْ يَدْفِنُوا بِي إِلَى سَقَرِ
لَا تُؤْمَلُ تَسْجِسُودًا لِسُزْجَسَاجٍ قَبْدِ انْكَسَرِ
أَتَرَى الْمَرْوَحَ بِأَقْبَا بَعْدَ جَسَمٍ لَهُ ذَكْرُ
قال المعري: يعطنا رب الزمان كائنًا/زجاج ولكن لا يماد له سبك

٣٠ درجات الهيام

أَوَّلُ الْحُبِّ فِي الْقُلُوبِ شَرَارَةٌ نَخْتَفِي تَارَةً وَتُظْهِرُ تَارَةً
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ حَرِيقًا فِيهِ هُلُكٌ لِأَهْلِهِ وَخَسَارَةٌ
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يُمَثَّلَ بُرْكَاءَ نَأْ يَرَى النَّاسُ مِنْ بَعِيدِ تَارَةً
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ جَحِيمًا عَنْ تَفَاصِيلِهَا تَضِيقُ الْعِبَارَةَ

٣١ سياسة وشعر

عَامِلَ النَّاسِ بِالْعَدَالَةِ وَالظُّلْمَ سَمِ فِكَائُوا يَلْقَوْنَ نُوراً وَنَاراً
يتحدث عن الوالي العثماني المنصرف

جَرَّ عِزّاً إِلَى الْعِرَاقِ وَذُلّاً وَحَيَاةَ لِأَهْلِهِ وَبَوَاراً
وَأَصَارَ النَّهَارَ لَيْلاً بَهِيماً وَأَصَارَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَاراً
جعل النهار ليلاً بظلمه، ولكنه اهتم بالمرافق العامة فأثار الشوارع ليلاً

أَفْقَرَ الْقَوْمَ بِالْمِرَاقِ، وَأَغْنَى وَسَّعَ الطَّرِيقَ، ضَبَّقَ الْأَفْكَارَ
إِخْتَفَى عَنْ قَوْمٍ وَخَالَطَ قَوْمًا فَأَرَى النَّاسَ خَفَّةً وَوَقَاراً
أَخَضَعَ النَّاسَ، نَقَذَ الْحُكْمَ فِيهِمْ، وَطَدَّ الْأَمْنَ، أَرْخَصَ الْأَسْمَارَ
عَرَّبَ الْأَبْرِيَاءَ، بَثَّ الْجَوَاسِيَّ سَسَّ عَلَى النَّاسِ، أَسْعَفَ الْمُجَارَ
مَقَّتَ الْعِلْمَ سَاخِراً مِنْ ذَوِيهِ بَلَّرَ الْمَالَ، جَرَّ الْأَشْرَارَ
قَالَ لِلنَّاسِ إِنَّمَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنُنَا، ثُمَّ إِنَّهُ مَا اسْتَشَارَا
أَيُّهَا الْمُسْتَبِيدُ بِالْأَمْرِ إِيهَآ لَا تَحَارِبْ بِظُلْمِكَ الْأَحْرَارَا

إيه: كلمة لا معنى لها

إِنْ شَمَسَ الدِّسْتُورُ لِلْقَوْمِ لِاحْتِ فَأَضَاءَتْ بِشُورِهَا الْأَبْصَارَا
أيها الوالي العثماني... لقد جاء دستور ١٩٠٨، فأضاء الطريق

قَدْ مَشَاهَا خُطًىي تَعَثَّرَ فِيهَا لَا أَقَالَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ الْعِشَارَا
لَمْ يَكُنْ مَجْلِسُ الْإِدَارَةِ إِلَّا أَلَّةٌ فِي يَدَيْهِ تُمَضِّي الْقَرَارَا
إِنْ فِي مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ عُضْوًا حَيْثُمَا دَارَتْ الزَّجَاجَةُ دَارَا
رَبِّ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ بِبَغْدَا ذَكَرْتُ، وَقَدْ أَتَوْا أَضْرَارَا
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ فَنَمَادَوْا وَأَصْرُوا، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارَا
إِنِّي وَالْهَزَارَ قَرَعَانِ مِنْ أَصْـ لِي كِلَانَا قَدْ مَارَسَ الْأَشْمَارَا

الهزار: عصفور مفرد

وَكِلَانَا بَثَّ الصَّبَابَةَ إِلَّا أَنَّنِي قَدْ صَرَّحْتُ وَهَوَّ أَشَارَا
وَكِلَانَا أَجَادَ نَظْمَ الْقَوَافِي غَيْرَ أَنَّنِي قَدْ فُقْتُ فِيهَا الْهَزَارَا

أنا قد طُرْتُ في سماء المعاني وَفَوْ فِي جَوِّ رَوْضَةٍ قَدْ طَارَا
وجناحُ الهَزَارِ وَيَشْنَ قَلِيلٌ وجناحي فِكْرِي الَّذِي لَا يُجَارَى
أَعَشَقُ الزَّهْرَ فِي السَّمَاءِ فَأَشْدُو وَفَوْ فِي الْأَرْضِ يَعَشَقُ الْأَزْهَارَا

الزهر: النجوم اللامعة

هُوَ فِي نَظْمِهِ يَقْلُدُ طَيْرًا سَبَقَنَّهُ وَإِنَّ فِيَّ ابْنِكَارَا
بَصِيفَ الْحُبِّ وَحَدَهْ، ثُمَّ إِنِّي أَصِيفُ النَّاسَ وَالْهَوَى وَالْديَارَا
وَقُصَارَى أَنْغَايِهِ الْوَجْدُ، أَمَّا نَغْمَاتِي فَمَا لَهَا هُنَّ قُصَارَى
إِنَّهُ شَاعِرٌ بِكِسْرٍ مَا قَا لَ، وَإِنِّي لَا أَخْخَدُ الشُّكْرَارَا
شِعْرُهُ فِي الْحَيَاةِ وَقَفَّ عَلَيْهِ فَهَوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ أَوْ بَارَ بَارَا

بار: هلك

وَقَرِيفِي يَعْيشُ بِعَمْدِي طَوِيلًا وَيَسْجُوهُ السَّبَلَادُ وَالْأَمْصَارَا
إيه، يا جميل صدقي - وإيه كلمة لا معنى لها، هي تسليك حنجرة - إيه، قد والله عاش شعرك
بعذك. هذا كلام فصيح غاية الفصاحة، جار على سنن العربية اللطيف جري، دونما إغراب. ما
أجهل من تفتته سهولة الزهاوي عن فصاحته!

٣٢ ثورة في الجحيم

هذه القصيدة تعد ٤٣٣ بيتاً وفيها يقص الزهاوي كيف مات وكيف حوسب، واقتطفنا
منها أبياتاً تحكي القصة ويقدر من التفاصيل. نشرها الزهاوي عام ١٩٣١، وقبل إن
الملك فيصل ملك العراق أنه عليها، فرد الزهاوي: هجرت عن إشعال ثورة في
الأرض فأشعلتها في السماء:

بعد أن مُتُّ واحتواني الحَفِيرُ جاءني يَبْلُو مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ

يلو: يمتحن

مَلَكًا اسْطَاعَا الظُّهُورَ، وَلَا أَد رِي لِمَاذَا وَكَيْفَ كَانَ الظُّهُورُ
وَلِكُلِّ أَنْفٍ غَلِيظٌ طَوِيلٌ هُوَ كَالْقَرْنِ بِالنُّطَاحِ جَدِيرُ
كَنتُ فِي رَقْدَةٍ بِقَبْرِي إِلَى أَنْ أَيْقَظَانِي مِنْهَا، وَعَادَ الشُّعُورُ
أَتْبَا لِلسُّؤَالِ فَظَّنَّ، حَيْثُ الـ حَمَيْتُ بَعْدَ اسْتِيقَاطِهِ مَذْعُورُ .
عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَتَاهَا يَوْمَ، فِي الْأَرْضِ، كَانَ حَيًّا يَسِيرُ

صَبِيحَةً نَحْتَ الْأَرْضِ ثُمَّ جَوَّارٌ
وَاقِفًا لِي كَأَنَّمَا هُوَ نَسْرٌ
قَالَ مَنْ أَنْتَ، وَهُوَ يَنْظُرُ شَرْرًا
قَالَ مَاذَا أَتَيْتَ إِذْ كُنْتَ حَيًّا
قَالَ مَا دِينُكَ الَّذِي كُنْتَ فِي الدِّنِ
قُلْتُ كَانَ الْإِسْلَامُ دِينِي فِيهَا
قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي عِبَدْتَ فَقُلْتُ اللَّهَ
قَالَ هَلَّا كَسَبْتَ خَيْرَ الْمَعَاصِي
كَانَ إِلَهِي أَنِّي إِذَا سَأَلُونِي
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَلَيْكَ رَأْيِي
رُبَّ أَمْرٍ يَقُولُ فِي شَأْنِهِ الْعَدُوُّ
قَالَ هَلْ صَدَّقْتَ النَّبِيِّينَ فِيمَا
وَالْكِتَابَ الَّذِي مِنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ
قُلْتُ فِي خَشْيَةٍ: بَلَى، وَقُوَادِي
شُعَاع: دَمٌ مَشْتَرَكٌ لَعَلَّهُ يَقْعُدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقًا دَمَهُ؟

بَيْنَ أَقْسَامِنَا وَبَيْنِي يَدُورُ
وَكَأَنِّي أَمَامَهُ عَصْفُورُ
قُلْتُ: شَيْخٌ فِي لَحْدِهِ مَقْبُورُ
قُلْتُ: كُلُّ الَّذِي أَتَيْتُ حَقِيرُ
يَا عَلَيْهِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرُ
وَهُوَ دِينٌ بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
لَهُ رَبِّي، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
قُلْتُ إِنْ لَمْ أَكْسِبْ قَرَّبِي غَفُورُ
لَمْ أَقُلْ مَا يَقُولُهُ الْجُمْهُورُ
لِي أَقْضِي بِهِ فَلَا أَسْتَعِيرُ
لَمْ تَقْبِضْ الَّذِي يَقُولُ الضَّمِيرُ
بَلَّغُوهُ وَلَمْ يَمُثِّكِ الْغُرُورُ
أَمْ، فَأَذَلِّي بِهِ الْبَشِيرُ النُّذِيرُ
مِنْ شُعَاعٍ بِهِ يَكَادُ يَطِيرُ

إِنَّهُ مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ يَهْدِي النَّاسَ
قَالَ: هَلْ كُنْتَ لِلصَّلَاةِ مُقِيمًا؟
إِنَّمَا فِي افْتِرَاءِ خُورٍ جِسَانٍ
قَالَ هَلْ كُنْتَ قَائِلًا بِنُشُورٍ؟
فَإِذَا شَاءَ لِلْعِبَادِ نُشُورًا
قَالَ مَاذَا تَقُولُ فِي الْحَشْرِ وَالْمِيبِ
وَالسُّؤَالِ الدَّقِيقِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
قُلْتُ مَهْلًا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُلْدُ

الملحف: الملح

كَانَ إِيمَانِي فِي شَبَابِي جَمًّا
مَا بِهِ نَزْرَةٌ وَلَا تَقْصِيرُ
نَزْرَةٌ: قَلَّةٌ

غَيْرَ أَنْ الشُّكُوكَ هَبَّتْ تُلَاحِيهِ نِي، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ مِنِّي الشُّعُورُ

تلاحييني: تتجاذبني

ثُمَّ عَادَ الْإِيْمَانُ يَقْوَى إِلَى أَنْ سَلَّ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ الْغُرُورُ

ثُمَّ آمَنْتُ ثُمَّ أَلْحَنْتُ حَتَّى قَبِلَ هَذَا مُذَبْذَبٌ مَسْرُورُ

ممرور: ملثا، به شيء من اكتاب جنوني

ثُمَّ إِنِّي فِي الْوَقْتِ هَذَا لِيَخُوفِي لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا اعْتَقَادِي الْآخِرُ؟

لَمْ يَرِنِّي أَمْرُ الصُّرَاطِ مُقَاماً فَوْقَ وَادٍ مِنَ الْجَحِيمِ يَفُورُ

غَيْرَ أَنِّي أَجِلُّ رَبِّي مِنْ إِنْ بَيَانِ مَا يَأْبَاهُ الْحِجَا وَالضَّمِيرُ

فَإِذَا صَحَّ أَنَّهُ كِفَارِ السَّيِّفِ أَوْ شَعْرَةٍ، فَكَيْفَ الْعُبُورُ؟

غرار السيف: حده

وَلَعَلَّ الَّذِينَ صَحَّحُوا بِأَكْبَا شِ، عَلَيْهِمْ بِهَا يَهُونُ الْمُرُورُ

بها: أي بسبب تلك الأكباش التي صححوا بها في دنياهم سيهون عليهم المرور على الصراط

أَنَا لَوْ كُنْتُ بِالْبَعِيرِ أَضْحَى سَارَ بِي مُرْقِلاً عَلَيْهِ الْبَعِيرُ

مرقلاً: مسرعاً. عليه: أي على الصراط

قَالَ مَاذَا رَأَيْتَ فِي الْجَنِّ قَبْلًا وَبَيْنَ الْجَنِّ صَالِحٍ وَشَرِيرٍ

ثُمَّ فِي جِبْرِيلَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ اللَّـ قُلْتُ لَلَّوْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَر

غَيْرَ أَنِّي أَرْنَابُ فِي كُلِّ مَا قَدْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ مِنْ عَقْلٍ كَلَّا-

قَالَ هَلْ فِي السُّفُورِ نَفْعٌ يُرْجَى قُلْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحِجَابِ السُّفُورُ

إِنَّمَا فِي الْحِجَابِ شَلٌّ لِيَشْعِبَ وَخَفَاءٌ، وَفِي السُّفُورِ ظُهُورُ

كَيْفَ يَسْمُو إِلَى الْخَضَارَةِ شَعْبٌ مِنْهُ نِصْفٌ عَنْ نِصْفِهِ مَسْتُورُ؟

لَيْسَ يَأْتِي شَعْبٌ جَلَائِلَ مَا لَمْ تَمْتَقِدْ مِنْ إِنْسَانُهُ وَالذِّكُورُ

جلائل: أعمال جليلة

قَالَ هَلْ فِي الْإِلَهِ هُنْدَكَ شَأْنُ؟ قُلْتُ لَا، وَالَّذِي إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

إِنَّمَا هَذِهِ الطَّبِيعَةُ ذَاتُ الْإِنْفِاسِ
 إِن هَذَا مَا قَدْ تَلَقَّيْنَاهُ وَالْقَلْبُ مِنْ شَكْوَى يَكَادُ يَخُورُ
 يَخُورُ: يَضَعُ

وَأَرَى فِي الصُّفَاتِ مَا هُوَ لِلَّهِ
 مِنَ التَّصْغِيرِ لِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ نَصْفَهُ بِصِفَاتٍ نَسْتَعْمِلُهَا مِنْ بَيْنِنَا

مَا عِقَابِي مِنْ بَعْدِ مَا صَحَّ نَقْلًا
 مَا وَجَّهَ مَعَانِي بَعْدَ أَنْ صَحَّ مَا نَقَلَ عَنِ السَّلَفِ مِنْ أَنَّ كُلَّ أَعْمَالِي مُقَدَّرَةٌ سَلَفًا، وَلَيْسَ لِي فِيهَا
 اخْتِيَارٌ؟

وَإِذَا كَانَ مِنْهُ كُفْرِي وَإِيْمَا
 أَمِنْ الْحَقِّ خَلَقْتُ إِبْلِيسَ وَهُوَ الْخَلْقُ
 قَالَ إِنِّي أَرَى بِخُلُقِكَ تَضَعِبُ
 النَّصِيرُ: إِيمَالَةُ الْغَدَاةِ كِتَابَةً عَنِ التَّكْبِيرِ

قُلْتُ مَنْ مَاتَ لَا يُصْعَقُ خَدًّا
 لَيْسَ بِالمَوْتِ يَخْلُقُ التَّضَعِيبُ
 يَخْلُقُ: يَجْلِدُ

إِنِّي أَخْشَى الظَّالِمِينَ فَلَا أَفْ
 لَا تَكُونَا عَلَيَّ فَظْنِي فِي قَبْرِ
 إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ الْمُرَاجِ عَلَى الْأَحَدِ
 الْخَالِصُ الْعَاقِبِي

قَدَعَانِي فِي حُفْرَتِي مُسْتَرِيحًا
 إِنَّمَا قَدْ سَأَلْتُهَا عَنْ أُمُورٍ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ ضَمِيرِي
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ جِهَادِي
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ وَفَائِي
 وَسَلَانِي عَمَّا نَظَّمْتُ مِنَ الشَّعْرِ
 وَسَلَانِي عَنْ جَعَلِي الصَّدَقَ كَالصَّخْرِ
 أَسْكُرْتُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ حَقٌّ
 أَنَا مِنْ ضَوْضَاءِ الْحَيَاةِ نَفُورُ
 هِيَ لَيْسَتْ تُغْنِي وَلَيْسَتْ تُضِيرُ
 وَالْفَتَى مَنْ يَعْرِفُ مِنْهُ الضَّمِيرُ
 فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَهُوَ شَهِيرُ
 وَوَفَائِي لِمَنْ صَحَبْتُ كَثِيرُ
 رِيَّ، فَبِالشَّعْرِ يَرْتَقِي الْجُمْهُورُ
 رِيَّ أَسَاسًا تُبْنَى عَلَيْهِ الْأُمُورُ
 وَسُؤَالٌ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ زُورُ؟

قَالَ كُلُّ الذِّي عَرَضَتْ عَلَيْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْهَيْمُ شَيْءٌ حَقِيرٌ

الشيخ الهيم: الممن الضعيف

نَحْنُ لَنَا بِسَائِلِينَ يَوِي مَا قُلْتُ مَا لِي بِكُلِّ ذَلِكَ عِلْمٌ
كُنْتُ حَيًّا فَمُتُّ، وَالْمَوْتُ حَقٌّ كُنْتُ فَوْقَ الثَّرَابِ بِالْأَمْسِ أَمْشِي
قَالَ مَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِلَّا لَمْ تَلَانِي لِلْجَبِينِ وَقَالَ
كَانَ حَوْلَ الدِّينِ الْمُبِينِ يَدُورُ فَيَجْخَدِي عَقْلِي عَلَيَّ يُشِيرُ
شَاهِدَاتٍ بِمَا هُنَاكَ الْقُبُورُ وَأَنَا الْيَوْمَ تَحْتَهُ مَقْبُورُ
مُنْجِدٌ قَدْ صَلَّ السَّبِيلَ، كَفُورُ لِي: ذُقْ أَنْتَ الْفَيْلَسُوفُ الْكَبِيرُ
تَلَانِي لِلْجَبِينِ: أَلْقَانِي أَرْضاً

قُلْتُ صَفْحاً فَكُلُّ فِلَسْفَتِي قَدْ لَمْ تَكُنْ أَقْوَالِي الْجَمْرِيَّةُ إِلَّا
أَقْوَالِي الْجَرِيَّةُ كَانَ نَفَثَاتٍ، بِصَقَاتٍ بَلْغَمٍ، يَرْمِي بِهَا الْمَصْدُورُ، الْمَصَابِ بَدَاءُ فِي صَدْرِهِ، فَهُوَ
يَرْمِي بِالْبَلْغَمِ فَيَسْتَرِيحُ قَلِيلاً

فَأَجَابَنِي قَائِلِينَ بِصَوْتٍ لَا يَسُرُّ الْأَسْمَاعَ مِنْهُ الْهَدِيرُ
ثُمَّ صَبَّأَ بِمَقْسُورَةٍ فَوْقَ رَأْسِي قَطْرَاناً لِسُوءِ حَظِّي بِمَقُورُ
القطران: الزفت، مستخرجاً من نَفْطٍ أَوْ مِنْ نَحْمٍ

فَنَسَوَى رَأْسِي ثُمَّ وَجَّهَنِي حَتَّى ثَم طَارَا بِي فِي الْفَضَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ
وَأَسْرَأَ فِي أُذُنِي «رِضْوَانٌ» شَيْئاً بَانَ، مِثْلَ الْمَجْدُورِ، فِيهِ بُثُورُ
مَوْحِي يُغْرِي بِأَلْوَمِي الضُّمِيرُ فَبَابَاخَ الْجَوَارِ وَهُوَ عَسِيرُ
رِضْوَانٌ: حَارِسُ الْجَنَّةِ

لَمَسْتُ، إِذْ دَخَلْتُهَا، الْوَجَةَ مِنِّي جَنَّةً عَرَضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
فَسَطَعَامٌ لِالْكَالِينَ لَمِيذٌ سَمَكٌ مَقْلِيٌّ وَطَيْرٌ شَوِيٌّ
وَعَلَى أَرْضِهَا زَرَائِي قَدْ بُشِّرُ نَفْحَةً فَاحٍ عِطْرُهَا وَالْعَبِيرُ
خَضُّ بِهَا مِنْ شَتَّى النِّعَمِ الْكَثِيرُ وَشَرَابٌ لِسُلْشَارِيْنَ طُهُورُ
وَلَمِيذٌ مِنَ الشَّرَابِ الطُّبُورُ ثَ حِسَانٌ كَأَنَّهُنَّ زُهُورُ
زَرَائِي: سَجَائِدُ

وعليها أَسِرَّةٌ وفراشٌ، مثلما يَهْوَى المؤمنونَ، ونَبْرُ
وعلى نَلَكُمُ الأَسِرَّةُ حُورٌ في حُلِيِّ لها، ونَعَمَ الحُورُ
ليسَ يَخْشَيْنَ في المَجَانَّةِ عَاراً وإنِ امْتَرَزَ تَحْتَهُنَّ السَّرِيرُ
وكانَ الولدانَ حينَ يَطُوفو نَ على القومِ لؤلؤُ مَنْشُورُ
إِلَيْ ما شِئْتَهُ ولا تَخْشَ بأساً لا حَرَامَ فيها ولا مَحْظُورُ
فإذا ما اشْتَهَيْتَ طَيِّراً هَوَى مِنْ غُضْنِهِ مَشُوباً وجاءَ يَزُورُ
وإذا رُمْتَ أن يَحُولَ لَكَ الثَّيْبُ نَ دَجَاجاً أَنى إِلَيْكَ يَطِيرُ
لو قال حماماً أو إوزاً لكان الطيران معقولاً، فأما الدجاج الذي يطير فهو . . لا علينا، ربما كان
دجاج الجنة كذلك

أو إذا شئتَ أن يصيرَ لَكَ الحَصْرُ جاءَ دُرّاً فإنَّه لَيَصْصَبِرُ
ولقد رُمْتَ شَرِبَةً مِنْ نَمِيرٍ فَتَيَمَّمْتُهُ فَفَرَّ النَّمِيرُ
النمر: الماء العذب

وَتَذَكَّرْتُ أَنِّي رَجُلٌ جِي ءِ بِوَ كِي يُرَاعَ مِنْهُ الشُّعُورُ
قلتُ عوداً مِنْ حيثُ قد جِئْتُمَا بِي إِنَّمَا هَذِهِ لِهَمِّي تُشِيرُ
أَخْرَجَانِي مِنْهَا وَشَدًّا وَثَاقِي يَنْسُوعُ كَمَا يُشَدُّ البَعِيرُ
نسوع: أحزمة من جلد

ثم قَامَا قَدْلَيَانِي ثَلَاثاً فِي صَمِيمِ الجَحِيمِ وَهِيَ تَفُورُ
ثلاثاً: ثلاث مرات، أو ربما ثلاث قامات . . أي بقدر طول الرجل ثلاث مرات

وأخيراً في جوفِها قَذَا بِي مثلما يُقَذَّفُ المَتَاعُ الحَفِيرُ
رَبِّي اضْرَفَ عَنِّي العَذَابَ فَإِنِّي إِن أَكُنْ خَاطِئاً، فَأَنْتَ الغَفُورُ
وأشدُّ العذاب ما كان في الها وَبِةِ السُّفْلَى، حيثُ يَطْعَى السَّعِيرُ
حيثُ لا يَنْصُرُ الهَضِيمُ أَخُوهُ حيثُ لا يُنَجِدُ العَشِيرَ العَشِيرُ
الهضيم: الضعيف المهزول، العشير: الصاحب

الطَّعَامُ الزَّقُّومُ فِي كُلِّ يَوْمٍ والشَّرَابُ اليَخْمُومُ واليَخْمُورُ
اليخوم: الأسود، اليخمر: الأحمر

ولقد يُسْقَى الطَّالِثُونَ عَصيراً هُوَ مِنْ حَنْظَلٍ وَمَاءِ العَصِيرُ

يَضْرَعُ الْمُجْرِمُونَ فِيهَا عِطَاشاً وَالضَّرَاعَاتُ مَا لَهَا تَائِبِرُ
وَلَهُمْ مِنْ غَنِيظٍ تَأَجَّجَ فِيهِمْ نَظَرَاتُ شَرَارِهَا مُسْتَطَبِرُ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ الْفَرَزْدَقَ يَضُوءاً يَسْتَلَوِي وَوَجْهُهُ مَغْضُورُ
نضوا: مهزولاً

وَالِى جَنْبِهِ، يِقَاسِي اللَّطَى الْأَخْرَاطُ مُسْتَعْبِرُ
مستعبراً: باكياً

قُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا دَهَانَا مِنْ وَرَاءِ السَّهَجَاءِ ضُرٌّ كَثِيرُ
وَلَقَدْ كَانَ آخَرُونَ خَوَالِبَ هُمْ جُنُوماً وَكُلُّهُمْ مَوْتُورُ
كانوا جنوماً: كانوا جائعين، موتور: شاعر بظلم وطالب للثأر

مِنْهُمْ الْعَالِمُ الْكَبِيرُ وَرَبُّ الْفَنِّ وَالْفِيلَسُوفُ وَالشُّعْرِيرُ
التحرير: المتبحر في علمه

لَمْ أَشَاهِدْ، بَعْدَ التَّلَاقِ، فِيهَا جَاهِلاً لَيْسَ عِنْدَهُ تَفْكِيرُ
ثُمَّ حَيَّانِي أَحْمَدُ الْمُنْتَبِي وَالْمَعْرِي الشَّيْخُ، وَهُوَ ضَرِيرُ
وَلَقَدْ كَادَ يَخْنُقُ الْغَبِظُ بَشًّا رَأَى، وَفِي وَجْهِهِ الدَّمِيمُ بُشُورُ
وَلَيْسَ لَهُمْ أَبُو نُوَّاسٍ كَتِيباً وَهُوَ ذَاكَ الْمُنْرَاحَةُ السُّكْبِيرُ
مِثْلُهُ الْخِيَامُ الْعَظِيمُ، وَدَنْتِي وَإِمَامُ الْقُرَيْشِ شَاكِنْبِيرُ
وَلَقَدْ كَانَ لَامِرِي الْقَيْسِ بَيْنَ الْقَوْمِ صَنْدَرُ، وَلِلْمُلُوكِ الشُّدُورُ
قُلْتُ مَاذَا بِكُمْ؟ فَقَالُوا لَقِينَا مِنْ جَمَزَاءٍ مَا لَا يُطَبِّقُ لَبِيرُ
ثبير: جبل في بلاد العرب كبير

إِنَّا كُنَّا نَسْتَخِفُّ بِأَمْرِ الدَّيْنِ بَيْنَ فِى شَعْرِنَا، فَسَاءَ الْمَصِيرُ
ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُ سُقْرَاطَ يُلْقِي خُطْبَةً فِي الْجَحِيمِ، وَهِيَ نَفُورُ
وَالِى جَنْبِهِ، عَلَى النَّارِ، أَقْلَا طُورُنْ يُصْغِي كَأَنَّهُ مَسْرُورُ
وَأَرِسْتَطَالِيسُ الْكَبِيرُ وَقَدْ أَغْدَ رَقَى مِنْهُ الْمَشَاعِيرُ التَّفْكِيرُ
ثُمَّ كُوْبَرْنِيكَ الَّذِي كَانَ قَدْ أَقْدَ هَمَمْنَا أَنَّ الْأَرْضَ جِزْمٌ يَدُورُ
تَتَّبَعُ الشَّمْسُ أَيْنَمَا هِيَ سَارَتْ وَعَلَيْهَا مِثْلُ الْقَرَّاشِ تَطُورُ
تطور: تحوم

ثُمَّ دَرَوَيْنَ وَهَوَ مَنْ قَالَ إِنَّا
وَنُيُوتُونَ الْحَبِيرُ ثُمَّ رَنَانُ
وَزَرَادَشْتُ نَسَمَ مَزْدَكُ يَأْتِي
وَالْحَكِيمُ الْكِندِيُّ ثُمَّ ابْنُ سِينَا
نَسْلُ قَرِيذٍ قَضَتْ عَلَيْهِ الدُّهُورُ
ثُمَّ رُوشُو وَمِثْلُهُ فُؤَلَتِيِيرُ
وَجُصْمُوعُ إِمَامُهُمْ أَبُقُورُ
وَابْنُ رُشْدٍ، وَهَوَ الْحَمِيَّ الْجَسُورُ
الحفي: العالم المستضي

كَانَ سُفْرَاطُ أَتَبَتِ الْقَوْمَ جَاشَأُ
قَالَ، مِنْ بَعْدِهِ شَرْحُهُ مَنَشَأُ النَّا
قَهْوَهُ عَزَمَ قَانَتِي لَا يَخْشُورُ
ر، وَفِي قَوْلِهِ إِلَيْهَا يُشِيرُ
كَانَ يشرح منشأ النار، وهو بشر يده نحوها

سَوْفَ يَفْضِي فِينَا التَّطَوُّرُ أَنْ نَعُدَّ
إِنْ فِي ذَا الْوَادِي السَّحِيْقُ عُيُونًا
وَلَقَدْ تَنْصِبُ الْعَيُونُ، فَلَا نَا
مَكُتُوا حَتَّى جَاءَ مِنْهُمْ حَكِيمُ
أَلَّةٌ تُطْفِئُ السَّمِيرَ إِذَا شَا
وَلَقَدْ قَامَ فِي الْأَخِيرِ قَتْنِي يَخْ
قَالَ يَا قَوْمَنَا جَهَنَّمَ قَصَمْتُ
قَالَ يَا قَوْمَنَا أَرَى الْأَمْرَ مِنْ شُرُ
أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي جَهَنَّمَ أَشْرَى
أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْأَكْثَرُونَ وَأَمَّا
فَعَلَا مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ ضَجِيجُ
وَيَ عَلَيْهِمَا، وَأَنْ تَهْوَنَ الْأُمُورُ
نَرَّةٌ لِلْبِشْرُولِ، مِنْهَا يَفُورُ
رَّ وَلَا سَاعِرٌ وَلَا مَسْمُورُ
بَاخِرِجَاعٍ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الدُّهُورُ
فَلَا تُحْرِقِ الْجِسْمَ السَّمِيرُ
طُبُ فِيهِمْ، وَالصَّوْتُ مِنْهُ جَهْورُ
بِالْأَلَى يُظْلَمُونَ مِنْكُمْ، فَتُورُوا
إِلَى الْأَنْوَا الْأَمْضُ يَسِيرُ
وَلَيْكُنْ مِنْكُمْ لَكُمْ تَحْرِيرُ
عَدُوَّ الْحَارِسِينَ فَهَوَ صَغِيرُ
رَجَفَ الْوَادِي مِنْهُ وَالسَّاعُورُ

الساور: التور

أَطْفَأُوا جَمْرَةَ الْجَحِيمِ فَكَانَتْ
ثَوْرَةٌ فِي الْجَحِيمِ أَرْجَفَتْ الْعَرُ
فَنَسْنَةُ مَا جَرَى بِهَا التَّفْدِيرُ
ش، وَكَادَتْ مِنْهَا السَّمَاءُ تَمُورُ
تمور: تنوج

رَحَفُوا ثَائِرِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
لَكُمْ الْأَكْوَاحُ الْمَشِيَّةُ بِالنَّارِ
إِنْ خَضَعْتُمْ فَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيبٍ
فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهِنَّ شُطُورُ
ر وَلِلْبُلْبُلِ فِي الْجَنَانِ الْقُصُورُ!
فِي طَوَالِ الدُّهُورِ إِلَّا السَّعِيرُ

ولقد أَسْرَعَتْ زَيَانِيَةُ النَّارِ
 ثم جاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ أَنْصَاباً
 كان إبليسُ قائداً لِلشَّيَاطِينِ
 ولقد جاءَ مِنْ مَلَائِكَةِ الْعَزِّ
 وتلاقى فوق الجحيمِ الفريقانِ
 يتَرَامَوْنَ بِالصَّخَرَاتِ صَفّاً
 حازبوا بِالْجِبَالِ تُقَذَّفُ بِالْأَبْ
 بِالْبَرَائِكِ نَائِرَاتٍ، جَرَتْ مِنْ
 وقد اهْتَزَّ عَرْشُ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِ
 كانتِ الْحَرْبُ فِي الْبَدَأِ مِجَالاً
 ثم لِلشَّاطِرِينَ بَأْسٌ جَلِيّاً
 ولأهلِ الْجَحِيمِ نَمٌّ، بِإِنْجَا
 فاستراحوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا
 ثم طَارُوا عَلَى ظُهُورِ الشَّيَاطِينِ
 يَطْلُبُونَ الْجَنَانَ حَتَّى إِذَا مَا
 طَرَدُوا مِنْ بَها مِنَ الْبُلْهِ وَاحْتَلَّوْا
 غَيْرَ مِنْ كَانُوا مُصْلِحِينَ، فَهَذَا الـ
 فَرَّ رِضْوَانٌ لِلنَّجَاةِ وَمِنْ أَفْ
 وأقاموا لِفَتْحِهِمْ حَفْلَةً أَعْدَدُوا
 إنه أكبرُ انْقِلَابٍ بِهِ جَاءَ
 وَتَنَبَّهْتُ مِنْ مَنَامِي صُبْحاً
 وإذا الْأَمْرُ لَيْسَ فِي الْحَقِّ إِلَّا

وإِلَيْهِمْ وَكُلُّهُمْ مَذْهُورٌ
 رَأَى، وما جيشُ الْعَارِضِينَ خَفِيرُ
 مِنْ إِبْلِيسَ، حَيْثُ كَانَ، قَدِيرُ
 شَيْءٍ لِإِرْجَاعِ الْأَمْنِ جَمٌّ غَفِيرُ
 نِ، وَهَذَا نَارٌ وَهَذَا نَسِيرُ
 نِ، فَيَسْتَدُّ الْقَتْلُ وَالتَّدْمِيرُ
 لَدَيْ تَبَاعاً كَأَنَّهُمْ قُشُورُ
 حُمَمٍ فِيهَا أَبْغَرٌ وَنُهِورُ
 لِي سَكُونِ، وَالذَّائِرَاتُ نَدُورُ
 مَا لَصُبْحِ النَّصْرِ الْمُبِينِ سُفُورُ
 أَنَّ جَيْشَ الْمَلَائِكِ الْمَذْهُورُ
 وَ الشَّيَاطِينِ، فِي الْقِتَالِ الظُّهُورُ
 نُوا يُقَاسُوتُهُ وَجَاءَ السُّرُورُ
 نِ خِفَافاً كَمَا نَطِيرُ النُّسُورُ
 بَلَّغُوهَا جَرَى نِضَالٍ قَصِيرُ
 الْقُصُورِ الْعُلْيَا، وَنَمَّ الْقُصُورُ
 حَسَمُ مِنْهُمْ، بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
 بَاعٍ وَضُؤَانٍ، مُسْرِعاً، جُمْهُورُ
 قَبِيهَا مِنْهُمْ الْهُنَاتُ الْكَثِيرُ
 دَتْ عَلَى كُرْهَا الطَّوِيلِ، الدُّهُورُ
 وَإِذَا الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ تُنِيرُ
 حُلُماً قَدْ أَثَارَهُ الْجَزْجِيرُ

سودنا ما سودنا من الآيات التي اخترناها من هذه القصيدة الطويلة كي تتسق القصة، وهي قصيدة
 تلس ثوب الملحمة، لكنه ثوب مرقع بألوان كثيرة من السخرية ومن التندر بالمعتقدات الشائعة،
 ومن آراء الزهاوي المعروفة عن الحجاب والسفور وحرية الرأي، إلخ. ويغفر للزهاوي هذه الشرية
 العالية روحه الفكهة، وتمرده، وأنه مختلف عن غيره؛ وأما تناوله عرش رب الكون الجليل فلا
 يغفروه إلا رب الكون الجليل

٣٣ الهامس والجاهر

وليس بِحُرٍّ مَنْ تَكَلَّمَ هَامِساً وَلَكِنْ مَنْ تَدَادَى جَهَاراً هُوَ الْحُرُّ
يقولون في الإيمانِ كُلُّ نَجَاتِنَا وَيَا رَبِّ إِيْمَانٍ قَوِيٍّ هُوَ الْكَفَرُ
وَيَنْتَظِرُونَ الْفَجَرَ فِي لَيْلِ قَبْرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَالِي الْقَبْرِ لَيْسَ لَهَا فَجَرُ

٣٤ سفر سفر

أَحْيِيكَ يَا مِصْرُ الْجَمِيلَةَ يَا مِصْرُ بِشَعْرِ يُزَكِّيهِ شَعُورِي وَالْفِكْرُ
إِذَا الشَّعْرُ لَمْ يَهْزُزْكَ عِنْدَ سَمَاحِهِ فَلَيْسَ خَلْبِقاً أَنْ يَقَالَ لَهُ شَعْرُ

التويد من عمران القفني

إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ ذَادَةً وَيَنْعُمُ فِي أَكْنَافِهِ الشَّاعِرُ الْحُرُّ
أَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ مِنْ يَنُودٍ وَيُدَافِعُ عَنْهُ

قَصِدْتُ بِسِيرِي مِصْرَ حَتَّى وَصَلْتُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ مِصْرٍ وَإِنْ بَعُدَتْ مِصْرُ
صَبِرْتُ عَلَى ضَيْمِي بِبَغْدَادَ حَقْبَةً فَمَا سِرْتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَفَدَّ الصَّبْرُ
وَقَدْ دُقْتُ حُلُوَ الْعَيْشِ دَهْرًا وَمُرَّةً إِلَى أَنْ تَسَاوَى فِي فَمِي الْحُلُوُّ وَالْمُرَّةُ

٣٥ الطفل الضرب

أُمَاءُ إِنِّي ضَرِيرُ وَالْقَلْبُ مِنِّي كَسِيرُ
يَا أُمُّ إِنْ شَقَائِي لَوْ تَعْلَمِينَ كَبِيرُ
يَوْمِي وَلَيْلِي سَوَاءُ كِلَاهُمَا لَا يُنِيرُ
يَا أُمُّ إِنْ لَمْ يَهْزِنِي الـ حَمَى فَمَاذَا يَضِيرُ؟
هَلِ الطَّبَاءُ جَمِيلُ كَمَا يَقُولُ الْبَصِيرُ
وَهَلِ هُنَاكَ خَفَاءُ وَهَلِ هُنَاكَ ظُهُورُ
وَهَلِ هُنَاكَ سَمَاءُ فِيهَا السَّجُومُ تَدُورُ
وَهَلِ إِذَا جَاءَ فَصْلُ الرَّـ بَيْعِ تَزَهُو السَّهْورُ
وَهَلِ جَمِيلُ عَلَيْهَا الـ فَرَاشُ حِينَ يَطْمِيرُ
مَا لِي غِنَى عَنْ جَوَابِ يَا أُمُّ إِنِّي ضَرِيرُ

هذه القصيدة تشبه قصيدة أخرى عذبة جداً مطلعها: (يا أم ما شكل النساء وما الضياء وما القمر)، وهي منسوبة إلى ولي الدين يكن، ولم أجدها في ديوانه، وإن وجدت له قصيدة رقيقة عن فتاة صريفة

٣٦ مهتي كشاعر

إِنِّي أَنُورُ لَا أَجْهَرُ إِلَّا بِمَا أَنَا أَشْعُرُ
إِنْ نَابَنِي شَرُّ قَائِدٍ حَيٍّ مِنْهُ لَا أَتَذَمُّرُ
أَوْ جَاءَنِي خَيْرٌ فَسَلَا أَغْنَى مِنْهُ وَأَبْطَمُرُ
وَلَقَدْ قَنَعْتُ مِنَ الطَّعَا مِ بِبُلْعَمَةٍ تَنِيَّسُرُ
لَا كَالذَّيْنِ عَلَى طَعَا مِ وَاحِدٍ لِّسْمِ يَسْمِيْرُوا

قال العباس بن الأحنف الكتي جريتكم فوجلتكم/ لا تصيرون على طعام واحد بينهم محبوبته بأنها تواصل سواه

أَوْ كَالذَّيْنِ إِذَا تَغَيَّرَ رَتِ الظُّرُوفُ تَغَيَّرُوا
لَيْسَ الْقَرِيضُ بِطَوْلِهِ بَلْ قَدْ يَفُوقُ الْأَقْصَرُ
وَإِذَا شَرَعْتُ بِسِنِّيَّةٍ لِيَلْذُخْنِ فِيهِ أَخْضَرُ
فَإِذَا نَظَّمْتُ الْبَيْتَ مِنْهُ بَهُ أَعْسِيْسُهُ وَأَكْرُرُ
وَإِذَا رَأَيْتُ السِّلْفَظَ لِي سِ كَمَا أُرُومُ أَغْيَسُرُ
وَإِذَا أَضَلُّهُ إِلَى أَنْ تَسْتَقِيمَ الْأَنْطَرُ
مِمَّا لِلْأَدِيْبِ بِظُظْرِهِ فِي الشَّرْقِ قَنْدَرُ يُذَكَّرُ
وَلَقَدْ هُصِدْتُ عِزَّةً مِنْ بَعْدِ مَا هُوَ يُغْفَرُ
مِنْ بَعْدِ مَا فِي قَبْرِهِ أَوْضَالُهُ تَسْتَبَعُرُ
مَاذَا مِنَ التُّكْرِمِ يَمُرُ جُؤْمُ مَيْتٍ لَا يَشْمَعُرُ

٣٧ في المغني عبد الوهاب

وَصَبَوْنَا إِلَى الْلِقَاءِ، وَلَكِنْ حَالٌ دُونَ الْلِقَاءِ شَحْطُ الْمَزَارِ
شحط المزار: بُعِدَ الْمَكَانُ

وَلَقَدْ كَانَ صَوْتُكَ الْعَذْبُ قَبْلًا فِي الْمُسْتُغْرَافِ مَالِشًا كُلِّ دَارٍ

الموسوغراف: البك أب، جهاز له إبرة تسلط على قرص مخد بأخدود لولبي دقيق في جوفه مصاب ووديان، ويدور القرص وتسير الإبرة صاعدة هابطة، وتنتقل ذنبتاتها إلى سماعة مكبرة مكهرية فتتحول الذبذبات إلى صوت. بهذه الطريقة الميكانيكة تمكن الإنسان لأول مرة في التاريخ من حفظ الصوت (يسمى القرص أسطوانة لأن المخترع إدسون أدار إبرته الأولى على أسطوانة، ١٨٧٧). ودخل الفونوغراف العالم العربي عام ١٩٠٤

فَإِذَا مَا رَفَعْتَ فِي مِصْرَ صَوْتَا رَدَدْتَهُ بِقِيَّةِ الْأَمْصَارِ
إِنَّ مَنْ لَا يَهْرُهُ مِنْكَ لَخَرُّ حَجَرٍ جَامِدٍ مِنَ الْأَحْجَارِ

٣٨ أنا والمتعصبين

يَا قَوْمَ مَهَلًا مُسَلِّمٌ أَنَا وَمِثْلَكُمُ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فِي تَكْفِيرِي

الله: اتقوا الله

أَسْفِي عَلَى مُتَعَصِّبِينَ تَأَلَّبُوا يَحْمُونَ حَوْضَ الْجَهْلِ بِالسَّاطُورِ

الساطور: سكين القصاب الكبير

مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الَّذِي قَدْ قَلْبُهُ أَوْلَسْتُ حُرَّ الرَّأْيِ وَالتَّفْكِيرِ
يَا ظَلَمُ إِنْ طَالَتْ يَدُكَ بُرْهَةً فَالْعَدْلُ لَيْسَ ذِرَاعُهُ بِقَصِيرِ

٣٩ رثاء

قال في رثاء صديقه عبد الرحمن عبد آل جميل:

الْقَلْبُ مِنِّي مُضْغَةٌ وَالْهَمُّ أَكْبَرُ مِنْ تُبَيِّيرِ

تبيير: جبل كبير.. يقع في قصائد القدماء

إِنْ اعْتَمَادَ الْأَكْثَرِيَّةُ مَنْ عَلَى الْحَيَاةِ مِنَ الْغُرُورِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَصِيرَهُمْ فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَصِيرِي
أَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ أَقْبَمَ مَنْ مَنَاحَةً حَوْلَ السَّرِيرِ
يَلْدِمُنَ بِالْأَيْدِي هُنَا لَكَ عَلَى الثَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ

يلدمن: يلطم

يَنْدُبُنَ فَقَدْ وَلِيَّهِنَّ وَصَبَمَةَ الْحَامِي الْكَبِيرِ
لَمْ يَبْقَ فِي بَسْغَدَاةٍ غِيَا مَرَّ الْحَزَنِ، بَعْدَكَ مِنْ كَبِيرِ

٤٠ منتهى العجز

وَأَرَى بَيْنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَمَامِي وَحَيَاتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ صِرَاعَا
أَمَهْلَنِي الطُّرُوفُ حِينًا مِنَ الدَّمِ بِرَ فَلَمَّا أَتَيْتَ جِئْتَ صِرَاعَا
وَكَأَنِّي أَرَى حَفِيرِي بِمَعِينِي فَاجِرًا قَاهُ يَبْتَغِي لِي ابْتِلَاعَا

وَأَرَى أَيْدِيَّ تُحَاوِلُ دَفْنِي نَمِ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ دِفَاعاً

٤١ الروح

وَإِذَا تَصَدَّعَ مِنْكَ جِسْمُكَ لِلرَّدَى يَوْمًا قَرُوحُكَ مِثْلَهُ تَتَصَدَّعُ
وَالرُّوحُ لَيْسَ سِوَى الْحَيَاةِ تَشَارَكَتْ زُمْرًا خِلَافَ الْجِسْمِ فِيهَا أَجْمَعُ
هِيَ فِي الْجَمَادِ خَفِيَّةٌ لِبَسَاطَةِ فِيهَا، فَلَا تَبْدُو وَلَا تَتَفَرِّعُ
الروح لا تظهر في الجماد، ولا تفرع أي لا تتكاثر الجمادات

أَمَّا النَّبَاتُ فَإِنَّهَا مُنْحَطَّةٌ فِيهِ فَلَا يَرْتَوِ وَلَا يَنْسَمِعُ
فلسفة الزهاوي ببساطة: الروح هي الحياة لا غير

٤٢ العقل والخلق

قَدْ مَيَّزْتُكَ رَجَاحَةً فِي الْعَقْلِ، وَالْخُلُقِ الْوَسِيعُ
وَصَنَعْتُ مَا بَلَغْتُ بِدَا لَكَ وَحُبُّدًا مِنْكَ الصَّنِيعُ
وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ إِلَّا لِمَا هُوَ يَسْتَطِيعُ

٤٣ يا رب

تَرَأْتُ اسْمَكَ الْمَحْمُودَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهْيِ إِذِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ
فَأَبْقَيْتُ أَنَّ الْكَوْنَ بِالنَّوْءِ قَائِمٌ وَأَمْسَتْ أَنْ اللَّوْءُ لِلْكَوْنِ مُبْلِغُ
وَأَنَّكَ مَعْنَى وَالْخَلْقَةُ لَفُظَةٌ وَأَنَّكَ حُسْنٌ وَالطَّبِيعَةُ بُزْغُ
أَهْدُكَ الْإِنْسَانَ فِي الْمَسْرِ جَائِماً وَيَسَاكَ عِنْدَ الْبَسْرِ إِذْ هُوَ يَشْبَعُ
تَعَالَيْتَ أَنْتَ اللَّهُ مُقْنِداً فَمَا يَهْزُوكَ نَسْبَانُ وَلَا الذُّكْرُ يَنْفَعُ

٤٤ خرج ولم يعد

قَدْ طَلَعْتَ فِي خَيْلِكَ فَيَا لِحُسْنِ الْمَظْلَعِ
الخيال: البلوز الخضر، الذي بلا أكمام، وهو الخيال أيضاً، وهو الإنثى والشوذر
والقرقر والصدار والمجول والشامال. وقال قوم السامال، وهو العلف. وهو عندنا
اليوم الكف، مسمًى بالكلمة الأجنبية. وهو الحفر، بتسمية الشيء بالمصدر كقولك
حديد سكت، وهذه أفصح من كل ما سبق، وقد ترى المرأة نزع الكمين ولم
تكتف بهذا فحفر في قماش قميصها حفرتين أخريين كي تعرض علينا المزيد من
لحم تراثها، فالحفر على هذا كلمة مناسبة جداً

دَعْنِي بِحَسَنِ وَجْهِهَا لِنَاظِمِي أَمْتَع
فَإِنَّ عَيْنِي بَعْدُ مِنْ رُؤْيِيهَا لَمْ تَشْبَعِ
وَدِدْتُ لَسُو أَنَسِي أَرَا مَا بِمُحِبِّمُونِ أَرْبَعِ
دَمَبْتُ فِي حُبِّي لِلْمُ جِمْاءَ، وَلَسَمَّا أَرْجِعِ

٤٥ المَزِيدُ

افْتَحُوا لِلْفَتَى الْهَضِيمَ الطَّرِيقَا فَلَقَدْ جَاءَ يَزِيدُ بَشَرُ حَنِيقَا
الهضم: التحيل، يزير: يتفش وتنها للصراع

رَافِعاً رَابِعَ التَّمَرُّدِ تَهْفُو حَامِلاً مِنْ بَرَاهِمِ مَنْجَنِقَا
لَا يُبَالِي مِنْ بَعْدِ إِدْرَاكِهِ الشَّا رَ الْأَقْسَى سَلَامَةً أَمْ زُفُوقَا
ذَاكَ خُرٌّ يَأْبَى الْقَبُولَ لِضَيْمِ وَانْقَا فِي صَرَاهِمِ أَنْ يَفُوقَا
جَاءَ بَعْدُو لِيَسْتَرِدَّ بِمَا أَوْ نِي مِنْ قُوَّةِ الْجَنَانِ الْحُقُوقَا

الجنان: القلب

رُبَّ غَيْرٍ إِذَا عَلَا أَكْثَمَةً ظَنَّ- عُرُوراً أَنْ صَافَحَ الْعَيُوقَا
أَكْثَمَ: الْأَكْثَمُ التَّلَّةُ، الميوق: نجم بعيد. ويزعم صديقي عمران الغفني أن ناساً تبحث عنه منذ أن
سمعت به من الشعراء العرب.. دون جدوى

سَبُلَاتِي الْبُغَاةَ بَوْمًا ثَقِيلًا فَبِوَلَا يَنْفَعُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا
مَا يَزَالُ الْهَضِيمُ يَشْهَقُ يَأْسًا ثُمَّ لَا يُثْبِتُهُ الشَّهْبُ الشَّهْبَقَا
أَيُّهَا الدَّائِسُونَ بِالرَّجْلِ حَقِّي لَيْسَ حَقِّي بِأَنْ يُدَاسَ حَقِيقَا
حقيقاً: متحفاً

يَحْزَنُ الْعَنْدَلِيبُ أَنْ يَحْدَ الْجَوْ- جَمِيلًا وَلَا يَكُونُ طَلِيقَا
قُلْ لِمَنْ أَحْفَظْتَهُ زَنْدَقَةٌ لِي سَجِيدِي أَنْتَ لَا تَكُنْ زَنْدِيقَا
أحفظته: أغضبه

ذَاكَ أَمْرٌ لَهُ مَسَامٌ بِنَفْسِي فَمِنْ الْحُمَقِ أَنْ تَكُونَ حَنِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ لَا يَقُولُ بِمَا لَمْ تَأْتِ فِيهِ الْعَيُونُ فَحَصًّا دَقِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ شَكٌّ فِي حِسِّ مَيِّتِ مَرَّقَتُهُ أَيْدِي الْبَلَى تَمَزِيقَا

البلى: اهترأنا بعد إذ نموت

إِنِّي مُؤْمِنٌ، عَلَى الشَّكِّ مِنِّي وَمِنَ اللَّهِ أَطْلُبُ التَّوْفِيقَ
 حَيْثُمَا التَّفُتُ أَشَاهِدُ بِمَعْنِي سَاحِقاً فِي الْحَيَاةِ أَوْ مَسْحُوقاً
 وَإِذَا نِمْتُ فِي قَرَارَةٍ رَمْسِي فَمِنَ الْخَيْرِ الْجَمُّ أَلَّا أَتُفِكَ
 حَبْذاً جَنَّةً سَتَشْرَبُ فِيهَا لَبِناً طَابَ طَعْمُهُ وَرَحِيقاً
 وَهَنَاكَ الْحُورُ الْجِسَانُ يُقَعِّقُ مَنَ حَوَالَيْكَ الْكَأْسَ وَالْإِبْرِيْقَ
 إِنْسِي لَا أَلْتَدُّ إِلَّا بِدَنْيَا يَ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بِهَا مَرْزُوقاً
 وَإِذَا الْبَاسُ كَظَّ نَفْسِي فُضِاقْتُ مِنْهُ فَرَجْتُ بِالْخِيَالِ الضُّيْقَ

كظ: ملا

٤٦ المملوكة

لَسَقْدَ أَضَاعَتْ مِنْهُ مِّنَ الْحَيَاةِ حَقُّهَا
 فَهَلْ تَزُوجُتُ بِهِ أَمْ مَلَّسَكُنَّه رَقُّهَا
 يَسُومُهَا السَّخَفُ، فَإِنْ تَذَمَّرْتَ طَلَّسَفُهَا

يسومها الخف: يظلمها

٤٧ الحياة حريق

يُودِي الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَسْلُمُ غَيْرُهُ مَا لِلسَّلَامَةِ مِنْهُجٍ مَطْرُوقُ
 يودي: يموت

الْكُونُ بَحْرٌ مِّنْ لَّهَبٍ لَّاهِبٍ وَالنَّاسُ فِيهِ سَابِغٌ وَغَرِيقُ
 فِي كُلِّ حَيٍّ شَمْلَةٌ مِّنْ نَّارِهِ فَكَأَنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ حَرِيقُ

٤٨ في السياق

إِنَّ أَعْدَانِي فِي الْعِرَاقِ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ فِيهِ أَخِيذٌ بِخِنَاقِي
 سَأُولِي رُبُوعَ بَغْدَادَ ظَهْرِي تَارِكاً خَيْرَهَا لِأَهْلِ النِّفَاقِ
 أَصْلَحَ اللَّهُ ثُلَّةً شَتَمُونِي وَأَطَالُوا فِي مَوْطِنِي إِرهَاقِي
 لَيْسَ قَصْدِي مِمَّا ذَكَرْتُ عَنَاباً غَيْرَ أَنِّي أُرِدُّهُ فِي السُّبَاقِ

هذا البيت الأخير تحفة في الخفة واقتصاص النكتة

٤٩ الجامعة البائنة

قد أَمُنَّا المُسْتَنْصِرِيَّةَ صُبْحاً فوجدناها أَرْسُماً وطُلولاً
وَكِلَانَا يَا مَعَهْدَ الْعِلْمِ مُبْدِ جسداً ناحلاً وجسماً عليلاً
قد لَعَمْرِي أَمَسْتُ عَلَيْكَ اللَّيَالِي وَعَلَيَّ الْحَيَاةُ عَيْباً ثَقِيلاً
أَيُّهَا الْمَعَهْدُ الْجَلِيلُ سَلَامٌ ليس ما قد قَاسَيْتَ شَيْئاً قَلِيلاً

٥٠ تأمل

ينسب كتاب إبراهيم الدروبي «البغداديون وأخبارهم ومجالسهم» هذه الأبيات إلى والد الزهاوي. ويقول إبراهيم المازني في مقال له عن شاعرنا إن الزهاوي نفسه أسمع هذه الأبيات - وفيها ما يشير إلى بلوغ صاحبها التسعين - وهو ببغداد، ويزعم المازني أن الزهاوي أسن بكثير مما هو مرقوم في كتاب رفايل بطي من أنه مولود عام ١٨٦٣. ونظرة إلى ما توفر لنا من صور الزهاوي تجعلنا نرى في افتراض المازني بعض الوجاهة، ويقول الزيات من أول لقاء له بالزهاوي إنه وجد أمامه شيخاً في حوالي الثمانين، وكان عمر الزهاوي عندما التقاه الزيات في عام ١٩٣٠ سبعة وستين عاماً بحسب رفايل بطي. وليس يعني ورود «التسعين» في القصيدة أن الزهاوي يتحدث عن نفسه:

بأن لي في المرأة شيخ كبيرٌ عاشَ حتَّى تَعْرِفَ الأحوالُ
قلتُ كم عِشْتُ قَالَ تَسَعِينَ عاماً قلتُ ماذا فعلتُ فيها فقَلا:
أَكَلْتُ دَفَعْتُهَا فَضَلَاتٍ وَشَرُّوباً أَرَقُّشُهَا أَبْوَلا
وَنِيَاباً لَبِسْتُهَا فَآخِرَاتٍ جُدداً وَانْتَزَعْتُهَا أَسْمَالاً
كلُّ شيءٍ معَ الْجَدِيدَيْنِ يَمُنَى ثم يَبْقَى جَلالُ رَبِّي تَعَالَى
الجليدان: الليل والنهار، فهما يتجددان دوماً ويبدلان كل شيء

٥١ مقالة

في الغرب حيثُ كِلَا الْجَنَسَيْنِ يَشْتَغُلُ لا يَفْضُلُ الْمَرْأَةُ الْمَقْدَامَةَ الرَّجُلُ
كِلَا الْقَرِينَيْنِ مَعْتَرِضاً بِصَاحِبِهِ عليه إن نالَ منه الْعَجْزُ يَتَّكِلُ
وقد يُطْلَقُهَا أو قد تَطْلُقْهُ إذا قَضَى بِالطَّلَاقِ الْكُرْهُ وَالْمَلَلُ
أَمَّا الْعِرَاقُ فَفِيهِ الْأَمْرُ مُخْتَلِفٌ فَقَدْ أَلَمَ بِنِصْفِ الْأُمَةِ النِّشْلُ
وقد يُطْلَقُهَا فِي حَانَةِ ثَمَلٍ وليس تَدْرِي لِمَاذَا طَلَّقَ الثَّمَلُ
كم قد تَزَوَّجَ ذُو السِّتَيْنِ يَافِعَةً وَالشَّيْبُ فِي رَأْسِهِ كَالنَّارِ يَشْتَعَلُ

يقضي لَبَانَتَهُ مِنْهَا إِلَى أَجَلٍ وقد يَكُونُ قَصِيراً ذَلِكَ الْأَجَلُ
ولم تَكُنْ أَزْبَحَ يُشْبِعُنَ نَهْمَتَهُ والذُّنْبُ يُشْبِعُهُ مِنْ جُوعِهِ حَمَلُ

٥٢ المصير

نُؤُولُ حَيَاتِي بَعْدَ الرَّدَى وَلَسَكُنْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ نُؤُولُ؟
أَسِيرٌ بَلِيلٍ مِنَ الشَّكِّ دَاجٍ عَلَى ضَوْءِ عَقْلِي، وَهُوَ ضَنِيلُ
دَاجٍ: مَظْلَمٌ

سَيَبْقَى شِقَاتِي بَقَاءَ حَيَاتِي فَإِنْ هِيَ زَالَتْ فَهَذَا يَزُولُ
وَأَنْتِ عَلَى كُبْرَتِي هَذِهِ أَوْدُ لَوْ أَنَّ حَيَاتِي نَسْطُولُ

٥٣ بيروت الأمل

لَوْلا تَفَاقُؤُكُمْ شَرٌّ لَيْسَ يُحْتَمَلُ مَا كُنْتُ عَنْ وَطَنِي بَغْدَادَ أَرْتَحِلُ
قَدْ كَفَرُونِي لِأَنْتِي فِي مَجَالِسِهِمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا قُلْتُ أَتَّكِلُ
إِنَّمَا قُلْتُ: كُلَّمَا تَكَلَّمْتُ

الْيَأْسُ بِالْأَمْسِ مِنْ بَغْدَادَ أَخْرَجَنِي وَالْيَوْمَ جَاءَ إِلَى بَيْرُوتَ بِي الْأَمَلُ

٥٤ المستبد

فِيَا وَيْحَ قَوْمٍ فَوَّضُوا أَمْرَ نَفْسِهِمْ إِلَى مَلِكٍ عَنْ فِعْلِهِ لَيْسَ يُسْأَلُ
وَذِي سُلْطَةٍ لَا يَرْتَضِي رَأْيَ غَيْرِهِ إِذَا قَالَ قَوْلًا فَهُوَ لَا يَتَبَدَّلُ
أَيَّامُ ظِلِّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْكِتَابُ الْمَنْزُلُ
فَيُفْقِرُ ذَا مَالٍ وَيَنْفِي مُبْرَأً وَيَسْجُنُ مَظْلُوماً وَيَسْبِي وَيَقْتُلُ
تَمَهَّلْ قَلِيلًا لَا تُغِظْ أُمَّةً إِذَا تَأَجَّجَ فِيهَا الْغَيْظُ لَا تَتَمَهَّلُ
وَأَيْدِيكَ إِنْ طَالَتْ فَلَا تَغْتَرِّ بِهَا فَإِنْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْهُنَّ أَظْمَلُ

٥٥ التعايش مع المرض

سَاكِتٌ أَنْتَ وَالْأَعَادِي تَقُولُ وَمُضِرٌّ بِكَ السَّكُوتُ الطَّوِيلُ
أَيْنَ ذَاكَ الشَّعْرُ الرَّقِيقُ الْمُتَنَقَّى أَيْنَ ذَاكَ النَّشْرُ النَّفِيسُ الْجَمِيلُ

لك في الذَّبِّ مِنْ لِسَانِكَ سَيْفٌ شَهِدَ اللَّهُ إِنَّهُ مَصْفُورٌ

الذَّبُّ: الدفاع

القَوَافِي، يَا شَاعِرَ الْعَصْرِ فَاَنْظِمِ، بَيْنَ أَيْدِيكَ وَاقْفَاتِ مُثَوِّ
إِنْ تُسَالِمَ بِهَا فَنِلْكَ أَغَانِ أَوْ تَحَارِبَ بِهَا فَنِلْكَ نُصُورُ
أَيُّهَا اللَّائِمِي عَلَى الصَّمْتِ إِيهَاءُ أَوْ مَا قَدْ كَرِهْتَ أَنْيَ عَلِيلُ
قَبْلَ عَشْرَيْنَ حِجَّةً جَاءَ دَاءُ نَمَازاً بِي، وَذَلِكَ ضَيْفٌ ثَقِيلُ
هُوَ دَاءُ مَبِيتِهِ فِي نُخَاعِي إِنْ دَاءَ السُّخَاعِ دَاءُ وَبِئْسَ

كَانَ الزَّهَاوِي مَضْطَرَبَ الْأَعْصَابِ شَدِيدَ التَّحَوُّلِ، وَالْمَ بِهِ مَرَضٌ فِي النَّخَاعِ الشُّوْكِي وَهُوَ فِي
الْخَامَةِ وَالْعَشْرَيْنِ

فَنَهَاوْنَتْ فِي الْبِدَايَاتِ فِيهِ رَاجِيًا أَنْ وَطْأَهُ سَبْرُورُ
فَمَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَذَائِي ذَلِكَ الدَّاءُ نَفْسُهُ لَا يَحْوِلُ
وَتَدَاوَيْتُ عِنْدَ كُلِّ طَبِيبٍ وَنَصِيبِي مِنَ التَّدَاوِي نَحْوِلُ
كَنْتُ فِي أَوَّلِي أَقَاوِيهِ حَتَّى خَارَ جِسْمِي فَقُلْتُ صَبْرًا «جَمِيلُ»

الصبر الجميل: الصبر الكبير، و«جميل» هو اسم الشاعر

ثُمَّ صَافَحْتُهُ أَدَارِيهِ بِالسَّلْبِ نِي كَمَا صَافَحَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلُ

٥٦ رثاء العروبيين

قال الزهاوي في رثاء نحو أربعين رجلاً شغلهم جمال باشا في بيروت ودمشق بين
١٩١٥ و ١٩١٧ لتخليهم عن الدولة العثمانية وسميهم للاستقلال في سنوات الحرب
المالية الأولى:

عَلَى كُلِّ حَوْدٍ صَاحِبٍ وَخَلِيلٍ وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رُئُوءٌ وَهَوِيلُ
رثة: نواح

وَفِي كُلِّ صَبِيٍّ عَبْرَةٌ مُهْرَافَةٌ وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٌ وَغَلِيلُ
غليل: غيظ

كَأَنَّ وَجْهَ الْقَوْمِ فَوْقَ جُذُوعِهِمْ نَجُومُ سَمَاءٍ فِي الصَّبَاحِ أَفْوَلُ
دَنَزَا فَرَّقُوها وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالُوا وَجِيزًا لَيْسَ فِيهِ قُضُولُ
اقربوا ورقوا، أي صعدوا، سُلَّةُ الْمَشْتَقَةِ وَكَانَتْ لِكُلِّ مَنَّهُمْ عِبَارَةٌ قَصِيرَةٌ

وَلَلَّهِ مَا كَانُوا يُحْسِنُونَ مِنْ أَدَى إِذِ الْأَرْضُ تَنَأَى تَحْتَهُمْ وَتَزُولُ
سَرَتْ رَوْحُهُمْ تَطْوِي السَّمَاءَ لِرَبِّهَا وَمَا غَيْرَ ضَوْءِ الْقَرَقَدَيْنِ دَلِيلُ
وَلَلَّهِ عِيدَانٌ مِنَ اللَّيْلِ أَثْمَرَتْ رَجَالاً عَلَيْهِمْ هَيْبَةٌ وَقَبُولُ
لله امر هذه الأعواد الخشبية التي كانها أغصان لها ثمر هو أولئك الرجال الذين شفقوا عليها
وَيَا لَكَ مِنْ رُؤْيٍ حَمِئَتْ لَهُ الْبُكَاءُ وَقَبَّحَتْ فِيهِ الصَّبْرَ وَهُوَ جَمِيلُ
هذا رزه، مصيبة، يحسن فيه البكاء ويقبح الصبر

فَمَا رَدَّ عَنْهُمْ بِالشَّفَاعَةِ غَضَبُهُ وَلَا دَبَّ عَنْهُمْ بِالسَّلَاحِ قَبِيلُ
ذب عنهم: دافع

لَعَمْرُكَ لَيْسَ الْأَمْرُ ذَنْباً أَصَابَهُ قِصَاصٌ، وَلَكِنْ بَعْرُوبٌ وَمَقُولُ
المسألة ليست عقاباً على ذنب ارتكبه، بل هو الصراع بين العرب والنفول، أي الأتراك ذوي
الأصول الآسيوية

وَإِنِّي عَلَى مَا بِي مِنَ الْخَرِّ وَالصَّدَى لَأَنْظُرُ مَاءَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
الصدى: العطش

أَفَكُرْ فِي الْمَاضِي فَيَأْتِي خَيَالُهُ جَمِيلًا أَمَامَ الْحَيِّ ثُمَّ يَزُولُ
كان الزهاوي منشأ في ظل الدولة العثمانية، ولكنه يرى الآن تفككها، ويرى قومه العرب يريدون
الاستقلال. . . وكان الزهاوي سريع الانصراف عن ولائه العثماني، بخلاف زميله معروف الرصافي
الذي ظل على هذا الولاء زمناً وانتقده الناس لأنه لم يتحرك لشنق الوطنيين، لقد رأى أنهم خانوا
الدولة في وقت محنتها

أَبْغَدَ بَنِي قَوْمِي أَنْهِنُهُ عَجْرَتِي وَأَمْنُهَا؟ إِنْني إِذْنُ لَبْخِيلُ
أنهت عيرتي: أحبس دمعتي

قَدْ اسْوَدَّ لَيْلُ الظُّلُمِ حَتَّى كَانَهُ مِثَارٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ سَدِيلُ
وَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ يَرْوَعُ كَأَنَّمَا بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُ يَسْرِقُ بُحُولُ

٥٧ حيرة

لَسْتُ أَدْرِي مَا غَايَتِي مِنْ حَيَاتِي مَا وَجُودِي، مَا مَبْدَئِي مَا مَالِي
وَإِذَا مَا قَلْبِي عَصَى حُكْمَ عَقْلِي لَمْ يُفِذْ مَنْطِقِي وَلَا اسْتَدْلَالِي
خَطَلِي بَعْدَ أَنْ ضَلَلْتُ سَبِيلِي هُوَ أَنِّي أَرَى الْهُدَى فِي ضَلَالِي
خطلي: حمقي

٥٨ انهيار الشعر

قد انهَارَ صَرُحُ الشَّعْرِ إِلَّا أَقْلُهُ وقد كَانَ مِلءَ الْعَيْنِ كَالْجَبَلِ الْعَالِي
لَقَدْ ظَلَّ هَذَا الشَّعْرُ خَمْسِينَ حِجَّةً يُهَذَّبُ أَقْوَالِي وَيُصْلِحُ أَعْمَالِي
نَشَأْتُ عَلَى اسْتِقْلَالِ نَفْسِي تَمَرَّدْتُ فَلَا أَرْضِي نَسْجاً عَلَى غَيْرِ مَنَوَالِي

٥٩ مؤمن نصف إيمان

أَنَا فِي حَيَاتِي مَا كَذَبْتُ نَتِّ لِنَيْلِ شَيْءٍ لَيْسَ لِي
أَنَا مَا كَفَرْتُ بِكُلِّ عَمَلٍ رِيَّ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
أَنَا لَمْ أَزَلْ أَشْكُو بِنَعَمٍ نَتِّ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
أَنَا لَسْتُ بِالْمَسْؤُولِ مِنْ نَسْرَوَاتِ عَقْلِ مُبْطِلِ
مَا زَالَ يُسَبِّدِي وَأَمْسَهُ سَأَلُوهُ أَمْ لَسَمَ يُسْأَلِ
قَدْ شَاءَ عَقْلِي بِعَدِّ نَفْسٍ كَسِيرٍ وَطُغُولِ نَائِلِ
بِاللَّهِ حَلَّ الْمَشْكِلا نَتِّ، فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِلا
أراد عقلي أن يحل مشكلة الوجود بإرجاع كل أمر إلى الله، فكانت فكرة الله أكبر مشكلة

مَا ضَرُّنَا لَوْ ظَلَّ هـ هَذَا الْكَوْنُ غَيْرَ مُعْقَلٍ؟
بالله نحل هذا الكون فهو السبب والمبب، ولكن ماذا يغيرنا إن ظل الكون بلا تعليل؟

الْكَوْنُ مَاضِيٍّ يَمُوتُ دُنَا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وَنَعُودُ هَذِي الْأَرْضُ بَعْدَ ذَخَائِهَا كَالْأَوَّلِ
وَنَعُودُ نَحْيَا مِثْلَمَا كُنَّا بِغَيْرِ تَبَدُّلِ
وَنَسْمُوتُ ثُمَّ نَعُودُ فِي أَدْوَارِهَا بِتَمَلُّلِ
كَذَبَ الَّذِي قَدْ قَالَ إِنَّـ الْقَبِيرَ آخِرُ مَنْزِلِ
هَذَا لَسَقَمَرِي مَا يَمُرُّ عَقْلِي بِوَجْهِ مُجَمَّلِ
عقله يقول له إن المرء يموت ثم تنتشر مكوناته ثم يخلق منها خلق جديد، فليس ثمة ناء

أَمَّا الضَّمِيرُ فَقَائِلٌ لِي بِالْحِجَا لَا تَخْفَلِ
يقول له ضميره، أي قلبه، لا تحفل بالعقل ولا تهتم بما استنتجه

الذَّيْنِ مَعْقِلُ أَهْلِهِ وَالسَّلِينُ أَمْنَعُ مَعْقِلِ

وأخافُ ناراً في الجحيمِ هم بها الأثيمُ سيصطلي
أما الصُّرَاظُ فلأنَّه فوق الجحيمِ كمنْضلي
المصل: اليه

لا يَأْمَنُ الماشي بِأَر جُلُوهُ سُقُوطاً مِنْ عَلِي
إِلَّا إِذَا عَبَرَ الصُّرَا طَ عَلَى أَغْرَ مُحَجَّلِي
أغر محجل: فرس له غرة وياض في أسفل قوائمه

أَوْ فَوْقَ كَبْشٍ قَمَرْتُهُ فِي رَأْسِهِ كَالْمِفْعُولِ
يَا رَبِّ، حِينَ أَجْوَرُهُ مَشِيأً، عَلَيْكَ تَوَكَّلِي
صَفَبَ عَلَيَّ عِبْرُهُ يَا رَبِّ نَبَّثَ أَرْجُلِي

٦٠ الحمار والجزرة

وَلَسْتُ مِنَ الْمَوْتِ ذَا خَشْيَةٍ وَإِنْ كَانَ حِينَ يُلِمْ زَوْامَا
الموت الزوام: السريع

وَلَكِنْ خَشَوَ الْحَيَاةَ مُنَى تَحَبُّبُهَا لِي عَاماً فَمَامَا
لَقَدْ مَشَتْ عُمراً أَوْمَلُ أَنْ تُمِيطَ الْحَقِيقَةُ عَنْهَا اللَّثَامَا
وَلَمَّا أَبَتْ أَنْ تُمِيطَ اللَّثَامَا مَ بَاتَتْ شُكُوكِي رُكَاماً رُكَامَا

٦١ الاستقلال

عِشْنِ هَكَذَا فِي عُلُوِّ أَبِيهَا الْعَلَمُ فَلِأَنَّا بِكَ بَعْدَ اللُّو نَعْنَعِمُ
عِشْنِ لِلْعُرُوبَةِ، عِشْنِ لِلْمُهَافِظِينَ لَهَا عِشْنِ لِلْأَلَى فِي الْعِرَاقِ الْيَوْمَ قَدْ حَكَمُوا
عِشْنِ خَافِقاً فِي الْأَعَالِي لِلْبَقَاءِ، وَثِقْ بِأَنْ تُؤَيِّدَكَ الْأَحْزَابُ كُلُّهُمْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ فِي بَغْدَادَ إِذْ هَتَفُوا بِحَرِّ خِصَمِّ بِهِ الْأَمْوَاجُ ثَلَاثُهَا
إِنَّ الْعَبُونَ قَرِيرَاتٌ بِمَا شَهِدَتْ وَالْقَلْبُ يَفْرَحُ وَالْأَمَالُ تَبْتَسِمُ
هَذَا الْهَتَافُ الَّذِي يعلُو فَتَسْمَعُهُ جَمِيعُهُ لَكَ فَاسَلَّمْ أَبِيهَا الْعَلَمُ

٦٢ شاك ظان

يُسَائِلُنِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي فَرِيقٌ مِنَ الْأَشْيَاخِ مَا أَنَا مِنْهُمْ

فقلتُ لَهُمْ أَمَّا السَّوَالُ فَبَارِدٌ وَأَمَّا جَوَابِي فَهَوَ أَنِّي مُسْلِمٌ
ولكنني ما كنتُ يوماً مقلداً يرى أن حُكَمَ العقلِ في الدينِ مأثماً
فما القلبُ مِنِّي بالسَخافاتِ مَوْلَعٌ ولا الرأسُ مِنِّي بِالْخِرافاتِ مُنْعَمٌ
ولم أَكْ يوماً بِالْإِصابةِ وَإِنِّ قَا فلانِّي في دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ أَرْجُمُ
أرجم: ألقى بالظنون

٦٣ أصابني ما أصابك

قد قلتُ «حقاً» فلم تقبلهُ أَنهَانُ وحاربَكَ سياساتٌ وأديانُ
فأنتَ مِن بعدِ إنكارِ الجميعِ «له» شهرتهُ فَهوَ مثْلُ السيفِ عُريانُ
بعد إنكار الجميع للحق شهرته وأبرزته

وكنْتَ أنتَ البصيرَ الفردَ يومئذٍ وحوَّلَكَ الناسُ كُلَّ الناسِ عُميانُ
تَخِذْتُ بِبَيْتِكَ سِجْناً ثانياً قَدْداً وأنتَ فيه سجينٌ ثُمَّ سَجَّانُ
والجأ عوامُ بغداد الزهاوي مرة إلى بيته لا يجرؤ يخرج منه لما سمعوه من بعض المتشددين عن انحراف شاعرنا عن الدين

الشرقُ ما زالَ يَحْبُو وَهُوَ مُفْتَضِضٌ والغربُ يركضُ وَثَباً وَهُوَ يَقْظانُ
الغربُ يَشْقَلُهُ مَالٌ وَمَشْرِئَةٌ والشرقُ يَشْقَلُهُ كُفْرٌ وإيمانُ
الغرب منشغل بالمال وبالمتربة، بقضايا الفقر

أصابني في زمانِي ما أصابَكَ مِن حَبِيفٍ فما رَدَّ هذا الحَبِيفُ إنسانُ

٦٤ يا ضيعة الشعر

مَسْرُوقَةٌ كُلُّها تِلْكَ التَّضامِينُ وليسَ مِنها لَهُمُ إِلَّا العَناءُوينُ
لقد أمانَكَ مِنْهُمْ غيرُ ذي أَدبٍ يا شِعْرُ إِنِّي عَلَيْكَ اليومَ محزونُ
قد يَفْضُلُ البَيْتُ دِيواناً بِرُمَّتِهِ وقد تُقْصِرُ عن بَيْتِ دِواوينُ

٦٥ في مدح النبي

قالوا امْتَدِّحْ فَخَرَ البَرِّيَّةِ أَحْمَداً بقصيدة تشدو بِرَفَعَةِ شأنِهِ
فأَجَبْتُهُمْ ماذا أَقولُ بِمدحِ مَنْ أنشئُ عَلَيْهِ اللّهُ في فُرْقانيهِ

مَنْ ذَا أَنَا حَتَّى أَقُومَ بِمَدْحِهِ بَلْ أَيْنَ شِعْرِي مِنْ عُلُوِّ مَكَانِهِ
كَمْ قَدْ رَدَدْتُ الشَّعْرَ عَنْهُ قَائِلًا هَذَا مَجَالٌ لَسْتُ مِنْ فُرْسَانِهِ

٦٦ المسبة والبرهان

إِلْبِكْ يَا نَفْسُ عَنِّي لَا تَلُومِينِي إِنَّ الْمَلَامَ عَلَى مَا جِئْتُ يُؤْذِنِي
يَا نَفْسُ لَوْ مَكَ هَذَا مُكَثِّرٌ شَجَنِي أَلَيْسَ مَا بِي مِنَ الْأَشْجَانِ يَكْفِينِي
نَشَرْتُ لِلْعُقُومِ آرَاءَ أَرِيدُ بِهَا إِصْلَاحَ دُنْيَاهُمْ لَا الطَّلْعَ فِي الذَّنْبِ
فَإِنْ أَصَبْتُ فَهَذَا نَافِعٌ حَسَنٌ أَوْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِيهَا فَلَيْزُ دُونِي
رَدُّوا بِسَبِّي عَلَى مَا خَطَّهَ قَلَمِي كَأَنَّمَا السَّبُّ مِنْ بَعْضِ الْبَرَاهِينِ
إِنَّ الْأَكْثَفَ النَّيِّ قَدْ كُنْتُ أَمَلُهَا لِلذُّودِ صَارَتْ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِي

للذود: للدفاع

أَمَسْتُ رِمَاحَ بَنِي عَمِّي وَقَدْ خَفِضُوا تَنَوَّشُ جِسْمِي وَكَانَتْ شُرْهًا دُونِي
صَارَتْ رِمَاحُ قَوْمِي تَنَوَّشُ جِسْمِي، تَصِيهِ وَتَوْذِيهِ، وَكَانَتْ مَرْفُوعَةٌ مَشْرَعَةً دُونِي، لِلدِّفَاعِ عَنِّي
لِلْجَهْلِ حَقٌّ رُعَاةُ الْجَهْلِ تَضَمَّنَتْهُ لَهُ، وَلِلْعَلَمِ حَقٌّ غَيْرُ مَضْمُونٍ
قُمْ مِنْ ضَرِيحِكَ يَا مَأْمُونٌ وَاشْكُ إِلَى أَبِيكَ حَامِي ذِمَارِ الشَّعْرِ هَارُونٍ
قَمِ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ يَا نَاصِرَ الْعُلُومِ، وَارْفَعِ الشُّكُوكَ إِلَى أَبِيكَ هَارُونَ الرَّشِيدِ الَّذِي كَانَ يَحْمِي
ذِمَارَ الشَّعْرِ، وَالذِّمَارَ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْأَمْلَاقِ، وَذِمَارَ الشَّعْرِ... حَمَاهُ

وَقُلْ عَنَّاوِلَ بَغْدَادٍ قَدْ اكْتَأَبْتُ عَلَى الْمَعَالِي قَمَائَتْ فِي الْبَسَاتِينِ
إِلَّا شَقِيبَيْنِ: هَذَا طَارَ مُرْتَحِلًا وَذَا أَقَامَ ظَرِيدًا لِلشُّوَاهِينِ

ارتحل الشاعر معروف الرصافي، وكانت في دينه رقة كذلك التي في دين الزهاوي،
عن بغداد في العشرينات فأراد بأرائه السياسية والفكرية فمكث في بيروت قليلاً ثم
نوجه إلى القدس فعمل في التدريس. وأقام الزهاوي ببغداد والشواهين، الطيور
الكاكرة، نظارده... وسيفر الزهاوي إلى بيروت فمصر وسيعود... وسيعود الرصافي
أيضاً. الحال لم تتغير بالمناسبة. ولن تجد في العالم العربي اليوم - وأكتب في يناير
٢٠١٧ - أحداً يقول نصف ما قاله شاعراً العراق. فأما في المهجر فتجد كثيرين

لَهُ بِبَغْدَادَ عُسٌّ لَا يُفَارِقُهُ بَنَاهُ فِي دَوْحِهَا بَيْنَ الْأَفَانِينِ

الدوح: الشجرة، الأفانين: الأغصان

وَقَدْ يُغَرِّدُ فِي الْوَادِي عَلَى وَجَلٍ مُرْقِرِفًا فَوْقَ أَوْرَاقِ الرِّيَّاحِينِ

٦٧ رثاء أحمد شوقي

خَرَّتْ لِمِرَّةٍ شِعْرِكَ الشَّعْرَاءُ فَكَأَنَّهُمْ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ
يَا رَاحِلِينَ لِيُغَيِّرِ عَزْدُ إِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ فِرَاقَكُمْ فَخَذُونَا
سِيرُوا خِفَافاً إِنْ أَرَدْتُمْ أَوْ قَفُوا إِنَّا عَلَى آثَارِكُمْ أَتُونَا

* * *

مِنْ بَعْدِ دُرٍّ كُنْتَ تَنْظُمُ حِفْدَهُ بَرَزْتَ تُرِيدُ لِيَتَلَمَعَ الْحَصْبَاءُ
عَجَلْتُ فِي التَّرَحُّالِ يَا شَوْقِي وَقَدْ بَقِيتُ هَنَالِكَ، لَمْ تَقُلْ أَشْيَاءُ

القصيدة ملونة القوافي

الآبيات فيما سيلي من شعر الزهاوي منتخبة من ديوان له لم ينشره في حياته، بل تركه كي ينشر بعد موته، لما فيه من أبيات فلسفية قاسية لا يحتملها الناس. وقد نشر هذا الديوان، واسمه «النزغات» أي وسوس الشيطان، الأديب العراقي هلال ناجي، وأبدل كلمات معينة بنقاط بقدر عدد حروف الكلمة المبدلة.. ونحن نصنع صنيعه حتى لا نؤذي مشاهير من مشاهير رقيقة. وقد أشار الزهاوي نفسه إلى ديوان النزغات المخطوط في مقدمة ديوانه المطبوع بمصر عام ١٩٢٤

٦٨ دع المحال

دَعِ الْمُحَالَ وَكُلُّم بِأَهْجَةِ الْمُسْتَدِلِّ
دع المحال، المستحيل قبله غفلاً، وكلني بلهجة المستدل، أي الذي يقدم دليلاً على كلامه
مَا كُنْتُ أَقْبَلُ إِلَّا مَا لَيْسَ بِأَبَاءُ عَقْلِي

٦٩ الخفاء والظهور

هَذِهِ السَّنِيَا دَارُ كُلِّ جَزَاءٍ فَهِيَ لِلنَّاسِ جَنَّةٌ وَسَمِيرُ
وَلَقَدْ يُغَيِّبُ الظُّهُورَ خَفَاءً ثُمَّ لَا يُعَقِّبُ الْخَفَاءَ ظُهُورُ

٧٠ الترهيب

لَا تَخَفْ بَعْدَ الْمَنَايَا مِنْ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ
إِنَّ مَا قَالُوهُ تَرْهِيْبٌ بِإِنْسَانٍ يُسْطَاءُ

٧١ الصلاة

الْخَفْسُ مِنْ صَلَّاتِنِي عِيبٌ عَلَيَّ تُسْقِلُ
أَمَّا لِإِرْضَاءِ رَبِّي غَيْرَ الصَّلَاةِ سَبِيلُ؟

٧٢ الدليل

قَالُوا سَنَحْيَا جَمِيعاً بَعْدَ السَّرْدِ خَالِدِينَ
فَقُلْتُ: هَاتُوا دَلِيلاً إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٧٣ أين الدليل؟

فَكَرْتُ فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
فَلَمْ أَشَاهِدْ دَلِيلاً عِلْسِي (...) حَكِيمٍ

٧٤ المسير

أَنَا لَوْ كُنْتُ مُسَخَّرَاً لَمَّا جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا
وَأَكْبَرُ سَلَوَتِي أَنِّي بَعْدَ الْمَوْتِ لَا أَحْيَا

٧٥ التجديد

إِنْ دِينُ السَّخَسَلَفِ مِنْ ثُرَاثِ السَّسَلَفِ
وَقَبْرُ السَّيَوْمِ بِحَا جَاتِهِمْ لَيْسَ يَفِي

٧٦ قد بُحْتُ الآن

مَا عَلَى مُسْفِرِي هَذَا خُصْمُومِي سَسَدُ
أَنَا مَا بُحْتُ لَهُمْ بِالَّذِي أَعْسَقْتُ

٧٧ قد تَزَنَّدْتُ لكن غير متعمد

وَلَا تَحَسَّنِي قَدْ تَزَنَّدْتُ عَامِداً لِأَخْرَجَ مُكْنَأَ فِي جَهَنَّمَ خَالِداً
وَلَكِنِّي لَمْ أَقْتَنِغْ بِكَلَامِهِمْ فَأَصْبَحْتُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ جَاكِداً

٧٨ مشكلة أكبر

لما جهلت من الحقيقة أمرها وأقمت نفسك في مقام مُعَلَّلٍ
أثبتت (...) تبتغي حلاً به للمشكلات، فكان أكبر مُشكِلي

٧٩ الجنة والسعير

يرجو أناس أن ينالوا بعثما يعثو الردى فيهم وصال الحور
يعثو: يفسد

أو يُبصروا في العالم المَستور ما لم يُبصروا في العالم المنظور
أنا أنا فيخالي في هله الدُّ نبا سلاي جَنني وسعيري

٨٠ غير واثق

توقفت لا أدري تجاه الحقائق ألتي خلقت (...) أم هو خالقي
لئن وثق الجمهور (...) خالقاً فرب حكيم بينهم غير واثق
أكفر لما شاء لي الكفر ساعة وأخلد في النيران غير مُفارق

٨١ المستريب

إلى (...) أشكو أنني منه في ريب تمكّن مني في شبابي وفي شببي
إذا كان هذا في عيباً يشيني فإني بإقرارٍ أدل على عيبي
وما رآني (...) الشهادة وحدها ولكثما (...) الشهادة والغيب

هذا البيت الأخير فيه فوق الزندقة مجون

٨٢ اقتناص فرصة

قالوا بأن (...) حيي له على عريته ثبوت
فقلت ما (...) غير وفهم أكبره الوصف والشعوت
إن حبي العلم في أناسي (...) من ذاته يَموت
أوسعني المؤمنون سباً فكان بي يحسن السكوت
لكنني قلتها لأنني حبستها فرصة تُفوت

٨٣ أهل الديانات السماوية

إِنَّ السَّيْهَوْدَ أَصَابُوا مِنْ التَّجَارَةِ مَا لَا
وَلِلنَّصَارَى مَكَانٌ مِنْ الرُّقِيِّ تَسَالَى
وَالْمُسْلِمُونَ تَرَاهُمْ يَكْمُلُ أَرْضُ كَسَالَى

٨٤ خالق الناس والطاعون

مَا ذَكَرْتُ (....) ذَا إِلَّا- تَذَكَّرْتُ جَحِيمًا
لَيْسَ (..) النَّاسُ لَنَا مِنْ كَيْمًا قَالُوا رَحِيمًا
خَلَقَ الطَّاعُونَ وَالْهَيْبُ ضَةً وَالسُّلَّ الْأَلِيمًا
الهبة: الكوليرا

٨٥ محنة الإنسان

جَاءَ وَلَمْ يَذْرِ السَّبَبَ وَفَوَّ كَمَا جَاءَ ذَقَبَ
جِيءَ بِهِ إِلَى الْوُجُو د، وَفَوَّ قَطَّ مَا طَلَبَ
وَقُيِّدُوهُ بِالسَّخَسَلَا لِي وَالْحَرَامِ وَالْأَذَبَ

٨٦ عتاب

النَّاسُ إِمَّا غَنَمٌ سَارَحَ لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ، وَإِمَّا ذُنَابَ
لَيْسَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا مَا جَنَى يُزِيلُ جُوعَ بَطْنِهِ مِنْ عِقَابِ
بَلْ إِنَّمَا الْعَثْبُ عَلَى بَارِيٍّ قَدْ سَلَّحَ الذَّنْبَ بِظُفْرِ وَنَابِ

٨٧ النعيم الديني

مَا النَّاسُ إِلَّا نَمِيمَاتٌ يَحُورُ بَعْدُ هَشِيمًا
فَلَا تَخَافَنَّ يَوْمًا قِيَامَةً وَجَحِيمًا
وَلَا صِرَاطًا كَمَا يَذُ كُثْرُونُهُ مُسْتَقِيمًا
وَفِي حَيَاتِكَ فَاثَقَمَ إِذَا أَرَدْتَ تَسْمِيَمًا

٨٨ استغفار

أَتَى غَيْرَ مُخْتَارٍ وَقَارَقَ مُضْطَرًّا وَلَمْ يَكْ لَمَّا عَاشَ فِي نَفْسِهِ حُرًّا
تَرَأَّفَ وَلَا تَقَلَّبَ بِنَارِ جَهَنَّمَ فَتَى غَيْرَ مُسْطَبِحٍ عَلَى حَرِّهَا صَبْرًا
إِذَا لَمْ تَكُنْ دَارٌ يُجَازَى بِهَا الْفَتَى تَسَاوَى إِذَنْ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرًّا
لَقَدْ قُلْتُ قَوْلًا بَاطِلًا بِجَهَالَةٍ وَالْحَدِثُ قَالَهُمُ يَا خَالِفِي غُفْرًا

٨٩ الدين والحجاب

لَقَدْ جَهِلُوا الْإِسْلَامَ كُلَّ جَهَالَةٍ فَأَذَوَّهُ ذَمًّا شَأْنٌ مَنْ لَيْسَ يَفْهَمُ
وَقَالُوا بَنَى الْإِسْلَامُ حُمْرَانَ أَهْلِهِ زَمَانًا، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يُهْدَمُ
وَعَدُّوا مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِمْ، حِجَابَ الْمُسْلِمَاتِ وَأَعْظَمُوا
وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ الْحِجَابُ لَوْ أَنَا رَجَعْنَا إِلَى أَحْكَامِهِ نَتَفَقَّهُمُ

٩٠ أنا وعقلي

مَا قُلْتُ شَيْئًا بِقَمِي إِلَّا وَعَقْلِي مُلْهِمِي
أَنَا ابْنُ عَقْلِي وَحَدُّهُ تُنْبِئُ عَنِّي كَلِمِي
بِهِ اهْتَدَيْتُ فِي شَبَابِي بِي مِثْلَمَا فِي هَرَمِي
وَرُبُّمَا كَانَتْ أُمُو رُأْنَا عَنْهُمْ عَمِي
أَوْ قَدْ رَمَيْتُ أَسْهُمًا فَمَا أَصَابَتْ أَسْهُمِي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٧	لِشُحُوبِهَا	٢	أَفْيَاءُ
٨	أَيَاتَا	٦٧	سَمَاءُ
٢	الْأَمْهَاتُ	٢	شِفَانِي
١٠	الكَائِنَاتُ	٧٠	وَشَفَاءُ
٩	بَانُورَا	٢	غَضَابَا
٢	قُبُوتُ	٢	أَغِيبُ
٨٢	قُبُوتُ	٤	جَوَابُ
١١	وَالْأَمْهَاتُ	٣	خَشَبُ
٢	وَنَبِيتُ	٥	قُرُوبُ
٢	يَقُوتُ	٢	كَيْبُ
٢	الْحَرَكَاتِ	٢	اِكْتَابِي
٢	المُشْكَلَاتِ	٦	الْأَعْقَابِ
١٤	بِالصَّلَاةِ	١	السَّرْبِ
٢	حِبَانِي	١	نَكَهْرُبِ
١٣	مُتَّصِلَاتِ	٨١	شِنِي
١٢	وَالنَّسَمَاتِ	٢	وَالرُّتَبِ
١٥	إِخْدَانِي	٢	الصَّخَبِ
١٦	يَتَمَوَّجُ	٨٥	دَهَنُ
٢	مَدَائِحِي	٨٦	ذِنَابُ
٧٧	خَالِدَا	١	أَذْنَابِهِ

٢	والأبرارُ	١٨	فَذَفْدَا
٢	والعشِيرُ	١٩	نَقْدَا
٣٤	والفِكْرُ	٢٤	استعدَّادُ
٢	وَذُكُورُ	٢٥	تَبِيدُ
٣٢	ونَكِيرُ	٢	تَتَجَدَّدُ
٧٩	الحَوَرِ	١	جَمَادُ
٣٧	المَزَارِ	٧٦	سَنَدُ
٣٨	تَكْفِيرِي	٢٠	محدودُ
٣٩	فَبِيرِ	١٧	مُسْتَنَدُ
٢	صدري	٢١	مَلْحُودُ
٦٩	وسَعِيرُ	٢	وُلْدُوا
٢٩	سَقَرُ	٢٢	وَيُهْدَدُ
٢	الْجِدَارَةُ	٢	الْأَكْبَادُ
٣٠	نَارَةُ	٢٦	الجمادِ
٢	النَّاسَا	٢٨	بالأجسادِ
٢	فَارَسُ	٢	بالمرصادِ
٢	أَمْسِ	٢	جَلْدِي
١	نَفْسِي	٢٧	وَحِيدِ
٢	يَطْبِشُ	٢	تُجِيدَةُ
٢	الأَرْضِ	٢	رُقَادَةُ
٤٠	صِرَاعَا	٢٣	حُقُودُهَا
٤٢	الْوَسِيعُ	٨٨	حُرًّا
٤١	تَصَدَّعُ	٣١	ونارا
٤٣	تَقْلُعُ	٢	يَطِيرَا
٢	جَزْوُعُ	٣٦	أَشْعُرُ
٤٤	المَطْلَعِ	٣٣	الحُرُّ
٢	تَطَوُّفُ	٢	الضَّمِيرُ
٧٥	السَّلَفِ	٢	تَنْمَطِرُ
٢	الطَّوَافِ	٣٥	كَسِيرُ

٢	الصَّنَمَامَا	٢	عَفِيفَةٌ
٨٤	جَحِيمَا	٤٥	حَقِيقَا
٦٠	زُرَّوَامَا	٤٧	مَطْرُوقٌ
٨٧	هَشِيمَا	٢	وَالشَّنُقُ
٢	بَرَمٌ	٢	الْمُتَطَلِّقِ
٢	عَنَمٌ	٤٨	يَخْنَأِي
٦٢	مِنْهُمْ	٨٠	خَالَفِي
٦١	نَعْتَصِمُ	٢	طَلِيقِ
٨٩	يَقْفُهُمُ	٢	وَتَوْفِي
٩٠	مُلْهَمِي	٤٦	حَقَّهَا
٧٣	وَقَدِيمِ	٢	يَتَحَرَّكُ
٢	إِدْسُونَا	٥٠	الْأَحْوَالَا
٢	تَبِينَا	٢	تَوَلَّى
٧٢	خَالِدِينَا	٨٣	مَالَا
٢	يُنَى	٤٩	وَطَلُولَا
٢	يَنْهَانَا	٥٣	أَرْتَجِلُ
٦٤	الْعَنَاوِينُ	٥١	الرَّجْلُ
٢	أَهْوُونُ	٥٥	الطَّوِيلُ
٢	نَحْنُ	٥٢	تَوَوُّ
٦٣	وَأَدْبَانُ	٧١	ثَقِيلُ
٢	وَعِلْمَانُ	٢	مُهْمَلُ
٢	الْبِرَاهِمِينَ	٥٦	وَعَوِيلُ
٢	الْيَلْدِينَ	٥٤	يُسْأَلُ
٢	جَنُونِي	٢	أَقْوَالِي
٢	شُجُونِي	٥٨	الْعَالِي
٢	مَوَازِينَ	٦٨	الْمُسْتَدِلُّ
٢	وَامْتِهَانِ	٥٩	لِي
٦٦	يُؤْذِنِي	٥٧	مَالِي
٦٥	شَانِيهِ	٧٨	مُعَلِّلُ
٧٤	الدُّنْيَا	٢	أَفْعَالُهَا

أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م)

قرأت شعر شوقي، هذه المرة، ويدي قلم. فكلما وقعت على بيت جميل جعلت بإزائه علامة. ولما أنهيت المجلدات العشرة، وعدد صفحاتها أكثر من أربعة آلاف، انتهت المتعة وبدأ الشغل.

رحتُ أنظر في الأبيات التي أخذتها من كل قصيدة، فأزيد بيتاً هنا أو هناك، حتى تقف القصيدة.

ثم دفقت ذلك كله بيدي على الحاسوب، وشكلته. ثم عرضته على المصدر الذي منه أخذت، وهو «الموسوعة الشوقية» لإبراهيم الأبياري، وعارضته بـ «الشوقيات».

وبعد ذلك سميت كل قصيدة باسم من عندي، وأخذت أكتب تحت كل بيت شرحه، وصنعت فهرساً للأشعار على القوافي.

أما معيار الاختيار فهو ذوقي. وأما طريقة الشرح فامش بضع صفحات حتى تراها.

ولا أزعم أنني فتحت فتحاً، فقبلي اختار الناس من أشعار الناس، وقبلي شرحوا. لكنني أرى شرحي متميزاً بثلاث: الاجتهاد، والأمانة، والتفاعل.

فأما الاجتهاد فأنني كنت أقلب البيت المشكل على أوجهه، وأنظر في المعاجم، وفي شروح الشوقيات والموسوعة الشوقية، وفي كتب التاريخ؛ وأني قرأت مرات وظللت أصحح حتى اطمأن القلب.

وأما الأمانة فأنني لم أترك معنى بقي غامضاً علي إلا أشرت إلى ذلك؛ ولم أكن أعرض للكلمة السهلة فأشرحها تاركاً الكلمة الصعبة دون شرح. ذلك

عمل لم أعمله. ولم أذكر حادثة أو مناسبة قصيدة إلا وأنا مطمئن إلى صحتها، فإن داخلني شك فيها فإما أن أضرب عن ذكرها، أو أن أذكرها، لطرافتها، مع التنبيه على الشك في صحتها.

وأما التفاعل فأنني تعمدت أن أنقل إليك ما أشعر به حيال بعض الأبيات. فالبيت الذي يحسن اقتباسه وحفظه للمذاكرة جعلته بالحرف المشدد، فإذا كانت فيه تورية لطيفة أو علة خفيفة أشرت إليهما. وإذا رأيت القصيدة معبرة عن حادثة ذكرت ذلك في صدرها أو في ذيلها. ومسعاي في كل ذلك أن يحسن القارئ أنني أقرأ معه وأشاركه. فإن أحسن القارئ في خلال ذلك، ما لا بد أن يحسن، من ميل إلى التعالم والتفاسح، فهذه نقيصة ابن آدم، وستزول عني عندما أزل.

شرحت مختاراتي هذه من أبيات شوقي للكبير والصغير والمقسط في السرير. كنت أحياناً أحسن أنني أفرط في التبسيط وأنني أشرح كل كلمة، فأرفع القلم عن الكلمات التي يفهمها عامة المثقفين؛ ثم أعود وأكرر عليها كرة أخرى فيبدو لي فيها، فأشرحها، رفقا بشاب في مستقبل ثقافته العربية. وألزمْتُ نفسي بشرح الكلمة في كل موضع ترد فيه، فلعل من قرأ شرحها أولَ ورودها يكون قد نسي معناها عندما ترد مرة أخرى بعد صفحات، ولست افترض أنك تقرأ الباب من أوله إلى آخره، فهذا ليس رواية.

عليّ في هذا الكتاب دينٌ لصاحب الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري، فقد أفدت من شرحه الوافي؛ ولئن خالفته في فهم المعنى في أبيات كثيرة، ووجدته لم يعط البيت حقه من الشرح في أبيات أكثر، فذلك لأنه شرح الثلاثين ألف بيت كلها ملزماً نفسه ألا يهرب من بيت مغلق؛ فأما أنا فاخترت ما راقني وما سهّل عليّ، وكنت إذا اعترضني بيت عسير تجاوزته مُريحاً نفسي من تمعُّل وجه له، وجارياً على معتدلي في الأبيات الصعبة: وهذا المعتقد هو أن البيت المغلق الصعب هو نتاج مخاض صناعي تكبده الشاعر، ويكون بعيداً عن القرينة الحرة، وصفاء الروح. وليس من المصادفات أن البيت الجميل يكون سهلاً قريب المأخذ.

وعليّ دينٌ لشارحي الشوقيات على اختلافهم، فلئن كانت شروحهم قليلة الغناء في معظم الأحيان، فقد اجتهدوا في ضبط الشعر ضبطاً طيباً.

ولا أذكر الكتب الكثيرة التي تحدثت عن شعر شوقي وحياته حتى لا

أغس لساني فيما لا ينفع. وما استفدت منه ذكرته في محله.

أما أن أصنع صنيع الأكاديميين فألملم أسماء الكتب ومؤلفيها في جريدة بآخر الكتاب، فقد كُفيت، وأنا أكل لقمتي من مائدة أخرى غير تلك المعابد التي يسمونها جامعات.

أردت في هذا الكتاب بأبوابه أن أثبت لنفسي طريقة في اختيار الشعر وشرحه، واستندت إلى تراث عربي غني في مضمار الاختيار والشرح. وقد بسطت رؤيتي العامة للشعر العربي في مكان آخر من هذه المقدمة.

سميت أحمد شوقي «شاعر الألف سنة» لأنني لم أجد بين المعري وبينه شاعراً أهم ولا أعظم منه. وكنت أطلقت هذا الاسم على البرنامج التلفزيوني الذي أعدته وأخرجته لقناة «الجزيرة» الزميلة هويدا طه في الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة شوقي، ثم اكتشفت أنني لست أول من فكر بهذه الفكرة. فقد كتب الشاعر شفيق جبري بعد أيام من وفاة شوقي مقالاً بعنوان «أحمد شوقي: شاعر لم يظهر مثله من ألف سنة» في جريدة الأيام الدمشقية.

وقد انغمست في شعر شوقي أكثر وأنا أقدم برنامجاً آخر قصيراً في قناة «الجزيرة» كان اسمه «قال الشاعر» أنتجته الزميلة نغم عيتاني. وقد خصصت شوقي باثنتين وعشرين حلقة من أصل نحو ميتين وعشرين حلقة تم إنتاجها قبل توقف البرنامج، ولو قبض له أن يستمر لأريت الحلقات المخصصة لشوقي على الخمسين.

سميت كل قصيدة أو قطعة في هذه المختارات باسم من عندي. واستندت إلى الطبعة البيروتية الثانية من «الموسوعة الشوقية». فأما الطبعة الأولى - التي ازدانت مجلداتها جميعاً بصورة خليل مطران - فكنزتها على أحفادي حتى يبيعوها بالمال الكثير بيع النوادر. وأذكر للناس البيروني، سوى جودة أحرفه وورقه، أنه ضبط الأبيات بالشكل ضبطاً جيداً، فلم يقصر في هذا عن الطبعة المصرية.

وأما الشوقيات فهي ديوان شوقي الذي نشره بنفسه في مارس عام ١٩٠٠ (وإن كان مؤرخاً في عام ١٨٩٨)، وسماه «الشوقيات» على حياء، لا ثذاً بأن شكيب أرسلان هو من اقترح التسمية، وهذه حقيقة يؤكد لها أرسلان في كتابه عن شوقي. ثم صدرت طبعة أخرى وشوقي في السابعة والخمسين من عمره

فأضاف إليها الكثير، لكنه - أيضاً - حذف كثيراً من المدح في أولياء نعم لم يعودوا أولياء نعم. وكانت طبعة الشوقيات الأولى محلاة بمقدمة ثمينة وطويلة من قلم شوقي، فأسقطها في الطبعة الثانية وأبدل بها مقدمة من قلم محمد حسين هيكل. وأضيف إلى الشوقيات الكثير بعدئذ، فطبع منها جزء ثانٍ في حياة شوقي، وجزء ثالث بعد وفاته بأربع سنوات، ثم رابع بعد وفاته بعشر سنوات. وعثت السياسة بطبعات الشوقيات بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر. وجاءت بعدئذ طبعات لبنانية رديئة كثيرة. على أن طبعة إميل كبا محققة تحقيقاً حسناً، ومخدومة بقطع نثرية قد تعين الطلبة. وفيها «مداخلات» تذوقية طيبة. وسعت إلى الالتزام بالطبعات الأصلية، بدلاً من التسكع في تيه الطبعات «المهذبة». وفهرسها ممتاز، بخلاف فهرس الموسوعة الشوقية الذي جعل له مجلد برأسه ولكنه قليل النفع.

وفي الستينات نشر محمد صبري السوريوني كتاب «الشوقيات المجهولة»، فكان جهداً علمياً طيباً. لكن بعض شعر شوقي ظل دفين الجرائد. فكان نشر الموسوعة الشوقية في مطلع الثمانينات خدمة جلييلة للأدب، ولشن سبقتها ولحققتها كتب حاولت جمع شعر شوقي الغنائي ومسرحياته ونثره، فإن الموسوعة الشوقية هي التي جمعت فاستوعبت.

قد بذلتُ جهداً في ترتيب هذه الأشعار التي اخترتها ترتيباً زمنياً صارماً يجعلك تقرأ الكتاب وتتابع فيه حياة الرجل وتطور فنه ومواقفه السياسية والاجتماعية. ولكن التناقض في التأريخ بين كتاب وكتاب حال دون الترتيب الصارم، وحال دونه أيضاً إهمال المؤلفين، وكثرة أغلاطهم. وأكبر المهملين أحمد شوقي. فهذا الرجل الذي عاش لشعره، كان مهملاً في جمعه. كان أحياناً ينشر القصيدة في جريدة أو مجلة باسم مستعار ثم يعود إليها فيحكيكها ويزيد في أبيانها ويقتص، ثم ينشرها في طبعة من ديوانه. أو تنشرها له بعلمه أو بدون علمه جريدة أخرى.

وحاد بي عن الترتيب الصارم قليلاً أنني جمعت قصائده التي على لسان الحيوان في مكان واحد. فهو، وإن يكن نظمها كلها تقريباً في سن الشباب الباكر، غير أنه أضاف إليها قصائد قليلة كهلاً. فضممت الشبيه إلى الشبيه.

قد صدعتك بمزايا مختاراتي هذه، وأزيدك في الختام واحدة: اخترت ما اخترته لك بمزاج.

حياة أحمد شوقي

إذا آمنت، مثلما أومن، بأن الشاعر بجيده لا يردئه، وبأن أكثر ما يعيننا من سيرة الشاعر شعره، فخير سيرة لأحمد شوقي هي ما يتضمنه هذا الباب من شعر. فقد عرضت لك مختاراتي من شعر الرجل: ما كتب في صباه فشابه فرجولته فكحولته، مرتباً ترتيباً زمنياً، مشروحاً، مع ذكر المناسبات والمواقف والمعلومات التي تُعينك على فهم الجو السياسي والاجتماعي الذي أحاط بالقصائد.

ولكنك قد تحب أن تعرف عن نشأة الرجل.

نشأته

اسم جده «أحمد شوقي» أيضاً، وهو كردي - عربي، «سمعت أبي، رحمه الله، يردُّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب».

قدم الجد إلى مصر حاملاً رقعة توصية من أحمد باشا الجزار والي عكا إلى محمد علي باشا والي مصر. وكان الجد يتقن العربية والتركية ويكتب بهما، فالتحق بالمعينة؛ وما زال يتقدم حتى صار أميناً للجمارك المصرية في منتصف القرن التاسع عشر. وجمع ثروة طيبة بددها ابنه «علي» سريعاً.

عاش «علي»، أبو شاعرنا، من عمله. وتزوج فتاة أبوها مصري من أصل تركي وأمها يونانية أسرت في الحرب وجيء بها لتكون وصيفة أو شبه ذلك عند إبراهيم باشا ابن محمد علي. وأنجبا ابناً في عام ١٨٦٨ سمي به باسم جده. فهذا «أحمد شوقي» الشاعر. وقيل، استناداً إلى شهادة اللسانس الفرنسية، بل ولد عام ١٨٧٠.

يذكر شوقي جدته أم أمه، واسمها نزار، كثيراً. فهي بنت القصر، جاءت سيئة وعمرها عشر سنين، واعتنقت الإسلام بالطبع؛ ولعلها نسيت كل ما تعرف من لغتها اليونانية، فكانت تتكلم - فيما أحسب - العربية والتركية. وكبرت، وزوجها القائد الذي أسرها إبراهيم بن محمد علي من رجل عالي المكانة، واحتفظت بصلتها بالقصر. واحتفظت بمعاش زوجها بعد وفاته. وقد أخذت شاعرنا من المهد وكفلته. «حدثني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه. فطلب الخديوي بكرة من الذهب، ثم نشرها على البساط عند قدميه، فوقعت

على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجديتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي. قال: جيئي به إليّ متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر». انتهى كلام شوقي في مقدمة الشوقيات.

أدخله أهله في مكتب الشيخ صالح وهو في الرابعة من العمر، «وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم». ثم انتقل للمبتديان فالتجهازية، فكان ترتيبه الثاني في المدرسة وهو في الخامسة عشرة فحصل على المجانية لتفوقه.

نبوغ شاعر

كان دخوله الكتاب في هذه السن الطرية الشرارة الأولى التي لن تخبو. لقد عرف اللغة العربية الفصحى وهو طفل صغير، وعرف أن هذا هو المضمار الذي يجب أن يركض فيه. وفي المدرستين اللاحقتين التصق بلغة القرآن ولغة الأدب ولغة المثقفين. هنا التقط شوقي فيروس العربية الذي لن يفارقه. ووضع في جيبه المسطرة التي سيقس بها كل أدب. عرف المتنبي والبهاء زهيراً، وقرأ على الشيخ حسين المرصفي صاحب كتاب «الوسيلة الأدبية» «كشكول» العاملي ثم «الوسيلة»، وكان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره. وعثر على قلبه في شعر محمود سامي البارودي الذي قرأ منه عدة قصائد في «الوسيلة». ولمصطفى صادق الرافعي تحليل طيب لسبب التأثير الشديد بالبارودي: السبب هو المعاصرة، «فالمعاصرة اقتداء، ومتابعة على الصواب إن كان الصواب، وعلى خطأ إن كان الخطأ». ويعلى الرافعي خروج البارودي عن غثاثة الشعر في زمنه تعليلاً طيباً: «كان البارودي جاهلاً بفنون العربية وعلوم البلاغة، لا يحسن منها شيئاً، وجهله هذا هو كل العلم الذي حوّل الشعر من بعده، فبها عجيبة من الحكمة. أكبّ البارودي على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول، إذ لا يحتاج الحفظ إلى غير القراءة ثم المعاناة والمزاولة، وكانت فيه سليقة، فخرجت مخرج مثلها في شعراء الجاهلية والصدر الأول. وجاءت بذلك الشعر الجزل الذي نقله المرصفي بإلهام من الله تعالى ليخرج به للعربية حافظ وشوقي». اهـ.

نظم شوقي وهو في الرابعة عشرة. وجلّي في أول قصيدة وصلتنا، وهي وصف للخريطة، واقتبسنا معظمها هنا، أن هذا التلميذ ذو خيال عجيب، وأنه يمتلك ناصية اللغة، ويتصرف بها باقتدار.

درس شوقي على حسين المرصفي مدة غير قصيرة. قال في مقابلة نشرتها الأهرام عام ١٩٢٧: «أستاذي الوحيد الذي أعد نفسي مديناً له هو الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية، وتعلمت سنتين لحفني بك ناصف، وهما أستاذاي حقيقة اللذان استغدت منهما».

ثم دخل شوقي مدرسة الحقوق وهو دون السن القانونية، فدرس بها سنتين، وعندما أنشئ بها قسم للترجمة دخله وأقام به سنتين آخرين. ونال إجازة في الترجمة.

كان وهو تلميذ يمدح الخديوي توفيقاً، وكان هذا يصل إلى الخديوي، فتوفيق يتقن العربية ويبدو أنه كان يتذوق أدبها، إذ إنه درس بمصر ولم يتسن له السفر إلى أوروبا للدراسة.

ثم الحق الخديوي توفيق شوقي في معيته. وعين أباه مفتشاً بعد أن كان فقد وظيفته.

بقي شوقي سنة في معية الخديوي توفيق، ثم أرسله إلى فرنسا للدراسة وخيَّره، فاختر شوقي الحقوق، فنصح له الخديوي توفيق أن يجمع بين «الحقوق وبين الآداب الفرنسية بقدر الإمكان».

الدراسة في فرنسا

ركب شوقي البحر إلى مرسيليا في يناير عام ١٨٩١، وأنفق عامين في موندلبيه، وعاماً في باريس، ورجع إلى مصر في نوفمبر عام ١٨٩٣. ومنعه الخديوي من القدوم إلى مصر في العطلة الدراسية، وطلب منه أن يقيم «أربع سنوات كاملة في أوروبا»، وألا يضيع منها دقيقة واحدة، «ثم أرسل إليّ خمسين جنيهاً لأنفقها في رحلة أزمعها إلى أي بلد أشاء، إلا مصر».

في السنة الثالثة نال شوقي شهادة الحقوق الفرنسية، ولكن الخديوي توفيقاً طلب إليه أن يبقى في باريس ستة أشهر ليتمكن من «معرفة أشياء باريس وأهلها». الخلاصة أن شوقي مكث في فرنسا ثلاث سنوات تنقص شهراً.

موظفاً في القصر

رجع شوقي إلى مصر ليجد توفيقاً قد مات، وابنه الشاب عباس حلمي قد

تولى الحكم. عمل شوقي في القصر. ولا شك أنه أحس بغصة، فالخديوي توفيق كان يحب الآداب، وهو رجل تربي على اللغة العربية. أما عباس حلمي فشاب يصغر شوقي بست سنوات، ودرس في مصر ثم في فيينا مدة قصيرة وقطع دراسته بموت والده ليتولى الحكم بعده.

لكن شوقي نال ثقة عباس حلمي، وتولى له رئاسة القلم الإفرنجي. وبعد سنتين مثل مصر في مؤتمر المستشرقين في جنيف بسويسرا عام ١٨٩٤. وعاد فكتب تقريراً «إلى سيدنا ومولانا، وليّ النعم الأكبر، الخديوي المعظم».

في المؤتمر عرض شوقي قصيدة من ٢٩٠ بيتاً قص فيها تاريخ مصر الفرعوني والإسلامي. وقال كلمة بالفرنسية، ترجمها بنفسه لاحقاً إلى العربية، حث فيها المستشرقين على الاهتمام بالحاضر الأدبي للعرب الذي «دخل في الحركة العصرية من نحو نصف قرن»، ودعاهم إلى ألا يقصروا اهتمامهم على ماضي العرب وتراثهم القديم، وعرض عليهم روايته الشعرية علي بك الكبير، و«مجموعة حكايات منظومة على ألسنة الحيوانات، بإنشاء عربي محض، وفكر مصري خالص». وستظل هذه الحكايات من درر أدبنا العربي زمناً طويلاً. وقد اخترنا منها الكثير هنا، ليس لطرافة موضوعها فحسب، بل لأنها من أجمل الأدب.

غزل شوقي بالحسان في مصر وفي إستانبول التي كان يزورها كثيراً. ولم يكن في غزله سوى رجل يحب الجمال، و«الجمال البشري سيد الجمال كله» كما قال ناثراً.

وعرف مكائد الوظيفة، ودسائس القصور جيداً، وانطبع هذا في شعره بشكل جگم كان يقصد إليها قصداً، على أنه كان يغترفها من حياته. وتأثر ولا شك بالأدب الفرنسي، وهو يقول لنا إنه تأثر كثيراً بفكتور هوغو وألفريد دي موسيه ولامرتين، وأما لافونتين القديم فقد تأثر بقصصه وصنع قصصاً على طريقته. وعرف شكسبير باكراً من ترجمات صديقه خليل مطران لبعض مسرحيات شكسبير من الفرنسية إلى العربية. ولكن مثله الأعلى ظل المتنبي «صاحب اللواء، والسماء التي ما طاولتها في البيان سماء، ولو سلم من الغرور، وسلم الناس من لسانه لأجلته إجلال الأنبياء».

الزواج والأولاد

تزوج شوقي خديجة ابنة حسين باشا فهمي شاهين، وأنجبت له أمينة في

الليلة التي مات بها أبوه. ثم وُلد له علي، ثم بعد حين حسين. وأحب أولاده بشغف. وكتب فيهم قصائد فيها مرح وحب وفيها تعلق. وأخذنا معظم أبياتها هنا، ليس فقط لأن مثيلها نادر في شعر العربية، ولكن لأنها جميلة أيضاً. ولم يقل في زوجته شيئاً، ولعله كان في هذا الأمر الرجل الشرقي الذي يتفنن في إخفاء زوجته عن العيون والأذهان، تقرأ شعره في أولاده فلا تملك أن تسأل: وأين أمهم، ولا تملك أن تظن أنه كان يعثر عليهم تحت الشجرة في الحديقة. ويصرح ابنه حسين في كتابه عن أبيه بأن شاعرنا كان يسهر كثيراً ويهمل زوجته، وهي صابرة لا تؤاخذ في شيء.

شوقي شاعراً متميزاً

كان شوقي رجل سماع، يحب الموسيقى الشرقية، ويألف الموسيقى الكلاسيكية. ونحن نرى هذه الألفة من خلال أذن محمد عبد الوهاب الذي رافق شوقي في فرنسا لاحقاً واستمع بمعيتة إلى الموسيقى في مسارح باريس.

ونعرف أنه كان يسهر في مجالس الغناء، ويحضر المسرحيات الغنائية في القاهرة. لكن ارتباطه بالقصر يمنعه من التماهي في علاقات نسائية. ولعل الرجل لم يكن شهوانياً. كان يحب الخمر، ويعاقرها بانثاد. وكان يحب الجمال. ولكنه كان قد أصبح منذ أوائل الصبا راهباً في معبد الشعر.

«كان شوقي يقيد الشوارد ولا يدعها تفوت، ولم يقل لنفسه في وقت من الأوقات: دعينا من هذا الآن لأن لنا ما يشغلنا عنه وسنعود إليه في ساعة أخرى، بل كان المعنى المبتكر هدفاً له كيفما عَنَ وأنى عرض.. لم يخلط شوقي الشعر بالسياسة ولا التجارة ولا الفقه ولا الإدارة ولا الزراعة ولا عمل من الأعمال الأخرى التي يتعاطاها الناس،» كما قال شكيب أرسلان في كتابه «شوقي: صداقة أربعين سنة».

و«كان شوقي يفكر في الشعر قاعداً وحاضراً وبادياً وسائراً وسارياً وفي المركبة وماشياً، إلى غير ذلك. فقد أعطى شوقي نفسه للشعر فأعطاه الشعر ما لم يعطه غيره في هذا العصر»، كما قال عنه صديقه خليل مطران.

ولم يكن موسراً. كان موظفاً نافذاً في معية الخديوي. لا بل يرى شكيب أرسلان أنه «في عام ١٩٠٠ كان شوقي ضعيف الحال، لم يحصل على الثروة التي جمعها فيما بعد، والتي كان السبب فيها شعره بدون نزاع». أما أنه كان

ينفق من سعة بسبب ثروة زوجته وأهلها، فأمر مشكوك فيه. لقد كان شوقي محجة لأصحاب الحاجات سنين طويلة. ولعله كان لا ينسى نفسه من عمولة هنا أو هناك على الطريقة التي كانت متبعة كثيراً في ذلك الزمن التركي. وهذه تهمة يؤكدّها محمد كرد علي في كتابه «المعاصرون»، من حيث نفاهاها ضمناً شكيب أرسلان. ولعل «بدون نزاع» هذه التي وردت في عبارة شكيب أجلب للتهمة منها لدفعها.

لا نعرف الكثير عن معتقد شوقي. لكن شعره يوحي بأنه كان مؤمناً دون تمسك بالعبادات. كان منتمياً إلى أمة الإسلام انتماء روحياً وسياسياً، فقد ناصب الإنجليز العداء مجازاة لأميره، وناصر الخليفة عبد الحميد في إستانبول مثلما ناصر أميره في مصر، وكان نصيراً للدولة الخلافة بمعنيها الزمني والديني. على أنه كان في شعره كثير الشك في الحياة الأخرى. ولكن، أليس هذا دأب كثيرين من الشعراء؟ قد لا يحل لنا التعميل على أبياته تلك في رسم خريطة لوجدانه الديني. على أننا نقول إن شوقي انتمى إلى الإسلام حضارياً وعاطفياً بعد إذ قدس اللغة العربية، وليس العكس.

وإذ رأى السفور في كثير من نساء إستانبول، واجتلى جمالهن ووصفه، أخذ يميل إلى السفور كفكرة، وحبه للمرأة العثمانية في قطعة نثرية طويلة كتبها عن زيارته لعاصمة الإسلام، قبل سنة من كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة». ولم يسارع إلى تأييد قاسم أمين في مطلع القرن العشرين. فوقف متحفظاً من صاحب كتابي «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، ثم رصد في شعره تحول مواقف الأمة، ومال إلى السفور بالتدريج.

ناصر شوقي الحزب الوطني وزعيمه مصطفى كامل، الذي كان منسجماً مع قصر عابدين ومؤيداً لإستانبول والخلافة، لكن شوقي لم يكن سياسياً حزبياً.

دخل القرن العشرون وشوقي أكبر مثقف في مصر. ولئن فاقه أحمد لطفي السيد، الذي يصغره ببضع سنين، في ثقافته الفلسفية والقانونية، فإن شوقي كان يمسك بزمام العربية كما لم يتسنّ لأحد منذ مئات السنين. وكان العقاد وطه حسين، كلاهما، آنذاك مع بدء القرن في الحادية عشرة من العمر.

وسرى طه حسين بعد ثلاثين سنة يشهد لثقافة خصمه شوقي: «كان شوقي يحسن التركية، وكان متقناً للفرنسية، فقد برع فيها نظراً وفهماً. وكان في أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم، فقد قرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ما

قرأ وما فهم.. . العنصر الفرنسي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله.. . عاشر شوقي العرب في شعرهم وأدبهم فعظم حظه من العربية، وعاشر الترك في حياته اليومية، واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركي فيه.

وإذا عرفت شح طه حسين في الشهادة لأي أحد - ولا سيما فيما يتعلق بالثقافة الفرنسية - عرفت قدر شهادته هذه في شوقي.

نرى شوقي مُقَلَّبَ القرن شاباً تخطى الثلاثين، قصيراً، بدأت صباحة الصبا تنحسر عن وجهه سريعاً، ولم يشفع له من جسمه شافع. يحضر حفلات الرقص في قصر عابدين ويستمتع بالجمال وهو يرى الفتيات يرقصن على أنغام الفالس، وتسيل خصورهن من أكف الرجال، والخديوي، الذي درس في فيينا سنة أو ستين، يعيش الدور بجانب زوجته النمساوية.

ذاق شوقي هجمة نقدية من المويلحي وأخرى من البازجي، في مطلع القرن، وكره النقد وسيظل يكرهه. وهاجم سعد زغلول المقرب من المعتمد البريطاني في مصر. وكان صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل. فلما مات هذا عام ١٩٠٨، لم يكن شوقي ميالاً لخلفه محمد فريد.

عاد إلى المسرح الشعري وهو في أواخر الثلاثين بعد تلك الرواية الباكورة التي نظمها وهو في أواسط العشرين من عمره. فكتب مسرحيتين هما «الست هدى» و«البخيلة». وانصرف عن الأمر.

رحب بالانقلاب العثماني وبالدستور عام ١٩٠٨، ثم لم يذرف الدموع على عزل ممدوحه السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩، الذي كان أنعم عليه بالبكوية. وبكوية إستانبول كانت في ذلك الزمن تجعل صاحبها أهلاً لأن يلقب بصاحب السعادة، وكانت، كما زعم محبو شوقي، مساوية للباشوية المصرية.

وانغمس في السياسة المصرية مع اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار عام ١٩١٠، لانهامه بعدم الوقوف بصلابة أمام تجديد ولاية الإنجليز على قناة السويس. وعاش جو مصر وجو الدولة العثمانية المحتضرة شاعراً بما يجري شعوراً دفيناً وقوياً. كان يرتفع عن الأحداث الصغيرة ويرى حاضر الأمة الإسلامية، ويراه في انهيار متسارع.

المنفى

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كان شوقي في إستانبول، وفيها كان

عباس حلمي . وطلب الإنجليز من عباس عدم العودة إلى مصر . وأسرعوا فأعلنوا مصر سلطنة وعينوا حسين كامل ابن إسماعيل سلطاناً ، ففصلوها بذلك عن الدولة العثمانية التي كانت في المعسكر المعادي .

ورجع شوقي إلى مصر وهنا السلطان الجديد . ولكن سلطات الاحتلال الإنجليزي في مصر أبعدته ، مع كثيرين من أصحاب الولاء للدولة العثمانية ، إلى مكان يختاره . فاختار إسبانيا لبعدها - على الأرجح - عن الأطراف المتحاربة .

وعاش مع أسرته وأربعة من الخدم في برشلونة . وانقطع إلى كتب العرب ودواوينهم . وكتب شعراً ونثراً ، وأرجوزة قص فيها تاريخ عظماء العرب . ولم يكن له نشاط اجتماعي يذكر في إسبانيا . ولم يتميز شعره هناك عن شعره قبل النفي ، إلا في قليل . كتب قصيدتين عامرتين واحدة في الحنين إلى مصر ، وأخرى في وصف آثار العرب في الأندلس .

كان أولاده قد شبوا ، وكانوا له سلوى في منفاه . يقص علينا ابنه الأصغر حسين ، في كتابه «أبي شوقي» الذي كتبه بعد موت والده ، قصة طريفة عن أبيه في إسبانيا : «ركبنا الحافلة ذات يوم ، هو وأنا ، فصعد رجل عملاق بادي الترف والثراء ، يعلق سلسلة ذهبية بصدرة وفي فمه سيجار ضخمة ، ثم ما لبث أن استسلم للنوم في ركن من العرب ، وراح يغط غطيظاً يرهق الأعصاب . وصعد نشال في مقبيل العمر جميل الصورة ، وهم بأن يخطف السلسلة ، لكنه أدرك أن أبي يلمحه ، فأشار إليه إشارة برأسه مؤداها : هل آخذها ؟ فأجابه أبي برأسه «آخذها» ، فنشلها الشاب ونزل ، بعدما حيا أبي برفع قبعته ! ولم يكذب نزل حتى التفت إلى أبي وقلت : هل يصح أن تترك النشال يأخذ سلسلة الرجل وهو نائم ؟ فأجاب : شيء عجيب يا بني ! لو كنت مقسماً الحظوظ فلن كنت تعطي السلسلة الذهبية ؟ أكنت تعطيها عملاقاً دميماً أم شاباً جميلاً ؟ فقلت : كنت أعطيها الشاب الجميل ، فأجاب ببساطة : ها هو ذا آخذها» .

هذا شوقي وهو يقترب من الخمسين . . شاعر الأخلاق . لكن معياره الأخلاقي داخلي ذاتي . ويصرح ولده حسين بأن أباه كان ذا نزعة بوهيمية دنية .

العودة من المنفى

عاد شوقي إلى مصر بعد انتهاء الحرب بقليل ، وكانت مصر تخرج من

عقابيل ثورة ١٩١٩، وسعد زغلول لم يعد مقرباً من الإنجليز، بل هو زعيم وطني نفاه الإنجليز، ثم عاد وراح يفاوضهم بعناد.

رجع شوقي إلى مصر وفيها حاكم جديد. السلطان أحمد فؤاد الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان حسين كامل. لم يقرب السلطان أحمد فؤاد أحمد شوقي. ولعل شوقي أحس براحة في البعد عن القصر. وهو الذي كتب قبل عشرين سنة «أو لم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبي مثلاً حياته العالية التي بلغ فيها أقصى الشباب، ثم يموت عن نحو مئتي صحيفة من الشعر تسعة أعشارها لممدوحيه، والعُشر الباقي، وهو الحكمة والوصف، للناس؟ هنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتي مثله؟ فأجيب: أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى. . والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عالٍ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى في البلاد، فما زلت أتمنى هذه المنزلة. . حتى وفقت بفضل الله إليها، ثم طلبت العلم في أوروبا، فوجدت فيها نور السبيل، من أول يوم، وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه». انتهى كلامه في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠).

لكن شوقي أحس بالمرارة التي يحسها كل امرئ كان قريباً من مركز السلطة ثم صار بعيداً. حقاً لم يتعد عن الملك فؤاد كل البعد، بل ظل يمدحه بين الفينة والأخرى مدحاً عارضاً في الأغلب، لكنه لم يعد شاعر القصر، ولا الموظف ذا النفوذ فيه.

انصرف شوقي إلى دنيا من الشعر والفن أوسع. فقال قصيدة في النيل فاخترة. وقال قصائد في رثاء الكبراء كان بها يحافظ على منابر الشعيرة، وينفث مخاوفه التي لا تهدأ من الموت. كان يعيش مرتاحاً ثرياً. وأظن أن شوقي الصبي الذي رأى أباه يبذل الثروة ويعيش عيشة عادية عرف كيف يمسك يده على ما نال في زمن الخديوي عباس حلمي من ممتلكات.

بعد المنفى

رجع شوقي إلى تمجيد مصر، وهي نغمة باهى كثيراً بأنه أول من صدح بها. فقد كان وقف على آثار الفراعنة واستوقف وهو شاب في الخامسة والعشرين في قصيدته أمام مؤتمر المستشرقين عام ١٨٩٤.

وقبل الكشف الأثري الباهر عن مقبرة توت عنخ آمون بسنة وقف شوقي يخاطب أبا الهول، ثم جاء الكشف الشهير الذي اهتزت له الدنيا، فتفجر شوقي بشعر كثير في وصف آثار الفراعنة ومناجاتها. وأليس حجارتهن من فنون القول ما هز النفوس، وكان العصر عصر بحث عن هوية وطنية. لم يتمسح شوقي بمومياءات الفراعنة تمسحاً بليداً، ولا هو تنكر لماضي مصر العربي الإسلامي. لكنه قال شعراً مليئاً بالجمال، وكفى.

كأنما كان في نفس هذا الشاعر حسرة لأنه لن يستطيع أن يقف على الإطلال وقوف شعراء العرب القدماء، الذين كانوا، وظلُّوا، مثله الأعلى وقاله الخالد، فوجد في قبور الفراعنة مناسبة للوقوف والاستيقاف دون أن ينهم بأنه صدى باهت للقدماء. كان أصيلاً في هذا الشعر ليس لدقة الوصف وحسب، ولكن - أكثر - لأنه رأى الموت حياً أمامه في آثار الأقدمين فتحدث عن شعوره تجاه الموت؛ وتحدث - وأسرف في الحديث - عن الخلود الدنيوي وبقاء الذكر.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انهارت الدولة العثمانية، فبكاه شوقي. ولكنه أثنى على أتاتورك ونحس له في حربه مع اليونانيين، وفي مساعيه للحد من أطماع الدول المنتصرة في تركيا. ثم ألغى أتاتورك الخلافة فلامه شوقي ثم انقلب عليه. وأحس شاعرنا أن مصر هي الكيان الوحيد الذي يمكن أن يعده وطناً. ولم يعد إلى إيمانه بدولة الخلافة ولا بالخلافة. ولم يعر أذنًاً للدعوة التي كانت لها جلبة في العشرينات لتجديد الخلافة.

أصبح شوقي قريباً من سعد زغلول بحضر مجالسه، في بيت الأمة ومسجد وصيف، ويمدحه بالشعر. وقربه سعد، وجعله عضواً في مجلس الشيوخ عن محافظة سيناء سنة ١٩٢٤. وكانت هذه السنة بداية الحياة البرلمانية الحديثة في مصر وقد زالت عنها الحماية البريطانية ونالت استقلالاً إسمياً.

في مجلس سعد، وفي جلسات ضاحكة في بار اللوا ومحل صولت، كانت لشوقي جولات ساخرة مع الدكتور محجوب ثابت. واشتهرت قصائده العابثة في حصان الدكتور محجوب وسيارته وعبادته.

شوقي السميع

اتخذ شوقي لنفسه صديقاً شاباً، مطرباً صاعداً لم يبلغ العشرين، هو محمد

عبد الوهاب. آمن بموهبته، وأخذ يصقلها بالمعرفة. كان عبد الوهاب يحضر مجالسه ويلزمه كظله. وكانت له غرفة في قصر شوقي. وأخذ شوقي معه إلى باريس مراراً، وإلى لبنان أخذه، وإلى الشام. وعلى عهدة عبد الوهاب، فيما نقله لنا مجدي العمروسي، فإن شوقي أخذه إلى باريس لأول مرة وعمر عبد الوهاب خمس عشرة سنة. ويروي لنا عبد الوهاب كيف أن شوقي خالف نصيح طبيبه وشرب زجاجة ويسكي كاملة في الباخرة، وذلك عندما علم أن في الباخرة ثقباً وظن أنها غارقة.

وكان لشوقي في باريس معارفه من الناس العاديين في مطعمه وفندقه، تماماً مثلما كان له في القاهرة. وكان يقرأ بالفرنسية كثيراً. وفي إحدى الرحلات الأولى مع عبد الوهاب أحضر كتباً فرنسية كثيرة عن كليوباترا إذ كان ينهياً لكتابة مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترا».

لقد عرف شوقي عبد الوهاب ولداً صغيراً يغني بين فصول مسرحية تقدمها فرقة عبد الرحمن رشدي، فكلم حكمدار بوليس القاهرة الإنجليزي لمنعه من الغناء لصغر سنه. كان ذلك فيما يروي عبد الوهاب (في كتاب عن سيرته نشر مرتين: مرة بقلم محمد رفعت المحامي ومرة بقلم لطفي رضوان!) سنة ١٩٢١. ثم في سنة ١٩٢٤ سمع شوقي عبد الوهاب في كازينو سان استفانو بالإسكندرية، واستقبله بحرارة ودعاه لزيارته في مكتبه بشارع جلال بالقاهرة. وبعد ثلاثة أشهر وانقضاء موسم التصنيف ذهب عبد الوهاب إلى مكتب شوقي، وكان لقاءً طيباً أعقبته دعوة عشاء، ثم ثماني سنوات من الالتصاق الشديد بين مثن ناشئ وبين أشهر شاعر في العالم العربي.

من عبد الوهاب عرفنا طرائف لا بأس بها عن شوقي. فهو يتناول إذ ينظم الشعر، ثلاث بيضات نيئة - يرفعها عبد الوهاب، عندما يحكي القصة لسعد الدين وهبة، إلى خمس بيضات - يشربها شرباً. وعندما سأله عبد الوهاب عن سر البيض النية قال: «علشان بحرق فسفور كثير». وشوقي ينظم الشعر في قلبه ولا يدونه إلا بعد أن ينظم عدة أبيات منه. يمشي هائماً في الشوارع، يدخل صيدلية، ويخرج منها دون أن يطلب شيئاً، ويدخل محلاً ويخرج، ثم يكتب أبياتاً على علبة سجائر، وكان مدخناً شرباً، أو يملئها على أحد، ولا يزال كذلك حتى يفرغ من القصيدة. وبعد ذلك.. «ألاقيه بعدما يولد الولادة وشه أصفر، عرقان تعبان منهوك، ويقول لي حتعمل إيه ما محمد، ها.. تتعشى فين يا محمد؟» كان يتأديه كذلك تحبباً.

ومن حديث عبد الوهاب، وغيره، عن شوقي نعرف أن شاعرنا كان يرجع إلى المعجم كثيراً. نجد ذكراً لرجوعه إلى المعجم وهو في بيته بالقاهرة «كرمة ابن هاني» وهو في السفينة مسافراً إلى فرنسا. وفي بيته كان له من يساعد في إعادة ترتيب كتبه على الرفوف. فبعد الخاطر «تيجي هنا عملية الصنعة».

وقد عرفنا عن طريقة شوقي في النظم من مصادر عدة أهمها وأوثقها رواية سكرتيره الشخصي أحمد عبد الوهاب أبو العز الذي حدثنا كيف نظم شوقي قصيدة «فني يا أخت يوشع خيرينا»: «جاء من منزله في المطرية فوجدني في المكتب في الساعة الحادية عشرة والنصف فأملئ علي ثمانية وعشرين بيتاً، ثم قال لي لا تبعد عني حتى إذا جاءني شيء أملئته عليك. وخرج يمشي حول العمارة، فكان كل بضع دقائق يعود فيملئ علي خمسة أو ستة أو سبعة أبيات. وأخيراً دخل المكتب وجلس على مقعده وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه ففهمت أنه ينظم في سره قال: اكتب، فكتبت وكتبت، ونظرنا إلى الساعة فإذا هي الواحدة بعض الظهر فقال: كفى، أعطني ما كتبت لأنني على موعد في هذه الساعة مع داود [بركات] في جريدة الأهرام، فقدمتها له بعد أن عدت أبياتها ووجدتها أربعة وثمانين بيتاً».

وقد وجدنا القصيدة زادت عشرة أبيات فأصبحت أربعة وتسعين بيتاً اقتبسنا لك منها هنا نحو نصفها.

وعرفنا من عبد الوهاب كيف زار سعد زغلول بيت شوقي لتهنئته بعرض ابنه البكر. وكيف التقط لهما المصور صورة. وأثناء التحضير للصورة بمعدات ذلك الزمن قال أحدهم، هذه صورة تجمع الخلودين: خلود الوطنية، وخلود الشعر. فعلق سعد زغلول ويده على كتف شوقي: «هذا الرجل وحده هو الخلود، فبعد خمسين سنة لن تجدوا من يذكر اسم سعد، ولكن ستجدون للأبد من يذكر شوقي ويترنم بشعره».

كان شوقي عاشقاً للغناء، ولفت نظري وصف الناقد الموسيقي كمال النجمي لعبد الوهاب بأنه «آخر مطربي شوقي». فقد كان شوقي متابعاً لفن محمد عثمان وعبد الحامولي، ثم بعد موتهما متقلب القرن تعلق بيوسف المنيلاري وعبد الحي حلمي وسلامة حجازي ومنيرة المهدي وأم كلثوم. وعرف قيمة سيد درويش جيداً، وبرز تذوقه لما أتى به سيد درويش من جديد في القصيدة التي رثاه بها. وكتب الشعر بالعامية لعبده الحامولي وسلامة حجازي

ثم لمحمد عبد الوهاب. وقد أحصى إدوارد ميخائيل في كتابه المتميز بالدقة العلمية عن عبد الوهاب تسعاً وعشرين قصيدة غناها عبد الوهاب من شعر شوقي، عشر منها بالعامية. والعدد قابل للزيادة والنقصان، لأن الكلمات لم تكن تنسب لشوقي إلا بعد حين.

لقد بلغ من حب شوقي للطرب أنه كان يأتي بالأطباء لعلاج المغني الشيخ محمد المسلوب وهو في المئة من عمره. ويبدو أن هذا العلاج كان نافعاً حقاً فقد عاش الشيخ حتى تجاوز المئة والعشرين.

هجمة نقدية شرسة

في أوائل العشرينات تعرض شوقي لأقسى هجمة نقدية. فقد نشر العقاد والمازني كتاب الديوان (١٩٢١)، وفيه حمل العقاد على شوقي حملة قاسية: «كنا نسمع الضجة التي يقيمها شوقي حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتاً كما نمر بغيرها من الضجات في البلد، لا استخافاً لشهرته ولا لمنعة في أدبه عن النقد، فإن أدب شوقي ورُصَفاته من أتباع المذهب العتيق هدمه في اعتقادنا أهون الهينات، ولكن، تعقفاً عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح، ويضن عليها من قول الحق ضن الشحيح، وتطوى دفائن أسرارها طي الضريح. ونحن من ذلك الفريق من الناس الذين إذا ازدروا شيئاً لسبب يقنعهم، لم يبالوا أن يُطبق الملا الأعلى والملا الأسفل على تبجيله، والتنويه به. فلا يعيننا من شوقي وضجته أن يكون لهما في كل يوم زفة، وعلى كل باب وقفة». وحمل العقاد حملته منوهاً إلى أن كثيرين يؤيدونه، ومشدداً النكير على شوقي وعلى آله الدعائية. وكان شوقي ممن يحسنون الذب عن أدبهم بتسخير الأقلام لمدحه، والصحف لنشره. كان إذا غضب غضب له ألف قلم مأجور. فمن هذه الناحية لم ينجن العقاد كثيراً. كان شاباً في الثلاثين يرى أن شوقي ينال اهتمام الصحف، فأراد أن ينال قسطاً من الشهرة بالتعرض لشوقي. وأجابه شوقي الإجابة المتوقعة من مشهور يتعرض له أديب ناشئ ليقطع جزءاً من شهرته لنفسه: سكت عنه سكوت قبر.

ثم انثنى العقاد إلى قصائد شوقي فتناول منها قصيدة متوسطة فلسفها بلسانه. ثم أخذ قصيدة رديئة حقاً فأنشأ يسخر من شوقي في نثر مليء بالحوية والتدفق. وعرج على قصيدة من الجياد هي مرثيته في مصطفى كامل - واخترنا

في كتابنا ثلث أبياتها - فأوسعها تهكماً. وغرس في قلب شاعرية شوقي، بعد التهكم من قصيدته الجيدة، أربعة نصال: التفكك، والإحالة، والتقليد، والولع بالأعراض دون الجوهر. فأما التفكك فقد عالجه العقاد علاجاً عجباً. كتب قصيدة شوقي بأبياتها الأربعة والستين كاملة، ثم عاد وكتبها مرة أخرى بعد أن بدل وعير مواضع الأبيات فبدأ بالبيت الأول ثم الرابع عشر ثم الحادي والعشرين ثم الرابع والستين وهلم جرا. ورأى العقاد بعد أن صنع ذلك أن القصيدة صارت أحسن نسقاً وأقرب نظاماً. وأكد العقاد نظريته المشهورة بأن الشعر العربي العتيق يقوم على وحدة البيت لا وحدة القصيدة. وأن شعر شوقي مفكك.

وأما الإحالة فهي الإتيان بمعنى مستحيل الحدوث في الواقع كقول شوقي:

يزجون نعشك في السناء وفي السنى فكأنما في نعشك القمران

وعلق عليه العقاد قائلاً: «وزعيمنا الفقيد كان فرداً، والقمران اثنان، فمن كان الثاني في ذاك النعش؟»

وكقوله:

مصر الأسيفة، ريفها وصعيدها قبر أبر على عظامك حان

وعلق العقاد: «مصر، أيها القارئ، ولا نخطئ فتحسبها القاهرة المعزية - فإنها مصر بريفها وصعيدها - مصر كلها، ما هي إلا قبر واحد. فلله در شاعرها يرثي رجلاً أحياناً نهضة في بلاده فيجعلها قبراً. ولأي ضرورة؟ وليلد على ماذا؟ لا شيء».

وأما التقليد فعنى به العقاد ما عبر عنه نقاد الشعر منذ القدم بالسرقة. ولشوقي سرقات كثيرة، ولكنه إذا قيس بالمتنبى كان عفيف الوجه واليد واللسان.

وأما الولع بالأعراض دون الجوهر فضرِب له العقاد مثلاً البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة:

دقات قلب المراء قائلة له: إن الحياة دقائق وثوان

وعلق قائلاً: «إنه بيت القصيد في رأي عشاق شوقي، فعلى أي معنى نراه يشتمل؟ معناه أن السنة أو مئة السنة التي قد يعيشها الإنسان مؤلفة من دقائق

وثوانٍ. وهذا هو جوهر البيت.. بلاغتهم المزورة لا تتعلق بالحقائق الجوهرية والمعاني النفسية، بل بمشابهات الحس العارضة.

كان العقاد متحاملاً، وآية تحامله أنه لم يرض أن يسلم لشوقي بيت واحد جيد أو حتى متوسط. لقد حكم على الرجل حكماً جارفاً، ولم يعجبه من الثلاثين ألف بيت التي نظمها شوقي في حياته شيء.

كانت هجمة نقدية عاتية. وكانت فيها فائدة للأدب العربي. ولكن شوقي، وهو موضوعنا لم يزل، مضى في طريقه لم يغير شيئاً. ظل الحارس الأمين للطريقة الكلاسيكية في الشعر العربي. وظل شعره «مفككاً»، أو إن شئت قائماً على وحدة البيت. وظل يعارض الشعراء الأقدمين ويباريهم، و«يسرق» منهم.

وظل العقاد يهاجم شوقي، ولكن شوقي راح ينعم بالتكريم في مصر والشام ولبنان، إلى أن توجته تلك الحفلة الكبيرة، سنة ١٩٢٧ في دار الأوبرا بالقاهرة برعاية سعد زغلول، أميراً للشعراء.

لقد اضطر حافظ إبراهيم إلى مبايعة شوقي حتى لا يقال حسدَه فتخلف. لكن العقاد اعترض بصراخ وزئير. وفي العراق قال الزهاوي:

قالوا للشاعر مصر مصر دار الإمساك تستجسب سنسسى
فقلت يا أهل مصر منكم أميرٌ ومنا

مستعيداً قولهُ الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أميرٌ ومنا أمير».

وكان الرصافي أكيس. فقال، وأشار إلى محنة طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ومحنة علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»:

إذا احتفلت مصر بشوقي فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعتنا ضجة أمطرت بها عليّاً وطه حاصباً مشطايراً
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرم شاعرا

وفي لبنان كتب مارون عبود بعد ست سنوات من التتويج: «فهل كانت إمارة شوقي - وهو شاعر جيله - غير مهزلة سجلها الدهر؟» على أن الجملة المعترضة عند مارون «وهو شاعر جيله» لم تكن لمجرد المجاملة، فقد ردها بعد أكثر من عشر سنوات عندما جعل شوقي «خلاصة الرؤوس وخاتمة الشعر

الكلاسيكي»، «كان شوقي قويَّ المخيلة، وعَيْنُهُ أَحَدُ من قلبه، فوثب ونبات استولى بها على الأمد فكان شاعر جيله.. فلولا ونبات رائعة فاق بها شوقي شعراء جيله ودنا بها من كبار القدماء لما كان هو ذلك «الرأس» الذي نختم به المدرسة القديمة. إن حظ الشعر القديم المصقول قد ختم بشوقي الذي أعاد عهد الديباجة البحترية». انتهى كلام مارون عبود في كتابه الرؤوس.

سافر شوقي في العقد الأخير من عمره كثيراً، إلى فرنسا حيث كان ولداً علي وحسين يدرسان، وإلى لبنان وسوريا حيث كان يلقي الترحيب الكثير. رأيناه يشكو لمحمد عبد الوهاب كثرة مجاملات أهل لبنان، وكان يعجبه من أهل سوريا ولبنان أنهم يحفظون شعره. وكان يطرب لسماع شعره من أفواه الآخرين. وسنراه يسأل كامل الشناوي في أول لقاء بينهما عام ١٩٣١ إن كان يروي شيئاً من شعره، ويطلب إليه أن ينشده قصيدة «أبو الهول». حدث هذا اللقاء في مسرح الأزيكية عقب حضور شوقي لبروفة إحدى مسرحياته، وكان يقوم عليها زكي طلبمات.

في السنوات الخمس الأخيرة من حياة أحمد شوقي عاد إلى المسرحيات الشعرية فكتب خمساً أو ستاً منها، وكان شوقي مولعاً بحضور بروفات مسرحياته. ولعل الممثلين كانوا يذوقون الأمرين من تلك النصوص. فماذا يفعلون بيت من الشعر مقسوم بين ثلاثة أو حتى أربعة ممثلين؟ عليهم أن يتقنوا الأداء وأن يلتزموا بالوزن الصارم! عجب ذلك الذي صنعه شوقي في مسرحياته، فقد التزم بأوزان الخليل، وحاول مع ذلك أن يُبقي على التدفق، وأن يراعي تطور القصة. وقد لاقت مسرحياته من اهتمام النقاد الكثير. ولقي من ثناء النقاد الكثير لأنه فتح هذا الباب في الأدب العربي. ولكن أي باب؟

لقد ولد المسرح الشعري على طريقة شوقي ميثاً. وهو الآن نصوص في الكتب، لا تنفع الممثل، وترهق المطالع. وهي قد لاقت المصيرين، ثناء النقاد والموت الزؤام، للسبب نفسه: فكرة طريقة لكنها فطيرة. استوردت على عجل قبل أن تجد في أوزان الشعر العربي ما يساعدها على النمو. ومن أراد أن يحيل الشعر العربي الغنائي بطبيعته وتاريخه إلى شعر مسرحي عليه أن يجري الكثير من التغييرات ليس فقط على بنية الشعر واللغة، بل أيضاً على نفوس السامعين والمشاهدين. وعندما جاء الرحبانيان فصاغاً مسرحياتهما خالطين الشعر بالثر بالموسيقى نجحاً عند الجمهور؛ ثم عاد الجمهور وسقط - الجمهور

هو الذي سقط - لأنه لم يواصل الاهتمام بهذه الأهرامات الفنية الخالدة، وساعد الجمهور في ذلك بلادته ورداءة المؤسسات الإعلامية في الدول العربية.

ارتاد شعرُ شوقي في سنواته الأخيرة موضوعات جديدة، وسافر في بلاد العرب، ولا سيما في سوريا ولبنان، وظل هذا الشعر يؤين الموتى كعادته.

لما مات حافظ إبراهيم رثاه شوقي متمنياً أن يكون حافظ هو الرائي:

قد كنت أوتر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وبعد حافظ بشهرين وثلاثة أسابيع مات أحمد شوقي، في ١٤ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٢.

لم يكن ناسياً الموت. بل لم تطلع على أحمد شوقي شمس نهار إلا تذكر الموت. ولو اضطرني أحد عشاق التصنيف إلى أن أضع شوقي في زمرة لوضعت في زمرة شعراء «تقديس الحياة»، ولوضعت بجانبه أبا العتاهية وأبا العلاء. فهؤلاء الثلاثة كانوا يحبون الحياة حباً جماً، إلى درجة أنهم نغصوها على أنفسهم بتذكر الموت. فأبو العتاهية شغف بالمال مع شغفه بالحياة وكان زاهداً وبخيلاً في النصف الثاني من حياته؛ وأبو العلاء زهد زهده المشهور في النصف الثاني من حياته ولكنه ظل متعلقاً بالحياة، نعرف ذلك لكثرة ما قال عكسه. وشوقي كان يلهو في النصف الأول من حياته، وفي النصف الثاني أيضاً. ولكنه كان دائماً كالولد الذي أعطته أمه قطعة جاتوه كبيرة، فراح ينظر إليها متحسراً ويفكر في اللحظة التي سوف تنتهي فيها، وظل يكزم من طرفها قليلاً ويتحسر قليلاً.

نظرة ذاتية في الشعر العربي

ليس مستحيلاً أن تمر بك أبيات للبارودي أو لبديوي الجبل ليس عليها اسم الشاعر فتحسبها لعنترة أو للأعشى. وقد تقرأ نصف ديوان البهاء زهير، الذي مات قبل أكثر من سبعمئة سنة، فتحسب أن هذا الشعر قيل قبل سبعين سنة أو سبع سنين.

تلك مشكلة في اللغة، وفي التقدم، وفي الشعر، وفي صدق الشعور والتعبير. وهي ظاهرة. فرغم أن التبدل في مجتمعات العرب كثير: لأن البداوة والارتحال المستمر طابع مسيطر عليهم في قديمهم، وموجود ملموس في

حديثهم، ولأن بلادهم تقع في وسط العالم، فكثرت في أرضهم الغزو والفتح، منهم وعليهم، ولأن بلادهم واسعة ومرقطة بالجماهر البشرية التي تفصل فيما بينها الفياضي والكثبان، رغم ذلك ثبتت لغتهم ثباتاً عجيباً.

القرآن الذي وحد العرب على لسان واحد قبل أربعة عشر قرناً، جعلهم يلفون لغتهم براءة القداسة. والقرآن كتاب أحكام ودين لا كتاب لغة، وهو لا يضم من مفردات اللغة إلا ما شاء ربك أن يضم. لكن أثره كان أن قدّس العرب اللغة العربية. ثم دخل في الإسلام وفي اللغة العربية الأعاجم، فقدسوا العربية أكثر من العرب. ومن عرف لغتين كان في اللغة امرأً لعباً. لقد وجد الأعاجم في العربية لعبة جميلة، وراحوا «يخدمونها» بتأسيس قاعدة ثابتة لها من النحو والصرف وتحقيق المفردات. وما انقضت مئتا سنة على نزول القرآن إلا والناطقون بالعربية قد اشتعلوا شغفاً بتأصيلها. فأخذوا كالمجانين يجمعون المفردات من ألسنة الأعراب، ويقدمون الشعر الجاهلي تقديساً، ويتخذونه مسطرة يقيسون بها كل شعر.

لغة كل عصر هي بصمته التي لا يمكن لعصر آخر أن يقلدها. وقد أنفق العرب ألف سنة وبضعة قرون يحاولون - سدى - تقليد بصمة العصر الجاهلي. يستعملون الكلمات نفسها والتراكيب نفسها، ثم يفلت منهم الوجدان الجاهلي. البصمة لا تقلد. ولكن الإسراف في محاولة تقليدها يسلب المرء أصالته ويسلكه في المقلدين.

عربية الجرائد اليوم غير عربية الحجاج بن يوسف، وعربية الناس في بيوتهم وأسواقهم غير عربية الجرائد. والتمسك بالفصحى بوصفها جوهرراً لم يتغير فيه شيء ألبته منذ أوقفها الله على لسان آدم، تمسك شكلي بالطبع. فلا قواعد اللغة ظلت على حالها، ولا مفرداتها. فالنحو غير موجود على الألسنة اليوم ومراعاته في الكتابة تقتضي جهداً غير قليل؛ والألفاظ المأنوسة اليوم لا تتعدى عشرين بالمئة مما يضمه «لسان العرب»، فأما الثمانون بالمئة الباقية فمومياءات.

وحالنا في الشعر قريب من هذا في أشياء، بعيد في أشياء.

الشعر العمودي

وصف أبو علي المرزوقي المتوفى قبل ألف سنة (٤٢١هـ/أما ما ورد في

ترجمته في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام من أنه مات سنة ٢٤١، فهو بعض ما فعله المطابع بالأرقام)، وصف «قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن، وأركانها محروسة من الوهي، إذ كان لا يُحكَّم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها...». واستقرأ صفة «عمود الشعر المعروف عند العرب» واستقر على سبع خصال، فالعرب «كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتثامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر». اهد كلام المرزوقي.

هذا عمود الشعر أي أساسه، مثلما يكون العمود في وسط الخيمة أساسها. ومن هنا تسمية «الشعر العمودي»، فعندما ابتدع الناس في منتصف القرن العشرين طريقة أخرى في وصف التفاعيل وتوزيع القوافي ظنوا أنهم خرجوا على عمود المرزوقي (أو عمود البحتري إن صح أنه أول من نطق بالمصطلح)، فسموا كل الشعر العربي القديم عمودياً، وسموا ما ابتدعوه الشعر الحديث. وما صنعه في الواقع هو أنهم خرجوا خروجاً محدوداً عن البحور كما وصفها الخليل بن أحمد. فأما عمود المرزوقي الموصوف أعلاه بكلمات صاحبه فلم يخرج عليه - في جانب المعنى - إلا شعراء السريالية والرمزية المفرقة، أما في جانب المبنى فقد خرج عليه شعراء قصيدة النثر. وسوى ذلك من قصائد شعر التفعيلة فمعظمه يتبع عمود الشعر العربي كما وصفه المرزوقي بدرجة كبيرة.

لقد قام الشعر العربي وقعد كثيراً في القرن العشرين. ودخلنا القرن الحادي والعشرين وكثيرون من شعرائنا مصممون على ألا يكون شعرهم كشعر الألف والخمسة ستة المنصرمة. لا بد من الاعتراف بأن العرب يشتهون أن يكسروا كل قوالب الماضي في الشعر. لقد وجهوا ضربة لبحور الخليل أحسبها قاضية. وأوغل العديد من شعرائهم في الرمزية، وتحللوا من التفعيلة، ومن القافية. أفليست هذه مناسبة لتأيين الشعر القديم؟ أم لعلها مناسبة للوقوف على معالمه البارزة؟ أم هي من مفترقات الطرق تلك التي تمر بها الأمم فتنتظر في عطفها وتتأمل ما مر بها، وما يوشك أن يرد عليها؟

حفل وداع للشعر العمودي

ما نصنعه في هذه السلسلة هو أن نقدم مجموعة كبيرة ومتنوعة من الشعر العربي بحسب تقاليده التي ثبتها أهلها تثبيتاً لعدد من السنوات كبير يفترق العقل ويدهش إدهاشاً، وتتعجب منه الثقافات الأخرى. وكما قدمنا فليس هذا بالأمر الممدوح، فمن يمدح الجمود! ولا هو بالأمر المذموم، فمن ذا الذي يملك الفحة الكافية كي يذم حالة من الحالات دامت هذا الدوام! من يملك أن يذم الماء لأنه يتجمد على درجة الصفر المئوية. إنه أمر واقع، وحال وجدنا شعرنا عليها، ونحن نصفها. هذا وضعنا نحن العرب، وهذا شعرنا. وهو من أعظم الشعر الذي عرفته البشرية.

سلسلتنا الحاضرة تستمد سبب وجودها من هذا الانقلاب الذي يشهده الشعر العربي.

إحياء الشعر القديم: حلالة الروح

جاء البارودي خاتماً لشعراء القرن التاسع عشر، فكان ملحمة الوداع. ثقباً صغيراً في السد الذي أقامه «علماء» الشعر العربي في وجه الإبداع. لكن رشح الماء، وأصيب الشعر العربي بالبلل الذي لا ينفع فيه سوى تغيير الملابس. وجاء شوقي ففتح ثغرة في السد في موضع المقتل. وسيجيء بعد شوقي شعراء يهدمون السد صخرة صخرة فيكون الري ويكون الفيضان، ويدخل إلى الشعر العربي ماء كثير، ويدخل معه طين وحشرات.

والشعر يحب الثورة ويحب التغيير، وهو بين المخلوقات الأدبية مخلوق بوهيمي. لكنه، ويا للغرابة، مخلوق منضبط بإيقاع هو نصف حلاوته.

بعد شوقي جاء عصر رومني حالم نام على وسادة الذائبة أعواماً ثم على وسادة العروبة ثم على وسادة الاشتراكية. وكان يتخلله شعراء يديرون الناعورة بالعكس فنسحبهم الناعورة. ثم جاء نزار قباني فكان جسراً عبر عليه الشعر العربي من الإيقاع الرتيب إلى الإيقاع الحر.

وانبهم الوضع العربي انبهماً بعد أن نفق الحصان القومي فلاشترافي. وبعد أن بعثنا رقعة دعوة إلى الاستعمار، أوصلناها إلى باب بيته، وفيها: نفضل بالعودة إلى بلادنا، لأننا لم نستطع أن نصنع شيئاً وحدنا، فنحن مثل الحمار الذي هرب من سيده يريد الصحراء ليتحرر، وفي منتصف الطريق تذكر أنه نسي رسنه، فرجع أدراجه.

والتقط نزار قباني الوضع العربي في لحظة انهيار الأمل فتفجر ينبوعاً من الشعر الفاخر في عام ١٩٦٧ وما بعدها.

والآن في عام ٢٠٠٨ يقف الشعر العربي مذهولاً. (معظم هذه المقدمة وما تلاها من شرح كتب عام ٢٠٠٨، وأنا أحرره وأهينه للطباعة في آخر شهر من عام ٢٠١٦).

سمع الشعر العربي صرخات قوية من مظفر النواب في السبعينات والثمانينات، وترددت في جنبات الإنترنت نغمات على ربابة أحمد مطر الرتيبة الحانقة. لكننا لا نزال نجد أبناء يوسف الخال يحاولون دخول السينما بلا تذاكر. وهؤلاء قوم بدأوا سيرتهم بالنفور من اللغة العربية الفصحى، واشتدوا في البحث عن شيء يميزهم فقرروا أن يكون ما يسمونه قصيدة النثر.

وهذا موضع يحسن بي فيه أن أبين حد الشعر عندي. حده عندي الكلام الذي فيه إيقاع. وأما الخيال والصدق وأناقة التعبير والموسيقى الداخلية فتجدها جميعاً في الشعر وفي النثر وفي الرواية. ولست متكلماً عن قصيدة النثر بأكثر من ذلك.

لا، بل يطيب لي أن أتكلم.

جبراً لخواطر الحداثيين

تلك الخواطر التي يتهمونها بأنها شعر أحب لها أن تكتب كتابة النثر لسبب اقتصادي، فإن ما يصنعونه من وضع كلمة أو كلمتين في السطر، وبضعة أسطر في الصفحة، يكلفني شراء كتب كثيرة، ثم لا يكون الكتاب كله سوى بضع مئات من الكلمات أقرأها وأنا أنظر الباص في طريقني إلى البيت، وأود لو أعود إلى بائع الكتب لكي أرد إليه ما اشتريت منه، فأخجل وأتكبد. ويخرج عليّ هذا في كل شهر غراماً ثقيلاً. ولانيهام وضعنا العربي صارت هذه الخواطر التي يسمونها قصيدة النثر مفرقة في الرمزية أو في التعقيد، وأظن أن هذا فتح باباً واسعاً للشعوذين.

ولست، بعد، من محبي اللغة العربية الفصحى على الطريقة القديمة. لست ممن يتمطق بعارة «اللغة الشريفة». وفي قلبي للشعر المقول بالدارجة موقع جليل. أجل بيرم وأحمد فؤاد نجم ونخلة وكل زجالي لبنان وفلسطين، ولا أضع شعرهم في مرتبة تنحط عن شعر الفصحى بحال، ويلمس وترأ في قلبي

مدى تعلق أهل العراق والخليج بأشعارهم المقولة بالدارجة وإن لم أستطع تذوقها بدون مساعدة. شعر الدارجة شعر ذو لغة معينة ويلمس قلوب من يفهمونها. إنه شعر وحسب، ولكنه مكتوب بلغة أخرى غير اللغة العربية الفصحى.

ولست من كارهي النافرين من الفصحى. وليوسف الخال في قلبي مكانة. أحب إنسانيته وغضبه القوية على التقليديين، وأرضى تعبيره عن مسيحيته وعن لبنانيته، وأحب عذاباتة التي تعذبها على ألسنة القوميين المفلسين، وأقدره تقديرًا. فهو ناثر ذو قلم جميل منفعل. ولكنه لم يصنع شعراء. وأزيد أنني عارف بما قيل عن ارتباطه بمؤسسات أجنبية. وعارف أيضاً أن هذا الوطن العربي كله يقف بأبواب الأجنبي سائلاً صدقة. ومن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر. وفي زمنه كان شعراء القومية يحررون فلسطين كل يوم بما يتقاضونه من ميزانيات وزارات الثقافة والصحف التابعة لها. فلست ممن يصغي إلى الراجمين الناس بالثهم.

مشكلتي مع قصيدة النثر مشكلة تبويب، مشكلة صغيرة. لكنها كبيرة على من يصنف كتاباً يريد أن يقصره على الشعر.

الحمد الذي أرسمه للشعر قائم على الشكل فحسب. وفي هذا كفاية. فالشكل في الشعر عماد.

لا أعرف أحداً يحسنُ يرقصُ على أنغام منشار كهربائي، فلماذا يريدوننا على أن نطرب لشعر لا نحس بإيقاعه ولا نفهم معناه؟

ومثلما كان السدُّ يحجز وراءه ماءً آسناً مليئاً بالديدان فإن السيل الذي جاء بانفجاره جاء بكثيرين مهارتهم في فنون الشعر قليلة، ومعرفتهم باللغة قليلة، وقلوبهم ليس فيها شعر. دخلوا علينا من باب الشللية ومن باب العلاقات العامة. وكان أسلافُ لهم من الدخلاء في مرحلة الركود يدخلون عالم الشعر من باب أنهم يحسنون قول الكلام الموزون المقفى. في الماضي كان إتقان وزن الكلام الشهادة الوحيدة المطلوبة لتيل لقب شاعر. وقد عشنا مئات السنين ولا شعر عندنا إلا ما يقبته أولئك الوزانون. ولعل بعض ثورتنا على الشعر العمودي ثورة على تلك الشهادة. ثم جاء يوسف الخال وعصبته فرفعوا الشرط فجاءنا دخلاء آخرون.

عودة لحلاوة الروح، ووصف للذهول الحاضر

حطم الشعر العربي سد البلادة في مصر. وكان لصوت شوقي وحافظ في مصر رجحاً في العراق. ولولا أن الزهاوي كان يشغل نفسه بالحمام المطوق والنظريات العلمية فوق ما يجب، والرصافي يبدد طاقته في نقد الدين والخوض في السياسة، لكان للعراق في الشعر ديباجة أحلى مما كان. على أن الرجلين قالا شعراً بنكهة تاريخ العراق المضطرب. وجاء بعدهما الجواهري فكان من عبيد الشعر، وجاء السياب فركز راية الشعر العربي في العراق بضع سنين.

ومثلما كان للعباسيين مشرق ومغرب في الشعر، كان لعرب القرن العشرين موطن ومهجر. من المهجر جاءتنا روح إيليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري وإلياس فرحات. وفي لبنان كان بشارة الخوري قيثارة لها صوت عذب، وكان بالشام بدوي الجبل وعمر أبو ريشة كهربي خضر ومنقرع، وكان نزار قباني خوفو الشعر العربي ثلاثين سنة لا ينازعه أحد.

ولست أعرف عن المغارب سوى ما يعرفه كل الناس عن الشابي. ولا أعرف عن فلسطين سوى أن نكبتها أطلقت إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي، ثم تلاهما شعراء المقاومة الذين نكاثتهم على وطنيتهم بلا حساب، ونحاسبهم في الشعر كما نحاسب الأغراب.

يصعب على المرء أن يرسم خريطة إبداع للشعر المعاصر. فهو كثير، وتجعله المعاصرة عصياً على القياس.

نحن العرب نقف على مفترق طرق. دخلنا عهد الافتقار والاستعمار الجديد منذ أربعين سنة، وجاء احتلال العراق مجرد تأكيد لحقيقة معروفة، ولكننا في هذه الأربعين سنة لم نتحرك، وبقينا نحلق في خيبتنا بذهول. وفي الشعر نقف على مفترق أرجو أن أوفق إلى وصفه.

كان المتعلمون في عصر شوقي والرصافي يحسنون الفصحى إلى درجة يطربون معها للشعر العمودي المألوف لأذانهم من ألف وخمسمئة سنة. وكان وزن الشعر يصنع في أجسامهم إيقاعاً.

ثم ازداد عدد المتعلمين ازدياداً كبيراً. وصار محصولهم من العلم موزعاً بين العلوم المختلفة، ولم يعد للفصحى ما كان لها من شأن. وسقطت أوزان الخليل من الأذن العربية. وصرت ترى أساتذة اللغة العربية يقرأون الشعر

العمودي كما يقرأون مقالاً في جريدة، ويكسرون ما طاب لهم. فجاء اتخاذ التفعيلة لبنة لبناء القصيدة «إجراء» منطقياً يستدعيه حال الأذن العربية، فقصيدة التفعيلة قائمة على لَبْنَةٍ واحدة تتكرر حتى النهاية، وليس فيها ذلك الخلط بين التفاعيل الذي تسمعه في البحور الستة عشر. ثم رأينا الناس لا يحسون حتى بالتفعيلة. ومعنى هذا نهاية الشعر، وبدء عصر الخواطر. وقد بدأ.

قد يترك الناس الفصحى تماماً، فعندئذ يصبح لكل قرية قوالها، يصدق بالمواويل في أعراسها، وكفى الله العرب القتال.

وأظن أن هذا لن يكون. بل ستشتد الفصحى كثيراً لأن فيها قدرة تعبيرية كبيرة، ولأنها تصل إلى مسافة أبعد، ولأن المشاعر الإسلامية نهضت كثيراً، وهي تعيد الفصحى إلى الأذهان بحضور القرآن والنصوص الدينية الكبير في أذان ووجدانات الناس، رغم رطانة كثير من الدعاة المتلفزين بالعامية.

لست واثقاً الثقة نفسها من أن الإعراب سيعيش. لا بل أعرف أنه سيضمحل. أقصد سيموت، فأما الاضمحلال فهو يحدث من زمن أبي عثمان الجاحظ المتوفى قبل ألف ومئة سنة شمسية.

ولن يعاني إيقاع الشعر كثيراً بغياب الإعراب. ولكن هذا الإيقاع يعاني أشد المعاناة بسبب الشعراء. والغريبة العجيبة أن أكثر من يذبحون الإيقاع الشعراء الحريصون عليه. ترى نزار قباني يكتب قصيدته بتفاعيلها وقوافيها الرنانة، ثم يقف يلقيها أمام الناس كأنه يلقي قصيدةً عدو له. يجردها من كل ما أتعب نفسه في حقه فيها من إيقاع. قصيدته على الورق رقصة وأغنية، وعلى لسانه مجرد خاطرة. شذمًا كان يهتم بإبراز المعنى فينسى الإنشاد. ورأيت محمود درويش يصنع صنعه. أما المذييعات اللائي يهمن بالشعر بعد منتصف الليل فهن أخبر بما يردن ويصنمن. ووالله لو قرآن بدل شعر السياب وقباني افتتاحية جريدة فنلندية لما قل تأثرنا ببحة أصواتهن، وبهمسهن البهيج. وأي حَجَر في ركن السور لا يهتز لهمس امرأة بعد منتصف الليل.

على أن إلقاءهم الهامس ذاك لم يعزز في أذن العرب ضربة الطبل، التي هي تكرار التفعيلة.

وأنا مدرك، من تجربة لي غير قصيرة، أن الذي يلقي الشعر جاهراً به يكون طول الوقت متحيراً بين أن يبرز ضربة الطبل وأن يجلو المعنى. وأنا

مدرك أن الأمر ممكن. وإذا لم يكن الجمع بين الإيقاع والمعنى ممكناً على لسان من الألسنة فخير لي أن أسمع الشعر منه موقعاً توقيعاً بلا معنى من أن أسمعه مجلّو المعاني بلا إيقاع، خلا ما كنت ذكرته عن مديعات آخر الليل.

الاجتزاء من الشعر

يغضب أحدهم، أحد هؤلاء الحداثيين، إذا اقتبست بيتاً أو بيتين. ويجار بالشكوى مما افترفت من تشويه لهذا الخلق المكتمل الذي خلقه الشاعر. يقولون في ذلك نظريات يضحك لها المنكوب في البورصة ليومه، يقولون: القصيدة كائن حي، فكيف تقطع جزءاً منه ولا ينشوه!

تلك دعوى فارغة. ألم يسمعو العرب يستشهدون بالبيت ونصف البيت؟ وبالآية ونصف الآية؟ ألم يروا كتب الأقوال الماثورة عند أمم الدنيا تقتبس نثفاً نثيفة من أشعار الأولين والآخرين. لا أقف عند هذه الدعوى كثيراً، ولكنني أوردتها مثلاً لصراعات ونظريات يطلع بها علينا الطالعون، ويريدون لنا أن ندين بها، اقتنعنا أم لم نقنع.

كتب الاختيارات كثيرة، وزادت كثيراً في الآونة الأخيرة. والموجود في السوق لا يعجبني أبداً. ولذا، مضيت في طبع مختاراتي.

رأيت بعض المؤلفين ينسخون بضع قصائد من هنا وهناك، ويجعلونها بين جلدتين، وتصب المطابع على الغلاف الألوان الفاقعة، وتجعل فيه نثوات تغري الناس بشراؤه لتزيين رف في صالة البيت. ورأيت بعضهم يهبر من كل قصيدة أبياتاً، أو يهبر قطعة من قطعة أخرى كان هبرها مؤلف قبله، ولا يشعرني أنه تخير لي. ولا أرى عند الهابر ولا في المهور تحقيقاً ولا ضبطاً ولا شرحاً. وإذا شرح أحدهم بيتاً فسر لك الكلمات التي تعرفها، وترك الكلمات التي لا تعرفها ولا يعرفها.

تكفي ذبابة واحدة لتجعلني أشيح عن الطبق، فكيف بكتاب فيه عشرات الذبابات. وقد وجدت كتب المختارات عامرة بالأغلاط، وجدتها طروحاً ألفاها في وجه الجمهور ناشر مستعجل، ومؤلف عابث ومقصر. فعمدت العزم على أن أمضي في نشر مختاراتي. وقد تعمدت في هذا الباب عن أحمد شوقي أن أشرح وأستقصي، ليكون حجتي فيما أنتقد الناس فيه. ولكنني لا أضمن أن أشرح شرحاً مستفيضاً في كل باب آخر. على أنني لن أرتكب كبيرة «شرح

الكلمة السهلة وترك الصعبة»، فإن عجزت عن كلمة فلن أغادرها إلا وقد أخسرتك بعجزتي. وفي كل مرة مقبلة ستراني اخترت من المصدر الأصلي، وستراني اخترت ما أراه الزبدة. وسترى من التحقيق والضغط ما يرضيك. في هذا الباب عن أحمد شوقي شرحت كثيراً، إلى درجة ثقل الدم. وتصورت قارئ شاباً في مستقبل العمر محتاجاً إلى شرح كثير.

ليتمس لي القارئ المتمكن من الفصحى العذر.

حياة مليئة بأنصاف المواهب

من حقك علي وأنا أنصدي لاختيار شعر من أجلك أن أخبرك عن نفسي. عن حياة مليئة بأنصاف المواهب.

حب النكتة، وفهم النكتة، ولبيرالية الذوق، والنملية مواهب وهبتها الذي خلقتني. وسأشرحها لك في فقرة مقبلة متأخرة.

على أنني أكشف لك عن مواطن قصور عندي كنت اكتشفتها واحداً بعد واحد، وكان لكل اكتشاف لسعة بقي لها في نفسي أثر.

زميل لي يصغرني بنحو عشر سنين، يتذوق الشعر كثيراً، ويقول بالفصحى وبالعامية وعلى كل الموازين. خلطت نفسي به زمناً. ففضح كماله من قصوري أنني أسمع في الغناء اللحن وحده، لا أبالي أن يكون عبد الوهاب يغني للجندول أو ينادي على البصل في سوق الخضار، فالكلمة في الأغنية تلبس أمامي طاقة الإخفاء، ولست أهتم إلا باللحن. رأيت صاحبي ذاك وثاباً إلى تذوق الكلمة. ثم سمعته يغني، فوجدته يحسن تصيد الطبقة، ويحتفظ بصحة اللحن، ووجدت له صوتاً. ووجدته يتذوق الألحان كما أتذوقها، وأحسن مما أتذوقها.

فتح في عقلي نافذة مقارنة وحسد. وعرفني بما حرمني الله.

وظللت أسمع الموسيقى والغناء. ومضيت فصنعت برنامجاً للإذاعة عن الموسيقى الكلاسيكية في أربع وخمسين حلقة، وبرامج عن الغناء العربي لا أحصيها. ومضيت فصنعت برامج في الشعر العربي رتل فيها آلاف الأبيات.

رأيت بعد صاحبي ذاك أشخاصاً أفضل مني في تذوق الكلمة. أو لعلمهم وجهوا طاقاتهم هذه الوجهة. ورأيت من يفضلني في الثقافة اللغوية والأدبية وفي قوة الذاكرة.

ضع فوق ذلك كله تلجلج لساني في المذاكرة، وافتقار حججي إلى الصقل في أتون المناظرة، وتشردم معارفي تشردماً جعلها في أحيان معلومات من نوع ما يحفل به طلبة المدارس.

ما أكثر ما أويخ نفسي: ويحك! كأنك لم تبرح مقعد الدراسة، لك في المطالعة وفي التفكير، وحتى في التعبير عن نفسك، طريقة هي أشبه بطريقة المراهق الذي فتح عينه على الدنيا لتوه فهو متدفع مندهش أبداً، مرتبك عندما يكتشف أنه مسبوق إلى كل فكرة من أفكاره، زائع في أحكامه، متمسك بالقديم كما يتمسك الرضيع بثدي أمه، خواف من الجديد، يغوص في الفكر قليلاً ثم يضيع في اللجة.

أليس يحق لي أن أياس من نفسي؟ وأن أمضي في ترتيب تقاعد يضمن لي أن أعيش عيشة رجل لا يعرف الثقافة ولا تعرفه الثقافة؟

الآن عرفت لماذا أنفقت ثلاثين سنة متسكماً بين الوظائف، هارباً فيها من مواهي الناقصة، متعللاً بها عن الخوض في استهلاك المعرفة وإنتاجها.

طالت علي «سن اليأس»، فلا أزال منذ خمس عشرة سنة أحاسب نفسي على ما لم أنجز.

أما المواهب التي وهبها الله فهي التلذذ بالنكتة وفهمها، لكن دون روايتها. والشعر نكت كثيرة. وكل بيت رائع فيه نكتة دفيئة أو غير دفيئة. تكون النكتة في المعنى، أو في استخدام اللفظة، أو في كلمة القافية، أو في تورية، أو في جلبة تحدثها ألفاظ البيت إما يتلى أو يُرى بالعين. والنكتة في بيت الشعر ليست زخرفة الجصّ يضيفها البناء إلى سقف البيت بعد الفراغ من بنائه، بل هي بعض البناء، وشمعة يقوم عليها.

لن أضرب لك مثلاً، ثقةً من أنك عرفت ما أقصده بالنكتة، وحتى يبقى لهذه المقدمة عطلها من الأمثلة.

ولبيرالية الذوق، وهذه ثانية المواهب، لها علاقة بفهم النكتة. فأنا أجد في كل شعر شيئاً حسناً، وأسعى في البحث عما في القصيدة من دواعي الدهشة. وليست لبيرالية الذوق بالموهبة النادرة، فانت تجددها عند الملايين، ولكنها في المثقفين أعز منها في عامة الناس. وكائن رأيت من مثقف يقسم الأشعار قسمين: قسماً نُفايةً، وقسماً هو شعر شاعره المفضل أو شعره هو، إن كان أخا شعر.

والنملية موهبة أخرى. فأنا أحب الجمع والتصنيف. وترى هذه الموهبة كثيراً عند صغار الموظفين، وعند قلبي الطموح ومحدودي الذكاء. وهل تشك في أن النملة محدودة الذكاء، وأن سلوكها صادر عن غريزة شبه ميكانيكية؟

بمواهيبي وعيوبتي جمعت أبياتاً لشعراء كثر. كتبتها حيناً بالقلم في اثني عشر دفترًا، ثم جعلتها ملفات على الحاسوب الذي فرض نفسه على حياتي. وتوقفت في ترتيبها وشكلها، ونويت أن أشرحها.

فإذا لم يعنَّ لي شيء أجدي على نفسي وعلى عيالي وعلى البشرية من هذا الذي أنتويه، فسوف يجد الناس بين أيديهم مجموعة كبيرة من المختارات الشعرية تراحم مئات الكتب المشابهة التي تختنق بها رفوف المكتبات.

لغز بيت الشعر العربي

كل كائن حي أو ميت يوضع في بيئة مدة من الزمن يتشكل بحسبها، ويصبح آية في الكمال النسبي. فمرور السنين يوائم الأشياء مع بيئاتها، ويجعلها الأصلح. تنظر إلى الشجرة الاستوائية فتري أوراقها وجذعها، وثمارها وجذورها ملائمة تماماً لبيئتها. ازرعها في بيئة أخرى ترها أقل نجاحاً.

البيئة قيد. والفيد خلّاق. والبيئة ليست الشيء السهل دائماً ولا هي الشيء الأمثل. فالبركان في مكان ما يخلق بيئة غريبة عما كان مألوفاً. ومع تراكم السنين تتشكل الأحجار والأشجار على نحو يوافق هذه البيئة، ويصنع معها انسجماً.

اللبناني في أعراسه وفي سهراته الصيفية على الأسطح، وسهراته الشتوية في أكواخه الجبلية، كان يغني ويباري جاره في فنون القول، وقد قيّد نفسه بقوالب من الإيقاع اللفظي، وأخرى من النغم. وصار هذا القيد يفجر المعاني في نفوس شبانه. صاروا يكدون أذهانهم ليرزوا المعاني الغريبة والجميلة من قمقم الوزن، فتنتطلق هذه المعاني موقعة توقيعاً ومحلاة بقافية فيها نكتة. فأنت تنتظر القافية لكي تشعر بسعادة شبيهة بسعادتك وأنت تسمع ختام النكتة فتتفجر ضاحكاً. يهتز جسمك مع إنشاد البيت لأنه موقع، وتهتز نفسك وخيالك مع القافية، والمعنى في أثناء ذلك يتسلل إلى مكانين في وقت واحد: يتسلل إلى عقلك، المكان الطبيعي للمعنى، ولكنه يحاول أن يتفلت ليتسلل إلى قلبك قبل عقلك.

أن المعاني مقيدة بقيد الوزن والقافية يجعلها تنطلق بقوة أكبر.

الوزن والقافية للزجال اللبناني بيثة، وهي قيد. وجدهما، بعد أن أوجدهما أجداده، مفروضين عليه. رأى أبناء قريته محتاجين إلى أن يهزوا أجسامهم على كلامه، قبل أن تهتز قلوبهم وتترك عقولهم، فصنع لهم الشعر فطربوا وهزوا أجسامهم ما شاءوا، وما زالوا يهزونها، وما زالوا يابون أن يهزوها إلا على القُرَّادي والمعنَّى ومع قوافي رناته. ولو قلت كلاماً عذباً باللهجة اللبنانية وسرحت بخيالك إلى الأعالي ثم لم تقيد نفسك بالقافية لما صنعت سوى ما يصنعه أي عجوز يجلس بباب الدكان ويحدث الشباب عن سنة الثلجة الكبيرة.

والعربي في صحرائه، وفي مدنه القديمة في الحيرة ودمشق والطائف، كان يرتجز على إيقاع رتيب، ثم صار يلون رجزه ألواناً. وقيد نفسه بقيود وجدها أحفاده حافزاً، وبيثة إبداع.

واليوم، في سنة ٢٠٠٨، ما مبرر التمسك بهذه القيود؟ لا الشعراء يعرفونها، ولا السامعون يهتزون لها. صار الشعر مقروءاً بالعين في معظم الأحيان. وصارت الأمسية الشعرية ترفاً يمارسه طالب الجامعة مرة في السنة. وصار شعراء هذه الأمسيات يترنمون بمعانيهم يوجهونها إلى العقول كاسرين أوزانها التي تعبوا في إقامتها، أو تكون من الأصل أوزاناً مكسورة لأنهم قليلو المعرفة بالوزن. والفصحى نفسها ضعفت في النفوس كما أسلفنا. فكان لا بدّ من الانصراف عن أوزان الخليل.

وجاء الشعر الحديث مبنياً على نظام التفعيلة لكي يواكب حالة فقدان التوازن وفقدان الوزن هذه، ولكن.. لا الشعراء ولا مستمعوهم يهزون أجسامهم على التفعيلة. ودخلنا عصر الخاطرة، أيضاً كما أسلفنا.

وبما أنني بدأت أكرر نفسي فقد آن الأوان للانتقال إلى عنوان جديد.

ما العمل؟

حتى لا تفاجأ في آخر هذه الفقرة، فإن السؤال الذي يطرحه العنوان قد يبقى بدون إجابة شافية.

لست أدعو إلى الرجوع إلى أوزان الشعر العمودي. وما سُميت الرجعية رجعية إلا لأنها رجوع.

ولكن ذخيرتنا من الشعر العربي مليئة بكل ما هو معجّب وجميل . هي ذخيرة ، هي تراث ، وكفى . علينا أن نمشي إلى الأمام ، بشعر أو بدون شعر . الخواطر تكفيننا في هذا الزمن . وليعلم العالم أن أبرع قوم في الشعر في الدنيا قرروا نبذه .

قصتي مع الشعر قصة تستحق سطرين . فقد قرأت منه الكثير ، وصارت أبحاثه تشكل الفواصل والنقط في كتاب عيشتي . صرت أستلهم الشعر العربي في موافقي من الأشياء . به ازددت انتماء إلى العروبة . وبه اهتديت أخلاقياً في كثير من أمري . ومنه صنعت هيكلاً تاريخياً للأحداث . وهو يطربني ، ويسليني .

ولأنني قرأته قراءة جهرية في الإذاعات ، وحتى في التلفزيون ، وأكثر من ذلك ، فقد استولى علي صوتياً ، أي بصورته الأصلية . فالأصل في الشعر أن يقرع طبلة الأذن لا شبيكة العين . وعندما أقرأ شعراً بعيني الآن ، تراني أنقله فوراً إلى لساني لكي أسمع فأتذوقه . ولهذا تراني ، إذ لا أبالي أن أقرأ الجريدة على أنغام الموسيقى ، لا أستطيع أن أقرأ بيتاً واحداً من الشعر إلا إذا خلا الجو من أي صوت موقّع .

الشعر العربي العمودي ديوان العرب ، ليس في جاهليتهم فحسب ، بل هو ديوان الناطقين بالعربية في كل العصور . وفيه اخترنوا تجربتهم الإنسانية والشعورية . لا ، لن تستطيع صناعة سيارة استناداً إلى مخزونك من الشعر العربي ، ولن تستطيع حتى أن تتخيل شكل الناقه من قراءتك لقصائد الأقدمين - وأنصح للراغبين في معرفة شيء عن النياق أن يتفرجوا على فلم وثائقي في ديسكفري ، فذلك خير لهم - ، لكن الشعر العربي خزان مشاعر ومواقف وأخلاقيات . بعضها منحرف عما نراه صحيحاً ، فعندنا من شعر الغزل بالمذكر الكثير .

لن نستغني عن الشعر العمودي لبضع مئات من السنين . سيظل هو السجلات القديمة التي فيها وجدان العرب .

التمسك الزائد بالشعر العمودي ومحاولات إحيائه دليل رجعية . والطوفان الذي نشهده من كتب المختارات الشعرية القديمة ظاهرة رجعية . فالتناس كفروا بالمد القومي والمد اليساري ، وأدركوا مبكراً وبحساسية مدهشة أن الاتصال بأوروبا والنشبه بها في كل شيء ليس الطريق إلى النهضة . والآن يقف العرب مذهولين ، يبتلعون أطناناً من الشطائر السريعة من مكدونالد ، ويستهلكون الفلم

الأميركي بجنون. ويسيروا في ركب هذا العالم. وهم كالغريق الذي يبلع ماء البحر، لكن ليس بإرادته. وتتأهبهم صحوات يثوبون فيها إلى الدين فيتمسكون بجوهره حيناً ويتفسيرات متشعبة أحياناً، ويثوبون إلى التراث الشعري القديم فيمجدونه حيناً وينبذونه أحياناً.

العرب بحاجة إلى صحوة عاقلة. صحوة يابانية. محتاجون إلى كثير من المعرفة المادية، وإلى غذاء روحي متوازن، وإلى أن يخلقوا الثروة من كدهم، وأرضهم. ستنحسر عنهم مرحلة الذيلية الحاضرة بعد بضع سنوات أو بضعة عقود، وسينفضون. وسيكون لهم صوت شعري لا أقدر أنكهن بشكله. لكنهم سيجدون دائماً في شعرهم القديم جذوراً ثقافية مهمة.

من هنا يحتاجون إلى التعرف على تراثهم الشعري.

فصيلة هذه المجموعة التي أسعى في تقديمها أنها معاصرة.

أما ما العمل؟ فأرى أن نستمر في تدريس أبنائنا الصغار قصائد أجدادهم، في مختلف العصور، وأن نزيد جرعة الشعر ذي التفعيلة، وأن نضع ما يسمى بقصيدة النثر ضمن باب الخواطر، وألا نكثر منه، فلا الأولاد سيفهمونه، ولا هو ذو شأن كبير. أما لمن يريد أن يكون شاعراً فأقول: منذ متى يأخذ الشاعر نصائح النقاد؟ انصرف.

مقاييس الاختيار

كتب لك كل الكلام السابق وفي ضميري هدف خفي. أردتك أن تعرف من أنا وكيف أفكر وكيف أتكلم، وكيف تتداهى أفكاري، وكيف أسكبها في اللغة، وذلك حتى تعرف مقاييسي في اختيار الشعر. فالمقياس هو أنا، إنه مقياس ذاتي محض. إذا أرسلت ابنك إلى السوق فسوف يشتري من المكسرات ما لا يلائم أسنانك المخلخلة، ومن الحلوى ما لا يلائم السكري الذي معك. سيشتري على هواه. وإذا كان بارأ، مثلي، فسوف يحضر لك علبة مياه غازية دايت.

صنعت صنع ذلك الصبي. اخترت أساساً ما يطربني، ثم إنني كنت أمر بالبيت الذي أعرف أنه يستهوي اللاهين فأختاره لهم، ولست باللاهي؛ وقد أمر بالبيت الذي يعجب المتزمتين الجادين كل الجد، فأخذه في طريقي، وما أنا بالمتزمت ولا الكثير الجد.

اخترت الأبيات التي سلمت فيها اللغة، وسلم فيها الخيال، والتي فيها معنى غريب، والتي لها وقع على الأذن جميل، والتي فيها صدق، والتي كانت الصناعة فيها أقرب إلى الفن وأبعد عن التعمل. واضطرنني الربط بين الأبيات الجميلة إلى أبيات ليس فيها رواء. ولا بد بين الروض والروض من ممر مفروش بالحصباء.

كنت أختار الأبيات الرائقة، ويزدهيني عملي. وأتلدذ بحصول هذا الكنز الثمين في قبضتي. ثم أقرأها فأجد في المعنى قفزة هنا أو هناك، فأجد بيتاً يصلح جسراً فأختاره. وأدق القصيدة على الحاسوب بيدي وأراها بدأت تتخلق خلقاً جديداً، وتصنع لنفسها موقعاً في قلبي. وقد أعود إلى القصيدة الأمّ باحثاً عن جسر.

وقد أقرأ قصيدة في ديوان الشاعر تكون مغسولة من أولها إلى آخرها، ليس فيها بيت يهزني. فأهملها الإهمال كله. وقد أقرأ قصيدة ليس فيها سوى بيت واحد فيه بريق، فأختاره ولا أختار غيره، وقد أشد أزره بأخ يسبقه لغير ما علة سوى أن يسمع القارئ رنين القافية تتكرر على أذنه.

قد أجد بيتاً قامت عليه ضجة نقدية، لإعيب فيه. فإذا كان سخيلاً مردولاً، كقلاقل المتنبي، تركته دفين ديوانه، فإن بعث ناقد لغرض فذلك من شغل الناقد. وإن أراد قارئ أن يقرأ رديء المتنبي أو رديء شوقي فالديوانان موجودان، ولم أزعم قط أن مختاراتي تلغيهما. وإن كان البيت المعيب في لفظه يضم فكرة لها بريق اخترته لفكرته، وتشجعتي الضجة النقدية على اختياره. وقد يكون للبيت قصة طريفة، فأنحمس له حتى لا تفوت القارئ هذه القصة. وقد يكون البيت حزيناً باعثاً على الكآبة، فأريد أن أشرك القارئ معي في اكتسابي به. أو باعثاً على الانشراح والسرور، أو مستنهضاً للهمة، أو مادحاً لفضيلة أو لرديلة بأسلوب فيه فن وفيه جمال، فهذا كله مما أريد إشراك القارئ فيه. وما اختياري الخمریات إلا من هذا الباب. وإلا فأني خير في الخمر؟ لكن الشعراء عبروا في وصفها وفي وصف مجالسها عن كثير من تمردهم ومن بوهيميتهم، واستثمروا في ذلك فتاً كثيراً.

كنت أقرأ الشعر في وسيلة إعلام قبل أشهر فقط. فاخترت أبياتاً في مدح جمال عبد الناصر لتزار قباني، واخترت في مرة أخرى أبياتاً في هجائه لبديوي الجبل. وكنت في كلتا الحالتين سعيداً بما اخترت، وقرأت هذه وتلك

بالحماسة نفسها. وأما موقفي من عبد الناصر فلا أظنه يعينك.

أحب من الشعر الجزل. والجزالة هي الصلابة في الخطب. والخطبة الصلبة تشتعل طويلاً وتدفق كثيراً. والشعر الجزل موجز مكتنز لا ترى به كلمات زائدة. والكلمة فيه مشحونة بالمعنى شحناً.

وأحب من الشعر المهلهل الذي رق نسجه وانساب انسياباً، فأنت تفهمه بالسرعة التي بها تسمعه. فلا تكذب ذهك في ألفاظه ولا في معانيه.

وأحب الشعر الصادق. يقف أبو الطيب أمام سيف الدولة شاكياً باكياً صارخاً يقول: أنت لا تحبني كما أحبك، وتحب الآخرين وهم لا يحبونك، ظلمتني، وأنا أحسن واحد في الدنيا! فما هذه المعاني؟ أليست كأخط ما تسمعه من موظف يزعم أن مديره تخطئه في الترقيات؟ ثم تجد نفسك تترنم بقصيدة أبي الطيب تلك، ثم تلقى العرب قد ترنموا بها ألف سنة. هذا لما فيها من صدق. ولما فيها من فن أيضاً.

أنا لا أحاكم معاني الشعر محاكمة عقلية محضة، وإلا لكنت خسفت الأرض بكل شعر العرب وغير العرب.

أحب، ككل عاقل متزن، شعر الهجاء. فهو أصدق من غيره. وفيه فكاهة غالباً. وقد تجر الفكاهة والحق الشاعر فيكذب في هجائه ويجعل المهجو إبليساً. هذا كذب في الوقائع فقط، أما في وصف نفسية الشاعر فالمبالغة في الهجاء هي الصدق كله. وشبطنه المهجو ونزع كل صفة حميدة عنه ضرب من الشعر. ولعل الهجاء المقتصد أشد إيلاًماً. ووالله للقول إن فلاناً «سخي اليد واسع العلم لكنه جبان»، أوجع له من القول إنه «خسيس بخيل جبان».

أحب من شعر الرثاء والمديح ما كان صادقاً، وهذا نادر. وأحب منه ما كان عامراً بالفن، وهذا كثير. وقد رأيت نفسي - عندما اخترت من شعر المتنبي - أخذ من مدحه لسيف الدولة أضعاف ما أخذ من مدحه لكافور، وذلك لفضل ما بين الصادق الجميل، والكاذب الجميل.

أبحث عن الأبيات التي تنطلق من لاوعي الشاعر انطلاقاً يتعجب هو نفسه منه. هذه الأبيات التي يعصرها الشاعر من أعماق وجدانه دون جهد الاعتصار. هذه وثبات نادرة. وأنا قاعد لها، متحفز، محلّق بأذني تحديقاً متواصلاً حتى أتصيدا لك.

وتعجبني أبيات الحكمة، ما كان منها أصيلاً وجديداً، وما كان مصنوعاً.
ويعجبني الشعر في المشيب، وشعر النواح على الشباب؛ صار يعجبني
الآن أكثر. والصادق منه، كالصادق من كل شعر، أحلى.

ويعجبني وصف الخمر؛ ويعجبني أكثر، وصف مجلسها.

أحب الشاعر يباهي بشعره، وأحبه أكثر وهو يصف صنعة ويحدثنا كيف
أدرك النعاس ربة الشعر وهو قد توسط لجة القصيدة، وكيف راح يوقظها،
ويرقق لها الهمس حيناً، ويغلظ لها الشكوى حيناً، وهي تغط في سباتها.

أحب الشاعر يعترف بدناءة اقترفها، ويعجبني المفتخر بسموه من غير
تنفج. والمفتخر بقومه يعجبني إن كان صادقاً. والهاجي عشيرته يعجبني.
الصدق هو المحك.

ويكذب الشاعر، فإن كذب ظريفاً فهذا شعر، وإن كذب ثقيلاً دم تركت
كذبه في ديوانه وسترت عليه.

وقد أتعبني الشعراء وأنا أتعبهم بالستر. أستر رديتهم فلا أشير إليه؛ وأستر
أغلاطهم فيما أخذت منهم من شعر حلو لكنْ به خللاً، وأتمحل لهم وجهاً في
غوامضهم. وهدفي على الجملة هو أن أجلو لك الشاعر وأقدم خير ما قال.

وأحسن بالشاعر إن كان ينظم مرتاحاً أو كان يتجشم. وتقاليد الشعر العربي
الصارمة - التي زادها كره الدهور شدة - تقاليد فضيحة، تخبرك عن الشاعر بأكثر
مما يقول من كلمات، وتنبئك إن كان ينحت من صخر أو يغرف من بحر.

يعجبني البيت تقعد في آخره كلمة القافية مرتاحة، كأنها جاءت لموقعها
عبر صندوق الاقتراع، ولا تجد كلمة أخرى تصلح لتحتل مكانها.

يعجبني بعض الشعر الذي لغته صعبة، وأشترط فيه كي يعجبني فأختاره صدقاً
كثيراً وجمالاً كثيراً. فأنا، بعد، أنتقي بذوقي المعاصر لقارئ معاصر. فإذا أسرف
الشاعر في الوقوف والاستيقاف تراني اكتفي بأبيات قليلة. وأنا أفضل البيت السهل
على البيت المغلق. فإن انفتح لي المغلق بجهدِي ويقاموسي وبما تيسر من شروح
القدماء، فلي فيه طريقان: إن وجدت وراء كلماته الكالحة وأسلوبه الملتوي معنى
بديعاً أخذته وتوكلت على الله في شرحه شرحاً وافياً، وإن وجدته بعد كل ما بذلت
في فهمه عادياً أطرحته أطراحاً واحتسبت عنائي في فهمه. وقد وجدت الصدق
لصيقاً بالبيت السهل، والتصنع لصيقاً بالبيت المغلق المعقد، فهذه من نعم الله.

يعجبني شاعر يجترئ على اللغة، وشاعر يحترم اللغة. وقلّ شاعر اجترأ عليها إلا وهو يحترمها.

ولا أخوض في النحو والصرف في شرحي. وحسبي أن أضبط الأبيات بالشكل، وألا أدخر جهداً في ضبطها الضبط الصحيح. ولا أكثر أن تكون لغتي وأنا أشرح البيت فصيحة كل الفصاحة. لا بل أضطر إلى كثير من الركافة حتى أظل سائراً مع البيت بنفس ترتيب كلماته وأفكاره. وأسعى أن أضع في مكان الكلمة الصعبة كلمة تطابقها في المعنى وفي الاشتقاق، وفي هذا مشقة غير قليلة. وأرى الشاعر يسهل الهمزة ويصرف الممنوع ويمنع المنصرف، فلا أجاريه، فهو معذور، وأنا غير.

وألقت القارئ بين الفينة والفينة إلى بيت مشهور، أو بديع، أو إلى بيت أحبه كثيراً، فأجعله بالحرف السميك.

الشاعر بجيده لا برديته. وقد اخترت أجود الشعر. فمن أراد دراسة حياة شاعر من شعره دراسة أكاديمية فليرجع إلى ديوانه. أما من أراد أن يقرأ خير ما قال هذا الشاعر فأنا له، على المقاييس التي بسطتها فيما مضى.

الشاعر الشاب

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي في القرن التاسع عشر، والرجل عاش اثنتين وثلاثين سنة في القرن التاسع عشر، ومثلها في القرن العشرين. والفصائد مرتبة تاريخياً. على أنني جعلت الفصائد القصصية، ومعظمها على لسان الحيوان، معاً في آخر هذا القسم، وهي على كل حال تتبع هذه الفترة من حياة شوقي. وقد اعتمدت في الترتيب على ما ذكرته «الموسوعة الشوقية» و«الشوقيات المجهولة». ولكنني لم أذكر التاريخ عندما شعرت بوجود تناقض. وشعر شوقي كله محتاج إلى تحقيق نواحيه نظمه بالاستعانة بصحف ذلك الزمان. وهذه مهمة لم أنصّد لها.

١ عنقود في ماء ملح

قال شوقي (وهو تلميذ في الثانوية):

إفريقيّا قِسْمٌ مِنَ الْوُجُودِ فِي شَكْلِهِ أَشْبَهُ بِالْعُنُقُودِ

إفريقيا جزء من الكون، وهذا الجزء أشبه ما يكون في شكله بعنقود العنب. في هذا البيت سذاجة شوقي العتي، لكن فيه أيضاً طريقة القدماء في أراجيزهم التعليمية. وكان شوقي في أيام التلمذة يقرأ كشكول بهاء الدين العاملي المليء بأمثال هذه الأراجيز

وذلك العُنُقُودُ في الماءِ انغمَرَ ما أَمْلَحَ الماءُ، وما أحلى الثمرُ
العنقود منغمَر في ماء البحار والمحيطات التي تكتفه، فما أَمْلَحَ الماءُ وما أحلى الثمر! فكرة
حلوة، تنبئ عن أن عقل الصبي فيه شعر وقيه غوص على المعاني. وهل ترى جاءت المطابقة بين
كلمتي «أَمْلَحَ» و«أَحلى» عفواً؟ وهل التورية في كلمة «أَمْلَحَ» وحدها جاءت عفواً (فمعناها المقصود
أشد ملوحة، والمعنى الذي تستدعيه عبارة «أَحلى الثمر» أشد ملاحظة)؟ لعل كثيراً من اللاعبين
شوقي اللفظية يأتيه عفواً، أي يتداعى لاواع. لكنه في الجانب الأعظم صانع صانع

مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا أوروپَا مِنْ فوقِهِ، كَمَنْ يريدُ الحَبَّ
مدت أوروبا يدها إلى العنقود من الأعلى كأنها تريد أن تأخذ الحب. أهر بصف شكل الخريطة
فقط، أم أنه واع نهبَ الإنجليز والفرنسيين لمصر، وكان النهب متصلاً من نيف وعشرين سنة؟

وآسيا بِالْجَنِبِ كَالْمَحْتَالِ تَنْقُصُهُ مِنْ شَرْقِهِ الشَّمَالِي
آسيا من الجنب تقضم جزءاً من إفريقيا من شمالها الشرقي. دقة في وصف الخريطة، فسيناء التي
هي جزء من آسيا تبدو وكأنها مقضومة من جسم إفريقيا

وَبَيْنَ هَذَيْنِ تَرَى الْقَنَا لَا يَتَّصِلُ الْمَاءُ بِهِ اتِّصَالًا
بين أوروبا شمالاً، وآسيا في الشمال الشرقي يقع قتال السويس

أَنْشَأَ إِسْمَاعِيلُ عُنْوَانَ الظُّفُرِ فَوْقَ الْحَافِرِ فِيمَا قَدْ حَفَرَ
أنجز القنال في عهد إسماعيل الذي احتفل بتمام حفره احتفالاً عظيماً، لكنه وقع في شر تبذيره.
في استخدام كلمتي «حافر» و«حفر» دقة في اللغة وخفة روح، فالقنال حفر حفراً، ومن حفر حفرةً
وقع فيها، والحافر أيضاً هو حافر الفرس، ولست على يقين من أن شوقي قصد هذه. قد قال
صاحب «الموسوعة الشوقية» إن القصيدة فيها خلل في الوزن في بيتين هما:
بشت شكواي فذاب الجليد/ وأشفق الصخر ولان الحديد - وقلبك القاسي على حاله/ هيهات بل
قسوته تزيد

وقال إن القصيدة ارتجال. فأما أنها ارتجال فمحال، فهي مصنوعة صناعة متقنة. وأما الغلط فغلط
في النسخ، والبيان بعد التصحيح يؤولان إلى:
بشت شكواي فذاب لي الجليد/ وأشفق الصخر ولان لي الحديد - وقلبك القاسي على حاله/
هيهات بل قسوته تزيد

الصبي الذي قال هذه القصيدة بلغ في «صناعة» الشعر مبلغ من لا يغلط في الوزن هذا النوع من الغلط،
لا بل هو يلعب بالكلمات لعباً يبعث على الدهشة. وليس شوقي، بعد، بالمعصوم عن الغلط في
الوزن، وقد بهه إبراهيم اليازجي سنة ١٨٩٧ إلى أنه خلط بين السريع والمنسرح مرتين في قصيدة

٢ الجدة الحنون

لِي جَدَّةٌ تَسْرَافُ بِي أَحْسَنِي عَلَيَّ مِنْ أَبِي
لي جدة تعطف علي، وهي أشد حُزناً علي من أبي

وَكُلُّ شَيْءٍ مَّسْمُورٌ نِّبِي تَذَهَّبُ فِيهِ مَذْهَبِي

وكل شيء مسعنى توافقني عليه

مَشَى أَبِي يَوْمًا إِلَى مَشْشِيَةِ الْمَسْؤُودِ

مشى أبي يوماً نحوي يردد تأديبي

غَضِبَانَ قَدْ هَدَّدَ بِالضَّرِّ رَبِّ، وَإِنْ لَمْ يَصْرَبْ

وكان غضبان يهدد بضربي، وإن لم يفعل

فَلَمْ أَجِدْ لِي مِنْهُ غَيْبَ مَرَّ جَدَّتْ سِي مِنْ مَسْهَرَبِ

فَجَعَلْتُ نِسِي خَلْقَهَا أَنْجُو بِهَا، وَأَخْتَبِي

وَفِي تَقْوُلٍ لِأَبِي بِلَهْجَةِ الْمَوْئِبِ

لم أجد مهرباً سوى جدتي، فوضعتي خلف ظهرها، وأخذت تقول لأبي بلهجة تأنيب:

وَيَسَّخْ لَهُ، وَيَسَّخْ لَهُ هَذَا السَّوْلِدِ الْمَعْدُوبِ

مسكين هذا الولد الذي يلاقي منك التعذيب،

أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِي

ألم تكن تصنع مثله وأنت صبي؟ القصيدة ناضجة في مغزاها على سهولتها وخفتها، ولم نتحقق من

تاريخ نظمها، لكنها ليست مما يقوله صبي

٣ كوثر الدنيا

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاوِطُئُهَا الْأَخْضَرُ

النيل العذب (وكأن هناك نبلاً بلحاً) هو نهر الكوثر (نهر الجنة)، وضافه الأخضر هي الجنة

رِيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْضَرُ

النيل ريان (جميل) الصفحة (السطح) والمنظر، فما أجمل الخلد (الجنة)، فهو نهر الجنة لا راح ولا جاء. هذا البحر المتدارك ينساب بليقاع يشغل الأذن عما في البيت من حاجة إلى ربط عجزه بصدرة

* * *

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ الْقُلُسُ السَّاقِي النَّاسَ وَمَا عَرَسُوا

البحر (نهر النيل) الفياض (المتلئ) القلُس (المبارك) هو الساقى الناس والساقى ما رعو

وَهُوَ الْمِنْوَالُ لِمَا لَبَسُوا وَالْمُنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

واليل كأنه المنوال (آلة النسيج) لملايسهم، إذ ينعم عليهم بالقطن الأنور (ذي التُّرَار الأبيض)

* * *

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعاً لَمْ يُخَلِّ الْوَادِي مِنْ مَرَعَى
 جَعَلَ النَّيْلَ الْإِحْسَانَ شَرْعاً (أُسْلُوباً) لَهُ . وَلَمْ يُخَلِّ الْوَادِي (لَمْ يَتْرَكِ الْوَادِي يَخْلُو) مِنْ مَرَعَى
 فَتَرَى زَرْعاً يَتَلَوَّزُ رَعَاً وَهَنَا يُجْنَى، وَهَنَا يُبْلَزُ
 الحقل متراصة، فهنا يجني الفلاحون الثمار وهناك يلزون

* * *

جَارٍ وَيُرى لَيْسَ بِجَارٍ لَأَنْسَاءٍ فَبِهِ وَوَقَارٍ
 النيل يجري، ولا نلاحظ أنه يجري لما فيه من الأناء (الثاني) والوقار

يَنْصَبُ كَنْلٌ مِنْهَارٍ وَيَخِجُّ فَتَحَبُّهُ يَزَارُ
 ثم إذا به يصب ماءه صباً كالنيل المنهار، ويهدر (يفضج) فتحببه يزار كالأسد. ويترك لنا شوقي أن نفهم وحدنا أن الحالة الثانية هي تقيض الأولى، فالنيل الآن غادر وقاره وتأنيه، ولم يمهّد الشاعر للانتقال من الحالة إلى تقيضها

* * *

عَبَثِيَّ اللَّوْنِ كَجَبْرِتِهِ مِنْ مَنبُوءٍ وَبَحِيرَتِهِ
 النيل معكّر المياه لما حمله من طين، فلو أنه دأب أهل العبثة الذين هم جيرانه في المنع من جبالهم، وكذا جيرانه الآخرون في بحيرته فكتوريا. سيكتب شوقي في أغريبات حياته أغنية لعبد الوهاب تبدأ بـ «النيل نجاشي حلوة أسمر»

صَبَغَ الشُّطَّيْنِ بِسُورَتِهِ لَوْناً كَالْمَسْكِ وَكَالْمَنْبَرِ
 وهو يلقي طينه على شاطئيه فيسمر لونهما، ويصبح كلون المسك البني الداكن، أو العنبر (وهو داكن اللون في الغالب)

٤ العبث

قال شوقي ضمن رثاء الأميرة نفيثة هانم (١٨٨٩):

النَفْسُ تَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا حَصَلَتْ مِنْ الْحَيَاةِ عَلَى صَفْوٍ بِلاَ كَدَرٍ
 النفس ترعب في الدنيا وهي ما حصلت من الحياة على صفو (سعادة) خالص من التكدير

وِلِلْحَيَاةِ مَدَى، وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ مَا أَشْبَهَ الطَّوْلَ فِي الْأَعْمَارِ بِالْقَصْرِ

للحياة مدى علمه عند الله. ولكن، بما أن كل الحياة عبارة عن صفر مختلط بالتكدير، فالطول والقصر في العمر سيان. كأنني بالعقاد يقف لشوقي قائلاً: «بربك هل الحياة لها مدى؟ كذا والله نظنها أبدية! وهل يعلم الله حقاً هذا المدى؟ ما أعجب

ما أنبت به! ولكن الشعر لا يقوم على المعنى وحده. ومع ذلك فالتصنيف الثاني من البيت له رنة جميلة، ومعناه يفضي إلى تفكير في العمر وطوله. حقاً إذا كانت سنوات العمر أشبه بالخبز البلدي المخلوط بالرمل فلا فرق بين أن تأكل رغيفاً أو خمسة. وقد سخر العقاد في كتابه الديوان من طريقة شوقي في الرثاء سخريّة بلغ بها في الإصحاح منك الخواصر. تعليق عمران القفيتي: «إعجابنا أنت وأنا بشوقي عجب، حتى إذا أردنا نقله بحثنا عن لسان آخر واستأجرناه للتعليق»

٥ عبدك وابن عبدك

قال بهنّي الخديوي محمد توفيق بعيد الجلوس (١٨٨٩):

شرفاً أبا العباس، هذا مُلْكُ مصر سرّ وذي خزانئُ، وذلك دَسْتُه
ازدد شرفاً يا أبا العباس، فهنا ملك مصر، وهذي خزانته (قال يوسف لملك مصر: «اجعلني على خزانة الأرض» يوسف ٥٥)، وهذا اللست (مجلس الحكم) كلها لك. قال البحتري «شرفاً بني العباس إن أباكم/ عم النبي وعمه المتبرع»

مُلْكٌ كَبِيرٌ جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ قَدْماً نَعْنُ
ملك كبير ورد في التوراة والإنجيل والقرآن قَدْماً (في الزمن القديم) نعت (وصفه)

مولاي! عُذْراً إِنْ لِي فِكْراً أَبْتُ إِلَّا الرُّفَافَ إِلَى عَفَافِكَ بِنْتُه
مولاي! اعذرنني على السكوت حتى الآن فإن لي فكراً أَبْتُ به إلا أن تُزِفَ إلى مقامك العفيف (جعل «بنات الأفكار» بتاً وزفها إلى الخديوي)

فاسمِعْ لِعَبْدِكَ وَابْنِ عَبْدِكَ مَنَظَفاً مُنْطَاطِراً بِكَ فِي الْقَوَافِي صِبْتُه
فاسمع لعبدك وابن عبدك (وأبو شوقي كان في حاشية الخديوي) منظفاً (كلاماً) صبت بتطابير بذكرك على هيئة قوافٍ. رنين وقمعة. وتكتيف لغوي مفعم بالإيحاء، وإن كان فيه كثير من لُيْ أعتاق التعابير. هذا، إلى بناد يهدف أجازه شوقي لنفسه وركبه في أكثر من موضع

٦ الوفاء وعدمه

قال شوقي (١٨٩٠):

إِنَّ الْوَفَاءَ سِيَاحُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَن حَازَهُ حَازَ الْمُحَامِدَ أَجْمَعَا
الوفاء سياح يحمي أخلاق الإنسان، فمن حازَه (مَلَكَه) حاز المحامد (الفصائل) كلها

كَمْ مِنْ لَبِيبٍ كَانَ يُرَجَى نَفْعُهُ لَكِنْ أَبِي عَدَمُ الْوَفَا أَنْ يَنْفَعَا
كثيراً ما لقينا عاقلاً رجولاً منه النفع، لكنَّ عدم وفائه منع حصول هذا النفع

٧ لا مثيل لها

قال شوقي يمدح الخديوي محمد توفيق (١٨٩٠):

بأَمْكُرمَ الشُّعراءِ كَمْ مِنْ آيَةٍ لِي فِيكَ لَيْسَ لِشاعِرٍ تَبديلُها
بأَمْكُرمَ الشُّعراءِ كَمْ مِنْ آيَةٍ (قصيدة كأنها في بلاغتها آية) قلتها فيك، ليس لشاعر تبديلها. فهي
كأي الكتاب الحكيم الذي لا تبديل له

ويزِيدُها مَرُّ الزَّمانِ حلاوةً حَتَّى يَلدُّ لَأهلِهِ تَرتيلُها
يزيد مَرُّ (مرور) الزمن «آياتي» حلاوة، حتى يلدُّ (يطيب) لأهل الزمن تَرتيلها، وليس قراءتها فقط

أَلَبَسَنِي حُلَّ القَبولِ، فَنَلْتُ شأً وَأَ في القَوافي لَمْ يَنلُها فُحولُها
ألبسني حلل (أنواب) القبول، فملت شأواً (مدى) في القوافي (القصاصد) لم ينلها فحول القصاصد

فإِلَيَّ عِذراءُ لا يُرْجى لَها وَضَلَّ، ولا باعُ الشُّيوخِ يَطولُها

إليها (خذها) قصيدة عذراء (متكرة) لا رجاء في وصلها (علاقة معها)، كالحال مع
الفنائه العذراء؛ ولا يطولها باع الشيوخ (فحول الشعر). قال «الشيوخ»، ولم يقل
الفحول، لأنه شبه القصيدة بالعذراء فجعل الشعراء شيوخاً كباراً في السن، فزادهم
بعداً عن عذرائه. وهذا من التكتيف اللفظي والمعنوي عند شوقي. وفي الشعر شبه
من الدعاية التلغزيونية، تكون الدعاية مكتظة بالصور وملينة باللفظات الكثيرة فتشاهدها
المرءة تلو المرة وتكتشف في كل مرة شيئاً جديداً

تَهتِزُّ أَعْطافَ الملوِكِ لِمثيلِها لو كانَ يَوجدُ في القَريضِ مَثيلُها
تهتز أَعْطاف (خصور) الملوك طرباً لمثل هذه القصيدة، هذا لو كان يوجد في القريض (الشعر)
مثيل لها

٨ خدعوها

قال شوقي (١٨٩١):

خَدَعوها بِقولِهِم: حَسَناءُ وَالغَواني يَفُرمُها النِّناءُ
خدعوها بقولهم إنها حسناء. والغواني (الجميلات) يفرمهن النناء

أَثَراها تَناسَتِ اسمي لَمّا كَثُرَتْ في غَرامِها الأَسْماءُ
هل تناسلت اسمي عندما كثر المغرمون بها كثرة صاروا معها مجرد أسماء؟

إِنْ رَأَيتُني نَميلُ عَنِّي، كانَ لَمْ تَكُ بَينِي وَبَينَها أَشياءُ
إن رأيتني تنحرف عني كأنه لم يكن بيني وبينها أشياء. «أشياء» هذه ملينة بالطرف والشعر، وفيها
فخر الرجل وكنبه وتشدقه

نظرة، فابتسامة، فسلام فكلّام، فموعدٌ، فلقاء

بيت كهذا لا يتاح إلا في الفلوات

ففراقٌ يكونُ فيه دواءٌ أو فراقٌ يكونُ منه الداءُ

ثم المراق الذي إما أن يشفي الصدر من العلاقة، أو يكون داء (مرضاً) للقلب

يومٌ كُنّا، ولا تَسَلْ كيف كُنّا نَهْادى مِنَ الهوى ما نشاء

أَتَذَكَّرُ كيف كنا، ولا تسل (تسأل) كيف كنا! كنا نتهادى (تبادل كالهدايا) ما نشاء من لوازم العرام كالقفل والهمسات

وعليّنا مِنَ العَفَافِ رقيبٌ تَعِبْتُ في مِرَاسِهِ الأهواءُ

وكان علينا رقيب هو عفافنا (والعفاف هو الامتناع الجنسي بانتظار الفرصة الأفضل)، وهو رقيب تعبت في مراسه (مغالبه) أهوائنا (رغباتنا)

جاذِبُنِي ثوبِي المَصِيّ، وقالتُ: أنتمُ الناسُ أيُّها الشعراءُ

جاذِبُنِي (كانت تشد وأنا أشد) ثوبي المصّي (المتع)، - كما فعلت امرأة العزيز بيوسف عندما جاذبته قميصه طلباً للفعل الجنسي -، وقالت لي: أنتم فقط الناس أيها الشعراء، فلا أحد غيركم جليبر بالاهتمام

فاتقوا اللهَ في قلوبِ المذارى فالمذارى قلوبُهُنَّ هواءُ

وقالت: اتقوا الله في قلوب المذارى، فقلوبهن رقيقة كالهواء. كتب أحمد شوقي في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠): «رفعت إلى الخديوي السابق [محمد توفيق] قصيدتي التي مطلعها: خدعوها بقولهم حسناء/ والغواني يخرهن الشناء، والتي غزلها في أول الدبران، وكانت المدايح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحررها يومئذ أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان فدفعتم القصيدة إليه، وحلّبت منه أن يسقط الغزل وينشر المدح فود الشيخ لو أسقط المدح ونشر الغزل. ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر»

٩ نومة القلم موت

قال شوقي بمدح عباس حلمي الثاني (١٨٩٣):

قُلْ لِرَاجٍ أَنْ يَسْتَرْقِ يرَاعِي أنا لا أَشْتَرِي بِذَا التَّاجِ قَيْدًا

قل لمن يرحو أن يترق يراعي (يستعبد قلبي) إنني لا أرضى قيداً سوى ارتناطي تاج مصر

نَوْمَةُ السَّيْفِ قَدْ تَكُونُ حَيَاةً وَرَأَيْتُ الْيَرَاعَ إِنْ نَامَ أَرْدَى

نوم السيف في غمله قد يسبب بقاء الحياة للناس وإبعاد شبح القتل عنهم، وأما القلم فإذا نام عن الكتابة أردى (قتل) المجتمع بنومه

خَلَقَ اللَّهُ ذَاكَ صَاحِبَ غَمْدٍ وَبَرَا ذَا لَا يَعْرِفُ الدَّهْرَ غَمْدًا
وقد خلق الله السيف وخلق له غمدا (غلافًا)، وبرأ (خلق) القلم لا يُعَمَدُ أبد الدهر

١٠ كبار الحوادث في وادي النيل

ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في جنيف بسويسرا في سبتمبر (١٨٩٤)، وكان
متلوياً عن مصر:

هَمَّتِ الْفُلُكُ، واحتواها الماء وَحَدَّاهَا بِمَنْ تَقِلُّ السَّرَجَاءُ
همت الفلك (السفينة) بالرحيل، ثم احتواها الماء، وحدها (سيرها) بمن تقل (تحمل) رجاء
الوصول بسلام. فكان السفينة ناقة يحدوها (يعني لها) الحادي؛ وما الحادي سوى الرجاء. ما
أخلق مؤلفي كتب البلاغة المدرسية أن يجدوا في مثل هذا البيت مادة لتعذيب التلامذة!

قل لباني بنى فشادَ فعالي: لم يَجْزُ مِصْرَ فِي الزَّمَانِ بِنَاءُ
قل لمن يني الصروح ويبلغ في رفعها: لم يَجْزُ (يتفوق على) مباني مصر في كل الزمن أي بناء

زعموا أنها دعائمُ شيدت بِيَدِ الْبَغْيِ، وَلَوْهَا ظُلُمَاءُ
زعموا أن مباني مصر، كالأهرام، دعائم للملك العظيم شيدت (بُنيت) بيد البغي (الظلم)، وأن
المباني مليئة بالظلام - ظلام تسخير الناس -

فَاعْذِرِ الْحَاسِدِينَ فِيهَا إِذَا لَا مَوَا، فَصَبَّ عَلَى الْحَسُودِ الشَّنَاءُ
اعذر الحاسدين في شأنها إذا لا مواء، فصعب على الحسود أن يمدح

لَا رِعَاكَ التَّارِيخُ يَا يَوْمَ قَمْبِي - زَرْ، وَلَا طَنْطَنْتُ بِكَ الْأَنْبَاءُ
لا رحمك التاريخ يا يوم (غزو/ وأيام العرب غزواتها) قمبيز (ملك الفرس)، ولا طنطننت (رددت)
الأنباء بذلك

بَنَتْ فِرْعَوْنَ فِي السَّلَاسِلِ تَمَشِي أَرْعَجَ الدَّهْرَ عُرْيُهَا وَالْحَفَاءُ
هذه بنت فرعون تمشي في قيودها، وعريها وحفاؤها يزعمان الدهر (أحرار الناس على مر الدهر)

فَكَانَ لَمْ يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ - رَرْ، وَلَا سَارَ خَلْقُهَا الْأَمْرَاءُ
كانما لم يحمل الدهر نفسه في أيام العز هودجها (والهودج إنما يحمله الجمل أو القيل لا الدهر)،
وكانما لم يكن يسير خلفها الأمراء

وَأَبْرَهَا الْعَظِيمُ يَنْظُرُ لَمَّا رُدِّيتْ مُثْلَمَا تُرَدِّي الْأِمَاءُ
وأبرها فرعون كان ناظراً عندما رُدِّيتْ (أُلْبست) كما تُلبس الإماء (الجواري)

أَعْطَيْتُ جَرَّةً، وَقِيلَ إِلَيْكَ النَّهْرُ - هَرَّ، قَوْمِي كَمَا تَقْوُمُ النِّسَاءُ

أعطيت بت فرعون جرة، وقيل: إليك (ها هو) النهر، قومي كنيزك من النساء!

فَمَشَتْ تُظْهِرُ الْإِبَاءَ، وَتَحْمِي الدَّ - مَعَ أَنْ تَنْتَرِقَهُ الضَّرَاءُ

مشت وهي يشينها الإباء (العزّة)، وهي تحمي دمعها من أن تسترقه (تستعبد) الضراء (المصيبة)

وَالْأَعَادِي شَوَاحِصٌ، وَأَبُوهَا - بِإِدِّ الْحَظْبِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ

والأعداء شواخص (رافعو الرؤوس)، وأبوها واقع في قبضة الخطب (المصيبة) وكأنه صخرة صماء (مصيبة) لا تعابير على وجهه

فَأَرَادُوا لِيَنْظُرُوا دَمْعَ فِرْعَوْنَ - نَ، وَفِرْعَوْنُ دَمْعُهُ الْعَنْقَاءُ

فأراد الأعداء أن يروا دمع فرعون، وفرعون دمع العنقاء (الطائر الخرافي غير الموجود)، فلا وجود لشيء اسمه «دمع فرعون»

فَأَرَوْهُ الصَّدِيقَ فِي ثَوْبٍ فَقِيرٍ - يَسْأَلُ الْجَمْعَ. وَالسَّوَالُ بِلَاءُ

فأروه صديقه في ثوب يدل على الفقر وهو يسأل الناس إحساناً. والسؤال بلاء

فَبَكَى رَحْمَةً، وَمَا كَانَ مَنْ يَبْ - كَبِيٍّ، وَلَكِنَّمَا أَرَادَ الْوَفَاءُ

عندئذ بكى فرعون رحمة له، وما كان من يبكي، إنما أراد منه وفاءه أن يبكي

وَأَبْكَ عَمْرًا إِنْ كُنْتَ مُنْصِفَ عَمْرٍو - إِنْ عَمْرٍو لَنْ يَسِرَّ وَضَاءُ

وابك، أبها السامع، عمرو بن العاص إن كنت منصفاً إياه - وما أكثر أعداء عمرو! -، فعمرو نير وضاء (مشرق)

جَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّيْلِ، وَالنَّيْ - لَمْ يَمَنْ يَقْتَنِيهِ إِفْرِيقِيَاءُ

فجد جاد للمسلمين (تفضل عليهم) بالنيل بفتح مصر، والنيل لمن يقتنيه (يملكه)، مفتاح إفريقية

وَأَذْكَرَ الشُّعْرَ آلَ أَيُّوبَ وَامْدَحْ - فَمِنْ الْمَدْحِ لِلرِّجَالِ جَزَاءُ

وأذكر الشعر (المشرفين إشراقاً) آل أيوب (الأيوبيين)، وامدحهم - فلتن كان كثير من المدح ترلعاً - فإن من المدح أيضاً جزاء (مكافأة) للرجال

هَكَذَا الْمُسْلِمُونَ وَالْعَرَبُ الْمَخَا - لَوْ، لَا مَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ

هذه حقيقة المسلمين والعرب الخالين (الماضين)، لا ما يقوله الأعداء

ليس للذل حيلة في نفوس يستوي الموت عندها والبقاء

لا حيلة للذل في الوصول إلى نفوس - كنفوس أولئك العرب الفاتحين - يستوي (يتساوى) بالنسبة لها الموت والحياة. لغة شوقي الشاب (نحو ٢٦ سنة) غنية، معمعة بالإشارات التاريخية، وتنبع عن ثقافة عربية متينة، وهو يستعمل اللغة باقتدار ويقبلها بين يديه كيف شاء، متعسفاً حيناً، أتياً بالطريف حيناً. وهو مع ذلك يقول ما يريد، ولا تجره الألفاظ إلى أن يقول ما لا يريد. وهو يعبر عن موقف. وهذه القصيدة فيها نفس خطابي هو نفس الشعر العربي في عصوره الزاهية. هذه القصيدة تعود إلى سنة ١٨٩٤ ففيها انعقد مؤتمر المستشرقين العاشر في جنيف. وفي مقدمة شوقي لديوانه الصادر للمرة الأولى عام ١٩٠٠ قال إن المؤتمر عقد سنة ١٨٩٦، ولعل هذا منه نسيان أو إهمال. وقد تكرر هذا القلط في إعادة طبع مقدمة الديوان في عدة كتب. لكن مؤتمرات المستشرقين مرصودة في عدة وثائق. أول مؤتمر لهم عقد قبل ذلك بمئة وعشرين سنة في باريس، وآخر مؤتمر - فيما وصل إلى علمنا - كان مؤتمر موسكو ٢٠٠٤، وهو السابع والثلاثون. والمؤتمر الذي حضره شوقي عقد في جنيف سنة ١٨٩٤ خلافاً لما تكاد تجمع عليه الكتب ومواقع الإنترنت. لا بد أن المستشرقين هزوا رؤوسهم دهشة وهم يسمعون مندوب مصر يلقي قصيدة، بدل أن يساهم ببحث علمي. ولكننا نعرف أن شوقي صنع علاقات طيبة مع عدد من المستشرقين، ولعل حماسة هذا الشاب الشرقي لمست ركناً في نفوسهم

١١ العاقبة الأكيدة

أرى الموت على القبرا هو الجامعة الكبرى

أرى الموت على القبرا (الأرض) هو الجامعة الكبرى (هو المنصر الجامع بين الناس كلهم)، فهو القاسم المشترك بين الناس كلهم

هو الدرب إلى الدنيا هو الدرب إلى الأخرى

الموت هو الدرب إلى الدنيا، فلو لا أن هناك ناساً يموتون لما كان ثمة موضع لناس يولدون، وهو الدرب إلى الأخرى (الحياة الأخرى)

فإن لم يك غير الموت من عاقبة تُدرى

فإذا لم يكن بعد الموت حياة تُدرى (تُعرف) ..

فإن شئت فمُت عبداً وإن شئت فمُت حُرّاً

فإن شئت فمُت وأنت عبد، وإن شئت فمُت وأنت حر، فما أقل الفرق بين عبد وحر في حياة زائلة لا يترتب عليها شيء

١٢ الدنيا بستان

وروض، كما شاء الْمُحِبُّونَ، ظَلُّهُ لهُم ولأسرار الغرام مَدِيدُ
رب روض (بستان) هو كما يريد المحبون، فظله تمتد يضمهم ويضم أسرار غرامهم

نُظِّلْنَا، والطير، في جَنَابَتِهِ غصونٌ قيامٌ للنسيم سجودٌ
نظللنا، نحن والطير في جنباته (نواحيه)، غصون ترتفع وتهبط مع النسيم (كما يقوم ثم يسجد المصلي)
وقامتُ لديها الطيرُ شَتَّى فَايَسَ بأهلي، ومفقودُ الأليفِ وحيدُ
ووقفت عند هذه الفصون أنواع الطير، فمنها الأنس (المنشرج) بأهل (زوج)، ومنها الوحيد الذي
لا أليف له

وباكٍ ولا دمع، وشاكٍ ولا جوى وَجَدَلَانُ يشدو في الرُبَى وَيُشِيدُ
ومنها من يبكي لكن بلا دمع، ومنها الشاكى لكن بلا جوى (حزن)، ومنها الجدلان (الفرج) الذي
يشدو (يفرد) في الهضاب ويشيد (يتغنى راضياً)

غشِينَاهُ والأيامُ تَنْدَى شَبِيبَةٌ وَيَقْطُرُ منها العيشُ وهو رَغِيدُ
غشينا الروض (أنباء) والأيام تندى (يغلظها الندى) لما نحن فيه من حلاوة الشباب، ويقطر العيش
كالمسل من أماننا رغيداً (هانئاً)

وَنَحْكُمُ حتى يَقْبَلَ الدهرُ حُكْمَنَا وَنَحْنُ لسلطانِ الغرام عبيدُ
ونحكم (نصر على رغباتنا) والزمن يقبل حكمنا وينفذ إرادتنا، لكننا عبيد لسلطان الغرام

أقولُ لأيام الصبا كلما نَأَتْ: أما لك يا عهدَ الشبابِ مُعيدُ
أقول لأيام الصبا كلما نأت (ابتعدت): أليس هناك من يعيدك يا عهد الشباب؟

ومن عِثِّ الدنيا، وما عِثَّتْ سُدَى شَبَبُنَا وشَبْنَا والزمانُ وليدُ
ومن عيث الدنيا، وليس عيثها سدى (جزافاً)، أننا كنا شباباً ثم شينا والزمان ما زال
وليذاً. الإنسان الطيبي كلما تقدمت به السن يظن أن «الدنيا آخر وقت» لأن الزمن تغير
كثيراً إلى حد الظن بأن أشرط الساعة أخذت تظهر؛ ولكنه عندما يرى كيف يستقل
أولاده وأحفاده من الدنيا ما استلزم يوقن أن الزمان يبقى طغلاً، وأنه هو فقط الذي شاح

١٣ دهاء

قد أتعِبَ الأعداءُ مَنْ دارَهُمُ فَأَوْقَمَ عِدْوَكُ بِاللَّيَانِ وَأَقْعِدِ
قد أتعب أعداء فعلاً من دارهم. فاجعل عدوك يقوم ويقعد ويضطرب بما تنليه له من الليان
(الملاطفة)

إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَا يُطَاقُ لِقَاؤُهَا وَتُنَالُ مِنْ خَلْفِ بِأَطْرَافِ الْبِدِ

إن الأفاعي لا يطاق لقاءها من الأمام، لكنها تُنال (تُمسك) من الخلف بأطراف اليد (بالأصابع). اتخذ طه حسين، في مقال له من خمسين صفحة صغيرة سماه «حافظ وشوقي»، من هذين البيتين نكأة لكي يتحدث عن شخصية شوقي وعن نظريته إلى التجديد: «... هو لا يستقبل التجديد ولكن يستدير». وهو لا يدخل البيوت من أبوابها، ولكن يأتيها من ظهورها. وهو لا يجلد في صراخة وشجاعة وثبات للخصوم، ولكنه يجلد في لباقة ومداورة والتواء على المناهضين. وكان هذه القاعدة صيغت من طبع شوقي فسيطرت على حياته الأدبية، وسيطرت على حياته الشخصية أيضاً. فهو لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الأدب قط. وهو لم ينهض لخصومة نافذ من نقاده، بل لم يجرؤ على أن يلقي نقاده بالعتب. إنما كان يعاملهم معاملة الأرقام، لا يلقاهم ولكن يأخذهم من خلف بأطراف اليد. يغري بهم ويؤلب عليهم، ثم يلقاهم باسماً مروغاً. ولا يتخرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم من أحب الناس إليه... يُظهر لهم صفحة واضحة نقية، ومن وراء هذه الصفحة صفحات بيض، وصفحات سود». انتهى كلام طه حسين

١٤ صوني جمالك عنا

قال شوقي (١٨٩٤):

اللَّهُ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَبٍّ وَمِنْ عَانٍ تَفْنَى الْقُلُوبُ وَيَبْقَى قَلْبُكَ الْجَانِي
الله (أي انتهي الله) في الخلق: الصَّبُّ (المحب) منهم والعاني (الأسير بحبك). القلوب تنفَى عشقاً
ويبقى قلبك الجاني (المجرم)

صُونِي جَمَالِكَ عَنَّا، إِنَّا بَشَرٌ مِنْ التُّرَابِ، وَهَذَا الْحَسَنُ رُوحَانِي
احفظي جمالك بعيداً عن نظرنا، فنحن بشر من تراب وحسبك (جمالك) روحاني

١٥ نبتٌ بين جوانحي

قال شوقي (١٨٩٤):

مُضْنِي وَلَيْسَ بِهِ حَرَكَ لَسَكُنْ يَخْفُفُ إِذَا يَسْرَاكَ
عاشقك مضني (مريض) وليس به حراك، لكن يخف (يشفي/وينشط) إذا رآك
وَيَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَا مِلْتَ يَا غُصْنَ الْأَرَاكِ
ويميل من الطرب إذا ملت يا غصن الأراك (شجر له ساق طويلة)

إِنَّ الْجَمَالَ كَسَاكَ مِنْ وَرَقِ الْمَحَامِينِ مَا كَسَاكَ
إن الجمال كساك أيها الغصن ورقاً ليس كورق الشجر بل هو المحاسن نفسها

وَنَبَيْتٌ بَيْنَ جَوَانِحِي وَالْقَلْبُ مِنْ دِمِ سِقَاكَ

وقد نبئت أيها الفصن داخل جوانحي (أعضائي)، وسقاك قلبي من دمه

حَلَوُ الْوَعُودِا مَتَى وَفَاكَ أَتَرَكَ مُنْجِزَهَا تُرَاكَ

يا حلو الوعود متى وفائك بها، هل أنت منجزها يا ترى؟

مِنْ كُلِّ لِسْفِظٍ لَوْ أَذْنُكَ لَتَ لِأَجْلِهِ قَبَبْتُ فَاكَ

ووعودك مكونة من كل لفظ عذب لو أذنت (سمحت) لي لقبلت فمك لأجله

يُرَوِّي الْحَمْلَاوَةَ عَنْ نَنَا يَاكَ الْعِذَابِ وَعَنْ لَمَّاكَ

وهذا اللفظ يروي (ينقل شفاهاً) الحلاوة عن ثناباك (أسنانك) العذبة، وعن لَمَّاكَ (ربقك)

ظُلُمًا أَقُولُ: جَنَى الْهَوَى، لَسَمَ تَجَنَّى إِلَّا مُقْلَتَاكَ

أنا أظلم الحق إذ أقول الجاني هو الهوى، ما جنى علي إلا مقلتك (عيناك)

مَنْ عَلَّمَ الْأَجْفَانَ فِي أَهْدَابِهَا مَدَّ الشُّبَاكَ

من الذي علّم الأجفان القابعة خلف أهدابها (رموشها) أن تمد الشُّبَاكَ لنفّع فيها؟

وَتَصَيَّدَ الْأَسَادَ بِالْأَجَامِ تَسْلُبُهَا الْحَرَكَ

ومن علمها تصيّد الأسود في الأجام (الأدغال) فتسلبها الحراك؟

١٦ المخاطرة

قال شوقي (١٨٩٥):

عَرَضُوا الْأَمَانَ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاسْتَعْرَضُوا الشُّمْرَ الْخَوَاطِرُ

لقد عرضوا الأمان على الخواطر (النفوس) إذ استعرضوا قاماتهم الرشيفة الشبيهة بالسمر (الرماح) الخواطر (المهتزة). يتحدث عن الأخصان ويقصد النساء فمن هنا التذكير وخطاب العاقل

فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ، وَيَا بِي الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرُ

فوقفتُ حذراً، والقلب يأبى إلا المخاطرة

يَا قَلْبُ! شَأْنُكَ وَالْهَوَى هَذَا الْغُصُونُ وَأَنْتَ طَائِرُ

يا قلبي الهم شأنك مع الهوى (أنت حر بشأن الهوى)، هذه النساء غصون، وأنت كالطائر

إِنَّ السَّيِّئَ صَادَتْكَ تَسْبُحٌ عَى بِالْقُلُوبِ لَهَا النَّوَاطِرُ

أمر الحساء التي صادتك هو: أن نواظر الناس (عيونهم) تسوق قلوب أصحابها إليها

١٧ وإنما الأمم الأخلاق

قال شوقي (١٨٩٥):

الصدق أرفع ما اهتزَّ الرجالُ له وخيرُ ما عوَّدَ ابنُنا في الحياة أبُ
الصدق أرفع (أعلى) شيء اهتزَّ له الرجال (حركتهم الشهامة)، وخير ما يعوِّد الأب ابنه في الحياة

وإنما الأمم الأخلاقُ، ما بقيتْ، فإن هُمُ فُهِتْ أخلاقُهُمُ ذهبوا
والأمم بأخلاقها، طالما بقيت لها أخلاق. فإن لم تبق أخلاق لم تبق الأمم

١٨ الغيبي والذني

قال شوقي (١٨٩٥):

أخا الحلم مهلاً في المكارمِ والندی وفي رحمۃِ الحُسادِ والرفقِ بالعدى
يا ذا الحلم (يا صاحب الحلم) تمهل ولا تبالغ في العفو والكرم، وفي الرفق بالعداء والأعداء

فلنْ تُدْنِيْ النفسَ التي قد قصدتْها بجِلْمِكَ أَقصى من هواها وأبعدا
فلن تدني (تقرِّب) النفس التي طوقتها بحلمك بأكثر من رغبتها في الاقتراب

وَمِنْ حُرْمَةِ النِّعْمَاءِ أَلَّا تُنْبِلَهَا غِيباً فَبَنَسَى أَوْ ذَنْباً فَبَجَحَدَا
ومن واجب النعماء (النعمة) عليك ألا تنبلها (تمسحها) شخصاً غيباً فإنه ينسى المعروف، ولا دنياً
(دنياً حقيراً) فإنه ينكر المعروف

١٩ مماثلة

قال شوقي (١٨٩٦):

أَذْعَنَ لِلْحُسْنِ عَصِيَّ الْوِثَانِ وَحَاوَلْتُ عَيْنَاكَ أَمْرًا فَكَانَ
أذعن (خضع) للجمال هذا الرجل العصبي الوثان (المتنع)، وكأنه الحصان الصعب الإساک
بعنانه، وحاولت عيناك أمراً (إيقاعه في الحب) فكان لك ذلك

بِمَا مُسْرِفًا فِي التَّيِّوِ مَا يَنْتَهِي أَخَافُ أَنْ يَفْتَنَى عَلَيْنَا الزَّمَانُ
أيها المترف في التيه (المبالغ في التكبر) الذي لا ينتهي (يقطع) عن إسرافه، أخاف أن يفتني
الزمان نفسه وأنت ما تزال في تكبرك

وَيَا كَثِيرَ الدَّلِّ الدَّلَّ فِي عِزِّهِ لَا تَنْسَ لِي عِزِّي قُبَيْلَ الْهَوَانِ
ويا كثير الدل (التدلل)، يا مفتخراً بعزه، لا تنس أني كنت عزيزاً قبل الهوان (الدل) في حبك

٢٠ خير الأمور الوسط

قال في ذكرى الأمير محمد عبد المنعم (١٨٩٦):

وما الدنيا بمشوّى للعباد فكُنْ ضيفَ الرّعاية والوداد
الدنيا ليست متوى (مقرراً دائماً) للناس، فكن ضيفاً محاطاً بالرعاية والحب

ولا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الْأَعَادِي فشرُّ الناسِ أَكْثَرُهُمْ خُصُوما
ولا تجعل أعداءك كثيراً، فأسوأ الناس أكثرهم خصوماً

ولا نجعلُ سورةًكَ ابتذالاً ولا تسمح بحلمك أن يُذالا
ولا يتذلل ودك بمنحه لمن هب ودب، ولا تتسامح بحلمك أن يذال (بهان)

وَكُنْ ما بينَ ذاكَ وذالكَ حالاً فلنْ تُرضيَ العلوّ ولا الخُمُوما
كن وسطاً، فالمبالغة في التودد أو في التشدد غير مفيدة. وأنت - بعد - لن ترضي العدو والصدق
الحميم معاً

٢١ رب الشعر

قال شوقي (١٨٩٧):

قوافٍ لربِّ الشعرِ، لا النّظْمُ طائلٌ إذا هي سارث في البلادِ ولا النّقدُ
هذه قصائد لرب الشعر (صاحب الشعر)، لا النظم الآخر طائل (نافع) في التفوق عليها إذا هي
سارت (انتشرت) في البلاد، ولا النقد نافع في الحد من أثرها. كان داود عمون انتقد قصيدة
سابقة لشوقي، فشوقي هنا يشير إليه. وقد عاد عمون فرد على شوقي قائلاً:
أكلُ الذي خَطَلْتُ بِمِيتِكَ مُنْزَلٌ/وكلُّ الذي يَلْقِيهِ فَوْكَ لَنَا شَهْدٌ - على أنه لو كان خصمي مُنْصَفِي/
لكان جزائي عنده الشكر والحمد - فإنني قد داويته من غروبه/ولولا ي كان الداء ينمو ويشد
أوانسُ أحياناً، شواردُ نارة لها لَمِبٌ آنأ، وآناً لها جِدُّ
القصائد أوانس (البفة) أحياناً، وشوارد (غريبة كالناقة الشاردة) أحياناً، وهي لامية أحياناً، وجادة أحياناً

وتُؤوي يَنيماتِ الدُّهورِ بيوتها فتُسمي مِن مَبْنَى الجَلالِ لها مَهْدُ

وأبيات قصائدي تؤوي المعاني اليتيمة (النادرة) التي لا تأتي إلا نادراً في الدهور،
وتسمي هذه المعاني وقد جعل مبنى الجلال (البناء اللفظي الفخم) مهداً لها. إن حل
كلام شوقي (تفسيره بالشر) يلجئنا إلى الكثير من التحايل. تراه يسمي أبيات الشعر
بيوتاً، ثم نرى ما وراء ذلك، فالبيت «يؤوي» المعاني، فهي أبيات لأنها من شعر،
وهي بيوت لأنها تؤوي. لغة شوقي مركب، ويسير فيها أكثر من تيار في آن معاً. ومن
هنا تكسب ريناً أقوى، وتشحن المعنى وتكثفه

٢٢ جمدت عيني وعينك

قال شوقي يرثي والده (١٨٩٧):

انْظُرِ الْكَوْنَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
انظر إلى الكون (يعني أهل الكون) وقل في وصفه: كل هذا أصله من رجل وامرأة

فَقَدَا الْجَنَّةَ فِي إِجَادِنَا وَنَعِمْنَا مِنْهُمَا فِي جَنَّتَيْنِ
فقد آدم وحواء الجنة في سياق عملية إنجابنا، ونعمنا بهما بجنتين: الأب جنة، والأم جنة

يَا أَبِي! وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مُرَّةٌ لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ..
يا أبي! بما أن الموت كأس مرة تذوقها النفس مرة واحدة..

لَا تَخَفْ بَعْدَكَ حُزْناً أَوْ بُكَاءَ جَمَدَتْ مِنِّي وَمِنْكَ الْيَوْمَ عَيْنُ
فلا تخف علي بعدك حزناً أو بكاء، فبعونك جمدت عيني فلن أبكي غيرك، وجمدت عينك لأنك مت

أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنِي تَرْكَ الْأَسَى كُلُّ زَيْنٍ مُنْتَهَاهُ الْمَوْتُ شَيْنُ
علمتني ترك الأسى (الحزن)، فكل أمر جميل منتهاه (مسيره) الموت هو على الحقيقة قبيح

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقِيَ مَرَّةً، أَمْ ذَا افْتِرَاقِ الْمَلَوْنِ
ليت شعري (يا ترى) هل لنا أن نلتقي مرة أخرى، أم هذا الفراق بيتا كفراق الملأين (الليل والنهار) فهما دائماً مفترقان لا يأتي أحدهما إلا بذهاب الآخر

٢٣ ليلة عجيبة

قال شوقي في مولد ابنته أمانة ووفاة والده (١٨٩٧):

يَا لَيْلَةً! سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لِأَنَّهَا بِالنَّاسِ مَا مَرَّتْ
يا لها من ليلة، وقد سميتها ليلتي أنا دون غيري لأن مثلها لم يمر بأحد قبلي

نَبَّهَنِي الْمَقْدُورُ فِي جُنْحِهَا وَكُنْتُ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْبِقْظَةِ
أيقظني المقدور (القدر المحتوم) في وسطها، وكنت نصف نائم

الْمَوْتُ عَجَلَانٌ إِلَى وَالِدِي وَالْوَضْعُ مُسْتَعَصٍ عَلَى زَوْجَتِي
كان أبي يحتضر والموت يعاجله، والولادة متعصية على زوجتي

حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فَوَلَّى أَبِي وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ الْعَنَاءِ ابْنَتِي
وبمجيء الصباح ذهب أبي، وجاءت بعد طول التعب ابنتي

فَقُلْتُ: أَحْكَامُكَ جَزْنَا لَهَا يَا مُخْرِجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ

قلت: استبدت بنا الحيرة لأحكامك يا رب، يا من يخرج الحي من الميت

٢٤ الحكم للقوي

قال في الحرب بين تركيا واليونان سنة (١٨٩٧) ويخاطب السلطان عبد الحميد:

بِسَيْفِكَ يَمْلُو الْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَغْلَبُ وَيُنْصَرُّ دِينُ اللَّهِ إِيَّانَ تَضْرِبُ

الحق يملو بسيفك، والحق ذو غلبة، ودين الله يُنصر إيانا (أيضا) تضرب وتहार

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي يَنْغَلِبُ

وما السيف إلا آية (دليل) الملك عند الناس، وما الأمر (الحكم) إلا لمن يغلِبُ في الحرب

سَهَرْتُ وَنَامَ الْمُسْلِمُونَ بِغَيْبَةِ وَمَا يُزْعَجُ النَّوَامُ وَالسَّاهِرُ الْأَبُ

سهرت نرعى شؤون المسلمين فناموا هائنين، ولا يتزعج النائمون أثناء نومهم إذا كان من يسهر عليهم هو أباهم

وَلَمْ يَنْكَلِفْ قَوْمُكَ الْأَسَدُ أَهْبَةً وَلَكِنْ خُلِقَ فِي السَّبَاعِ التَّأَهُبُ

لم يتكلف قومك الأسود الاستعداد نكلًا، فالاستعداد خلق (طبع أصيل) في السباع

أَسَأْتُمْ، وَكَانَ السُّوءُ مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ، إِلَى خَيْرٍ جَارٍ عِنْدَهُ الْخَيْرُ يُطَلَّبُ

أسأتم أيها اليونانيون، وارتد السوء إليكم؛ أسأتم إلى أفضل جار، جار يرتجى منه الخير

فَلَوْلَا سَيُوفُ الثُّرُكْ جَرَّبَ غَيْرُكُمْ وَلَكِنْ مِنْ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُجْرَبُ

ولولا أن للترك قوة لجرب غيركم المعيان، ولكن هناك أشياء لا تجرب لخطورتها

لَقَدْ فَنَيْتَ أَرْزَاقَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَلَيْسَ بِفَانٍ طَيْشُهُمْ وَالتَّقَلُّبُ

هؤلاء اليونانيون نفذت مؤنتهم وقتل رجالهم، ولكن طيشهم وتقلبهم لا ينفدان

فَإِنْ يَجِدُوا لِلنَّفْسِ بِالْعَوْدِ رَاحَةً فَقَدْ يَشْتَهِي الْمَوْتَ الْمَرِيضُ الْمَعْدَبُ

إذا وجدوا في العودة للعصيان راحة، فهم كالمرضى المتألم الذي يشتهي الموت

وَإِنْ هُمْ بِالْعَفْوِ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُمْ فَمِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ أَلَّا يُحَيَّبُوا

وأما إن هم بالعتف الكريم رجاءهم بالعتف الكريم، فمن حسن الأخلاق ألا يُحَيَّبُوا

٢٥ أَكْفٌ تَسِيلُ بِالْخُصُورِ

قال شوقي يصف حفل رقص في قصر عابدين (١٨٩٧):

حَفَّتْ كَأَسْهَاجِ الْحَبِيبِ فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ

أحاط بكأس الخمر الحب (الفقايع)، فالفقايع مثل الفضة والخمر كالذهب

الْلَبِوثُ مَائِلَةٌ وَالظُّلْيَاءُ تَسْتَسِرُّ

اللبوث (الأسود/الرجال) واقفون متأهبون، والظباء (الغزلان/النساء) تسترب (تنساب) أثناء الرقص

فَالْقُدُودُ بِأَنْ رُبِي بَيِّدَ أَنَّهَا تَسُوبُ

وقدودهن مثل أغصان البان، بيد أنها (غير أنها) تقفز في الرقص

وَالْخُصُورُ وَاهِيَةٌ بِالْبَنَانِ تَنْجِزُ

وعصورهن واهية (نحيلة ضعيفة)، ويجذبها الرجال بالبان (أطراف الأصابع)

سَالَتِ الْأَكْفُ بِهَا فَهِيَ أَغْصُنُ نُهْبُ

أكف الرجال سالت بالخصور، فهي غصون مليئة بالثمر وهي منهوبة على أيدي الرجال

وَالْمُدَامُ أَكْوَسُهَا مَا تَفِيضُ وَالْمُلْبُ

لا كؤوس الخمر تفيض (تتغلب)، ولا العلب (الأوعية الأكبر/والعلبة هي الوعاء الذي يحلبون فيه الناقة، ولم تكن البيرة في زمن شوقي تُغَبَّأُ في العلب)

وَفِي بَيْنِنَا سَلْبٌ وَالنُّهْيُ لَهَا سَلْبُ

والخمر بين الحاضرين سَلْبٌ (غنيمة)، والنهى (المقول) غنيمة للخمر تأخذها وتذهب بها

لَيْلَةٌ عَالَتْ وَعَلَتْ لَيْتَ فَجَرَهَا كَذِبُ

ليلة عالية الفدر وغالية علينا، ليت الفجر الذي جاء بعدها كان فجراً كاذباً (الفجر الكاذب يسبق الفجر الحقيقي بملء)

٢٥ لَا أَحَدَ بِمَدِكَ

قال شوقي يرثي سليمان أباظة الذي كان وزير المعارف عقب الثورة العربية (١٨٩٧):

مَنْ ظَنَّ بِمَدِكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ فَلْيَرِثْ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ

من أراد بمدك رثاء أحد فليرث من الورى (الناس) من يشاء فالناس متشابهون، وأنت فقط كنت المميز

فَجَعَلَ الْمَكَارِمَ فَاجِعًا فِي رَيْثِهَا وَالْمَجْدَ فِي بَأْنِيهِ وَالْعُلِيَاءَ
فَجَعَ الْمَوْتُ الْمَكَارِمَ وَكَانَتِ الْقَجِيمةُ فِي رَبِّ الْمَكَارِمِ (صاحبها/ أي المرنئي)، وفجع الموتُ المجد
بأخذه باني المجد، وفجع العلياء أيضاً

٢٧ أمينة في مصيدة البصر

قال شوقي في ابنته عندما بلغت سنة من عمرها (١٨٩٨):

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا الـ أَوَّلِ مِثْلِ الْمَسَلِكِ
ابتني أمينة في عامها الأول مثل الملاك

صَالِحَةً لِلحُبِّ مِنْ كُلِّ وَلَسِلَسْتِ بِرُكِّ
جليلة بالحب من الجميع، وتبركون بها

فَإِنْ مَسَّتْ فَخَاطِرِي يَسِفُّهَا كَالْمُسِيكِ
إن مسّت ففكري يسفها حتى ليكاد يسكها غوراً عليها وشغفاً بها

أَلَحَظْتُهَا كَأَنَّهَا مِنْ بَصَرِي فَسَيَّ شَرَكِي
ألحظها (أتابعها بصري) كأن بصري لها المصيدة فلا تفلت منه

إِنَّ اللَّيَالِي، وَهِيَ لَا تَنفُكُ حَرْبَ أَهْلِكِ
إن الليالي (مشكلات الدنيا) وهي لا تنفك حرباً (معادية) لأهلك..

لَوْ أَنْصَفْتُكَ طِفْلاً لَكُنْتَ بِنْتُ الْمَلِكِ
لو أن هذه المشكلات كانت منصفة، يا طفلة، لكنت بنت الملك

٢٨ أنانية الطفل

قال شوقي في ابنته أمينة وكلبها:

يَا حَبِذَا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا تَحِبُّهُ جَدًّا كَمَا يَحِبُّهَا
يا حبذا (ما أبدع!) أمينة وكلبها! وهي تحب وهو يحبها

جَاءَتْ بِهِ إِلَيَّ ذَاتَ مَرَّةٍ تَحْمِلُهُ، وَهِيَ بِهِ كَالْبَرَّةِ
أحضرتني إليّ مرة تحمله وهي كأنها برّة (بارة) به

فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالْعُرُوسِ وَابْنِهَا مَاذَا يَكُونُ يَا ثَرَى مِنْ شَأْنِهَا
فقلت: أهلاً بالعروس وابنتها، فماذا شأنها؟

قالت: غلامي يا أبي جوعانٌ وما له كما لسانُ

قالت: غلامي جوعان، وليس له لسان ناطق مثلاً ليطلب الطعام

فَمُرُّهُمْ يَأْتُوا بِخَبِيرٍ وَلَبَنٌ وَيُحْضِرُوا آتِيَةً ذَاتَ ثَمَرٍ

فلأمرهم حتى يحضروا له الخبز واللبن الحليب في وعاء ثمين

فَقِمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ وَجِئْتُهَا أَنْظَرُ مِنْ قَرِيبٍ

فَقِمْتُ بما طلبت كالعادة، ووقفت أنظر إليها من كُتب

فَعَجَنْتُ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا كَمَا تَرَانَا نُطْعِمُ الْكِلَابَا

فَعَجَنْتُ لُبَّ الخبز في اللبن الحليب، كما كانت ترانا نطعم الكلاب

ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَذُوقَ قَبْلَهُ فَاسْتَطَعَتْ بِنْتُ الْكِرَامِ أَكْلَهُ

وأرادت أن تذوق قبله، فاستطعت (ذاقت) أكله

هَنَّاكَ أَلْفَتْ بِالصَّغِيرِ لِلرَّوَا وَانْدَفَعْتُ تَبْكِي بِكَاءٍ مُفْتَرَى

عندئذ رمت الكلب الصغير خلفها، وأخذت تبكي بكاءً مفترى (كاذباً)

تَقُولُ: بَابَا أَنَا دَحَا وَهُوَ كُخْ مَعْنَاهُ بَابَا لِي وَحْدِي مَا طَلِيخْ

وتقول: أنا دحا وهو كخ، ومعنى كلامها هو أن هذا الذي «طبخته» لها وحدها

فَقُلْ لِمَنْ يَجْهَلُ خَطَبَ الْآتِيَةِ قَدْ فُطِرَ الطِّفْلُ عَلَى الْإِنَانِيَةِ

المعنى المملوح: نعم، «كل إناء بما فيه ينضح» والإثناء في هذا القول القديم هو نفوس البشر.

فقل لمن يجهل خطب (موضوع) الآتية (النفوس)، إن الطفل أناني بفطرته

٢٩ بتي الغالية

قال شوقي وقد أتمت ابنته أمانة السنة الثانية:

أَمِينَةٌ بِأَسْمَتِي الْغَالِيَةِ أَهْتِيكَ بِالسَّنَةِ السَّانِيَةِ

وَأَسْأَلُ أَنْ نَسْلَمِي لِي السَّنِينَ وَأَنْ تُرْزَقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ

أسأل الله أن تسلمي لي طول السنين، وأن ترزقي العقل الراجح والصحة

وَأَنْ تُقَسِّمِي لِأَبَرِّ الرِّجَالِ وَأَنْ تَلِدِي الْأَنْفُسَ الْعَالِيَةَ

وأن تقسمي (تكونيني في قسمة ونصيب) لأبَرِّ رجل (رجل كثير البرِّ والفضل)، وأن تحيي أبناء

نفوسهم متطلعة للأعلى

ولكن، سألتك بالوالدين وناشدتك اللعَب الغالية
ولكن، أسألك بالوالدين، وأحلفك بلعبك الغالية عليك (وعليتا أيضاً؟)

أنذرين ما مرَّ من حادثٍ وما كان في السنة الماضية
أنعرفين ما مرَّ من أحداث، وما وقع في السنة الماضية؟

وكم بُليت في حُللٍ من حريرٍ وكم قد كسرت من الأنيّة
وكم قد نلت في حلل (أثواب) من حرير، وكم كسرت من الأواني؟

وكم سهرت في رضاك الجفونُ وأنت على غَضَبٍ غافية
وكم سهرت جفوننا لترضيك، وأنت تتأمين غاضبة؟

وكم قد خلّت من أبيك الجيوبُ وليست جيوبك بالغالية
وكم مرة خلا جيب أهلك من المال، وجيوبك ملأى (بالحلى)؟

وكم قد شكّا المرء من عيشِهِ وأنت وحلواك في ناحية
وكم شكّا أبوك عيشه المرء، وأنت متبذة مكاناً فصياً ولا هم لك إلا الحلوى؟

وكم قد مرضت فأسقمتهِ وقمت فكنت له شافية
وكم قد مرضت فمرض أبوك لمرضك، وقمت من المرض فشفيته بقيامك؟

ويضحك إن جئتو تضحكين ويبكي إذا جئتو باكياً
ويضحك إن ضحكت، ويبكي إن بكيت

ومن عَجَبٍ مرَّت الحادثات وأنت لأحداثها ناسية
كل هذا مرَّ، وأنت ناسية كل شيء

فلو حسدت مهجةً ولُدّها حسدك من طفلةٍ لاهية
لو كان يمكن أن تحسد المهجة (القلب) ولدها، لحسدتك أيها الطفلة التي تلهو دائماً

٣٠ وقد جنيت على علي

قال شوقي في مولد ابنة علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

صار شوقي أبا علي في الزمان التُّرلِّي
صار شوقي «أبا علي» في هذا الزمان التُّرلِّي (المتقلب/كلمة تركية الأصل)

وَجَنَاهَا جَنَائِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا بِأَوَّلٍ
وحى شوقي جنابة على ولده بأن أتى به للعنينا، وهو ليس أول جان، فأبو شوقي جنى على شوقي

٣١ العبقريّة لا تورث

قال شوقي في مولد ابنه علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

رَزَقْتُ صَاحِبَ عَهْدِي وَتَمَّ لِي النِّسْلُ بَعْدِي
رزقت ولي عهدي، وضمنت أن يستمر نسلي

هُم بِحُدُونِي عَلَيْهِ وَيَغِيْطُونِي بِسَفْدِي
يحدوني عليه، ويغيطوني (يتمنون لأنفسهم مثلي بلا حسد) بعدي (حظي)

وَلَا أَرَانِي وَنَجْلِي سَنَلْتَنِي عِنْدَ مَجْدٍ
ولا أرى أن ابني سساويني في المجد والمكانة

وَسَوْفَ يَعْلَمُ بَيْتِي أَنِّي أَنَا النِّسْلُ وَحْدِي
سوف يعلم أهل بيتي أن النسل الحقيقي الذي سيخلد هو أنا فقط

فِيَا عَلِي لَا تُلْمَنِي فَمَا احْتَقَارُكَ قُضِي
فلا تلمني على هذا القول يا علي، فلت أقصد احتقارك (تصغير شاك)

وَأَنْتَ مَنِّي كَرُوحِي وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ عِنْدِي
فأنت بالنسبة لي مثل روحي، وأنت هو أنت عندي وكفى

فَإِنْ أَسَاءَكَ قَوْلِي كَذَّبَ أَبَاكَ بِوَعْدِي
فإن ساءك قلبي، ففضل كذبي بوعده بأن تكون نابغاً

٣٢ ظالم

قال شوقي (١٨٩٨):

عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْزُو فَجْفا ظَالِمٌ لَاقِيْتُ مِنْهُ مَا كَفَى
علِّموه كيف يجزو (يهجر) فجفا، هذا الظالم لاقيت منه ما يكفي

مَسْرُوفٌ فِي هَجْرِهِ مَا يَنْتَهِي أَتْرَاهُمْ عَلِّمُوهُ السَّرْفَ
يبالغ في الهجر، ولا ينتهي (لا يكف)، فهل تُراهم علِّموه أيضاً السرف (الإسراف)

٣٣ رثاء الجدة

قال شوقي يرثي جدته لأمه واسمها تمزار، وهي من معتوقات إبراهيم باشا وأصلها من بلاد المورة «اليونان»، جلبت منها أسيرة حرب، قالها عام (١٨٩٨):

خَلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلِّ الْحَادِثَاتِ
خَلَقْنَا لِنَحْيَا ثُمَّ لِنَمُوتَ، وَمِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَشْكَلُ كُلُّ أَحْدَاثِ الدُّنْيَا

صَلَاةُ اللَّهِ يَا تَمَزَارُ تُجْزِي ثَرَاكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ
صَلَاةُ اللَّهِ (ثأؤه) يَا جَدَّتِي تَمَزَارُ تُجْزِي (تُغْنِي) تَرَبُّكَ مِنَ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ

تَبَنَّاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنتِ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَنَيْنِ أَوْ الْبَنَاتِ
تَبَنَّاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنتِ مِنْهُمْ (أَيَّ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ) بِمَنْزِلَةِ ابْنٍ أَوْ بِنْتِ حَقِيقَتَيْنِ

وَمَا مَلِكُوكُ فِي سَوْقٍ، وَلَكِنْ لَدَى ظِلِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ
وَلَمْ يَشْرُوكُ فِي سَوْقِ الْعَبِيدِ، وَلَكِنْهُمْ أَخَذُوكَ سَبِيَّةً تَحْتَ ظِلِّ الْقَنَا (الرَّمَاخِ) وَالْمُرْهَفَاتِ (السُّيُوفِ)

عَنَنْتِ لَهُمْ بِمُورَةٍ بَنَتْ عَشْرَ وَسَيْفُ الْمَوْتِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ
عَنَنْتِ (بَرَزَتْ) لَهُمْ فِي الْمُورَةِ (بِلَادِ الْيُونَانِ) وَعَمَرَكَ عَشْرَ سَنِينَ، وَكَانَ الْمَوْتُ وَقْتُهَا يَنْزِلُ فِي هَامِ
(رُؤُوسِ) الْكُمَاةِ (الْمُسْلِحِينَ)

تَبِعْتَ مُحَمَّدًا مِنْ بَعْدِ عِيسَى لِخَيْرِكَ فِي سِنِينِكَ الْأَوَّلِيَّاتِ
أَسَلَمْتَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى، وَهَذَا كَانَ خَيْرًا جَاءَكَ فِي سَنَوَاتِ عَمْرِكَ الْأَوَّلَى

وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي فِي الْعُرْبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ كُنْتَ فَخْرَ الْوَالِدَاتِ
وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي (يَبْرُزُ اسْمُكَ) عِنْدَ الْعَرَبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ (أَيَّ هُوَ/ حَفِيدُهَا أَحْمَدُ شَوْقِي) لَكُنْتَ فَخْرَ
الْوَالِدَاتِ (فُضْلَاهُنَّ)

وَأَنْظُرِي فِي تَرَابِكِ ثُمَّ أَغْضِي كَمَا يُغْضِي الْأَبْيُّ عَلَى الْقَدَاةِ
أَنْظُرِي إِلَى قَبْرِكَ ثُمَّ أَغْضِي (أَخْفِضُ بَصْرِي)، مِثْلَمَا يَخْفِضُ الْأَبْيُّ (الْعَزِيزُ الْفَس) بَصْرَهُ عَلَى الْقَدَاةِ
(الْوَسَخِ فِي الْعَيْنِ/ وَالْبَقْصُودِ الْإِهَانَةَ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ رَدُّهَا)

وَأَذْكُرُ مِنْ حَيَاتِكَ مَا تَقَضَّى فَكَأَنَّا مِنَ الْقَدَاةِ إِلَى الْقَدَاةِ

عندما أتذكر ماضي حياتك الذي انقضى أراه كأنما كان من القداة (الصباح) إلى الصباح التالي، فعمر المرء يمر بلمحة بصر. تعليق عمران القفيني: «شوقي هنا المتسي لا راح ولا جاء»، يشير إلى قصيدة المتنبي في رثاء جدته. . وعندما رثي شوقي أمه اتخذ قافية المتنبي وبحره، وفي قصيدته «اضحما» أيضاً لكن الضحمة عند شوقي كان موكباً لا شخصاً.. انظر القطعة ١٧٢

٣٤ السلام وفطرة السباع

قال شوقي في ديسمبر (١٨٩٩):

صِغَارٌ بِحُلُوانَ تَسْتَبِشِرُ ورؤيتها الفرخ الأكبر
الصغار في «حلوان» (الضاحية التي كان شوقي يسكن بها آنذاك) مستبشرون (فرحون) بقدوم العيد،
والفرخ الأكبر هو رؤيتنا لهم

تَهْرُ اللوَاءِ بِعِيدِ الْمَسِيحِ وتُخَيِّبُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ
يلوحون بأعلام صغيرة في عيد السيد المسيح، ويحيون العيد غير عارفين بمعناه

وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْ الْمَسْلُومُونَ، أَوِ الْمَسْلُومُونَ هُمْ الْأَكْثَرُ
والعجيب أن منهم مسلمين، بل أكثرهم مسلمون

فَلَا سَفَةَ كُلُّهُمْ فِي اتِّفَاقٍ كَمَا اتَّفَقَ الْآلُ وَالْمَفْسَّرُ
هؤلاء الأطفال فلاسفة في التسامح، ومضفون على هذا العيد كاتفاق أهاليهم

دِيسَمْبَرُ شُعْبَانٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ وشعبان لكل ديسمبَر
فشهر ديسمبر (وفيه عيد الميلاد عند الغربيين، أما الأقباط فيحتفلون به في أوائل يناير، ولعل
شوقي يصف هنا احتفال أجانب مصر بعيد الميلاد) هو بالنسبة للجميع كشعبان (الذي يحتفل
المسلمون في منتصفه)، والعكس بالعكس

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَضَلَّ الصَّغَارُ أَمِ الْعَقْلُ مَا عَنْهُمْ يُوَثِّرُ
فهل يا ترى أخطأ الصغار، أم ما يؤثر عنهم هو العقل بعينه؟

سَوَّالٌ أَقْدَمُهُ لِلْكَبَارِ لَعَلَّ الْكِبَارَ بِهِ أَخْبَرَ
ولي طفلة جازت السنتين كـبعض الملائك أو أظهر
ولي طفلة جازت (تخطت) السنتين، وهي كـملاك من الملائكة أو أظهر من ملاك

بِعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ وَيَسْتَنِينِي يَا حَبِئَذَا الْجَوْهَرَيْنِ
عيناهما زرقاوان، ولها ستان كـجوهرتين

أَتَنَسَّى نُسَائِلُنِي لُغْبَةً لَتَكْسِرَهَا ضَمْنَ مَا تَكْسِرُ
جاءت تطلب مني لعبة، لتكسرهما ضمن ما تكسر من أشياء

فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّهَا الْمَلَكَ تُحِبُّ السَّلَامَ، وَلَا أُنَكِّرُ
فقلت لها: يا أيها الملاك، أنت تحب السلام، ولا أنكر عليك ذلك

ولكنَّ قَبْلَكَ خَابَ الْمَسِيحُ وِبَاءَ بِمَنْشُورِهِ الْقَيْصَرُ

ولكن المسيح من قبلك خاب مسعاه السلمي، والقيصر باء (خاب) يمشوره الداعي لتوحيد المسيحيين . (أصدر القيصر قسطنطين الأول عقب عقده المجمع المكوني الأول عام ٣٢٥م، منشوراً بتوحيد عيد الفصح بين المسيحيين في الإسكندرية وروما والقدس وغيرها من أعمال روما . وقد التزم الشرقيون بهذا، ولكن الغربيين بقضوه بعد مئات السنين في عهد البابا غريغوري)

فَلَا تَرْجُ سِلْمًا مِّنَ الْعَالَمِينَ فَلِئِنَّ السَّبَّاعَ كَمَا تُفْطَرُ

ولا ترج (تأمل) سلماً من الناس، فالسباع تبقى كما تُفطر (تخلق)

وَمَنْ يَغْدِمَ الظُّفْرَ بَيْنَ الذَّنَابِ فَلِئِنَّ الذَّنَابَ بِهِ تَمُظَفَرُ

ومن يغم (يقطع) الظفر (يقصد التوحش) بين البشر، الذين هم كالذئاب، ظفرت به الذئاب

٣٥ ثَارَ الْقِدْسِ

قال شوقي في «آيا صوفيا» الكنيسة التي شيدت عام ٥٣٧م، وحُولت إلى مسجد عام ١٤٥٣م، ثم حُولت إلى متحف عام ١٩٣٥م، بعد وفاة شوقي بثلاث سنوات، ولا تزال متحفاً. قال القصيدة سنة (١٨٩٩):

كَنِيسَةٌ صَارَتْ إِلَى مَسْجِدٍ هَدِيَّةُ السَّيِّدِ لِسَيِّدٍ

كنيسة تحولت إلى مسجد، فهي هدية السيد المسيح لسيد الإسلام محمد

كَانَتْ بِهَا الْعِذْرَاءُ مِنْ فِضَّةٍ وَكَانَ رُوحُ اللّهِ مِنْ عَنَجِدٍ

كان بها تمثال للعدراء من الفضة، وكان تمثال روح الله (المسيح) من عجد (ذهب)

جَلَاهُمَا فِيهَا وَحَلَاهُمَا مُصَوِّرُ الرُّومِ الْقَدِيرُ الْبَدِ

جلاهما (أبرزهما) في الكنيسة، وحلاهما (زينهما بالخطي) مصور (نحات) الروم ذو اليد الماهرة

فَقُلْ لِمَنْ شَاءَ فَهَذَا الْقَوَى قَوَى الْأَجِيرِ الْمُتَعَبِ الْمُجْهَدِ . .

فقل لمن بنى هذا البناء المهيب وهد قوى العمال المتعبين . .

كَأَنَّهُ فِرْعَوْنٌ لِمَا بَنَى لِرَبِّهِ بَيْتًا فَلَمْ يَقْصِدِ . .

إنه مثل فرعون عندما بنى لربه بيتاً (الأهرام) فلم يقصد (لم يقصد، بل بالغ)

أُبْغِبْدُ اللَّهَ بِسَوْمِ الْوَرَى مَا لَا يُسَامُ الْعَيْرُ فِي الْمَقْوَدِ

قل له هل يُعبدُ الله بسوم (بتكليف) الوري (الناس) ما لا يسام (يكلف) العير (الحمار) وهو مقيد بمقوده

كنيسة كالفدني المعتلي ومسجد كالفضر من أضيدي
هذه كنيسة كأنها القنن (القصر) العالي، وصارت مسجداً كأنه قصر من الأضيدي (الحجر اللامع)
والله عن هذا وذا في غنى لو يعقل الإنسان أو يهتدي
والله في غنى عن المعابد لو يعقل الإنسان ويهتدي للحق

قد جاءها الفاتح في غضبة من الأسود الرُكع السُجدي
محمد الفاتح جاء إلى الكنيسة ومعه عصبة (جماعة) من الأسود (الرجال الأشداء) الرُكع السُجدي
فكبروا فيها، وصلى العدي واختلط المشهد بالمشهد
فكبروا في الكنيسة، وصلى الأعداء أيضاً صلاتهم، فاختلط المشهدان

فخائنهما من قبصر سعد وأيدت بالقبصر الأسعد
وفيها خان قبصر الروم البيزنطيين سعد (حظه)، ووجدت تأييداً من القبصر الأسعد (ذي الحظ
الأوفر/محمد الفاتح)

وناب عما كان من زُخرف جلالة المعبود في المعبد
وناب عما كان فيها من زخارف جلالة الله الذي يُعبد في هذا المعبد

فيما لَشَارَ بيميننا بعده أقامَ لم يقرب ولم يَبْغِد
فيا له من ثار بيننا بعد هذا الفتح، وقد أقام (استمر) الثار، لم يقرب من التحقق ولم يتعد بل ظل
في النفوس كامناً

بأق كثار القدس من قبله لا ننتهي منه ولا يَبْتَدِي
وهو باق كثار القدس قبله (التي احتلها الصليبيون ثم أخرجوا منها)، ولا ننتهي من أمر هذا الثار،
ولا هو يتدئ في التحول إلى حرب دموية
قال شوقي هذا قبل أن يجهز الأوروبيون على الدولة العثمانية، وكانوا في زمنه يقدسون سيادتها
بشئ الوسائل ويحتلون بعض أطرافها كحصر

فلا يَغْرُنْكَ سكون المَلا فلا شرَّ حول المصارم المُغْمَد
فلا تغترَّ سكون المَلا (القوم)، فالشر يحوم حول المصارم (السيف) المغمد (الكامن في غمده)

لن يترك الروم عباداتهم أو ينزل الترك عن السُودد

لن يترك الروم تعبدتهم في هذه التي كانت كنيسة إلا إن ينزل (يتنازل) الترك لهم عن
السيادة عليها. في القصيدة قراءة للتاريخ تشبه كثيراً ما نجده في هذا الزمن (٢٠٠٨م)
عند الإسلاميين من متشددين ومعتدلين، وعند كثيرين من بسطاء الناس. ولعل هذه
القراءة تحتوي على قدر من الصحة أكبر بكثير مما يظن المثقفون، ولا سيما أولئك

الذين صاع الغرب ثقافتهم أو أثر في وجدانهم. قد قرأ ماركس التاريخ من جهة الاقتصاد، أما توينبي فنظر إليه من جهة الدين. ولا أشك أن هناك طريقة ثالثة أو رابعة تجمع العوامل في توليفة أقرب إلى الصحة. شوقي هنا شاعر الإسلام الذي يحس بالموجة الأوروبية المقبلة، ولكنه يفسرها من ثقب باب الدولة العثمانية دون التفات كبير للمصالح الاستعمارية

٣٦ المستحيل

قال شوقي (١٨٩٩):

لا والقوام الذي، والأعين اللاتي ما خنت ربّ القنا والمُشْرِفِيَّاتِ
لا وحقّ القوام الذي - سباني - والأعين اللاتي - ذبحتني -، ما خنت صاحب القنا (الرماح)
والمشرفيات (السيف). واضح أن قوامها معتدل كالرمح، وهينها ذبّاحتان كالسيف

ولا أردتُ لِسهمِ اللحظِ في كَيْدي رَدًّا، ولا رأيَ لي في المُستحيلاتِ
ولا أردت أن أَرُدَّ سهمَ لحظها (نظرتها) الذي وقع في كيدي، وليس لي حتى رأي (تفكير) في ذلك
فهو من المستحيلات

وَأَنْتَ تَظَرَّبُ لِلوَاشِي وَتُظْمِعُهُ كالطفل ألقى بِسَمْعٍ لِلخِرَافَاتِ
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ تَطْرُبُ لِكَلَامِ الْوَاشِي (ناقل الكلام)، وتُظْمِعُهُ (تسجعه)، كأنك الطفل الذي
يلقي سمعه (يصدق) للخِرَافَاتِ

إِنْ السَّهَامُ إِذَا مَا وَاصَلَتْ حَرَضًا كَانَتْ خَوَاطِئُهَا مِثْلَ الْمُصِيبَاتِ
إن كلام الواشي كالسهام التي إن ظلت تُرمى نحو المرء تُزعجه الخواطين منها (التي تخطئ الهدف)
كما تُزعجه المصيبات (التي تصيب الهدف)
هذا بيت يفهم من تعرض لحملات تشجيع، ومن اشتغل مديراً

٣٧ زاحم

قال شوقي في دخول ابنه علي السنة الثانية (١٩٠٠):

هَذِهِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ هَذِهِ أَوَّلُ كَسْبٍ
هذه أول خطوة لك، وأول كسوة (سُقطة)

يَا عَلِي! إِنَّ أَنْتَ أَوْفِيٌّ سَتَ عَلِمَ مِنَ الْفُتُوَّةِ
يا علي! إن أوفيت (قاربت) على سن الفتوة، وصرت فتى باغماً

دَافِعِ السَّهَامِ وَزَاحِمِ دَافِعِ الْعَمِيشِ بِقُوَّةِ
فزاحم الناس، وخذ حَقَّ ورزقك بقوة

لَا تَقُلْ: كَانَ أَبِي، إِيَّكَ أَنْ تَحْذُو حَذْوَهُ

لا تقل: كان أبي يفعل كذا، إياك أن تحذو حذوي

أَنَا لَسْتُ أَغْنِمُ مِنَ النَّاسِ سِوَى فَنَجَانِ قَهْوَةٍ

فأنا لم أغنم من الناس شيئاً، ربما فنجان قهوة فقط

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْمَدْحِ مِنْ الْأَمْثَلِكِ قَرُوءَةٍ

ولم أجز (أكافأ) عن المدح من الأملاك (الملوك) فروة (كسوة فرو) وكانت الملوك تعطي الشعراء الملابس جوائز لهم

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْكُتْبِ بِمِنَ الْقُرَاءِ حُظْوَةٍ

ولم أجز (أكافأ) عن كتيي بحظوة (مكانة) من القراء

ضَيِّعَ الْكُلِّ حَيَاتِي وَعَفَافِي وَالْمُرُوءَةَ

كلهم ضيع لي حياتي وعفافي والبروءة (كرم النفس)

٣٨ أنا الغريق..

قُلْ لِلزَّمَانِ يَصُبُّ مِنْ أَحْدَائِهِ أَوْ لَا يَصُبُّ فَمَا بِنَا إِشْفَاقُ

ليصب الزمان أحداه (مصائبه) إن شاء أو لا يصب فليس بنا إشفاق (خوف)

غَمَرْتُ مَصَائِبُهُ فَأَغْرَقْنَا بِهَا وَالْغَمْرُ فِيهِ نَسْتَوِي الْأَعْمَاقُ

غمرتنا مصائبه، وفي الغمر نستوي (تساوي) الأعماق، فإن غمرنا من الماء شبر أو متر فالحال واحدة

٣٩ طعين القدود

لَا تَأْخُذَنَّ مِنَ الْأُمُورِ بِظَاهِرٍ إِنْ الظَّوَاهِرَ تَخْدَعُ الرَّائِسِينَا

لا تأخذ بظواهر الأمور، فهي تخدع الناظرين

فَلَنَكُنَّ رَجَعْتُ مِنَ الْأَيْتَةِ سَالِمًا وَصَدَرْتُ عَنْ هَيْفِ الْقُدُودِ طَعِينَا

فكثيراً ما عدت سالماً بعد مطاعنة بالأسنة (أطراف الرماح)، وصدرت (رجعت) بعد تعرضي للقدود الهيف (بوزن البيض/القدود الهيفاء الرشيقة) طعيناً (مطعوناً)

٤٠ الشكر

هل ترى أنت، فإنني لم أجد كجميل الصنيع بالشكر افتِرانا
هل ترى رأيي، فأنا لم أجد كالاقتِران بين المعروف والشكر عليه

وإذا الدنيا خَلَّتْ مِنْ خَيْرٍ وَخَلَّتْ مِنْ شَاكِرٍ هَانَتْ هَوَانًا
فإذا خلت الدنيا من خيرٍ ومن يشكره هانت هواناً (أصبحت تافهة)

٤١ عشق العلياء

هي الجزيرة فاحذر فتنة النظر وكيف، والحُبْ بآني غيرَ منتظرٍ
إنها الجزيرة (الجزيرة وسط النيل في القاهرة) فاحذر أن يفتك نظرك، وكيف لك أن تنجح في
حذرك والحب يأتي فجأة

أرضُ ترى الأسدَ ترعى في ملاعِبها فكلُّ ماشٍ عليها راكبُ الخطرِ
هذه أرض ترى الأسود ترعى في ملاعِبها (رياضها)، فكل من يمشي فيها يركب الخطر

آليت لا دارتِ الأشواقُ في خلدي ولا قطعَتْ الليالي وإِصْلَ الْفُكْرِ
آليت (حلقت) ألا تدور الأشواق في خلدي (بالي)، وألا أمضي الليالي مفكراً..

ولا أجابَتْ سوى داعيِ التُّقى مُقْلِي ولا وقفْتُ على غيرِ العُلى سَهْرِي
وَألا تجيب قلبي (ميوني) سوى ما يدهونني إلى التقوى، وألا أقف (أكرس) سهري على غير العلى
(الطموحات الكبيرة) ..

ولا عشقْتُ سوى العلياءِ غَانِيَةً ولا كَلِّفْتُ بغيرِ المجدِ والخطرِ
وحلفت ألا أهنئ غانية (حناء) سوى العلياء (المجد)، وألا أكلف (أهيم) إلا بالمجد والخطر ..

ولا استعنتُ على دهرِي سوى قلْمِي ولا صَحِبْتُ سوى الصَّمْصامةِ الذَّكْرِ
وحلفت ألا أستعين على زماني بغير قلمي، وألا أصحب سوى الصمصامة (السيف) الذَّكْر (دي
الحديد الصلب)

٤٢ الفجر الضائع

قلبٌ يذوبُ ومَلَمَعٌ يجري بِأَ لَيْلٍ هلْ خَبِرَ عَنِ الْفَجْرِ
مثلما يسأل المرء عن غائب طال أمد غيابه يسأل شوقي الليل: هل جاءك خبر عن الفجر؟

٤٣ العمر ليلة

يا ناعماً رَقَدْتَ جُفُونُكَ مُضْنَاكَ لَا تَهْدَا شُجُونُكَ
يا ناعماً (متنعماً في عيشته) رقد وأغض جفونه، مضناك (عاشقك الذي أضنيه وأمرسته) لا تهدا
شجونه (أحزانه)

حَمَلَ الْهُوَى لَكَ كُلَّهُ إِنْ لَمْ تُعِينَهُ فَمَنْ يُعِينُهُ
عاشقك حمل وحده ثقل الهوى كله، فإن لم تعنه (تساعده) فمن يعينه؟

مَا الْعَمْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ كَانَ الصَّبَاحُ لَهَا جَبِينُهُ
ما العمر إلا ليلة صباحها يطلع من جبين المحبوب

بَيْنَ الرَّقِيبِ وَبَيْنَنَا وَإِذْ تُبَاعِدُهُ حُزُونُهُ
بيننا وبين الرقيب (العدول) وإذ، ويُجِدُ الوادي عنا حزنه (جباله)

نَفْتَابُهُ، وَنَقُولُ: لَا بَقِيَّ الرَّقِيبُ، وَلَا عِيُونُهُ
نفتاب العدول، وتدعو عليه: «عَيْنَاهُ وَعَدَمْنَا عِيُونَهُ». ومن حلاوات الغرام، لمن لم يجره،
اغتيال العدول

٤٤ أحوال العشق

يُرومونَ سُلُوَانًا لِقَلْبِي يُرِيحُهُ وَمِنْ لَيِّ السُّلُوَانِ أَشْرِيهِ غَالِبَا
يرومون (يريدون) سلواناً (نسباً) يحل بقلبي ليرحه، ومن أين السلوان حتى اشتريه ولو غالباً
وما العشقُ إِلَّا لَذَّةٌ ثُمَّ شِفْوَةٌ كَمَا شَقِيَّ الْمَخْمُورُ بِالسُّكْرِ صَاحِبَا
وما العشق إلا لذة نليها شقوة (عذاب)، كالمخمور (السكران) يلتذ بالشرب ثم يصحو من سكرته
فيشقى بالصداع

٤٥ الهمشري

يَحْكُونُ أَنَّ رَجُلًا كُرِدِيًّا كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ هَمَشَرِيًّا
همشري: صانع لامبال، واقع بين البوهية والفك

وَكُلَّمَا مَرَّ هُنَاكَ أَوْ هُنَا يَصِيحُ بِالنَّاسِ: أَنَا أَنَا أَنَا
نَمَى حَدِيثُهُ إِلَى صَبِيٍّ صَغِيرٍ جَسْمٍ بَطَلٍ قَوِيٍّ
نمى: بلغ

فَقَالَ لِلْقَوْمِ: سَأَدْرِكُمْ بِهِ فَتَعْلَمُونَ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ
سَأَدْرِكُمْ بِهِ: سَأَرِيكُمْوهُ، سَأَعْرِفُكُمْ بِحَقِّقَتِهِ

وَمَدَّ نَحْوَهُ يَمِيناً قَاسِيَةً بِضَرْبَةٍ كَادَتْ تَكُونُ الْقَاضِيَةَ
فَلَمْ يُحَرِّكْ سَاكِناً وَلَا ارْتَبَكَ وَلَا انْتَهَى عَنْ زَعْمِهِ وَلَا تَرَكَ
وَقَفَ الِهْمَشْرِي وَمَا ارْتَبَكَ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ عَلَى زَعْمِهِ وَلَمْ يَتْرَكَ

بَلْ قَالَ لِلْغَالِبِ قَوْلًا لَيِّنًا: الْآنَ صَرْنَا اثْنَيْنِ أَنْتَ وَأَنَا
وَهَكَذَا الدِّهَاءُ، لَا يَخُوضُونَ مَعْرَكَةً فَاصِلَةً، مَعْرَكَةً إِمَّا قَاتِلًا وَإِمَّا مَقْتُولًا، بَلْ يَمَارِسُونَ الْخُصْمَ
مِرَاسًا، فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ حِيزًا أَعْطَوْهُ حِيزَهُ وَنَاصَفَوْهُ وَتَعَاهَشُوا مَعَهُ. قَدْ أَعْجَبَنِي الِهْمَشْرِي أَكْثَرَ مِمَّا
أَعْجَبَنِي الْعَصِي

٤٦ نديم الباذنجان

كَانَ لِسُلْطَانٍ نَدِيمٌ وَافٍ يُعِيدُ مَا قَالَ بِلَا اخْتِلَافٍ
نَدِيمُ السُّلْطَانِ الْوَفِيُّ يَسِيرُ السُّلْطَانُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ

فَجَلَسَا يَوْمًا عَلَى الْخَوَانِ وَجِيءَ فِي الْأَكْلِ بِبِاذْنِجَانٍ
الْخَوَانُ: الْمَائِدَةُ

فَأَكَلَ السُّلْطَانُ مِنْهُ مَا أَكَلَ وَقَالَ هَذَا فِي الْمَذَاقِ كَالْعَسَلِ
قَالَ النَّدِيمُ: صَدَقَ السُّلْطَانُ لَا يَسْتَوِي شَهْدُ وَبِاذْنِجَانٍ
لَا مَقَارَنَةُ بَيْنَ الشَّهْدِ (العسل) وَالبِاذْنِجَانِ، فَالبِاذْنِجَانُ بِالطَّيْبِ أَطْيَبُ وَالذُّدُّ أَلْسَ هَكَذَا يَرِيدُ
السُّلْطَانُ؟

قَالَ: وَلَكِنْ عِنْدَهُ مَرَارَةٌ وَمَا حَمِيذْتُ مَرَّةً آثَارَةً
السُّلْطَانُ بِشَمِّ كَلَامِهِ: الْبِاذْنِجَانُ مَرٌّ. وَآثَرُهُ فِي الْعَمْدَةِ سَيِّئٌ

قَالَ: نَعَمْ مُرٌّ، وَهَذَا عَيْبُهُ مُنْذُ كُنْتُ بِمَا مَوْلَايَ لَا أَحِبُّهُ
النَّدِيمُ مُوَافِقٌ. وَيَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَحِبَّ الْبِاذْنِجَانَ قَطُّ

هَذَا الَّذِي مَاتَ بِهِ بُعْقَرَاطُ وَشُمَّ فِي الْكَأْسِ بِهِ سُقْرَاطُ
بَلْ يَرِيدُ النَّدِيمُ أَنَّ الْبِاذْنِجَانَ قَتَلَ بِقَرَاطِ طَبِيبِ الْيُونَانِ، وَكَانَ هُوَ السَّمُّ الَّذِي شَرَبَهُ سَقْرَاطُ

فَالْتَفَتَ السُّلْطَانُ فِيمَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُونَ قَوْلَهُ
يَسْتَغْرِبُ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا التَّاقُصِ

قال النديم: يا مليك الناس عُدْراً فما في فعلتي من باسٍ
جُمِلْتُ كني أنادم السلطانا ولم أنادم قطُ باؤنجانا
أنا أنادمك فأمدحك وأسارك، ولم أكن نديماً للباؤنجان فأمدحه

٤٧ ما دام في العالم أم تلد

كَانَ بِرَوْضٍ غُصْنٌ نَاعِمٌ يَقُولُ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
كان في البستان غصن ناعم يقول: سبحان الله الواحد المنفرد

فقامتي في ظرفها قامتي ومثل حُسنِي في الوري ما عهد
ويقول الغصن: أما قامتي فهي في ظرفها (جمالها) قامتي - وأنتم أعلم بما هي عليه من جمال - ،
ومثل حسني (جمالي) ما عهد (وجد) في الدنيا

فأقبلتُ خُفْصَةً تَنَشِي وَنَجَلُهَا يَمْشِي بِجَنِبِ الْكَيْدِ
فجاءت خنفساء تنشي جسمها (فهكذا مشيها، يتحدب ظهرها ثم ينسط) وابنها يمشي قريباً من كبدها

تَقُولُ: يَا زَيْنَ رِياضِ الْبَهَا إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُهُ قَدْ وَجِدَ
وهي تقول للغصن المعجب بقامته: إن الحسن الشبيه بحسبك، والذي تفتش عنه، موجود

فَانظُرْ لِقَدْ ابْنِي وَلَا تَفْتَخِرْ مَا دَامَ فِي الْعَالَمِ أُمَّ تَلِدُ
فانظر لقد ابني - وقد ابنتها متحدب مثل قدها بالطبع - ، ولا تفتخر علينا ما دام هناك في العالم أم
تلد، فكل أم ترى ابنتها في منتهى الجمال

٤٨ من رأيكم في الحمار

الْأَيْتُ مَلِكُ الْقِفَارِ وَمَا تَضُمُّ الصَّحَارِي
اللبث: الأسد، القفار: البراري الجرداء

سَعَتِ إِلَيْهِ الرُّعَايَا يَوْمًا بِكُلِّ انْكَسَارِ
الرعايا: أفراد رعيته من مختلف الحيوانات

قَالَتْ: تَعِيشُ وَتَبْقَى يَا دَامِي الْأَظْفَارِ
مات الوزيرُ فَمَنْ ذَا يَسُوسُ أَمْرَ الصُّوَارِي
يسوس: يدير، الصواري: الحيوانات المفترسة

قَالَ: الْحِمَارُ وَزِيرِي قَضَى بِهِذَا اخْتِيَارِي

فاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: ماذا رأى في الحمام؟
استصحتت: صحتت، ثم قالت الرعايا لنفسها: ماذا رأى في الحمام من مزايأ حتى يجعله وزيراً؟
وخلَّفَتْهُ وَطَارَتْ (انطلقت بسرعة) بالأخبار المضحكة

حَسْبِيَ إِذَا الشَّهْرُ وَلَّى كَسَلِيلَةٍ أَوْ نَهَارٍ
ومضى شهر بسرعة كأنه ليلة أو نهار

لَمْ يَشْعُرِ الْيَتُّ إِلَّا الْقِرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ وَمَلَكُهُ فِي دِمَارِ
والسَّقَطُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْكَلْبُ عِنْدَ الْيَسَارِ
فَقَالَ: مَنْ فِي جُودِي مِثْلِي عَدِيْمُ الْوَقَارِ
أَبْنُ اقْتِدَارِي وَيَطْشِي وَهَيْبَتِي وَاعْتِسَابِي
فَجَسَاءَةُ الْقِرْدُ بَرًّا وَقَالَ بَعْدَ اعْتِسَابِ
يَا هَالِي الْجَاءُ فِينَا كُنْ عَالِي الْأَنْظَارِ
يا صاحب الجاه (المكانة) بين الحيوانات، كن صاحب نظر وتنبُّر

رَأَيْ الرُّعَيْسَةَ فَمِيسَكُم مِّن رَّايِكُمْ فِي الْحِمَارِ
رأى الرعية فيكم مشتق من رأيكم في الحمار

٤٩ فوق التفاصيل

كَانَ لِلْغُرَبَانِ فِي الْعَصْرِ مَلِكٌ وَلَهُ فِي النَّخْلَةِ الْكُبْرَى أَرِيكٌ
ملك: ملك، أريك: سرير، أريكة

فِيهِ كُرْسِيٌّ وَخِذْرٌ وَمُهَوِّدٌ لِّصِغَارِ الْمَلِكِ أَصْحَابِ الْعُهُودِ
فيه كرسي (عرش) وخذر (ستر تقيع وراءه النساء) ومهويد للصغار أولياء العهد

جَاءَهُ يَوْمًا قُسْلُورُ السَّخَادِمِ وَهُوَ فِي الْبَابِ الْأَمِينُ الْحَازِمُ
ندور: اسم الغراب الخادم الواقف بباب ملك الغريان

قَالَ يَا قَرَعَ الْمَلُوكِ الصَّالِحِينَ أَنْتَ مَا زِلْتَ تَحِبُّ النَّاصِحِينَ
قال للملك: يا سليل الملوك الصالحين، أنت دوماً كنت تحب الناصحين

سُوسَةٌ كَانَتْ عَلَى الْقَصْرِ تَدُورُ جَازَتْ الْقَصْرَ وَدَبَّتْ فِي الْجُنُورِ

وهناك سوسة (حشرة قارضة) كانت تدور قرب قصركم ثم دبت في الجذور تقرضها

فَابَعَثَ الْغُرَبَانَ فِي إِهْلَاكِهَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ فِي أَشْرَاكِهَا

فابعث الغربان لقتلها قبل أن توقعنا في أشراكها (مصايدها) ونهلك

ضَحِكَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا الْمَقَالَ ثُمَّ أَذْنَى خَادِمَ الْخَبِيرِ وَقَالَ

المقال: القول، أذننى: قرَّب

أَنَا رَبُّ الشُّوْكَةِ الضَّافِي الْجَنَاحِ أَنَا ذُو الْمِنْقَارِ، حَلَّابُ الرِّيحِ

أنا ربُّ (صاحب) الشوكة (القوة) الضافي (الواسع) الجناح، أنا ذو المنقار، وأنا الذي يخلب الرياح

أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ أَنَا لَا أَبْصُرُ تَحْتِي يَا نُدُورُ

أنا أعالج الأمور الخطيرة فقط

ثُمَّ لَمَّا كَانَ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ قَامَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالنَّخْلِ خِصَامٌ

اشتدت الريح وأخلت نهز النخل

وَلِذَا النَّخْلَةُ أَقْوَى جِذْعُهَا فَبَدَأَ لِلرِّيحِ سَهْلًا قَلْعُهَا

أقوى: صار فارغاً منخوراً

فَهَوَّتْ لِلْأَرْضِ كَالثَّلِّ الْكَبِيرِ وَهَوَى الدُّيُونُ وَانْقَضَ السَّرِيرُ

فسقطت النخلة أرضاً كأنها «الثل الكبير» (كقوط جيش عرابي الريح أمام الإنجليز في معركة الثل

الكبير، ولا أرى شوقي بمعنى شيئاً آخر، وهو الذي أسرف في تبكيت عرابي على هذه الهزيمة)،

وهوى ديوان الملك وانقضَّ (سقط) السرير (سرير الملك: العرش)

فَدَّهَا السُّلْطَانُ ذَا الْخَطْبِ الْمَهُولِ وَدَعَا خَادِمَهُ الْغَالِي يَفْعُولُ

فدَّها (فاعترى) السلطان ذا (هذا) الخطب (الشان) المهول، وندى خادمه يقول له: .

يَا نُدُورُ الْخَيْرِ أَسْعِفَ بِالصَّبَاحِ مَا تُرَى فَعَلْتُ فِينَا الرِّيحُ!

أسعف: ساعد

قَالَ: يَا مَوْلَايَ لَا تَسْأَلْ نُدُورُ أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ

فالأمر الآن خطير و«ندور» لا ينظر في هذه الكارثة الخطيرة بل ينظر في التفاصيل

٥٠ دودتان

لِدُودَةِ الْقَرِّ عِنْدِي وَدُودَةُ الْأَضْوَاءِ

دودة القز: دودة الحرير، دودة الأضواء: الدودة المضيئة

حِكَايَةً تَسْتَشْفِيهِهَا مَسَامِغُ الْأَذْكِيَاءِ

لَمَّا رَأَتْ تِلْكَ هَذِي تُسْمِيهِ فِي الظُّلُمَاءِ

سَعَتْ إِلَيْهَا وَقَالَتْ: نَعِيشُ ذَاتُ الضُّيَاءِ

أَنَا الْمُؤَمَّلُ نَفْعِي أَنَا الْمُشْهَرُ وَفَائِي

حَلَا لِي السَّنْفِغُ حَتَّى رَضِيتُ فِيهِ فِسْنَائِي

لدودة القز تموت أثناء عملية استخراج الحرير، فعندما تنسج حول جسمها شرنقة من الخيوط الحريرية يضمنونها في الماء المغلي لتموت وليأخذوا الشرنقة الحريرية

وَقَدْ أَنْبَسْتُ لِأَحْسَظْسِي بِسُجُوهِكَ الْوُضَاءِ

فَهَلْ لِنُورِ الثُّرَى فِي مَوَدَّتْسِي وَإِخْسَائْسِي

فهل لك يا نور الأرض أن تقبلي مودتي وإخائي (صداقتي)

قَالَتْ: عَرَضْتُ عَلَيْنَا وَجْهًا بِغَيْرِ حِيَاءِ

مَنْ أَنْسَتْ حَتَّى تُدَانِي ذَاتُ السَّنَا وَالسَّنَاءِ

السناء: الضوء، السناء: الرفعة

فَامْضِي، فَلَا وَدَّ عِنْدِي إِذْ لَسَسْتَ مِنْ أَكْفَائِي

وَعِنْدَ ذَلِكَ مَرَّتْ حَسَنَاءُ مَعَ حَسَنَاءِ

نَفْسُوكَ: اللَّهُ ثَوْبِي فِي حُسْنِهِ وَالْبَسَاءِ

كَمْ عِنْدَنَا مِنْ أَيْادٍ لِسِلْدُودَةِ السَّفَرَاءِ

هناك أياد (أفضال) لدودة القز الغراء (المشرقة)

ثُمَّ انْتَسَيْتُ فَأَتَتْ ذِي تَقْوٍ لِلْحَمَقَاءِ

ثم انتست (التفتت) فأنت دودة القز تقول للحمقاء دودة الصباء

هَلْ عِنْدَكَ الْآنَ شُكٌّ فِي رُتْبَتْسِي الْقَفْسَاءِ

هل عندك الآن شك في رتبتي (مرتتي) القساء (العظيمة)

وقد رأيت صنيعةً وقد سمعت ثنائياً
إن كان فيك ضياءً إن الثناء ضيائي

٥١ الغزال والكلب

كَانَ فِيمَا مَضَى مِنَ الدَّهْرِ بَيْتٌ مِنْ بَيُوتِ الْكِرَامِ فِيهِ غَزَالٌ
بَيْتٌ لِأَحَدِ كِرَامِ النَّاسِ فِيهِ غَزَالٌ

يُطْعَمُ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ، وَيُسْقَى عَسلاً لَمْ يَشُجِّهِ إِلَّا الزُّلَالُ
يَقْدَمُ لِلْغَزَالِ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ (المخبوز المكلف بالسكر أو الدسم)، ويسقى عسلاً لم يشجبه (يخالطه)
إلا الماء الزلال (العذب)

فَأَتَى الْكَلْبَ ذَاتَ يَوْمٍ يُنَاجِيهِ فِي النَّفْسِ تَرَحُّةً وَمَلَالٌ
جاء إلى الكلب يوماً يناجيه (بهامسه) وفي نفس الغزال ترحة (حزن) وملال (ملل)

قَالَ: يَا صَاحِبَ الْأَمَانَةِ قُلْ لِي كَيْفَ حَالُ الْوَرَى وَكَيْفَ الرُّجَالُ
قال الغزال: يا صاحب الأمانة (فالكلب مشهور بها) كيف حال الدنيا والرجال

فَأَجَابَ الْأَمِينُ وَهُوَ الْقَوُولُ الصَّدَقَ بِأَدَقِّ الْكَامِلِ النُّهَى الْمِفْضَالُ
قال الأمين (الكلب) وهو القول للصدق، الكامل النهى (العقل) المفضال (صاحب الفضل)

لَا يَغُرُّكَ يَا أَخَا الْبَيْدِ مِنْ مَوْ لَكَ ذَاكَ الْقَبُولُ وَالْإِقْبَالُ
لا تغرُّ يا أخا البيد (صاحب الصحارى) من مولاك (سيدك) بقوله لك، وإقباله عليك

أَنْتَ فِي الْأَسْرِ مَا سَلِمْتَ فَإِنْ تَمَّ رَضُ ثَقَطْعٍ مِنْ جَسِمِكَ الْأَوْصَالُ
فأنت مجرد أسير لديه وستظل أسيراً ما بقيت سالماً، فإذا مرضت فبحوك وقطعوا أوصالك
(أعضائك)

فَاطْلُبِ الْبَيْدَ، وَارْضَ بِالْعُشْبِ قَوْتاً فَهَنَّاكَ الْعَيْشُ الْهَنِيُّ الْحَلَالُ
فاطلب البيد (اذهب للصحارى)، وارض بالعشب قوتاً (طعاماً)، فهناك العيش الهنيء الحلال

أَنَا لَوْلَا الْعِظَامُ، وَهِيَ حَيَاتِي لَمْ تَطْبُ لِي مَعَ ابْنِ آدَمَ حَالُ
أنا لولا العظام وهي أصل حياتي، لم تكن لتطيب لي مع ابن البشر الحال

٥٢ سليمان والهدد

وَقَفَ الْهُتَفُ فِي بَا بِ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ

قَالَ يَا مَوْلَايَ كُنْ لِي عَيْشَتِي صَارَتْ مُمْلَةً

قال الهدهد لسليمان: يا مولاي كن لي معي، فعيشتي صارت مملة

مُتٌ مِنْ حَسْبَةِ بُرٍّ أَحْدَثْتُ فِي الصَّدْرِ غُلَّةً

كدت أموت من حبة بُرٍّ (قمح) أحدثت في صدري غلّة (عطشاً)

لَا مِيَاهُ النَّيْلِ تَرْوِيهِمْ هَاهُنَا وَلَا أَمْوَاهُ دَجَلَةٌ

وماء الغلة (العطش) لا ترويهما مياه النيل ولا أمواه (مياه) دجلة

وَإِذَا دَامَتْ قَمَلَسِيلاً قَتَلْتَنِي سُرْقِمْلَةً

فأشار السيد العا لي إلى مَنْ كَانَ حَوْلَهُ:

فَدَجَنِي الْهَيْهَذَا ذَنْباً وَأَتَى فِي اللُّؤْمِ فِعْلَةً

قال سليمان لمن في مجلسه: قد ارتكب الهدهد ذنباً، وجاء بفعلته لئيمة

تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدْرِ، وَذِي التَّسْكُوتِ تَوَلَّى

وما في صدره إنما هي نار الإثم، وأما شكواه فهي نغلة (حجة باطلة)

مَا أَرَى السَّحَابَةَ إِلَّا سُرِقَتْ مِنْ بَيْتِ نَمْلَةٍ

إِنْ لَيْلَظَّالِمٌ صَدْرًا يَشْتَكِي مِنْ غَيْرِ مِلَّةٍ

كان من فضل المدرسة عليّ أن جعلتني أحفظ هذه القصيدة، فلما حاق بالحافظه المحاق، واكتفى الذهن بما ضمه وضاق، ظلت هذه القصيدة من المحفوظ القديم الذي أودي به صلاة الأدب. وقد صجبت كثيراً لهذا الشاب الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين ينظم، وهو يطلب العلم في فرنسا، أشعاراً عن الحيوان فيها أصالة وظرف ودكاء، وتنم عن تجربة واسعة ومعرفة بأغوار النفس الإنسانية. وقرأت أشعار لافونتين، وبه اقتدى شوقي في قصائده عن الحيوان، وأنا أتمنى ألا يكون شوقي سرق منه شيئاً. قرأت لافونتين بترجمة الأب نقولا أبو هنا، وسعدت به، بخفته وظرفه وجمال حكاياته. وسعدت أكثر لأن قصائد شوقي أحلى منها. وبلغت سعادتي منتهاها عندما وجدت شاعرنا مبدعاً في كل قصصه. فهو لم يسرق من الفرنسي شيئاً، بل استوحى الفكرة لا غير. وأما لافونتين فقد تأثر بإيسوب ونقل عنه، وتأثر بكليلة ودمنة ونقل عنها. وشوقي في قصائده التي على لسان الحيوان صنع قصصه وصنع لكل منها حكمتها، وبعضها ليس فيه حكمة ذات بال، بل فيه نكتة أو كشف لثقاق الإنسان. شوقي في هذا الشعر شاعر حطير، وفنان كبير، وظريف من ظرفاء الأدب العربي النادرين، وعبقري نضج في روحه ونفسه مبكراً. وهذه القصائد تصلح للأطفال، وتصلح للكبار أكثر. وكثير منها يحتاج تدوقه إلى نضج ومعرفة بدقائق النفس البشرية لا يتأتى لطفل. على أن شوقي كتب في المقدمة التي جعلها في صدر الشوقيات عندما صدرت أول مرة عام ١٩٠٠: «أتمنى لو ومفتي الله لأجعل لأطفال المصريين مثل ما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتقدمة: منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم»

٥٣ النملة والمقطم

كأنت النملة تمشي مرة تحت المُقَطَّم
المقطم: جبل في القاهرة

فارتخى مفصلها من هيبة الطود المُعْظَم
الطود: الجبل

فالت اليومَ فلاكى حلَّ يومي وتَحَنَّنْ
ليت تُغري كيف أنجو، إن هوى هذا، وأسلَمْ
هوى: سقط

فَسَمَتْ تجري وعيننا ها ترى الطود فتندم
تندم؟ ربما على مجئها لهذا المكان. ولا أراها إلا ولدت فيه

سَقَطَتْ في شبر ماءٍ هو عند النمل كاليم
ثم إنها وهي تجري سقطت في شبر ماء، وهو بالنسبة للنمل كاليم (البحر)

فبككت بأساً و٢١٥ قبل تجزي الماء في الفم
ثم قالت، ومي أدري بالذي قالت وأعلم:
البيت كله حثوة طريفة

ليئنني لم أناخر ليئنني لم أتقدم
ليئنني سلئت، فالما قل من خاف فسألتم
صاح! لا تخش عظيمًا فالذي في الغيب أعظم
صاح: يا صاحبي

٥٤ الثعلب الزاهد

برز الثعلب يوماً في شعاع الواعظينا
ظهر الثعلب يوماً في شعاع (الباس) الواعظين

فمشى في الأرض يهدي ويسب الماكرينا
ويقول الحمد لله إلى المعالمينا

كهف: ملاذ

وازهّدوا في الطّير إنّ الـ عيشَ عيشُ الرّاهدينَا
واطلبوا اليديكَ يؤدّنْ لصلاة الصّبح فينا
فأتى اليديكَ رسولٌ مِن إمام النّاسكينا
فجاء لليديكَ رسول من الثعلب الذي ادعى أنّه إمام النّاسكين

عرَضَ الأمرَ عليهِ وهوَ يرجو أن يلبينا
فأجابَ اليديكَ: عُذراً يا أضلّ المُهتدينَا
أت أبها الرسول مهتدٍ وصالح، ولكنك ضال لعدم فهمك لنوايا الثعلب

بلّغ الثعلبَ عنيّ عَنْ جُدودي الصّالحينا
أنهم قالوا، وخيرُ الـ قول قولُ العارفينَا:
مُخْطِئٌ مَن ظَنَّ يوماً أنَّ للثعلبِ دينَا

٥٥ وجه النّوم

مرّ الغرابُ بِشاةٍ قد غابَ عنها القطيمُ
القطيم: المفطوم، ابنها

تقولُ والدمعُ جارٍ والقلبُ مِنها كليمُ
كليم: مجروح

يا ليتَ شِعري يا ابني وواجدِي، هل تَدومُ
هل تدوم: هل تعيش لي

فقالَ يا أمّ سَفيدٍ هذا عسذابُ السّبمِ
أم سعد: الشاة، وقال الأبياري إن العوام يلقبون الخروف سعداً

لكلّ يومٍ خُطوبٌ تكفي، وشغلٌ عظيمُ
خطوب: مصائب

وبينما هُوَ يَهذي أتى النّسويّ الذّميمُ
بيما الغراب يهذي (يثرثر) جاء النعي (الناعي) النعيم (المفوم)

يَقُولُ خَلَّفْتُ سَعْدًا وَالْعَظَمُ مِنْهُ هَشِيمٌ

هشيم: مهم

رَأَى مِنَ السَّدِّ مَاقِدَ رَأَى أَبَوَهُ الْكَرِيمَ

فَقَالَ «ذُو الْبَيْنِ» لِلَّامِ حِينَ وَلَّسْتُ تَهْبِيمَ

ذو البين: الغراب الذي ينذر بالبين (الفراق)

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ نَوًّا لِكُلِّ يَوْمٍ هُمُومٌ

قَالَتْ صَدَقْتَ، وَلَكِنْ هَذَا الْكَلَامُ قَدِيمٌ

فَإِنْ قَوْمِي قَالُوا: وَجْهَ الْغُرَابِ مَشُومٌ

مشوم: مشوم

٥٦ خيانة صغيرة

كَانَ ابْنُ دَاوُدَ يُقَرَّرُ بِي فِي مَجَالِسِهِ خَمَامَةً

ابن داود: النبي سليمان، يقرب: يفضل. والحاكم إذا قرب شخصاً يقربه فعلاً في المجلس فيجلسه قريباً منه

عَدَمَتْهُ عُمْرًا مَلَمًا قَدْ شَاءَ، صِدْقًا وَاسْتِقَامَةً

فَمَضَتْ إِلَى عُمَالِهِ يَوْمًا تُبَلِّغُهُمْ سَلَامَةً

وَالْكُثْبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةُ

فقد حملها سليمان كتباً (رسائل) وفيها تكريم لها

فَأَرَادَتِ الْحَمَقَاءُ تَعْرِفَ مِنْ رَسَائِلِهِ كَلَامَةً

عَمَدَتْ لِأَوَّلِهَا، وَكَانَ نَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَةً

«رامة»: مكان يعرفه سليمان والحمامة وأحمد شوقي

فَرَأَتْهُ بِأَمْسَرُ فِيهِ عَا مِلَّةً بِشَاحٍ لِلْحَمَامَةِ

عامله: واليه

وَبُشِيرٌ فِي الثَّانِي بِأَنْ تُعْطَى رِيضًا فِي تِهَامَةٍ

تهامة: منطقة في الحجاز

وَأَنْتَ لثَالِثِهَا وَلَمْ تَسْتَحْيِ أَنْ قَضَّتْ خِتَامَةً

قضت ختامه: فكت الختم

فرائثه يأمر أن تـكـو ن لها على الطير الزعامة
فبكث لذاك تشمئماً هيهمات لا تُجدي الندامة
وأنت نبي الله وفـ حي تقول: يا رب السّلامة
قال: فقدت الكُتـبَ يا مولاى في أرض اليمامة
لـسـرعي لـمّا أتـا ني البارز يدفعني أمامه
البارز: طائر من الكواسر

فأجاب بل جئت الذي كادت تقوم له القيامة
لكن كفاك عقوبة من خان خائنه الكرامة
من خان الأمانة خائنه (عذله) الكرامة (التكريم)

٥٧ الثعلب الساذج

قد سمع الثعلب أهل القرى يدعون مُختالاً به «يا ثعلب»
فقال: حقاً هذه غاية في الفخر لا تُؤتى ولا تُطلب
سُر الثعلب لأنهم جعلوه مثلاً في الاحتيال. وهكذا الطفل، ومعظم الكبار، إن
تعجبت من شيء يسمونه أسرفوا في صنعه. قل عن طفل إنه يوسخ ثيابه كثيراً، بأنك
بعد قليل وثيابه ملطخة بالطين. وقل عن رجل إنه مكبر، تراه أخذ يباليغ في السكر
حتى يعزز هذه المزية. وكل واحد منا يبحث عن مزية تجعله منفرداً لا يشبه غيره.
فإن كانت ما يستحسن فيه، وإن لم تكن فهي أكثر تمييزاً له

من في النهى مثلي، حتى الوري أصبح فيهم مثلاً يضرب
من مثلي في النهى (العقل)، فعنى الأدميون أصبحوا يضربونني مثلاً

ما ضرر لو واقبثهم زائراً أريهم فوق الذي استغربوا
ها هو يريد تعزيز سمته بأنه ذاهية

لعلهم يخشون لي زينة يخضرها الديك أو الأرنب
زينة: مهرجاناً

وقصد القوم، وحياتهم وقام فيما بينهم يخطب
فأخذ الزائر من أذنه وأعطى الكلب به يلعب
فلا تشق يوماً بذي حيلة إذ رؤىما ينخدع الثعلب

٥٨ المَنْصِبُ الفَصِيحُ

مِنْ أَعْجَبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْأَرْنَبا لما رأى الديك يسُبُّ الشعبا
وَهُوَ عَلَى الْجِدَارِ فِي أَمَانٍ يَغْلِبُ بِالْمَكَانِ لَا الْإِمَكَانِ
رَأَى الْأَرْنَبا (ويبدو أنه أرنب ذكر) الديك واقفاً على الجدار العالي متحصناً بمكانه لا بإمكانه
(بقدرته) يسب الشعب

دَاخَلَ الظَّنُّ بِأَنَّ الْمَاكِرا أَمْسَى مِنَ الضَّعِيفِ يُطَبِّقُ السَّاحِرَا
داخله (خالجه) الظن بأن الثعلب صار ضعيفاً ولذلك فهو يطبق (يصر على) الديك الساحر منه
فَجَاءَهُ يَلْعَنُ مِثْلَ الْأَوَّلِ عِدَادَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلٍ
فجاء الأرنب وبدأ يسب الثعلب مثل الأول (يعني الديك) به عداد (بعدد) ما في الأرض من
مغفلين (ومَن المغفل سوى الأرنب؟)

فَصَصَفَ الثَّعْلِبُ بِالضَّعِيفِ عَصَفَ أَخِيهِ الذِّيبَ بِالْخُرُوفِ
فتك الثعلب بالأرنب مثلاً فتك أخوه الذئب بالخروف
وَقَالَ لِي فِي دِمِكَ الْمَسْفُوكِ تَسْلِيَةٌ عَنْ خِيْبَتِي فِي الدِّيكِ
لي تسليّة: لي عزاء

فَالْتَفَتَ الدِّيكُ إِلَى الذَّبِيحِ وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحِ
فقال الديك من فوق جداره للأرنب الذبيح (المنذبح)

مَا كُنَّا بِنَفْسِهِ لَسَاءُهُ فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطِقُهُ مَكَانُهُ
ليس المهم الفصاحة، المهم الموقع الذي تتكلم منه. كان ليون تروتسكي أفصح من جوزيف
ستالين، ولكن ستالين صنع لنفسه موقعاً داخل الحزب، وكوّن قاعدة ولاء غلب بها تروتسكي

٥٩ النملة العابدة

كَانَتْ بِأَرْضٍ نَمْلَةٌ تَنْبَالَةٌ لَمْ تَسْلُ يَوْمًا لَذَّةَ الْبَطَالَةِ
كان هاك نملة تنبالة (كسولة)، لم تسل يوماً لذة البطالة (القعود عن العمل)

وَاسْتَهْرَثَ فِي النَّمْلِ بِالتَّقْشِفِ وَاتَّصَفَتْ بِالرُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ
لكن، يقوم الليل من يقاته فالبطون لا تملأه الصلاة
لكن - يقول شوقي - يستطيع قيام الليل وإحياءه بالعبادة من يقات (يأكل)، فالبطون لا تملأ الصلاة

وَالنَّمْلُ لَا يَسْمَعُ إِلَيْهِ الْحَبُّ وَنَمَلْتِي شَقَّ عَلَيْهَا الذَّابُّ
وَالنَّمْلُ يَسْمَعُ لِلْحَبِّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَأَمَّا نَمَلْتِي فَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا (صَعِبَ عَلَيْهَا) الذَّابُّ (الاجتهاد)

فَخَرَجْتُ إِلَى التَّمَّاسِ الْقَوْتِ وَجَعَلْتُ تَطَوُّفَ بِالْبَيْوتِ
فَخَرَجْتُ تَلْتَمِسُ (تَطْلُبُ) الْقَوْتِ (الطَّعَامَ) وَتَطَوُّفَ بَيْوتِ النَّمَلَاتِ الْآخَرِيَّاتِ

تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمَلَةٍ تَقِيَّةٍ تُنْعِمُ بِالْقَوْتِ لِذِي الْوَلِيَّةِ
تَقُولُ: هَلْ مِنْ سَلَمَةٍ تَقِيَّةٍ تَعْمُ بِالْقَوْتِ (تَمْنَحُ الطَّعَامَ) لِذِي الْوَلِيَّةِ (هَذِهِ الْوَلِيَّةُ). وَلَوْ كَسَرْتُ الْوَاوَ فِي
الْوَلِيَّةِ لَمَا أَخْطَأْتُ فَشَوْقِي بِعَيْنِهَا أَيْضاً، وَكَدْتُ أَضْعُ كَسْرَةَ عَلَى الْوَاوِ فَأَرَأَيْتَ شَوْقِي رَافِعاً حَاجِيهِ

لَقَدْ عَيْبْتُ بِالطَّوَى الْمَبْرُحِ وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أَسْبَحْ
لَقَدْ عَيْتَ (تَعَبْتُ) بِالطَّوَى (الْجَوْعَ) الْمَبْرَحِ (الشَّدِيدَ) وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أَسْبَحْ لِلَّهِ

نَاصِحَاتِ الْجَارَاتِ: يَا لِلْعَارِ لَمْ تَتْرِكِ النَّمْلَةَ لِلْمُصْرِمَارِ
صَاحَتِ الْجَارَاتِ: يَا لِلْعَارِ، لَمْ تَتْرِكِ النَّمْلَةَ شَيْئاً لِلْمُصْرِمَارِ الْكَسُولِ

مَتَى رَضِينَا مِثْلَ هَذِهِ الْحَالِ مَتَى مَدَدْنَا الْكَفَّ لِلسُّؤَالِ
مَنْذُ مَتَى نَرْضَى، مَعْتَرِ النَّمْلَ، هَذِهِ الْحَالُ، وَمَتَى مَدَدْنَا أَبَدِنَا لِلسُّؤَالِ (لِلشُّحْنَةِ)؟

وَنَحْنُ فِي عَيْنِ الْوُجُودِ أُمَّةٌ ذَاتُ اشْتِهَارٍ بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ
وَنَحْنُ فِي نَظَرِ النَّاسِ أُمَّةٌ مَشْهُورَةٌ بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ (الطُّلُوعِ وَالْجَدِّ)

نَحْبِلُ مَا لَا يَضِيرُ الْجِمَالَ عَنْ بَعْضِهِ لَوْ أَنَّهَا زِينَا
نَحْمِلُ مِنَ الْأَثْقَالِ مَا لَا تَطْبِقُ الْجِمَالَ حَمْلَ جِزْءٍ مِنْهُ لَوْ أَنَّهَا مِثْلَانِ (فِيالنِّسْبَةِ وَالتَّنَاسُبِ) نَحْمِلُ النَّمْلَةَ
أَضَاعَفَ وَزَنَهَا وَالْجَمِيلُ لَا يَحْمِلُ هَذَا

أَلَمْ يَقُلْ مَنْ قَوْلُهُ الصُّوَابُ: مَا عِنْدَنَا لِسَائِلِ جَوَابِ
السَّائِلِ: الشَّحَازِ

فَامْضِي، فَإِنَّا يَا عَجُوزَ الشُّؤْمِ نَرَى كِمَالَ الزُّهْدِ أَنَّ تَصُومِي
الشُّؤْمُ: الشُّؤْمُ

٦٠ نَقْرَةُ الْمَهْمَازِ

بَغْلٌ أَتَى الْجَوَادَ ذَاتَ مَرَّةٍ وَقَلْبُهُ مُنْتَلِيٌّ مَسْرَّةً
بَغْلٌ أَتَى إِلَى الْحِصَانِ مَسْرُوراً

فَقَالَ: فَضْلِي قَدْ بَدَا يَا خَلِّي وَأَنْ أُنَّ تَعْرِفَ لِي مَحَلِّي

فقال البقل: فضلي قد ظهر يا خلي (صديقي)، وأن أن تعرف لي مكانتي

إِذْ كُنْتُ أَمْسٍ مَاشِياً بِجَانِبِي تَفْعَبُ مِنْ رُقْصِي تَحْتَ صَاحِبِي

فأمس كنت أنت تمشي بجانبني، وتعبج من مشي الراقص وصاحبي يركبني

فَضَحَكَ الْحَصَانُ مِنْ مَقَالِهِ وَقَالَ بِالْمَعْهُودِ مِنْ ذَلَالِهِ

فضحك الحصان من مقاله (قوله)، وقال له بدلاله المعهود: . .

لَمْ أَرْ رُقْصَ الْبَغْلِ تَحْتَ الْغَازِي لَكِنْ سَمِعْتُ نَقْرَةَ الْمِهْمَازِ

لم أر رقصك تحت الغازي (القاتح)، لكنني سمعت نقرة مهمازه بنخسك به بكعبه، فأنت

كنت تعاني الإهانة ولا ترقص بإرادتك

٦١ المستعجل

رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَةً تُظَيِّرُ ابْنَهَا بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ

القبرة: طائر يستحسن الناس صوته

وَفِي تَقْوَلٍ: يَا جَمَالَ الْعُشِّ لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَشِّ

ويقف على عود بجانب عود وافعِلْ كما أفعِلْ في الصُّعُودِ

لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ السُّطَارَةَ

وطار في الفضاء حتى ارتفعاً فخائنه جناحه فوقعا

فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ وَلَمْ يَنْلِ مِنَ الْعُلَى مُنَاهُ

ولو تأنى نال ما تمنى وعاش طول عمره مُهَنَّا

لكل شيء في الحياة وقتُه وَغَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْتُهُ

قوته: تضييعه

٦٢ فأر الوليمة

فَأَرَّ رَأَى الْقَطَّ عَلَى الْجِدَارِ مَعْدَباً فِي أَضْيَاقِ الْحِصَارِ

والكلب في حالته المعهودة مستجيباً للوثبة الموعودة

رأى العار القط فوق الجدار، والكلب من الأسفل يحاصره ويستجمع قوته للوثوب عليه

فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصةَ وقالَ أَكفي القطُّ هذي الغُصَّةُ
حاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصةَ وقالَ لهُ: سأُكفي القطَّ (سأُجَبِّه) هذه الغُصَّةَ (المشكلة)

لعلهُ يَكُتُبُ بالأمانِ لي ولأصحابي مِنَ الجيرانِ
لعلهُ يعطيني أنا وأصحابي القرآنَ الأمانَ

فسارَ للكلبِ على يَدَيهِ وَمَكَّنَ الترابَ مِنْ عَيْنِيهِ
فسارَ الفأرُ نحوَ الكلبِ، ونسفَ الترابَ وَمَكَّنَهُ مِنْ إصَابَةِ عَيْنِيهِ

فاشْتَعَلَ «الراعي» عَنِ الجِدَارِ ونَزَلَ القطُّ على بَدَارِ
فاشْتَعَلَ الراعي (لَقِبَ الكلبِ) بِتَطْلِفِ عَيْنِيهِ وَسَمَّا عَنِ الجِدَارِ، فَنَزَلَ القطُّ على بَدَارِ (بسرعة)

مبتَهجاً يُفَكِّرُ في وليمةٍ وفي فريسةٍ لَهَا كريمةٍ
كَانَ القطُّ مَبْتَهجاً (مسروراً) وَأَخَذَ يَفَكِّرُ فِي وَلِيمَةٍ، وَفِي فَرِيَسَةٍ كَرِيمَةٍ (كَبِيرَةٍ)

يَجْعَلُهَا لَخَطْبِهِ عَلامَةً يَذْكُرُهَا فَيَذْكُرُ السَّلامَةَ
يُرِيدُ جَعْلَ الْوَلِيمَةِ عَلامَةً عَلَى سَلامَتِهِ، فَكَلَّمَا تَذَكَّرَهَا تَذَكَّرَ أَنَّهُ سَلِمَ مِنَ الْخَطَرِ

فجاءَ ذاكَ الفأرُ في الأثناءِ وقالَ: عاشَ القطُّ في هَنا
فجاءَ الفأرُ فِي هَذِهِ الْأَنَاءِ (فِي هَذَا الْوَقْتِ) وَدَعَا لَهُ بِالْعِيشِ بِهَنا

رَأَيْتَ فِي الشَّدْوِ مِنْ إِيْخْلَاصِي مَا كَانَ فِيهِ سَبَبُ الْخَلَاصِي
وَقَالَ: قَدْ رَأَيْتَ فِي الشَّدْوِ (الْمَصِيَةِ) مِنْ إِيْخْلَاصِي مَا كَانَ سَبَبَ خَلَاصِكَ

وقد أَتَيْتُ أَطْلُبُ الأمانا فامْنُنْ بِوَ لِمَعْشَرِي إِحْسانا
امْنُنْ: تَفَضَّلْ عَلَيْنَا

فقالَ: حَقًّا هَذِهِ كَرَامَةٌ غَنِيمَةٌ وَقَبْلُهَا سَلامَةٌ
بِكَفَيْكَ فَخْرًا يَا كَرِيمَ الشِّيمَةِ أَنْكَ فَأَرُ الْخَطْبِ وَالْوَلِيمَةِ
بِكَفَيْكَ فَخْرًا يَا كَرِيمَ الشِّيمَةِ (الْخَلْقِ)، أَنْكَ فَأَرُ الْخَطْبِ (الْمَصِيَةِ) وَالْوَلِيمَةِ أَيْضًا

وانْقَضَ في الحالِ على الضعيفِ يَأْكُلُهُ بِالْمِلْحِ وَالرَّغِيفِ
لَمْ انْقَضَ عَلَى الْفَأْرِ الضَّعِيفِ وَأَكَلَهُ بِالْمِلْحِ وَالرَّغِيفِ. فَلَمْ كَرْتُونَ لَتَوْمَ وَجِيرِي قَبْلَ نَحْوِ خَمْسِينَ
سَنَةً مِنْ ظَهْرِهِمَا

فقلْتُ في المَقَامِ قولاً شاعا مَنْ حَفِظَ الأعداءَ يوماً ضاعا

٦٣ حصائد الألسنة

بِمَامَةٍ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ أَمَنَةً فِي عُشِّهَا مُسْتَتِرَةً
بِمَامَةٍ: حِمَاة بَرِيَّة

فَأَقْبَلَ الصَّيَادُ ذَاتَ يَوْمٍ وَحَامَ حَوْلَ الرُّوْحِ أَيَّ حَزْمٍ
فَلَمْ يَجِدْ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا وَهَمَّ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
فِرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحَمَقَاءَ وَالْحُمُقُ دَاءَ مَا لَهُ دَوَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالَّذِي سَيَحْدُثُ: بِأَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَمَّ نَبَحْتُ
فَالْتَفَتَ الصَّيَادُ صَوْبَ الصَّوْتِ وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرْنِيهَا الْمَكِينِ وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السَّكِينِ
المكين: المنيع

تَقُولُ قَوْلَ حَارِفٍ مُحَقِّقٍ مَلَكَتْ نَفْسِي لَوْ مَلَكَتْ مَنْطِقِي
منطقي: نُطْقِي

٦٤ الأسد والضفدع

قَالُوا اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ فَجِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفْدَعِ
وَقِيلَ لِلْمُسْلِمَانِ هَذِي الَّتِي بِالْأَمْسِ أَذْتُ عَالِي الْمُسْمَعِ
قِيلَ لِلْأَسَدِ هَذِهِ الَّتِي أَذْتُ السَّمْعَ الْعَالِي (أَزَعَجْتَ أَذُنَكَ الْمَجْلَةَ)

تُنْفِثُ الدَّمَارَ بِلَا عِلْوٍ وَتُدْعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدْعِي
تُنْفِثُ الضَّفْدَعُ الدَّمَارَ (طَوَّلَ الدَّمَارُ) بِلَا عِلْوٍ (سَبَّ)، وَتُدْعِي أَنَّهَا سُلْطَانَةُ الْمَاءِ

فَانظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا وَثُمَّ نَعْلَقُهَا مِنْ الْأَرْبَعِ
مُرٌّ: فَلْتَأْمُرْ

فَنَهَضَ الْفَيْلُ وَزِيرُ الْعُلَى وَقَالَ: يَا ذَا الشَّرَفِ الْأَرْفَعِ
لَا خَبَرَ فِي الْمَلِكِ وَفِي عِرْوِ إِنْ ضَاقَ جَاءَهُ اللَّيْثُ بِالضَّفْدَعِ
جاء: مَكَانَةً

فَكَتَبَ اللَّيْثُ أَمَانًا لَهَا وَزَادَ أَنْ جَادَ بِمُسْتَنْقَعِ

كل مؤسسة لا بد أنها تضم بعض الحمقى، ويجب على مدير كل قسم، ورئيس كل شعبة ألا يفتن بهم. ولا فمن أين يرتزقون؟

٦٥ الضيف المقيم

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرُّيْفِ تَخْطُرُ فِي بَيْتِ لَهَا ظَرِيفٍ
 بينا (بينما) دجاجات ضعاف تخطر (تمشي) في بيتها

إِذْ جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ قَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الضَّيْفِ
 جاءها ديك هندي (ديك رومي/ديك الحبش) ذو عرف كبير ووقف منها موقف الضيف الرائر
 يَقُولُ: حَيَّا اللَّهَ ذِي الْوُجُوها وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوها
 يقول حيا الله ذي (هذه) الوجوه، وَلَا أَرَاهَا مَكْرُوها

أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي يَوْمًا وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
 وكلُّ ما عِنْدَكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّ إِلَّا الْمَاءُ وَالْمَنَامُ
 فَعَاوَدَ الدَّجَاجُ دَاءَ الطَّيْشِ وَفَتَحَتْ لِلْعَلَجِ بَابَ الْعُشْرِ
 عاد إلى الدجاج داء الطيش، وفتحت للعلاج (الأجنبي) باب العشر

فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِكِ يَدْعُو لِكُلِّ فَرَخَةٍ وَدِيكِ
 وبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَةَ مَمْتَعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةِ
 ممتعًا: ممتعًا

حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ وَاقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَشْبَاحُ
 تهلل: أطل، الأشباح: المخلوقات التي تبدو في الليل كالأشباح

صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحُ يَقُولُ: دَامَ مَنْزِلِي الْمَلِيحُ
 فَانْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْؤُومِ مَذْعُورَةً مِنْ صَبِيحَةِ الْعُشُومِ
 العشوم: الظالم

تَقُولُ: مَا تِلْكَ الشَّرُوطُ بَيْنَنَا غَدَرْتُمَا وَاللَّوْ غَدْرًا بَيْنَا
 بين: واضح

فَضَحَكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى وَقَالَ: مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَمْقَى
 استلقى: استلقى على ظهره من الضحك. في الزمن القديم كان الناس فيما يبدو هاتئين أكثر، فكان الواحد منهم إذا استبد به الضحك استلقى على قفاه؛ أو لعلهم كانوا يفعلون ذلك لأنهم كانوا يجلسون على الأرض فيسهل عليهم الاستلقاء على القفا

مَنْ مَلِكْتُمْ أَلْسُنَ الْأَرْبَابِ؟ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ
 مد متى تملكون ألسن أرباب البيت (أصحابه) نعم كان ذلك صحيحاً قبل أن تفتحوا لي الباب

٦٦ عصفورتان

عُصْفُورَتَانِ فِي الْحَجَا زِ حَلَّتَا عَلَى قَسْنِ
فتن: غصن

فِي خَامِلٍ مِنَ الرِّبَا ضِي، لَا تَدِي وَلَا خَسَنِ
في روص من الرياض الخاملة (غير المعروفة)، وهو روص جاف غير ندي

بَيْنَا هُمَا تَنْتَجِيَا ذِي سَحَرًا عَلَى الْغُصْنِ
بيننا (بينما) هما تنتجيان (تتهامسان) وقت السحر على الغصن

مَرَّ عَلَى أَيْكِهِمَا رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمَنِ
مر على الأيك (الأشجار) ريح سرى (سافر ليلاً) قادماً من اليمن

حَبِيبَا وَقَالَ: ذُرَّتَا ذِي فِي وَعَاءٍ مُمْتَهِنِ
حباهما وقال: أنما جوهرتان في وعاء ممتن (مهمل)؛ أي: أنكما في موضع رديء

لَقَدْ رَأَيْتُ حَوْلَ صَنْدِ حَمَاءٍ وَفِي ظِلِّ عَدَنِ
خمائلًا كأنَّهَا بَقِيَّةٌ مِنْ ذِي بَرْزِ
رأيت هناك خمائل (بساتين معشوبة) من حقائق الملك القديم ذي يزن

الْحَبِّ فِيهَا سُكَّرُ وَالْمَاءُ شَهْدُ وَلَبَنِ
لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا افْتِنَنِ
هَذَا جَنَاحِي أَرْقِيَا هُ سَاعَةٌ مِنَ الزَّمَنِ
فَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا وَالطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْقَطَنِ
القطن: الذكي

يَا رِيحُ أَنْتَ ابْنُ السَّبِي لِي مَا عَرَفْتَ مَا السَّكَنِ
ابن السيل: المسافر

هَبْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الْيَمَنِ لَا شَيْءَ يَمْلِكُ الْوُطَنِ
افرض أن اليمن هي جنة الخلد، لا شيء يعبد (يساوي) الوطن

٦٧ من يبكيه؟

سَمِعْتُ أَنَّ فَارَةَ أَتَاهَا شَقِيقُهَا يَنْعَى لَهَا فَنَاهَا
أخو الفارة جاء ينعي لها ابنها

يَصِيحُ: يَا لِي مِنْ نُحُوسٍ بَخْتِي مَنْ سَلَّطَ الْقِطَّ عَلَى ابْنِ أُخْتِي
ويمصيح: يا لنحوس (نحس) حظي، لقد اقترس القط ابن أختي!

فَوَلَّوْكَ وَعَضَّتِ الثَّرَابَا وَجَمَعْتُ لِلْمَاتِمِ الْأَتْرَابَا
ولزكت الفارة وعضت التراب، وجمعت للماتم الأتراب (الصدقات)

وَقَالَتْ: الْيَوْمَ انْقَضَتْ لَذَاتِي لَا خَيْرَ لِي بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ
انقضت: انتهت

مَنْ لِي بِهَرٍّ مِثْلِ ذَاكَ الْهَرِّ يُرِيحُنِي مِنْ ذَا الْعَذَابِ الْمُرِّ
من لي بهر (ليت هناك هراً) مثل الهر الذي أكل ولدي ليريحني من ذا (هذا) العذاب المر
وكان بالقرب الذي تريدُ يَسْمَعُ مَا تُبْدِي وَمَا تُعْبِدُ
وكان بالقرب منها ما تريد (أي الهر) وهو يسمع ما تبدي وتعيد (تكرر) من قول

فَجَاءَهَا يَقُولُ: يَا بُشْرَاكِ إِنَّ الَّذِي دَعَوْتُ قَدْ لَبَّأَكَ
فجاءها يقول: أبشري، فالذي دعوتك قد لبي نداءك

فَفَزَعَتْ لَمَّا رَأَتْهُ الْفَارَةَ وَاعْتَصَمَتْ مِنْهُ بَبَيْتِ الْجَارَةِ
اعتصمت: تحصنت

وَأَشْرَفْتُ نَقُولُ لِلْسَّفِيهِ: إِنَّ مُتً بَعْدَ ابْنِي فَمَنْ يَبْكِيهِ
أشرفت (أطلت) تقول للقط السفيه: إن مت أنا فمن يبكي ولدي؟ لا أحب أن أختار هذه القصة
للتلاميذ في كتاب مدرسي، فالكفة التي فيها تحتاج إلى أن يمارس المرء الحياة حتى يعرف
يفضحك عليها ملء شديقه

٦٨ المستتر السعيد

أَلَمْ عُصْفُورٌ بِمَجْرَى صَافٍ قَدْ غَابَ تَحْتَ الْغَابِ فِي الْأَلْفَاظِ
ألم (زار) عصفور مجرى مياه صافياً، ولكنه مستور تحت الغاب (القصب) في الألفاظ (الأدغال)

يَسْقِي الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي الثَّرَى خَشْيَةً أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ أَوْ يُرَى
يسقي الثرى (التراب الندي) وهو مستر، لا يريد أن يعرف أحد مكانه

فاغترفت العُصفورُ مِنْ إحسانِهِ وحَرَكَ الصنِيعُ مِنْ لسانِهِ

الصنيع: المعروف

فَقَالَ: يَا نَوْرَ عَيُونِ الْأَرْضِ وَمُخْجِلَ الْكَوْثَرِ يَوْمَ الْعَرْضِ

قال المصنوع للجدول: يا نور عيون (بنايع) الأرض، ويا مخجل الكوثر (نهر الجنة) يوم العرض (القيامة). قد خلعت شوقي على جدولك كل صفات البشر وجعله يقول ويسمع، ثم أبى إلا أن يبعثه يوم القيامة ليعرض على الخالق ويحاسب

هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُرْشِدَ الْإِنْسَانَ لِيَعْرِفَ الْمَكَانَ وَالْإِمْكَانَا

قال له المصنوع هل لك في أن أدل الإنسان على مكانك وإمكانك (فُدرانك)

لَعَلَّ أَنْ تُشْهَرَ بِالْجَمِيلِ وَتُنْسِيَ النَّاسَ حَدِيثَ النَّيْلِ

فستشتهر بالمعروف وتتفوق على النيل

فَالْتَفَتَ الْغَدِيرُ لِلْمُصْفُورِ وَقَالَ يَهْدِي مَهْجَةً الْمَغْرُورِ

فقال الغدير للمصنوع هادياً مهجته المغرورة (قلبه المقتر بالناس)

يَا أَيُّهَا الشَّاكِرُ دُونَ الْعَالَمِ أَمَّنَكَ اللَّهُ يَمَدَّ ابْنَ آدَمَ

يا من تشكرني دون كل العالم، وقال الله من يد ابن آدم

النَّيْلُ، فَاسْمَعْ وَافْهَمْ الْحَدِيثَا يُعْطِي وَلَكِنْ يَأْخُذُ الْخَبِيثَا

فالنيل يعطي الخير ويأخذ من الناس كل خيث. يأخذون منه ماء عذباً ويلقون فيه النفايات والمخلفات البشرية والصناعية

مَنْ طُلُوْ مَا أَبْصَرَهُ النَّاسُ نُسِيْ وَصَارَ كُلُّ الْفَضْلِ لِلْمُهَنْدِسِ

ولطول عهد الناس بالنيل يصرونه أمامهم نوا فضله، وصار الفضل لمهندس المياه

وَقَدْ عَرَفْتُ حَالَتِي وَضَدَّهَا فَقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّي بَعْدَهَا

فها قد عرفت يا مصنوع حالتي المسترة وضدما (عكسها)؛ أي: حالة النيل المشهور

إِنْ خَفِيَ النَّافِعُ فَالْنَّفْعُ ظَهَرَ يَا سَعْدَ مَنْ صَافِي وَصُوفِي وَاسْتَرَى

ليكتب المشاهير هذا البيت الأخير بماء الذهب. كلهم يتمتعون لو أن الله ألقى في قلوبهم حب «السترة» وكراهية الشهرة لكن للشهرة بريقاً عجبياً، ولا يطيقون عنها ابتعاداً. ومن يقع في أسرها تستعبد

٦٩ أحمال الظهر وأحمال الصدر

كَانَ عَلَى بَعْضِ الدُّرُوبِ جَمَلٌ حَمَلَهُ الْمَالِكُ مَا لَا يُحْمَلُ

فَقَالَ: يَا لِلنَّحْسِ وَالشَّقَاءِ إِنَّ طَالَ هَذَا لَمْ يَطْلُبْ بِقَائِي
فَجَاءَهُ الثَّعْلَبُ مِنْ أَمَامِهِ وَكَانَ نَالَ الْقَصْدَ مِنْ كَلَامِهِ
حَاء الثعلب إلى الجمل الشاكي من ثقل حملة، وقال له وقد نال (فهم) القصد من كلامه

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَخَا الْأَحْمَالِ وَيَا طَوِيلَ الْبَاعِ فِي الْجِمَالِ
قال: مهلاً يا أخا الأحمال (يا ذا الأحمال)، ويا طويل الباع (أيها المثوق) في الجمال (بين
الجمال)

فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ حَالًا لَأَنْسِي أَنْعَبُ مِنْكَ بِأَلَا
فأنت أفضل مني حالاً، وأنا أنعب منك بالأ

كَأَنَّ قُدَّامِي أَلْفَ دَبْلُكِ تَسْأَلُنِي عَنْ دِمَهِهَا الْمَسْفُوكِ
يقول الثعلب: أنخيل قدامي (أمامي) ألف دبك عادوا إلى الحياة لیسألوني عن دهم الذي سفكه
كَأَنَّ خَلْفِي أَلْفَ أَرْنَبٍ إِذَا نَهَضْتُ جَاذِبْتَنِي ذَنْبِي
وأنخيل كان خلفي ألف أرنب كلما قمت أخذت تجذبني من ذنبي مطالبة بحقها بعد أن أكلتها
وجنيت عليها

وَرُبُّ أُمِّ جِثَّتْ فِي مُنَاخِهَا فَجَعَمْتُهَا بِالْفَشْكِ فِي أَفْرَاجِهَا
ورثة أم من أمات الطير كنت جثت إلى مناخها (مكانها) وفجمتها (دميتها بداهية) بأن فتكت
بأفراجها

بِيعْتَنِي مِنْ مَرْقَدِي بُكَاهَا وَأَفْتَحُ الْعَيْنَ عَلَى شَكْوَاهَا
يعتني (يوقظني) من مرقدتي بكأوها، وأفتح عيني على شكواها

وَقَدْ عَرَفْتُ خَافِي الْأَحْمَالِ فَاصْبِرْ، وَقُلْ لَأُمَّةِ الْجِمَالِ
الآن أيها الجمل، وقد عرفت الخافي الأحمال الخفية، عليك بالصبر، وقل لأمة الجمال..

لَيْسَ بِجِمْلٍ مَا يَسْمَلُ الظُّهْرُ مَا الْجِمْلُ إِلَّا مَا يَمَانِي الصُّدْرُ
ليس حملاً ذلك الذي يملأ الظهر، ما الحمل الحقيقي إلا ما يعانیه الصدر من وخز الضمير

٧٠ أخو الوند

كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ وَجَمَلٌ نَالَهُمَا يَوْمًا مِنَ الرِّقِّ مَلَلٌ
كان لأحدهم حمار وجمل نالهما (لحق بهما) ملل من الرق (العبودية)

فانتظرا بشائر الظُّلُماءِ وانطلقا معاً إلى البیداءِ

فانتظرا بشائر (أوائل) الظلام، وانطلقا إلى البیداء (الصحراء)

يَجْتَلِيَانِ ظُلُمَةَ الْحَرِيَّةِ وَيَنْشَقَانِ رِيحَهَا الذَّكِيَّةَ

يجتليان (يفرجان على) ظلمة الحرية، ويتشقان ريحها (رائحتها) الذكية

فَاتَّفَقَا أَنْ يَقْضِيَا الْعَمْرَ بِهَا وَارْتَضِيَا بِمَائِهَا وَعَشْبِهَا

واتفقا أن يقضيا عمرهما معاً، وارتضيا (قبلاً) بما في الصحراء من ماء وعشب

وَيَعْدُ لَيْلَةٌ مِنَ الْمَسِيرِ الْتَفَتَ الْحِمَارُ لِلْبَعِيرِ

وبعد أن سارا ليلتهما، التفت الحمار للبعير (الجمال)

وَقَالَ: كَرْبٌ يَا أَخِي عَظِيمٌ قَفِيفٌ، فَمَشِيي كُلُّهُ عَفِيمٌ

قال له: كرب (مصيبة) عظيم، قفف لأن كل مشي عقيم (سدى)

فَقَالَ: سَلْ فِدَاكَ أُمِّي وَأَبِي عَسَى تَنَالَ بِي جَلِيلَ الْمَطْلَبِ

قال الجميل: سل (اسأل) فدتك بأمي وأبي، لعلك تنال بواسطتي المطلب الجليل (العظيم)

قَالَ: انْطَلِقْ مَعِيَ لِإِدْرَاكِ الْمَنَى أَوْ أَنْتَظِرْ صَاحِبَكَ الْحُرَّ هُنَا

قال الحمار: اذهب معي لإدراك (لتحصيل) المنى، أو انتظري هنا. الحمار يسمي نفسه حراً..

لَا بُدَّ لِي مِنْ عَوْدَةٍ لِلْبَلَدِ لِأَنِّي تَرَكْتُ فِيهِ مَقُودِي

فلا بد أن أعود للبلد، لأنني تركت هناك مقودي (رَسَنِي)

فَقَالَ: سِرْ وَالزَّمْ أَخَاكَ الْوَتْدَ فَإِنَّمَا خُلِقْتُ كَيْ تَقْبِداً

قال له الجميل: سر والزَّم (وصاحب) أخاك الوتد الذي يربطونك به، فأنت قد خلقت عبداً يقيد

بالقيود ولا تليق بك الحرية

٧١ أدب النعجة

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ نَعِجَتَانِ وَكَانَتَا فِي الْغَيْطِ تَرْعِيَانِ

الغيط: الحقل

إِحْدَاهُمَا سَمِينَةٌ، وَالْأُخْرَى عِظَامُهَا مِنَ الْهَزَالِ بَادِيَةٌ

الهزال: النحافة، بادية: ظاهرة

فَكَانَتْ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسُّمَنِ وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الثَّمَنِ

نعجة تباهي الأخرى بأنها سمينة وغالية الثمن

فتصبرُ الأخرى على الإذلالِ حامِلةً مسرارةَ الإذلالِ

الإذلال: الترفع

حتى أتى الجزَّارُ ذاتَ يومٍ وَقَلَّبَ النعجةَ دونَ القَومِ

جاء الجزار، وَقَلَّبَ النعجة (تقضمها) دون (أمام) القوم

فقال للمالك: أشتريها، وَنَقَدَ الكيسَ النفيسَ فيها

وانطلقت مِنْ فورِها لأختِها وَفِي تَشْكٍ في صلاحِ بَختِها

تقول: يا أختاهُ خبِّريني هل تعرفينَ حاملَ السَّكينِ

قالت: دعيني وهزالي والزمنَ وَكَلِّمِي الجَزَّارَ يا ذاتَ الثَّنِ

لِكُلِّ حالٍ حلَّوها ومُرَّها ما أدبَ النعجةَ إلَّا صبرُها

حسن الأدب للنعجة هو صبرها

٧٢ الذي أضحك الحمار الصغير

غزالةٌ مرَّت على أتانٍ تُقَبِّلُ الفَطِيمَ في الأُسنانِ

غزالة مرت على أتان (حمارة) تقبل ولدها الفطيم (المفطوم) في فمه ومن أسنانه

وكان خلفَ الظبيةِ ابنُها الرِّشا بِوُدِّها لو حَمَلَتْهُ في الحشا

وخلف الظبية (الغزالة) كان يمشي الرشا (ولد الغزال)، وهي من حبها له تود لو حملته في الحشا (داخل جسمها)

ففعلتْ بِسَيِّدِ الصَّغارِ ففعلَ الأتانُ بابِئِها الحمارِ

فقبلته مثلما فعلت الحمارة بابنها الحمار

فأسرعَ الحمارُ نحوَ أمِّهِ وجاءها يضحكُ ملءَ فَمِهِ

فركض الحمار نحو أمه ضاحكاً

بصيحُ: يا أمَّاهُ! ماذا قد دَها حتى الغزالةُ استَحَقَّتْ ابنُها

يقول: يا أمي! ماذا قد دها (حصل)، فحتى الغزالة استخفت ابنها (وجدته حبيب الدم)

٧٣ مصرع الغراب

وَمُمَهَّدٍ في الوَكْرِ مِن وَلَسِدِ الغرابِ مُزَقَّقِ

رب مهد (جالس في المهد) من أولاد الغراب، مزقق (يَزُقُّ له الحب في فمه)

كَرُوْنِهِمْ مُتَقَلِّسٍ مُتَأَزَّرٍ مُتَمَنِّطٍ
كرويهب (رامب صغير)، متقلّس (يلبس قلنسوة أي طاقية)، متأزّر (يلبس إزاراً)، متمنّط (يضع
نطاقاً؛ أي: حزاماً)

لَيْسَ الرَّمَادُ عَلَى سِوَا ۖ دِجْنَاهُ وَالْمَفْرِقِ
اتخذ لوناً رمادياً يوشح سواد جناحه ومفرقه (رأسه)

كَالْفَحْمِ غَادَرَ فِي الرَّمَا ۖ دِ بَقِيَّةٌ لَمْ تُحْرِقِ
فكانه الفحم الذي تركّ بقايا منه لم تحرق وسط الرماد

تُلُثَاهُ وَنُقَارٌ وَرَأْسٌ، وَالْأُظْفَارُ مَا بَقِيَ
مقارّه ورأسه ثلثا جسمه، والبقية الأظافر

ضَخُمُ الدِّمَاغِ عَلَى الْخُلُوْ- مِنْ الْجَبَا وَالْمَنْطِقِ
رأه ضخّم وإن لم يكن فيه حجب (عقل) أو منطق

مِنْ أُمِّ لَقِي الصَّغِيرِ ۖ رُ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا لَقِي
لقي هذا الصغير من أمه من البلية (المصيبة) ما لقي

جَلَبَتْ عَلَيْهِ مَا تَذُو ۖ ذُ الْأُمّهَاتُ وَتَنُفِي
جلبت عليه أمه الأمر الذي تذوده (تبعده) الأمهات عن أولادهن ويتقين شره

فَتِنَتْ بِهِ، فَتَوَهَّمَتْ ۖ فَيَوْ قُوًى لَمْ تُخْلَقِ
أعجبت به فتوهمت أن فيه قوى غير موجودة

قَالَتْ: كَبُرَتْ، فَثُبَّ كَمَا ۖ وَثَبَّ الْكِبَارُ، وَحَلَّتِي
قالت له: كبرت ثقب (فاقتز) كالكبار وحلّتي (طرّ)

وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ، لَمْ ۖ تَحْرِصْ وَلَمْ تَسْتَوْثِقِ
ورمت به في الجو دون أن تحرص عليه أو تستوثق (تتأكد)

فَهَوَى، فَمُرَّقَ فِي فَنَا ۖ الدَّارِ شَرٌّ مُمَرَّقٍ
فسقط فتمرق شر تمرّق

وَسَمِعَتْ قَاقَاتٍ تَرَدَّدَ- دُ فِي الْفَضَاءِ وَتَرْتَفِي
وقد سمعت قاقاتٍ (نعبات عُراية) تردد في الفضاء وتصد في

وَرَأَيْتُ غَرِيْبَانَا تَفْقَرَا قُ فِي السَّمَاءِ وَتَلْتَقِي
 ورأيت الغريبان مضطربة في الجو تفرق وتلتقي
 وَعَرَفْتُ رَنَّةَ أُمِّهِ فِي الصَّارِخَاتِ النَّعْتِي
 وعرفت رنة (صوت) أمه بين إناث الغريبان الناعقات
 فَأَشْرُتُ، فَالْتَفَتْتُ، فَقُلْتُ لَهَا مَقَالَةً مُشْفِقِي:
 فأومأت إليها وقلت لها قول مشفق عطوف لما حدث لابنها:
 أَطْلَقْتِيهِ، وَلَوْ امْتَحَنْتُ حَتَّ جَنَاحَهُ لَمْ تُطْلَقِي
 لقد أطلتته دون أن تمنحني، ولو امتحنته لما أطلتته
 وَكَمَا تَرَفَّقُ وَالِدَا لِكَ عَلَيْكَ لَمْ تَتَرَفَّقِي
 ولم تترفقي به كما ترفق بك والداك

٧٤ إياك أن تغتر بالزهاد

أَلْقَى غُلَامٌ شَرَكَاً يَمْصُطَاذُ وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الشَّرَى صَبَّادُ
 وضع غلام شركاً (مصيدة)، وكل من على ظهر الأرض صباد يسمى لرزقه
 فَانْحَدَرْتُ عَصْفُورَةً مِنَ الشَّجَرِ لَمْ يَنْهَهَا النَّهْيُ، وَلَا الْحَزْمُ وَجَرَ
 فنزلت عصفورة من الشجر لم ينهها (يمنعها) النهي الطيبي لمثلها عن مثل ذلك الفعل، ولم
 يزعجها (يمنعها) الحزم (التعقل)
 قَالَتْ: سَلَامٌ أَيُّهَا الْغُلَامُ قَالَ: عَلَى الْعَصْفُورَةِ السَّلَامُ
 قَالَتْ: صَبِيٌّ مَنَحَنِي الْقَنَاةَ! قَالَ: حَنَنْهَا كَثْرَةُ الصَّلَاةِ
 القناة: القامة
 قَالَتْ: أَرَأَيْكَ بَادِيَ الْعِظَامِ قَالَ: بَرَتْهَا كَثْرَةُ الصِّيَامِ
 عظامه مبرية لكثرة الصيام
 قَالَتْ: أَرَى فَوْقَ التَّرَابِ حَبًّا مِمَّا امْتَنَهَى الطَّيْرُ وَمَا أَحَبًّا
 قَالَ: تَشَبَّهْتُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَقُلْتُ أَقْرَبِي بِائِسَاتِ الطَّيْرِ
 أقربني بائسات الطير: أطعم الطيور البائسة
 قَالَتْ: فَجَدُّ لِي يَا أَخَا التَّنَشُّكِ قَالَ: الْقُطَيْبُ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ
 قالت جد لي (اسمح لي) يا صاحب التنسك (العبادة)، فقال: القطيب (الحب)

فَصَلَبَتْ فِي الْفَخِّ نَارَ الْقَارِي وَمَصَرَغُ الْعُصْفُورِ فِي الْجِنْقَارِ
 صليت (اصطلت) في الفخ بنار هذا القاري (المطعم)، ومقار العصفور الذي يريد التقاط الحب
 هو سبب مصرعه

وَهْتَفَتْ تَقُولُ لِلْأَغْرَارِ مَقَالَةَ الْعَارِفِ بِالْأَسْرَارِ
 صاحت تقول للأغرار (للمتغفلين) قول العارف بالأسرار

إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَمَّرَ بِالزُّهْمَادِ كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الزُّهْدِ مِنْ صَبَادِ

٧٥ الحالة القديمة

لَمَّا أَنْتَمَ نَوْحُ السَّفِينَةِ وَحَرَّكَتُهَا الْقُدْرَةُ الْمُعِينَةُ
 لما صنع نوح سفينة وحركتها قدرة الله المعينة (المساعدة)

جَرَى بِهَا مَا لَا جَرَى بِبَالٍ فَمَا تَعَالَى الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ
 جرى لها ما لا يخطر ببال، فما إن علا الموج وصار كالجبال..

حَتَّى مَشَى اللَّيْثُ مَعَ الْحَمَارِ وَأَخَذَ الْقِطُّ بِأَيْدِي الْفَارِ
 .. حتى ترافق من الحيوان ما لم يكن يترافق

وَاسْتَمَعَ الْفِيلُ إِلَى الْخِنْزِيرِ مُؤْتَنِسًا بِصَوْتِهِ النَّكِيرِ
 مؤتنساً: منشرحاً

وَجَلَسَ الْهَرُّ بِجَنْبِ الْكَلْبِ وَقَبَّلَ الْحُرُوفُ نَابَ الذَّنْبِ
 حتى إذا حَطُّوا بسفح الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد أن غيض الماء) وأيقن
 ثم رست السفينة على الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد أن غيض الماء) وأيقن
 الجميع بعودة الحياة الطيبة

عَادُوا إِلَى مَا نَفَتْهُ الشَّيْئَةُ وَرَجَعُوا لِلْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ
 فعادوا إلى ما نفثه (تنطله) الشبهة (الطيمة)

فَقِيسْ عَلَى ذَلِكَ أَحْوَالَ الْبَشَرِ إِنَّ شَمْلَ الْمَحْذُورِ أَوْ عَمَّ الْخَطَرِ
 وكذلك يصح البشر إن شملهم المحذور (الشر الذي منه يحذرون) أو عمهم الخطر

٧٦ النملة فارس الميدان

فَذَوَّدَ نَوْحٌ أَنْ يُبَاسِطَ قَوْمَهُ فِدَعَا إِلَيْهِ مَعَاشِرَ الْحَيَوَانِ
 يباسط: يرفع الكلفة

وَأَشَارَ أَنْ يَلْمِي السَّفِينَةَ قَائِدٌ مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ النَّهْيِ بِمَكَانٍ

دعا نوح إلى أن يلى (يتولى) السفينة قائد من الحيوانات يكون معروفاً بالنهى (العقل)

فَتَقَدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفِيعُ جَلَالُهُ وَتَعَرَّضَ الْفِيلُ الْفَخِيمُ الشَّانِ

وَتَلَاهُمَا بَاقِي السَّبَاعِ، وَكُلُّهُمْ خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ

احتضمت حوله الحيوانات، وخرروا (سجدوا) لهيبته حتى مست أذقانهم الأرض

حَتَّى إِذَا حَيُّوا الْمُؤَيَّدَ بِالْهُدَى وَدَعَوْا بِطُولِ الْجَزِّ وَالْإِمْكَانِ

فلما أدوا التحية للنبي المؤيد (المدعوم) بالهدى الرباني، ودعوا له بطول العز والإمكان (القدرة)

سَبَقَتْهُمْ لَخَطَابِ نُوْحٍ نَمْلَةٌ كَانَتْ هُنَاكَ بِجَانِبِ الْأَزْدَانِ

سبقتهم في التحدث إلى نوح نملة كانت تقف قريباً من أزدانه (أكمامه)

قَالَتْ: نَبِيُّ اللَّهِ، أَرْضِي فَارِسٌ وَأَنَا بِمَقْبِلِنَا فَارِسٌ الْمِيدَانِ

قالت: يا نبي الله أرضي بلاد فارس، وأنا خير من يتولى الأمر

سَادِيرٌ دَقَّتْهَا وَأَحْمِي أَهْلَهَا وَأَقُوذُهَا فِي عَصْمَةٍ وَأَمَانٍ

وسأدير دفعة السفينة في عصمة (حماية) وأمان

ضَحِكَ النَّبِيُّ وَقَالَ: إِنَّ سَفِينَتِي لَهِيَ الْحَيَاءُ وَأَنْتِ كَالْإِنْسَانِ

قال نوح: سفينتي هذه مثال مصر للحياة، وأنت أيتها النملة مثل الإنسان

كُلُّ الْفَضَائِلِ وَالْعِظَائِمِ عِنْدَهُ هُوَ أَوَّلُ وَالْخَيْرُ فِيهَا الشَّانِي

فهو الأول في كل الفضائل والعظائم (الأمور المهمة)

وَيَوَدُّ لَوْ سَاسَ الزَّمَانَ، وَمَا لَهُ بِأَقْلٍ أَشْغَالِ الزَّمَانِ يَمْدَانِ

ويود الإنسان لو ساس (أدار) الزمان، في حين ليس له بأقل أشغال (شؤون) الزمان يمدان (ليس له

يدان بالشيء؛ عاجز عن الشيء)

٧٧ غير مهضوم

سَقَطَ الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِي الدُّجَى فَبَكَى الرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَحَّمُوا

سقط الحمار من سفينة نوح في الدجى (الظلام)، فبكت الحيوانات وترحمت عليه

حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ

ومع النهار جاءت به موجة تتقدم باتجاه السفينة

قالت: خذوه كما أتاني سالماً لم أبتليغه لأنه لا يهضم
قالت: خذوه كما جاني، فهو لا يهضم (تقيل الظل، غير مهضوم!)

٧٨ تكفيك منه صحبة السفينة

أبو الحُصَيْنِ جالٍ في السفينة فعرف السمينَ والسمينةُ
أبو الحصين (الثعلب) تجول في سفينة نوح، وعرف السمين من الفراخ والسبية
يقول إنَّ حاله استحالا وإنَّ ما كان قديماً زالا
وهو يقول إن حاله استحال (تبدل)، وإن ما كان يقعه في الماضي من افتراس الطيور قد انتهى
لكونٍ ما حلَّ من المصائب من غضب اللئ على الثعالِبِ
وقد أدرك أن مصيبة الطوفان كانت لغضب الله على الثعالِبِ
وُغِلِظَ الأيمانُ للديوك لما عسى يبقى من الشكوكِ
وأقسم الأيمان الغليظة للديوك حتى يزيل شكوكها
قبلَ فلمَّا تَرَكُوا السفينةَ مشى مع السمينِ والسمينةُ
وعندما انتهى الطوفان، وغادروا السفينة مشى الثعلب بجانب الفراخ السبية
حتى إذا ما نَصَفُوا الطريقاً لم يبقَ منهم حوله رفيقاً
وفي منتصف الطريق، هربوا منه، ويبدو أنه يادهم بمحاولة اعتداء
وقال، إذ قالوا عديمُ الدين، لا عَجَبُ أنْ حَبِثَ يميني
وقالوا له: أنت عديم الدين، فقال: لا عجب أن يميني حثت (بظلت)
فإنما نحنُ بني الدماءِ نعملُ في الشدةِ للرِّخاءِ
نحن أهل الدماء (الحيلة) نخطط في أيام الشدة (الأزمة) لكي نتفع بتخطيطنا في أيام الرخاء
ومنْ غَشِيَتْ أنْ يَبِيعَ دينه تكفيك منه صحبة السفينة
والحكمة الذي ليس ثابتاً على مبداء، تكفيك صحبته في وقت الضرورة كما في سفينة نوح

٧٩ ضع رأسك بين الرؤوس

الدُّبُّ معروفٌ بسوءِ الظَّنِّ فاسمِعْ حديثه العجيبَ عني

لَمَّا اسْتَطَالَ الْمُكْتُ فِي السَّفِينَةِ مَلَّ دَوَامَ الْعَيْشَةِ الظَّنِينَةِ
عدما طال المكث (المكوث) في سفينة نوح، مل الدب العيشة الظنينة (المشكوك في مصيرها)

وَقَالَ إِنَّ الْمَوْتَ فِي أَنْتِظَارِي وَالْمَاءَ لَا شَكَّ بِوَقَرَارِي
وقال لنفسه: الموت في انتظاري، وسيكون قراري (مستقري) في قاع الماء

ثُمَّ رَأَى مَوْجاً عَلَى بُغْدٍ عَلا فَظَنَّ أَنَّ فِي الْفَضَاءِ جَبَلا
ورأى موجاً يعلو كأنه جبل في الفضاء

فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنَ النُّزُولِ وَصَلْتُ أَوْ لَمْ أَحْظَ بِالْوُصُولِ
فقرر النزول سواء حظي بالوصول إلى الشاطئ أم لم يحظ

قَدْ قَالَ مَنْ أَدْبَهُ اخْتِبَارُهُ السَّعْيُ لِلْمَوْتِ وَلَا انْتِظَارُهُ
فقد قال من أدبه (علمه) اختباره للحياة إن السعي للموت أهون من انتظاره

فَأَسْلَمَ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَاجِ وَفِي مَعَ الرِّيحِ فِي هِيَاجٍ
فسلم الدب نفسه للأمواج وهي في هياج (صخب) مع الرياح

فَشَرِبَ التَّعْيِسُ مِنْهَا فَانْتَفَخَ ثُمَّ رَسَا عَلَى الْقَرَارِ وَرَسَخَ
وشرب من الأمواج ماء حتى انتفخ، ورسا في قرار (قعر) البحر

وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ غِيَضَ الْمَاءُ وَأَقْلَعَتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ
وسريماً غيض (أنقب) الماء، وأقلمت (صحت) السماء بأمر الله

وَكَانَ فِي صَاحِبِنَا بَعْضُ الرَّمَقِ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَطِيئاً فِي الْقَرَقِ
وكان في الدب رمق (بقية حياة)، حيث إن الموت جاءه بطيئاً بعد غرقه

فَلَمَّحَ الْمَرْكَبُ فَوْقَ الْجُودِي وَالرَّكْبُ فِي خَيْرٍ وَفِي سُعُودٍ
مرأى المركب فد رسا على الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح)، والركب (الركاب) بخير وسعود (حظ طيب)

فَقَالَ: يَا لِحَدِيدِي التَّعْيِسِ أَسَأْتُ ظَنِّي بِالنَّبِيِّ الرَّئِيسِ
فقال يا لحديدي (حظي) التعس إذ أسأت الظن بنوح

مَا كَانَ ضَرَرَنِي لَوْ امْتَثَلْتُ وَمَثَلَمَا قَدْ فَعَلُوا قَعَلْتُ
هلا كنت امتثلت (أطعت) وفعلت مثل كل الحيوانات!

شوقي شاعر البلاط

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي منذ بداية القرن العشرين وحتى إبعاده إلى إسبانيا. كان شوقي شاعر بلاط منذ أن كان في المدة، فقد كان ينشر مدائحه في الخديوي وهو تلميذ، ثم دخل المعية الخديوية في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر. وظل حتى وفاته يمدح الخديوي، ثم السلطان، ثم الملك. فتقسيم الفصول، كما ترى، تقسيم لغرض التقسيم؛ وكلا يبدو الباب قطعة كبيرة في عيبك. ولعل فيه تنشيطاً على القراءة، أو معونة للقارئ في الاهتداء إلى طريقه.

٨٠ كرمة المسلمين

قال شوقي في ثورة البوكر على المستعمرين في الصين (١٩٠٠):

لِمَنِ الْمَسَاكِنُ كَالْمَقَابِرِ يَاوِي لَهَا حَيٌّ كَغَابِرِ
لن هذه المساكن التي كأنها مقابر، ويأوي لها حي كأنه غابر (ميت)

مَتَجَنَّبُ الدُّنْيَا عَدُوٌّ لِسُلَاطَانٍ وَالْأَوَاخِرِ
من يتجنب المشاركة في أمور الدنيا يصبه الانعطاف، ويصبح عدواً للأوائل (لأجداده) وللأواخر (لنفسه ولن سيأتي بعده)

وَلُفَاءُ لَا لِمَنَا بِرِ قَدْ خُلِقْنَا وَلَا الْمَحَابِرِ
ولغات هؤلاء الذين يتجنبون الدنيا لا تصلح للخطابة من على المنابر ولا للكتابة باستخدام المحابر (آية الحبر)

وَعِلْمُهُ دَرَسَتْ وَعُقَا هَا بِنَ الْأَزْمَانِ دَائِرِ
ومنتجب الدنيا علومه قديمة دَرَسَتْ (انحلت)، وعُقَاها (محها) الزمان الدائر

وَالْأَمْرُ فِيهِ لِكَاهِنِ وَالنَّهْيُ مَرْجِعُهُ لِسَاحِرِ
وصاحب الأمر فيه كاهن، وصاحب النهي ساحر مشعوذ، وهذه هي حال المتخلفين

وَمِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَوَى ذَنْباً وَلَا رَفَعَ الْعَفَافِ
وصحى أن الأمم المتخلفة لا تلوي ذنباً (لا تعترض) ولا ترفع عقافرها (أصواتها بالاحتجاج)

بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَنْتُهُ عَوُزٌ مِنَ الْأَحْقَادِ غَائِرِ
وبين المتخلف وبين بقية العباد غور (وادي) غائر (عميق) من الأحقاد

أُمٌّ يُكَائِرُهَا الْحَصَى عَدَاً، وَلَيْسَ لَهَا بِكَائِرِ
في الصين أم يكائرها الحصى (يتافسها في الكثرة) وليس كائراً لها (متغلباً في الكثرة)

هيهاتَ قَدْ نَقَذَ الْقَضَا ۚ وَصِرْتُمْ فِي حَكْمِ قَادِرٍ
 انتهى الأمر أيها الصينيون فقد نقذ القضاء وصرتم محكومين لحاكم قادر (للامم الأوروبية)
 مَتَلَهَّبِ الطَّغْطَغَوَى إِذَا أَخَذَ الْفَرِيسَةَ لِمِ يُغَادِرُ
 هذا الحاكم متلهب الطغوى (شديد الطغيان)، إذا أخذ فريسة لم يتركها
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ تَدُو رُ عَلَيْهِ بَعْدَكُمْ الدَّوَائِرُ
 يا نرى من تدور عليه الدوائر (المصائب) بعدكم؟
 الْوَقْتُ أَضْيَقُ أَنْ تُسْغَا لِحَظٍ فِي الْحَقَائِقِ أَوْ نَكَابِرِ
 أماننا وقت قصير ولا مجال للمغالطة والمكابرة
 لَمْ يَسْبِقْ إِلَّا كَرَمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ نَظَرٍ
 بقي للمسلمين كرمة (بستان) وليس لها ناظر (ناطور/ حارس)
 إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَافِظُو نَ فَإِنَّ جَفْنَ الشَّرِّ سَاهَرُ
 إن نام حافظو البستان عنه فإن عين الشر ساهرة متربصة به
 مَنْ كَانَ يَرْقُبُ فَرَصَةً فَلْيَغْنِمِ الْفُرَصَ الْحَوَاضِرُ
 إن كنا نريد انتهاز الفرصة، فلنغنم الفرص الحاضرة
 لَا يَمْشِيَنَّ السُّلَحَفَا ۚ وَغَيْرُهُ لَلْمَجْدِ طَائِرُ
 ولا نمشي السلحفاة (مشي السُّلَحَفَاء) بينما غيرنا بطير طياراً في تقدمه العلمي

٨١ حكمة

أَتَغْلِبُنِي ذَاتَ الدَّلَالِ عَلَى صَبْرِي إِذْ أَنَا أُولَى بِالْفِتَاحِ وَبِالْخَذَرِ
 هل تغلبني الفتاة ذات الدلال وتجعلني أفقد صبري؟ إذن فأنا أولى بالفتاح (الخمار) وبالخدر
 (النار الذي كان) يفصل الحريم عن الرجال
 تَسْبِيْهُ، وَلِي جِلْسٌ إِذَا مَا رَكِبْتُهُ رَدَدْتُ بِهِ أَمْرَ الْغَرَامِ إِلَى أَمْرِي
 تسبیه (تتكبر) ولي جلسم (طول بال) إذا ما ركبتَه (استعملته) أرجعت الأمر ليكون في يدي أنا
 وَمَا دَفَعِي الدُّوَامَ فِيهَا سَامَةً وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ أَزْجَرَ لِلْحُرِّ
 ولست أرد كلام اللاتمين بشأنها ملأ منهم، ولكن لأن نفس الحر هي الأزجر (الأكثر ردعاً) له
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ عَيْشَةٍ غِنَى فَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُسْرِ
 وبما أن المرء لا غنى له عن العيشة فلا بد أن يأخذها يسرها وبمسرها

وَمَنْ يَخْبِرِ الدُّنْيَا وَيَشْرَبِ بِكَأْسِهَا يَجِدُ مَرَّهَا فِي الْحُلُوِّ، وَالْحُلُوَّ فِي الْمُرِّ
والذي يعرف الدنيا حقاً ويشرب من كأسها يجد حلوها ممزوجاً بالمر، ومرها ممزوجاً بالحلو
وَمَنْ كَانَ يَغْزُو بِالسَّعَلَاتِ فَقَرَهُ فَلَانِي وَجَدْتُ الْكَدَّ أَقْتَلَ لِلْفَقْرِ
ومن يحارب فقره بالسعالات (بالحجج)، فلاني وجدت الكد (الاجتهاد والتعب) أحسن لقتل الفقر
وَمَنْ يَسْتَعِينُ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ يَخُنُّهُ الرِّفِيقُ الْعَوْنُ فِي الْمَسَلِكِ الْوَعْرِ
والذي يستعين في شؤونه بالآخرين يخونه الرفيق المعون (المعين) في لحظة الضيق وهي المسلك
(الممر) الوعر

وَمَنْ لَمْ يُقِمَّ سِتْرًا عَلَى عَيْنٍ غَيْرِهِ يَعْشُ مُسْتَبَاحَ الْعَرَضِ مِنْهَتِكَ السِّرِّ
والذي لا يستر عيوب الآخرين يعيش مستباح العرض ومنهتك (مزق) السر
وَمَنْ لَمْ يُجَمِّلْ بِالتَّوَاضُعِ فَضْلَهُ يَبِينُ فَضْلُهُ عَنْهُ، وَيَعْطَلُ عَنِ الْفَخْرِ
والذي لا يزين معروفه بالتواضع يبين (يُغْدُ) فضله عنه، ويَعْطَلُ (يتجرد) عن الفخر

٨٢ شاعر لا يجارى

قال شوقي (١٩٠٠):

بداً الطيفُ بالجسميلِ وزارا يا رسولَ الرُّضا وَقِيَّتِ العِشَارَا
بدأني طيف (خيال) المحبوب بالجسميل (بالمعروف) فزارني وأنا غاف. فيا أيها الطيف، يا أيها
الرسول الذي يحمل رضا المحبوب، وذاك الله العثار (التعثر)

حسنٌ يا خيالُ صنْعِكَ عِنْدِي أجملُ الصَّنْعِ ما يُصِيبُ افتقارا
حسن يا خيال صنمك (معروفك) عندي، وأجمل المعروف ما يعيب (يصادف) افتقاراً (حاجة
ماسة)

أيُّها العاذِلُونَ نِمْتُ ورامَ السُّـ هَذَا مِنْ مُفْلِسِي أَمْرًا فَصَارَا
أيها العاذلون نمتم أنتم، ورام (طلب) السهد (النوم الخفيف) من مفلتي (صيني) أمراً فحدث الأمر

أَفَةُ النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِدَالًا وَأَذَى النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِهَارًا
أفة (مشكلة) النصيح أن يكون جدالاً، ويتحول النصيح إلى أذى عندما يكون جهاراً (علانية)

سَأَلْتَنِي عَنِ النَّهَارِ جُفُونِي رَجِمَ اللَّهْ يا جَفُونِي السُّهَارَا
سألتني حموني متى يطلع النهار، ألا رحمة الله على النهار (يبدو أن النهار مات ولم يعد يطلع
لطول ليلي)

قُلْنَ: نَبِيكِه، قُلْتُ: هَاتِي دُمُوعاً قُلْنَ: صَبِراً، فَقُلْتُ: هَاتِي اصْطِبَاراً
قالت الحفون: هلم نكي النهار، قلت هاتي دموعاً فقد تفتت دموعي؛ قلن اصبر، قلت: هاتي
اصطباراً (صبراً)

لَمْ نُفِقْ مِنْكَ يَا زَمَانُ فَنَشْكُو مَدْمَعُ الخمرِ لَيْسَ يَشْكُو الخُمَارُ
أيها الزمان لم نفق بعد من مصائبك حتى تنفرغ للشكوى، ومدمن الخمر يتمود على الخمار
(صناع السكر) فليس يشكوه

فَاصْرِفِ الكَاسَ مُشْفِئاً، أَوْ فَوَاصِلُ خَرَجَ الرُّشْدُ مِنْ أَكُفِّ السَّكَارَى
فاصرف (أبعد) الكأس رفقاً بي، أو فواصل سقي، فقد خرج الأمر من أيدي السكارى ولم يعودوا
يهتمون بشي.

شُعراءُ الزَّمانِ مهلاً زَوَيْدُ إِنْ فِي مِصْرَ شَاعِراً لَا يُجَارَى
يا شعراء الزمان مهلاً، وترثوا، إن في مصر شاعراً لا يجارى (ينافس)

حَامِلاً فِي الصَّبَا لَوَاءَ القَوَافِي مُنْتَرِقاً لِمُتْلِكِهِ الْأَشْعَارُ
حاملاً منذ صباه لواء (راية) القوافي (الشعر)، مستترقاً (مستعبداً) لملكه الأشعار

٨٣ الغواني السوافر

قال شوقي بصف (كوك صو) وهو موضع في الآتانة (١٩٠٠):

تَحِيَّةُ شَاعِرٍ بِأَمَاءٍ جُكَّسُو فَلَيْسَ سِوَاكَ لِلْأَرْوَاحِ أَنْسُ
تحية من شاعر لك يا ماء (موضع) جكسو فانت وحدك أنس الأرواح

وَرَدُّكَ كَوُثْرًا وَسَفَرُنَ حُورًا وَهَلْ بِالْحَوْرِ إِنْ أَسْفَرْنَ بِأَسْ؟
وردتك الحسان فكانت نهر الجنة «الكوثر» إذ يترقب، وسفرن عن وجوههن فإذا بهن كحور الجنة،
وهل هناك بأس إذا أسفرت الحور؟

فَقُلْ لِلْحَانِجِينَ إِلَى حِجَابٍ أَتَحْبِبُ عَنْ صَنِيعِ اللّٰهِ نَفْسُ
قل للحانجين (العاليين) إلى حجاب المرأة: هل تحبب النفس عن رؤية خلق الله الدبيع؟

إِذَا لَمْ يَسْتَرْ الْأَدَبُ الْغَوَانِي فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا اللَّمَقْسُ
إذا لم يستر الغواني (الحسان) فلا يغني الحرير ولا اللمعس (نوع من الحرير)

تَأْمَلْ هَلْ تَرَى إِلَّا جَلالاً تُحَسُّ النَّفْسُ مِنْهُ مَا تُحَسُّ
تأمل هذه الوجوه الحسان تر جلالاً تحس النفس منه بأحاسيس حلوة

عَشِيَّتُكَ وَالْأَصِيلُ يَفِيضُ تَبْرًا وَيَنْسُجُ لِلرَّيِّ حُلًّا وَيَكْسُو
عشيتك (أتيتك) والأصيل (الغروب) يفيض تبراً (ذهباً)، وينسج من أشعته حلاً (أثواباً) ويكسو
الري

عَلَى فُلُكٍ تَسِيرُ بِنَا الْهُوَينَى وَمِنْ شِعْرِي نَدِيمٌ لِي وَجُلُسُ
أتيتك على فلك (سفينة) تسير الهوينى (بطء)، وشعري هو نديمي وجلي (جليسي)

٨٤ نهاية المسرحية

قال شوقي يرثي بشارة قنلا أحد مؤسسي جريدة الأهرام (١٩٠١):

حَلَّ بِالْأُمْتَيْنِ حَظَبٌ ثَقِيلٌ رَجُلٌ مَاتَ، وَالرَّجَالُ قَلِيلُ
الأمتان: الثَّوَم والمصريون

زَالَ عَنْ سُورِيَا فَنَاهَا الْمَرْجَى وَعَنِ النَّبْلِ جَارُهُ الْمَامُولُ
وكانت بلاد الشام كلها تسمى آنذاك سوريا

هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْأَنَامُ عَلَيْهَا مَلْعَبٌ، ثُمَّ يَنْقُضِي التَّمثِيلُ
ملعب: مسرح

٨٥ الهوى قدر

قال شوقي (١٩٠١):

لَكَ أَنْ تَلُومَ، وَلِي مِنَ الْأَعْدَادِ أَنَّ الْهَوَى قَدَرٌ مِنَ الْأَقْدَارِ
لك يا عاذلي أن تلومني، ولكن أحد أعذارني أن الهوى قدر محتم

يَا قَلْبُ شَأْنُكَ، لَا أُمِدُّكَ فِي الْهَوَى أَبَدًا، وَلَا أَدْعُوكَ لِلْإِقْصَارِ
أنت وما تريد يا قلبي، لا أملك بمساعدة في الحب، ولا أدعوك للإقصار (الكفت عنه)

أَمْرِي وَأَمْرُكَ فِي الْهَوَى بَيْنَ الْهَوَى لَوْ أَنَّهُ بِيَدِي فَكُكْتُ إِسَارِي

٨٦ ضد عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته إلى مصر (١٩٠١):

صَغَارَ فِي النَّهَابِ وَفِي الْإِيَابِ أَهَذَا كُلُّ شَأْنِكَ يَا عُرَابِي؟
صغار: حقارة

عفا عنكَ الأبعدُ والأداني فَمَنْ يعفو عَنِ الوطنِ المُصابِ

الأبعد: الإنجليز، والأداني: الخديوي (وبعض هذين الطرفين عاد عرابي إلى مصر من منفاه)

٨٧ شكوى العظام إلى عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته من منفاه (١٩٠٢):

عُرَابِي كَيْفَ أَوْفَيْكَ الْمَلَامَا جَمَعْتَ عَلَى مَلَامَتِكَ الْأَنَامَا

فَقِفْتَ «بِالتَّلِّ» وَاسْتَمَعَ الْعِظَامَا فَإِنَّ لَهَا، كَمَا لَهُمْ، كَلَامَا

التل: هو التل الكبير الذي وقعت عليه معركة مع الإنجليز احتلوا بعدها مصر، ويطلب شوقي من عرابي أن يستمع إلى عظام الذين استشهدوا في معركة التل الكبير، فإن للعظام مثلاً للأنام (للناس) كلاماً تقوله

* * *

تَقُولُ لَكَ الْعِظَامُ مَقَالَ صَدِيقٍ وَرُبَّ مَقَالَةٍ مِنْ غَيْرِ نُظُوقٍ:

قَتَلْتَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَخَيَّبْتَ الْأَمَانَةَ وَالذَّمَامَا

* * *

نَجِيثُكَ يَوْمَ يَحْضُرُكَ الْجِمَامُ يَسْأَلُ خُصَامَهُ، وَلَنَا حَسَامُ

وَتَسْبِقُ سَهْمَهُ مَنَا سِهَامُ لَهَا بِالْحَقِّ رَامٍ لَا يُرَامِي

لا يُرَامِي: لا ينافس في رمي السهام. يريد شوقي لعظام الشهداء أن تلاحق عرابي حتى سير الموت فتساق عزرائيل عليه. لقد عجل الوطنيون كثيراً من بضع قصائد لشوقي ضد عرابي، ومن عشرات القصائد الأخرى في مدح توفيق وعباس حلمي، وعُثِمَت ثورة ٥٢ ما استطاعت على هذه القصائد. ولعل سبب عداوة شوقي لعرابي ولاء شوقي للخديوي توفيق، أما قال له في قصيدة: «فاسمع لبلبك وابن عبدك؟» توفيق هو الذي أرسله إلى فرنسا ليتعلم، وكان يراعيه، فعندما أتم شوقي تعليمه أمره توفيق بالمكوث في باريس بعض الوقت لتوسيع آفاقه. يقول شوقي في مقدمة الشوقيات: «فرأى لي الجنب العالِي أيده الله أن أقضي في العاصمة ستة شهور أتمكن فيها من معرفة أشياء باريز وأهلها». وما صنعه عرابي هو أنه تحدى توفيقاً ووقف يدافع عن مصر في وجه الغزاة الإنجليز. وكان تحدى توفيقاً قبلها في ملاسنة مشهورة لها روايات عديدة. ومعركة التل الكبير موقعة حامية قتل فيها نحو ٥٥٠ من الإنجليز، ١٤٠٠ من المصريين. وكان الإنجليز أكثر عدوً جنوداً وعدوً مدافعاً. وبعد انتصارهم نعى الإنجليز عرابي إلى ميلان مع عدد من قادة حركته، وظل متنبأً نحو عشرين سنة

٨٨ لؤلؤة على خد المويلحي

عندما نشر شوقي ديوانه في نحو عام ١٩٠٠ تعرض له بالنقد محمد المويلحي الذي انتقد تصدير شوقي اللبوان بمقلمة يروي فيها سيرته. وسخر المويلحي من شوقي لأنه روى حادثة جرت له في صباه مع الشيخ علي الليثي. ودافع عن شوقي صديقه شكيب أرسلان، فكتب إليه شوقي يشكره: «دفعت عني البازجي بيد هلمت كيانه وألفت بيانه؛ وتحامل علي المويلحي فرددت عني الرد الذي قطع حجتة. فسبحان من جعلك جلاداً لأعدائي وروبرساً لحسادِي» يشير إلى روبرتس قائد الإنجليز الذي غلب الأفريقان البيض في جنوب أفريقيا. ثم حدث بعد حين أن صفح شاب محمداً المويلحي لأنه مازحه، فكانت فرصة لشوقي كي يتقم. فاتخذ الحادثة مادة للفضة والسمانة في قطع كثيرة كان ينشرها باسم مستعار. هذه واحدة منها. (١٩٠٢)

لقد صفعوه صفعةً جلَّ شأنها وأعيا على جذق الطبيب علاجها
أعيا: أنقب، حذق الطبيب: مهارته

ولو أتبعوا صفعاً بصفع لأحسنوا وزان اللآلي في النُحورِ ازدواجها
فالعقد مكون من صفيْن من اللآلي، والصف الأيمن يناظر الأيسر، وهذا الازدواج يجعل العقد جميلاً. المصراع الأخير من البحري: فإن تُلججِ النُعمى بُنمى فإنه/ يُزِين اللآلي في النظام ازدواجها

٨٩ الحال كما صورتها

في ذكرى مئة سنة على مولد فكتور هوغو (١٩٠٢)

الحالُ باقيةٌ كما صَوَّرَتْها مِنْ عهدِ آدمَ، ما بها تغبيرُ
البؤسُ والنُعمى على حالَيْهما والحظُّ يَعْدِلُ نارةً ويجورُ
وَمِنْ القويِّ على الضعيفِ مَيطَرُ وَمِنْ الغنيِّ على الفقيرِ أميرُ
والنفسُ عاكفةٌ على شَهَوَاتِها تَأوي إلى أحقادِها وتُشورُ
النفسَ منكبةً على الشهوات، وأحياناً تلجأ إلى العقد وإغواء البغض، وأحياناً تنور وتظهر البغض
والعيشُ آمالٌ تَجِدُّ وتنقضي والموتُ أصدقُ، والحياةُ غرورُ
العيشُ آمالٌ تتجدد ثم تنتهي، والموتُ أصدق من العيش فهو وحده الدائم

٩٠ حريق ميت غمر

قال شوقي في حريق ميت غمر (١٩٠٢):

اللَّهُ يَحْكُمُ في المدائنِ والقُرى يا مَيِّتَ غَمَرَ خُلِّي القضاء كما جَرى

ما جَلَّ خَطْبُ نَمِ قيسٍ بِغيرِهِ إِلَّا وَهَوْنُهُ القِيَامُ وَصَفَرُ
 قد جثتُ أبكِيهَا، وَأَخَذْتُ عِبرَةً فوَقَفْتُ مُعْتَبِرًا بِهَا مُسْتَعْبِرًا
 مستعبراً ناكياً. نشرت القصيدة في مايو/أيار ١٩٠٢ وقالت المجلة التي نشرتها: «إن شوقي اهتم
 بحادثة ميت غمر اهتماماً زائلاً فاسافر لمحل الحادثة ونظم قصيدته»

وَالْأَمْهَاتُ بِغَيْرِ صَبْرٍ: هذِهِ تَبْكِي الصَّغِيرَ، وَتَلَكْ تَبْكِي الْأَصْغَرَ
 مِنْ كُلِّ مُودَعَةٍ الطَّلُولِ دُمُوعَهَا مِنْ أَجْلِ طِفْلِ فِي الطَّلُولِ اسْتَأْخَرَا
 استأخرا: تأخَّر

كَانَتْ تُرْمَلُ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَاليَوْمَ تَسْأَلُ أَنْ يَعُودَ فَيُفْجِرَا
 مُدُّوا الْأَكْفَ سَخِيَةً، وَاسْتَغْفِرِي يَا أُمَّةً قَدْ آنَ أَنْ تَسْتَفْرِفِرَا
 أَوْلَى بِمَعْطِفِ الْمُوسِرِينَ وَبِرَّوْمِ مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ فَاصْبَحْ مُفْرِفِرَا
 بِأَيْهَا السُّجْنَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ أَلَيْسَ الْإِيَّامُ أَنْ تَنْفِرَا
 لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا تَمْلِكُ الْأَقْدَارُ، مَهْمَا قُدِّرَا

٩١ الوُشَى

قال شوقي يرثي عبده الحمولي (١٩٠٢):

لَا يَجَارِيهِ فِي تَقَنُّنِهِ الْعُورُ دُ، وَلَا يَشْنُكُنِي إِذَا لَمْ يَجَارِهِ
 لشدة تفننه يعجز العود أن يلحق بصوت عبده الحمولي، وهو لا يحتاج إلى العود
 حتى يُظْهَر له تفريعات المقامات. كنت سألت الملحن المرحوم سيد إسماعيل: ترى
 هل كان عبده صالح يفتح أبواب النغم لأم كلثوم بقانونه، ويقود خطواتها، فقاطعتني
 صارخاً: «أم كلثوم كانت زي الوُشَى»، والوشى هي الشاحنة التي تحب السيارات
 الممطلة، ولا شيء يسحبها

يُسْمِعُ اللَّيْلُ فِي الْفَجْرِ «يَا لَيْلٍ» لُ، فَيُصْغِي مُسْتَمِعِلًا فِي فِرَارِهِ
 الليل يولي هارباً يقدم الفجر، فيقول عبده الحمولي «يا ليل»، فيقف الليل ويستمع
 حتى يسمعها قبل أن ينصرف. الله! على هذا البيت. ليقول شوقي آلاف الأبيات
 المنسولة بعد هذا وقبله، الشاعر بجيده لا برديته. وقد أحب سعد الدين وهبة هذا
 البيت وأمرده من القصيدة في مقابلته المطولة مع عبد الوهاب. وقال السوربوني عن
 البيت: «هذا بيت واحد لشوقي من شعر الوجدان تتضاءل بجانبه قصائد ودواوين
 بعض المجددين»

٩٢ صليبيّة

قال شوقي من قصيدة يهنئ بها عبد الحميد بعيد الجلوس. واتعشت في ذلك الوقت حركات في البلاد التي يحكمها الأتراك في أوروبا تطالب بالانفصال، وتتلقى الدعم من الروس والإنجليز والفرنسيين والنمساويين. وفي سنة ١٩٠٣ قمعت إستانبول بقسوة المدن البلغارية والمقدونية في سياق ثورة مقلونيا على الحكم العثماني (١٩٠٣)

عِشْ للخلافة ترضاهما وتَرْضِيها وتنشئ السكّة الكبرى وتحميها
وقعت الدولة العثمانية مع ألمانيا، في مارس ١٩٠٣، لإنشاء سكة حديد إستانبول - بغداد

وتحمِلُ الملك والإسلامَ عن أُممٍ شَلَاءَ لا تحمِلُ الأشياءُ أيديها
فالأمم الإسلامية من عرب وغيرهم يحتاجون لعبد الحميد لكي يحمل عنهم الملك والدين، فهم مشلولون وأيديهم لا تقدر على حمل الأشياء. وكلمة «الأشياء» هنا أحلى من الأعباء أو الأثقال، ليس لأنها ترجع صدى شلاء - أو ما يحب النقاد أن يسموه الموسيقى الداخلية - ولكن لمعناها

إِنْ أَضْحَكَ المَلَأَ المفتونَ حاضِرها أبكى الأجنّة في الأرحام آتيها
وحاضر هذه الأمم جيد ويضحك له مستبشراً المَلَأَ المفتون (القوم المخدوعون)، ولكن الآتي (المستقبل) سيكون مظلماً إلى درجة أن نبكي له الأجنّة في الأرحام

توهّموا العِزَّ في ذُلٍّ يُراؤُ بِهِمْ وَتُبّهَتْ لَهُمُ النِّعماءُ تشبيها
توهم المسلمون الذل الذي يريده الغرب لهم عزاً واستقلالاً. ورأوا في وعود الغرب ما يشبه النعيم وليس بنعيم

لا عِيشَ في الذلِّ إِلَّا للذليل، ولا حياة للنفسِ إِنْ ماتَتْ أمانِها
ما هذه الحرب، في زِيّ السلام، لكم إِلَّا صليبيّة والكُلُّ صالِها
أمم الغرب منذ ذلك الوقت يكثر في كلامها الحديث عن السلام؛ وهي كانت تساعد ثورات الأمم الكارهة للحكم العثماني ومنها أمم مسلمة، باسم السلام، ولكن القصد الدفين للغرب كما يرى شوقي صليبي ومنصل بحروب قامت قبل مئات السنين ولما تهدأ ثاراتها

يا أُمَّةَ المصطفى جَلَّتْ حوائِجُكُمْ فَقَدِّمُوا الخَيْرَ عَلى اللّٰه يَفْضِلُها
لا تَسمَعُوا لِمُريبٍ في خلافتِكُمْ كفى الخلافة ما يأتِي أعادِها

٩٣ .. ناحية في الهرم

قال شوقي يصف حفلاً واقصاً في قصر عابدين (١٩٠٣):

طالَ عَلَيْها السَّيِّئَمُ فَهِيَ وَجودٌ عَدَمُ
الخمرة القديمة اتعلمت فيها كل خواص العنب واكتسبت كل خواص الخمر. معنى قديم لا يمل الشعراء من تكراره

خَبَأَهَا كَاهِنٌ نَاحِيَةً فِي الْهَرَمِ

قال عشرات الشعراء هذا المعنى، وجعلوا الخمر كسروية، وجعلوها من عهد نوح ومن عهد آدم. ولكن بيت شوقي هذا ظريف كل الظرف. فقد خبأها كاهن من كهنة القراعة في ناحية من الهرم ونسبها

لَمْ يَهَبْهَا ذُنُوبُهَا وَفِيَّ عَلَيْهِ أَنْتُمْ

الذن وعاء الخمر الكبير، وقد نم عن الخمر (وشى بوجودها)، ولكنها براحتها نثت على الدن أكثر مما نم عليها بحجمه

بِئْسَ رَشَاءٌ نَاعِمٌ مَا عَرَفَ الْعُسْمَرُ هَيْتَ

بي (أي موكل بي لا يفارق ذهني) رشأ (غزال) ناعم (منعم في عيشه)، لم يعرف هذا

أَخْرَجَهَا اللَّهَ كَالزُّهْرَةِ هَمْرَةٍ، وَالْحَسَنُ كَيْتَ

هذه الفتاة كالزهرة، وكما (أكامها التي تكون مضمومة عليها) هو الجمال بعينه

تَخَطَّرُ عَنْ عَادِلٍ لِمَنْ يُرَى إِلَّا ظَلَمَ

قدما الذي تخطر به عادل (مستو)، وهو ظالم لكل من يراه لما يترك من حسرة في النفوس. وهذا المعنى القديم ظل الشعراء يعالجونه أني سنة حتى جاء إبراهيم ناجي وقال (فيما نغني أم كلثوم): «ظالم الحسن شهي الكبرياء»

نَسَأَلُ أَتْرَابَهَا مُؤَمِّدَةً بِالْعَنَمِ

نسال صديقاتها، وهي تشير بأطراف أصابعها الشبيهة بالعنم (نمر أحمر)

أَيُّ فِتْنَةٍ ذَلِكُمُنَّ الْمَقَرَّبِيُّ الْقَلَمُ

يَشْرِبُهَا سَاهِرًا لَيْلَتُهُ لَمْ يَنْمِ

قُلْنَ: تَجَاعَلْنَاهُ؟ ذَلِكَ رَبُّ الْقَلَمِ

شَاعِرُ مَصْمُورِ الذِّي لَوْ خَفِيَ النُّجُومُ لَمْ..

أي لو خفي النجم لم يخف شاعرنا لشهرته

قُلْتُ لَهَا: لَيْتَ لَمْ تُزَمِّ وَلَمْ تُنْثَهُمْ

قلت لها: ليت لم تُزَمِّ (ليتك لا ترميني بالتهمة لشرب الخمر)

عَادِلَتِي فِي الظُّلَا لَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ أَلَمْ

التي تعذلتني في الظلا (الخمر) ليست منصفة

إِنْ عَبَسَ الدَّهْرُ لِي عَذْتُ بِهَا فَايْتَسِمِ

فأنا إن عبس الدهر لي عذت (لجأت) بالخمر فابتسم الدهر لي

يَشْرِبُهَا كَابِرٌ بَيْنَ ضُلُوعِي أَشْمٍ

يشرب الخمر كابر (سيد) أشم (معتز بنفسه) وهو يقيم بين ضلوعي، أي أنا

يُكْسِبُهَا خُلُقَهُ يَمْزِجُهَا بِالنُّسِيمِ

وهذا الذي يشرب الخمر يضيف عليها من خلقه الحميد، ويمزجها بشيئه (صفاته النبيلة)

تِلْكَ شَمُوسُ الدُّجَى أَمْ ظَلَبَاتُ الْخَيْسَمِ

أهذه الفتيات شمس طلعت ليلاً؟ أم هي في رشاقتها كفتيات البدو التي تكون كالغزلان في الخيام؟

اجْتَمَعَتْ فَالْتَقَتْ حَوْلَ خِوَانٍ نُسِظْ لَمْ

وقد اجتمعن الآن حول خوان (مائدة) منصوب

مَائِدَةٌ مَدَّهَا بِحَرِّ نَوَالٍ خُضِّمَ

هذه المائدة مدّها الخديوي، بحر النوال (العطايا) الخضم (العظيم)

تَحَسَّبُهَا صُورَتْ مِنْ شَهَوَاتِ النَّهْمِ

والمائدة كأنها تحقيق لحلم شخص نهم، فمهما تخيل هذا النهم فهو موجود عليها. قرأها الأبياري

«النهم» بفتح الهاء (وأرادها أحمد محفوظ وعلي شوقي اللذان أعدا ذلك الجزء من الشوقيات في

حياة شوقي نهماً أيضاً)، ونرى فيها تجريداً لا مسوغ له، ونريدك أن تقرأها النهم بكسر الهاء

٩٤ الجد واللعب

قال شوقي يرثي علي رفاعة باشا، ابن رفاعة الطهطاوي (١٩٠٣):

كُلُّ الْحَقَائِقِ فِيهَا الشُّكُّ مُحْتَمَلٌ إِلَّا الْمَنِيَّةُ تَأْبَى الشُّكَّ وَالرَّيْبَا

وما رأيتُ، على علمي وتَجَرِبَتِي، كَالْمَوْتِ جِذْأً، وَلَا مَا قَبْلَهُ لَوْبَا

٩٥ النشور المبكر

رآه ولده علي وحسين خارجاً من البيت في زورة (زيارة) فبكيا

بَنَكِيَا لِأَجْلِ خُرُوجِهِ فِي زَوْرَةٍ يَا لَيْتَ شُمَيْرِي كَيْفَ يَوْمَ فِرَاقِهِ

لَوْ كَانَ يَسْمَعُ يَوْمَئِذٍ بَكَاهُمَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ

٩٦ آدم العنب

قال شوقي يصف حفل رقص في عابدين (١٩٠٤):

مَالٌ وَاحْتِجَبَ وَادَّعَى الْقَضْبَ

مال بوجهه عني وابتعد مدعياً القضب

لَيْتَ هَاجِرِي يَشْرَحُ السَّبَبَ
مَاءٌ خَلَدَهُ شَفَّ عَنْ لَهَبِ
ماء خله (وماء الوجه نضارته) يشف عن لهب لحرمة الخد وتورده

سَاقِيِ الطَّلَا شُرْبُهَا وَجِبَ
با ساقى الطلا (الخمر) وجب شربها الآن

هَانِهَا مَنَّتْ فَوْقَهَا الْحَقَبُ
هانتها خمرةً منّت فوقها الحقب (الأزمان) .. أي أنها معتقة

بَابِلِيَّةٌ تَنْفُتُ الْحَبَّ
خمرة من بابل المشهورة بالخمور، تُخرجُ الحب (الفقاقيع)

إِنْ كَرَّمَهَا أَدَمُ الْوَنَبِ
وكرمها (بستان العنب الذي منه أخذت) هو أول كرم خلقه الله، فهو، في الكروم، كآدم في البشر

مُذَبِّتٌ قَفِي ذَنْبُهَا الْأَدَبُ
لقد صفت هذه الخمر وراقت فكانها مُذَبِّتٌ، وأما هذا التهذيب والتأديب فقد تم في الدن (خاية الخمر)

إِسْقَاهَا فَنِي خَيْرَ مَنْ شَرِبَ
كُلَّمَا طَلَّتْ رَاضَهَا الْحَسَبُ

كلما طغت الخمرة ولعبت برأسه فإن حبه النيل يروضها ويجعلها لا تنفسي به إلى المربدة. الأبياري يريد في شرحه «حسب الخمرة»، فهي ذات حسب عريق وهو الذي يمنعها من الطغيان. وهذا تفسير جميل، وإن كنت أرى البيت الذي قبل هذا البيت يستدعي المعنى الذي شرحته أعلاه، وبني ميل شديد إلى تفسير الأبياري فاليست عليه أحسن: الخمرة تطنى وتعصف بشاربها، والذي يروضها هو حسبها، فهي مهذبة ومن أصل كريم وعريق

رَبِّ مَصْرَ عَشْنِ وَابْلُغِ الْأَرْبَ
رب مصر: صاحب مصر عباس حلمي الثاني

هَآكَ مِنْحَةً الشَّاعِرِ الْأَرْبَ
الأرب: الماهر

لَمْ يَجِئْ بِهَا شَاعِرٌ ذَهَبَ

ولم يجئ بمثل هذه القصيدة شاعر قبل شوقي لأن وزنها مبتدع، وأما بعد شوقي فقد ارتجل حافظ إبراهيم وعبد العزيز البشري وهما يتمشيان على الكوبري أبياتاً فكاهية على هذا الوزن منها: شال وانخبط/ وادعى العبط، ليت هاجري/ يطلع الزلطف. وينهني صديقي الشاعر عمران القفيني إلى أن شوقي ليس أول من نظم على هذا الوزن: «أعرف أبياتاً للبارودي (المتوفى آخر ١٩٠٤)، سبقت أبيات شوقي (التي قالها في ١٩٠٤)، إلا أن يكون البارودي قالها في آخر عام في حياته بعيد قصيدة شوقي، وهذا صعب أول القصيدة: املا القدرح - واعص من نصح// وارو غلتي - بابة الفرح»

٩٧ أسلمتهم لعيون الله

وقال وهو في الأسانة في عيد جلوس عبد الحميد (١٩٠٤):

بِاللَّهِ يَا نَسَمَاتِ النَّيْلِ فِي السَّحْرِ هَلْ عَنَدَكُنَّ عَنِ الْأَحْبَابِ مِنْ خَيْرِ
مَصْرُ الْعَزِيزَةِ، مَالِي لَا أَوْدُعُهَا وَدَاعٌ مُحْتَفِظٌ بِالْعَهْدِ مُذَكِّرِ
مَذَكَّر: متذكَّر للعهد

خَلَقْتُ فِيهَا الْقَطَا مَا بَيْنَ ذِي رَعَبٍ وَذِي تَمَائِمَ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ
القطا (من الطيور): يعني أبناءه، بعضهم له زغب (ريش نابت)، وبعضهم عليه التامم (الحُرَزَات) توضع على الطفل لرد العين

أَسْلَمْتُهُمْ لَعْيُونِ اللَّهِ نَحَرُوهُمْ وَأَسْلَمُونِي لَظْلِ اللَّهِ فِي الْبَشْرِ
سلمت أبنائي لعيون الله، وهم سلموني لظل الله بين البشر وهو السلطان عبد الحميد

وَدِيعَةٌ لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَمَنْ يَسْتَوْدِعُ الرُّوحَ يَسْتَشْمِرُ وَيَذْخِرُ
وأنا ودعة أودعها أبنائي عند إمام المسلمين، ومن يضع ودعة عند الروض (ينذر بذوراً) فهو يستمر ويدهر للمستقبل

يَا ابْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ عِثَانٍ! فَضْلُكُمْ كَوَاضِحِ الصَّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
فضل بني عثمان كالصبح الذي يشرق في بيت الله بمكة عند الحجر الأسود المبارك

حَفِظْتُمْ الدِّينَ دَهْرًا فِي كِرَامِيهِ مَجْمَعًا بِحُجُولِ الْفَتْحِ وَالْغُرَرِ
حفظتم الدين فتوحكم التي هي كالحجول والغرر (الحجول: هي البياضات في قوائم الفرس، والغرر البياضات في جبهت)

خِلَافَةُ اللَّهِ كَالْعِنَقَاءِ فِي يَدِكُمْ فَوْقَ الْحَبَائِلِ وَالْأَرْزَاءِ وَالْغَيْرِ
الخلافة بידكم كالعنقاء (طائر قيل إنه لا يمكن أن يصاد)، فهي فوق الجبال (المصائد) والأرزاء (المصائب)، والغير (النكبات)

نَظَلُّ فِي فَلَكِ الْعَلِيَاءِ هَالَتْهَا يَرْقُهَا قَمَرٌ مِنْكُمْ إِلَى قَمَرٍ
 بالخلافة هالة (دائرة الضوء التي حول القمر) وخلفاء بني عثمان هم الأقطار يتوارثون هذه الهالة
 لَمَّا اضْطَلَعَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا مَلَكَتْ نَاصِيَتَيْهَا مِلْكَ مُقْتَدِرٍ
 لما اضطلعت بالخلافة (توليتها) ملكتها من ناصيتها (جانبيها) بقوة
 حَمَلَتْهَا وَاثِقًا بِاللَّهِ مُصْطَبِرًا يَنْوُشُكَ الدَّهْرُ فِيهَا غَيْرَ مُصْطَبِرٍ
 ينوشك: يتناولك بالمكروه

٩٨ شاعر النيل!

قال شوقي (١٩٠٤):

أُبْهِهَا النَّفْسُ تَجِدْبَيْنِ سُدًى هَلْ رَأَيْتِ الْعَبِثْنَ إِلَّا لَمْبًا
 جرّبي الدنيا تهنّ عندك؛ ما أهوّن الدنيا على من جرّبا
 نلت فيما نلت من مظهرها ومُنَحْتَ الخُلْدَ ذِكْرًا وَنَبَا
 نلت يا نفسي ضمن ما نلت من الأشياء مظاهر الدنيا، نلت أيضاً الخلود فيها بالذكر والنبا (الخبر
 الطيب)

أنا في دنياي أو آخرتي شاعر النيل، وحسبي لقباً
 هكذا لقب شوقي نفسه بشاعر النيل في سنة ١٩٠٤، وهو صريح في أن هذا خير لقب يرجوه،
 وبعد ذلك بعدة سنوات نال حافظ إبراهيم «نشان النيل» - بعد سنة ١٩١٢ - ولقب إثر ذلك بشاعر
 النيل، وانتظر شوقي حتى سنة ١٩٢٧ لينال لقباً آخر هو أمير الشعراء

٩٩ رمضان ولّي

قال شوقي (١٩٠٤):

رَمَضَانُ وَلِي، هَاتِهَا يَا سَاقِي مَشَاقَّةٌ تَسْمَى إِلَى مُشْتَانِي
 جعل الخمرة مشاقّة أيضاً لشاربها

مَا كَانَ أَكْثَرُهُ عَلَى الْأَفْهَا وَأَقْلَهُ فِي طَاعَةِ الْخُلَاقِ
 كم كان رمضان طويلاً على ألاف (محيي) الخمرة، وكم كان قصيراً في طاعة الله

اللَّهُ غَفَّارُ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا إِنْ كَانَ ثَمَّ مِنَ الذُّنُوبِ بَوَاقِ
 الله يعمر الذنوب، هذا إن كان ثَمَّ (هناك) ذنوب لينقرها بعد صيام رمضان. أرايت إلى هذه الروح
 التي تثب خفة؟ شوقي يتصيد التكنة الخفية ببراعة، وهو رغم خوفه من الله، شديد التوقى إلى العتب

بالأَمْسِ قَدْ كُنَّا مَجِينِي طَاعَةٍ وَالْيَوْمَ مَنَّ الْعَبْدُ بِالْإِطْلَاقِ
هو والخمر كانا حتى يوم أمس سجين طاعة الله، واليوم من (تفضل) عليهما العبد بإطلاق
سراحهما

ضَحِكْتُ إِلَيَّ مِنَ السُّرُورِ، وَلَمْ تَزَلْ بِنْتُ الْكُرُومِ كَرِيمَةً الْأَعْرَاقِ
الأعراق: الأصول

حَمَرَاءُ أَوْ صَفَرَاءُ، إِنَّ كَرِيمَهَا كَالْغَيْدِ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمِذَاقِ
الخمر تكون حمراء أو صفراء؛ والخمر الكريمة (الجيدة) مثل الغيد (الحسان) فكل امرأة حسناء
فريدة في حسنها ولا تماثل امرأة أخرى. في يومنا هذا يقولون: نبيذ أحمر ونبيذ «أبيض»، مراعاة
للغة الأجنبية التي عنها ينقلون، ومراعاة للأجنبي الذي منه يستوردون النبيذ، ولكن النبيذ «الأبيض»
هو أصفر على التحقيق

لَا تَسْقِنِي إِلَّا دِهَاقًا، إِنَّنِي أَسْقَى بِكَأْسٍ فِي الْهَمُومِ دِهَاقٍ
دهاقاً: مبتلة

فَلَعَلَّ سُلْطَانَ الْمُدَامَةِ مُخْرَجِي مِنْ عَالَمٍ لَمْ يَحِوَ غَيْرَ نِفَاقٍ

١٠٠ الميراث

قال شوقي في مدح عباس حلمي (١٩٠٤):

النَّيْلُ يَا ابْنَ عَلِيٍّ، وَهُوَ مِنْ دَهَبٍ، مَصْبُوءُ لَكَ مِيرَاثٍ وَمَنْبَعُهُ
النيل يا ابن علي (عباس حلمي وهو حفيد محمد علي) كأنه الذهب لما يعطي من خيرات؛ ومنبعه
ومنبه (أي كله) ميراث لك

جَرَى يُحَاكِيكَ إِحْسَانًا وَعَارِفَةً فَقَصَّرَتْ عَنْ نَدَى كَفْنِكَ أَذْرُعُهُ
يحاكيك النيل (يقلدك) في الإحسان والمعرفة (الإحسان)؛ ولكن، قصرت أذرعه بكاملها عن ندى
(كرم) كفئك وحدهما

أَهْدَى لَكَ الْحَمْدَ وَادِيَهُ وَشَاطِئُهُ وَأَمَّةٌ فِي ظِلَالِ الْأَمْسِ تَزْرَعُهُ

١٠١ الترامي

قال شوقي بنعي علي مصطفى رياض، وولي رئاسة الوزارة ثلاث مرات، تعلقه المعتمد
البريطاني كرومر. وكان الخديوي عباس قد انتقد شيئاً على القائد البريطاني كشنر فغضب
كرومر وطلب من القصر اعتذاراً فأبى الخديوي عباس، فقدم رياض الاعتذار (١٩٠٤):

كَبِيرَ السَّابِقِينَ مِنَ الْكِرَامِ بِرُغْمِي أَنْ أَنَالَكَ بِالْمَلَامِ

إذا ما لم تكن للقول أهلاً فما لك في المواقف والكلام
خطبت فكنت خطباً لا خطيباً أضيف إلى مصائينا الجسام
الخطب: الكفة، الجسام: الكبيرة. قال محمد صبري السوربوني: (الشر الأول الخطب)
فكنت خطباً لا خطيباً كُنتَ أسمع الكبار يهتفون به في كل مناسبة في السنوات التي أعقبت
القصيدة)

وهل تركت لك السبعون عقلاً لعرفان الحلال من الحرام
كان المهجو في السبعين، فهو قد ولد عام ١٨٣٤. وعندما مات عام ١٩١١ نال مراثية من شوقي،
ولم نختر منها شيئاً

لهجت بالاختلال وما أتاه وجرحك منه، لو أحسست، دام
لهجت: أغرمت

وما أغناه عن قال فيه وما أغناك عن هذا الترامي

١٠٢ تأليب

قال شوقي يستصرخ السلطان عبد الحميد من حسف شريف مكة «عون الرفيق»
بالعجاج (١٩٠٤):

ضج الحجاز وضع البيت والحرم واستصرخت ربها في مكة الأمم
استصرخت: استجدت

قد مسها في حماك الضر فاقض لها خليفة الله، أنت السيد الحكم
لك الربوع التي ريع الحجيج بها، أليس شريف عليها أم لك العلم؟
ريع: أخيف

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
يد الشريف على أيدي الولاء علت ونعلته دون ركن البيت تستلم
سلطة شريف مكة صارت أعلى من ولائه للخليفة، وصارت نعله تستلم (تقبل) بدلاً من ركن البيت
الحرام

عز السبيل إلى طه وتربته قمن أراد سبيلاً فالطريق دم
صار صعباً الوصول إلى طه (أي الرسول)، وتربته (قبره) في المدينة المورة

١٠٣ تفسير آية

قال شوقي ينمي محمد عبده (١٩٠٥):

مُفَسِّرَ آيِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ بَيْنَنَا قِمِ الْيَوْمَ فَسَّرَ لِلوَرَى آيَةَ الْمَوْتِ
لم يكن محمد عبده على وفاق مع الخديوي، فاكفى شوقي شاعر الخديوي بثلاثة أبيات في رثائه

١٠٤ أحمد الوقت

قال بهنئ السلطان عبد الحميد بنجاحه من قبلة قلب بها سنة (١٩٠٥):

بَلَوْنَاكَ بِقِطَانِ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا إِذَا ضَيَّعَ الصَّيْدَ الْمَلُوكَ شَبَابُ
بلوناك (غيرناك) يقطان الصوارم (السيوف) والقنا (الرمح)، في حين ضيَّع السبات (النوم) الملوك
الصيد (الشامخين)

فَلَوْلَاكَ مُلْكُ الْمُسْلِمِينَ مُضَيَّعٌ وَلَوْلَاكَ شَمْلُ الْمُسْلِمِينَ شَتَاتٌ
أَكَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُكَ صَالِحاً وَقَدْ هَوَّنَتْهُ عِنْدَكَ السَّنَوَاتُ؟
أكان يصلح غيرك للخلافة، وقد ملأتك السنوات خبرة وهونت عليك الحكم؟

وَمَنْ يَسُسِ الدُّنْيَا ثَلَاثِينَ حِجَّةً نُعِنُهُ عَلَيْهَا حِكْمَةً وَأَنَاةً
من ظل يسوس الدنيا ثلاثين سنة، فإن ما اكتمبه من الحكمة والأناة (التأني) يكون له مُعْبَأً
وما زِلْتُ حَسَنَانَ الْمَقَامِ، وَلَمْ تَزَلْ تَلِينِي، وَتَسْرِي مِنْكَ لِي النَّفْعَاتُ
وأنا مثل حسان بن ثابت شاعر الرسول، وأنت ظلت تليني (توليني الرعاية)، وتأتيني النفعات
(الناسم) منك (الإيماءات والبواد كالاستفاضة في إسطنبول والقضاء)

زَهِدْتُ الَّذِي فِي رَاحَتِكَ، وَشَاقَنِي جَوَائِزُ عِنْدَ اللَّهِ مُبْتَغِيَاتُ
لست طامعاً في المال الذي في كفيك، وأنا مشتاق إلى ثواب الله لقاء تأييدي لك، فتأييدك واجب
ديني

وَمَنْ كَانَ مِثْلِي أَحْمَدُ الْوَقْتِ لَمْ تَجْزُ عَلَيْهِ، وَلَوْ مِنْ مِثْلِكَ، الصَّدَقَاتُ
ومن كان مثلي أحمد الوقت (أحمد الوقت هو الرسول الذي جاء في ميعاد مضروب، أي أن
شوقي هو سي الشعر الذي ساقه القدر في وقته)، لم يجوز له أن يأخذ الصدقة (ولم تجر الصدقة
للنبي)

وَلِي ذُرُّ الْأَخْلَاقِ فِي الْمَدْحِ وَالْهَوَى وَلِلْمُتَنَبِّي ذُرَّةٌ وَحَبْصَاءُ
وعندما جعل نفسه «أحمد الوقت» تداعى إلى ذهن شوقي أحمد بن الحسين المتنبّي، فجعل شوقي
لنفسه الدرر في المدح والغزل، وأما المتنبّي فله أبيات عظيمة وأخرى رديئة أخذها النقاد عليه

محمد علي علم الشرق ١٠٥

قال في ذكرى مرور مئة عام على تولي محمد علي مصر (١٩٠٥):

عَلِمَ أَنْتَ فِي الْمَشَارِقِ مُفَرَّدَ لَكَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرٌ مُخَلَّدٌ
حَبِذَا دَوْلَةً وَمُلْكًا كَبِيرٌ أَنْتَ بَانِي رُكْنَيْهِمَا يَا مُحَمَّدُ
تَمَلَّأُ الْأَرْضَ صَافِيَاتٍ، وَيُجْرَى لَكَ فِي الْبَحْرِ كُلُّ بُرْجٍ مُنْيَدٌ
يا محمد علي باشا كنت تملأ الأرض بالصفاءات (الخيول)، وكان قوادك يسيرون لك في البحر
السنن التي هي كالبروج المشيدة (الحصون العالية)

هَكَذَا فَلْيَكُنْ سَمَاءُ الْمَعَالِي مَنْ سَعَى فِي التَّوَرَى لِمَجْدٍ وَسُؤْدَدٍ
هَمَّةٌ تَبْتَنِي الْمَمَالِكَ شَمًّا ءَ، وَرَأْيٌ يَسُوسُهُنَّ مُسَدَّدٌ
وَثَبَاتٌ فِي الْحَادِثَاتِ، وَعِزٌّ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ لَا يَتَرَدَّدُ
عِزٌّ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ (مصائبه) لَا يَتَرَدَّدُ

لَا تَبَالِي بِمَحَاسِدٍ وَعَدُوٍّ أَبْنَةُ الْفَضْلِ أَنْ تُعَادَى وَتُخَسَدَ
كنت لا تهتم بالحاسد وبالعدو، وآية (علامة) الفضل العداوة والحد

هَمَّةُ الْفَاتِحِينَ حُكْمٌ وَقَهْرٌ وَلَكَ الْهَمَّةُ الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ
همة الفاتحين (طموحهم) السلطان وقهر البشر، ومنتك أبعد من ذلك فانت باني دولة
يَا مُدِيمَ الرِّقَادِ فِي خَيْرٍ مَرَقَدٌ قُمْ فَمَا حَلَّ قَبْلَكَ الْأَرْضَ فَرَقَدُ
يا مديم (مواصل) الرقاد في قبرك، قم من قبرك فما سكن الأرض قبلك فرقد (الفرقد نجم معين)
وَانْظِرِ الشَّرْقَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَهْوِي وَانْظِرِ الْغَرْبَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَضَعُ

١٠٦ منك يا هاجر دائي

قال شوقي (١٩٠٥):

مَنْكَ يَا هَاجِرُ دَائِي وَيَسْكُفُّ نَيْسَكَ دَوَائِي
يَا مُنَى رُوحِي، وَدُنْيَا يَ وَسُؤْلِي وَرَجَائِي
سؤلي: مطلبي

أَنْتَ، إِنْ شِئْتَ، نَعِيمِي وَإِذَا شِئْتَ شَقَائِي
كُلُّ مَا تَرْضَاهُ، يَا مَوْ لَآيَ، يَمْرُضَاهُ وَلَا نِي

١٠٧ حسينا الله ونعم الوكيل

نقل عن فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا قوله إنه يريد للإمبراطورية الألمانية أن تكون مثل الإمبراطورية الرومانية قوة وسعة. وأنه يريد لابن إمبراطوريته أن يقول في أي مكان حل به: «أنا مواطن ألماني»، تماماً مثلما كان الروماني يقول «سيفيك رومانوس سوم»، وهذه باللاتينية، ومعناها «أنا مواطن روماني». ويبدو أن صحف ذلك الزمان نقلت العبارة موحية أن فلهم الثاني يريد أن يقسم العالم بين الرومان والألمان. وفي هذا الإحياء قدر من الصحة، ففي هذا العام ١٩٠٦، وقعت «الأزمة المغربية الأولى» التي تنافس فيها الفرنسيون والإنجليز والإسبان والألمان على المغرب، وكان فلهم، أو غليوم بالتهجئة الفرنسية، ماضياً في تكوين إمبراطورية ألمانية. فقال أحمد شوقي (١٩٠٦):

يا ربّ ما حكّمك؟ ماذا ترى	في ذلك الحُلم العريض الطويل
قد قام غلبُوم خطيباً فما	أعطاك من مُلكك إلا القليل
فالنصف للجرمان في رعيه	والنصف للرومان فيما يقول
يا ربّ قل: سيفك أم سيفه؟	أيهما، يا ربّ، ماضٍ صقيل
إن صدّقت يا ربّ أحلامه	فإنّ خطبَ المسلمين الجليل
لا نحن جرمان لنا حصّة	ولا برومان فنُعطى قنيل

فتيل: الشيء الصغير الحفير

يا ربّ، لا تنسَ رعاياك في	يوم رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على أهله	قديمة والجهل بثس الدليل
يا ليت لم نُنذد لشراً يدا	وليت ظلّ السُّلم باقي ظليل
جنى علينا عُصبة جازفوا	فحسبنا الله ونعم الوكيل

١٠٨ زائر لنذرة

قال شوقي لسعد زغلول عند سفره إلى نُنْدَرَة (لندن) للتفاوض (١٩٠٦):

يا سعدُ إنَّ أنتَ دَخَلْتَ نُنْدَرَة مُنْصَرّاً مُظْفَراً كَمَنْتَرَة

يسخر شوقي من سعد زغلول، هذا في زمن كان فيه شوقي صديقاً لمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني وخصماً لسعد زغلول. وكان سعد قريباً من المعتمد البريطاني كرومر

وسِرتَ محمولاً على الأكتاف	بينَ قِيامِ الناسِ والهُتافِ
وقيلَ تلميذُ الإمامِ مرّاً	يا مَرحباً به وألفَ هُوراً

كان سعد زغلول تلميذ الإمام محمد عبده، هوراً: مرحى بالإنجليزية

فقم خطيباً في بني التاميزِ وامدح مُذِلَّ الوطنِ العزيزِ
بو التاميز: الإنجليز، نسبة إلى نهر لندن التيمز، مذل الوطن: اللورد كرومر

١٠٩ جسر البسفور

قال شوقي في جسر البسفور (١٩٠٦):

أمير المؤمنين! رأيتُ جسراً أمرُّ على الصُّراطِ، ولا عليه
الصراط المستقيم مربع، والسقوط من عليه سقوط في الجحيم

وأسمجُ منه في عيني جُباة تَراهم وشطه وبجانبيه
يُفيدُ حكومة السُّلطانِ مالاً ويعطيها الفنى من مَعْدِنِيهِ
الجسر يجلب للحكومة المال، ويعطيها المعدنين (الذهب والفضة)

وغاية أمره أنا سمعنا لسان الحالِ يُنشدنا لديه:
أليس من المعجائب أن مثلي يُرى ما قلَّ ممتنعاً عليه
يقول الجسر: أليس عجباً أن مثلي يكون الشيء القليل متمتعاً عليه (محروماً عليه)

وتؤخذُ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
نجى الأموال الطائلة باسم الجسر، ولا ينال شيئاً. اليتان الأخيران قالهما الخليفة المعتمد على الله
المباسي (خلافته من ٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ) الذي حبر عليه أخوه الموفق طلحة، وفرض عليه ما يشبه
الإقامة الجبرية

١١٠ فداديني الثلاثون

من مسرحية «الست هدى»، (١٩٠٦):

يقولون في أمري الكثير، وشغلُّهم حديث زواجي أو حديث طلاقي
يقولون إنني قد تزوجتُ تسعة وإنني وارتئتُ الثُّرابَ رفاسي
وما أنا «عرييل»، وليس بماليهم تزوجتُ، لكن كان ذاك بمالي
وتلك فداديني الثلاثون، كلُّها تولَّى رجالٌ جثنتني بِرجال

١١١ لا حرموا خيرك

قال شوقي من مسرحية «البخيلة» على لسان الجلة الغنية، وقد ادعى حفيدها - كما
يفعل كل مرة - أن نقوده نُشلت، (١٩٠٧):

لَمْ تَلْقَنِي وَتَنْصَرِفَ بِمَالِي إِلَّا وَعَادَتْ قِصَّةُ النَّثَالِ
لَا حَرَمَ اللَّهُ اللَّصُوصَ خَيْرَكَ مَا بِالْهَمِّ لَا يَسْرِقُونَ غَيْرَكَ
هذا بيت في غاية غايات الظرف، فيه تهكم مر في شطره الأول، وتخوين مبطن وماكر في شطره الثاني

١١٢ والله لا

قال شوقي يعرض بفارس نمر صاحب جريدة المقطم، الذي أراد الالتفاف على حكم قضائي (١٩٠٧):

يَا فَارِسًا نَرَجُّا وَانْحِطَّ بِمَدَامَا
هَلِ الْقَضَاءُ لَعِبَةٌ تَلْهُو بِهَا، وَاللُّوْلَا

١١٣ الهوى

وقال شوقي (١٩٠٧):

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَاعَةٌ وَنَجَاوُزٌ وَإِنْ أَكْثَرُوا أَوْصَافَهُ وَالْمَعَانِيَا
الحب طاعة المحبوب والتجاوز (التفاضل) عن سيئاته

وَلَا هُوَ إِلَّا الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ تَلْقَى وَإِنْ نَوَّعُوا أَسْبَابَهُ وَالذَّوَاعِيَا
ولا تفسير له سوى أن العين تلتقي بالعين

وعندي الهوى، موصوفه لا صفاته إِذَا سَأَلُونِي: مَا الْهَوَى، قُلْتُ: مَا بِيَا
عندي الموصوف بالهوى (أي الهوى نفسه)، ولا أعرف صفاته، فإذا سئلت ما الهوى قلت: هو ما بي

١١٤ دنشواي

قال شوقي بعد مرور عام على فظيمة دنشواي (١٩٠٧):

يَا دِنْشَوَايَ! عَلَى رُبَاكَ سَلَامٌ ذَهَبَتْ بِأَنْسِ رِبْوَعِكَ الْإِيَامُ
كَيْفَ الْأَرَامِلُ فَيْكِ بَعْدَ رَجَالِهَا وَبِأَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الْإِيْتَامُ
عِشْرُونَ بَيْتًا أَفْقَرْتُ وَانْتَابَهَا، بَعْدَ الْبَشَاشَةِ، وَخَشَّةٌ وَظِلَامُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي فِي الْبُرُوجِ حَمَائِمُ أَمْ فِي الْبُرُوجِ مَنِيَّةٌ وَجِمَامُ
يَبْرُونَ! لَوْ أَدْرَكْتَ عَهْدَ ثُرُومِي لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُنْفَذُ الْأَحْكَامُ

نُوحِي حِمَاتِمِ دِنْشَوَايَ، وَرَوِّعِي شَعْباً بُوَادِي النِيلِ لَيْسَ بِنَامٍ
وَالْمُسْتَشَارُ إِلَى الْفَطَائِحِ نَاطِرٌ تَدْمَى جُلُودَ حَوَلَتِهِ وَعِظَامُ

في ١٣/٧/١٩٠٦ توفي جندي إنجليزي في قرية دنشواي بالمنوفية عندما كان يصطاد الحمام مع أربعة من زملائه. مات بضربة شمس بعد وقوع صدام بين الجنود وأهل دنشواي. إثر وفاة الجندي اعتقل الإنجليز اثنين وخمسين من أهالي القرية، وأقيمت محكمة صورية قضت بشنق أربعة رجال، وسجن وجلد ستة وعشرين رجلاً. والجندي المصري الذي كان يرافق الإنجليز أفاد في شهادته بعير ما يرضي المحكمة فرفضت شهادته وحكم عليه بالعيس ستين. كان رئيس المحكمة المستشار أحمد فتحي زغلول (أخا سعد زغلول). وكان المعتمد الإنجليزي في مصر اللورد كرومر. من بين من شنق حسن محفوظ، وشنق عند باب بيته وعلى مرأى من أولاده وأحفاده.

كتب جورج برناردشو في مقدمة مسرحيته «جزيرة جون بول الأخرى» وصفاً بعنوان «فظيمة دنشواي»: «كانت مشقة واحدة، وكانوا يتركون المشنوق عليها نصف ساعة لينأكدوا من موته، ولينحوا أسرته ما يكفي من الوقت لمشاهدته متديلاً. لذا استمرت العملية ساعتين لقتل الرجال الأربعة. وللترويع عن أنفسهم في هذا الوقت كانوا يجلدون ثمانية رجال، خمسين جلدة لكل منهم».

١١٥ وداع كرومر

استقال اللورد كرومر على إثر فظيمة دنشواي، بعد أربع وعشرين سنة في منصبه معتمداً بريطانياً بمصر. وأقيم حفل لوداعه، فخطب خطبة كان فيها قليل الأدب مع مصر ومع الإسلام. وتكهن أن نظل مصر بلداً متخلفاً. فقال شوقي يذكره أن مصر شهدت ازدهاراً.. لكن قبل الاحتلال البريطاني (١٩٠٧):

أَيَا تُكْمُ أُمَ عَهْدُ إِسْمَاعِيلَا أَمْ أَنْتَ فِرْعَوْنُ يَسُوسُ النِيلَا
أَمْ حَاكِمٌ فِي أَرْضٍ مُضَرَّ بِأَمْرِهِ لَا سَائِلًا أَبَدًا وَلَا مَسْؤُولَا؟
أَمْ أَنْتَ كَالْحَاكِمِ بِأَمْرِ الْفَاطِمِي السَّيِّدِ الْأَمْوَجِ

يَا مَالِكَا رِقِّ الرِّقَابِ بِبَاسِهِ هَلَّا اتَّخَذْتَ إِلَى الْقُلُوبِ سَبِيلَا
لَمَّا رَحَلْتَ عَنِ الْبِلَادِ تَشْهَدْتُ فَكَأَنَّكَ الدَّاءَ الْعِمَاءَ رَحِيلَا
الدَّاءُ الْعِمَاءُ: الذي لا يبرء منه

أَوْسَعَتْنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِهَانَةً أَدَبٌ لَعَمْرُكَ لَا يُصِيبُ مَشِيلَا!
أَوْسَعَتْنَا (ملأتنا) يوم توديعك إهانة، وهذا أدب لا يصيب (يلاقي) مثيلاً له!

هَلَّا بَدَا لَكَ أَنَّ تُجَامِلَ بَعْدَمَا صَاعَ الرَّئِيسُ لَكَ الشَّنَا إِكْلِيلَا
الرئيس: رئيس الوزراء مصطفى فهمي، الذي أثنى في الحفل على كرومر

أَنْذَرْتَنَا رِقًّا بِدَوْمٍ وَذِلَّةً تبقى، وحالاً لا تَرى تحويلاً
أَحْيَيْتُ أَنْ اللّهُ دُونَكَ قُدْرَةً لا يملكُ التَّغْيِيرَ والتَّجْدِيلَ
قَالُوا: جَلِبَتْ لَنَا الرِّفَافَةُ وَالْغِنَى جَحَدُوا الإِلَهَ وَصُنْعَهُ وَالنَّيْلَ
وَحَيَاةَ مِصْرَ عَلَى زَمَانٍ مُحَمَّدٍ ونهوضَها مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ
وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ جَعَدَ مَا كَانَ مِنْ نَهْضَةٍ عَلَى زَمَانٍ مُحَمَّدٍ (محمد علي) والخديوي إسماعيل
وَمَدَارِساً تَبْنِي الْبِلَادَ حَوَاقِلًا حَظُّ الْفَقِيرِ بِهِنَّ كَانَ جَزِيلًا
حَوَافِلُ: حافلة، متلكة، ولم تكن لأبناء الأغنياء فقط

وَمَعَاوِلًا لَا تَمُحِي آثَارَهَا وَجِيوشَ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَسْطُولَا
وَجَدَاوِلًا بَيْنَ الضُّبَاغِ جَوَارِيَا تَذَرُ الْيَبَابَ مَزَارِعَا وَحُقُولَا
الجداول الجواري: الجداول الجارية، بين الضباع: المزارع، الياب: الأرض الخراب غير
المزروعة

وَالْقَطَنَ مَزْرُوعاً بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ فِي مِصْرَ مَحْلُوجاً بِهَا مَغْزُولَا
لَمْ يَزْرَعْ الْقَطَنَ بِهَا فَقَطْ، بَلْ أَدْخَلَ تَصْنِيعَ الْقَطَنِ أَيْضاً. لِلْبَيْتِ رَنَةٌ جَمِيلَةٌ، وَمَعْنَى جَمِيلٌ
قَدْ مَدَّ إِسْمَاعِيلُ قَبْلَكَ لِلوَرَى ظِلُّ الْحِصَارَةِ فِي الْبِلَادِ قَلِيلَا
إِنْ قِيسَ، فِي جُودٍ وَفِي سَرَفٍ، إِلَى مَا تُنْفِقُونَ الْيَوْمَ عُدَّ بِخَبِلَا
أَوْ كَانَ قَدْ صَرَخَ الْمَفْتِشُ مَرَّةً فَلَكُمْ صَرَغَتْ بِذُنُوشَايَ قَنِيلَا
كَانَ الْخَدْيَوِيُّ إِسْمَاعِيلُ قَدْ قَتَلَ إِسْمَاعِيلَ بَاشَا مَفْتِشَ الْأَقَالِيمِ فِي حَادِثَةٍ شَنِيعَةٍ

فِي كُلِّ تَقْرِيرٍ تَقُولُ خَلَقْتُكُمْ أَفَهَلُ تَرَى تَقْرِيرَكَ التَّنْزِيلَا؟
هَلْ مِنْ نَدَاكَ عَلَى الْمَدَارِسِ أَنَّهَا تَذَرُ الْعُلُومَ وَتَأْخُذُ الْفُتُوبَلَا
نَدَاكَ: كَرَمَكَ، الْفُتُولُ: كُرَةَ الْقَدَمِ

أَمْ مِنْ صِبَابَتِكَ الْقَضَاءُ يَمُضِرُ أَنْ تَأْتِي بِقَاضِي دُنُوشَايَ وَكَبِيلَا
الْمَشَارُ أَحْمَدُ فَتَحِي زَغُولُ كَانَ رَئِيسَ الْمَحْكَمَةِ الَّتِي قَضَتْ بِإِعْدَامِ وَجَلْدِ وَمِجْنِ النَّاسِ فِي قَضِيَّةِ
دُنُوشَايَ، وَكَافَاهُ كِرُومَرُ بَانَ جَمْلَهُ وَكَلَّ وَزَارَةَ الْحَقَانِيَّةِ «العدل»

فَارْحَلْ بِحَفِظِ اللّهِ جَلًّا صَنِيعُهُ مُسْتَعْفِيَاً إِنْ شِئْتَ أَوْ مَعْزُولَا
إِنَّا نَمْنِيْنَا عَلَى اللّهِ الْمُنَى وَاللّهُ كَانَ يَنْبِئِلِهِنَّ كَفِيلَا
مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَمُحَمَّدٌ مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الْإِلَهِ رَسُولَا

١١٦ باض وفرخ

قال شوقي، ونشر هذين البيتين باسم مستعار، وما أكثر ما صنع ذلك، ولكن محمد صبري السوربوني في كتابه الكبير «الشوقيات المجهولة» رصد لنا الكثير مما نشره شوقي باسم مستعار ثم لم يضمه في ديوانه (١٩٠٧):

أيها البحر! ألقى في مصرَ أملاً حَكَ حتى تُرابُها بِتَسَبُّحِ
يسخ: يصبح سبخة (مستقماً) غير صالح للزراعة

كُلْ مَنْ ضَاغَتْ الْحَيَاةُ عَلَيْهِ جَاءَ مِصْرًا، وَبَاضَ فِيهَا وَقَرَّخُ
يعرض شوقي بالأجانب ذوي الامتيازات من الطليان واليونانيين والإنجليز، وأستعد أن يكون قصده أيضاً اللبنانيين الذين كان لهم في المجتمع الثقافي المصري شأن. فمن هؤلاء كان له أصدقاء خلص كثير، وكانوا - مثله - متمصرين لا متفطين

١١٧ أرجوزة الحكم

قال شوقي يخاطب النثر:

اطلبِ العلمَ لذاتِ العلمِ، لا لظهورِ باطلٍ بينَ الملا
عندَ أهلِ العلمِ للعلمِ مذاقٌ فإذا فأتاكَ هذا فاستراقِ
طَلَبُ المحرومِ لِلْعِلْمِ سُدى ليس لِلأعمى على النورِ هُدًى
المحروم من تذوق لذة العلم لا فائدة من طلبه للعلم

فإذا فأتاكَ توفيقُ العلیمِ فامتنع عن كلِّ تحصيلٍ عقيمٍ
واطلبِ الرزقَ هنا أو هُنا كم مَعَ الجَهِلِ يَسَارٌ وَغنى
فليطلب الإنسان رزقه من غير طريق العلم، وكم من جاهل أصاب بساراً (غنى)

إنَّ لِلْعِلْمِ جَمِيعاً فِلَسَفَةً من تَغَيَّبَ عَنْهُ تَفَقُّهُ الْمَعْرِفَةِ
قل إذا غَاطَبْتَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ دِينٌ وَرِضْبَتُمْ وَلِي دِينٌ
خَلَّ لِلدِّيَانِ فِيهِمْ شَاءُهُ إنه أَوْلَى بِهِمْ سَبْحَانُهُ
كلُّ حَالٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِضِدِّهِ قَدَحَ الْأَقْدَارِ تَجْرِي وَاسْتَعِدَّ
فَلَنُكَّ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ يَدُورُ لا تُعَارِضُ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ
كلُّ حَيٍّ، ما خلا اللُّهُ، يَمُوتُ فَاتْرُكِ الْكِبَرَ لَهُ وَالْجَبَرُوتَ
اطْلُبِ الْحَقَّ بِرَفْقٍ تُحْمَدِ طَالِبُ الْحَقِّ بِمَعْنَفٍ مُعْتَدِ

أَحِبِّ الْعِطْفَ، وَإِنْ لَمْ يَكْ لَكَ إِنَّمَا الْعِطْفُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
عِطْفَةً مِنْهُ عَلَى لُغْبَتِهِ تُخْرِجُ الْمَحْزُونِ مِنْ كُرْبَتِهِ
وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى أُمِّ الْقُرَى غِبَّ حَجَّ لِبَيْوتِ الْمُفْقَرِ

غِب: بعد

لَيْسَ لِي فِي طَبِّ جَالِينُوسَ بَاغٌ بَيْنَدُ أَنَّ الْعَيْشَ دَرْسٌ وَأُطْلَاغٌ
أَحْذَرِ الثُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهَمٌ إِنْ عِزْرَائِيلَ فِي خَلْقِ النُّهَمِ
وَأَتَّقِ الْبَرْدَ فَكَمْ خَلَقِي قَتْلٌ مَنْ تَوَقَّاهُ أَتَقَى نَصَفَ الْعِلَلِ
وَاتْرِكِ الْخَمْرَ لِمَنْخُوفٍ بِهَا لَا يَرَى مَنْدُوحَةً عَنْ شُرْبِهَا
وَتَمَشَّقِي وَتَعَفَّفِي وَأَتَّقِي مَا دَرَى اللَّذَّةُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِي

سخر العقاد من هذه الأرجوزة كثيراً. ولعل المرء لا يملك إلا أن يكبت ابتسامة وهو يقرأ نصائح شوقي في اجتناب التخممة والبرد. على أن شاعرنا ربما كان يريد فقط مبارأة أبي الغنم في أرجوزته المعروفة بذات الأمثال، التي امتدح الجاحظ بيتها: (يا للشباب المرح التصابي/روائح الجنة في الشباب). وأنا أمتدح، مجيزاً لنفسه القعود بجانب أبي عثمان، البيت: (إد الشباب والفراغ والمجدة/مفسدة للمرء أي مفسدة)، أو لعله كان يقلد ابن الوردي في لاميته النصحية (اعتزل ذكر الأغاني والغزل/وقل الفصل وجانب من هزل) وهي على بحر الرمل كقصيدة شوقي

١١٨ النفوس حرائر

قال شوقي (١٩٠٨):

إِنَّ النُّفُوسَ، كَمَا عَلِمْتَ، حَرَائِرٌ كَذَبَ الْأَلَى قَالُوا: النُّفُوسُ إِمَاءُ
النُّفُوسُ حُرَّةٌ، وَقَدْ كَذَبَ الْأَلَى (الذين) قَالُوا إِنَّهَا إِمَاءُ (جوارٍ مستعبدة)

وَالشَّعْبُ إِنْ مَلَّ الْحَيَاةَ ذَلِيلَةً هَانَ الرِّجَالُ عَلَيْهِمُ وَالْأَشْيَاءُ
إِذَا مَلَ شَعْبُ الْحَيَاةَ هَانَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ وَالْأَشْيَاءُ (الممتلكات)

١١٩ الصعب والسهل

قال شوقي (١٩٠٨):

مَا أَصْعَبَ الْفِعْلَ عَلَى مَنْ رَأَى وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

١٢٠ سبحانهم

قال شوقي ينتقد الحزب الوطني، ويؤيد أحمد زكي باشا شيخ العروبة في خصوصته مع الحزب بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وتزعم محمد فريد للحزب (١٩٠٨):

سَرُّ الْبَلِيَّةِ أَنْ يَكُونَ زَعِيمَا مَنْ لَا يُسَالِمُ فِي الرِّجَالِ كَرِيمَا
عَابُوكَ إِذْ وَجَدُوا صَنِيعَكَ بَارِعَا وَرَأَوْا سَبِيلَكَ فِي الْحَيَاةِ قَوِيمَا
فَتَحُوا لِحِزْبِهِمُ الْجَنَانَ، وَأَعْتَدُوا سُبْحَانَهُمُ لِلْكَافِرِينَ جَحِيمَا

كان شوقي صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل، وعندما مات انصرف عن الحزب ولم يكن شديداً التحمس لمحمد فريد. وكان شوقي يناصر سعد زغلول العداء لقربه من الإنجليز الذين يقطعون قطعة كبيرة من نفوذ الخديوي عباس حلمي ولي نعمة شوقي. ورأينا شوقي يسخر من سعد زغلول عندما زار لندن سنة ١٩٠٦، ويسخر من أخيه الذي كان رئيس محكمة دنشواي، وسرى شوقي يقترب من الأحرار الدستوريين بعض الاقتراب، وهو رجل غير حزبي، حزبه الخديوي فحسب. وسنراه يقترب من سعد زغلول بعد سنوات، بل ويصبح كثير التردد على مجالسه، ثم ينال مقعداً في مجلس الشيوخ عن الوفد، حزب سعد، سنة ١٩٢٤

١٢١ النفس الكريمة

قال شوقي (١٩٠٨):

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَفْسِي بِجَاهِلِي مَنْ أَهْلُ خُلَّتْهَا مِنْ يُعَادِيهَا
علم الله أنني لا أجهل أهل خلتي (صداقتي) من أهداني
والنفسُ إنْ كَبُرَتْ رَقَّتْ لِحَايِدِهَا واستغفرت، كَرَمًا مِنْهَا، لِشَانِيهَا
شانيها: كارها

١٢٢ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَاتِقٌ وَثَوَانٍ

قال شوقي يرثي مصطفى كامل (١٩٠٨):

الْمَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِبَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَأْتَمٍ وَالْأَدْنَى
الشرق الأقصى والشرق الأدنى يتحبان عليك
يتساءلون: أَيْ السَّلَالِ قَضِيَتْ، أَمْ بِالْقَلْبِ، أَمْ هَلْ مُتَ بِالسَّرَطَانِ
السلال: مرض السل

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ مَوْتَكَ بِالْحِجَا وَالْجِدِّ وَالْإِقْدَامِ وَالْعِزِّ
سبب موتك توفد الحجي (العقل)، والنشاط المفرط

إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رُكُونٌ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ الْبَانِي
وَالْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ بِهَيِّينَ، عَلِيَا الْمَرَاتِبِ لَمْ تُتَخَ لِحَبَابِنِ
وَأَحَبُّ مِنْ طَوْلِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ قَصَرُ يُرِيكَ تَقَاصُرَ الْأَفْرَانِ
مات مصطفى كامل عن ٣٤ سنة، وقصر حياته يبرز تفوقه على أقرانه

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

أنفق العقاد صفحة من كتاب «الدُّيُون» في نقد هذا البيت. ولكن العقاد، في كل كتابه الذي سخره
لنقد وشمث شوقي، كان يفعل أن مما يحبه المرء في الشعر إيقاعاً تفهمه الأذن دون الدماغ. هذا
بيت يديع في معناه، بليغ في إيقاعه، وأحب أن أقرأه جهراً شديداً على قافاته الخمسة

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمرٌ ثَانِ
لَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ، رُبِّيتَ فِي الْقُرْآنِ
وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّذَى بِكَ مُحْدِقٌ وَالدَّاءُ مَلَأَ مَعَالِمَ الْجِثَامِ
محديق بك: محيط بك

يَبْغِي وَيَطْفِئُ وَالطَّبِيبُ مُضَلَّلٌ قَنِطٌ، وَسَاعَاتُ الرُّحِيلِ دَوَانِ
قنط: قانط باليس، دوان: دانية قرية

وَنَوَاطِرُ الْعَوَادِ عَنْكَ أَمَالُهَا دَمْعٌ تُعَالِجُ كَثْمَهُ وَتُعَانِي
العواد (الزوار الذين يهودونك في مرضك) مالت نواظره (عيونهم) بعيداً عنك وهم يعالجون
(بغالبون) الدمع لمنعه من الهول

تُثْلِي وَتُكْثِبُ وَالْمَشَاغِلُ جَمَّةٌ وَيدَاكَ فِي الْقِرطَاسِ تَرْتَجِفَانِ
أما أنت فتشتغل رغم مرضك

فَهَشِشْتُ لِي حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي وَأَنَا الَّذِي هَذَا السَّقَامُ كِبَانِي
رحبت بي مشرحاً كأنك أنت الذي تمودني، وكأنني أنا الذي هد السقام (المرض) كباني
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ أَسَاؤُ الشَّرِّ وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعُ الشُّجْعَانِ
رأيت فيك كيف تموت أسود الشرى (الشرى مأسدة كانت عند الفرات)

وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرِّثَاءَ فَهَاكُهُ مِنْ أَدْمَعِي وَسِرَائِرِي وَجَنَانِي
طلبت مني أن أريك فهاك (خذ) الرثاء من دموعي وسرائري (ضميري) وجاني (قلبي)

لَوْلَا مِغَالِبَةُ الشُّجُونِ لَخَاطَرِي لَنَظَّمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الْأَزْمَانِ
لولا مغالبة (منازعة) الشجون (الأحزان) لخاطري (لقريحتي) نظمت فيك قصيدة هي الدرة البتمة

وأنا الذي أرثي الشَّمْسَ إِذَا هَوَتْ فتعودُ سِيرَتَهَا إِلَى الدُّورَانِ
 قد كنتَ تهتِفُ فِي الْوَرَى بِقِصَائِدِي وتُحِلُّ فَوْقَ النِّيرَاتِ مَكَانِي
 النيرات: النجوم

ماذا دهاني يَوْمَ بِنْتُ قَعَقْنِي فبكَّ القريضُ، وخانني إمكاني
 بنت: فارقت، عقي القريض: خاتني الشعر، وخاتني إمكاني (قدرتي)

يا صَبَّ مصرَ ويا شهيدَ غرامها هذا ثرى يضربُ فنم بأمانِ
 ص: محب

أفسنتُ أُنْكَ فِي التُّرَابِ طَهَارَةً مَلَكٌ يَهَابُ سِوَالَهُ الْمَلِكَانِ

١٢٣ العدل بين الأولاد

قال شوقي في أولاده الثلاثة (١٩٠٩):

يقولون: لِمَ تُظْهِرِي عَلِيًّا وَأَخْتَهُ وتنسى حُسَيْنًا، والحسينُ كريمُ
 يقولون لم (لماذا) تطري (تنتي على) علياً وأخته أمينة، وتنسى حسيناً، وإنه لعزير علي

فقلتُ: فؤادي لثلاثَةِ منزلٍ هُما طُنْبَاءُ، والحسينُ صَمِيمُ

فقلت قلبي منزل (المنزل في العربية القديمة هو الخيمة) الأولان طنبان فيه (حبلان يشدان الخيمة)
 والحسين صميم (الأصل)

إذا ما بدا لي أَنْ أَفْاضِلَ بَيْنَهُمْ أبى لي قَلْبٌ عَادِلٌ وَرَحِيمُ
 أَجِبْ صَفَارَ الْعَالَمِينَ لِأَجْلِهِمْ وَيَمِطُفْ قَلْبِي ذُو أَبٍ، وَيَنِيمُ
 أحب الصغار جميعاً لأجل أولادي، ويمطف قلبي (يستميله) الطفل ذو الأب والطفل البنيم

١٢٤ ريم على القاع

قال شوقي (١٩٠٩):

رِيمُ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ

ريم (غزال) على القاع (السهل) بين موضعي «البان» و«العلم» أحل نفسه أن يسفك دمي في
 الأشهر الحرم (دي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب التي لم تكن العرب تحترب فيها)

رمى القضاء بِعَيْنَيَّ جُؤْثِرَ أَسَدًا يا ساكنَ القاعِ أدركِ ساكنَ الأجمِ
رمى قضاء الله عن طريق عيني جؤثر (صغير البقر الوحشي) أسداً (أي رمانى، وأنا الأسد، بسهام
العشق التي انطلقت من عيني هذه الفتاة الجميلة)، فيا ساكن السهل أدرك (ارحم) ساكن الأجم
(الغاية)، أي يا أيتها الفتاة ارحمني هذا العاشق

لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً يا وِجْجَ جَنِّكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
عندما رنا (نظر) قالت لي نفسي: يا وِجْجَ جَنِّكَ فقد رماه هذا الحبيب بسهم صائب

جَحَدْتُهَا، وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَيْدِي جَرَحُ الْأَجْبَةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمٍ
جحدت (نجاهلت) نفسي وقولها، وكتمت السهم في كيدي، فضرب الحبيب مثل أكل الزبيب.
يقول عمران القفيني: «لو كنا ستروه بكل بيت، ونكشف من أين أخذه شوقي لاحتاج الكتاب
عشرين صفحة إضافية على الأقل. على أنها «وَلَقْتُ مَعِيَ» عند هذا البيت! أليس هذا من قول
المتنبي «وما لجرح إذا أرضاكم ألم؟»

رُزِقْتُ أَسْمَعَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ إِذَا رُزِقْتَ «النَّماسَ الْعَذْرُ» فِي الشَّيْمِ
أيها الإنسان تكون قد رزقت أسمع خلق إذا رزقت النماس العذرة للناس ضمن الشيم (الخصال)
التي في نفسك

يا لائِمِي فِي هَوَاهُ، وَالْهَوَى قَدَرٌ لو شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلْمِ
يا لائمي في حبه، والعشق قدر، لو شَفَّكَ (أوجعك) الوجد (الغرام) لم تعذل (لم تلم)

لَقَدْ أَنْلَسْتُكَ أَذْنًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ وَرُبَّ مُنْتَصِبٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمِّمٍ
لقد أعطيتك أذناً ولكنها غير مصغية، وكثيراً ما يظهر على المرأة أنه متصت (منصت)، ولكن قلبه أصم

يا نَاعَسَ الْعُظْرُفِ! لَا ذَقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أَسْهَرْتَ مُضَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى قَتَمٍ
ويا أيها المحبوب، يا من طرفه (عيناه) ناعس، أدهو لك ألا تذوق الهوى رحمة بك. لقد أسهرت
مضناك (المرض يحبك) قتم

يا نَفْسُ! دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مُبْجَبَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حَسْرٌ مُبْتَسِمٍ
يا نفسي! دنياك تخفي لك كل ما يبكي، وإن بدا لك منها مبسم (ابتسام) حسن

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
إنَّ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمِ
المعتصم: الحصن المنيع

وإن تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ
إن قدم ذو التقوى عملاً صالحاً قدمت عبرة (دعفة) الندم على معاصي

يا أفصح الناطقين الضَّادَ قاطبةً حديثك الشَّهْدُ عندَ الذَّائِقِ الفَهِمِ

يا معمد! حديثك النبوي هو الشهد عند الذائق (المتنوق) الفهم (الذكي)

أَتَيْتِ والنَّاسَ فَوْضَى، لَا تَمُرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنْمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنْمِ

أتيت برسالتك والناس فوضى لا ترى فيهم إلا رجلاً جاهلاً كالصنم هانماً بصنم بعده

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَأَتْكَ والرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ

أسرى بك الله ليلاً إذ الملائكة (الملائكة) والرسل قد قاموا واقفين في المسجد الأقصى لتصلي بهم

حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُّ لَهَا عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسَمَّى عَلَى قَدَمِ

ثم صرج بك إلى السماء التي لا يصلها واصل، طائراً بجناح أم سائراً بقدم

وَقَبْلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رُتَبَتِهِ وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ

وقبل فليزلم كل نبي رتبته، ويا محمد هذا عرش الله فاستلمه (قبَّله)

يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ مَيِّمِ

يا أحمد (من أسماء الرسول) لي شرف بتسميتي فأنما أحمد، وكيف لا يتسامى (يعلو) بالرسول

سمي (المسمى بنفس الاسم)

الْمَادِحُونَ وَأَرْيَابُ الْهَوَى تَبَعَ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ

كل من مدح الرسول وأرياب الهوى (ذو الحب للرسول) تبع (تابعون) لصاحب البردة الفيحاء

(المعطرة) ذي القدم (السابق/المقدم زماناً)

وصاحب البردة هو الوصيري الذي عارضه شوقي في قصيدته هذه

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ

إذن فشوقي لا يعارضه (ينافسه)، ومن ذا الذي ينافس صوب (انهمار) العارض (الحاب) العرم

(المتدفق)

قَالُوا: غَزَوْتَ، وَرُسُلُ اللَّهِ مَا يُعْشَوُا لِقَتْلِ نَفْسٍ، وَلَا جَاءُوا لِسَفْكِ دَمِ

قالوا إنك يا رسول الله غزوت، والرسل ما بعثوا لقتل

جَهْلٍ وَتَضْلِيلِ أَحْلَامٍ وَسَفْسَظَةٍ، غَزَوْتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْغَزْوِ بِالْقَلَمِ

وما قالوه جهل وسفسطة (حجج ملفقة)

وَالشَّرُّ إِنْ تَلَّقَهُ بِالْخَيْرِ ضَمَّتْ بِهِ ذَرْعاً وَإِنْ تَلَّقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَحِمِ

إن واجهته الشر بالخير ضمت به ذراعاً، وإن واجهته بشر مثله حسمته (قطعت دأره)

دَعَوْتُهُمْ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوْدَدُهُمْ والحربُ أسُّ نظامِ الكونِ والأُممِ
دعوت يا محمد العرب لجهاد فيه سودد (سيادة) لهم، والحرب هي أساس نظام الكون والأُمم

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا واستيقظت أُممٌ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ

يا رب قد هبت (استيقظت) شعوب أخرى من منيتها (من موتها)، واستيقظت من رقدة
الفناء. وكانت اليابان قبل سنوات قلائل من هذه القصيدة قد أكدت نهضتها الباهرة
بنصر مؤزر على روسيا، واستيقظ الوعي القومي عند اليونان والبلغار والصرم الذين
يحكمهم الترك، وبدا جلياً أن دولة الترك التي يناصرها شوقي آيلة للتمكك

فَالطُّفُفُ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا وَلَا تَسْمِ

لا تزدنا خفًا ولا تُسنا (لا تُبِلنا)

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُحْتَمِّمِ

١٢٥ الرقيب

قال شوقي في الرقيب على الصحف في تركيا، وذلك بعد أن ألقي رجال العهد الجديد
منصبه (١٩٠٩):

لَنَا «رَقِيبٌ» كَانَ مَا أَنْقَلَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَحَّلَهُ

لَوْ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ عَاشِقًا مَاتَ بِهِ لَا بِالْجَوَى وَالْوَلَةِ

الرقيب رقيب الصحف، والرقيب أيضاً الشخص المكلف برقابة العاشقين، فلو ابتلى الله برقيب
الصحف التركي هذا عاشقاً لمات العاشق منه لا من الجوى (ألم العشق) ولا من الوله (شدة العشق)

لَوْ دَامَ لِلصُّحُفِ وَدَامَتْ لَهُ لَمْ تَنْجُ مِنْهُ الصُّحُفُ الْمُنَزَّلَةُ

لو دام هذا رقيباً على الصحف لامتد أذاه فأصاب «الصحف» المنزلة (الكتب السماوية/ صحف
إبراهيم وموسى)

لَوْ خَالَ «بِسْمِ اللَّهِ» فِي مُصْحَفٍ تُغْضِبُ تَخْسِيفًا مَحَا الْبَسْمَلَةَ

لو ظن أن البسملة في المصحف تغضب تعيياً (حسن تعين باشا القائد البحري التركي) لمحاحا

جَرَانِدُ الثُّرُكِ عَلَى عَهْدِهِ كَانَتْ بِلا شَأْنٍ وَلَا مَنْزِلَةَ

الشرُّ بِالشَّرِّ، فَيَا قَوْمُ لَا إِثْمَ إِذَا رَاقِبْتُمْ مَنْزِلَةَ

فقالوا شره بشر، وراقبوا منزله جزاء ما كان يراقب الصحف

فَحَاصِرُوا الْأَبْوَابَ وَاسْتَوْقِفُوا مَنْ أَخْرَجَ الرِّادَ وَمَنْ أَدْخَلَهُ

وأوقفوا للفتيش من يحمل إليه الطعام

إِنْ كَانَ فِي السَّلَّةِ تَفَاحَةٌ ضَعُوهَا لَهُ مَوْضِعَهَا حَتَّى تَلْقَى

فَإِنْ وَجَدْتُمْ فِي الطَّعَامِ تَفَاحَةً فَأَبْدِلُوا بِهَا حَتَّظَةً (الثمرة المرة)

ذَلِكَ يَا قَوْمُ جَزَاءُ امْرِئٍ كَمَ غَيْرَ الْحَقِّ، وَكَمْ بَدَّلَهُ

تبدل بتبدل

١٢٦ انقلاب شوقي على عبد الحميد

قال شوقي في الانقلاب العثماني (١٩٠٩):

عَبْدَ الْحَمِيدِ! حَسَابُ مِنْ لَيْلِكَ فِي بَيْدِ الْمَلِكِ الْخَفُورِ

سُدَّتِ الثَّلَاثِينَ الطُّوَا لَ وَلَسَنَ بِالْحُكْمِ الْقَصِيرِ

حكم عبد الحميد الثاني تركيا ٣٣ سنة (١٨٧٦ - ١٩٠٩). إذا قرأ هذا الشرح معلم مدرسة، ورأى أن يدرّس القصيدة لتلاميذه، فليعلم أنني ما وضعت التواريخ حتى يفرضها على ذاكرتهم. وضعتها زيادة في الشرح، وحتى أريحك من عناء البحث

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا بَدَا لَكَ فِي الْكَبِيرِ وَفِي الصَّغِيرِ

لَا تَنْشِيرُ، وَفِي الْجَنَى عَدَدُ الْكَوَاكِبِ مِنْ مُنْشِيرِ

لا تنشر أحداً رغم أن في البلد عدد الكواكب من العقلاء المشيرين بالصواب

أَمِنَ الرُّؤْيَا وَالْأَنَسَا ؕ وَحِكْمَةُ الشَّيْخِ الْخَبِيرِ

إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا رَمَى ذَلِكَ الْقَوَاعِدَ مِنْ نُبِيرِ

القضاء حين يرمي بسهمه يلك قواعد جبل ثبير

دَخَلُوا السَّرِيرَ عَلَيْكَ يَحْدُ شَكِيمُونَ فِي رَبِّ السَّرِيرِ

دخل الانقلابيون السرير (قاعة الحكم) وتحكموا في رب (صاحب) الديوان، فأسروه ونفوه إلى سالونيك (ومات هناك بعد تسع سنين/ ليست للحفظ)

أَعْظَمُ بِهِمْ مِنْ أَسِيرٍ حِينَ وَبِالْخُلَيْفَةِ مِنْ أَسِيرِ

فما أعظمهم، وما أعظم الخليفة الأسير!

١٢٧ الصابر على معتقداته

قال في أربعين قاسم أمين، الذي مات في ١٩٠٨، ونشرت القصيدة في (١٩٠٩):

يَا غَائِبِينَ وَفِي الْجَوَانِحِ طَيْفُهُمْ أَبْكِيكُمْ مِنْ غُيِّبِ حُضَارِ

يا غائبين وفي الجوانح (الصدور) صورتهم، أبكيكم وأنتم غائبون عن العين حاضرون في الدهر

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَفَرٌ مَاؤْمِعُهُ مِنَ الْأَسْفَارِ
والذي يفصلني عنكم سَفَرٌ سوف أزمعه (أقوم به)

إِنِّي أَكَادُ أُرَى مَحَلِّي بَيْنَكُمْ هَذَا قَرَارُكُمْ وَذَاكَ قَرَارِي
هذا قراركم (مكان استقراركم/ قيركم) وذاك بقره قراري الذي سأنزل به

أَوْفَى الرِّجَالِ لِعَهْدِهِ وَلِرَأْيِهِ وَأَبْرَهُمْ بِصَدِيقِهِ وَالْجَارِ
قاسم أمين كان أوفى الرجال وأبرهم

وَأَشَدُّهُمْ صَبْرًا لِمَعْتَقِدَاتِهِ وَتَأْدِبًا لِمَجَادِلِ وَمُمَارِ
المماري (المجادل المكابر)

١٢٨ شعوبك يا محمد في سبات

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي بالحج - يقول حسين أحمد شوقي في كتابه «أبي شوقي» إن الخديوي عباس حلمي هزم على شوقي أن يعج معه، ولكن شوقي تغلب من الموكب ولم يذهب للحج، وكانت هذه الاعتذارية (١٩١٠):

إِلَى عَرَافَاتِ اللَّوْ يَا خَيْرَ زَائِرٍ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّوْ فِي عَرَافَاتِ
لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ، جَمَعَتْهُمْ لَبِيتَ ظُهُورِ السَّاحِ وَالْعَرَافَاتِ
الساح: الساحات، العرصات: الساحات

أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا، وَمِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ إِلَيْكَ انْتَهَوْا مِنْ غُرْبَةٍ وَشَتَاتٍ
نَسَاوًا، فَلَا الْأَنْسَابُ فِيهَا تَفَاوُتٌ لَدَيْكَ، وَلَا الْأَقْدَارُ مَخْتَلِفَاتٍ
دَعَانِي إِلَيْكَ الصَّالِحُ ابْنُ مُحَمَّدٍ فَكَانَ جَوَابِي صَالِحَ الدَّعَاوَاتِ
دعاني الخديوي «عباس بن محمد توفيق» إلى بيتك الحرام يا رب، فدعوت له بالخير

وَحَبَّرَنِي فِي مَسَاحٍ أَوْ نَجِيبَةٍ إِلَيْكَ، فَلَمْ أَخْشَرْ سِوَى الْعَبْرَاتِ
وَحَبَّرَنِي فِي رُكُوبِ سَابِجٍ (فرس) أَوْ نَجِيبَةٍ (ناقة)، فاخترت عبرات الاعتذار (دموع الاعتذار)
وَقَدَّمْتُ أَعْدَارِي وَذَلَّلِي وَخَشِيتِي وَجِئْتُ بِضَعْفِي شَافِعًا وَشَكَاتِي
اعتذرت وقلعت خضوعي، وجعلت الشافع لي ضعفي وشكاتي (مرضي)

رَكَائِبُ عَبَّاسٍ الْعُلَا كِسْرَوِيَّةٌ وَلَكِنْ لِيْذِي سَيْفٍ وَرَتْ قَنَازَةً
ركائب عباس (دوابه) كسروية (فاخرة التجهيز كدواب كسرى)، ولكنها تصلح لذي السيف، ورَبَّ
(صاحب) الرمح

وفي راحتي ماضٍ إذا ما هزَّزْتُهُ تركتُ عدوَّ اللّهِ في السَّكراتِ
 وأما أنا ففي يدي قلم ماضٍ، إذا حركته تركت أعداء الله في سكرات الموت
 أتيتَ به يا ربَّ نوراً وحكمةً ونزَّهْتُهُ عن رِيبَةٍ وأداةٍ
 أنت حتمي يا رب بهذا القلم لتفيض منه الحكمة، ونزهته عن الريبة (العيب) والأذى
 ويا ربَّ لَوْ سَحَّرْتَ نَاقَةَ صَالِحٍ لعبدِكَ ما كانتَ مِنَ السَّلَاساتِ
 وحطى سيء، فلو سخر لي الله ناقة النبي صالح المعطاء السلسة، لما كانت سلسلة معي
 ويا ربَّ هل تُغني عَنِ العبدِ حَاجةً وفي العمرِ ما فيه مِنَ الهَفَواتِ
 وماذا ينفعني الحج وقد ارتكبت هفوات كثيرة
 إذا زُرْتُ يا مولاي قَبِرَ مُحَمَّدٍ وَقَبِلْتُ مَثْوَى الْأَعْظَمِ الْعَطِرَاتِ
 مولاي الخديوي عندما تزور قبر محمد، وتقبل مثنوى (مروض) عظامه الطاهرة
 فَعَلْ لِرَسُولِ اللّهِ: يا خَيْرَ مُرْسَلٍ أَبْنُكَ ما تَدْرِي مِنَ الْخَسَرَاتِ
 قل له: أبنيك (أخبرك يا خسرات قلبي
 شُعوبُكَ في شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا كأَصْحَابِ كَهْفٍ في عَمِيْقِ سُبَاتِ

١٢٩ مضناك جفاه مرقده

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي (١٩١٠):

مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَبَكَاءُ وَرَحْمَ غُودُهُ
 مضناك (المريض بهبك) جفاه (نبهه) مرقده (سريره) فهو ساهر، وبكاء غوده (زائره) وترحموا عليه
 حَيْرَانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبُهُ مَقْرُوحُ الْجَفْنِ مُسَهِّلُهُ
 جفنه مقروح (مجرَّح) من بكائه ومسهد (ساهر)
 أَوْذَى حُرْقاً إِلَّا رَمَقاً يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِذُهُ
 أودى (مات) من الحرق (حرقه في إثر حرقه)، ولم يبق فيه سوى رمق (بقية حياة)، وهو يحافظ
 على هذه البقية من أجلك وأنت تُنفذ هذه البقية (تفنيها)
 يَسْتَهْوِي الْوُزْقَ تَأْوُهُ وَيُذِيبُ الصَّخْرَ تَنْهُهُ
 يستهوي الورق (الحمام) تأوّه، ويذيب الصخر تنهده
 وَيَنَاجِي النَّجْمَ وَيُثْعِبُهُ وَيَقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
 لكثرة سهره يتعب النجم وهو يناجيه (يحادثه)، ويتعب الليل أيضاً

الْحَسَنُ خَلَفْتُ يَـسُوءُفِهِ وَالسُّورَةُ أَنتَكَ مُفَرَّدُهُ
 حلفت بأحسن الحسن (بيوسف النبي مضرب المثل في الحسن)، وحلفت بسورة يوسف أيضاً،
 أنك أنت المفرد بالحسن

قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسًا حَوْرَاءُ الْخُلْدِ وَأَمْرُدُهُ
 وقد تمنى جمالك أو قبساً منه (بعضاً منه) حوراء الجنة (ذات العينين الجميلتين) وأمرد الجنة
 (الغلام ولما ينبت شعر وجهه)

وَتَمَنَيْتُ كُلَّ مُقْطَعَةٍ يَدَهَا لَوْ تُبَعِّثُ نَفْسَهُدُهُ
 وتمنت كل واحدة من تلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما أذهلهن جمال يوسف، لو بعثها الله
 لتشهد جمالك أنت

جَحَدْتُ عَيْنَاكَ زَكِيَّ دَمِي أَكْذَلِكَ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ
 أنكرت عيناك دمي الزكي الذي سال في حيك، فهل خدك ينكر دمي؟ (وخدك محمر من دمي
 النازف فكيف له أن ينكر؟)

قَدْ عَزَّ شُهُودِي إِذْ رَمَا فَأَشَرْتُ لِحَدِّكَ أَشْهَدُهُ
 عز علي العثور على شهود يشهدون لي عندما رمت عيناك بهيمهما قلبي، فأشرت لخدك المحمر
 حتى يكون شاهداً على هذه الجريمة

بَيْنِي فِي الْحَبِّ وَبَيْنَكَ مَا لَا يَفْقِدُ وَاشِ يُفْسِدُهُ
 ما بال العاذل يفتح لي باب السُّلُوانِ وَأَوْصِدُهُ
 العاذل (اللاتم) يهل على اللوان (النيان)، لكنني أوصد (أسد) هذا الباب

وَيَقُولُ: تَكَادُ تُجَنُّ بِهِ فَأَقُولُ: وَأَوْشِكُ أَعْبُدُهُ
 مؤلاي، ورؤحي في يده، قد ضيَّعَهَا سَلِمْتُ يَدُهُ
 ناقوس القلب يدقُّ له وحنايا الأضلع معبده
 يا سيف الدولة عِشْ أَبَدًا لِلْعَصْرِ يَهْزُكَ أَحْمَدُهُ

سيف الدولة عاس حلمي الثاني، والذي يهز السيف في هذا العصر ويشير نخوته هو أحمد شوقي.
 وكان الذي يهز سيف الدولة الحمداني في العصر المنصرم أحمد آخر هو أحمد بن الحسين المتني

كُرْسِيِّكَ أَتَبَّتْ مِنْ أَحَدٍ مَمْلُودُ الْعِزِّ مُؤَبَّدُهُ
 كرسي حكمك ثابت كجبل أحد، وعزك مستمر للأبد

١٣٠ لو لم يقتل لمات

اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار (ما يعلد رئيس الوزراء)، على يد الصيدلي إبراهيم الورداني بست رصاصات أصابته اثنان منها، لأنه كان - فيما قيل - يدبر لتمديد امتياز قناة السويس. وكان غالي يسافر الإنجليز، مثله في ذلك مثل معظم كبار الموظفين، ويسمى للتوفيق بينهم وبين الوطنيين (أنصار الحزب الوطني، وكان الورداني منهم) والعربيين قبل ذلك. وأدى اغتيال بطرس غالي إلى استياء كبير في نفوس القبط (١٩١٠):

بني القبط! إخوانَ الدهور! رُويْدُكُمْ هَبْوَهَ يَسُوعاً فِي الْبَرِيَّةِ ثَانِيَا
أَيُّهَا الْقِبطُ! يَا إِخْوَانَنَا عَلَى مَدَى الدَّهْوَرِ، رُويْدُكُمْ (تَمَهَّلُوا)، وَهَبْوَهَ يَسُوعاً ثَانِيَا (أَيُّ افْرَضُوا أَنَّهُ
يَسُوعُ) فِي الْبَرِيَّةِ (العالم)

حَمَلْتُمْ لِحُكْمِ اللَّهِ صَلْبَ ابْنِ مَرْيَمَ وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ عَلَا غَالِيَا
احْتَمَلْتُمْ صَلْبَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ قَضَاءُ اللَّهِ، وَاغْتِيَالُ بَطْرُسَ غَالِي كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ

سَدِيدُ الْمَرَامِي قَدْ رَمَاهُ مَسَدُّ وَدَاهِيَةُ السُّوَّاسِ لَاقَى الدَّوَاهِيَا
كَانَ غَالِي سَدِيدُ الْمَرَامِي (الغَايَاتِ)، وَرَمَاهُ بِالرَّصَاصِ رَجُلُ مَسَدٍ (بِحَسَنِ التَّسَدِيدِ)، وَغَالِي دَاهِيَا
السُّوَّاسِ (السِّيَاسِيِّينَ) لَاقَى الدَّوَاهِيَا

وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يُطْلَقِ النَّارُ مُطْلَقٌ عَلَيْهِ لَأَوْدَى فُجَاءَةً أَوْ تَدَاوِيَا
وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تُطْلَقْ عَلَيْهِ النَّارُ لَأَوْدَى (مَاتَ) فُجَاءَةً أَوْ بَعْدَ التَّدَاوِيِ مِنَ الْمَرَضِ. أَهْناكَ فِي الرُّثَاءِ أَوْفَعُ
مِنْ هَذَا الْبَيْتِ؟

قَضَاءٌ وَمِثْدَارٌ وَأَجَالٌ أَنْفُسِ إِذَا هِيَ حَانَتْ لَمْ تُؤَخَّرْ ثَوَانِيَا
أَلَمْ تَكُ مَصْرٌ مَهْدُنَا ثُمَّ لَحْدُنَا وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَغَانِيَا
المَغَانِي: الرَّبْعُ

أَلَمْ تَكُ مِنْ قَبْلِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمُوسَى وَطَةَ نَعْبُدُ النِّيلَ جَارِيَا
فَهَلَّا نَسْأَلُنِيَا عَلَى حُبِّهِ الْهَوَى وَهَلَّا قَدَيْسِنَاهُ ضِفَافاً وَوَادِيَا
فَهَلَّا سَمَى بَعْضُنَا بِمَعْضَا مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِنَا لِلنِّيلِ

وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَلَا يَشْنِكُمْ عَنْ ذِمَّةٍ قَتْلُ بَطْرُسِ فَقَدْ مَأْ عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاتِيَا
مَلَا بِجَعْلِكُمْ قَتْلُ بَطْرُسَ غَالِي تَرْجِعُونَ عَنِ الْمَهْدِ، فَقَدْ مَأْ (مَنْذُ الْقَدِيمِ) عَرَفْنَا الْقَتْلَ فَاشِيَا (مَنْشَرَا)
فِي النَّاسِ

١٣١ صداح

قال شوقي يتوجع عندما حكم على إبراهيم الورداني بالإعدام، لاغتياله بطرس غالي
رئيس مجلس النظار/ الوزراء، والقصيدة مشحونة بالثقة (١٩١٠):

صَدَّاحُ يَا مَلِكَ الْكِنَا رِ وَيَا أَمِيرَ الْبُلْبُلِ
أيها الصداح يا ملك الكنارات وأمير البلابل

يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَسِيرَ رُ شَجِجْ فَوَادُكَ أَمْ خَلِي
ليت شعري أيها الطائر الأسير هل فوادك شج (حزين) أم خلتي من الهم؟

وَحَلِيفُ سُهَيْدٍ أَمْ تَنَا مُمُ اللَّيْلِ حَتَّى يَنْجَلِي
هل أنت حليف سهد (سهر)، أم تنام الليل بطوله؟

يَا ظَلِيمُ وَالْأَمْثَالُ تُضِبُّ رَبُّ لَلْبَيْبِ الْإِثْمَلِ
يا أيها الطائر إنما نحن نضرب مثلاً لليب

دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا أَلَّا تَكُونَ لِأَعَزَلِ
الدنيا عاداتها أن لا تكون للأعزل

جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبْتَلَى فِي ذِي الْحَيَاةِ، وَيَبْتَلَى
الدنيا للحر الذي يبتلى ويبتلى أعداءه بنضاله

يَرْمِي وَيُرْمَى فِي جِهَا دِ الْعَيْشِ غَيْرَ مُتَقَلِّ
أَسِيفْتُ بِالْحَكَمَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ الْجَنْدَلِ
هل سمعت بقصة الحكمين في دومة الجندل (عندما خلع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري)

رَضِيَ الصَّحَابَةُ أَنَذَ لَكَ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
فالمصاحبة رضوا بالمصحف حكماً

وَهُمُ الْمَصَابِيحُ الرُّوَا ةُ عَنِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
حَتَّى إِذَا وَبِعَتْ مُعَا وَيَّةٌ، وَضَاقَ بِهَا عَلِي
حتى إذا جاءت نتيجة التحكيم لصالح معاوية بعد الخدعة، قَوِّعَتِ الْأُمُورُ مُعَاوِيَةَ وَضَاقَ عَلِي بِهَا ..

رَجَعُوا لِظُلْمٍ كَالظُّلْبَا نَحْ فِي النَفُوسِ مُؤَصَّلِ
لم يرض الناس، فالظلم من طابعهم

نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْقَوِيِّ - وَعِنْدَ رَأْيِ الْأَخْيَلِ

وكان الأمر للقوي والأحيل (الأكثر حيلة)

صَدَّاحُ حَقٍّ مَا أَقْو - لُ حَقَلْتِ أَمْ لَمْ تَخْفَلِ

في صلاح ما أقوله هو الحق، فاللنيا للقوي ولصاحب الحيلة، وأنت قمت بفعل وأخذت طريق القوة ولا يعني أكان الحق معك أم لم يكن، فالشريعة في هذه الغاية هي أن الدنيا «تؤخذ إعلاناً»

صَبَّحَ بِالصَّبَاحِ وَيَشْرِ ال - أَبْنَاءَ بِالْمُسْتَقْبَلِ

وَإِسْأَلُ لِمَصْرَ عَنَابَةً تَأْتِي وَتَهْضُبُ مِنْ عَمَلِ

نشرت القصيدة في الشوقيات المطبوعة سنة ١٩٢٦ بعنوان «بين الحجاب والسفورا إمعاناً في التوبة على موضوعها الأصلي». وشوقي لم يضطر إلى كل هذا التوبة خوفاً من الإنجليز فحسب، بل مراعاة للأقباط أيضاً

١٣٢ بساط الريح

قال شوقي يحيي الطيارين الفرنسيين (١٩١٠):

قَم سَلِيمَانُ، بِسَاطُ الرِّيحِ قَامَا مَلَكَ الْقَوْمِ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا

قَم يا سليمان يا من سكر لك الله الريح، فقد قام بساط الريح، وقد امتلك القوم زمام الأمور من الجو. هذا ولما تقم بعد حروب الجو، فلو عرف شوقي ما حدث عام ٦٧ عندما انتصرت إسرائيل في ساعة لأنها «ملككت من الجو الزمام» لظن نفسه نبياً

حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِهِمْ أَشْرَجُوا الرِّيحَ وَسَامُوها اللَّجَامَا

وضعوا سرجاً على الريح كأنها فرس، وساموها «أفلوها بها اللجام

صَارَ مَا كَانَ لَكُمْ مَعْجَزَةً آيَةً لِلْعَلَمِ أَنَّهَا الْأَنَامَا

ما كان عندكم يا سليمان معجزة، صار آية (برهاناً) أعطاه العلم للأنام (للبر)

قَدْرَةٌ كُنْتَ بِهَا مُنْفَرِداً أَصْبَحْتَ حِصَّةً مَنْ جَدَّ اعْتِزَامَا

طَلَبَةً قَدْ رَامَهَا آبَاؤُنَا وَابْتَغَاهَا مَنْ رَأَى الدَّهْرَ غُلَامَا

الطيران طلبه (هدف) طلبها آبائنا، وابتغاه الأقدمون الذين شهدوا الزمن وهو يافع

أَسْفَطْتَ إِيكَارُ فِي تَجَرِبَةٍ وَابْنَ فِرْنَانِي فَمَا اسْطَاعَا قِيَامَا

هذه الأمية أسفطت اليوناني إيكاروس، والعربي العباس بن فرناس، من الأعالي فماتا في شهوة الطيران

فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ أَوْدَى نَقَرٌ شُهَدَاءُ الْعِلْمِ أَغْلَاهُمْ مَقَامَا

في سبيل المجد أودى (مات) نفر (أناس)، وشهدته العلم هم أغلاهم مقاماً

خلفاء الرسل في الأرض هُمْ يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِمْ عَاماً فَعَاماً

شهداء العلم هم خلفاء الأنبياء في الأرض، والله يبعث بهم حيناً بعد حين

فَطَرَةً مِنْ دِمِهِمْ فِي مُلْكِهِ تَمَلُّ الْمَلِكُ جَمَالاً وَنِظَاماً

والقطرة الواحدة من دمه تدير الدولة وتزين الملك

أَيُّهَا الشَّرْقُ انتَبِهْ مِنْ غَفْلَةٍ مَاتَ مَنْ فِي طُرُقَاتِ السَّبِيلِ نَامَا

الشرق غافل، وهو مثل النائم في طريق السيل، يأتيه السيل ليلاً فيجره

١٣٣ قصر أنس الوجود

قبلت هذه القصبدة في قصر أنس الوجود، معبد إيزيس على جزيرة فيلة، وبعد بناء السد العالي نقلت أحجاره وشيد من جديد على ميعدة نصف كيلومتر من موقعه الأصلي. وكان الرئيس الأميركي المنصرف لتوّه من المنصب تهودور روزفلت (١٩٠١ - ١٩٠٩) زار مصر وقصد أسوان ضمن جولة صيد إفریقیة قتل فيها مع رفاقه ١١ ألف حيوان أرسلوا كثيراً منها معلّحة إلى واشنطن لتغمر المتاحف. وقيل أسوان كان روزفلت في الخرطوم، وفيها قال كلاماً مؤيداً للاحتلال الإنجليزي، وغاضباً من الثقافة الشرقية والإسلامية. (١٩١٠):

أَيُّهَا الْمُنْتَحِي بِأَسْوَانِ دَاراً كَالثَّرِيَّا تُرِيدُ أَنْ تَنْقَضَا

يا روزفلت! أيها المنتحي (القاصد) داراً (قصر أنس الوجود) في أسوان كأنها نجوم الثريا توشك أن تنقض على الأرض

اخْلَعْ النُّعْلَ وَاخْفُضِ الظَّرْفَ وَاخْشَعْ لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدُّمْرِ غَضًّا

اخلع نعلك احتراماً (كما فعل موسى إذ كلم ربه) واخفض بصرك، ولا تحاول الغضب (الانقاص من) آية الدمر (ممجزته)

قِفْ بِتِلْكَ الْقُصُورِ فِي الْيَمِّ غَرْقَى مُنْسِكَا بَعْضُهَا مِنَ الدُّغْرِ بَعْضَا

هذا الأثر مكون من عدة مبان بعضها فرعوني وبعضها بطلمي، وهي متشابكة متجاورة

كَعْذَارَى أَحْقَقَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضًّا سَابِحَاتٍ بِهِ، وَأَبْدَيْنَ بَضًّا

كان تلك القصور والمباني تغمر أسافلها فتيات سابحات أخفين بضاً (طرياً) من أجسامهن في الماء يسبحن به، وأظهرن بضاً فوق سطح الماء

مُشْرِفَاتٍ عَلَى الزُّوَالِ وَكَانَتْ مُشْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضَا

الآن تشرف (توشك) هذه القصور على الزوال، وكانت في الماضي تشرف (تطل) على الكواكب ناهضة شامخة برؤوسها

شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا
 الزمان شاب والقصور شابت، ولكنها تثبت أن الفن ما زال متمشياً شاباً غضاً (طري العود)
 رَبِّ نَفْسٍ كَأَنَّمَا نَفَضَ الصَّاءُ نَحْ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَمْسِ نَفْضًا
 وضحايا تكاد تمشي وترعى لو أصابت من قدرة الله نبضا
 النقوش تصور الحيوانات المذبوحة على المعبد وهي تكاد تمشي لبراعة النحت، وكل ما يقصها
 النبط

وَمَحَارِبَ كَالْبُرُوجِ بَنَتْهَا عَزَمَاتٌ مِنْ عَزَمَةِ الْجِنِّ أَمْضَى
 ورب محارب عالية في المعبد بنتها هم أمضى من همة الجن (الذين سخرهم سليمان فنوا له
 الصروح ومات وهم في كد وتعبد)

سَقَتْ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْدِ سِ إِلَى أَنْ تَعَاظَتْ النُّحْسَ مَحْضًا
 هذه المحارب كان يدها، ويبد كهتها، حظوظ الناس من سعد ونحس، ثم حل بها النحس
 وزالت قدسيته

صَنَعَةٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ، وَفَنٌّ كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرْضًا
 وأنا المُخْتَفِي بِتَارِيخِ مِصْرٍ، مَنْ يَصْنُ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانٌ عِزْضًا

١٣٤ تولستوي يلتقي بالمعري

قال شوقي برني ليف نيكولايفيتش تولستوي الذي مات في سنة ١٩١٠. ونشرت
 القصيدة (١٩١١):

تُولِستوي! تُجْزِي آيَةَ الْعِلْمِ دَمْعَهَا عَلَيْكَ، وَيَبْكِي بَائِسٌ وَفَقِيرُ
 نبيك يا تولستوي آية العلم (برهانه) والفقراء الذين تخليت لهم عن أملاكك. لا أدري لماذا بكى
 العلم تولستوي، إلا إن كان شوقي يعني المعرفة الإنسانية بأوسع مفهوم

إِذَا أَنْتَ جَاوَزْتَ الْمَعْرِيَّ فِي الثَّرَى وَجَاوَرَ رَضْوَى فِي الشَّرَابِ تُبِيرُ
 إذا جاورت المعري في التراب، كما تجاور جبالا رضى وثبير، فأنتما جبالا كيران من جبال
 الحكمة، ..

فَقُلْ: يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدِّثْ عَنِ الْبَلَى فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرُ
 قل للمعري: حدثنا عن البلى (تحلل الجسم بعد الدفن) فأنت عليم بالأمور

أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاخَ وَثِيرُ
 يقول تولستوي: أرى راحة بين الجنادل (الصخور) والحصى

نَظَرْنَا بِنُورِ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ وَكُنَّا كِلَانَا فِي الْحَيَاةِ ضَرِيرٌ
 الموت لكينا كان نوراً رأينا فيه الحقائق، وفي الحياة كنا كلانا، وليس أبو العلاء وحده، ضارين
 إِلَيْكَ اعْتِرَافِي لَا لِقَسٍّ وَكَاهِنٍ وَنَجْوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غَفُورٌ
 اعترف لك يا أبا العلاء، وليس للقس كما يعترف المسيحيون، وأناجيك أنت بعد مناجاتي لله
 فَزَهْدُكَ لَمْ يَنْكَرْهُ فِي الْأَرْضِ عَارِفٌ وَلَا مَتَعَالٍ فِي السَّمَاءِ كَبِيرٌ
 وزهدك أقر به العارفون في الأرض، وأقر به رب السماء المتعالي
 بَيَانٌ يُشَمُّ الْوَحْيَ مِنْ نَفَحَاتِهِ وَعِلْمٌ كَعِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرٌ
 وبيانك يشم الرائحة من نفحات الوحي، فكانه من التنزيل، وعلمك غدير كعلم الأنبياء
 تُسَائِلُنِي هَلْ غَيَّرَ النَّاسُ مَا بِهِمْ وَهَلْ حَدَّثْتَ، غَيْرَ الْأُمُورِ، أُمُورٌ
 وإنك تسألني، أنا القادم عليك بعد ألف سنة من موتك، هل تغير الناس؟
 وَهَلْ آنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَسَامُحٌ خَلِيقٌ بِأَذَابِ الْكِتَابِ جَدِيرٌ
 وهل آن (حان) بين أهل الكتاب (أصحاب الأديان السماوية) وقت التسامح الذي هو خليق (جدير)
 بالكتاب (الكتب المتزلة)
 أَنْاسٌ كَمَا تَدْرِي، وَدُنْيَا بِحَالِهَا وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةً، وَعَسِيرٌ
 الناس كما تعرفهم، والدنيا كما هي، والزمن رخي (فيه رخاء) تارة، وعسير أخرى
 وَأَحْوَالٌ خَلَقَ غَابِرٌ مُتَجَدِّدٌ تَشَابَهَ فِيهَا أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ
 وأحوال الخلق الماضي والمتجدد متشابهة، الأول يشبه الأخير
 وَقَامَ مَقَامَ الْفَرْدِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى الْحُكْمِ جَمٌّ يَسْتَبِدُّ غَفِيرٌ
 ويبدل حكم الفرد، قام في كل أمة على شؤون الحكم جم (جمع) غفير يستبد بالامر
 وَخُورٌ قَوْلُ النَّاسِ مَوْلَى وَعَبْدُهُ إِلَى قَوْلِهِمْ: مُسْتَأْجِرٌ وَأَجِيرٌ
 وخور (بذل) قول الناس مولى وعبد (ميد وعبد) إلى قولهم: مستأجر وأجير
 وَأَضْحَى نَفْوُذُ الْمَالِ لَا أَمْرَ فِي الْوَرَى وَلَا نَهْيَ إِلَّا مَا يَسِرُ وَيُشِيرُ
 وأضحى نفوذ المال لا أمر في الورى ولا نهى بين الناس إلا بحسب ما يرى نفوذ المال وما يشير به

١٣٥ أمم الهلال

قال شوقي في مولد هلال العام الهجري الجديد (١٩١١):

أُمَّمُ الْهِلَالِ! مَقَالَةٌ مِنْ صَادِقٍ وَالصَّدَقُ أَلْبَقُ بِالرَّجَالِ مَقَالًا

يا أمم الهلال (والهلال رمز الدولة العثمانية ورمز الإسلام) هذا قول رجل صادق، والصديق ألبق بالرجال

مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا وَيُسَوِّدُ الْمَقْدَامَ وَالْفَعَالَا

الإسلام من عاداته أن يرفع شأن من يعمل، وأن يسود (يعطي السيادة) الجريء النعال

ظَلَمْتُهُ أَلْسِنَةُ تَوَاجِهْتُهُ بِكُمْ وَظَلَمْتُمُوهُ مُفَرِّطِينَ كُسَالَى

ظلمت الإسلام الألسنة التي تواخذه بسبيكم، وأنتم ظلمتموه بتفريطكم في الحقوق وكلكم

هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفُلَ بِالْهُدَى هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالِ ضَلَالَا

هلالكم، رمز ديبكم، يكفل لكم الهداية، ولا ضلال مع وجود الهلال (فالسائر ليلاً يهتدي بهلال السماء، وهلال الإسلام يهتدي المسلمين)

سَرَبَ الْحَضَارَةُ حَقِيقَةً فِي ضَوْؤِهِ وَمَشَى الزَّمَانُ بِنُورِهِ مُخْتَالَا

الحضارة مشيت في ضوء الهلال (دولة الإسلام) حقية، وكان الزمان يمشي بنور هذا الهلال مختالاً (فخوراً)

وَبَنَى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةً كَالشَّمْسِ عَرْشًا وَالنَّجُومِ رَجَالَا

وبنى العرب الأجاود (الكرام) للهلال دولة عرشها (حكومتها) كالشمس، ورجالها (قوادها) كالنجوم

حَتَّى إِذَا انْقَسَمُوا تَقَوَّضَ مُلْكُهُمْ وَالْمَلِكُ إِنْ بَطَلَ النِّعَاوُنُ زَالَا

١٣٦ نعالج الأيام

قال شوفي في ذكرى وفاة بطرس خالي الذي اغتيل عام ١٩١٠، (١٩١١):

الذِّبْنُ لِلذِّبَّانِ جَلَّ جَلَالُهُ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَنْوَامَا

يا قومُ بَانَ الرُّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى وَخُذُوا الْحَقِيقَةَ وَانْبُذُوا الْأَوْهَامَا

ظهر الحق فافصوا (أبعدوا) ما جرى من خلاف بين المسلمين والقبط بعد اغتيال بطرس خالي، وافهموا حقائق الوضع وانبذوا التهويل

هَذَا رِبُوعُكُمْ وَتِلْكَ رِبُوعُنَا مُشْتَابِلَيْنِ نَعَالِجِ الْأَيَّامَا

هذي أمانتكم أيها القبط وهذي أمانتنا، فنجن نعالج الأيام (نسمى في الدنيا) متقابلين متجاورين

هَذَا قَبُورُكُمْ وَتِلْكَ قَبُورُنَا مُتَجَاوِرَيْنِ جَمَاجِمًا وَعِظَامَا

فَبُحْرَمَةِ الْمَوْتِ وَوَجِبَ حَقُّهُمْ عِشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كَرَامَا

١٣٧ حشرات الناس

قال شوقي يؤبن عمر لطفي، وهو من رواد النهضة التعاونية في مصر، وله كتب في حق المرأة وحرية المساكن وإنشاء شركات التعاون. (١٩١١):

نَمْ مَا بَدَا لَكَ أَيْناً فِي مَنْزِلٍ أَلْدَهْرُ أَقْصَرُ فِيهِ مِنْ سِنَةِ الْكُرَى
سم كما شئت في منزل (يقصد القبر)، الدهر الطويل فيه أقصر من سنة (غفوة) الكرى (النوم)
لَا تَشْكُوَنَّ الضَّرَّ مِنْ حَشَرَاتِهِ، حَشَرَاتُ هَذَا النَّاسِ أَقْبَحُ مَنْظَرًا
لَا تُشْكُ الْفَرَّ (الأذى) من حشرات القبر، فحشرات البشر أقبح

لَمْ تَذِرْ نَفْسَكَ مَا الْغُرُورُ، وَطَالَمَا دَخَلَ الْغُرُورُ عَلَى الْكِبَارِ فَصَغُرَا
كنت متواضعاً، وكثيراً ما دخل الغرور نفوس الكبار فصغروهم

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَحُطُّ نِقَابَةٌ فِيهَا حَيَاةُ أَخِي الزَّرَاعَةِ لَوْ دَرَى
في كل ناحية رحت تؤسس نقابات، فيها الحياة لأخي (المصاحب) الزراعة

هِيَ كِيمِيَاؤُكَ لَا خِرَافَةُ جَابِرٍ تَذَرُ الْمُقِلَّ مِنَ الْجَمَاعَةِ مُكْثَرًا
كيمياؤك (سرك) وكانت الكيمياء علماً سرياً هدفه تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب) وليس خرافة
جابر بن حيان (الذي مارس الكيمياء) هي التي ترك المقل (الفقير) من الجماعة مكثراً (موسراً).
وكيمياء عمر لطفي كانت النقابات والعمل الجماعي

وَالْمَالُ لَا تُجْبَى يُعَارَ رُؤُوسِهِ حَتَّى يُصِيبَ مِنَ الرُّؤُوسِ مُدَبِّرًا
رؤوس الأموال لا تؤذي ثمارها حتى يصيب (يجد) المال مدبراً له هو عبارة عن رؤوس الناس المبدعين

وَالْمَلِكُ بِالْأَمْوَالِ أَمْنٌ جَانِباً وَأَعَزُّ سُلْطَاناً وَأَصْدَقُ مَظْهَرًا
الملك بوجود الأموال يصبح أحن نصيباً وأعز (أقوى) سلطاناً، وأصدق تميراً عن حقيقته

إِنَّا لَفِي زَمَنِ سَفَاهِ شُعُوبِهِ فِي مُلْكِهِمْ كَالْمَرْءِ فِي بَيْتِ الْكِرَاءِ
نحن في زمنٍ سفاه شعوبه (الشعوب السفهاء العمقاء) تعيش في بلدانها كالمرء في بيت الكراء
(الأجرة)، فهي متفومة السيادة كالتأجير

١٣٨ حيلة المصلوب في المسمار

قال شوقي في مؤتمر المستشرقين في أثينا (١٩١٢):

وَتِلْكَ ثَلَاثَةُ سَبَبِ الزَّمَانِ حِيَالَهَا تُسَمُّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كِبَارِ
رُبَّ ثَلَاثَةِ (الأهرامات الكبرى) شب الزمان (صار شاباً) حيالها (بجانبها) فقد كانت - لقدما -
موجودة والزمان صغير في السن، وهي تُسَمُّ (شاهقة) وكيرة على مدى الدهر

مِنْ كُلِّ مَرْكُوزٍ كَرَضَوِي فِي الثَّرَى مُتَطَاوِلٍ فِي الْجَوِّ كَالْإِعْصَارِ
والواحد منها مركوز (ثابت) كجبل «رضوى» في التراب، وذائب في السماء صاعد في الأعلى كالإعصار
الجنُّ فِي جَنَابَاتِهَا مَطْرُوفَةٌ بِبَدَائِعِ الْبِنَاءِ وَالْحَفَّارِ
الحن (التي كانت بارعة في البناء إذ سخرها سليمان لبناء قصوره) تقف مطروفة (مبهورة) في حنيات
الأهرامات لما أبدع البناء والحضار

وَالْأَرْضُ أَضْبَعُ حِيلَةً فِي نَزْعِهَا مِنْ حِيلَةِ الْمَصْلُوبِ فِي الْمِسْمَارِ
والأرض حيلتها ضائعة (أي أنها عاجزة) في نزع الأهرامات، كحيلة المصلوب في نزع السمّار
المدقوق في جسمه

تِلْكَ الْقُبُورُ أَضْنُ مِنْ غَيْبٍ بِمَا أَخْفَتْ مِنَ الْأَغْلَاقِ وَالْأَذْخَارِ
الأهرامات قبور، وهي أضن (أخفت) من الغيب (والغيب حافظ كنوم فلا أحد يعرف ما يخفي) بما
أخفته من الأغلاق (الكنوز) والأذخار (الكنوز)

١٣٩ فرحانُ بالحب

قال شوقي (١٩١٢):

بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا قُمْرِيَّةَ الْوَادِي نَادَيْتُ لَيْلِي، فَقُومِي فِي الدُّجَى نَادِي
بي مثل ما بك من الحزن يا قمرية (حمامة) الوادي، ناديتُ ليلي (قلت «يا ليل» كالمطربين)،
فقومي في الدجى (الليل) نادي

تَذَكَّرِي قُبْلَةَ فِي الشَّعْرِ حَائِرَةً أَضَلَّهَا، فَمَشَتْ فِي فَرْقِكَ الْهَادِي
يخاطب حبيبه: تذكري قبلة حائرة طبعها على شمر كفاضها شمر (أضاع لها طريقها)، ثم مشت
في فرق الشعر مهتلية بخطه المستقيم

تَذَكَّرِي مَنَظَرَ الْوَادِي وَمَجْلِسَنَا عَلَى الْغَدِيرِ كَمُضْفُورَيْنِ فِي الْوَادِي
والغصنُ يَخْنُو عَلَيْنَا رِقَّةً وَجَوًى وَالْمَاءُ فِي قَدَمَيْنَا رَائِحَ غَادٍ
الجوى: العشق. «الماء في قدمينا رائحة غاد»، هذا من نحاس شوقي المطلي بالذهب. فالعبارة
ذات رنة حلوة. لكن تخيل كيف يروح الماء ويحيي في اتجاهين تر الصورة اهتزت، فكان شوقي
وحبيبه كانا ينمسان أقدامهما في حوض غسالة نصف أوتوماتيك لا في جدول يسير باتجاه واحد
ككل جداول رب العالمين. على أن المطلي بالذهب يسر العين، وكذا بيت شوقي فهو يسر الأذن

تَذَكَّرِي مَوْعِدًا جَادَ الزَّمَانُ بِهِ هَلْ طَرُتْ شَوْقًا، وَهَلْ سَابَقَتْ مِيعَادِي
فَنَلْتُ مَا نَلْتُ مِنْ سُؤْلِ وَمِنْ أَمَلٍ وَرُخْتُ لَمْ أَخْصِ أَفْرَاحِي وَأَعْيَادِي
سؤل: مطلب

١٤٠ متمصاً البحري

قال شوقي في مهرجان جمعية الهلال الأحمر (١٩١٢):

جَبْرِيلُ هَلَّلَ فِي السَّمَاءِ وَكَبَّرَ وَاكْتُبْ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَسَطِّرْ
يا حبريل ملل (قل لا إله إلا الله) في السماء وكبر (قل الله أكبر)، وسجل الثواب للمحسنين
وَادْعُ الَّذِي جَعَلَ الْهَلَالَ شِعَارَهُ يَفْتَحْ عَلَى أُمَمِ الْهَلَالِ وَيَنْصُرِ
وادع الله الذي جعل الهلال شعاراً له (للإسلام) أن يفتح على أمم الإسلام بالنصر

يَا مَهْرَجَانَ الْبِرِّ أَنْتَ تَحِبُّ لَلَّوْ مِنْ مَلَأَ كَرِيمَ خَيْرِ
يا مهرجان البر (الخير) أنت تحب للخالق من ملأ (جمع) كريم خير

يَا بِنْتَ الْهَامِي دُعَاءُ مُعْظَمِ لِسَمَاءٍ عَزَلَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مُكْبِرِ
يا بنت إلهامي (أم الخديوي عباس حلمي) هذا الدعاء الذي يدعو به المهرجان هو دعاء من معظم
سماء عزك في البرية (بين الناس) ودعاء من يُكَبِّرُكَ

أَحْيَيْتِ، فِي فَضْلِ الْمُلُوكِ وَعَزَّيْتِ، مَا مَاتَ مِنْ أُمِّ الْخُلَيفَةِ جَعْفَرِ
أحييت في جانب فضل الملوك وكرهم وعززهم ما ذهب زمنه من أعمال الخير التي قامت بها أم
الخليفة جعفر (المتوكل)

إِنَّ الَّذِي قَدْ رَدَّهَا وَأَعَادَهَا فِي بُرْدَتَيْكَ أَعَادَ فِي الْبُحْثَرِي
الله الذي أحيا ذكرها في بُردتك (في ثوبك، أي مثلاً فيك) أعاد في شخصي ذكر الشاعر
البحري

فَنَظَّمْتُ مَا نَشَرْتَ يَمِينُكَ شَاكِرًا لَا يَخْشُنُ الْإِحْسَانُ مَا لَمْ يُشْكِرْ
فأنا نظمت شعراً ما نشرته يمينك من مال وأنا لك شاكر، والإحسان لا يكون جميلاً إن لم يرافقه
الشكر

١٤١ ولد الهدى

في ذكرى المولد النبوي (١٩١٢):

وُلِدَ الْهَدْيُ، فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَنِشَاءُ
زَانَتْكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ يُغْفِرُ بِهِنَ وَيُوَلِّعُ الْكُرَمَاءُ
يا رسول الله زانتك (زينتك) في خلقك العظيم شمائل (خصال) يُغْفِرُ (يُحْسِنُ بِالْإِعْرَاءِ) الْكُرَامَ
باتباعها، ويولعون بها

وَإِذَا رَجِمَتْ فَأَنْتَ أُمُّ أَوَّابٍ هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ

وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصَرَ وَالْمَلُوكَ ظَمَاءُ
 إِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ (مَنْعْتَهُ) لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصِرَةَ وَالْمُلُوكَ ظَمَاءَ (عَطَاشٌ)
 فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةٌ وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ
 سَطَاكَ (سَطَوْتُكَ)، نَدَاكَ (كِرْمَكَ)

١٤٢ ردت الروح

قال شوقي بحبي المطربة ليلي لزمي (١٩١٢):

رُدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ
 بِمَوَدَّتِكَ يَا حَبِيبِي رَدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى (الْمَنْعَبِ) مَعَكَ، وَأَجْمَلَ يَوْمٍ هُوَ الَّذِي رَجَعْتَ فِيهِ
 مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ أَوْ لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكَ

١٤٣ عشوائية النبوغ

قال شوقي في جماعة رعاية الطفل (١٩١٢):

خَلَقَ اللَّهُ جُمَانًا وَحَصَى خَالِقُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ
 خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ جُمَانًا (لَوْلَا) وَحَصَى فَمَنْهُمْ النَّايِبُ وَالْخَامِلُ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ مَاءٍ
 وَطِينٍ

وَلَأَمْرٍ مَا، وَسِرٍّ غَامِضٍ تَسْعَدُ النُّظْفَةُ أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ
 لِأَمْرٍ مَا تَسْعَدُ (تَنَالُ الْحَظَّ السَّامِعُ) النُّظْفَةُ (أَصْلُ الْجَنِينِ) أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ، يَقُولُ إِنْ الْمُسْتَقْبَلُ
 الْمَكْتُوبُ سَعْدًا أَوْ شَقَاءً لِلْإِنْسَانِ قَبْلَ وَلَادَتِهِ سِرٌّ غَامِضٌ

رُبَّ مَهْدٍ أُرْزَتِ الْبُؤْسَى بِهِ فِيهِ كُنْزٌ خَبَأَ الْغَيْبُ ثَمِينٌ
 فَنَاحُكَ مَهْدُ أُرْزَتِ الْبُؤْسَى بِهِ (عَابَهُ الْبُؤْسُ) فِيهِ طِفْلٌ هُوَ كَنْزٌ ثَمِينٌ خَبَأَهُ الْغَيْبُ

مُرْضَعٌ يَفْطُرُ بُؤْسًا يَوْمُهُ مُغْدِقُ النُّعْمَى غَدًا فِي الْعَالَمِينَ
 هَذَا الطِّفْلُ الْمُرْضَعُ (الرَّضِيعُ) يَوْمُهُ مَلِيءٌ بِالْبُؤْسِ، وَهُوَ نَفْسُهُ سَيَصْبِحُ مُغْدِقًا لِلنِّعَمِ فِي الْغَدِ عَلَى
 الْعَالَمِ

أَوْ طَوِيلُ الصَّمْتِ أَعْمَى فِي الصُّبَا بَيْنَ بُرْدَيْهِ الْمَعْرِيَّ الْمُبِينِ
 أَوْ يَكُونُ صَيًّا طَوِيلُ الصَّمْتِ وَأَعْمَى، وَلَكِنْ بَيْنَ بَرْدِيهِ (فِي ثَوْبِهِ/أَيُّ هُوَ نَفْسُهُ) مَعْرِيَّ الْمُسْتَقْبَلِ
 الْمُبِينِ (الْبَلِيغِ)

١٤٤ لا وجدان للبخیل

قال شوقي (١٩١٢):

إِنَّ الْحَيَاةَ نَهَارٌ أَوْ سَحَابَةٌ فَمِثْنُ نَهَارِكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِنْسَانًا
الحياة كالنهار (سريعة الزوال) أو كسحابة النهار (وسحاب النهار سريع الانتشاع)، فمِثْنُ هذا النهار
من دنياك إنساناً

أرى الكريمَ بِوَجْدَانٍ وَعَاطِفَةٍ وَلَا أرى لِبَخِيلٍ الْقَوْمَ وَجْدَانًا
لم أجد شعراً قسا على البخيل قسوة هذا البيت: البخيل لا وجدان له. والبخلاء عندي نوهان:
بخيل كمريض الفصام، الذي يعرف أنه مريض، فيلاري مرضه ويتكلم متكلماً؛ وبخيل كمريض
الذهان (البارانويا) الذي تتحطم دفاعاته النفسية ولا يعود يعترف بمرضه؛ فهو يرى كل الناس
مسررفين مجانين ولا يقدر يفهم كيف يتفق الواحد من ماله درهماً، وأنا مشفق عليهما كليهما

١٤٥ أخت الأندلس

قال شوقي في استيلاء البلغار على أدرنة من الدولة العثمانية (١٩١٢):

يَا أُخْتَ أُندُلُسِ! عَلَيْكَ سَلَامٌ هَوَتْ الْخِلَافَةُ هُنَاكَ وَالْإِسْلَامُ
يا أدرنة، يا أخت الأندلس (التي سقطت وزال عنها حكم الإسلام) عليك سلام، قد هوت
(سقطت) الخلافة والإسلام عنك. ما أكثر ما في عبارة «أخت أندلس» هذه من إيجاز. ففيها موقف
إسلامي، وفيها تجمع وفيها إبلاغ بسقوط المنطقة

نَزَلَ الْهَلَالُ عَنِ السَّمَاءِ، فَلَيْتَهَا طُلُوتٌ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظِلَامٌ
الهلال (وهو الشعار على علم الدولة العثمانية) نزل عن سماءك يا أدرنة بعد أن كان يرفرف فيها،
فليت السماء طلوت (كما ستطوى يوم القيامة) وعم الظلام العالم

وَالْيَوْمَ حُكْمُ اللَّهِ فِي مَقْدُونِيَا لَا نَقْضَ فِيهِ لَنَا وَلَا إِبْرَامُ
واليوم حكم الله في مقدونيا غير موجود، ولا نقض ولا إبرام (لا حل ولا عقد) لنا هناك

وَمُسْطَرِيقَ عَلَى الْمَمَالِكِ سُخَّرَتْ لَهُمُ الشُّعُوبُ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ
رب مسطرين على الممالك (ملوك أوروبا) سُخِّرَتْ لهم الشعوب كأنها الأنعام (المواشي)

مِنْ كُلِّ جَزَائِرٍ يَرْوُمُ الصَّئِيرُ فِي نَادِي الْمُلُوكِ، وَجَدَّةُ غَنَامُ
كل واحد منهم جرار في جلالاته، ويروم (يطلب) الصئير في نادي (مؤتمر) الملوك، سيما كان حده
غَنَاماً (راعياً)

سَيَكْبِنُهُ وَيَمِينُهُ وَجِزَامَةٌ وَالصَّوْلَجَانُ جَمِيعُهَا آثَامُ
هذا الملك الأوروبي سكبته ويده وحزامه وصولجانه (عصا الملك) كلها ملطخة بالآثام

عيسى! سبيلك رحمة ومحبة في العالمين وعصنة وسلام

يا عيسى! نهجك رحمة ومحبة في الدنيا وأهلها وعصنة من الخطأ وسلام

ما كنت سفاك الدماء، ولا أفرأ هان الضعاف عليه والأيتام

يا حامل الآلام من هذا الورى كثرت عليه باسمك الآلام

يا حامل آلام الورى (الناس)، كثرت الآلام على الورى باسمك (باسم الدين ناصر الأوروبيون رعايا الدولة العثمانية المسيحيين في ثوراتهم على إستانبول)

أنت الذي جعل العباد جميعهم رَحماً، وباسمك تُقطع الأرحام

أنت يا عيسى جعلت الناس جميعاً رَحماً (أقارب)، والآن باسمك تقطع الأرحام وينم تهجير الناس وتبديد شملهم. التسويد من عمران القفيني

واليوم يهتف بالصليب عصائب هُم لئله وروحه ظلام

اليوم نادي عصائب (جماعات) باسم الصليب، وهم ظالمون لله ولروح الله (عيسى)

خلطوا صليبك والخناجر والمدى كل أداة للأذى وجمام

جعلوا صليبك أداة حرب وسياسة. مع الخناجر والمدى (السكاكين)، وبها جميعاً أوقعوا الأذى والعمام (الموت)

أوما ترائهم دبّحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم أغانم

كَمْ مُرَضِعٍ فِي جَنْبِ نَعْمَتِهِ غدا وله على حد السيوف فطام

كم طفل مرضع (رضيع) في حجر (حضن) النعمة والرزق أصبح مقطوماً بعد البف

وصبيئة هُتكت خميلة ظهرها وتناثر عن نوره الأكمام

وكم صبية هُتكت خميلة (روضة) ظهرها، وتناثرت عن نوار هذا الطهر البنات (كما تناثر ورق الورد)، هذا التشبيه المزدوج، الذي أعجب شكيب أرسلان، كتابة عن تعرض الفتيات للاغتصاب. يقول شكيب أرسلان: «تقضي أمانة التاريخ أن نذكر كرن الجيش الصربي تجنب الآثام في معاملة المسلمين أكثر من الجيش البلغاري واليوناني». وتقضي أمانة التاريخ علينا أن نذكر أن الصرب في تسعينات القرن العشرين ارتكبوا ضد مسلمي اليوسنة أفظع المذابح، واغتصبوا النساء
بوخشية

وأخي ثمانين استبيح وقاره لم يُغن عنه الضعف والأعوام

ورب شيخ ثمانيني انتُهِك وقاره، ولم يشفع له ضعفه وعمره

ومهاجِرِينَ تَنَكَّرَتْ أوطَانُهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ مِنَ الدُّهُولِ وهاموا
 ورب مهاجرين تنكرت أوطانهم (تغيرت معالمها) ضلوا سبيلهم وهاموا. يقول شكيب أرسلان،
 وكان عصواً في لجنة الإعانات المصرية لمكويي الأزمة: «بلغ عدد الذين هاجروا من مسلمي
 البلقان مئة وخمسين ألف نسمة دخلوا الأستانة حتى غصت بهم الجوامع والمدارس، وكان ذلك
 في قلب الشتاء، وفشت فيهم الكوليرة».

السيفُ إن رَكِبُوا الْفِرَارَ سَبِيلُهُمْ وَالنَّطْعُ إنْ طَلَبُوا الْقَرَارَ مُقَامُ
 فإذا مروا بالسيف سبيلهم، وإذا اختاروا الإقامة فلهم النطع (البساط الجلدي يفرش تحت السيف
 وضحيته)

يَتَلَفَّتُونَ مُودَّعِينَ دِيَارَهُمْ وَاللَّحْظَ مَاءً، وَالذِّبَارَ ضِرَامُ
 يتلفتون لإلقاء نظرة وداع على ديارهم، واللحظ (العين) دموع، والذبار ضرام (نار) لأن المحتلين
 أحرقوها

يَا أُمَّةً بِفُرُوقٍ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ قَدَرٌ تَطْيِشُ - إذا أتى - الأحلامُ
 يا أمة بفروق (إستانبول) فرق بينهم قدر تطيش الأحلام (العقول) إذا أتى، (فروق هي إستانبول،
 وكأنها لم يكفها أن سميت ببزنطة، والقسطنطينية، والأستانة، وإستانبول، فها اسم خاص،
 وأطرف أسمائها فتحت الروم)

فِيمَ التَّخَاذُلِ بَيْنَكُمْ، وَوَرَاءَكُمْ أُمَمٌ تُضَاعُ حَقُوقُهَا وَتُضَامُ
 لماذا التخاذل بينكم (تقاسم بعضكم عن نجدة بعض)، ووراءكم أمم تضاع حقوقها وتضام (تظلم)

هَذَا جَنَاهُ عَلَيْكُمْ أَبَاؤُكُمْ، صَبْرًا وَصَفْحًا فَالْجُنَاءُ كِرَامُ
 هذا سببه لكم بناء الدولة الأوائل، فصبراً وصفحاً لهم هؤلاء الجناة كرام

رَفَعُوا عَلَى السَّيْفِ الْبِنَاءَ فَلَمْ يَدُمْ؛ مَا لِلْبِنَاءِ عَلَى السَّيْفِ دَوَامُ
 بنوا الدولة على القوة المكرية فليس لها دوام

أَبْقَى الْمَالِكُ مَا الْمَارُفُ أَشُّهُ وَالْعَدْلُ فِيهِ حَائِظٌ وَدِهَامُ
 أكثر الممالك بقاء وصموداً ما أسامه العلم، وما يدعنه العدل

فَإِذَا جَرَى رُشْدًا وَيُؤْنَسُ أَمْرُكُمْ فَاغْمُشُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَهُوَ زِمَامُ
 فإذا وفقت بعد هذه الأزمة فاستتيروا بالعلم فهو الزمام (المقود) الذي يقودكم إلى الأمان

وَدَعُوا التَّفَاخَرَ بِالتُّرَاثِ وَإِنْ عَلَا فَالْمَجْدُ كَسْبُ، وَالزَّمَانُ عِصَامُ
 واتركوا التفاخر بالتراث (ما ورثتموه عن الأجداد)، فالمجد الحق مكتسب لا موروث، والزمان
 عصامي (أي هو لمن يصنع نفسه بنفسه)

صَبْرًا أَدْرَنَةً! كُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ يَوْمًا، وَيَبْقَى الْمَالِكُ الْعَلَامُ
فَصَبْرًا يَا أَدْرَنَةَ، فَكُلْ مَلِكٌ زَائِلٌ يَوْمًا، وَالْبَقَاءُ ۞

١٤٦ الحب كل صباية بمذاق

قال شوقي (١٩١٢):

ولقد يقولُ ابنائِي في نَجَواتِهِمَا ماذا يُكَايِدُ في الشَّوَى ويُلاقِي
يَتَمَجَّبُ وَلَدَايَ في نَجَواتِهِمَا (تَهَامِسُهُمَا) لما أَكَابَهُ (أَعَانِيَهُ) في التَّوَى (الفراق)

ولدي! مَصْرُ لَهَا، كَمَا لَكُما، هَوَى وَالْحُبُّ كُلُّ صَبَابَةٍ بِمَذَاقِ
يَا وَلَدِي، مَصْرُ لَهَا حُبٌ في قَلْبِي كَحَبِي لَكُما، وَالْحُبُّ هَكَذَا: لِكُلِّ صَبَابَةٍ (شَغَف) مَذَاقٌ مُخْتَلَفٌ

١٤٧ نكبة بيروت

قال شوقي يرثي بيروت بعدما أُنْزِلَ بها الأَسْطُولُ الإِيطَالِي. وبعدَ هذا القَصْفِ صارَ أَهْلُ
بيروتَ يَرجِعُونَ سَبَبَ كُلِّ مُشْكِلةٍ إلى القَصْفِ الإِيطَالِي، وَمِنْ هُنَا المَثَلُ اللَّبْنَانِي
«كُلُّ الحَقِّعِ الطَّلِبَانِ» (١٩١٢):

بيروتُ ماتَ الأَسَدُ حَتَفَ أَتُوفِيهِمْ لَمْ يَشْهَرُوا سِنْفًا، وَلَمْ يَحْمُوكِ
ماتَ أَهْناؤُكَ الأَسودَ حَتَفَ أَتُوفِيهِمْ (بَلَا قَتالَ)، إِذْ لَمْ يَتَحَ لَهُمْ أَنْ يَقاتِلُوا عَنكَ

كُلُّ بِصِيدِ اللَّبِّ وَهُوَ مُقْبِدٌ وَيَمِزُّ صَيْدَ الضَّيْفِ المَفْكُوكِ
بإمكان كل واحد أن يصيد الأسد المقيد، ويمز (يصعب) صيد الضيف (الأسد) الطليق

سالتُ دِماءَ فيكِ حَولَ مَاجِدٍ وَكَنائِسٍ وَمَدارسٍ وَبُنُوكِ
تعلّق عمران القفني: «جاءت بنوك ههنا كأنها مخلوق فضائي نزل من المريخ، وهبط
بحانب مسجد بعد صلاة الجمعة وتخلّق الناس حوله ينظرون إليه مندهشين». و
وتعليقي: «أحياناً أختار أحياناً لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. وعندما أمر بها شارحاً
أو مشكلاً - وأنا قد قلت لك مراراً إنني أشكل كل كلمة بيدي حتى تعرف مقدار ما
أنفقه من نور حبيبي عليك يا قارئ - أقول في نفسي: ما أسخف هذا البيت! ثم لا
توانيني الشجاعة كي أحلّفه. أعود وأقول: لا أريد تشويه الحالة الشعرية التي كت
فيها عندما اخترته أول مرة. وأمر بالبيت السخيف ثلثة، وربما رابعة، ويصبح - وبإ
للحجب - كأنه طفل مشوه رزقته، فأنا أحمد الله عليه، وأدعوه أن يرزقني به رزقاً
وفيراً. فكيف إذا كان في هذا البيت «بنوك» حشو خزائنها مال وفير؟»

لَكَ في رُبَا النِّيلِ المَبَارَكِ جِيرَةٌ لو يَفْقِدُونَهُ بِلَمَعِهِمْ عَمَلُوكِ
أبناء مصر لو تمكنوا لفعلوك بلموعهم إشلة حزنهم عليك

١٤٨ ميثاق الغواني

قال شوقي (١٩١٣):

دُفْتُ مِنْهَا حُلُوءاً وَمُرَّاً وَكَانَتْ لَذَّةُ الْعُشْقِ فِي اخْتِلَافِ الْمَذَاقِ
ضَرَبْتُ مَوْعِداً فَلَمَّا التَّقِينَا جَانَبْتَنِي، تَقُولُ: فِيمَ الثَّلَاقِ
قُلْتُ: مَا هَذَا الْمَوَائِقُ، قَالَتْ: لَيْسَ لِلْغَانِيَاتِ مِنْ مِيثَاقِ

١٤٩ إن السيوف قليل

قال شوقي، ويذكر عزيز المصري واحتفال الحكومة التركية له، (١٩١٤):

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خُلَفَائِهِ عَدلاً يُقِيمُ الْمُلْكَ حِينَ يَمِيلُ
وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَانِطاً لَا الْجَيْشُ يَرْفَعُهُ وَلَا الْأَسْطُولُ
بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجِرْحِ الَّذِي مَا انْفَكَّ فِي جَنْبِ الْهَلَالِ يَسِيلُ
أَسْتَحْلِفُ بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجِرْحِ فِي جَنْبِ (خاصرة) الْهَلَالِ (شعار الدولة العثمانية) الَّذِي مَا
انْفَكَّ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ

هَلَّا حَلَلْتُ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ إِنَّ الْوِثَاقَ عَلَى الْأَسْوَدِ ثَقِيلُ
أَيَقُولُ وَاشِ أَوْ يَرُدُّ شَامَتُ صَنْدِيدُ بُرْقَةٍ مُوْتَقٌ مَكْبُولُ
أنترك الواشي والشامت بقولان إن صنديد (بطل) برقة (وكان عزيز المصري قد حارب الإيطاليين
الغزاة في برقة بليبيا قبل القصيدة بنحو ثلاث سنين ثم حكم عليه في إستانبول بالإعدام لدوره في
الحركة العربية، وألقي الحكم) موثق (مقيد) مكبول (مقيد)

فَاذْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاةَهُ وَاسْتَبْقِهِ، إِنَّ السِّيُوفَ قَلِيلُ
فاذكر جهاده، واستبقه (دعه يبقى ليعلمك) يا أمير المؤمنين (السلطان محمد رشاد) فالرجال الذين
هم سيوف قلة

١٥٠ صناديق بأقفال

قال شوقي يرثي جرجي زيدان (١٩١٤):

لَا تَجْعَلُوا الدِّينَ بَابَ الشَّرِّ بَيْنَكُمْ وَلَا مَحَلَّ مُبَاهَاةٍ وَإِذْلالِ
إِذْلال: زهو

مَا الدِّينَ إِلَّا تَرَاثُ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كُلُّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ تَابِعٌ نَالِ

لِي دَوْلَةُ الشَّعْرِ دُونَ الْعَصْرِ وَائِلَةً مَفَاخِرِي جَنِّمِي فِيهَا وَأَمْثَالِي
 المعنى الذي ألمحه: لي دولة الشعر وائلة (راجعة/ فأنا مؤلها) دون عصري كله، ومفاخري فيها
 الحكم والأمثال الموجودة في شعري

وَأَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي إِنَّ الصَّنَائِعَ تَزْكُو عِنْدَ أَمْثَالِي
 أشكر الصنع (المعروف) سراً وعلانية، والمعروف يزكو (يطيب) عند أمثالي

وَأَتْرُكُ الْغَيْبَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ بِهِ إِنَّ الْغَيْبَ صِنَادِيْقٌ بِأَفْعَالِ
 بيت فيه من قفظة اللفظ ما جعلني أسوّه لك. فأما معناه فلا أكثر من وصف الناس عندما
 للمستقبل بأنه: «بطليخة مسكرة» أي مقفلة

١٥١ أمة واحدة

قال شوقي في تكريم واصف بن بطرس خالي (١٩١٤):

رُبَّ مَدْحٍ أَذَاعَ فِي النَّاسِ فَضْلاً وَأَتَاهُمْ بِقُدْوَةٍ وَمِثَالِ
 رب مدح نشر في الناس ذكر الفضل، وأعطاهم قدوة حسنة

وثناءً عَلَى فَنَى عَمِّ قَوْمَاً قِيَمَةُ الْعَقْدِ حُسْنُ بَعْضِ اللَّأَلِي
 ورب ثناء على رجل كان ثناء على قومه، فالحقد ثمين ببعض لأله، فهي نجمل غيرها

إِنَّمَا نَحْنُ، مُسْلِمِينَ وَقَبْطًا، أُمَّةٌ وَوَحَدَتْ عَلَى الْأَجْيَالِ
 سَبَقَ النَّبِيُّ بِالْأَبُوَّةِ فِينَا فَهُوَ أَصْلُ وَآدَمُ الْجَدُّ نَالِ
 النيل سبق غيره في الأبوة لنا، وتلاه جدنا آدم أباً لاحقاً

نَحْنُ مِنْ طِينِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الدُّ وَ مِنْ مَائِهِ الْقَرَّاحِ الزُّلَالِ
 نحن من طين النيل المكرم لدى الله، وحياتنا هي بيب مائه القراح (الصافي) الزلال (المذب)
 مَرَّ مَا مَرَّ مِنْ قُرُونٍ عَلَيْنَا رُسُفًا فِي الْقُبُورِ وَالْأَغْلَالِ
 رُسُفٌ: ماشون مقيدون

وَانْقَضَى الدَّهْرُ بَيْنَ زَغَرْدَةِ الْعُرَى مِ سِ وَحَثُوِ التَّرَابِ وَالْإِغْوَالِ
 طول الزمن ونحن بين زغردة عرس وبين حثو (تثر) التراب على الرؤوس والإغوال (النوح)

مَا تَحَلَّى بِكُمْ يَسُوعُ، وَلَا كُنْتُ لَا لِسَطَةَ وَدِينِهِ بِجَمَالِ
 لا يسوع ازدان بكم، ولا نحن ازدان بنا الرسول ودينه

وَتَضَاعُ الْبِلَادُ بِالتَّوَمِ عَنْهَا وَتَضَاعُ الْأُمُورُ بِالْإِهْمَالِ

١٥٢ سلوا قلبي

قال شوقي في ذكرى المولد (١٩١٤):

سلوا قلبي، غداةً سلا وتاباً لعلَّ على الجمالِ لَهُ عِتابُ
أيها العاذلون اسألوا قلبي بعد أن سلا (نسي) وتاب عن الحب، فلعن لقلبي عتياً على جمال
المحبوب لكثرة ما عذب هذا الجمال قلبي

وَيُسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ ذُو صَوَابٍ فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالَ لَهُ صَوَاباً
والذي يُسأل في الشؤون المهمة هو الذي لديه صواب (عقل)، فهل ترك الجمال لقلبي صواباً (عقلاً)؟

وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْمًا تَوَلَّى الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَابُ
وكنْتُ كلُّما سألت قلبي عن السلو ونسيان المحبوب، بكيت وتولى (تكفل) دمعي الجواب بدلاً من قلبي

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌ وَلَحْمٌ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي تُكِلُّ الشَّبَابُ
ولي بين ضلوعي دم ولحم هما الواهي (الضعيف) لأنه تكل (عديم) الشباب

تَسَرَّبَ فِي الدَّمْعِ فَقُلْتُ وَلَّى وَصَفَّقَ فِي الضُّلُوعِ فَقُلْتُ ثَابُ
تسرب قلبي من خلال دموعي، فحسبت ولي (ذمبت)، ثم صفق (خفق) في ضلوعي فقلت: قد تاب
(رجع)

وَلَوْ خُلِقَتْ قُلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ لَمَا حَمَلَتْ كَمَا حَمَلَ الْعَذَابُ
وَكُلُّ بِسَاطٍ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابُ
وَلَا يُنْبِئُكَ عَنْ خُلُقِي اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصُّحَابَا
لا يخبرك عن خلق (طبع) الليالي (الزمن)، مثل الذي فقد أحبابه وأصحابه

أَخَا الدُّنْيَا! أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى تُبَدِّلُ كُلَّ أَوْتَةٍ إِهَابَا
يا أخا الدنيا (صاحبها) أرى دنياك أفعى (حين) إهاباً (جلداً)

فَمَنْ يَعْتَرِّ بِالدُّنْيَا فِئَاتِي لَيْسَتْ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الشَّبَابَا
فلمن يعتري بالدنيا أقول إني جرمت أحوالها كمن يلبس ثوباً بعد ثوب، وقد أبليت (هزأت) الشباب

لَهَا ضَحِكُ الْقِيَانِ إِلَى غَيْبِي وَلِي ضَحِكُ اللَّيْلِ إِذَا تَغَابَا
تضحك الدنيا ضحكاً مصطنعاً كما تضحك القيان (مفتيات المجالس) للغي، ولي أنا ضحك
الليل (العاقل) عتلاً يتغابي (يدعي الغباء)

جَنَّبْتُ يَرْوِضَهَا وَرَدًّا وَشَوْكًا وَذَقْتُ بِكَاسِهَا شَهْدًا وَصَابًا
 حيث في بستان الدنيا الورد والشوك، وذقت بكأسها الشهد والصاب (عصير شجر الصاب المر)

فَلَمْ أَرْ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا وَلَمْ أَرْ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابًا
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَنِّحِ الْمَالِ دَاءً وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِؤْمُصَابًا
 وَسَوَّى اللَّهُ بَيْنَكُمْ الْمَنَابَا وَوَسَّدَكُمْ مَعَ الرُّسُلِ الثَّرَابَا
 سوى الله (ورع بالتساوي) بينكم المنابا (الموت)، ووسدكم (مئدكم) مع الرسل في التراب.
 والموت نعمة نفسية لأنه يجعل القهر محدوداً بعدد، وفي البيت حُوم على هذا المعنى

وَأَرْسَلَ عَائِلًا مِنْكُمْ يَتِيمًا ذَنَا مِنْ ذِي الْجَلَالِ فَكَانَ قَابَا
 وأرسل الله من البشر عائلاً (فقيراً/ هو النبي كما وصفه القرآن) يتيمًا، ذنا من الله فكان قاب..
 (قريباً جداً: قاب قوسين)

وَكَانَ بَيَانُهُ لِلْحَقِّ مُبْلَاً وَكَانَتْ خَيُولُهُ لِلْحَقِّ غَابَا
 وكان بيان (بلاغة) الرسول مُبْلَاً (طُرُقاً) للحق، وكانت خيوله غابة يحتمي فيها الحق

وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا
 وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالنَّمْنِيِّ وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا
 غلاباً: انتزاعاً

وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا
 ما استعصى على قوم منال (هدف) إذا كان الإقدام (الشجاعة) ركابهم (وسيلة ركوبهم) فالناقة
 ركاب)

أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي بِمَدْحِكَ بَيِّدَ أَنْ لِيْ انْتِسَابَا
 يا محمد، يا أبا فاطمة الزهراء، تجاوزت قدري بأن مدحك، إلا أن لي انتساباً (صلة) بك،
 والصلة هي البلاغة التي لي منها نصيب

فَمَا عَرَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانٍ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
 ولا يعرف البلاغة صاحب بيان إلا إذا جعلك له كتاباً يستمد منه

مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَرِذْتُ قَدْرًا فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدْتُ السَّحَابَا
 مدحت المالكيين (الملوك) فارتفع قدري، وحين مدحتك انتشيت حتى لقد اقتدت (وُخِيت)
 السحب

سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
 طلبت من الله الرزق بأبناء ديني، فإن تكن يا رسول الله وسيلتي لهذا الطلب فهو سببيني. «كلمته
 في فلان» في الأساليب القديمة معناها «توسطت لفلان»، ومثلها هنا «سألت الله في أبناء ديني» وقد
 يكون شوقي قاس عليها قياساً جميلاً أو يكون أخذها عن كاتب قبله؛ وما أكثر ما عند شوقي من
 هذه الأساليب، وما أحسن ما يستعملها!

وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا
 وليس للمسلمين حصن سواك يا محمد إذا مسهم (حل بهم) الضر (الأنى) وبابهم (اتناهم)

١٥٣ الباقيات حين ينقطع البكا

قال شوقي يرثي مصطفى فهمي باشا (١٩١٤):

أَبَا الْبَنَاتِ! رُزِقْتَهُنَّ كَرَاماً وَرُزِقَتْ فِي أَصْهَارِكَ الْكُرَمَاءُ
 يا أبا البنات قد رزقتهن كريمات، ورزقت رزقاً آخر يمثل في أزواجهن الكرماء
 إِنَّ الْبَنَاتِ ذَخَائِرٌ مِنْ رَحْمَةٍ وَكَنُوزٌ حَبٌّ صَادِقٍ وَوَفَاءٍ
 البنات ذخائر (كنوز) من الرحمة..

وَالسَاهِرَاتُ لِعِلَّةٍ أَوْ كَبْرَةٍ وَالصَّابِرَاتُ لَشِدَّةٍ وَبَلَاءٍ
 ومن الساهرات عليك لعلة (لمرض) تحيق بك أو كبرة (شيخوخة) ..

وَالْبَاكِيَاتُكُ حِينَ يَنْقَطِعُ الْبُكََا وَالزَّائِرَاتُكَ فِي الْعَرَاءِ النَّائِي
 ومن الباقيات إليك حين تجف دموع الآخرين، والزائرات إليك في العراء النائي (البرية البعيدة) ..
 (في مكان دفنك)

عُذْرًا لَهُنَّ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى وَطَلِبْنَ عِنْدَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزَائٍ
 اطلب لهن العذر إذا ذهبن مع الأسى، وطلبن المزاء بذرف الدموع
 مَا كُلُّ ذِي وَلَدٍ بِسَمَى وَالِدَا كَمْ مِنْ أَبٍ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 لكن الأب نفسه قد لا يكون جديراً بالأبوة، فمن الآباء من هو كالصخرة الصماء (الصلدة)

١٥٤ أسخطوا الله ولم يرضوا البشر

قال شوقي ينمى على الطلبة جنوحهم للانتحار (١٩١٥):

رَوَّحُوا الْقَلْبَ بِلَذَّاتِ الصَّبَا فَكَفَى الشَّيْبُ مَجَالاً لِلْكَدَرِ
 رَوَّحُوا القلب (رَفَّحُوا عنه) بمتع الشباب، ففى الشيب الذي سيحل بكم ما يكفي من الكدر (الكتابة)

واطلبوا العلم لذات العلم، لا لشهادات وآراب أخر

اطلبوا العلم لذاته، لا للشهادات وللآراب (الأهداف) الأخرى

كَمْ غلام خامل في درسي صار بحر العلم أستاذ العُصُر
كثيراً ما يجد صيّا خاملاً في دروس المدرسة، ثم إذا به يصير بحر العلم وأستاذ العُصُر (الزمن)

ومُجِدُّ فيه أمسى خاملاً ليس فيمن غاب أو فيمن حَضَرَ
وكثيراً ما يجد مجتهداً في الدرس صار خاملاً.. لا هو مملود في الغائين ولا في الحاضرين

قَاتِلُ النَفْسِ، ولو كانت له، أَسْخَطَ اللَّهَ ولم يُرْضِ البَشَرَ

والمُتَعَرِّ - وإن تكن نفسه ملكه - يَسْخَطُ الله، ولا يرضي البشر

١٥٥ أخت الحوت

قال شوقي في إغراق خواصة ألمانية الباخرة لوزنانيا (أغرقت ١٩١٥):

وَدَّبَابَةٌ تَحْتَ الْعُجَابِ بِمَكْمَنِ آمِينَ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا

رَبُّ دَبَابَةٍ (بهيمة تدب).. لكنها تدب تحت العُجَاب (المرج) في مَكْمَنٍ (مخبأ) آمين، ترى الساري (السائر) ولا يراها

وكانت الدبابة، ذلك السلاح، اختراعاً جديداً في عام ١٩١٥، ورآها العرب في بلادهم مع قدوم جيوش الاستعمار بعد سنة ١٩١٨، ووصفها شوقي في رثائه عمر المختار ١٩٣١ وسماها بالاسم الإنجليزي «التنك»، واستخدم اللفظ نفسه «التنك» الشاعر القروي عام ١٩٢٥ في وصف هجوم سلطان باشا الأطرش على التنك الفرنسي. فدَبَابَةٌ شوقي في هذا البيت ليست ذلك «السلاح المعروف» كما قال بعض الشارحين

هِيَ الْحَوْتُ، أَوْ فِي الْحَوْتِ مِنْهَا مَثَابَةٌ قَلَوُ كَانَ فُولَاذًا لَكَانَ أَخَاهَا

هي الحوت، أو لنقل: في الحوت منها مثابة (مواضع شبه)، فلو كان جسم الحوت من الفولاذ لكان أخاهما

خَوْوَنٌ إِذَا غَاصَتْ، غَدُورٌ إِذَا طَلَفَتْ مُلْمَعَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُرَاهَا

الفواصة خَوْوَنٌ (خاتنة) إذا غاصت وغدور (غادرة) إذا طلفت فوق الماء، وملْمَعَةٌ (ملعونة) في سباحتها وفي سراها (سيراها)

فَلَا كَانَ بَانِيهَا، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَا وَحَوَاهَا

فلتب انعدم من الوجود بانيها وركبها (راكبوها) والبحر الذي يضمها

وَأُفَّ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي تَدْعُوهُ إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النَّفْسِ رَدَاهَا

وأفَّ على العلم الذي يدعيه الغرب إذا كان علم الناس سبياً في ردهم (هلاكهم)

١٥٦ ولقد ولدت يباب إسماعيل

قال شوقي يهنئ حسين كامل بتولية الحكم سلطاناً، ويقول زكي مبارك إن هذه القصيدة هي التي سببت نفي شوقي إلى إسبانيا بعد نشرها بأسبوعين، (١٩١٥):

الْمُلْكُ فَيَكُنْ آلُ إِسْمَاعِيلَا لَا زَالَ بَيْتُكُمْ يُظَلُّ النَّيْلَا
الملك باق فيكم يا آل الخديوي إسماعيل (والسلطان الجديد ابن إسماعيل)، وأدعو أن يبقى بيتكم
المالك بظلل مصر

هذي أصولُكُمْ وتلكَ فروغُكُمْ جاء الصَّمِيمُ مِنَ الصَّمِيمِ بَدِيلَا
إسماعيل أصل والسلطان الجديد ابنه، والخديوي المعزول عباس حلمي فرع منه (حفيدة)، فانت يا
حسين كامل وعباس حلمي كلاكما صميم (أصيل)

النَّيْلُ إِنْ أَحْصَى لَكُمْ حَسَنَاتِكُمْ مَلَأَ الزَّمَانَ مَحَاسِنًا وَالْجِيلَا
أحبا أبوكُم شاطِئِيهِ، وابتنى مجداً لمصرَ على الزمانِ أثيلا
أبوكم: الخديوي إسماعيل، أثيل: أصيل

نَشَرَ الحَضَارَةَ فَوْقَ مِصْرَ وَسُورِيَا وَامْتَدَّ ظِلًّا لِلْحِجَازِ قَلِيلَا
حفظَ الإلهُ على الكنانة عرشَهَا وَأَدَامَ مِنْكُمْ لِلْهَلَالِ كَفِيلَا
حفظ الله للكنانة (مصر) عرش أسرتكم، وأدامكم كغلاء للهِلال (الهِلال كان يتوسط علم مصر آنذاك)

أَأَخُونُ إِسْمَاعِيلَ فِي أَبْنَائِهِ وَلَقَدْ وَلَدْتُ بِبَابِ إِسْمَاعِيلَا
كان والد شوقي يعمل في حاشية الخديوي إسماعيل عند مولد شوقي؛ وكان شوقي في شبابه مقرباً
من الخديوي توفيق ثم من الخديوي عباس حلمي؛ والآن بعد عزل عباس حلمي يقول شوقي لخلفه
إنه سيواصل الولاء للأسرة المالكة لأنه ولد يباب إسماعيل والسلطان الجديد هو ابن إسماعيل بينما
المعزول حفيدة

وَلَيْسَتْ نِعْمَتُهُ وَنِعْمَةٌ بَيْتِهِ فَلَيْسَتْ جَزْلاً وَارْتَدَيْتُ جَمِيلَا
الجزل: الكثير

يَا أَكْرَمَ الْأَعْمَامِ حَسْبُكَ أَنْ نَرَى لِلْمُعْبَرَتَيْنِ بِوَجْهَتَيْكَ مَسِيلَا
أيها السلطان الجديد، وهو عمّ الخديوي المخلوع، يكفي أن نرى للعبرتين (الدمعتين) بوجهتيك
(بخليتك) مسيلاً

مِنْ عَثْرَةِ ابْنِ أَخِيكَ تَبْكِي رَحْمَةً وَمِنْ الْخُشُوعِ لِمَنْ حَبَاكَ جَزِيلَا
تبكي من عثرة (نكبة) ابن أخيك راحماً إياه، وتبكي أيضاً من الخشوع المفروض عليك للإنجليز
الذي حبوك (أعطوك) جاء جزيلاً وهو السلطة

هل كان ذلك العهد إلّا موقفاً للسلطتين وللبلاد وبسبب

وهل كان العهد الماضي سوى موقف ويل (ثقل مزيج) للسلتين (الخدوي والإنجليز)؟

وانفضّ ملعبه وشاهدته، على أن الرواية لم تَنِمْ فُصولاً

وانفض ملعب (مسرح) العهد الماضي وشاهده (المخرج)، على أن (ولكن) الرواية لم تنم مفصلاً. لا نظن أن هذه القصيدة كانت سبباً في نفي أحمد شوقي إلى إسبانيا، رغم ما فيها من إشارات تقدح في الإنجليز، فشوقي قد نفي في عصبة من الرجال. تفتح وعي شوقي وهو في الرابعة عشرة على الإنجليز يحتلون مصر، مع بقائها إسمياً جزءاً من الدولة العثمانية. ولكن عاطفته اتجهت نحو الخديوي توفيق بتأثير جو بيته، فقد كان أبوه في المعية الخديوية كاتباً أو حاسباً أو نحو ذلك. وحقد شوقي، ولداً غراً، على عرابي ورفاقه الذين شاقوا الخديوي قبل الاحتلال، وتصدوا للاحتلال وفشلوا في درته، وظل شوقي على موقفه من عرابي، ربما عناداً. ومات الخديوي توفيق الذي كان يحاسب الإنجليز بعد عشر سنوات (١٨٩٢)، وتولى عباس حلمي الذي كان أصغر من شوقي بضع سنوات. وكان يتحمل من نفوذ الإنجليز المتعاطف. وكان شوقي يتحمل معه، فهو شاعره. وبعد اثنتين وعشرين سنة مليئة بالمنازع لعباس حلمي وبالغمز من الإنجليز قامت الحرب العالمية الأولى. وكان الخديوي آنذا في إستانبول. وإستانبول في هذه الحرب في صف ألمانيا والنمسا، ضد إنجلترا وفرنسا. قررت إنجلترا أنه آن الأوان لفصل مصر عن جسم الدولة العثمانية. ف عزلت الخديوي عباس حلمي فبقي في إستانبول، وهنت عمه حسين كامل ولقبته بالسلطان. وفي هذا اللقب إشارة واضحة إلى تغير في وضع مصر من ناحية ارتباطها بإستانبول. كان شوقي في هذه الأيام في إستانبول وكان يلتقي الخديوي المعزول باستمرار ولا سيما بعد تعرضه لاعتداء بالرصاص وإصابته بجراح. وقد حاول شوقي تغيير زيارة يقوم بها الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد للخديوي، ولكنه لم يفلح في مساعاه. وعاد شوقي إلى مصر ونشر قصيدته هذه في تهنته سلطان مصر الجديد حسين كامل. ولكن الإنجليز كانوا قد قرروا إبعاد عدد كبير من المصريين البارزين من أعوان الخديوي المعزول. وبعبارة شكيب أرسلان: «دفع الإنجليز إلى مألطة جماً غفيراً وأزعجوا آخرين إلى أوروبا وكان فيمن أزعج من بلاده إلى أوروبا أحمد شوقي فانتجع إسبانية، وناح على الأندلس، ولكنه غفّض في عيشة راضية، وبشة هادئة، ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أن انطفأت نار الحرب». ويحدثنا حسين أحمد شوقي، ابن الشاعر، في كتابه «أبي شوقي» أن الأسرة ذهبت بأفرادها السنة ومعها أربعة من الخدم إلى المنفى

شاعر الأمة

في هذا الفصل شعر شوقي في منفاه، وبعد منفاه إلى حين وفاته عام ١٩٣٢. وكانت فترة خصبة في حياته الشعرية، تحلل فيها من الارتباط الوثيق بالحاكم، فمير عن الأمة: المصرية، والعربية (وهذا جديد هذه المرحلة)، والإسلامية

١٥٧ يا نائح الطلح

قال شوقي في مظه في إسبانيا (١٩١٥):

يا نائحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهُ عَوادِينَا نَسْجَى لَوادِيكَ أَوْ نَأْسَى لَوادِينَا

يا ذُكْرَ الحمام، أيها النائح بوادي الطلح (وادي إشبيلية فيه شجر الطلح) أشباه (متشابهة) عوادينا (مصاندا)، فهل تسجى (تحزن) لواديك، وادي الطلح، أم نأسى (تحزن) لوادينا، وادي النيل؟

ماذا تَقْصُصُ عَلَيْنَا؟ غَيْرَ أَنْ يَدَأَ قَصَصْتَ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَائِينَا

ماذا تخبرنا؟ سوى أن اليد التي قصت جناحك (فخرج العرب من الأندلس) هي التي هبت بجوانب وطننا. والغرب عند شوقي أمة واحدة، وعداوتهم للشرق والمسلمين متصلة منذ الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في إسبانيا، إلى الحرب العالمية الأولى التي كانت مشتعلة وقت هذه القصيدة وانجلى غبارها عن هدم دولة الخلافة العثمانية

كُلُّ رَمْتُهُ النُّوَى، رِيَشَ الْفِرَاقِ لَنَا سَهْمًا، وَسُلَّ عَلَيْكَ الْبَيْتُ سِجِّينَا

كل من رمته (أصابته) النوى (الفراق)، فالفراق كان سهماً ريش (ذئبل بالريش) لبيتنا نحن، والين (الفراق) سُلَّ ميكناً عليك أنت

فَإِنْ يَكُ الْجِنْسُ، يَا ابْنَ الطَّلَحِ، فَرَقْنَا إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَ الْمُصَابِينَا

فإن كان الجنس يا ساكن وادي الطلح فرقنا (فأنت من جنس الحمام، ونحن من البشر) فالمصائب تجمع المصابين بها

لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ كَالْخَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لِدَارِينَا

لم نسر (ما سرينا ومشينا) من حرم (مكان مقدس/ وادي النيل) إلا لنحل حرمًا في الأندلس، فنحن كالخمر نقلت من بابل بالعراق إلى دارين بالبحرين، وكلاهما موطن للخمر الجيدة

لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نَسَخَتُهُ نِمَائِلَ الْوَرْدِ خَيْرِيًّا وَنَسْرِينَا

عندما نبا عنا (ابتعد) الخلد (الجنة)، أي مصر، نابت عنه نسخة منه في الأندلس، والخيري (المتور الأصفر) يمائل النرين (الورد الأبيض)

نَسَقِي نَرَاهُمْ ثَنَاءً، كُلَّمَا نُثِرَتْ دُمُوعُنَا نُظِمَتْ مِنْهَا مَسْرَائِينَا

نسقي تراب أهل الأندلس القدياء بشتاتنا، وكلما انتشرت الدموع من عيوننا نثرًا نظمناها نظمًا في قصائد رثاء

كَادَتْ عَيُونُ قَوَافِينَا تُحَرِّكُهُ وَكَذَنْ يَوْقُظَنَّ فِي الثُّرْبِ السَّلَاطِينَا

كادت عيون قوافينا (قصائدنا الجيدة) تحرك التراب، وكادت توقظ السلاطين المدفونين في هذا التراب

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في النائبات، فلم يأخذ بأيدينا

النائبات: المصائب

ونابغي كأن الحشر آخره ثمينا فيه ذكراكم وتحيينا

ورب ناعي (أي ليل مخيف طويل كليل الشاعر النابغة) كأنه يقضي إلى الحشر (يوم القيامة)، كانت فيه ذكراكم أيها الأحبة بمصر تمينا حزناً ثم تحيينا أملاً

نطوي دجاء بجرح من فراقكم يكاد في غلس الأسحار يطوبنا

نقصي الوقت في دجى هذا الليل وفينا جرح من فراقكم يكاد في غلس (ظلمة) الأسحار (أواخر الليل) يطوبنا (يقتلنا)

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن بيد الثنيت غاليها

نحن اليواقيت (أحجار الياقوت) التي خاض النار جوهرها (حجرها الأصلي)، والنار هي المنفى، ولم نهن (نرخس) اليواقيت الغالية بالثنيت بل تجوهرت به

ولا يحول لنا صبغ ولا خلُق إذا تلون كالجرباء شائنا

ولا يحول (يتغير) لنا صبغ (لون) ولا خلُق، في حين يتلون كالجرباء شائنا (كارهنا)

لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا

المعنى الملموح: لم تنزل الشمس برج الميزان (لتصف النهار)، ولا ارتقت عرشاً في ملكها الضخم، الذي هو العالم كله، يشبه وادي النيل

وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل القياصير دناها قرايعنا

والأرض سهلاً وجبلها، قبل عهد قياصرة الرومان دناها (أخضعناها) في عهد الفراعنة

ولم يَضغ حجراً بان على حجر في الأرض إلا على آثار بائنا

ولم يبن أحد في الأرض بناء إلا على آثار (تالياً لـ) بائنا الفرعوني

كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر، لا بُنيان فائنا

فكان الأهرام جدار رفعته يد الزمن، وليس من بناء الإنس الفانين

١٥٨ كل ميت أخوك

قال شوقي في مصرع اللورد كشر (١٩١٦):

كلّ محمول على النعش أخ لك، صافٍ وُثّه بعد الكدر

إن تكن مسلماً له لم ينتفع لو تكن حرباً فقد فات الضرر

سليماً له: مسالماً إياه، حرباً عليه: محارباً إياه

وإذا الموتُ إلى النفسِ مشى وركبتِ النجمَ، بالموتِ عَثَرُ
إذا جاءك الموت وأردت الهروب منه فركبت النجم؛ فإن النجم، وهو الذي لا يتعرّ شيء، يجد نفسه قد تعرّ بالموت

رُبَّ ثَاوٍ فِي الطَّبِئِ مُنْتَزِعٍ سَلَّهَ الْمِقْدَارُ مِنْ جَفْنِ الْحَذَرِ
رب ثاوٍ (قايح) داخل طوق من الطَّيِّ (نصال السيوف) ممتنع (محتّم) استلّه المقدار (القدر)، وأخذته الموت من جفن الحذر
ودجفن الحذر هذه يعرف يقولها أبو تمام وشوقي والمتنبي. هي من شوقي بديعة، وإن يكن لها عند أبي الطيب أصل

١٥٩ زواج الزنى

قال شوقي في زواج الكبار بصغيرات (١٩١٦):

الْمَالُ حَلَّلَ كُلَّ غَيْرٍ مُحَلَّلٍ حَتَّى زَوَّاجِ الشَّيْبِ بِالْأَبْكَارِ
الشَّيْبُ: الرجال الشائبون، الأبكار: العذارى

سَحَرَ الْقُلُوبَ، قَرَّبَ أُمَّ قَلْبُهَا مِنْ سِخْرِهِ حَجَرٌ مِنَ الْأَحْجَارِ
العمال سحر القلوب، قرب أم حوّل هذا السحر قلبها إلى حجر

دَفَعَتْ بُنْيَتَهَا لِأَشَامٍ مَضْجَعٍ وَرَكَتْ بِهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارِ
دفعت هذه الأم بابنتها لمضجع (سرير) مشووم، ورمتها في غربة وأسر مع هذا العجوز

وَتَعَلَّلْتُ بِالشَّرْعِ، قُلْتُ: كَذَبْتِهِ مَا كَانَ شَرْعُ اللَّهِ بِالْجَزَائِرِ
وتعللت (تججبت) الأم بالشرع، وأقول لها: كذبت على الشرع في تأويلاتك، فليس شرع الله جزائراً

مَا زُوِّجَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا بَيْعُ الْمُبَا وَالْحُسْنُ بِالذَّيْنَارِ
بعض الزّوَّاجِ مُذْمَمٌ، مَا بِالزَّيْنِ وَالرَّقْ، إِنْ قَبِيسَا بِهِ، مِنْ هَارِ
بعض الزواج مذمّم (مذموم)، ولكثرة ما به من العار فلو قبس به الزنى والرق (المودبة) لما رأينا بهما عاراً

فَتَشْتُ، لَمْ أَرِ فِي الزَّوَّاجِ كِفَاءَةً كِكِفَاءَةِ الْأَزْوَاجِ فِي الْأَعْمَارِ

الكفاءة في الزواج: مفهوم فقهي يجعل النسب والمال المقياس الأهم لتكافؤ الزوجين، وشوقي يرى التقارب في العمر خير معيار للكفاءة. هذا لا يعني أن شوقي كان ضد الزواج المبكر للفتاة، فقد زوج ابنته أمينة وهي دون الخامسة عشرة من عمرها حسبما أخبرتنا أخوها حسين في كتابه «أبي شوقي»

١٦٠ رثاء شكسبير

قال شوقي في ذكرى ٣٠٠ سنة على وفاة شكسبير، (١٩١٦):

أعلى الممالك ما كَرَّمِيَهُ الماءُ وما دَعَامَتُهُ بِالْحَقِّ شَمَاءُ

أعلى الدول ما كان كرميه (عرشه) على الماء، وما كانت دعامة عرشه شماء (عالية) بالحق. وإنجلترا كانت سيدة البحار (في عهد شوقي، وقبله بثلاثمائة سنة أيضاً في عهد شكسبير الذي شهد الأرمادا وسيطرة إنجلترا على البحار)

دستورُهُمْ عَجَبُ الدُّنْيَا، وشاعِرُهُمْ يَدُّ عَلَى خَلْقِهِ لَوَّ بِبِضَاءِ

دستور الإنجليز، وهو غير مدون في صورة دستور كبقية البلاد، من الأعاجيب، وشاعره يد بياضه لله (نعمته منه) على خلقه

نالَتْ به وَحْدَهُ إِنِجِلْتِرا شَرَفاً ما لَمْ تَنْلُ بالنجومِ الكُثْرِ جِوزاءُ

شَرَفَتْ إنجلترا بشكسبير أكثر مما شَرَفَ برج الجوزاء بنجمه

لَمْ تُكْشَفِ النَّفْسُ لَوْلَاهُ، ولا بُلِيَتْ لَهَا سرائِرُ لا تُحْصَى وأهواءُ

لولا شكسبير لما كُشِفَتْ حقائق النفس البشرية، ولا بُلِيَتْ (اُخْبِرَتْ) سرائر (خفايا) النفس وأهواءها التي لا تحصى. قد طالبني الصديق الشاعر عمران القفيني أن أثبت ههنا شيئاً عن شكسبير وما أودع مسرحياته من تدسس في خبايا النفس البشرية. وقد صنعت بعض ذلك في شرحي لقصيدته حافظ إبراهيم في ذكرى شكسبير، القطعة رقم ٥٠ في باب حافظ إبراهيم، ولن أكرر نفسي هنا، بل أنقط طرف خيوط تركته هناك: مسرح شكسبير شعري، ويحس به أهل اللغة الإنجليزية، ويقطفون تسعين بالمئة من حلاوته، وأما نحن فنفهم القصة والمغزى فهذه عشرة بالمئة نستمتع بها. رأيتنا عندما لخص لنا المنفلوطي مسرحية يوليوس قيصر بلغته المنفلوطية ههنا بتلخيصه هيأماً، وطربنا لشعر المذنب، وبيانه العربي. نعم، عزيزي عمران، شكسبير مشهور بأنه كان يتغلغل في حوافط ومصالح البشر، ويكشف عن دوافعهم، وخصوصاً ما كان منها دنيئاً شريئاً، وتتميز بهذا من كتاب مسرحيين كثر في زمنه وبعد زمنه انصرفوا إلى عناصر أخرى كالحبكة والمفاجأة والإثارة

شِعْرٌ مِنَ النَّسَقِ الْأَعْلَى يُؤَيِّدُهُ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ إِلَهَامٌ وَإِيحَاءُ

شعر من النسق (النظم) الأعلى (الأرقى) يرفده إلهام إلهي

بِمَنْ أَمَاتَكَ قُلْ لِي: كَيْفَ جُمُجُمَةٌ غِبْرَاءُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ جَوْفَاءُ

بحق الله الذي أَمَاتَكَ قل لي: جمعيتك هذه التي أصبحت مغبرة مجوفة مدفونة في التراب..

كانت سماء بيانٍ غيرَ مُقْلَعَةٍ شُؤْبُوبُهَا عَسَلٌ صَافٍ وَصُفْبَاءُ
 كيف كانت هذه الجمجمة سماء بلاغة غير مقلمة (لا يتقطع مطرها)، وكان شؤبوبها (مطرها) عسلاً
 وخمراً تعليق عمران القفيني: (في مارس/ آذار ٢٠١٦، اكتشفوا بعد مسح بالرادار أن جمجمة شكسبير
 سرقت من قبره المكتوب عليه بيتان لأديب إنجلترا الأشهر أحدهما «ملعون من حرك عظامي»
 والناس صِنْفَانِ: موتى في حياتِهِمْ وَآخَرُونَ ببطنِ الأرضِ أحياءُ
 لأموكَ في جَمَلِكَ الإنسان ذَنْبٌ دَمَ واليومَ تبدلو لهم مِنْ ذاكَ أشياءُ
 كانوا يلوموكَ لأنك صورت الإنسان ذنباً مَظْمُناً للدم؛ واليوم - وكانت الحرب العالمية الأولى
 في أوجها - تبدلو لهم أشياء مما كنت قلت

١٦١ دول العرب وعظماء الإسلام

قال شوقي من أرجوزة «دول العرب وعظماء الإسلام» وهي أرجوزة تاريخية طويلة من
 مزدوج الرجز، ونظمها في مقام ياسبانيا (بلغت أبياتها ١٥٢٦ بيتاً):
 الحمدُ لِلَّهِ القديمِ الباقي ذي العرشِ، والسَّبعِ العُلَى الطَّباقِ
 الطباق: طبقات السماوات

وأفضلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ على أَجَلِ رُسُلِ السَّلَامِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَعَرْشِهِ السَّابِحِ فِي أَسْمَائِهِ
 صلى على النبي عرش الله الذي يسبح في أسمائه الحسنى

لما رمى الله بهذي الحربِ على بني الشَّرْقِ وأهلِ الغَرْبِ
 وكانت الحرب العالمية الأولى مستمرة وقت قلت الأرجوزة

تَحَرَّكَتْ سَوَاكِنُ الْأَقْدَارِ وَأَطْرَدَتْ عَوَامِلُ الْأَكْثَادِ
 تحركت من الأقدار ما كان ساكناً، واطردت (تتابعت) أسباب الأقدار (المنقصات)

وَحَسَّكُمْ اللَّهُ بِهَجْرَةِ الْوَطَنِ وَطَالَمَا ابْتَلَى بِهَا أَهْلَ الْفُطُنِ
 حكم الله علي بأن أهاجر عن مصر، والهجرة كثيراً ما ابتلى الله بها أهل الفطن (النابيين)

فَكُنْتُ أَسْتَعْدِي عَلَى الْهُمُومِ بِنَاتِ فِكْرِ لَيْسَ بِالْمَلُومِ
 فكت في مهجري أستعدي (أستعين) على الهموم بنات فكر ليس بالملوم (فكر مشنت)

أَسْتَذِفُ الْفِرَاقَ وَالْعَطَالََةَ، وَيَطْلُ مَنْ يَقْتُلُ الْبِطَالََةَ
 استذفع (أبعد) نسيح الفراق والعطالة (قلة العمل)، وإنه ليطل من يستطيع قتل البطالة

حَنِى أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ تَنْظُمْتَ مِنْ سِيرِ الرِّجَالِ مَا اسْتَعْظَمْتَ

نظمت سير (قصص حياة) الرجال الذين استعظمتهم (عظمتهم عظماء)

وَاخْتَرْتُ بَحْرًا وَاسِعًا مِنَ الرَّجْزِ قَدْ زَعَمُوهُ مَرْكَبًا لِمَنْ عَجَزَ

اخترت بحر الرجز للنظم وفيه جوازات كثيرة وسعة، وزعموا أنه مركب سهل للعاجز. أما سماء الأقدمون حمار الشعراء؟

يَرَوْنَ زَايَا وَأَرَى خِلَافَةَ الْكَأْسِ لَا تُقَوِّمُ السُّلَاقَةَ

ورأي غير رأيهم، فالكأس لا تقوم (تحدد قيمة) السلاقة (الخمر)، وكذا فالبحر الشعري لا يحدد قيمة معنى الشعر

وَقِيَمَةُ اللَّوْلُوِّ فِي النُّحُورِ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِالْبُحُورِ

واللؤلؤ وهو في نحور (أعناق) الحسان يقوّم بنفسه وليس بالبحور التي منها أتى. و«البحور» هذه عذبة. إن جازت على البحور العذوبة - فهي «البحور» التي أتى منها اللؤلؤ، لكنها أيضاً «بحور» الشعر

شِعْرٌ لَزِمْتُ فِيهِ مَا لَا يَلْزَمُ وَتَرَكْتُهُ أَلِيقَ بِي وَأَحْزَمُ

ولزمت في شعري ما لا يلزم، وكان أحزم لي (أكثر حصافة) ألا أقبل ذلك. وشوقي التزم بحرني روي بدل حرف واحد كما ترى

وَمَا أَيْسَتْ مِنْ كَرِيمٍ يُغْضِي وَلَا أَيْسَتْ حَاسِدًا ذَا بُغْضٍ

وما أيس (يسر) من وجود كريم يغضي (يتجاهل) على أغلاطي، كما أنني لم أكن حاسداً مبغضاً

رُبَّ لِسَانٍ جَمَعَ الْأَقْوَامَ وَكَانَ كَالْجَنَسِ لَهُمْ قِيَامًا

رب لسان (لغة) جمع شمل الأقوام وكان لهم قيوماً كالعرق، وهذا اللسان هو اللغة العربية

وَقَدْ حَبَاهُ اللّٰهُ بِالْجَزِيلِ وَاخْتَارَهُ لِلْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ

هذا اللسان حباه الله بالجزيل (الكثير)، واختاره للوحي والتنزيل (القرآن)

لِسَانُكَ الْأَوَّلُ فِي الْكُتَابِ وَلِغَةُ الْمَبُوءَةِ وَالْمِتَابِ

لسانك (لنتك) الأول في الكتاب (المدونة)، ولغة المبوءة (الشوق) والكتاب.

لَا نَرْضَ مِنْهُ مَبْلَغَ الرُّعَاعِ وَحِصَّةَ الْأَعْمَى مِنَ الشُّعَاعِ

.. هذا اللسان لا ترض أن تقف في إتقانه عند مبلغ (مستوى) الرعاع (الجهلة)، ولا تكتب منه حصّة تشبه حصّة الأعمى من النور

النَّفْسُ تَرْجُو هِمَّةَ الْخُلُودِ فِي الْعِلْمِ وَالْبُنْيَانِ وَالْمَوْلُودِ

النفس تطمح إلى الخلود: بالعلم الذي تورثه للأجيال، وبالبنيان الشامخ الذي يجلد الذكر، وبالأولاد الذين يعيون ذكر آبائهم

تَوَهَّمُ الْحَيَاةَ بَعْدَ مَوْتٍ وَتَزَعُمُ الْوُجُودَانَ بَعْدَ فُوتٍ
وتوهم النفس وجود حياة بعد الموت، وتزعم أن هناك وجوداً (وجوداً) بعد الموت (فوات
الأوان)

ضَاقَتْ عَلَى النَّوَائِغِ الْأَجَالَ فَكَانَ فِي الذِّكْرِ لَهُمْ مَجَالٌ
ضاقت على النوايغ آجالهم (أعمارهم)، فكان خلود الذكر مجالاً لإطالة العمر

انْظُرْ إِلَى الْأَبَاءِ كَيْفَ هَامُوا بِالْخُلْدِ، وَاحْتَالَتْ لَهُ الْأَفْهَامُ
انظر كيف هام القدماء بالخلود، وكيف احتالت أفهامهم (عقولهم) لتخليد ذكروهم

مَنْ دَرَسَ التَّارِيخَ أَوْ مَنْ دَرَسَهُ يَمُضِي الزَّمَانُ وَهُمَا فِي الْمَدْرَسَةِ
لَا يَبْلُغَانِ فِي الْكِتَابِ غَايَةً وَلَا الْكِتَابُ بِالْغُ النَّهَائَةَ
إِيَّاكَ وَالْمَوْرُخُ الْمِقْصَا مَا كُلُّ مَنْ قَصَّرَ فَقَدْ تَقْصَى

احضر المورخ الذي يقتطع الأحداث كالمقص بلا تثبت، وما كل من قصر (روى) قد
تقصى (تحقق). وفي زمننا هذا صار للمقص معنى آخر مع دخول ثقافة القصص
واللزق، ولعل شوقي كان سيقول في الأكاديمي الذي يللم بحوثه من أروا مواقع
الإنترنت: (ذاك الذي يقص ثم يلزق/ مُقَوِّلُ المنتديات المزق/ أَكْبَلُ ما قد حَرَّثُوا
وَعَرَّثُوا/ أَوْ لَاحِضُ الَّذِي بِهَا قَدْ بَزَقُوا/ بَوْمٌ بغير صوته يزقزق)

مَضَى أَبُو بَكْرٍ، وَوَلَّاهَا عُمَرُ الشَّمْسُ لَا تُخَلْفُ إِلَّا بِالْقَمَرِ
ذهب أبو بكر الصديق وولّى الخلافة عمر، والشمس لا يخلفها إلا القمر

وَلَا تُثَبُّ فِي مَلِكِهِمْ رُحَبَانٌ وَالْفُلُكُ حَيْثُ سَاقَهَا الرُّبَّانُ
الولاة الذين ولّاهم عمر فقراء غنيقون كالرهبان، والفلوك (السفينة) تذهب إلى حيث يسوقها
الربان، فهم كالسفينة وعمر كالربان

أَمَّا الْإِمَامُ فَالْأَغَرُّ الْهَادِي حَامِي عَرِيْنِ الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
الإمام علي بن أبي طالب هو الأغر (المشرق) الهادي، حامي عرين (بيت الأسد) الحق والجهاد

لَوْ صَانَعَ الْإِمَامُ أَوْ تَأَنَّى مَا بَلَغَ الشَّامِيَّ مَا تَمْنَى
لو كان علي صانع (داري) أو تمهل، لما بلغ الشامي (معاوية والي الشام) ما تمنى

وَقِيلَ إِنَّ عِلْمَ مَا لَهْ أَنْتَهَاءٌ لَمْ يَجِرْ فِيهِ الرَّأْيُ وَالذَّهَاءُ
وقيل إن علم علي غزير لا نهاية له، ولكن هذا العلم لم يجر معه في تياره رأي ودهاء

١٦٢ حال الغريب

قال شوقي في مثفه:

قالت: تَغَرَّبَتِ الرجالُ، فقلتُ: في ضَيْمٍ أُرِيدَ بجاني فابَيْتُهُ
قالت: تعربت الرجال فقلت: ذلك في (بسبب) ضيم (ظلم) أريد إلحاقه بجاني (بي) فأبيته
(فرفضته)

قالت: أَخِفَّتِ الموتُ، قلتُ: أَثْقِلْتُ أَنَا مِنْ حَبَائِلِهِ إِذَا مَا خَفَّتُهُ؟

حباؤه: مصائله

قالت: لَقَدْ شِمَّتِ الحسودُ، فقلتُ: لَوْ دَامَ الزمانُ لِشامِتٍ لَحَفِلْتُهُ

لحفلة: لحفلت به

قالت: كَأَنِّي بِالْهَجَاءِ قَلَّادٌ سارث، فقلتُ: هَمِثْتُ، ثم تَرَكْتُهُ

قلاد: عقود (وكانوا يشبهون القصاد بالعمود التي يرتديها الممدوح أو المهجو فتظل معلقة بعنقه)

١٦٣ المال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في مثفه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة:

«يا مال! الدنيا أنت، والناس حيث كنت. حالك وحال الناس عجب، تَمْلِكُهُمْ مِنْ
المهْدُ، ويقولون أَصَبْنَا وَمَلَكْنَا؛ وَتَرْتَهُمْ عِنْدَ اللَمَدِ، ويقولون وَرَثْنَا وَتَرَكْنَا؛ مَنْ عَاشَ
فَوُؤِمُوهُ بِمَا مَلَكَ، وَمَنْ مَلَكَ تَسَامَلُوا تَحْمُ تَرَكْ؟ المحرومُ مَنْ أَوْثَقَكَ، والضائعُ مَنْ
أُطْلِقَكَ، وهما فقيران: مَنْ جَمَعَكَ وَمَنْ قَرَّقَكَ. كثيرُكَ هَمٌّ، وقليلُكَ هَمٌّ، وَمَعَ
التوسُّطِ الخوفُ والطمعُ، والحرصُ والجشعُ، حَقَرَ التَّعَاذُ، ورغبةٌ في الازديادِ.
الملكُ شوقٌ إِذَا نَزَلَ إِلَيْكَ، والشُّوقُ مَلِكٌ إِذَا عَلَا عَلَيْكَ. فبِحَافٍ مَنْ قَهَرَ بِكَ
الْخُلُقُ، وقَهَرَكَ بِرِجَالِ الْخُلُقِ».

١٦٤ الجمال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في مثفه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة، وهذه القطعة كانت تغلي في رأس
شوقي غلباناً، لأنه يعمق «الجمال» فجاءت من بين أخواتها في الكتاب.. غير مسجوعة،
وقد سودناها لك كي تتمتع بهذا النثر الذي جل عن السجع فصار كأنه الشعر (بين
١٩١٥ و١٩١٩):

«جمعت الطبيعة حبرتها فكانت الجمال. وكان أحسنه وأشرقه ما حلّ في الهيكل الأدبي، وجاور العقل الشريف والنفس اللطيفة والحياة الشاهرة. فالجمال البشري سيد الجمال كله، لا المثال البارغ استطاع أن يخلقه على الدمي الجسان، ولا للتيرات الزهر في ليالي الصحراء ما له من لمحة وبهاء، ولا لبديع الزهر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشة وطيب. وليس الجمال يلمحه العيون، ولا يبريق الثغور، ولا هيّيف القدود، ولا أسالة الخدود، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاء، ولكن.. شعاع علوي يبسطه الجميل البديع على بعض الهياكل البشرية، يكسوها روعة ويجعلها سحراً وقتاً للناس».

١٦٥ الأمس واليوم والغد

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في مناه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

الأمس: «أمس ما أمس، خطوة إلى الرمن. جزء من غمرك خضرت وفاته، وقبرت بيدك رفته. وهو أبو يومك، والولد سر أبيه، وجد غديك، فاجعله النيل في الجدود النية».

اليوم: «طلعت الشمس، ونفضت الخمس من ثراب أمس. فسبحان الذي ألهى بالأمس، وشغل بالعمل، واستنهض الإنسان لأعباء اليوم فحمل».

الغد: «يريد الملك القهار، مؤجده حواشي الأسحار، أو غرة النهار، حملت الفجاءات نجائته، واشتملت على المستجذبات حقايقه. هو الشخص الثالث في رواية الأيام والحوادث، والخلف من صاحبه والوارث».

١٦٦ مقتطفات

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في مناه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

المسجد الحرام: «حرم الله المظهر، وبيت العتيق المستر، الذي وجّه إليه الوجوه، وفرض على عبادو أن يحجّوه؛ نظرت إليه المساجد في كل خمس، وقامت إليه قيام الحرياء للشمس».

الطلاق: «حلال.. عليه بشاعة الحرام، وحق.. يشره إليه اللثام، ويكره عليه الكرام».

الأسد: «طاغية الصَّحراء، وجبارُ العَراء، وأجرأُ مَنْ وَطِئَ الغبراء. عرشُهُ غابته، وِجَابُهُ مهابته، والوَحدةُ مجلسُهُ وصَحَابَتُهُ».

الكاتب العمومي: «يُمَثَّلُ مِنَ الجَهِلِ العامِّ، صنَعَتُهُ القرونُ والأجيالُ. حَفَّارُهُ عَبَثُ الحاكم، وطَبِئَتُهُ غَفْلَةُ المحكوم، وَهُوَ الأُمِيَّةُ على قارعةِ الطريق، لا يَجْمَعُهُ والحضارةُ مكانٌ».

السجع: «السَّجْعُ شعرُ العربيةِ الثاني؛ وكلُّ موضعٍ للشعرِ الرَّصِينِ محلٌّ للسَّجْعِ».

الشيخ المهنتم: «أيُّها الشيخُ المُهَنْدَمُ، ما عَرَّكَ بالسَّنِّ حنى لبستَ للصُّبا لِيَابَهُ، ونَارَغَتْ حفيدُكَ شِبابَهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الضَّرْسِ المحشُوِّ المُكْسُوِّ: نُزِعَ مِنْهُ القَصْبُ، وَخُلِيعَ عَلَيْهِ الدَّقْبُ».

١٦٧ خواطر

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

ما نَبَّهَ على الفضلِ الكاذبِ مثلُ الشَّاءِ الكاذبِ.

هلكتُ أمةٌ تحيا بفردٍ وتموتُ بفردٍ.

الصالحون يث_\ون أنفُسَهُمْ، والمُضِلِّحون يث_\ون الجماعاتِ.

المتحيزُ لا يُميزُ.

لا سلطانَ على الذُّوقِ فيما يُحِبُّ ويكره.

الغني مَعَ الفقيرِ في كَبَدٍ: إذا مَنَعَهُ حَسَدُ، وإذا أعطاهُ حَقْدُ.

قد يُداويكَ مِنَ المرضِ انقَاؤُهُ، ولا يُنجيكِ مِنَ الموتِ إِلَّا لِقَاؤُهُ.

قلْما طارَ اسمُ الشَّاعِرِ في حياتِهِ، فوقَعَ بعدَ مماتِهِ.

عندَ الكمالِ، يبتدئُ الجمالُ.

للجمالِ حينٌ يزولُ، جلالَةُ الملكِ المعزولِ.

رُبَّ استِحياءٍ تحتهُ رِياءُ.

كَادَ صَفْحُ الوالدِ يسبقُ ذَنْبَ الوَلَدِ.

لو حَظَمَتِ السَّنُ الْمَرْأَةُ مَا حَظَمَتْ مِرَاتِهَا .
 مَنْ عَاشَ وَعَاشَرَ أَمَلٌ مُجِيبٌ أَوْ مَلٌّ مَحْبُوبٌ .
 كَبُرَ الصَّغِيرُ قَيْحٌ كَوَاضِعُهُ، كَلَامُهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعَةٍ .
 شُورَى مِنَ الْحَجَّاجِ وَزِيَادٍ، خَيْرٌ مِنَ الْقَرْدِ وَلَوْ كَانَ عُمَرُ .
 اللَّهُ أَغْنَى، وَالنَّاسُ أَلْسُنٌ، فَأَيْنَ الْمَقَرُّ؟
 تَكَثَّرَ مِنَ الْحُسَادِ بِفَضْلِكَ، وَلَا تَكْثُرْ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِجَهْلِكَ .

١٦٨ ما أبعد النيل !

بعث شوقي، من منفاه بإسبانيا، إلى حافظ إبراهيم بواسطة دلود بركات رئيس تحرير الأهرام ثلاثة أبيات (١٩١٧):

يا ساكني مصرَ إنا لا نزالُ على عهدِ الوفاءِ، وإنْ غُبْنَا، مُقيمينَا
 يا أهل مصر! نحن مقيمون على العهد رغم غيابنا

هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شَيْئاً نُبَلِّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِيَنَا
 هلا بعثتم لنا من ماء النيل حتى نبل أحشاء صادينا (القلب العطشان فينا)

كلُّ المناهلِ، بعدَ النَّيلِ، آيِسَةٌ ما أبعدَ النَّيلَ إلَّا عَنْ أَمَانِينَا
 كل المناهل (موارد الماء) بعد النيل آتة (فاسدة)، والنيل بعيد إلا أننا نتمنى قربه كثيراً فهو قريب في أمانينا

رد حافظ إبراهيم يقول:

«هَجَيْتُ لِلنَّيْلِ يَدِي أَنْ بُلَيْتُهُ/ صَادٍ، وَيَسْفِي رُبِّي مَصْرٍ وَيَسْفِينَا
 وَاقِهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوَدَّةٌ/ وَلَا ارْتَقُوا بَعْدَهُ مِنْ حَيْثُ هُمْ لَنَا
 لَمْ تَتَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتُ شَاطِئَهُ/ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ»

١٦٩ أردتُ أعرفها من أنا

كان شوقي يردد هذه الأبيات كثيراً (١٩١٧):

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرِبَاءَ وَقَدْ جَعَلْتُ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
 رأيت عقرباً على صخرة وقد جعلت العقرب ضرب الصخرة ديدناً (عادةً لها

فقلت لها: إنها صخرة وطبعك من طبعها أليتنا

قلت لها: يا مجنونة! هذه صخرة، وهي أفسى من جسمك، وطبعك (خلفتك) والين منها، فلا فائدة من لسمها. وجد عمران الفضي مشكلة في نصب «أليتنا» ودعاني إلى التأول لها. وأشار إلى أنه رأى الأبيات في حياة الحيوان الكبرى للهميري. فهي إذن ليست لشوقي. حسناً، فلنضم قلبها «ما انفك» ولنصحبها خبراً لها، أو لنضم - وهذا اقتراح عمران - «وجدت»

فقلت: صدقت، ولكنني أردت أعرفها من أنا

١٧٠ رثاء أمه

وقال يرني والدته، ومات وهو في غربته بالأندلس، (١٩١٨):

إلى الله أشكو من عواذي النوى سهما أصاب سويداء الفؤاد وما أضمر
إلى الله أشكو سهماً من عواذي (مصائب) النوى (الفراق) أصاب سويداء (حبة) القلب، ولكنه لم
يضم (يقتل)

ولم أر حُكماً كالمقادير نافذاً ولا كلفاء الموت من بينها حُثماً

١٧١ وطني لو شغلت بالخلد عنه..

قال شوقي (١٩١٩):

اختلاف النهار والليل يُنسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي
اختلاف النهار والليل على الإنسان (مير الزمن) يُنسي الأيام الحلوة، فاذكرا لي يا صاحبي أيام
الصبا والأنس

وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسّي
وسلا (سألا) مصر هل سلا (انصرف) القلب عنها، أو هل أسا (شفي) جرح القلب الزمان
الموسي (الشافي)

كلما مرّت الليالي عليّ رَقّ، والمهد بالليالي تُنسي
كلما مرّت الليالي (الزمن) على قلبي صار أرقّ، والمهد بمرور الزمن أن يُنسي لا أن يرقّ

أحرام على بلايل النّو ح، حلال للطير من كلّ جنس
هل الدوح (الشحر) حرام (محرم) على بلايله، وحلال (محلل) للطير من الأجناس الأخرى؟
فشوقي متفي عن مصر، وبها من الأجانب أشكال وألوان

كل دار أحق بالأهل إلّا في خبيث من المذاهب رجس
البلد أحق بأهله إلّا في مفه (سلوك) المستعمرين الخيث الملوّث بالرجس (الدنس)

وطني، لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه نازَعْتَنِي إليه في الخلدِ نَفْسِي

وطني! لو انشغلت عنه بالخلد (الجنة) لنازعني نفسي وأنا في الجنة تريد الوطن

وهَفا بالفؤادِ في «سَلْسَبِيلٍ» ظمأً للسَّوادِ في عينِ شمسٍ

وفي عين السلسيل في الجنة سارى فؤادي قد هفا به (حرَّكه) الظمأ للسواد (الأرض المحضرة) في عين شمس (الضاحية القاهرية). البيت فيه عيب بالكلمات غير قليل، فعين شمس اسم مكان وسوادها أرضها المحضرة، وعين الإنسان لها سواد في وسطها، وعين الشمس ليس بها سواد بل هي مشرقة كل الإشراق؛ والسلسيل في البيت عين ماء في الجنة، وكلمة «سلسيل» هي التي جلبت كل هذا التداعي وإن لم يصفها الشاعر بكلمة عين. وشعر شوقي مراد للتداعي البحر. تراء يقول كلمة ثم تتدفق كلمات وأفكار منبثقة من هذه الكلمة، ويشحن هذه الأفكار التي جاءت بطريق التداعي الباطني بمشاعره وآرائه

شَهِدَ اللّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي شَخْصُهُ سَاعَةً، وَلَمْ يَخُلْ جَسَدِي

لم يغيب عن جفوني سواد (خضرة) «عين شمس» بشخصه (بشكله المادي)، كما لم يخل إحساسي من أثره

يا فؤادي لكلِّ أمرٍ قرارٌ فيه يبدو وينجلي بَعْدَ لُبْسٍ

لكل أمر قرار (نهاية)، ولا بد للذي من أن ينتهي

أَيْنَ مِرْوانُ، في المشارِقِ عَرْشٌ أَمَوِيٌّ وفي المِغَارِبِ كُرْسِي

أين عهد مروان (يقصد بني مروان، وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان فتحت الأندلس؟) كان له عرش في دمشق شرقاً، وكُرسي (عرش) في المغارب، في الأندلس

وَهَظَّ البَحْثَرِيُّ إِيوانُ كَسْرَى وَشَفَّتَنِي القُصُورُ مِنْ عَيْدِ شَمْسِي

وهظ إيوان كسرى الشاعر البحري، عندما ذهب إليه في خلوة روحية بعد مقتل الخليفة المتوكل؛ وأنا شفت نفسي قصور عبد شمس (بني أمية) في الأندلس

لَمْ يَرُغْنِي سِوى ثَرَى قُرْطَبِي لَمَسْتُ فِيهِ عِجْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي

لم يُدْخِلْ الرُّوحَ (الرهمة) إلى قلبي سوى تراب قرطبة الذي لمست فيه جيرة الزمن بأصابعي الخمس كلها

قَرِبةً لا تُعَدُّ في الأَرْضِ، كَانَتْ تُمَسِّكُ الأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ، وَتُرْسِي

قرطبة الآن قرية لا قيمة لها في العالم، ولكنها كانت تمسك الأرض حتى لا تميد (تهتز) وترسيها على قواعدها، هذا في أيام عزها

سِنَّةٌ مِنْ كَرَى وَطِيفَ أَمَانٍ وَصَحَا القَلْبُ مِنْ ضَلالٍ وَهَجَسَ

ذلك العز سنة من كرى (غفوة)، وطيف جاء في الأحلام بالأمان الجميلة، ثم صحا القلب من الضلال والهواجس

وَإِذَا الدَّارُ مَا بِهَا مِنْ أَنْبِيٍّ وَإِذَا الْقَوْمُ مَا لَهُمْ مِنْ مُجِسٍّ

فإذا الدار ما بها إنيان، وإذا القوم ليس لهم من يجس بهم، فقد رحلوا

مَشَتْ الْحَادِثَاتُ فِي حُرُوفِ الْحَمْدِ سِرَاءَ مَشْيِ النَّبِيِّ فِي دَارِ عُرْسِ

مشت الحادثات (المصائب) في غرف قصر الحمراء، كمشي النبي (خبر الموت) في دار بها عرس

لَا تَرَى غَيْرَ وَاقِدِينَ عَلَى النَّارِ رِيحَ سَاعِيَيْنَ فِي خُشُوعٍ وَنَكْسٍ

والآن ليس بقصر الحمراء سوى السياح الواقدين لمشاهدة قطعة من التاريخ، تراهم يمشون

خاشعين منكبين رؤوسهم

خَرَجَ الْقَوْمُ فِي كِتَابِ صُمٍّ عَنْ حِفَافٍ، كَمَوْكِبِ الدَّفَنِ خُرْسٍ

خرج العرب في كتاب صنت أذانها عن حفاظ (غيرة على الشرف)، وكانت كتابهم خرساء

وصامتة كموكب الدفن

رَكِبُوا بِالْبَحَارِ نَفْسًا، وَكَانَتْ نَحْتَ آبَائِهِمْ هِيَ الْعَرْشُ أَمْسٍ

ركبوا البحر منهزمين إلى المغرب كأنما ركبوا النفس، والبحر نفسه ركب آباؤهم عرشاً عندما فتحوا

الأندلس

رُبَّ بَانٍ لِهَادِمٍ، وَجَمُوعٍ لِمُتٍّ، وَمُخْسِنٍ لِمُخْسٍ

رب بان يبنى الملك لحفيذه الذي يهدمه، ورب جموع (كثير الجمع) يجمع المال لمن يشته،

ومحسن يخورز الفضائل لمخس (لمن يجعلها خسية)

إِمْرَةُ النَّاسِ هِمَّةٌ لَا تَأْتِي لَجْبَانَ، وَلَا تَسْنَى لِجَبْسٍ

إمرة (قيادة) الناس همة (طموح) لا تأتي لجبان، ولا تسنى لجبس (ضعيف). قصيدة

عامرة بأبيات الحكمة. عرف شوقي أن أبيات الحكمة تجلب لشعره السيورة، فتعدها وصار

يرصدها، وأقر بذلك. والقصد إلى الحكمة قصداً أضعف شعر شوقي. فهو إذ يعمل فكره في

استخراج أبيات الحكمة يستهلك جزءاً من طاقته الشعرية فتبرد قصيدته، ولا تتدفق. وفي هذه

القصيدة يمارس شوقي الحثري في سببته (صنت نفسي عما يلدن نفسي وترفعت عن جلد كل

جس)

١٧٢ ثورة ١٩١٩

قال شوقي في ثورة مصر (١٩١٩):

عَظَفَ الدَّهْرُ عَلَى ثَوَرِيكُمْ وَلَوَى النَّاسَ عَلَيْهَا مُعْجَبِينَ

عطف (أقال) الزمن على ثورتكم قلوب الناس، ولوى (أمال) الناس عليها وهم متعجبون منها،

لأنها..

هَزَبَتِ اللَّيْثَ وَلَمَّا يَضُحُ مِنْ دَمِ غَلِيَوْمٍ وَصِيدِ آخِرِينَ
هزت الأسد (أي إنجلترا، وشعارها الأسد)، ولما يَضُحُ من نشوة البطش بغليوم فيصر ألمانيا
وبالصَّيد (الأساد) الآخرين الذين هُزموا في الحرب العالمية الأولى

قَامَ رَهْطٌ مِنْكُمْ فَاقْتَحَمُوا كِبْرِيَاءَ الْفَاتِحِينَ الظَّافِرِينَ
قام رهط (جماعة) منكم فاقترحوا كبرياء المتصرين. حلَّو تعبير «اقتحموا كبرياء الفاتحين»

اسْتَحَفَّ اللَّيْثُ إِجْمَاعَكُمْ وَهُوَ نَابُ الْعَجَمِ الدَّاهِي الرِّزِينَ
واستخفت إنجلترا بإجماعكم، وهي رأس الحرية في الأجانب، والداهية الرزينة

مُسْتَعِيدًا مِنْكُمْ بِاللُّوْ أَنْ تُصْبِحُوا الْهِنْدَ وَتُمْسُوا الصِّينَ فَيُنْ
استعاد الأسد الإنجليزي بالله منكم لثلاث تصبحوا (في بدء أمركم) كالهند (وآنذاك كانت المقاومة
السلمية قد بدأت هناك)، وتُمْسُوا (بعد ذلك) مثل الصين - فين (منظمة «الشن فين» الإيرلندية التي
استخدمت العنف ضد الحكم البريطاني)

١٧٣ .. إذا أخلاقهم كانت خرابا

قال شوقي في اجتماع لجنة التموين، بُعِدَ هودنه من مفاء بإسبانيا، (١٩٢٠):

وَدَاهَا أَرْضٌ أُنْدَلُسِي، وَهَذَا ثَنَائِي إِنْ رَضِيَتْ بِهْ ثَوَابَا
ويا وطني لِفَيْثُكَ بَعْدَ بَأْسِي كَأَنِّي قَدْ لَوَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا
وَكُلُّ مُسَافِرٍ سَيُزْوَبُ يَوْمًا إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةُ وَالْإِيَابَا
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي إِذَا فَهْتُ الشَّهَادَةُ وَالْمَتَابَا
أدير إليك يا وطني وجهي إذا تفوهت بالشهادة والمتاب (دعاء التوبة)

فَصَفْحًا لِلزَّمَانِ لَصَبِيحِ يَوْمٍ بِهِ أَضْحَى الزَّمَانُ إِلَيَّ ثَابَا
صفحت عن الزمان ومصابه لأنه ساق إلي هذا الصباح الذي ثاب (عاد) الزمان إلي به وصافاني

وَحَيَّا اللَّهَ فَنِيَانًا سِمَاحًا كَسَوْا عِظْفَيَّ مِنْ فَخْرِ ثِيَابَا
حيا الله الفتيان السّماح (السمحين الكرام) الذين كسوا عِظْفَيَّ (جانيّ) ثياباً من المحر

عِبَادُكَ رَبِّ قَدْ جَاعُوا بِمَصْرِ أَنْيَلًا سُفَّتَ فِيهِمْ أَمْ سَرَابَا؟
أَتَنْ أَكَلَ الْيَنِيمَ لَهُ عِقَابُ وَمَنْ أَكَلَ الْفَقِيرَ فَلَا عِقَابَا؟
وليس بعامر يُنبأ قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

١٧٤ مطية لا تستريح

قال شوقي يرثي محمد فريد (١٩٢٠):

كُلُّ أَعْوَادٍ مِنْسَبِرٍ وَمَسِيرٍ بِاطْلٍ غَيْرَ هَذِهِ الْأَعْوَادِ

كل أعواد (أخشاب) منبر أو سرير (عرش) هي باطل سوى أعواد التابوت

تَسْتَرِيحُ الْمَظْيُ يَوْمًا، وَهَذِي تَنْقُلُ الْعَالَمِينَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ

كل المظي (الدواب) تستريح يوماً، وأما هذه المظية (التابوت) فهي تنقل الناس إلى القبر من عهد
قبيلة «عاده» البائدة

لَا وَرَاءَ الْجِيَادِ زِدَتْ جَلَالًا مِنْذُ كَانَتْ، وَلَا عَلَى الْأَجْيَادِ

والتابوت منذ الأزل لا يزداد هبة إن منى وراء الجياد (الخيل) في جنازة فخمة، ولا إن رُفِعَ فوق
الأجياد (الأعناق)، فهبة الجنازة هي هبة الموت لا هبة الموكب

هَلْ تَرَى كَالْتَرَابِ أَحْسَنَ عَدَلًا وَقِيَامًا عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ

ما أعدل التراب وأحسن قيامه على حقوق الناس! أليس هو الذي يسوي بينهم؟

نَزَلَ الْأَقْوِيَاءُ فِيهِ عَلَى الضَّعْفِ وَحَلَّ الْمُلُوكُ بِالزُّهَادِ

١٧٥ المهد جسر المقبرة

قال شوقي يرثي الأميرة فاطمة إسماعيل (١٩٢٠):

لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ سِوَى صَالِحَةٍ مُنْذُ خَرَتْ

لا ينفع الميت سوى صالحة (عمل صالح) يدرها لآخرته

فَاطِمَةُ! مَنْ يَوْلَدُ يَمُوتُ الْمَهْدُ جَسْرُ الْمَقْبَرَةِ

يا فاطمة! كل من يولد يسموت، فالمهد ما هو إلا جسر يوصل للمقبرة

وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ مَيِّتَةٌ فَمُنْشَرَةٌ

كل نفس ستبوء غداً، ثم يأتي النشور (البعث)

وَأَنَّهُ مَنْ يَعْمَلِ الْـ خَيْرَ أَوْ الشَّرَّ يَمِرُّ

وَأَنَّمَا يُنَبِّئُهُ الْـ خَافِلٌ عِنْدَ الْفَرَجَةِ

الغافل الأحق لا يتنبه للخير والشر إلا عند الفرجة (لفظ النفس الأخير)

يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً كَانَتْ بِفِيهِ سَكْرَةً

يلفظ روحه مرة كالحنظلة؛ وقد كانت من قبل حلوة في فمه كالسكر

وَلَنْ تَزَالَ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ هَذِي الْكُرَّةُ

الحياة كالكرة، وستظل تنقل من يد إلى يد

١٧٦ الشجاعة الحققة

قال شوقي (١٩٢٠):

إِنَّ الشَّجَاعَ هُوَ الْجَبَانُ مِنَ الْأَذَى وَأَرَى الْجَرِيءَ عَلَى الشُّرُورِ جَبَانًا

١٧٧ ليس بالقطن وحده

قال شوقي (١٩٢٠):

العَصْرُ حُرٌّ وَالشُّعُوبُ طَلِيْقَةٌ مَا لَمْ يَحْزَها الْجَهْلُ فِي أَرْسَانِهِ
العصر عصر حرية، والشعوب طليقة ما لم يحزها (بضمها) الجهل في أرسانه (الرسن: مقود الفرس)

أَيْنَ الزَّرَاعَةُ فِي جَنَّانٍ تَحْتَكُمُ كَخَمَائِلِ الْفِرْدُوسِ أَوْ كَجَنَّانِهِ
أين الزراعة في الجنان التي تعيشون فوقها والتي تشبه خمائل (بساتين) الفردوس

أَيْذَا أَصَابَ الْقُطْنُ كَاسِدُ سَوْقِهِ قُمْنَا عَلَى سَاقٍ إِلَى أُنْمَانِهِ
أإذا أصابت القطن السوق الكاسدة، قمنا على سيقاننا فزحاً نراقب بورصة القطن وأسعاره

يَا مَنْ لَشَعْبٍ رَزُوهُ فِي مَالِهِ أَنْسَاءُ ذَكَرَ مُصَابِهِ بِكَيَانِهِ
يا من ينقذ هذا الشعب الذي أنساء رزوه (مصيبته) في ماله مصابه (مصيبته) في كيانه

الْمُلْكُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ قُطْنٌ، فَلَمْ يُغْلَبْ أَبَوُّنَا عَلَى عُمَرَانِهِ
كان لنا ملك ولم يكن القطن، فلم يغلب أبوتنا (آباؤنا) في تعبير الملك

الْفَاطِمِيَّةُ شَيَّدَتْ مِنْ عِزِّهِ وَبَنَى بَنُو أَيُّوبَ مِنْ سُلْطَانِهِ
الحكم الفاطمي شيد جزءاً من عز هذا الملك، وبني الأيوبيون جانباً من سلطانه

بِالْقُطْنِ لَمْ يَرْفَعْ قَوَاعِدَ مُلْكِهِ فِرْعَوْنٌ، وَالْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ

وفرعون لم يرفع قواعد ملكه بالقطن، ومع ذلك فالهرمان من تشييده. يتابع شوقي المتنبي في الاكتفاء بهرمين، وهكذا صنع علي محمود طه في «الجنود». ورأيت مؤرخين عرباً فعلوا ذلك، «قال الحقوقي في صفة مصر: وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير». على أن بمصر من الأهرام عدداً يزيد عن ٨١، ويوصله بعضهم إلى ١١٢. وقد زرت الأهرام مرة؛ جرتني صديقي إليها حراً لأنه «لا يجوز للإنسان أن يزور القاهرة ولا يزور أهرام الجيزة». كانت الحادية عشرة ليلاً، ونظرت إلى هرم خوفو فرايته منطبقاً فاستصغرت، ربما لأنني متعود على البنايات الواقعة عمودياً. على أن كتابي يقول إن هرم خوفو أكبر بناء شيد الإنسان على وجه الدهر

١٧٨ القريض الأصيل

قال شوقي (١٩٢١):

الشَّعْرُ صِنْفَانِ: قَبَاقٍ عَلَى قَائِلِهِ، أَوْ ذَاهِبٍ يَوْمَ قَبْلِ

الشعر صنفان: شعر يبقى أبد الدهر مفخرة لقائله، وشعر يتبخر يوم نظمه

مَا فِيهِ عَصْرِيٌّ وَلَا دَارِسٌ الدَّهْرُ عُمُرٌ لِلْقَرِيضِ الْأَصِيلِ

ليس في الشعر عصري ودارس (قديم)، فالقريض (الشعر) الأصيل عمره طويل بطول الزمن، أي أنه خالد

١٧٩ النيل

قال شوقي (١٩٢١):

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقَرْيِ تَتَدَقَّقُ وَيَأْيُ كَفَّ فِي الْمَدَائِنِ تُغْدِقُ

من أي عهد وأنت تتدقق في القرى أيها النيل؟ ويأي كف تغدق (تمنح) على المدن الخيرات

وَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَتْ، أَمْ فُجِّرَتْ مِنْ عُلْيَا الْجَنَانِ جَدَاوِلًا تَتَرَفَّرُ

وهل نزلت من السماء، أم تفجرت من الجنة على هيئة جداول تترقق

وَبِأَيِّ نَوَلٍ أَنْتَ نَاصِجٌ بُرْدَةً لِلضَّفَّتَيْنِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ

وبأي نول (آلة النسج) تسج بردة (ثوباً/ من البات) لضفتك، وهي جديدة دوماً لا تُخلَق (تهترئ)

دَيْنُ الْأَوَائِلِ فِيكَ دَيْنٌ مُرَوِّعٌ لِمَنْ لَا يُؤْلُهُ مَنْ يَقُوتُ وَيَرْزُقُ

دين القدماء الذين عبدوك دين مروءة وهرفان، فلم لا يؤله من يقوت (يطعم) ويرزق الناس

مُتَقَيِّدٌ بِمَعْهُودِهِ وَوَعْدِهِ يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَضْدُقُ

النيل متعبد بوعوده فيفيض في مواسمه جارياً على سنن (طريقة) الوفاء

وَلِمَنْ هِيَ أَكَلُ قَدْ عَلَا الْبَانِي بِهَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالشَّرِي تَتَنَسَّقُ

ولمن هذه الهياكل التي شيدها بُنائها؟ وهي منسقة واحداً بعد الآخر وتبدو، لارتفاعها، كالمعلقة

بين التراب ونجوم التريا

مِنْهَا الْمَشِيدُ كَالْبُرُوجِ، وَبَعْضُهَا كَالطُّودِ مَضْطَجِعٌ أَشْمُ مُنْطَقُ

منها ما هو كالبروج العالية، ومنها ما هو منبطح مقلطح كالجبل الأشم (العالي) المنطق (المحل)

بنطاق أي حزام/ ربما من السحب أو الشجر

أمر يشير إلى هرم متفرع وحوله حزام من ثلاثة أهرام صغيرة، أم إلى كل هرم تبدو حجارتها

كالنطاق الملفت عليه؟

جُدَّدَ كَأَوَّلِ عَهْدِهَا، وَحَيَّالَهَا تَتَقَادَمُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ وَتَعْتَقُ
هذه الهياكل تبدو جديدة، وحَيَّالها (بجانبها) الأرض الفضاء (الفسيحة) تتقدم وتصبح عتيقة
مِنْ كُلِّ ثِقَلٍ كَاهِلُ الدُّنْيَا بِهِ تَعِيبُ، وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْهُ ضَيِّقُ
هذه الهياكل مكونة من كل ثقل يتعب منه كاهل (ظهر) الأرض، ويضيق به وجهها

مَتَمَكَّنٌ كَالطُّورِ أَصْلًا فِي الثَّرَى، وَالْفَرْعُ فِي حَرَمِ السَّمَاءِ مُحَلَّقُ
هذا الثقل أصله (قاعدته) متمكن في الثرى (التراب) كالطور (الجبل)، وأما فرع (رأسه) فمحلق
في حرم السماء (والسماء محرمة على الإنسان لعدم الجناح، فهي إذن حَرَم)

هِيَ مِنْ بِنَاءِ الظُّلَمِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْيَضُّ وَجْهُ الظُّلَمِ مِنْهُ وَيُشْرِقُ
هذه الهياكل بناء مؤسس على الظلم والخرقة، لكنها مفخرة تُخَسِّن وجه الظلم لعظمتها

وَنَجِيبَةٌ بَيْنَ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا عِذَاءٌ تَشْرِبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلَقُ
وربّ فتاة نجية بين سن الطفولة والصبا، أنيسة حتى لتشربها القلوب وتعلقها (تعشقها)

كَانَ الزُّفَافُ إِلَيْكَ غَايَةً حَظًّا وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوَبِّقُ
هذه الفتاة كانت نهاية حظها أن رُفَّت إليك، والحظ إن بلغ بالإنسان النهاية موبق (ميت)

فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِلا نَمْنِ إِلَيْكَ، وَحُرَّةٌ لَا تُصَدَّقُ
في كل عام كان قدماء المصريين يلقون إليك أيها النيل بتأ كالدرة بلا مقابل، ويمطونك امرأة حرة
لا تُصَدَّقُ (لا تأخذ مهرًا)

والحرّة من النساء لها صدق، والأمة السكينة صدقها عتقها في قول من قال ذلك

وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيبَةٌ يُبْقَى كَمَا يُبْقَى الْجَمَالُ وَيُعْتَقُ
والحسان يرغبن في المجد، وهن يسمين إليه سعيهن إلى الجمال (التجمل) . . والتجمل

مَا أَجْمَلَ الْإِيمَانَ لَوْلَا ضِلَّةٌ فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهَدَايَةِ تُلْصَقُ
الإيمان جميل لولا ضلة (خرافة) في كل دين تلتصق بالهداية

مَجْلُوءَةٌ بِالْفُلْكِ يَحْدُو فُلُكُهَا بِالشَّاطِئِينَ مُزْعَرِدٌ وَمُصَفَّقُ
وهذه الفتاة مجلّوة (مزينة) في الفلك (السفينة) ويحدو (يعني) للسفينة على الشاطئين المزغردون
والمصفقون

أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفْسِهَا وَأَتَشَكَّ شَيْقَةَ حَوَاهَا شَيْقُ
ألقت إليك العناية بنفسها وبما عليها من نفيس الجواهر، وجاءتك مشتاقة للموت في سبيل المجد،
وأنت تبتلعها مشتاقاً إليها

خَلَعْتَ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا أَأَعَزُّ مِنْ هَذَيْنِ شَيْءٍ يُنْفَقُ

أعطتك حياءها وحياتها، فهل هناك أعز من هذين؟

قَوْمٌ وَقَارُ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالشَّعْبُ مَا يَعْتَادُ أَوْ يَتَخَلَّقُ

المصريون تأصل في أخلاقهم وقار الدين، والشعب هو ما يعتاده ويتخلق به من أخلاق

أَصْلُ الْحَضَارَةِ فِي صَمِيدِكَ ثَابِتٌ وَنَبَاتُهَا حَسَنٌ عَلَيْكَ مُخَلَّقٌ

أيها النيل أصل الحضارة ثابت في صميدك (ترابك)، ونبات هذه الحضارة من هياكل وأهرام زين لك مخلوق (مطيب بالخلوق وهو من الزعفران)

وودائعُ الفاروقِ عندَكَ دِينُهُ وَلِسَاوَةٌ وَبَيَانُهُ وَالْمَنْوَلِيُّ

وقد أودع الفاروق عمر بن الخطاب عندك دينه (الإسلام) ولواؤه (حُكْمُهُ) وبيانه ومنطقه (لفظه/ اللغة العربية)

بَعَثَ الصَّحَابَةَ يَحْمِلُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقُّ مَا يُخْبِي الْعُقُولَ وَيَفْتُقُ

بعث الفاروق الصحابة يفتحون مصر، وحملوا إليها الدين الذي أحيا العقل وفتق اللسان باللغة العربية

يَبْنُونَ لِلَّهِ الْكِنَانَةَ بِالْقِنَا وَاللَّهُ مِنْ حَوْلِ الْبِنَاءِ مُوَفَّقٌ

يبنون بالقنا (بالرماح) الكنانة (مصر) لله بعد أن كانت لألهة أخرى، والله يحوطهم ويوفقهم

وَالْفَتْحُ بَغْيٌ لَا يَهْوُنُ وَقَعُهُ إِلَّا الْعَفِيفُ حَسَامُهُ الْمَتَرَفُّ

الفتح ظلم، ولكن ما هوئه عفة الحسام وترقق الفاتحين بأهل البلد

مَا كَانَتْ الْفُسْطَاطُ إِلَّا حَانِطاً يَاوِي الضَّعِيفُ لِرُكْنِهِ وَالْمُرْهَقُ

ولم تكن الفسطاط (وهي أول ما اختط عمرو بن العاص بمصر من مدائن) إلا جداراً يحتمي به كل ضعيف أرمته ضرائب البطالة

وَبِهِ تَلَوْدُ الطَّيْرِ فِي طَلَبِ الْكُرَى وَيَبِيتُ قَبِصْرُ وَهُوَ مِنْهُ مُؤَرَّقٌ

وحتى الطير تلوذ (تلتجأ) بهذا الجدار طلباً للكرى (النوم)، وأما قِصر البطائنة فيبيت سبب بناء الفسطاط مؤرقاً (ساحراً قلقاً)

لِي فِيكَ مَدْحٌ لَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ أَمَلَاهُ حُبٌّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقٌ

أمدحك أيها النيل بلا تكلف، ويملي هذا المدح عليّ حب ليس فيه تملق

مِمَّا يُحْمَلُنَا الْهَوَى لَكَ أَفْرُخٌ سَنَطِيرُ عَنْهَا وَهِيَ عِنْدَكَ تُرَزَّقُ

والذي يحملنا بالحب لك أبنائنا الذين سنموت وتركهم ورزقهم عليك

تَهْفُو إِلَيْهِمْ فِي التَّرَابِ قُلُوبُنَا وَتَكَادُ فِيهِ بِغَيْرِ عِرْقٍ تَخْفُقُ
تَهْفُو (تتحرك) قلوبنا ونحن موتى في التراب إشفافاً على أبنائنا، وتكاد قلوبنا الميتة تخفق بلا
عروق

تُرْجَى لَهُمْ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَنْنًا وَمِنْكَ بِهِمْ أَبْرٌ وَأَرْفَقُ
وأنت المرجو لهؤلاء الأبناء؛ والله أبرُّ وأرفقُ بهم منا ومنك

فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَهَا أَنْتَ الْوَفِيُّ إِذَا أُثْمِنْتَ الْأَصْدَقُ
فاحفظ يا نيل ما استودعناك من ودائع، أي أبنائنا، فأنت الوفي

١٨٠ نشيد مصر

قال شوقي:

بَنِي مِصْرٍ مَكَانُكُمْ تَهْيَا فَهَيَّا مَهْدُوا لِلْمَلِكِ هَيَّا
يا بني مصر! مكانكم تهيأ، فمهّدوا للملك

خُذُوا شَمْسَ النَّهَارِ لَهُ حُلِيًّا أَلَمْ تَكُ تَاجَ أَوْلَكُم مَلِيًّا
وخذوا الشمس جليلة لملككم، فقد كان قرص الشمس تاج الفراعنة ملياً (طويلاً).
وبصر العقاد، وبتبعه مصطفى صادق الرافعي، على أن قرص الشمس لم يكن قط
حلية لتاج مصر بل معبود وحسب. وقد قص علينا العقاد في كتاب الديوان قصة
طويلة عن ظروف فوز هذا النشيد بجائزة اللجنة المشكلة لاختيار كلمات نشيد وطني.
وهو يتقد كل حرف فيه، وقال في نقده للبيت الأول: «فمن الذي يأمر المصريين هنا
ويناقشهم هذه المناقشة؟ أأجنبي يخاطبهم؟»

١٨١ تحرك أبا الهول

قال شوقي (١٩٢١):

أَبَا الْهَوْلِ! طَالَ عَلَيْكَ الْمُصْرُ وَيُلُغَتْ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعُمُرِ
يا أبا الهول طال عليك العصر (الزمان)، ويُلُغْتَ الله عمراً طويلاً

فِيَا لِدَّةَ الدَّهْرِ! لَا الدَّهْرُ شَبٌّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصِّغَرِ
فيا لدة الدهر (رفيق الدهر/ الذي ولد معه)، لا الدهر بلغ شبابه، ولا أنت تجاوزت طفولتك

إِلَامَ رَكُوبِكَ مَثَرْنَ الرَّمَالِ لِطَيِّ الْأَصِيلِ وَجَوِبَ السَّحَرِ
إلام (إلى متى) نظل راكبين متى (ظهر) الرمال لكي تطوي الأصيل (الغروب) وتجوب وقت السحر
(قبيل الفجر)

تَسَافِرُ مُنْتَقِلًا فِي الْقُرُونِ فَأَيَّانَ تُلْقِي غِبَارَ السَّفَرِ
وبهذا الطي والجوب تسافر في القرون وأنت ماكث مكانك؛ فأيان (فتى) تنفض عنك غبار السمر
وتصل إلى غايتك؟

أَبَيْتَكَ عَهْدَ وَبَيْنَ الْجِبَالِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنْتَظَرِ
هل بيك وبين الجبال عهد ألا تزولا إلا معاً في الموعد المتظر (يوم القيامة)

أَبَا الْهَوْلِ مَاذَا وَرَاءَ الْبَقَاءِ إِذَا مَا تَطَاوَلَ غَيْرُ الضَّجَرِ
يا أبا الهول! ماذا بعد طول البقاء سوى الضجر؟

عَجِبْتُ لِلْقِمَامِ فِي حَرَمِهِ عَلَى «الْبَيْدِ» وَالنَّسُورِ الْأَخْرِ
عجبت للقمان الحكيم في حرمه على البقاء، فقد أعطي عمراً بعمر سبعة نُسُور متعاقبة، وكان
آخرها النسر «البَيْدُ» وكان عليه حرمها

وَشَكَوَى «لَبِيدٍ» لِيُطَوِّلَ الْحَيَاةَ وَلَوْ لَمْ تَطُلْ لَتَشَكَّى الْقِصَرُ
وعجبت لشكوى «لبيد» الشاعر من طول الحياة، ولو لم تكن حياته طويلة لاشتكى قصرها

وَلَوْ وُجِدَتْ فِيكَ يَا ابْنَ الصَّفَاةِ لَحِقْتُ بِصَانِعِكَ الْمُقْتَدِرِ
ولو وجدت الحياة فيك يا ابن الصفاة (الصخرة)، لكنت لحقت بصانعك المقدر الذي
نحتك ومات

فَبِإِنَّ الْحَيَاةَ تَقُلُّ الْحَدِيدَ إِذَا لَبَسَتْهُ، وَتُبْلَى الْحَجَرُ
فالحياة تغل (تتلم) الحديد إذا لبسه (لزمته)، وتبلى (تهراً) الحجر

كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشَرِ
كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دَيْدْبَانُ الْقَدَرِ
كانك في الرمال لواء (عَلَم) القضاء، أو ديدبان (حارس) القدر

فَحَدَّثَ فَقَدْ يُهْتَدَى بِالْحَدِيثِ وَخَبِرَ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبَرِ
فحدثنا بما مر بك فقد يُهْتَدَى بحديثك، وخبرنا فقد يُؤْتَسَى (يُتَعَطَّى) بما تحبر

أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًا وَالْقَمَرِ
ألم تبل (تختبر) فرعون في أيام عزه وهو يعتري (يتسب) إلى الشمس والقمر، فهو ابن إلهي
الشمس والقمر

وراعك ما راع من خيل قمبيز — ز ترمي سنايكيها بالشُرز
وقد راعك (أخافك) ما راعك من خيل قمبيز ملك الفرس التي راحت سنايكيها (أطراف حوامرها)
ترمي الشرر إذ ترتطم بالصخور

وأبصرت إسكندراً في الملا — قشيب العلا في الثباب النضر
وأبصرت الإسكندر في الملا (في الجمع من جنوده) وهو قشيب (جليد) العلا (المجد)، وكان في
شبابه النضر

تبَلَّجَ في مضر إكليله — فلم يَغْدُ في الملك عُمر الزهر
تبليج (أشرق) في مضر إكليله، ثم لم يَغْدُ (يتجاوز) في الملك عمر الأزهار

وشاهدت قيصراً كيف استبدَّ — وكيف أذلَّ بمصر القصر
القصر: (الرقاب)

وكيف تجبر أهوانه — وساقوا الخلائق سوق الحمير
ورأيت كيف تجبر أهوان قيصر الرومان وساقوا الناس سوق الحمير

وكيف ابتلوا بقليل القديد — من الفاتحين كريم النفر
وكيف ابتلي هؤلاء الأهوان من الرومان بالعدد القليل من الفاتحين، وهذا العديد كريم نفراً

رمى تاج قيصراً رمي الزجاج — وقلَّ الجموع وقلَّ الشرز
هذا العديد القليل من الفاتحين رمى تاج قيصر فانكسر كأنه الزجاج، وفرق الجموع وقلَّ (هدم)
الشرز (العروش/فسير الحكم هو العرش)

فَدَعُ كُلُّ طَاغِيَةٍ لِلزَّمانِ — فإنَّ الزَّمانَ يُفِيْمُ الصَّعْرَ
فانرك يا أبا الهول كل طاغية للزمان، فالزمان يفيم (يقوم) الصعر (ميل الرؤوس/والمعكبر يُميل
رأسه ميلاً خفيفاً)

أبا الهول لو لم تكن آية — لكان وفاؤك إحدى العبر
ولو لم تكن أنت آية (برهاناً) لكان وفاؤك عبرة

أظلت على الهرمين الوقوف — كسائلة لا تريم الحفر
من وهاتك وفوك طويلاً بجانب الهرمين كأنك المرأة الفاقد التي لا تريم (تبتعد) عن الحفر التي
دفن في إحداها ابنها

تَرْجِي لِبانِيهِمَا عَوْدَةً — وكيف يعودُ الرميمُ النَّجْرَ
وأنت قاعد بجانبهما كأنك تُرْجِي (ترجو) لمن بناهما عودة للحياة، وكيف يعود الجثمان الرميم
(البالي) النَّجْرَ (المنخور الأجوف)

فَهَلْ مَنْ يُبَلِّغُ عَنَّا الْأَصُولَ بِأَنَّ الْفُرُوعَ اقْتَدَتْ بِالسَّيَرِ
 فهل نمة من يبلغ الأصول (الأجداد) بأن الفروع (الأحفاد) اقتدوا بسيرة أجدادهم
 وَلَمْ تَفْتَحِرْ بِأَسَاطِيلِهَا وَلَكِنْ بِدُسْتُورِهَا تَفْتَحِرْ
 وأن الأحفاد لم يفتخروا بأساطيلهم بل بدستورهم

تَحَرَّكَ أبا الهول! هذا الزمان تَحَرَّكَ ما فيه حتى الحجز

١٨٢ الضاد سر الجمال

قال شوقي في حفل ترحيب بأمين الريحاني (١٩٢٢):

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللَّغَابَ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ

١٨٣ سماح لضيق الوقت

قال شوقي (١٩٢٢):

إغْرِزْ لِحَايِدِ نَعْمَةٍ بِالْأَمْسِ نَالِكَ، أَوْ وَقَعِ
 وقع: وقع فبك، أي ذمك ونال منك

ما في الحياةِ لَإَنَّ نَعْمَا زَبَّ أَوْ تُحَاسِبَ مُتَسَعِّغَ

١٨٤ دستور وبرلمان

جاء نصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ لبلقي الحماية من مصر، ويعترف بها مملكة مستقلة، ذات سيادة، مع احتفاظ بريطانيا بالدفاع عنها وعن السودان في حال التدخل الأجنبي. أما الاستقلال فقد أعلن رسمياً في ١٥/٣/١٩٢٣ وشكلت لجنة من ٣٠ مصرياً بارزاً لوضع الدستور. قال أحمد شوقي في نصريح إلغاء الحماية (١٩٢٢):

أَعِدَّتِ الرَّاحَةُ الْكَبِيرَى لِمَنْ تَعَبَا وَفَارَ بِالْحَقِّ مَنْ لَمْ يَأْلُهُ طَلَبَا
 لم يأله طلباً: لم يقمّر في طلبه

لَا تُثَبِّتِ الْعَيْنُ شَيْئاً أَوْ تَحَقِّقْهُ إِذَا تَحَيَّرَ فِيهَا الدَّمْعُ وَاضْطَرَبَا
 لا تبصر العين بوضوح إذا تفرق فيها الدمع، وكذلك فإن الإنسان المتفعل لا يكون ذنعه واضحاً

وَالصَّبْحُ يُطْلِمُ فِي عَيْنِكَ نَاصِعُهُ إِذَا سَدَلْتَ عَلَيْكَ الشُّكَّ وَالرَّيْبَا
 والصبح الناصع يصبح ظلاماً في عينك إذا سَدَلْتَ (أنزلت) على نفسك الرَّيْبَ (الشكوك)

إذا طلبتَ عظيماً فاضِبرَنَّ لَهُ أو فاحشِدَنَّ رِمَاحَ «الخطِّ» والقُضْبِ
إذا أردتَ تحقيقَ أمرٍ عظيمٍ فعليك بالصبر، أو بحشد رماح «الخط» (الرماح المنوية إلى مرفأ
«الخط» في البحرين) والقُضْب (السيف)

ولن تَرى ضُحْبَةً تُرضى عَوَاقِبُهَا كالحقِّ والصبرِ في أمرٍ، إذا اصطَلحبا
ولن تجدَ صُحبةً تُرضيك عَوَاقِبُهَا (نتائجها) كاصطحابك الحق والصبر معاً

لا تَعْدُمُ الهِمَّةُ الكبرى جَوَازِئَها مَيَّانٍ: من غَلَبَ الأيامُ أو غُلِبَا
لا نعدم (لا نمتد) الهمة الكبيرة جوائزها (ثمراتها)، ويستوي في ذلك من حقق النصر على مصائب
الأيام أو من هُزم

وكلُّ سَغِي سَيَجْزِي اللُّهُ سَاعِيَهُ هِيَهَاتَ يَذْهَبُ سَغْيُ الْمُحْسِنِينَ هَبَا
هبا: هباء

لم يُبْرَمِ الأمرُ، حتى يستبينَ لَكُمْ أَسَاءَ عَاقِبَةُ أم سَرَّ مُنْقَلَبَا
لم يتم إبرام الأمر (نيل السيادة) بعد، ولذلك لم يستبين (لم يظهر) لكم بعد هل عاقبت (نتيجته) سيئة
أم سارة

تَمْهَّدَتْ عَقَبَاتُ غَيْرِ هَبْنَةٍ تَلْقَى رِكَابُ السُّرَى مِنْ مِثْلِهَا نَصْبَا
تمهدت حتى الآن عقبات (طرق جبلية صعبة) غير سهلة، وهي عقبات تلاقي ركب السرى (الإبل)
(السائرة ليلاً) من أشباهها نصباً (نصباً)

وَأَقْبَلْتُ عَقَبَاتٍ لَا يُذَلِّلُهَا، فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ، إِلَّا الشَّعْبُ مُتَخِبَا
وأقبلت علينا عقبات أخرى لا يذللها (يسهلها) في موقف الفصل إلا الشعب عندما ينتخب مثليه

إذا رَأَيْتَ الهوى فِي أمةٍ حَكَمَاً فَاحْكُمْ هُنَالِكَ أَنَّ الْعَقْلَ قَدْ ذَهَبَا
إذا رأيت الهوى (المصلحة الشخصية) متحكماً في أمة فاحكم عندئذ بأن عقلها قد ذهب

قالوا: الحمايةُ زالت، قلتُ: لا عَجَبٌ بَلْ كَانَ بَاطِلُهَا فِيكُمْ هُوَ الْعَجَبَا
قالوا: الحماية البريطانية زالت، قلت: لا عجب في ذلك، بل العجب كان وجود هذا الباطل

يا ابْنَ السَّنَا عَالِيَا، وَالْعَزُّ مُمْتَنِعَا وَالْبَاسُ مُحْتَدِمَا، وَالْعُرْفُ مُنْسَكِبَا
يا ابن السنا (الشرف)، وابن العز المصون، وابن البأس المحتدم، والعرف (المعروف) المتدفق ..

بَاوِ الْمَلُوكَ بِهَذَا الشَّاجِ، إِنَّ لَهُ فِي جَوْهِرِ الشَّمْسِ، لَا فِي النَّاسِ، مُتَسَبَا
أو (قم بالمهاة) الملوك بتاج مصر، فهو تاج يرجع في نسه إلى جوهر (أصل) الشمس وليس إلى
الناس، والشمس معبود القراعة

وَبِنَ عَلَيْهِمْ بِعَرْشٍ غَيْرِ ذِي لَدَوٍّ مِنْ عَهْدِ «خَوْفٍ» عَلَى الْمَاءِ اسْتَوَى عَجَبًا
وَبِنَ (لَكَ أَنْ تَبْنِي وَتَفْخَرْ) عَلَى الْمُلُوكِ بِعَرْشٍ لَيْسَ لَهُ لَدَّةٌ (مِثْلُ)، وَهُوَ عَرْشٌ اسْتَوَى (اسْتَفْرَ مَسْتَوِيًا)
عَلَى الْمَاءِ (النَّيْلِ) مِنْ عَهْدِ «خَوْفٍ»

وَإِنَّ لِلْمَجْدِ آفَاتٍ إِذَا جُمِعَتْ وَجَدْتَهُنَّ اثْنَتَيْنِ: الْحَقْدَ وَالْغَضْبَا
وَلِلْمَجْدِ آفَاتٌ (عُيُوبٌ) تَتَلَخَّصُ فِي عَيْنَيْنِ: الْحَقْدُ وَالْغَضَبُ

إِنْ سَرَّكَ الْمُلْكُ تَبْنِيهِ عَلَى أَسَاسٍ فَاسْتَنْهَضِ الْبَائِيَّيْنِ: الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا
اسْتَنْهَضِ (ادْفَعْ لِلنَّهْضِ) الْعَنْصَرَيْنِ اللَّذَيْنِ بَيَّنَّا الْمُلْكَ وَهُمَا الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وَارْفَعْ لَهُ مِنْ بِنَاءِ الْحَقِّ قَاعَةً وَمُدَّ مِنْ سَبَبِ الشُّورَى لَهُ طُنْبًا
وَارْفَعْ لِلْمُلْكِ قَاعَةً هِيَ الْحَقُّ، وَمُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبِ (خَبَلٍ) الشُّورَى طُنْبًا (حِبَالُ الْحِيَمَةِ)، فَكَانَ الْمُلْكُ
خِيَمَةً أَرْضَهَا الْحَقُّ وَالْحِبَالُ الَّتِي تُشَدُّهَا هِيَ الشُّورَى

دَارُ النِّيَابَةِ قَدْ صُفِّتْ أَرَائِكُهَا لَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْأَحْبَارَ وَالْخُشَبَا

دَارُ مَجْلِسِ النُّوَابِ اكْتَمَلَتْ وَصُفِّتْ فِيهَا الْأَرَائِكُ (الْمَقَاعِدُ)، فَلَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْجِهَةَ
الَّذِينَ هُمْ كَالْحَبَاوَةِ وَالْخُشَبَا. الْبِرْلَمَانُ الْمِصْرِيُّ الْأَوَّلُ افْتَتَحَ فِي ١٥/٣/١٩٢٤،
كَانَ النُّوَابُ ٢١٤، وَالشُّيُوخُ ١١٩، وَأَمَامَهُ حَلَفَ الْمُلْكُ الْمَمْدُوحُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
أَحْمَدُ فُؤَادُ الْيَمِينِ: «أَحْلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ أَحْتَرِمَ الدِّسْتُورَ وَقَوَانِينِ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ،
وَأَحَافِظُ عَلَى اسْتِقْلَالِ الْوَطَنِ وَسَلَامَةِ أَرْضِيهِ». وَكَانَ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ آنَظِلْ سَعْدُ زُغَلُولُ

١٨٥ رثاء كارنارفون

يُرْتِي شَوْفِي اللُّورْدُ كَارْنَارْفُون، الَّذِي مَوَّلَ كَشْفَ مَقْبَرَةِ نُوْتِ عَنخِ آمُون، بَيْنَمَا قَامَ بِالْحَفْرِ
وَالْبَحْثِ الْأَثَارِيِّ هُوَارْدُ كَارْتِر، وَحَدَّثَ الْكَشْفَ فِي ٤/١١/١٩٢٢. وَمَاتَ كَارْنَارْفُونُ
بَعْدَ الْكَشْفِ بِأَسَابِيعٍ مِنْ بَعْوَضَةِ لَمَحْتِهِ بِأَسْوَانٍ فِي الْمَمْعِدِ. وَكَانَتْ بَرِيطَانِيَا الَّتِي تَحْتُلُ
مِصْرَ أَعْطَتْ كَارْنَارْفُونُ امْتِيَازَ التَّنْقِيبِ فِي وَادِي الْمُلُوكِ. (١٩٢٣):

فِي الْمَوْتِ مَا أَعْيَا وَفِي أَسْبَابِهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِطَطْنِ كَسَابِهِ
فِي الْمَوْتِ مَا أَنْعَبَ (أَعْيَا) الْفَكْرَ، وَكُنَّا فِي أَسْبَابِ حَدُوثِ الْمَوْتِ؛ وَالْمَرْءُ مَرْهُونٌ بِطَنْيِ
(بِمَضْمُونِ) كِتَابِهِ (فَقَرَّهْ)

إِنْ نَامَ عَنْكَ فَكُلُّ طِبِّ نَافِعٍ أَوْ لَمْ يَنْمَ فَالطَّبُّ مِنْ أَذْنَابِهِ
إِنْ سَيِّئَ الْمَوْتُ ظَنَنْتَ الطَّبَّ نَافِعًا، وَإِنْ تَذَكَّرْتَ الْمَوْتَ فَكَأَنَّ الطَّبَّ - وَأَخْطَاءَ الْأَطْيَاءِ - مِنْ أَذْنَابِهِ
(مِنْ أَعْوَانِ الْمَوْتِ)

داء النفوس، وكل داء قبله هم نسيين مجيئه بذهابه
الموت هو مرض النفوس الحقيقي، وكل مرض يلم بالنفوس قبل الموت هو مجرد هم تنسى
النفوس مجيئه فور ذهابه

وشفاء هذي الروح من آلامها ودواء هذا الجسم من أوصابه
والموت أيضا شفاء، فهو يخلص الروح من آلامها، ويخلص الجسم من أوصابه (أوجاعه)، إذ لا
مرض بعد الموت

من سره ألا يموت.. فيالعللا خلد الرجال، وبالفعل النابه
من أحب أن لا يموت، فإن الرجال يخلدون بالعللا (بالمجد) وبالفعل النابه (بالأفعال الحنة
الذائعة الصيت)

ما مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آدابه
لم يمت من له في التراب آثار، ومن تخاطفت الدنيا آدابه، كتوت عنخ آمون

هذا فتى يمشي عليه مجدداً ديباجتيه، معمرأ بخرايه
ها هو فتى (اللورد كارنارفون) يمشي فوق تراب المدفن مجدداً ذكر توت عنخ آمون وكاشفاً وجهه
للعالم مجدداً ديباجتيه (خذه)، ومعمرأ مدفنه الذي كان مطموراً

صادت بقارعة الصعيد بعوضة في الجو صائد بأزوه وعقابه
صادت بعوضة في قارعة (وسط) الصعيد ذلك الرجل الذي صاد باز توت عنخ آمون
وعقابه (والباز والعقاب طيران من الجوارح)، والطيور الجارح من شعارات ملوك مصر
القديما

لا تسمعن لعُصْبَةِ الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكذابو
لا تابه لما قالت عصبة الأرواح (جماعة قالوا إن كارنارفون لحقته لعنة الفراعنة وطاردته
أرواحهم)، فما قالوه باطل وكذاب (كذب)

الروح للرحمن جل جلاله هي من ضنائن علمه وغيبابه
الروح لله، وهي من ضنائن علمه (الغائس المخبأة). فالروح من أمر ربي

أفضى إلى ختم الزمان فقصه وحبا إلى التاريخ في محرابه
أفضى (وصل) كارنارفون إلى ختم الزمان فقصه (كسره) فانفتح له الزمان، وحبا (زحف) إلى
التاريخ في محرابه (أهم موضع منه)

وطوى القرون القَهْقَرَى حَتَّى أَتَى فِرْعَوْنَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ

وطوى القرون القَهْقَرَى (إلى الخلف)، حتى أتى فرعون مسجى وعن جانيه الطعام والشراب. وكان يوصع في مدافع ملوك مصر طعام وشراب، ومدفن توت عنخ آمون مدفن بكر لم يهتد إليه اللصوص القدماء، وعندما اكتشف كانت فيه كل محتوياته، وجاءت بعدد لصوصية المستعمر الجديدة. والبيتان الماضيان (أقصى.. وطوى) قال فيهما حافظ إبراهيم، على ذمة زكي مبارك، «قتلني شوقي بهذين البيتين»

أَخْرَجَتْ مِنْ قَبْرِ كِتَابِ حَضَارَةِ الْفَنِّ وَالْإِعْجَازِ مِنْ أَبْوَابِهِ

يا كارمارفون أخرجت من قبر أشياء هي بمثابة كتاب حضارة؛ وإن الفن والإعجاز (كالتحنيط، ودقة الصنعة) من أبواب (فصول) هذا الكتاب

فَرَفَعْتَ رُكْنًا لِلْقَضِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ سَخْبَانُ يَرْفَعُهُ بِسَخْرِ خَطَابِهِ

فدعمت بذلك قضيتنا الوطنية بركن مكين، لم يكن خطيب العرب (سخبان) ليرفع هذا الركن ببلاغته. فبهذا الاكتشاف يقن العالم أن مصر بلد مُعْرِق في الحضارة، ولا يجوز أن يشر احتلاله

١٨٦ نبل أخلاق

قال شوقي يرثي سميد زغلول ابن أخت سعد زغلول (١٩٢٣):

لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّ ضَبِّقِ الصَّدْرِ، وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ

لم يكن في غلوه (مبالفته) ضيق الصدر بمخالفته، ولم يكن في اعتداله عاجزاً

لَا بِعَادِي وَيَتَّقِي أَنْ يُعَادَى وَيُخَلِّي سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُؤَالِهْ

لا يعادي الناس ويتقي (يتجنب) أن يعاديه الناس، ولا يشغب على من لم يؤاله (لم يناصره)

١٨٧ سرقة الآثار

قال شوقي في الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون (١٩٢٣):

قَفِي يَا أختَ «يُوشَعَ» خَبْرِنَا أَحَادِيثَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ

قفي يا أخت يوشع (الشمس) وخبرنا أحاديث القرون (الأجيال) الغابرين (الماضين).

وسمى الشمس «أخت يوشع» لأن نبي اليهود المحارب «يوشع بن نون» أراد القضاء

على أعدائه قبل غروب الشمس والدخول في السبت المحرم فيه القتال، وعندما

حنحت للغروب أمرها الرب.. «فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب

بحو يوم كامل» - يشوع/أصحاح ١٠، آية ١٣ -، وقضى عليهم

وَقُضِيَ مِنْ مَصَارِعِهِمْ عَلَيْنَا وَمِنْ ذُولَاتِهِمْ مَا تَعَلَّمِينَا

وقضى علينا قصص مصارع (كيفية موت) الأجيال السابقة، وقصص ذولاتهم (مصائبهم التي

تداولت عليهم)

نرى لك في السماء خَضِيبَ قَرْنٍ ولا نُحْصِي على الأرضِ الطُّمِينَا
نرى لك أيتها الشمس قرناً (ظفر الشمس حين يبرز) خضيباً (مصبوغاً بالحمرة)، ولا نحصى الطمين
(المطمونين) بهذا القرن على الأرض فالشمس في شروقها وغروبها تجعل الزمن يمر، ويمروره
يموت الناس

مَشَيْتَ على الشَّبَابِ شَوَاطِ نَارٍ وَكُذِّتَ على المَشِيبِ رَحَى طَحُونَا
مشيت أيتها الشمس على أيام الشباب شواطئ نار (لهباً)، ثم دوت على أيام المشيب كالرحى (حجر
الطاحون) الطَّحُون (الشديدة الطحن)

تُؤَمِّنِينَ المَوَالِدَ والمَنَابِيَا وَتَبْنِينَ الحَيَاةَ وَتَهْلِمِينَا
بدورانك تساعدين الموالد (الولادات) وتساعدين المنايا (الميتات)، فبدورانك هو الزمن وهو سبب
ولادة الحياة وحدث الموت

فِيَا لَكَ هِرَّةً أَكَلْتَ بَنِيهَا وَمَا وَلَدُوا، وَتَنْتَظِرُ الجَنِينَا
يا لك من هرة أكلت أولادها، وأكلت أولاد أولادها، وتنتظر الجنين القادم

أُمُّ المَالِكِينَ بني آمون لِيَهْنِكَ أَنَّهُمْ نَزَعُوا آمونَا
أيتها الشمس، يا أم الفراعين من أبناء الإله آمون، هنياً لك أنهم نزعوا آمون (أشبهوه)

وَلَدَتْ لَهُ المَآمِينَ الدَّوَاهِي وَلَمْ تَلِدِي لَهُ قَطُّ الأَمِينَا
ولدت لآمون المآمين (الأبناء الشبهين بالآمون الخليفة العباسي الحازم)، ولم تلدي قط (أبداً)
الأمين (الخليفة العباسي العايب المهزوم)

مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الأرضِ رومَا وَمِنْ أَنوَارِهِمْ قَبَسَتْ أَثِينَا
هؤلاء الملوك من سلالة آمون مشت بنورهم حضارة روما، ومنهم اقتبست أثينا

مَلُوكُ الدَّهْرِ بالوادي أَقَامُوا على وادي الملوك مُحَجِّبِينَا
ملوك الزمان في الوادي (وادي النيل/أي ملوك مصر)، أقاموا الآن في «وادي الملوك» (موضع عند
الأقصر) مدفونين محجوبين عن الأنظار

قَرُبَ مُصَفَّدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ تُسَاقُ لَهُ المَلُوكُ مُصَفَّدِينَا
رب ملك هو الآن مصفد (مقيد) في قبره، وكان الملوك الآخرون المهزومون في المعارك يساقون
إلى حضرته مقيدين

تَقَيَّدَ فِي الشَّرَابِ بِغَيْرِ قَيْدٍ وَحَلَّ على جَوَانِبِهِ رَهِينَا
لقد تقيد في مدفته ولكن دون أغلال، وحل التراب رهيناً (مرهوناً بمكانه لا يبرحه)

تعالى الله! كان السحرُ فيهم أَلَيْسُوا لِلْحَجَارَةِ مُنْطَقِينَا

سبحان الله! كانوا بارعين في السحر، أو لم يجعلوا الحجارة تنطق في تمنائهم؟

ولستُ بِقَائِلٍ ظَلَمُوا وَجَارُوا عَلَى الْأَجْرَاءِ أَوْ جَلَدُوا الْقَطِينَا

ولا أقول إن أولئك الملوك ظلموا الأجراء (العمال المأجورين)، أو أنهم جلدوا القطيين (الخدم)

فإننا لم نُوقَّ النقصَ حتى نطالبَ بالكمالِ الأولِ

فنحن لم نوقَّ (لم نُجَنَّب) النقص لتطالب الأولين بالكمال

وما «البَسْتِيلُ» إِلَّا بِنْتُ أَمْسٍ وَكَمْ أَكَلَّ الْحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا

وما سجن «الباستيل» سوى بنت الأمس، وكانت قيود الحديد في الباستيل تأكل أجسام السجناء

وَرُبَّةٌ بِبَعَةِ عَزَّتْ وَطَالَتْ بَنَاهَا النَّاسُ أَمْسٍ مُسْحَرِينَا

وربة (رُب) بيمعة (كنيسة) عزيزة (منبعة) وعالية بناها الناس أمس مسحرينا

مُسَيِّدَةُ لِسَافِي الْعُمَى عَيْسَى وَكَمْ سَمَلَ الْقُسُوسُ بِهَا عُيُونَا

وقد شيدت تلك الكنيسة لعيسى شافي العمى (العميان)، ولكن كثيراً ما سمل (فقا) القسس فيها عيون الناس

أَخَا اللُّوردَاتِ مِثْلُكَ مَنْ تَحَلَّى بِحِلْيَةِ آلِهِ الْمُتَطَوِّلِينَا

يا أخا اللوردات (أبها اللورد كارنارفون)! يُنتظر من مثلك أن يتحلى بحلية (هزينة) آله (قومه) المتطولين (القادرين)

أَبُونَا وَأَعْظَمُهُمْ ثَرَاتٌ نَحَازِرُ أَنْ يُوُولَ لِأَخْرِينَا

أبوتنا (آبائنا) وعظماهم تراث ورثاء ونحاضر (نمانع) أن يوول (يؤول) للآخرين

وَنَأْبَى أَنْ يَحُلَّ عَلَيْهِمْ هَيْمٌ وَيَذْهَبَ نُفْبَةٌ لِلنَّاهِبِينَا

ونرفض أن يقع على هذا التراث هيم (ظلم)، وأن ينهب الناهبون

سَكَّتْ فَحَامَ حَوْلَكَ كُلُّ ظَنٍّ وَلَوْ صَرَّخَتْ لَمْ تُثِرِ الظُّنُونَا

لقد سكَّت عندما اكتشفت مدفن توت عنخ آمون ولم تفصح عن محتوياته، صامت حول مقاصدك الظنون بسبب صمتك

يَقُولُ النَّاسُ فِي سِرٍّ وَجَهْرٍ وَمَا لَكَ حِيلَةٌ فِي الْمُرْجِفِينَا . .

وقال الناس سرّاً وجهرّاً - ولا حيلة لك في المرجفين (المشككين) - قالوا . .

أَمَنْ سَرَقَ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ حَيٌّ يَعْثُ عَنِ الْمُلُوكِ مُكَفِّرِينَ
هل الذي سرق الخليفة حياً، سيف (يرفع) عن الملوك وهم في أكفانهم. وكانت مارجة بريطانية
حملت الخليفة العثماني وحيد الدين إلى مفاء عام ١٩٢٢، بعد أن ثار به الكماليون

حَلِيلِيْ أَهِيْطَا الْوَادِي، وَبِيْلَا إِلَى عُرْفِ الشَّمُوسِ الْغَارِبِيْنَا
يا صاحبي (والشاعر العربي له دائماً صاحبان يكلمهما) أهبطا وادي الملوك، وبلا معي (عرجا
معي) إلى غرف الفراغة المدفونين الذين هم كالشموس الغاربة

وَحُصَّ بِالْعَمَارِ وَبِالْتَحَايَا رُفَاتِ الْمَجْدِ مِنْ تَوْتِنَحْمِينَا
وحصا بالعمار (الريحان) والتحية رفات (بقايا) المجد من توت عنخ آمون

وَقَبْرًا كَادَ مِنْ حُسْنٍ وَطِيْبٍ يُضِيءُ حِجَارَةً وَيَضُوعُ طِينَا
وحياً قبراً كاد من جماله ورائحته الزكية يضيء بحجارته، ويتضوع العبير من طينه

وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالْمَلِكِ يُذْعَى فَصَارَ يُلَقَّبُ الْكَنْزُ الثَّمِينَا
ونزيل القبر كان يدهى المَلِك (الملك)، وأما الآن وهو ميت فصار يدهى الكنز الثمين

فَنَمَّ جَلَالَةُ قَرَّتْ وَدَامَتْ عَلَى مَرِّ الْمَقْرُونِ الْأَرْبَعِينَا
فَنَمَّ (فهناك) جلالة استقرت واستمرت أربعين قرناً

وَقُولَا لِلنَّزِيلِ: قَدُومٌ سَعِيدٌ وَحَيَّا اللَّهَ مَقْدَمَكَ الْيَوْمِ
وقولا يا صاحبي لنزيل القبر، جئت إلينا الآن فقدمك قدوم سعيد علينا (وكانت مصر أيامئذ تستقبل
عهداً دستورياً، وفكاكاً من الحماية البريطانية) فحيا الله قدمك اليمين (اليمينون)

سَلَامٌ يَوْمَ وَارْتِكَ الْمَنَايَا بِوَادِيهَا، وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا
سلام عليك يوم وارترك (حجبتك) المنايا (الموت) في واديتها (وادي الملوك الذي هو مقبرة كبيرة)،
وسلام عليك يوم ظهورك الآن بالكشف عن مدفنك

خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عَيْسَى عَلَيْكَ جَلَالَةٌ فِي الْعَالَمِينَا
خرجت كما خرج عيسى من قبره ورفعه الله إليه

وَأَنْسِمُ كُنْتُ فِي لُوزَانَ شُغْلًا وَكُنْتَ عَجِيبَةَ الْمُتَفَاوِضِينَا
وأنسم أنك كنت شغلاً شاغلاً للمفاوضين في لوزان بسويسرا (المؤتمر دام نحو ثلاثة أشهر وعقد
لاقتسام تركة الدولة العثمانية)، وكلهم تعجبوا من هذا الكشف

أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلَفُوا وَتَاهُوا وَصَلُّوا الْبَابَ عَنَّا مُوَصِّدِينَا
هل تعلم أنهم صلفوا (تفطرسوا) وتاهوا (تكبروا)، وأوصدوا الباب دون الوفد المصري الذي
ذهب يطالب بجلاء الإنجليز

وَلَوْ كُنَّا نَجُرُّ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عَنْدهُمْ عَظْفًا وَلِينَا
 سَيْفُضِي كِرْزَنُ بِالْأَمْرِ عَنَّا وَحَاجَاتُ الْكِنَانَةِ مَا قُضِينَا
 سيفضي في شأنا اللورد جورج كيرزون (وزير خارجية بريطانيا)، وحاجات الكنانة (مصر) لم يتم
 قضاؤها

زَمَانُ الْفَرْدِ يَا فِرْعَوْنُ وَلَّى وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْمُتَجَبِّرِينَ
 فيا فرعون الدفين اعلم أن زمان حكم الفرد ولّى، وانتهت دولة المتجبرين بالناس

وَأَصْبَحَتِ الرَّعَاةُ بِكُلِّ أَرْضِي عَلَى حُكْمِ الرَّعِيَةِ نَازِلِينَا
 وأصبح الرعاة (الحكام) في كل بلد نازلين عند رأي الرعية (الشعب)

فَوَادُ أَجَلُ بِالْأُسْتُورِ دُنْيَا وَأَشْرَفُ مِنْكَ بِالْإِسْلَامِ دِينَا
 الملك أحمد فؤاد بوجود المستور أكثر جلالاً منك في دنياه يا فرعون، وهو بالإسلام أشرف منك
 في دينه

وَأَهْدَى فِي بِنَاءِ الْمُلْكِ جَدًّا وَأَجْوَدُ وَالِدًا فِي الْمُحْسِنِينَ
 وأحمد فؤاد جدّه أكثر هداية (حكمة) في بناء الملك (وجده هو إبراهيم باشا ابن محمد علي)،
 ووالده أجود من فرعون إسماعيل (ووالده الخديوي إسماعيل)

بَنَى الدَّارَ النَّسِي لَا عِزًّا إِلَّا عَلَى جَنَابَاتِهَا لِلْمَالِكِينَ
 بنى أحمد فؤاد الدار التي لا عز للملوك إلا في جنباتها (نواحيها)، وهي دار البرلمان

فَعَجَّلْ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَجَلْ وَهَاتِ النُّورَ وَاهِدِ الْحَائِرِينَ
 عجل يا أحمد فؤاد بالمستور ليهدي الحائرين

مَلَائِينَ تَجُرُّ الْجَهْلَ قَبْدًا وَتُنْحَبُ بِالْقَلْبِ الْمُطْلَقِينَ
 الملايين تمشي ويقبدها الجهل، والذين يسحبون ملايين الجهال هم القلة من المطلقين (الذين نالوا
 حرية عقولهم بالعلم)

فَدَاوِ بِهِ الْبَصَائِرَ، فَهَوَ عَيْسَى وَفَكَ بِرَاحَتِيهِ الْمُفْعَلِينَ
 فداوِ بالمستور البصائر (العقول) فالدستور مثل عيسى شافي المرضى، وفك يديّ الدستور
 الكسجين

وَمَنْ يَرِ دُونَهُ حَقًّا فَلْنِي أَرَاهُ وَخَذَهُ الْحَقُّ الْمُبِينَا
 ولمن يرى الحق في أمر سوى الدستور، فلاني أرى الدستور وحده الحق الواضح.
 فقد طه حسين هذه القصيدة بادئاً بأن شوقي «قد شبع ثناءً وتقريظاً، وأحسبه لم يشبع
 نقداً بعد» وبالطبع فقد طه النخبة الفرعونية في القصيدة. وأخذ شوقي في الفاظ

كلمة «نزعوا» في البيت السابع مما اخترنا، فقد اضطر شوقي إلى أن يشرحها عندما نشر قصيدته في الأهرام، وما كان طه ليفهمها لولا الشرح، كما قال. وأثنى طه على اللطف وحفة الروح في البيت: «أمن سرق الخليفة وهو حي/ يعف عن الملوك مكفيناً». وعن كلام شوقي عن الشأن المصري إزاء عفو المحتل الإنجليزي قال طه حسين. «الحكومة المصرية خليفة أن تقرأ وخليفة أن تمتنع وخليفة أن تعمل». وقال: «ثم ينقل الشاعر أحسن انتقال، ويشب ويخيّل إليك أنه يخطو. شب من عصر الفراغة إلى العصر الذي نميش فيه. فتراه شاعراً مصرياً يعيش في هذه السنة، يحس ما نحس، ويشفق مما نشفق منه. يحب الدستور ويكلف به، ويتمنى على صاحب الجلالة في الذ لفظ وأعذبه، وفي أمتن أسلوب وأصفاه، وفي أشد العبارات تمثيلاً لأصدق المواطنين، يتمنى على صاحب الجلالة إصدار الدستور». انتهى كلام طه حسين

١٨٨ عصركم بطل

قال شوقي (١٩٢٣):

قُلْ لِلشَّابِّ بِمَصْرِ عَصْرُكُمْ بَطْلٌ بِكُلِّ غَايَةٍ إِفْدَامٌ لَهُ وَلَعُ
عصركم بطل جريء، مولع بالتأنيج التي تجرّها الشجاعة

الْبَرُّ لَيْسَ لَكُمْ فِي طَوْلِهِ لُجْمٌ وَالْبَحْرُ لَيْسَ لَكُمْ فِي عَرْضِهِ شُرْعُ
وليس لكم في طول البر لُجْم (خيّل على كل منها لجام)، وليس لكم في عرض البحر (وسطه) شُرْع (سفن لها أشعة)، يريد القول إنه ليس لمصر قوة برية أو بحرية

هَلْ تَنْهَضُونَ! عَسَاكُمْ تَلْحَقُونَ بِهِ فَلَيْسَ يَلْحَقُ أَهْلَ السَّيْرِ مُضْطَجِعُ
هل تنهضون! لعلكم تلحقون بعصركم، لأن المضطجع (المستلقي) لا يلحق الماشين

لَا يُعْجِبُنَاكُمْ سَاعٍ بِفَرْقَةٍ إِنَّ الْمِقْصَصَ خَفِيفٌ حِينَ يَفْتَقَلُ
لا تعجبوا إعجابكم على من يسمى للفرقة، فالفرقة سهلة ولكنها تؤدي إلى تخريب دائم، كالمقصص الذي يسهل عليه أن يقطع القماش ولا إصلاح لما قطع

مَا لِلشَّابِّ وَلِلْمَاضِي! تَمُرْ بِهِمْ فِيهِ عَلَى الْجَيْفِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ
والشباب، ما لهم وللماضي! والأحزاب والشيع (المنظمات السياسية) تأخذ الشباب وتغلف بهم على الماضي وترهب ما به من الجيف (الجثث) وتلاهم أحقاداً

لَا يَمْنَعَنَّكُمْ بِرُّ الْأَبْوَةِ أَنْ يَكُونَ صُنْعُكُمْ غَيْرَ الَّذِي صَنَعُوا
الوفاء للأبوة ليس معناه الامتناع عن صنع شيء لم يصنعه آباؤكم

وَكُلُّ بُنْيَانٍ قَوْمٌ لَا يَقُومُ عَلَى دَعَائِمِ الْعَصْرِ مِنْ رُكْنَيْهِ مُنْصَدِعُ
وكل بناء للأمة لا يكون مدعماً بمفاهيم عصرية يصنع من ركنيه (جانبه)

كَمْ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الصَّحَرَاءِ مِنْ شَبَوٍ يَكِلْتَاهُمَا فِي مُفَاجَاةِ الْمَتَى شَرَعُ

ما أشبه الحياة بالصحراء . كلتاها شرع (سواء) في مفاجأة الإنسان

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ كُنْتَ الْحَرِيصَ، مَتَى تَهْبُ رِيحَاهُمَا أَوْ يَظْلُعُ السَّبُعُ

مهما كنت حريصاً فأنت لا تعرف متى تهب ريح الصحراء وريح الحياة، أو متى يطلع عليك السبع

وَلَسْتُ تَأْمَنُ عِنْدَ الصَّخْرِ فَاجِئَةً مِنَ الْعَوَاصِفِ فِيهَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ

ولا تأمن عاصفة مفاجئة فيها خوف لك وهلك

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ قَدَّرْتَ مُجْتَهِدًا، مَتَى تَحْطُ رِحَالًا أَوْ مَتَى تَفْعُ

وأنت لا تدري، مهما تحببت، متى ستخط (ستنزل) رحلك من على ظهر مطبك، ومتى تفعم عليها . أنت تأني للدنيا وترحل عنها وتسافر فيها مُسْبِرًا لا مخبراً

وَلَسْتُ نَمْلُكَ مِنْ أَمْرِ الدَّلِيلِ سِوَى أَنَّ الدَّلِيلَ وَإِنْ أَرَدَاكَ مُتَّبِعُ

وفي الصحراء - وأيضاً في الحياة - ليس في يدك من أمر المرشد إلا أنه يجب عليك اتّباعه وإن أَرَدَاكَ (أهلكك)

وَمَا الْحَيَاةُ إِذَا أَظْلَمَتْ وَإِنْ خَذَعَتْ إِلَّا سَرَابٌ عَلَى صَحَرَاءٍ يَلْتَمِعُ

والحياة نظملك (تعطلك) وتتخذك، مثل سراب يلعب في الصحراء

١٨٩ يومٌ كبير

قال شوقي يهنئ الأتراك بانتصارهم على اليونانيين سنة (١٩٢٢):

اللَّهُ أَكْبَرُ! كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ حَبَبٍ يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدُّ خَالِدِ الْعَرَبِ

يا خالد الترك (مصطفى كمال) جدد ذكرى خالد العرب (خالد بن الوليد)

سُئِلْتُ سِلْماً عَلَى نَصْرِ فُجِدْتُ بِهَا وَلَوْ سُئِلْتُ بِغَيْرِ النِّصْرِ لَمْ تُحِبِّ

طلب منك السلم بعد انتصارك، فمنحتهم السلم وجنحت لها، ولو لم تكن قد انتصرت عليهم فلن ترضى بالسلم

قَذَفْتُهُمْ بِالرِّيَّاحِ الْهُوجِ مُسْرَجَةً يَحُولُنَ أَسَدَ الشَّرَى فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

وفي الحرب كنت قد قذفت اليونانيين بالرياح الهوجاء المسرجة (التي عليها السروج/يعني الخيل)، وهي تحمل أسود الشرى (والشرى مكان قرب الفرات كثير الأسود) التي تلبس البَيْض (الخُود) واليَلْب (الدروع)

يَوْمَ كَبِدِرْ، فَخَبِلُ الْحَقُّ رَاقِصَةً عَلَى الصَّعِيدِ، وَخَبِلُ اللَّذَّةُ فِي السُّخْبِ

هذا اليوم (المعركة) مثل يوم بدر، فخبيل الترك التي معها الحق ترقص على التراب، وخبيل الله ترقص في السحب، يقول إن الله أيد مصطفى كمال في حربه مع اليونانيين بجند من عنده كما حدث يوم بدر. انتقد طه حسين هذه القصيدة في مقالين. فأبو تمام صاحب «السيف أصدق أنباء من الكتب» هو الذي «قدم إلى شوقي قوافيه وشيئا غير قليل من ألفاظه ومعانيه». وللحق فإن قصيدة شوقي لا تصمد طويلاً لملمحة أبي تمام العظيمة. ويمضي طه حسين في لهجة نذكرنا بلهجة العقاد في الديوان: «هذه القصيدة أصدق دليل وأقواء على عجز القديم عن تصوير الحياة الحديثة، وفشل الشعر العربي المصري فيما قصد إليه من إمتاع النفوس وإشعارها لذة الجمال الفني... هذه القصيدة هي أشبه شيء بالتمرين المدرسي يذهب به الأطفال مذهب المحاكاة للنماذج الفنية التي تلقى إليهم فيوفون في الصورة ويخطون في الموضوع»، انتهى كلام طه. وليذكر القارئ أن النقد موجه إلى قصيدة من ثمانية وثمانين بيتاً، أما ما اخترناه هنا فهو زيلتها

١٩٠ شمس الخلافة

قال شوقي بهنئ الثائرين بأنقرة (١٩٢٣):

قُمْ نَادِ أَنْقَرَةَ، وَقُلْ: بَهْنِيكَ مُلْكُ بَنِيَّتِ عَلَى سِيُوفِ بَنِيكَ
قُمْ أَيُّهَا الْمَنَادِي رِنَادِ أَنْقَرَةَ، وَقُلْ هِنِيئاً لَكَ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي بَنِيَتْهُ عَلَى سِيُوفِ أُمْنَانِكَ. وَأَنْقَرَةُ كَانَتْ
عَاصِمَةَ مُصْطَفَى كَمَالِ أَنْتَارُوكَ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى لِكِي
يَهْنِئَ تَرْكِيَا الْحَدِيثَةَ، ثُمَّ ظَلَّتْ عَاصِمَةَ لَتَرْكِيَا

مَنْنِي لِعَهْدِكَ يَا قَرُوقُ تَحِيَّةً كَمِيُونِ مَائِيكَ أَوْ رُبِّي وَادِيكَ
ولغروف (إستانبول) مني تحية جميلة كميون مانها وربي واديا

إِنْ أُنْسَ لَا أُنْسَ الشَّبِيْبَةَ وَالْهُوَى وَسَوَالِفَ اللَّذَاتِ فِي نَادِيكَ
مهما نسيت فلن أنسى عهد الشباب والحب، وسوالف اللذات (ما سلف من لذات) في مجالسك

وَلِيَالِيَا لَمْ نَذِرْ أَيْنَ عِشَاؤُهَا مِنْ فَجْرِهَا لَوْلَا صِبَاخُ الدِّيَكِ
ولس أنسى ليالي مرت مريعة فلم نعرف وقت العشاء من وقت الفجر فيها لولا صياح الديك

قُلْ لِلْخِلَافَةِ قَوْلَ بَاكِ شَمْسَهَا بِأَلَامْسِي لَمَّا آذَنْتَ بِدُلُوكِ
قل للخلافة قول من يكي شمسها بالأمس لما آذنت بدلوك (أوشكت على الغروب)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَارَثُوكَ عَلَى الْهُوَى بَعْدَ ابْنِ هِنْدٍ طَالَمَا كَذَّبُوكَ
إن الذين توارثوك أيتها الخلافة على الهوى (المصالحهم) بعد ابن هند (معاوية أول خليفة ورث الحكم لمن بعده تورثاً) كثيراً ما كذبوك (تصرفوا بغير ما يتطلبه معنى الخلافة)

لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ، وَإِنَّمَا لَبَسُوا طَقُوسَ الرُّومِ إِذْ لَبَسُوا
 لم يلبسوا برد النبي (عباءة النبي/ التي كان الخلفاء يتوارثونها)، أي أنهم لم يسلكوا مسلك النبي،
 وإنما لبسوا (اتخذوا) طقوس الروم عندما آلت إليهم الخلافة

١٩١ أعلمت للقمرين من أسلاف؟

قال شوقي يرثي الشاعر إسماعيل صبري (١٩٢٣):

شَرَفَ الْعَصَائِيَّيْنَ صَنَعَ نَفُوسِهِمْ مَنْ ذَا يَقِيسُ بِهِمْ بَنِي الْأَشْرَافِ
 قُلْ لِلْمَشِيرِ إِلَى أَبِيهِ وَجَدَهُ: أَعْلَمْتُ لِلْقَمَرَيْنِ مِنْ أَسْلَافِ

القمران: الشمس والقمر، وهما عزيزا النبال ولا أسلاف (أجداد) يفتخران بهم

١٩٢ إتقان

قال شوقي (١٩٢٣):

أَيُّهَا الْعَمَالُ أَفُنُوا الْـ عُمرَ كَثًّا وَاكْتِسَابَا
 يخاطب العمال ويريد منهم إثناء العمر كثًّا (تعباً). وهل يملكون سوى ذلك؟ هلاً خاطب أولاد
 الباشوات في زمنه!

وَاعْمُرُوا الْأَرْضَ فَلَوْلَا سَفِيْكُكُمْ أُمِسَتْ يَبَابَا
 يباباً: خراباً

أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ جُدُودِ خَلَدُوا هَذَا النِّعَابَا
 أَنْقَنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى أَخَذُوا الْخُلْدَ اغْتِنَابَا
 قدماء المصريين أنقنوا الصنعة (الفن) حتى نالوا بمخلفاتهم الخلود غصباً من الزمن

إِنْ لِلْمُنَقِيْنَ عِنْدَ اللَّـهِ وَالنَّاسِ ثَوَابَا
 هذا بيت بسيط، وليس فيه لا معنى بديع، ولا... ولا شيء. لكنَّ إتقان العمل أمر نفتقده في
 مجتمعاتنا كثيراً، فرأيت في هذا البيت صدى لمعنى يتردد في نفسي

١٩٣ كُفِّنَتْ فِي ثَوْبِ الزَّفَافِ

قال شوقي ينعي الخلافة (١٩٢٤):

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجَعَ نَوَاحِ وَتُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
 عادت (أصحت) أغاني العرس (الفرحة بانتصار الترك على اليونانيين وتأسيس تركيا الحديثة) رجع
 (صدى) نواح، وتُعِيَتْ الخلافة وسط مظاهر الفرح

كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الرَّقَافِ بِشَوْبِهِ وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبْلُجِ الْإِصْبَاحِ
تبْلُجُ الْإِصْبَاحِ : ظهور الفجر

وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارَسٌ أَمَحَا مِنْ الْأَرْضِ الْخِلَافَةَ مَاحٍ
تَسْأَلُ هَذِهِ الْبِلَادُ هَلْ مَعَهَا الْخِلَافَةُ أَحَدٌ مِنَ الْوُجُودِ مَحْوًا

أَسْتَغْفِرُ الْأَخْلَاقَ! لَسْتُ بِجَاهِدٍ مَنْ كُنْتُ أَدْفَعُ دُونَهُ بِسِلَاحِي
عِزًّا أَيْتَهَا الْأَخْلَاقُ، فَلَسْتُ جَاهِلًا! لَا أَجِدُ قُضْلَ مِصْطَفَى كِمَالِ «أَتَاتُورِك» الَّذِي كُنْتُ أَدْفَعُ عَنْهُ
بِسِلَاحِي (وَصِلَاحِ شَوْقِي قَلَمِهِ)

مَا لِي أَطَوَّقُهُ الْمَلَامَ، وَطَالَمَا طَوَّقْتُهُ الْمَانُورَ مِنْ أَمْدَاحِي
مَا لِي أَطَوَّقُ عَنَقَهُ بِاللُّومِ، وَكَثِيرًا مَا طَوَّقْتُهُ بِمِدَاحِي الْمَانُورَةَ (الَّتِي يَبْقَى أَثَرُهَا بَيْنَ النَّاسِ)

أُدُّوا إِلَى الْغَازِي النَّصِيحَةَ يَنْتَصِخُ إِنْ الْجَوَادَ يَثُوبُ بَعْدَ جِمَاحٍ
أُدُّوا (أَعْطُوا) إِلَى الْغَازِي (أَتَاتُورِك) النَّصِيحَةَ، وَالْحِمَاةَ الْأَصِيلَ يَثُوبُ (يَعُودُ) إِلَى طَبِيعَتِهِ بَعْدَ
الْجِمَاحِ (الْجُمُوحِ)

١٩٤ يَا رَبِّ قُوِّ يَدَهَا وَشُدَّهَا

قال شوقي في افتتاح البرلمان المصري (١٩٢٤):

مِصْرُ الْفِتْنَةِ بَلَّغَتْ أَشُدَّهَا

وَأَقْبَبَتِ الدَّمَ الزَّكِيَّ رُشْدَهَا

يَا رَبِّ! قُوِّ يَدَهَا وَشُدَّهَا

وَانْفِخْ لَهَا السُّبُلَ وَلَا تَسْلُهَا

بعد انتصار الحرب العالمية الأولى عن انهيار الدولة العثمانية التي كان شوقي يرى فيها ركناً تستند إليه مصر لحمايتها من أطماع أوروبا، وبعد نفيه وعودته إلى مصر وتولي السلطان (ثم الملك) أحمد فؤاد الحكم، ولم يكن متحمساً لشوقي، بدأ شوقي يرى أن مصر هي الأمل وهي ركن نفسها. آمن أكثر بالشعب، ولكنه رأى بعين ثاقبة ما يتقص مصر من وسائل النهوض. أجده هذه الأخطر من أجمل الشر، ثمة هنا دعاء وضراعة لله كي يقوي مصر وهي مقدمة على مرحلة الاستقلال، وألمس في الأخطر إحساس شوقي بعدم الأمان

١٩٥ استبداد باسم الجماعة

قال شوقي (١٩٢٤):

الْفِرْدُ بِالشُّورَى وَبِاسْمِ نَدِيَّهَا لَقَطَّ الْخُلَيْفَةَ فِي الظَّلَامِ شَرِيدًا

هذا الفرد (مِصْطَفَى كِمَال) بالشُّورَى وبِاسْمِ نَادِيهَا (الْجَمْعِيَّةِ الْعَامَّةِ الَّتِي كَانَ يَرْجِعُ إِلَيْهَا) لَقَطَّ (رَمَى) الْخُلَيْفَةَ فِي ظُلَامِ النِّسْيَانِ وَشَرَدَهُ

خَلَعَتْهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ عِصَابَةً لَمْ يَجْعَلُوا لِلْمُسْلِمِينَ وَجُوداً
خلعته، دون أن يخلعه المسلمون كلهم، عصابة (جماعة) تجاهلت وجود المسلمين

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الشُّعُوبِ فَلَمْ أَجِدْ كَالْجَهْلِ دَاءً لِلشُّعُوبِ مُبِيداً
وَإِذَا سَبَى الْفَرْدُ الْمَسْلُوطَ مَجْلِساً أَلْفَيْتُ أَحْرَارَ الرِّجَالِ عَبِيداً
الفرد المنسلط إذا سبى (استولى على) مجلساً، فإنك تجد الرجال الأحرار صاروا عبيداً

١٩٦ فَإِنَّكَ شَمْسٌ

قال شوقي في مكسويني حصان محبوب ثابت، ولقبوا الحصان، فيما نظن، باسم تيرنس ماك سويني Terence MacSwiney المجاهد الإيرلندي الذي صام حتى الموت في سجن الإنجليز عام ١٩٢٠، فقد كانت الشلة تزعم أن الدكتور محبوب ثابت لا يملف حصانه، وأن الحصان سيموت من الجوع. وقد يكون ورد معك في بعض الكتب أن مكسويني هذا هدأة إيطالي. لعل أصحاب تلك الكتب رأوا الاسم ذا جرس إيطالي فصنعوا ذلك التأويل. على أنني سألت وفداً إيطالياً مكوناً من نحو سبعة صحافيين عن مكسويني هذا فلم يعرفوه، وراجعت سجلات الألعاب الأولمبية، وسجلات الرياضيين الطلاب فلم أجد له أثراً، فلا بد أن يكون ماك سويني الإيرلندي هو جالب اللقب على ذلك الحصان (١٩٢٤):

تُقَدِّيكَ يَا مَكْسُ الْجِيَادُ الصَّلَادِمُ وَتُقَدِّي الْأَسَاءَةَ النُّطْلُسُ مَنْ أَنْتَ خَادِمُ
تفديك يا مكسويني (لقب حصان الدكتور محبوب ثابت) الجياد (الخيول) الصلادم (صلاب الحوافر)، وتفدي الأساة (الاطباء) النطلس (السامرون) الشخص الذي أنت خادم إياه وهو الدكتور كائنك إن حاربته فوقك عَشْتَرُ وَتَحْتَ ابْنِ سِينَا أَنْتَ حِينَ تُسَالِمُ
في الحرب يكون فوقك عترة (الدكتور ثابت)، وفي السلم تكون أنت تحت ابن سينا (د. أيضاً)، فالدكتور في حالي الحرب والسلم بارع

فإِنَّكَ شَمْسٌ، وَالْجِيَادُ كَوَاكِبُ وَإِنَّكَ دِينَارٌ، وَهُنَّ الدِّرَاهِمُ
فأنت يا مكسويني شمس والجياد (الخيول) الأخرى كواكب، وأنت دينار والجياد الأخرى دراهم

مِثَالُ سَمَاحِ الْبِرْلَمَانِ مُتَضَعَّبٌ وَآخِرُ فِي بَارِ اللَّوَا لَكَ قَائِمُ

ولك مثال (تمثال) في ساحة البرلمان، وآخر في بار اللوا (وكانت الشلة ترتاده). وكان محبوب ثابت من شخصيات ذلك العصر التي تستلر فكاهة الشعراء. كانت له دعاوى عريضة، وصوت عالي في المجالس، وصار نائباً في البرلمان، وكان يُعْتَمَدُ النفس بوزارة الصحة والفصيدة دعابة ثقيلة على البحر الطويل، وفيها إيماء فكه إلى قصيدة حاهلية في مدح السعمان. والشعر عند العرب ديوان لحياتهم، ويدخل فيه الظرف والسخرية والدعابة والتهكم والحزن والفرح وكل شيء. كل ما يحسن بالمرء أن يقوله تترأ، وما لا يحسن، داخل في حد الشعر. والمدار بعد ذلك على الإجابة والفن ووفرة ما في الشعر من شعور

١٩٧ الدنيا الغدارة

قال شوقي يداعب محجوب ثابت، وقد استبدل بحصانه مكسوبيني سيارة، (١٩٢٤):

لَكُمْ فِي الْخَطِّ سَيَّارَةٌ حْدِيثُ الْجَارِ وَالْجَارَةِ
وَقَدْ تَخَرُّنُ أَحْيَانًا وَتَمْشِي وَحْدَهَا تَارَةً

نحرن: تعاند ولا تمشي

وَلَا تُشْفِئُهَا عَيْنٌ مِنْ السَّبَنَزِينِ قَوَّارَةٌ
تَرَى الشَّارِعَ فِي دُغْرِ إِذَا لَاحِثٌ مِنَ الْحَارَةِ
فَقَدْ تَمْشِي مَتَى شَاءَتْ وَقَدْ تَرْجِعُ مُخْتَارَةً
فَضَى اللَّهْ عَلَى السَّوَّا فِي أَنْ يَجْمَعَهَا دَارَةٌ
يُقَفِّي يَوْمَهُ فِيهَا وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَنْ زَارَةٌ

الليل: أي في الليل

أَدْنِيَا الْخَيْلِ يَا مَكْسِي كَدْنِيَا النَّاسِ غَدَّارَةٌ؟

مكسي: مكسوبيني، حصان الدكتور محجوب ثابت

فَصَبْرًا يَا فَنَى الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحُرِّ صَبَّارَةٌ
وَلَا وَاللَّهِ مَا كَلَّفُ تَ مَحْجُوبًا وَلَا بَارَةٌ

البارة: قطعة عملة فضيلة القيمة

فَلَا الْبَرْسِيْمُ تَدْرِيو وَلَا تَعْرِفُ نُوَّارَةٌ

١٩٨ انتحار الحصان

قال شوقي يمزي محجوب ثابت في نفوق حصانه (١٩٢٤):

يَا مَكْسُ دَنِيَاكَ عَارَةٌ وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مُدَارَةٌ
يَا مَكْسَ (مكسوبيني: حصان الدكتور محجوب ثابت) دنيَاكَ عَارَةٌ (شيء مستعار)، وَالْمَوْتُ كَأْسٌ
تَلَوْرُ عَلَى الشَّارِبِينَ

إِذَا نَلِغْنِ التُّسْرَاقِي فَكَيْلُ رِيحِ خَسَارَةٍ
إِذَا بَلِغْتَ الْأَرْوَاحَ التَّرَاقِي (الترقوة عظيمة في أعلى الصدر)، فَكُلْ مَا رِيحُهُ الْمَرْءُ يَتَحَوَّلُ إِلَى خَسَارَةٍ

لَمَّا جَفَاكَ ابْنُ سَيْنَا وَهَامَ بِالسَّيَّارَةِ

عندما جفاك (مجرّك) ابن سينا (أي الدكتور محبوب ثابت)، وهام هياماً بيارته التي ..

تَفِرُّ مِنْهُ وَتَجْرِي كَالنَّحْلَةِ الدَّوَّارَةِ

فلا إلى البوقِ تُصغي ولا إلى الزُّمَّارَةِ

وقد تَهْتِكُ فِيهَا حَتَّى أَضَاعَ وَقَارَةَ

حَمَلْتَ مِنْ ذَاكَ غَمًّا أَذَابَ مِنْكَ الْمَرَارَةَ

حتى انحرت جريئاً والآنحارُ جَسَارَةَ

١٩٩ .. ويكي البلشفي والاشتراقي

قال شوقي مضحكاً، والقصيدة على لسان الدكتور محبوب ثابت بعد أن نفق حصانه مكسوبي:

يَمِيناً بِالطَّلَاقِ وَبِالْعِتَاقِ وَبِالدُّنْيَا الْمُعْلَقَةِ الْمَذَاقِ

أحلف بالطلاق وبالعتاق (بعتق عبيدي)، وبهذه الدنيا المعلقة (المرّة) المذاق، والكلام على لسان الدكتور محبوب ثابت

وَكُلُّ قَقَارَةٍ فِي ظَهْرِ مَكْسِي بِصَحْرَاءِ الْإِمَامِ، وَعَظِيمِ سَاقِ

وأحلف بكل فقرة في ظهر الحصان النافق مكسوبي والمدفون في صحراء الإمام (الشافعي)، وأحلف بعظام ساقه

وَتُرْبَتِهِ، وَكُلُّ الْخَيْرِ فِيهَا، وَنَسَبَتُهُ الشَّرِيفَةَ لِلْبُرَاقِ

وأحلف بترته، ونسبه الذي يعود للبراق (الدابة التي عرجت بالرسول إلى السماء). لا تُرضي هذه الفكاهة المعتزتين في أيامنا، ولكن عصر شوقي كان عصراً يضحك فيه الأزهريون، وسامرون مع الأدباء ويروون خمرياتهم، وينقدونها نقداً أدبياً لا دينياً، تماماً مثلما كان الفقهاء يفعلون في عصور الإسلام الزاهية

وَبِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَمَا حَوْتُهُ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَذْهَانِ بَاقِ

وأحلف بالخطب الطويلة وما فيها من معان، وإن نسيها الجميع

وَكُسْرِي الشُّعْرَ إِنْ أَنْشَدْتُ شِعْرًا وَنُظْقِي الْقَافَ وَاسِعَةَ النُّطَاقِ

وأحلف بكسري للشعر وأنا أرويه، ونظقي القاف الفخمة (وقد شبه حافظ إبراهيم قاف محبوب ثابت بطلقات المدفع)

أَيْشْتُنِي «سَلِيمَانُ بْنُ فُوزِي» وَيَبِي فِي يَدِي وَمَعِي طِبَاقِي
بعد هذا الحلف كله لا يقول لنا الدكتور ماذا سيفعل، بل يشكو من أن سليمان فوزي (صاحب
مجلة الكشكول المعادية للوفد) يشتمه وهو في كامل أهنته يحمل يديه (غليونه) ومعه طباقه (تَغْه)

تُقَاقِي ذَقْنَهُ مِنْ غَيْرِ بَيْضٍ وَلِي ذَقْنٌ تَبْيِضُ وَلَا تُقَاقِي
ذقن سليمان موري تقاقي (تخرج كصوت الدجاج): يتكلم وذقته تتحرك ولكنها لا تبيض، وأما
ذقني أنا - والكلام على لسان محبوب - فهي تبيض دون أن تقاقي

أَنَا الطَّيَّارُ: رَجُلٌ فِي دِمَشْقٍ إِذَا اشْتَدَّتْ وَرَجُلٌ فِي الْعِرَاقِ
أنا أطير (أسافر سريعاً) فرجل في دمشق ورجل في العراق إذا اشتدت الأزمات

أَلَا طُرٌّ عَلَى الْعَيْهَوْرِ طُرٌّ وَإِنْ أَبْدَى مَجَامِلَةَ الرَّفَاقِ
طرز على الميهور (الفاجر) رغم ما يبدى من مجاملة

بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ يَنَالُ مَنِّي وَيَوْمَعُنِي عِنَاقاً فِي الرَّقَاقِ
بقارعة الطريق (وسط الطريق وأمام الناس) ينال مني (يؤذني)، ويوسعني (يملأني) عناقاً في الرقاق
بعيداً عن الأنظار

وَلَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ سِوَاؤُ حَظِّي وَبِالسُّودَانِ قَدْ طَالَ التَّصَاقِي
والدكتور محبوب أصل أبيه من دنقلة بالسودان، وظل يناصر قضية ارتباط مصر بالسودان

فَسَبْحَانَ الْمُفَرَّقِ! حَظٌّ قَوْمٍ فَنَاطِيرُ، وَأَقْوَامٌ أَوَاقِ
فسبحان المفرق (الموزع للرزق)! فخط البعض قناطير، وحظ آخرين أواقي (الأوقية عيار وزن شغل
جداً بالقياس إلى القنطار)

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّعْدَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي الْبَلْشَفِيُّ وَالْأَشْتِرَاقِي
السعداء: الأغنياء السعدون. الاشتراقي هذه فيها ظرف كثير، رجوت ألا يكون فانك

٢٠٠ سحر الدرهم

قال شوقي يداهب الدكتور محبوب ثابت:

قُلْ لَأَنْ سَمِينَا: لَا طَبِيبَ بَ الْيَوْمَ إِلَّا الدَّرْهَمُ
قل لأبن سينا (يسخر من الدكتور محبوب ثابت) إن الطيب الحقيقي اليوم هو الدرهم

هُوَ قَبْلَ «بُقْرَاطٍ» وَقَبْلَ لَكَ لِلْجِرَاحَةِ مَرْهُمُ
هو قبل بقراط (طبيب اليونان) وقبلك يا دكتور محبوب مرهم الجراح

وَالنَّاسُ، مُنْذُ كَانُوا، عَلِيهِ دَائِرُونَ وَخُشُونُ

والناس، منذ كان ناس، يدورون ويخومون حول الدرهم

وَيَسْخَرُهُ تَعْلُو الْأَمَّا فَلُ فِي الْعِيُونِ وَتَغْظُمُ

بحر الدرهم يعلو أسافل الناس ويعظمون في العيون

٢٠١ براغيث محجوب

قال شوقي يداهب الدكتور محجوب ثابت:

بِرَاغِيْثٍ مَحْجُوْبٍ لَمْ أَنْسَهَا وَلَمْ أَنْسَ مَا طَعِنَتْ مِنْ دَمِي
طَعِنَتْ: أَكَلَتْ

تَشْقُ خِرَاطِيْمُهَا جَوْرِي تَنْقُذُ فِي اللَّحْمِ وَالْأَغْظَمِ

تُرْحَبُ بِالضَّيْفِ فَوْقَ الطَّرِيقِ فَبَابِ الْعِبَادَةِ فَالْثُلُمِ

قَدْ انْتَشَرَتْ جَوْقَةٌ جَوْقَةٌ كَمَا رُشَّتِ الْأَرْضُ بِالسُّنْمِ

وَتَرْقُصُ رَقْصَ الْمَوَاسِي الْجَدَاوِ عَلَى الْجِلْدِ، وَالْعَلَقِ الْأَسْحَمِ

ترقص رقص المواسي (السكاكين) الحداد (الحادة)، على الجلد، وترقص مثل العلق (الحشرات الماصة للدم) الأسحم (الأسود)

إِذَا مَا ابْنُ سِينَا رَمَى بَلْعَمًا رَأَيْتَ الْبِرَاغِيْثَ فِي الْبَلْعَمِ

وَتُبْصِرُهَا حَوْلَ بَيْبَا الرَّئِيسِ وَفِي شَارِبِيْهِ وَحَوْلِ الْفَمِ

ببب: غليون، والرئيس لقب ابن سينا

وَبَيْنَ خَفَائِرِ أَسْنَانِيهِ مَعَ الشُّوسِ فِي ظَلَبِ الْمَطْعَمِ

خفائر: خمر، المطعم: الطعام

٢٠٢ رثاء المنفلوطي

قال شوقي برثي المنفلوطي، ومات يوم أطلق الرصاص على سعد زغلول في محاولة اغتياله. (يوليو/تموز ١٩٢٤):

اخْتَرْتُ يَوْمَ الْهَوْلِ يَوْمَ وَدَاعٍ وَنَعَاكَ فِي عَصْفِ الرِّيحِ النَّاعِي

اخترت، وكان المنفلوطي هو الذي اختار يوم موته!، يوم الهول (يوم إطلاق النار على سعد زغلول) لتودعنا، ونعناك الناعي والرياح عاصفة (قيل كان يوماً عاصفاً)

هَتَفَ النُّعَاةَ ضُحًى فَأَوْصَدَ دُونَهُمْ جُرْحُ الرَّئِيسِ مَنَافَذَ الْأَسْمَاعِ
جاء النُّعَاةُ (ناقلو خبر وفاة المنفلوطي) بالخبر عند الضحى، ولكنَّ إصابة سعد بجرح سدت أَسْمَاعَ
الناس، وشغلَّتْهم عن وفاة المنفلوطي

مَنْ مَاتَ فِي فَرْعِ الْقِيَامَةِ لَمْ يَجِدْ قَدَمًا تُشَيِّعُ أَوْ خَفَاوَةً سَاعِ
من مات في يوم القيامة لم يجد قدماً تسير في تشييعه؛ وإصابة سعد جعلت مصر كيوم القيامة.
وشوقي في هذه الفترة من أصدقاء سعد، بعد أن كان عَرَضَ به في شعر سابق، وقد مكثه حزب
سعد «الوفد» في هذه الفترة من مقعد في مجلس الشيوخ

مَا ضَرَّ لَوْ صَبَرْتَ رَكَابُكَ سَاعَةً كَيْفَ الْوُقُوفُ إِذَا أَهَابَ الدَّاعِي
ماذا كان يضر لو صبرت ركابك (مطيتك) التي تأخذك إلى العالم الآخر ساعة (بعض الوقت) كي
يعطيك الناس ما تستحق من التوديع، ولكن هل يمكن الوقوف إذا أهَابَ (حُتَّ) داعي الآخرة؟

خَلَّ الْجَنَائِزَ عَنْكَ، لَا تَخْفَلْ بِهَا لَيْسَ الْغُرُورُ لِمَيْتٍ بِمَنَاعِ
دع الجنائز والاهتمام بها، فالغرور الذي يجعل المرء حريصاً على جنازة فخمة لا يفيد الميت شيئاً

مَنْ ضَاقَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ حَكِيمَهَا إِنْ الْحَكِيمُ بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ
حكيم الدنيا الحقيقي من كان رحيب الباع (واسع الصدر)

مَنْ شَوَّهَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ فِي الْمُلْكِ غَيْرَ مُعَذِّبِينَ جِياعٍ؟
بخطاب المنفلوطي: من ذا الذي شوه الدنيا في عينك فلم تكن ترى في الملك (ملك الله/أي
الدنيا) سوى المعذبين والجِيعاء، وهذا كان حال المنفلوطي في نظراته وهجراته وما ترجم من
روايات جميعاً

لَا الْفَقْرُ بِالْعَبْرَاتِ خُصٌّ، وَلَا الْغِنَى غَيْرُ الْحَيَاةِ لَهْنٌ حَكْمُ مَشَاعِ
ليست العبرات (الدموع/ وهو اسم كتاب للمنفلوطي) خاصة بالفقر ولا بالغنَى، وَغَيْرُ (مضائب)
الدنيا مشاع

مَا زَالَ فِي الْكُوخِ الْوَضِيعُ بَوَاعَتْ مِنْهَا، وَفِي الْقَصْرِ الرَّفِيعِ دَوَاعِ
يوجد في الكوخ دائماً بواعث تبعث على الدموع، وفي القصر الفخم ما يدعو للدموع أيضاً

فِي الْقَصْرِ حَيَاتٌ يَسِيْبُهَا بِهِ حَاوِي الْقَضَاءِ، وَفِي الرِّيَاضِ أَفَاعِ
كان القضاء له حاورٌ ماهر من الحواة يسبب (يثرك) الأفاعي تسرح في الفقر وحياة الفقراء؛ لكنَّ
أيضاً في الرياض (البساتين) أفاعٍ

وَلَرُبَّ بُؤْسٍ فِي الْحَيَاةِ مُقْتَنِعٍ أَرَى عَلَى بُؤْسٍ بِغَيْرِ قِنَاعِ
وثمة بُؤْسٌ مقْتَنِعٌ أرى (زاد) على بُؤْسٍ صريح

سَكَنَ الْأَجْبَةُ وَالْعِدَى، وَفَرَعَتْ مِنْ حَقْدِ الْخُصُومِ وَمِنْ هَوَى الْأَشْيَاعِ
الآن بموتك سكن (هدأ) الأجرة والأعداء، واسترحت من حقد الخصوم ومن ميل الأشياء
(الأنصار) على حد سواء

فَافْزَعْ إِلَى الزَّمَنِ الْحَكِيمِ، فَعِنْدَهُ نَقْدٌ تَنْزَرُهُ عَنْ هَوَى وَنِزَاعِ
فافزع (مالجأ) إلى الزمن الحكيم، فالنقد الذي يوفره كُرُ السنين نقد منزّه عن الغرض وعن
الخصومة. وكان شوقي يكره النقاد كراهية شديدة، وفي هذه السنة كانت قد مرت ثلاث سنين على
الهجمة القوية التي شنّها العقاد على شوقي في كتاب الديوان. وقيل إن شوقي كان يدفع للصحف
لتمدح شعره، أو لتمتّع عن نقده

فَإِذَا قَضَى لَكَ أَثْبَتَ مِنْ شُمِّ الْعُلَى بَنَزِيَّةٌ بَعُدَتْ عَلَى السُّطْلَاعِ
فإذا حكم لك الزمن بالضوق أثبت (رجعت) من الجبال العالية سالكاً ثنية (طريقاً جبلياً) بعيدة على
السطلاع (الطالعين)، يقصد المتقين

وَأَجَلٌ مَا فَوْقَ التُّرَابِ وَتَحْتَهُ قَلَمٌ عَلَيْهِ جَلَالَةُ الْإِجْمَاعِ
وأجل الأحياء والأموات صاحب قلم يجمع الناس على عبقريته

٢٠٣ نجاة سعد

قال شوقي عندما اعتدى على سعد زغلول شاب أطلق الرصاص فأصابه في ذراعه،
(١٩٢٤):

نَجَا وَتَمَائِلَ رُبَائِهَا وَدَقَّ الْبَشَائِرَ رُكْبَانُهَا
نجا ثم تمائل للشفاء رهان السفينة، ودق ركبان السفينة (ركابها) الطبول بإعلان البشائر (الأخبار
الطيبة)

وَهَلَّلَ فِي الْجَوْ قَيْدُومُهَا وَكَبَّرَ فِي الْمَاءِ سُكَّانُهَا
وهلل (قال لا إله إلا الله) فيدوم السفينة (مقدمتها)، وكبّر (قال الله أكبر) سكان السفينة (دفنتها)؛
والقيدوم أول السفينة والسكان في آخرها

تَحَوَّلَ عَنْهَا الْأَذَى، وَانْثَنَى عُيَابُ الْخَطُوبِ وَطُوفَانُهَا
تحول الأذى عن السفينة التي هي مصر، وانثنى بعيداً عياب (موج) الخطوب (المصائب)
وطوفانها

نَجَا نَوْحُهَا مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِي وَضَلَّ الْمَقَاتِلَ عُذْوَاتُهَا
نجا نوحها (قائد السفينة ويشبهه بنوح النبي) من يد المعتدي، وقد ضلّ (أخطأ) المقاتل (أجراه)
الجسم التي تسبب إصابته في الموت قتلاً) عدوان هذه اليد

وَقَى الْأَرْضَ شَرَّ مَقَادِيرِهِ لَطِيفُ السَّمَاءِ وَرَحْمَانُهَا

وقى (حمى) الله الأرض شرَّ مقاديره (الشورر التي كتبها علينا)

وَنَجَّى الْكَثَاةَ مِنْ فِتْنَةٍ تَهْلِكُ النَّفْسَ نَبْرَانُهَا

ونجى الكثانة (مصر) من فتنة كانت ستحدث لو قتل سعد، وقد هدت نيران هذه الفتنة النيل (مصر)

يَسِيلُ عَلَى قَرْنِ شَيْطَانِهَا عَقِيقُ الدَّمَاءِ وَعَقِيَانُهَا

وكانت تسيل على قرن شيطان هذه الفتنة (والشيطان، حسبما يتخيله الأوروبيون، ذو قرنين)
الدماء التي تشبه العقيق (الحجر الكريم الأحمر) وتشبه العقيان (الذهب الأحمر)، فالدماء ثمينة
كهذين الشينين وحمراء مثلهما

فِيَا سَعْدُ! جُرِّحْكَ سَاءَ الرِّجَالِ فَلَا جُرِّحْتَ فِيكَ أَوْطَانُهَا

جرحك ساء الرجال، وأدعو أن لا تجرح بجرحك أوطان هؤلاء الرجال

وَقَنَّكَ الْعِنَايَةَ بِالرَّاحَتَيْنِ وَطَوَّقَ جِيدَكَ إِحْسَانُهَا

وقنك (عننك) العناية الإلهية براحتها، وطوَّقَ جِيدَكَ (عننك) إحسان الله

أَرَى مَصْرَ يَلْهُو بِحَدِّ السَّلَاحِ وَيَلْعَبُ بِالنَّارِ وَلَدَانُهَا

وراح بخير مجال العقول يُجِيلُ السِّيَاسَةَ غُلَمَانُهَا

وراح الغلمان بمصر يجولون (يديرون) السياسة في مجال غير مجال العقل

وَأَيْنَ النَّبُوغُ وَأَيْنَ الْعُلُومُ وَأَيْنَ الْفَنُونُ وَإِتْقَانُهَا

فأين اعتبار النبوغ والعلم والفن والإتقان. وهذه الأربعة جميعاً مهمة عند شوقي الذي اطلع على ما
حققته فرنسا من كل ذلك. وهو يردد هذه النغمة كثيراً في قصائده

وَأَيْنَ مِنَ الْخُلُقِ حَظُّ الْبِلَادِ إِذَا قَتَلَ الشَّيْبَ شُبَّانُهَا

وما حظ بلدنا من الأخلاق عندما يقتل الشبان الشيب (الشائين/المسنين)

وَأَيْنَ الْمَعْلَمُ، مَا خَطْبُهُ؟ وَأَيْنَ الْمَدَارِسُ، مَا شَأْنُهَا؟

وما شأن المعلم، وشأن المدارس؟ وهل تربي النشء على الخلق السليم

لَقَدْ عِبَتْ بِالنِّيَاقِ الْحُدَاةُ وَنَامَ عَنِ الْإِبِلِ رُغِيَانُهَا

لقد عبث الحداة (الجمالون الذين يفتنون لجمالهم وهي تيسر) بالنياق (إناث الجمال)، ونام الرعاة
وأعملوا الإبل

وَيَا سَعْدُ! أَنْتَ أَمِيرُ الْبِلَادِ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنْكَ أَيْمَانُهَا

أيمانها: أبايديها اليمنى، فقد ملأت مصر يدها بسعد واكتفت بقيادته

ولَنْ تَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاةُ وَتُبْتَرَ مِنْ مِصْرَ سَوْدَانِهَا
لن ترضى أن تقد (تقطع) القناة منها، وفي ذلك الوقت كان الكلام كثيراً بشأن سيادة مصر على قناة
السويس، ولن ترضى أن يبتز السودان فلا تعود لمصر سيادة عليه

وَحُجَّتُنَا فِيهِمَا كَالصَّبَاحِ وَلَيْسَ بِمُعْجَبٍ تَبْيَاهَا (توضيحها)
وحجة مصر، في القناة والسودان كليهما، واضحة ولا يعجبك (يعجزك) تبياها (توضيحها)

فَمِصْرُ الرِّيَاضِ، وَسَوْدَانُهَا عِوُنُ الرِّيَاضِ وَخُلُجَانُهَا
فمصر هي البساتين، والسودان هو عيون الماء والخلجان (الأنهار) لهذه البساتين. البس من
السودان يأتي النيل لمصر؟

وَمَا هُوَ مَاءٌ، وَلَكِنَّهُ وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشِرْيَانُهَا
وليس النيل ماء فحسب بل شريان حياة

وَأَمَّا الشَّرِيكَ فَمِلَاتُهُ هِيَ الشَّرِكَاتُ وَأَقْطَانُهَا
وأما الشريك (إنجلترا، شريكة مصر في السيادة على السودان) فملاته (حججه) في عدم إعطاء
السيادة لمصر وجود شركات تحتاج إلى القطن. وقد أصيب سعد بالرصاصة في ساعده الأيمن وهو
في طريقه إلى إنجلترا للتفاوض على الاستقلال مع رئيس الوزراء البريطاني رمزي مكدونالد، وقد
سافر بُعيد شفائه واجتمع مع مكدونالد في سبتمبر أيلول ١٩٢٤، وتمسك الإنجليز بالسيطرة شبه
المتفردة على السودان

وَحَرْبٌ مَضَتْ نَحْنُ أَوْزَارُهَا وَخَيْلٌ خَلَّتْ نَحْنُ فَرَسَاتُهَا
ومن حجج الإنجليز الحرب ضد المهدي في السودان لكنا نحن أوزارها (أسلحتها)، ومن
حججهم الخيل التي خلت (مضت)، ولكنا كنا نحن فرسان هذه الخيل

فَأَيْنَ مِنَ الْمَنْشِ بَحْرُ الْغَزَالِ وَفَيْضُ نِيَانْزَا وَتَهَاتَانُهَا
فأين من بحر المنش (الأنهار الإنجليزية بين فرنسا وإنجلترا) بحر الغزال (منطقة نيلية في السودان)
ونيانزا (بحيرة من منابع النيل، واسمها الأشهر بحيرة فكتوريا) وفيضا وتهاتنا (مطولها بالمطر)،
فقد نفهم مطالبة الإنجليز بحصة في بحر المنش أما بحر الغزال فما أبهده عنهم!

وَأَيْنَ التَّمَسِيحُ مِنَ لُجَّةِ يَمُوتُ مِنَ الْبَرْدِ حَيْتَانُهَا
وأين تماسيح النيل من لجة (بحر) يموت من البرد حيتانها، فالتماسيح يعيش في جو إفريقيا الحار
فقط

وَلَكِنْ رُؤُوسُ لَأَمْوَالِهِمْ يَحْرُكُ قَرْنِيهِ شَيْطَانُهَا
ولكن الأمر هو أن رؤوس أموالهم كرؤوس الشياطين التي تحرك قرونها

ودعوى القوي كدعوى السباع مِنْ الثَّابِّ وَالظُّفْرِ بُرْهَانُهَا
ودعوى (قضية) القوي هي كقضية السباع لا برهان عليها إلا الثاب والظفر

٢٠٤ العلم والخلق

قال شوقي (١٩٢٤):

وَجَدْتُ الْعِلْمَ لَا يَبْنِي نَفْسًا وَلَا يُغْنِي عَنِ الْأَخْلَاقِ شَيْئًا
وَلَمْ أَرْ فِي السَّلَاحِ أَضْلَ حَدًّا مِنْ الْأَخْلَاقِ إِنَّ صَحْبَتْ غَوِيًّا
كنت أحب لو كان شوقي قال غياً بدل غوياً

٢٠٥ الروح

قال شوقي (١٩٢٤):

ضُمِّي قِنَاعَكَ يَا سَعَادُ أَوْ ارْفَعِي هَذِي الْمَحَاسِنُ مَا خُلِقْنَ لِبُرْقِ
ضمي قناعك واستري به وجهك يا سعاد، أو ارفعيه، لكن... محاسنك ما خلقها الله لكي تبتري
وتحجبها

بَلْ مَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بِجَلْوَةٍ إِنَّ الْعُرُوسَ كَثِيرَةُ الْمُتَطَلِّعِ
ولماذا لا نسحين بجلوة (انكشاف العروس في عرسها)، والعروس كثيرة المتطلع (المتطلعين
الناظرين إليها)

لَيْسَ الْحِجَابُ لِمَنْ يَجِزُّ مَنَاقِلُهُ إِنَّ الْحِجَابَ لِهُيَيْنٍ لَمْ يُنَمَّعْ
الحجاب ليس لمن يكون عزيز المنال، بل للفتاة التي ليس هناك من يمنعها ويحجبها، وأنت ممنعة
محمية ولست بحاجة لفتاع. شوقي هنا يتغزل، لكنه يتحدث أيضاً عن «الروح» التي هي محبوبة
هنا مع أنها في حفظ الله

أَنْتِ الَّتِي اتَّخَذْتَ الْجَمَالَ لِعِزِّهِ مِنْ مَظْهَرٍ، وَلِإِسْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ
أنت اتخذك الجمال (ذات الجميل/ الله) مظهراً لعزه وموضِعاً لِسره

لِمَسْنِكَ رَاحَتُهُ، وَمَسْنِكَ رَوْحُهُ فَأَتَى الْبَدِيعُ عَلَى مِثَالِ الْمَبْدِعِ
لمسك يد الله وروحه، فجئت بدیعة لأنك مخلوقة المبدع

مَا بَالُ أَحْمَدَ عَيَّ عَنْكَ بَيَانُهُ بَلْ مَا لِعِيسَى لَمْ يَقُلْ أَوْ يَدَّعِ
كف عي أحمد (عجز بيان الرسول محمد) عن شرحك، بل ما لعيسى لم يقل فيك شيئاً ولا
ادعى معرفة بك أينها الروح

ولسان موسى انحلَّ إِلَّا عُقْدَةً مِنْ جَانِبِكَ علاجُها لم يَنْجِعِ
ولسان موسى اليّ كان فيه لغة ثقيلة فانحلت عقدة (بأن رافقه أخوه الميّن هارون) ولكن العقدة
التي به من جانبك لم يتجع (يقد) فيها العلاج

٢٠٦ قم للمعلم

قال شوقي في حفل نادي المعلمين، وكان هذا الحفل قبل أسبوع من افتتاح البرلمان
(١٩٢٤):

قُمْ لِلْمَعْلَمِ، وَقُو التَّبْجِيلَ كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
قم للمعلم موفياً له التبجيل، فالمعلم كاد أن يكون رسولاً. ما أكثر ما يأمر شوقي قراء شعره
بالتبجيل، حتى لكأننا قاعدون على قلبه

أَعْلِمْتُ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي بَيْنِي وَيَنْشَأُ أَنْفُسًا وَهَقُولًا
سَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ! خَيْرَ مُعَلِّمٍ عَلَّمْتُ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
القرون: الأجيال، يشير إلى الآية: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾

أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينِ سَبِيلًا
عَلَّمْتَ يُونَانًا وَمِصْرَ، فَزَالَتَا عَنْ كُلِّ شَمْسٍ مَا تُرِيدُ أَفُولًا
علمت يا رب اليونان ومصر، فزالتا عن (خلفتا) شمساً من الحضارة لا تريد أفولاً (هباباً)،
بخلاف شمس السماء التي تأفل كل يوم

وَالْيَوْمَ أَصْبَحْنَا بِحَالِ طُفُولَةٍ فِي الْعِلْمِ تَلْتَمِسَانِي تَطْفِيلًا
ورجعت اليونان ومصر إلى حال الطفولة الحضارية، وهما الآن تلتسان (تطلبان) العلم تطفيلًا
(تطفلاً)

ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ وَاسْتَعَذَّبُوا فِيهَا الْعَذَابَ وَبِيلًا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم واستعذبوا (استطابوا) في سبيلها العذاب الويل (الشديد)

سُقْرَاطُ أَعْطَى الْكَأْسَ، وَهِيَ مَيِّتَةٌ، شَفَقَنِي مُجِبَّ يَشْتَهِي النَّقْبِيلَا
سقراط اليوناني أعطى كأس السم - وهي مية (موت) - شفتني محب يشتهي النقبيلا

عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ، وَهِيَ غَبَاوَةٌ، فَابْيَ، وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلًا
عرضوا عليه التراجع عن آرائه أو الهرب من سجنه، ولكنه وجد الحياة غباوة فغير مادي، فرفض
وآثر (فضل) أن يموت نبيلًا

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيرَةٌ وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ الْعُقُولِ قَلِيلًا
شجاعة القلب (التحمس وخوض القتال مثلاً) شائعة، وشجاعة العقل (الصمود في سبل المدا) نادرة

أَوْكُلُ مَنْ حَامَى عَنِ الْحَقِّ اقْتَنَى عِنْدَ السَّوَادِ ضَغَائِنًا وَدُحُولًا
هل كل من حامى (دافع) عن الحق صار عليه أن يقتني (يجتلب) لنفسه عند السواد (عامه الناس) الضغائن (الأحقاد) والدحول (الثارات)

لَوْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ الصَّلِيبَ وَخَطْبَهُ لَأَقِمْتُ مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ دَلِيلًا
لو كنت مؤمناً بالصلب وخطبه (شأنه) أن المسيح صلب ومات على الصليب كما يعتقد المسيحيون لاجعلت من صلبه دليلاً على قولي

وَنَبِثْتُ خُطَى التَّعْلِيمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَمَشَى الْهُوَيْنَى بَعْدَ إِسْمَاعِيلَا
وبثت (ضغنت) خطى التعليم في مصر بعد محمد علي باشا، ومشى التعليم الهويني (بطيئاً) بعد الخديوي إسماعيل

حَتَّى رَأَيْنَا مِصْرَ نَخْطُو إِصْبَعَا فِي الْعِلْمِ إِنْ مَشَتْ الْمَمَالِكُ مِيلَا
تلك الكفور، وحشوها أُمِّيَّةً، مِنْ عَهْدِ خَوْفُو، لَمْ تَرَ الْقِنْدِيلَا
هذه الكفور (القرى) المحشوة بالأمية من عهد الفرعون خوفو، لم تعرف الكهرباء بعد

تَجَدُّ الَّذِينَ بَنَى الْمِسْلَةَ جَدُّهُمْ لَا يُخَوِّسُنُونِ لِإِبْرَةِ تَشْكِيْلَا
هؤلاء الذين بنى جدهم الفرعوني المسلة (نصب على شكل إبرة ضخمة) لا يخشون تشكيل (صناعة) إبرة

رَبُّوْا عَلَى الْإِنْصَافِ فِتْيَانُ الْجَمَى تَجَدُّوْهُمْ كَهَفَ الْحَقُوقِ كُھُولَا
أيها المعلمون: ربوا الفتيان على العدل تجدوهم في كهولتهم (رجولتهم المتقدمة) كهفاً (ملاذاً) لحفظ الحقوق

وَإِذَا أَصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتِمًا وَعَوِيْلَا
إِنِّي لَا عِذْرُكُمْ، وَأَخْسَبُ عِبَتَكُمْ، مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ الرِّجَالِ، ثَقِيْلَا
لكم العذر فعبتكم، من بين كل الرجال، ثقيل

وَجَدَ الْمُسَاعِدَ غَيْرُكُمْ، وَحَرَمْتُكُمْ، فِي مِصْرَ، عَوْنَ الْأَمْهَاتِ جَلِيْلَا
غيركم وحد من يساعده في عمله، وأنتم حرمتكم المساعدة الجليلة المنتظرة من الأمهات في التربية
وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَأْنَ فِي أُمِّيَّةٍ وَرِثَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولَا

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنِ انْتَهَى أَبُوهُ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ، وَخَلَّفَهُ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ أُمًّا تَخْلُتْ، أَوْ أَبًا مَسْنُولًا

اليتيم الحقيقي هو الذي تجد له أمًا تخلت عن واجباتها، وأبًا شغلته المشاغل عن العناية بابه

مَصْرًا إِذَا مَا رَاجَعْتَ أَيَّامَهَا لَمْ تَلَقَ لِلْسَبْتِ الْعَظِيمِ بَدِيلًا
السبت العظيم ١٥/٣/١٩٢٤ اليوم الذي سيفتح فيه البرلمان بعد أسبوع من إلقاء القصيدة

الْبَرْلَمَانُ غَدًا يُعَمِّدُ رُؤُوفَهُ ظِلًّا عَلَى الْوَادِي السَّعِيدِ قَلِيلًا
غداً يعمد رواق (مظلة) البرلمان ليظلل وادي النيل

حَيُّوا مِنْ الشَّهَدَاءِ كُلِّ مُغَيَّبٍ وَضَعُوا عَلَى أَخْبَارِهِ إِكْلِيلًا
ناشدتكم تلك الدماء زكوة لا تبعثوا للبرلمان جهولا

٢٠٧ عزة الموت

قال شوقي في أوبعين عاطف بركات، وكيل وزارة التعليم، (١٩٢٤):

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْبَرَاةَا وَجَدْتُ جَلَالَ مَنْطِقِهِ فَرَاةَا
خفضت البراء (العلم) لعزة (سلطة) الموت، وكان منطق الموت (كلام الموت) جاداً وجليلاً
فراعني (أخافني)

فَإِنْ تَقُلْ الرِّثَاءَ فَقُلْ دَمَوْعًا يُصَاغُ بِهِنَّ، أَوْ جِغَمًا تُرَاعَى
فإن تقل الرثاء فليكن من الدموع يصاغ منها، أو من الحكم التي تراعى (تتبع)

وَلَا تَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسَجَّى بَكَثَ كَسْبًا، وَلَمْ تَبْكُ النِّبَاةَا
ولا تكن مثل النادية التي تنوح على الجثمان المسجي (الممدد)، فهي تبكي لكسب المال وليس
لالتباعد (حرقها)

خَلَلْتُ دَوْلَ الزَّمَانِ، وَزَلْنِي رُكْنًا وَرُكْنُ الْأَرْضِ بَاقٍ مَا تَدَاعَى
خلت (زالت) دول الزمان، وزالت أركانها، ولكن الأرض باقية لا تتداعى أركانها

وَلَوْ آبَتْ نَوَاطِلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُثْكَلْ شُعَاعَا
ولو رجعت النساء النواكل (الفاصلات للأبناء) من كل قرن (جيل) مضى لوجدن الشمس على حالها
لم تفقد شعاعاً واحداً من أشعتها

٢٠٨ من خاتنه الدهر

قال شوقي في المؤتمر الجغرافي (١٩٢٥):

يا لِّليالي لإسماعيلَ مِنْ سِنَّةٍ طالَتْ، وَحَيْنَ مِنَ الْأَقْدَارِ قَدْ حانا
استغيث بالليالي لذكرى الخديوي إسماعيل من هذه السنة (القوة) التي طالت، وهذا الحين
(الهلاك) الذي جاءت به الأقدار وحان (اقرب) وقته

قد حَظَّ شعري على الشعري له جَدًّا وخاطَ مِنْ لَمَحَاتِ الشمسِ أكفانا
لقد خلطت (بنيت) شعري على الشعري (النجم المعروف) جدًّا (قبراً) للخديوي إسماعيل، وخاط
(حاك حياكة) شعري له من لمحات (بريق) الشمس كفنًا، فقد مدحته ونوحت بذكره

ولو مشئت بي الليالي تحت كوكبه غادرتُ أحمدَ نسيًا، وابنَ حُمدانا
ولو فُدر لي أن تمشي الليالي (الزمن) بي تحت كوكبه (في ظل حكمه)، لكنت غادرت (تركت)
أحمد (أحمد بن الحسين المتني) نسيًا (منسيًا) وكذلك ابن حمدان (سيف الدولة الحمداني، ونحن
نتذكره بسبب المتني؛ فلو أفلح شوقي في شطب المتني لشطب معه سيف الدولة تلقائيًا)

مدَّ الكنانة أطرافاً، ووسَّعها مُلكاً، وأترعها خيلاً وفُرسانا
وسَّع إسماعيل مصر، وأترعها (ملاها) خيلاً وفُرسانا

خيالٌ مُلكٌ تَلَمَّسنا حقيقتَه فأخطأنا، وكانت حَقَّ يابانا

وكان ذلك التوسيع خيال (شبح) مُلك أردنا له أن يكون حقيقياً، ولكن حقيقته أخطأتنا
(لم تصبنا) وكانت من حظ اليابان. يطرح هذا البيت سؤالاً يحتاج إلى كتاب كبير لتوفير
الإجابة. وليس عندي شيء من هذه الإجابة لذا أكتفي بتفسير السؤال: قد نهضت مصر
في عهد محمد علي، وكانت لها نهضة في عهد إسماعيل (ورأى إسماعيل في أراسط
سني حكمه الستة عشر اليابان تنهض بقوة)، وفي بدايات القرن العشرين ظللنا نحس أن
مصر ستخرج من قفم الدول المتخلفة وستلحق باليابان، لكن نهضة مصر انتكست كما
يقول شوقي في هذا البيت (والبيت يسبق ثورة ١٩٥٢ وحكم المسكر بسبع وعشرين
سنة). فلماذا لا تنهض مصر كاليابان وماليزيا وكوريا الجنوبية؟ في البيت التالي سيكون
جواب شوقي أن الدهر خان مصر. وهو جواب شاعر. . وهو كلاجواب. على أن هذا
البيت، الحالي، يحمل إحساساً عيقاً بأن قطار النهضة فات مصر

مَنْ خاتنه الدهرُ خاتنه صنائمه وعادَ ذَنْباً لَهُ ما كان إحسانا
من خاتنه الدهر خاتنه صنائمه (حسانته)، وعاد (صار) يُعَدُّ ذنباً من ذنوبه ما كان من إحسانه

٢٠٩ سباق في التنويه بالسباقين

قال شوقي متذكراً الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون قبل ثلاث سنوات (١٩٢٥):

دَرَجَتْ على الكَنَزِ القُرونُ وأتت على الدُّنِّ السُّنُونُ

درجت (مشت) على الكثر القرون (مئات السنين)، وأتت (مرت) على الدن (وعاء الخمر) السنوات

حتى أتى العلمُ الجسو رُ، ففَضَّ خَاتِمَهُ المصونُ

حتى جاء العلم الجريء قَض (فتح) ختم هذا الكثر المصون (المحمي)

والعلمُ بِدريٍّ أَحَلَّ- لأهلِهِ ما يَصْنَعُون

والعلم بدريٍّ (مثل مقاتلي بدر الذين غفرت لهم ذلاتهم السابقة واللاحقة، لذا فلهم أن يصنعوا ما يشاؤون)، وحلال لأهل العلم كل ما يصنعون

واندسَّ كالمصباح في حُفَرٍ مِنَ الأجداثِ جُونُ

اندس العلم كأنه المصباح في حفر جُون (سود) هي حفر الأجداث (القبور)

خانتُ أمانةَ جارِها والقبرُ كالدنيا يَخُونُ

هذه القبور خانت أمانة جارها (ساكنها)، بأن سلمت جثمانه للآثاريين

يا ابنَ الثَّواقِبِ مِنْ رَجِ وابنَ الرِّواهِرِ مِنْ أَمُونِ

يا توت عنخ آمون، يا ابن النجوم الثاقبة (المتقلة) من نسل رع (إله الشمس)، وابن النجوم الزاهرة من نسل آمون (إله الخصب)

هذا القيَّامُ، فقلْ لنا الـ يَوْمُ الأخيرُ متى يكونُ

ظهورك بمثابة القيام (قيام المسيح من قبره، بحسب معتقد المسيحيين)، فمتى يا ترى يكون يوم القيامة؟

البعثُ غايَةُ زائِلٍ فانِ، وأنْتُمْ خالِدُونَ

البعث من القبور ودخول حياة الخلود غاية كل إنسان زائل فانٍ، وأما أنتم فخالدون أولريدي بما تركتم من معالم

السُّبْقُ مِنْ عادَاتِكُمْ أُنْرى القيامةَ تَسْبِقُونَ؟

وعادتكم هي البنى، فهل بقيامك هذا تريد أن تسبق يوم القيامة؟

ذَقَبْ بِبَطْنِ الأَرْضِ لِم تَذْهَبُ بِلَمَحَةِ السُّقْرُونِ

غُثر على ذهب في جوف الأرض لم تذهب القرون بلمحته (بريقه)

مَلِكُ المملوكِ! تحيةٌ وولاءٌ مُخْتَفِظُ أَمِينِ

يا ملك المملوك تحية مني أنا الذي حفظت لك حثاتك وكنْتُ أميناً على تراثك

هذا المَقامُ عَرَفْتُهُ وَسَبَقْتُ فِيهِ القائلينَ

فأنا عرفت مقام (مكانة) الفراغة، وسبقت كل الشعراء في التنويه بذكرهم وآثارهم

سَالَتْ عَيُونُ قَصَائِدِي وَجَرَى مِنَ الْحَجَرِ الْمَعِينِ

سالت عيون قصائدي (ينابيع قصائدي) بالآيات العذبة، وجرى المعين (الماء) من الحجر (الآثار الحجرية للفراغة). تلعب لفظي متداخل. فعيون القصائد جياها، وعيون الوجه هي التي تسيل بالدموع، والعيون هي الينابيع؛ والمعين ينبع وقد يخرج من الحجر بقدره الله، والحجر أيضاً هو آثار الفراغة، وكلّ أولئك قصد شوقي

أَقْعَدْتُ جَيْلاً لِلْهَوَى وَأَقْعَمْتُ جَيْلاً آخَرِينَ

أنا أقعدت الجيل السابق بقصائد الغزل، وأقمت الجيل الحاضر بشعري الفرعوني، يقول إنه أقام الدنيا وأعدها باللوان شعره المختلفة. وفي حديث صحفي لأحمد شوقي، للأهرام عام ١٩٢٧، قال إن هذه القصيدة هي الأثيرة عنده. كانت جديدة آنذاك وكان ممتازاً بها

٢١٠ نحرش

قال شوقي بذكر ربيع لبنان (١٩٢٥):

دَخَلَ الْكَنِيسَةَ، فَارْتَقَبْتُ فَلَمْ يُطِلْ فَاتَيْتُ دُونَ طَرِيقِهِ فَرَحَنْتُهُ

دخل محبوبي الكنيسة فارتقت (انتظرت) فلم يطل المكوث، وعندما خرج نحرش به وزاحمتني الطريق

فَارْزَوْرُ غَضْبَاناً وَأَعْرَضَ نَافِراً حَالٌ مِنَ الْغَيْدِ الْمِلَاحِ عَرَفْتُهُ

فارزور (أشاح عني) غاضباً ونفر مني، وهذا الحال أمره من الغيد (الحسان) الملاح (الجميلات)

فَصَرَفْتُ تَلْعَابِي إِلَى أَتْرَابِي وَزَعَمْتُهُنَّ لُبَانَتِي، فَأَعْرَضْتُ

نصرفت تلعابي (لهوي وغزلي) عنه إلى الفتيات الأخريات، وزعمت أنهن لباني (غابني) فأغرته (أشمرته بالغيرة)

فَمَشَى إِلَيَّ، وَلَيْسَ أَوْلَ جُؤْذُرٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ حَبَائِلِي فَقَنَنْصُهُ

فأني المحبوب إلي عندئذ، وليس هو أول جؤذر (ولد يقر الوحش) رمت عليه حابلي (شباكي) قننصته (صدته)

٢١١ قم ناج جلق

قال شوقي في حفل تكريمه بالمجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٢٥):

قُمْ نَاجَ جِلَقٌ، وَانْشُدْ رَمَنَ مَنْ بَانُوا مَسَّتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثُ وَأَزْمَانُ

على طريفته التي لا يدعها يطلب شوقي من قاره أن يقوم لبناجي (بحدات) جلق (دمشق) وليُشَدَّ (يتعقب) رسم (أثر) من بانوا (رحلوا)، وقد مشت الأحداث والسنوات على هذا الأثر

بنو أميةً للأنبياء ما فَتَحُوا وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
بنو أمية فتوحاتهم صارت نبأ من الأنبياء، وما سادوا ودانوا (أخضعوا) من أقوام صار للأحاديث
كانوا ملوكاً سريرُ الشرقِ تحتهُم فهل سألتَ سريرَ الغربِ ما كانوا
كانوا ملوكاً تحتهُم سرير (عرش) الشرق، فهل سألتَ عرش الغرب أيضاً ماذا كان شأنهم؟ فهم
أيضاً ملوكوا عرش الأندلس في الغرب

بالأمسِ قمْتُ على الزَّهراءِ أُنْذِبُهُم واليومَ دمعِي على الفيحاءِ هَتَانُ
بالأمس (وأنا مني في إسبانيا) نذيت بني أمية في «الزهراء» قرب قرطبة، واليوم دمعِي هتَان
(هطال) على الفيحاء (دمشق)

لولا دمشقُ لما كانتَ طَلَيْطِلَةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدَانُ
لولا دمشق لما فتح العرب طليطلة بالأندلس، ولا زمت (ازدانت) بغداد ببني العباس
مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أسألهُ هل في المصَلَّى أو المحرابِ مَرْوَانُ
مررت بالمسجد الأموي الحزين أسأله عن مروان (مروان بن الحكم أبو الخلفاء الأمويين بعد
معاوية الثاني)

تَغَيَّرَ المسجدُ المحزونُ، واختلَفَتْ على المنابرِ أحرارٌ وعُبدانُ
تغير المسجد الأموي وتعاقت على منابر السادة والعبيد يحكمون دمشق

خَلَفْتُ لَبْنَانَ، جناتِ النعيمِ، وما نُبِئْتُ أَنَّ طَرِيقَ الحُلْدِ لُبْنَانُ
تركت لبنان وهو في عيني الجنة، ولم يخبرني أحد أنه هو الطريق إلى الجنة لا الجنة نفسها..

حتى انحدرتُ إلى فيحاءٍ وارفَةٍ فيها الندى، وبها طَيٌّ وشَيْبانُ
حتى انحدرت (نزلت) إلى فيحاء (زكية الرائحة/ الفيحاء لقب دمشق) وارفَة الظلال، وبها قوم
أصولهم من عرب طيء وشيخان، فهنا الجنة

نزلْتُ فيها بِفَتَيانٍ جَاحِجَةٍ آباؤُهُمْ، في شبابِ الدهرِ، غَسَّانُ
نزلت ضيفاً بفتيان جاحجة (سادة)، آباؤهم الأقدمون - عندما كان الزمن في شبابه - قبيلة غسان.
ما كان ضر شوقي لو أبعد هذه الجاحجة عن شعره. إنها لكالدبابة في طبق المهلبية

بِیضُ الأیسرَةِ، باقٍ فیهِمْ صَبَدٌ مِنْ عیدِ شَمْسٍ، وإنْ لم تَبَقْ تِجْجَانُ
بيض الأسرة (الوجوه) فيهم صَبَد (شموع) باقٍ من زمن عيد شمس (جد بني أمية)، وإن لم تبق
لهم التيجان

المُلْكُ أَنْ نَعْمَلُوا ما اسْتَطَعْتُمْ عملاً وَأَنْ يَبِينَ على الأعمالِ إِتْقَانُ
الملك هو أن تعملوا بجد، وإيتقان

الْمُلْكُ أَنْ تَخْرُجَ الْأَمْوَالُ نَاشِطَةً لِمَطْلَبٍ فِيهِ إِصْلَاحٌ وَعُمْرَانُ

الملك هو أن تُنفق الأموال في الإصلاح والعمران

الْمُلْكُ نَحْتُ لِسَانٍ حَوْلَهُ أَدَبٌ وَتَحْتِ عَقْلِ عَلَى جَنْبَيْهِ عِرْفَانُ

الملك يحتاج إلى لسان يدعمه الأدب، وإلى عقل مدعوم من جانبيه بالمعرفة

الْمُلْكُ أَنْ تَتَلَقَّوْا فِي هَوَى وَطَنِ تَفَرَّقَتْ فِيهِ أَجْنَسٌ وَأَبْدَانُ

الملك هو الالتقاء في حب الوطن، وإن تفرقت (اختلفت) أجناس وأشكال المواطنين

نَصِيحَةٌ مِلْؤُهَا الْإِخْلَاصُ صَادِقَةٌ وَالنَّصِيحُ خَالِصُهُ دِينٌ وَإِيمَانُ

والشفعة، ما لم يكن ذكرى وموعظة أو حكمة، فهو تقطيع وأوزان

٢١٢ على قبر نابليون

قال شوقي بعد زيارة لقبر نابليون (١٩٢٥):

لَيْسَ فِي قَبْرِ إِنْ نَالَ الشُّهَاءُ مَا يَزِيدُ الْمَيِّتَ وَزناً وَيَزِينُ

ليس في أي قبر، حتى وإن رفعوا بنيانه ليجعل إلى نجمة «الها»، ما يزيد من قيمة الميت أو يزيّنه (يُزَيِّنُهُ)

فَانْزِلِ التَّارِيخَ قَبِراً، أَوْ قَنَمٌ فِي الثَّرَى غُفْلاً كِبَعُضِ الْهَامِدِينَ

فانزل التاريخ واتخله قبراً (ليكن التاريخ هو موضع ذكراك فهذا هو الخلود في الدنيا)، وسوى ذلك فلتنم في الثرى (التراب) غفلاً (نكرة مجهولاً) كبعض الناس الهامدين «المنطفئين»

وَاحْذَعْ الْأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ، فَلَنْ تَجِدَ التَّارِيخَ فِي الْمُنْخَدِعِينَ

احذع الأحياء ما شئت، ولكن التاريخ لا ينخدع

لَا يَقُولَنَّ اثْرُؤْ أَصْلِي، فَمَا أَصْلُهُ مِنْكَ وَأَصْلُ النَّاسِ طِينُ

لا يباه امرؤ بأصله، فكلنا من طين وليس أحد مخلوقاً من المسك

قَدْ تَنَوَّجَتْ، فَقَالَتْ أُمَمٌ: وَلَكِنَّ الشُّوْرَةَ عَقَى الشَّائِرِينَ

يا نابليون! عندما وضعت التاج على رأسك وأعلنت نفسك إمبراطوراً قالوا إن ابن الثورة عاق (خان) الثائرين

وَتَرَوَّجَتْ، فَقَالُوا: مَا لَهُ وَلِحُورٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلْكِ عَيْنُ

وعندما تزوجت من بيت مالك قالوا: ما لهذا الرجل ذي الأصل العادي ولبنات الملوك الحور (الجميلات الميون) العين (الجميلات الميون)

فَسَمَّا لَوْ قَدَرُوا مَا احْتَشَمُوا، لَا يَمِثُّ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ
وأقسم لو أن هؤلاء المعترضين قدروا على ما صنعت لما احتشموا (خجلوا) من الشيء نفسه،
والناس لا يعمقون (يتفكرون) إلا عندما يعجزون عن تيل الشيء

أَرَأَيْتَ الْخَيْرَ وَافَى أُمَّةً لَمْ يَنَالُوا حَقَّهُمْ فِي النَّابِغِينَ
هل وجدت أمة نالها الخير والازدهار دون أن تنال نصيبها من الأفراد النابغين؟

يَضْلُحُ الْمُلْكُ عَلَى طَائِفَةٍ هُمْ جَمَالُ الْأَرْضِ حِينَ بَعْدَ حِينَ
الملك يصبح صالحاً على طائفة (بوجود جماعة) من المتميزين الذين هم جمال الأرض، والذين
يأتون حيناً بعد حين

فَمِنْ إِلَى الْأَهْرَامِ وَاخْشَعَ وَأَطْرَحَ خَيْلَةَ الصَّيْدِ وَزَهَوُ الْفَاتِحِينَ
فم يا نابليون من قبرك وتعال إلى الأهرام واخشع أمامها، وأطرح (اخلع) خيلة (تكبر) الصيد
(الأسياء) وزهو (تكبر) الفاتحين

وَأَعْدَهَا كَلِمَاتٍ أَرْبَعًا قَدْ أَحَاطَتْ بِالْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ
وأعد كلماتك الأربع المشهورة التي قلتها لجنودك عند الأهرام (أربعون قرناً تطل عليكم) والتي
أحاطت بـ (لخصت) أربعين قرناً من الزمان

قَدْ عَرَضْتَ الدَّهْرَ وَالْجَيْشَ مَعًا، غَايَةً قَصَّرَ عَنْهَا الْفَاتِحُونَ
قد استعرضت جيشك والزمان معاً، وهذه غاية قصر عنها الفاتحون قبلك

عِظَّةٌ قَوْمِي بِهَا أَوْلَى، وَإِنْ بَعْدَ الْعَهْدِ، فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ
والأهرام عظة (عبرة)، وقومي من بني مصر أولى بها من غيرهم رغم بعد عهد الفراعنة، فهل
تراهم يعتبرون؟

هَذِهِ الْأَهْرَامُ تَارِيخُهُمْ، كَيْفَ مِنْ تَارِيخِهِمْ لَا يَسْتَحُونَ
الأهرام تاريخهم، فكيف لا يستحون منه، إذ هم مقصرون عن إنجازات أجدادهم

فَسَمَّ تَرَّ الدُّنْيَا كَمَا غَادَرَتْهَا مَسْنَزَلُ الْغَدْرِ وَمَاءُ الْخَادِعِينَ
فم يا نابليون، وسترى الدنيا كما غادرتها، سترها مكان الغدر، وماء الخادعين (موضع
الحادعين). وكانت العرب تنزل في المكان وتسميه ماء كنا أو كنا لوجود عين ماء فيه، مكنمة
«ماء» صارت تعني «موضعا»

وَتَرَّ الْحَقُّ عَزِيزًا فِي الْقَنَا هَيِّنًا فِي الْعُرْلِ الْمُسْتَضَعْفِينَ
وسترى الحق عزيزاً (قوياً) وسط القنا (الرماح)، وهيئاً (مهنأاً) في صحبة العرل المستضعفين
(الضعفاء)

وَتَرَ الْعِزُّ لِسَيْفِ نَزِقٍ فِي بِنَاءِ الْمُلْكِ، أَوْ رَأَى رَزِينَ

وسرى العز للسيف الترق (الخفيف) في تشييد الملك، وللرأي الرزين (الحكيم)

سُنِنُ كَانَتْ، وَنُظِمَ لَمْ يَزَلْ وَفَسَادٌ فَوْقَ بَاعِ الْمَصْلِحِينَ

هذه سنن (قوانين) كانت موجودة دائماً، ونظام لم يزل على حاله، نظام «الحق للقوي»، وهناك فساد فوق باع (قدرة) المصلحين

٢١٣.. وهذي الضجة الكبرى علّاما؟

قال شوقي في الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل (١٩٢٥):

إِلَامَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ إِلَامَا وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا

إلى مني الخلف (الاختلاف) بينكم؟ وهذه الضجة الكبرى على ماذا؟

وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتُبْدُونَ الْعِدَاوَةَ وَالْخِصَامَا

وفي ماذا يكيد بعضكم لبعض، وتظهرون العداوة والخصومة؟

وَأَيْنَ الْفُوزُ؟ لَا مَصْرُ اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ، وَلَا السُّودَانُ دَامَا

وأين الفوز (النجاح)؟ فلا مصر استقرت على حال، ولا السودان دام تحت السيادة المصرية الحقيقية

وَأَيْنَ ذَهَبُكُمْ بِالْحَقِّ لَمَّا رَكِبْتُمْ فِي قَضِيَّتِهِ الظُّلَامَا

وأين ذهبتم بالحق بعد أن انتهجتم في المطالبة به طريق التأمر والدسائس؟

شَبَبْتُمْ بَيْنَكُمْ فِي الْقَطْرِ نَاراً عَلَى مُحْتَطِّهِ كَانَتْ سَلَامَا

شبيتم (أشعلتم) بينكم نارا في مصر من الفتن، ولكنها كانت سلاماً على المحتلين

إِذَا كَانَ الرُّمَاءُ رُمَاءَ سُوءٍ أَحَلُّوا غَيْرَ مَرَمَاهَا السُّهَامَا

والرماة إذا كانوا ذوي نية سيئة لم يصبوا سهامهم إلى المرمى (الهدف)

وَلَيْسَنَا الْأَمْرَ حِزْباً بَعْدَ حِزْبٍ قَلِمَ نَكُ مُصْلِحِينَ وَلَا كِرَامَا

ولينا الأمر (تولينا الحكم) حزباً بعد حزب، فلم تكن مصلحين ولا كراماً

وَسُنِنَا الْأَمْرَ حِينَ خَلَا إِلَيْنَا بِأَهْوَاءِ النُّفُوسِ فَمَا اسْتَقَامَا

وسنا الأمر (سيرنا الحكم بالسياسة) حين خلا إلينا (آل) إلينا بعد رفع الحماية البريطانية) بأهواء النفوس (حسب مصالحها) فما استقام الحكم

٢١٤ خير جليس

قال شوقي في الكتاب (١٩٢٥):

أَنَا مَنْ بَدَّلَ بِالْكُتُبِ الصُّحَابَا لَمْ أَجِدْ لِي وَافِياً إِلَّا الْكِتَابَا

تركت أصحابي واتخذت الكتب أصحاباً، فلم أجد وافياً سوى الكتاب

صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً وَوَدَادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا

وصحبة الكتاب لست أشكو منها أي ريبة (شك)، ووداد الكتاب ليس فيه عتاب كوداد الأصحاب

٢١٥ تصفير المسألة

قال شوقي في تأبين عبد اللطيف الصوفاني، من رجال الحزب الوطني، (١٩٢٥):

شَأْنُكَ وَالْدمْعَ وَالْبِكَاءَ لَا تَدْخِرْ فِي الشُّوْنِ مَاءَ

حرر الدمع وأطلق البكاء على هواك، ولا تدخر في الشؤون (مجاري الدمع في العيون) ماء (دمعاً)

مَا كَانَ قُضَاءً وَلَا زِيَاداً وَلَا بِسِحْرِ الْبَيَانِ جَاءَ

المرثي لم يكن فصيحاً كفس بن ساعدة الإيادي، ولا كزياد بن معاوية المعروف بالناطقة الدياني، ولم يأت بسحر البيان

لَكِنْ إِذَا قَامَ قَالَ صِدْقاً وَجَانِبَ الزُّورِ وَالرِّيَاءِ

لكنه كان صادق القول، ويجانب (يتجنب) الزور (الكذب) والرياء (الادعاء). يقول زكي مبارك ما معناه: كنت مع شوقي وقد مات الصوفاني، وأخذ شوقي يردد متعيراً متبرماً: أكان الرجل فيلسوفاً، أم خطيباً؟ أم أي شيء كان؟ ثم جاءت القصيدة فإذا بها «ما كان قساً ولا زياداً...».

سَبَّحَانَ مَنْ قَاتَهُ غُدُوًّا وَكَفَّ عَنْ قُوْتِهِ عِشَاءَ

فسبحان الله الذي قاتنه (رزقه طعامه) غدوًّا (صباحاً)، ومنعه قوته عشاءً، لأنه مات في يومه

يَا لَيْلِكَ دُنْيَا لَسْتُ نَعِيماً لِلْقَوْمِ، وَاسْتُعْذِثْ بِبَلَاءِ

يا ليل من دنيا لذت للقوم (طابت لهم) وهي نعيم، واستعذبت (طابت) لهم أيضاً وهي بلاء، فنحن نحب الحياة في كل أحوالها

إِذَا انْتَهَيْنَا مِنْهَا تَسَاوَى مَا سَرَّ مِنْ حَالِهَا وَسَاءَ

إذا انتهينا من الدنيا تساوى طرفا المعاملة وأصبح الجواب صفراً، وصار ما سرّاً وما ساءاً من الدنيا متساوين. روي القصيدة الهمزة المفتوحة، وأبياتها الثلاثة والأربعون مفتوحة الهمزة، ولكن الموسوعة الشوقية قيدت القافية وأضاعت تمع الشاعر في اجتناب الكسر والضم واصطيد الموضع الإعرابي الذي يأذن بالمفتحة

٢١٦ قم في قم الدنيا وحي الأزهر

قال شوقي في حفل إصلاحات الأزهر (١٩٢٥):

قُم في قم الدنيا وحي الأزهر وانتُر على سَفحِ الزَّمانِ الجُوهرا
قم يا هذا كأنك لسان يلعلع داخل قم الدنيا، وحي الأزهر، وانثر الجواهر من كلمات هذه التحية
على سمع الزمان

واخضع مَلِيًّا، واقضِ حَقَّ أُنْمِي طَلَعُوا بِهِ زُهرًا وماجوا أَبْحرا
واخضع ملياً (طويلاً)، واقض حق الأئمة الذي طلَعوا في الأزهر كالنجوم الزُّهر (المضيئة) وماجوا
(تدفقوا) بالعلم كأنهم البحار

لا تَحُدْ حَذوَّ عَصَابَةِ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمٍ شَيْءٍ مُنْكَرًا
ولا تحد حذو عصابة (جماعة) مفتونة (غاوية) تستكر كل قديم

ولو استطاعوا في المجامع أنكروا مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمرًا
ومؤلاً لو استطاعوا في المجامع (المجالس) لأنكروا آبائهم، من مات منهم ومن عُمر

مِنْ كُلِّ ماضٍ في القديمِ وهديمِ وإذا تَقَدَّمَ لِلْبَنائَةِ قَصْرًا
ومؤلاً يتألفون من كل شخص ماض في مدم القديم، وأما إذا جاء ليبنى فهو يقصر

وأتى الحضارة بالصَّنَاعَةِ رُثَّةً والعلمِ نِزْرًا، والبيانِ مَثْرُثًا
ويأتي الواحد منهم لباسهم في الحضارة الحديثة فيساهم بصناعة رثة (غير متقنة)، ويعلم نِزْر
(قليل)، وبيان مَثْرُث (مفصل المعنى)

يا معهداً أفنى القرونَ جِدارُهُ وطوى اللبالي ركنُهُ والأعصُرَا
أيها الأزهر! يا معهداً عتقاً أفنى جداره الزمن، وطوى ركنه اللبالي والمعصور

عَيْنٌ مِنَ الْفُرْقَانِ فَاضَ نَبِيرُهَا وَحَيًّا مِنَ الْفُصْحَى جَرَى وَتَحَدَّرَا
الأزهر نبع فاض نبيه (ماؤه المذهب) من القرآن، وهو حَيًّا (مطر) من الفصحى جرى وتحدَّر
(انكب)

اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، لَمْ تَتْرُكْ لَصُنَّاعِ الْمَائِرِ مَفْخَرًا
الله أكبر يا ابن إسماعيل (الملك أحمد فؤاد)، فانت لم تترك لمن يصنعون المائر (الإنجازات)
شيئاً يفخرون به إلا وسبقهم إليه

أزْعَيْتَهُ عَيْنَ الْعِنَايَةِ مُضْلِحًا وَأَجَلَّتْ فِيهِ يَدُ الْبِنَاءِ مُعَمَّرَا
لقد أزعيت الأزهر (منحته) عين العناية، وأصلحت بناءه، وأجلت فيه يد التعبير

وَبَلَغَتْ بِالْمَعْرُوفِ غَايَةَ صَفْوِهِ أَيْ كَوْنُ مَعْرُوفِ الْمُلُوكِ مُكْتَرَاً

وَكَانَ مَعْرُوفُكَ صَافِياً بِلَا ثَمَنٍ، وَهَلْ لِمَعْرُوفِ الْمُلُوكِ مَقَابِلُ؟

لَمْ تَبِعْ بِالضَّعْفَاءِ عُدْوَاناً، وَلَمْ تَقْذِفْ عَلَى حَرَمِ الشَّرِيعَةِ عَسْكَراً

لَمْ تَبِعْ (تُرِدْ) عُدْوَاناً عَلَى الضَّعْفَاءِ مِنْ طَلَبَةِ الْأَزْهَرِ، وَلَمْ تَقْذِفْ بِالْعَسْكَرِ عَلَى حَرَمِ الْأَزْهَرِ الَّذِي هُوَ حَرَمُ الشَّرِيعَةِ، كَمَا فَعَلْتَ السُّلْطَانُ سَابِقاً عِنْدَمَا وَجَّهَ الْجُنُودَ ضِدَّ الْمُنْتَظَرِينَ الْأَزْهَرِيِّينَ

نَظَرًا وَإِحْسَانًا إِلَى عُثْمَانِيَةٍ وَكُنِ الْمَسِيحَ مُدَاوِيًا وَمُجَبِّرًا

فَلْتَنْظُرْ نَظَرًا وَلْتَحْمِنْ إِحْسَانًا إِلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الْكُفْيَيْنِ، وَكُنْ كَالْمَسِيحِ بِدَاوِيِ الْجِرَاحِ وَيَجْبِرُ الْكُسُورَ

وَاللَّهُ مَا تَدْرِي، لَعَلَّ كَفِيفَهُمْ يَوْمًا يَكُونُ أَبَا الْعِلَاءِ الْمَبْصُرَا

وَلَسْتُ تَدْرِي لَعَلَّ أَحَدَ الْكُفْيَيْنِ يَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ كَأَبِي الْعِلَاءِ الْمَعْرِي الْكُفَيْفَ الْمَبْصُرَ بِذِكَايِهِ. كَانَ شَوْقِي يَعْرِفُ حَيْثُنَا عَنْ طَه حَسِينِ الَّذِي كَانَ فِي السَّادَةِ وَالثَّلَاثِينَ، وَكَانَ طَه قَائِدًا فِي وَقْتِ الْإِقَاءِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَكْتُبُ كِتَابًا يَهَاجِمُ فِيهِ طَرُقَ التَّدْرِيسِ بِالْأَزْهَرِ لِيَنْشُرَهُ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَلِيَكُونَ لَهُ صَدَى مَدُونًا. كَانَ بَيْنَ طَه حَسِينِ وَشَوْقِي نَفُورٌ، لَا بَلَّ قَدْ نَقَلَ عَلَى لِسَانِ طَه حَسِينِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ١٩٢٥ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعَدُوِّ لِلدُّنُودِ لَشَوْقِي. قَالَ طَه حَسِينُ لَزَكِيِّ مَبَارَكٍ (عَلَى عَهْدَةِ الْآخِيرِ): «مَجْنُونٌ أَنْتَ! تَرْفُضُ كِتَابَةً مُقَدِّمَةً لِلطَّبْعَةِ الْمُقْبِلَةِ مِنْ دِيْوَانِ شَوْقِي. هَذَا تَشْرِيفٌ لَا يَنْبَاهُ أَحَدٌ، وَلَوْ أَنَّ شَوْقِي طَلَّبَ إِلَيَّ ذَلِكَ، وَأَنَا مِنْ أَلَدِ أَعْدَائِهِ، لِأَجِبْتُهُ شَاكِرًا. فَشَوْقِي اعْظَمَ شَاعِرَ عِرْفَتِهِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْذُ الْمُنْتَبِي». وَلَعَلَّ طَه كَانَ فِي ذَهْنِ شَوْقِي فِي الْقَصِيدَةِ، لَكِنْ ضَمِنَ الْهَدَامِينَ، لَا ضَمِنَ الْكُفْيَيْنِ الْعَابِقَةَ. عَلَى أَنَّا سَنَرَى طَه حَسِينِ يَلْتَقِي بِشَوْقِي وَيَجَالِسُهُ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الَّتِي كَانَ يَزُودُهَا شَاعِرُنَا حِفَاطًا عَلَى عِلَاقَاتِهِ الطَّيِّبَةِ مَعَ رُؤَسَاءِ تَحْرِيرِهَا، وَسَنَرَاهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي «عَالِيَةِ» بَلْبَانِ فِي فُنْدُقِ شَاهِينَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ وَمَعَهُمَا مُحَمَّدُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَفَكَرِي أَبَاظَةَ

لَوْ تَشْتَرِيهِ بِنَصْفِ مُلْكِكَ لَمْ تَجِدْ غَبْنًا، وَجَلَّ الْمَشْتَرِي وَالْمَشْتَرَى

لَوْ تَشْتَرِي الْأَزْهَرَ أَبَاهُ الْمَلِكُ بِنَصْفِ مَمْلُوكِكَ لَمْ تَجِدْ غَبْنًا (خَسَارَةً)، وَإِنَّكَ لَجَلِيلٌ وَالْأَزْهَرُ جَلِيلٌ

الْيَوْمَ صَرَّحَتْ الْأُمُورُ فَأَظْهَرَتْ مَا كَانَ مِنْ خِلَافِ السِّيَاسَةِ مُضْمَرًا

الْيَوْمَ صَرَّحَتْ (تَوَضَّعَتْ) الْأُمُورُ فَأَظْهَرَتْ مَا أَضْمَرَتْهُ (سَتَرَتْهُ) خِلَافَ السِّيَاسَةِ

قَدْ كَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ أَنْ نَبْقَى يَدًا وَنَرَى وَرَاءَ جُنُودِهَا إِنْجِلْتَرَا

كَانَ الرَّأْيُ الْحَصِيفُ أَنْ نَبْقَى يَدًا وَاحِدَةً وَنَحْنُ نَرَى إِنْجِلْتَرَا تَأْتِيَانَا قَادِمَةً وَرَاءَ جُنُودِهَا

فَإِذَا أَتَيْنَا بِالصُّفُوفِ كَثِيرَةٍ جِئْنَا بِصَفٍّ وَاحِدٍ لَنْ يُكْسِرَا

فَرُغِمَ صُفُوفُ الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ لِإِنْجِلْتَرَا فَصَفْنَا صَفًّا وَاحِدًا، وَلَنَا لَنْ يَكْسِرَ

٢١٧ قلدة ابن آدم

قال شوقي في احتفال وضع حجر الأساس لمبنى بنك مصر، وأسس طلعت حرب البنك قبلها بخمس سنوات، (قيل القصيدة عام ١٩٢٥):

تَأْتِي حِينَ أَسَّكَ ابْنُ حَرْبٍ وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشَّدَادَا
تَأْمِي طَلَعَتْ حَرْبٌ حِينَ أَسَّكَ يَا مَبْنَى الْبَنْكِ، وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشَّدِيدَةَ

وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا الْبِنَاءُ لَمْ يُغَطَّ ائْتَادَا
وَلَا تَرْجَى الْمَتَانَةَ فِي بِنَاءٍ إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْبِنَاءُ ائْتَادًا (تَأْمِيًا)

وَلَمْ يَبْعُدْ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٌ إِذَا رَكِبَتْ لَهُ الْهَيْمَمَ الْبِعَادَا
وَلَا يَبْعُدُ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٍ (مُطْلَب) إِذَا اتَّخَذَتْ لَهُ الْهَيْمَمَ (الطُمُوحَاتِ) الْبَعِيدَةَ (الْكَبِيرَةَ)

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ قُدْرَتِهِ نَعَالِي كَمَقْلِدَةٍ ابْنِ آدَمَ إِنْ أَرَادَا

٢١٨ صاحب القضية الدؤوب

قال شوقي بمدح سعد زغلول (١٩٢٦):

سَلُّوا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ هَلْ حَمَاهَا وَكَانَ جَمِى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا
اسألوا قضية حرية مصر هل حماها (سعد زغلول)، وكان حماها (وطنها) مستباحاً

هُوَ الشَّيْخُ الْفَتْيَى، لَوْ اسْتَرَاخَتْ عَنْ الدَّأْبِ الْكَوَاكِبُ مَا اسْتَرَاخَا
إنه شيخ مسن ولكنه فتى في عزمه، ولو استراحت عن الدأب (المثابرة) الكواكب فهو لا يستريح

٢١٩ ناع من الإسكندرية

قال في رثاء أحمد لطفي، وكان نقياً للمحامين ووكيلاً للحزب الوطني (١٩٢٦):

لَا تَنْهَيْسَنَّ الشَّاكَلَاتِ عَنِ الْبُكَاءِ فَلْعَلَّ فِي ذَرْفِ الدَّمْعِ شِفَاءُهَا
لَا تَنْهَيْسَنَّ (تَمْعُرْنَ) يَا صَاحِبِي الشَّاكَلَاتِ (الْفَاقَاتِ) عَنِ الْبُكَاءِ، قَرِيبَا كَانَ فِي ذَرْفِ الدَّمْعِ شِفَاءُ
لِنَفُوسِهِنَ الْحَزِينَةِ

وَلِيُمَثِّلِ نَارَ الثُّكُلِ، وَهِيَ شَدِيدَةٌ، خَلَقَ الرَّحِيمُ لَنَا الشُّوُونَ وَمَاءُهَا
وَلِيُمَثِّلِ نَارَ الثُّكُلِ (الْفَقْدِ) - وَهِيَ شَدِيدَةٌ -، خَلَقَ اللهُ الرَّحِيمُ لَنَا الشُّوُونَ (مَجَارِي الدَّمْعِ فِي الْعَيْنَيْنِ)
وَوَخَّلَقَ مَاءُهَا (دَمْعُهَا)

أَوْحَى إِلَى الْحُزْنِ اللَّجُوجِ شُبُوبَهَا وإلى الدموعِ سَوَاجِبَ إِطْفَاءِهَا
الله أوحى إلى الحزن اللجوج (الملح) أن يشعل النار في القلوب، وأوحى إلى الدموع وهي
سواكب (منهرة) إطفاء هذه النار

نَاعَ مِنَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ هَاتِفٌ رَاعَ الْكِنَانَةَ: أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا
ثمة ناع من الإسكندرية هتف بخير موت الراحل فراع (أخاف) الكنانة (مصر) أرضاً وساء
وإذا البلادُ تَذَكَّرَتْ خُدَّاءَهَا لم تَنْسَ مَوْتَهَا وَلَا أَحْيَاءَهَا
والبلاد تذكر من خدمها أكان ميتاً أم حياً

إِنْ الشُّعُوبَ كَيْأَنَّهَا حَرِيَّةٌ تحبها عليها، أو تموت فداءها

٢٢٠ ودفنتها ودفنت خير قصائدي معها

قال شوقي بنى الخلافة، وقد اتفق مؤتمر في مصر في هذه السنة للنظر في أمر
الخلافة، وكان الملك فؤاد يعني نفسه بالحصول على هذا اللقب (١٩٢٦):

بَعَثُوا الْخِلَافَةَ سِيرَةً فِي النَّادِي: أَيْنَ الْمُبَايَعُ بِالْإِمَامِ يُنَادِي؟
بعثوا (أثاروا) سيرة الخلافة في المحافل، وسألوا: أين من يبايع لكي يسمي لنا خليفة؟

وَمَنْ ابْتِغَاهَا صَاحِباً فَمَحَلُّهَا بَيْنَ الْقَوَاضِي وَالْقَنَا الْمَيَادِ
ومن ابتغى الخلافة ليكون صاحبها فإن مكانها هو بين القواضب (السيوف) والقنا (الرماح) المياد
(السهتر)

لَمْ تَسْتَقِمْ لِلْقَوْمِ خَلْفَ عِمَادِهِمْ هل تستقيمُ وَهُمْ بِغَيْرِ عِمَادٍ
لم تستقم الخلافة للمسلمين وهم متراصون وراء عمادهم (ستهم/أي الخليفة الذي كان موجوداً)،
فهل تستقيم وقد ذهب الخليفة؟

أَتَحَاوَلُونَ بِلا جِهَادٍ خُطَّةَ لم يَسْتَطِعْهَا التُّرْكُ بَعْدَ جِهَادٍ
هل تحاولون إنجاز خطكم بلا جهاد، والأتراك لم يستطيعوا إنجازها بعد جهادهم؟

جَعَلُوا الْهَوَى سُلْطَانَهَا، وَدَعَوْا لَهَا مَنْ لَا يُسَدُّ بِهِ مَكَانُ الْهَادِي
جعلوا سلطان (قوة) الخلافة - وهم يريدون تجديدها - قائماً على الهوى (المصالح)، ودعوا
لتسليمها من لا يسد مد من يهدي إلى الرشد

وَأَنَا الَّذِي مَرَضْتُهَا فِي دَائِهَا وَجَمَعْتُ فِيهِ عَوَاطِفَ الْعُودِ
وأنا مريضها (اعتيت بها) وهي في أواخر أيامها، وجمعت في مرضها ذاك عواطف العود
(زوار المريض)

ونصرُتها نصرَ المجاهدِ في دَرا عبد الحميدِ وفي جناحِ رشادِ
وبصرُتها كالمجاهدِ في دَرا (حماية) السلطان عبد الحميد، وفي جناح (كتف) السلطان محمد رشاد

ودفنتُها، ودفنتُ خيرَ قصائدي مَعها، وطالَ بقبرِها إنشادي
وعندما أُلغيت الخلافة دفتها ودفنت معها خير قصائدي في مدحها، ورثتها بعد موتها

حتى أَتَهَمْتُ، ففيلَ تُركي الهوى، صدّقوا؛ هوى الأبطالِ ملءُ فؤادي
حتى لقد اتهمني الناس بأنني تركي الهوى، وقد صدقوا فحب الأبطال يملأ قلبي

اللَّهُ يعلمُ ما انفردتُ وإنما صوّرتُ شعري من شعورِ الوادي
ولم أكن، علم الله، وحدي في ذلك، وإنما صورت في شعري ذاك شعور وادي النيل كله

وفدَ الخلافة! لا أنبهُكم على بلَدِ حَفِيٍّ بالنَّزِيلِ جَوادِ
فيا أيها الوفد الذي قدم مصر لمؤتمر الخلافة، لستم بحاجة لأن أنبهكم إلى بلدنا الحفي
(الضيف) بالنزيل (الضيف)، وبلدنا الجواد (الكريم)

٢٢١ وزدته حبتين

قال شوقي في حفيد له اسمه أحمد (١٩٢٦):

رُوحِي وَلَدُهُ عَيْنِي عَوَّدْتُهُ بِالْحَسَنِ
حفيدي هو روعي ومئة عيني، عودته (رَعَيْتُهُ) بالحسين (مشهد «الحسين» في مصر)

سَلَّلْتَنِي مِنْ عَلِيٍّ وَلَمَسْتُهُ مَسْرُتَيْنِ
هذا الطفل هو نسلي أنا من ابني علي، فكأنني أنجبت علياً مرتين

أَحَبُّهُ كَأَسَمِيٍّ وَزِدْتُهُ حَبَّتَيْنِ
أحبته كحبي لأبيه وزيادة

طِفْلٌ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مُقَبَّلُ الرُّكْبَتَيْنِ
كالأمير علينا هذا الطفل لما نحوطه به من اهتمام، وركبناه للتقيل

رِضَاءٌ غَيْرُ قَلِيلٍ وَسُخْطُهُ غَيْرُ هَيْنِ
رضاء ليس قليلاً، وسخطه (غضبه) ليس هيناً (هيناً)

٢٢٢ صفة المكتب

قال شوقي (١٩٢٦):

أَلَا حَبِّذاً صُحْبَةُ الْمَكْتَبِ وَأَخْبِيبَ بِأَيَّامِهِ أَخْبِيبُ
أَلَا حَبِّذاً (ما أبدع!) صفة المكتب (الكتاب)، وما أحبُّ أيامه!

وَيَا حَبِّذاً صِبْيَةٌ يَمْرُحُونَ عِنانَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ صَبِي
وما أجمل أولئك الصبية الذين يمرحون، وعِنان الحياة (أي مقودها، كأنه مقود الحصان) حفيف
عليهم فكانه صبي مثلهم (هكذا فهمت المعنى)

وَيُغْدَى بِهِمْ، وَيُرَاحُ قَطِيعاً عَلَى مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَالْمَغْرِبِ
يُخْدُونَ فِي الْغَدُو (الصباح)، ثُمَّ فِي الرِّوَا حِ (عند الغروب) كَانَهُمُ الْقَطِيعُ، عِنْدَ الشَّرْقِ وَعِنْدَ
الْغُرُوبِ ..

إِلَى مَرْتَعٍ أَلْفُوا غَيْرَهُ وَرَاحَ غَرِيبٍ الْعَصَا أَجْنَبِي
يُخْدُونَ إِلَى مَرْتَعٍ (موضع الرعي/ وقد شبههم بالقطيع) لَمْ بِالْفَوْهِ بَلِ الْفَوْا غَيْرُهُ، لِيَجِدُوا رَاحِيّاً
عَصَاهُ هِيَ عَصَا الْغَرِيبِ، وَهُوَ أَجْنَبِي (من غير أهلهم)

وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ قِيُودِ الْحَيَاةِ شَدِيدٍ عَلَى النَّفْسِ مُنْتَظَعٍ
يُخْدُونَ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ مَكُونٍ مِنْ قِيُودِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ شَدِيدٌ تَسْتَعْبَهُ النَّفْسُ

فِرَاحٌ بِأَيْلُكُ، فَمِنْ نَاهِضٍ يَرُوضُ الْجَنَاحَ، وَمِنْ أَرْغَبِ
إِنَّهُمْ فِرَاحٌ فِي الْأَيْلُكِ (الشجر)، مِنْهُمْ مَنْ نَهَضَ يَرُوضُ (يدرب) جَنَاحَهُ، وَمِنْهُمْ الْأَرْغَبُ (الذي نبت
له ريش صغير)

عَصَافِيرُ عِنْدَ تَهْجِي الدُّرُوسِ مِهَارٌ عَرَابِيدُ فِي الْمَلْعَبِ
عِنْدَ تَهْجِي الدُّرُوسِ يَكُونُونَ كَالْعَصَافِيرِ فِعْلاً، وَفِي الْمَلْعَبِ مِهَارٌ عَرَابِيدُ (كلُّ مِنْهُمْ مِهْرٌ صَاحِبٌ)

حَلِيُونَ مِنْ تِسْعَاتِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأُمِّ يُلْقُونَهَا وَالْأَبِ
حَلِيُونَ (فارغون) مِنْ تِسْعَاتِ (مَسْئُولِيَّاتِ) الْحَيَاةِ، وَيُلْقُونَهَا عَلَى الْأُمِّ وَالْأَبِ

لَهُمْ جَرَمٌ مُطْرَبٌ فِي السَّرَاحِ وَلَيْسَ إِذَا جَدَّ بِالْمُطْرَبِ
جَرَمُ الْمَدْرَسَةِ مُطْرَبٌ لَهُمْ فِي الرِّاحِ (وقت الانصراف)، وَعِنْدَ الْجَدِّ وَالْمَدْرَسِ لَا يَطْرَبُهُمْ

وَتِلْكَ الْأَوَاعِي بِأَيْمَانِهِمْ حَقَائِبُ فِيهَا الْغَدُ الْمُخْتَبِي
وَتِلْكَ الْأَوَاعِي (الحَقَائِبُ) الَّتِي بِأَيْمَانِهِمْ (أَيْدِيهِمْ الْيَمْنَى)، هِيَ حَقَائِبُ يَخْتَبِي فِيهَا الْمُسْتَقْبَلُ

وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزَّحَامِ وفيها المَقْدَّمُ في المؤكِّدِ
وفي الحَقَّابِ (أي في المستقبل) بعضهم يتأخَّرُ ويتخلف في زحمة الناس، وبعضهم يتقدم المؤكِّدِ

جَمِيلٌ عَلَيْهِمْ قَشِيْبُ الثِّيَابِ وما لم يَجْمَلْ ولم يَفْتَشِبِ
الثياب القشبية (النظيفة/الجديدة) جميلة عليهم، وكذا الثياب التي هي لا جميلة ولا قشبية، فهي
جميلة عليهم أيضاً

كسَاهُم بَنَانُ الصَّبَا حُلَّةٌ أَعَزُّ مِنَ الْمُخْمَلِ الْمُنْذَهَبِ
كساهم بنان (أصابع) الصبا حلة (ثوباً) أعز (أندر وأغلى) من المخمل المنذهب

فيا وَيَحَهُمُ هل أَحْسُوا الحياةَ لَقَدْ لَعِبُوا وَهِيَ لَمْ تَلْعَبِ
فويل لهم هل يشعرون بالحياة؟ إنهم يلعبون وهي لا تلعب

تُجَرَّبُ فِيهِمْ، وما يَعْلَمُونَ، كَتَجَرَّبَةِ الطُّبِّ فِي الْأَرْنَبِ
الحياة تجرب أحداثها عليهم، وهم غافلون، كما يجرب العلماء عقاقرهم في أرناب المختبرات

وَدَارَ الزَّمَانِ فَدَالَ الصَّبَا وَشَبَّ الصَّغَارُ عَنِ الْمَكْتَبِ
ثم دار الزمان، فдал (انتهى) الصبا، وشب الصغار عن المكتب (الكُتَّابِ)

وَعُذِّبَ بِالْعِلْمِ طَلَابُهُ وَعَصُوا بِمَنْهَلِهِ الْأَغْذَبِ
وأخذوا يدرسون في الثانويات والمعاهد ويتعبدون بطلب العلم، ويفصون (بشقوق) بمنهله (بنبوه)
الغذب

رَمَتْهُمْ بِهِ شَهَوَاتُ الْحَيَاةِ وَحُبُّ النَّبَاهَةِ وَالْمَكْسَبِ
رمتهم (ورطتهم) بالعلم رغبات الحياة، وحب النباهة (النشوة)، والسعي للمكسب

وَزَهُوُ الْأَبْوَةِ مِنْ مُنْجِبٍ يُفَاخِرُ مَنْ لَيْسَ بِالْمُنْجِبِ
وكذلك ورطتهم في العلم زهو (فخر) الأبوة، فالأب المنجب (ذو الابن النجيب) يفاخر من ليس
ابنه نجياً

قَدْ انصَرَفُوا بَعْدَ عِلْمِ الْكِتَابِ لِبَابٍ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُكْتَبِ
وبعد انتهاء الطلبة من علم الكتب، يدخلون باباً من العلم ليس موجوداً في أي كتاب..

حَيَاةٌ يَغَامَرُ فِيهَا امْرُؤٌ تَسْلَحُ بِالنَّابِ وَالْمِخْلَبِ
إنها الحياة. والمرء يغامر فيها وقد تسلاح بناب ومخلب من العلم أو من غيره

وصارَ إلى الفاقة ابنُ الغنيِّ ولاقى الغنى وَلَذَّ المُتَرَبِّ

وقد يصيح ابن الغني فقيراً، وقد يحصل على الغنى ابن المترب (الفقير)

وقد ذهبَ المُتَمَلِّي صحَّةً وصَحَّ السَّقِيمُ فلم يذهب

وقد يموت الذي كان ممتلئاً صحة، وقد يصح المريض ويعيش

وكم مُنَجِّبٍ في تَلَقِّي الدروسِ تَلَقَّى الحياة فلم يُنَجِّبْ

وكثيراً ما ترى منجياً (نجياً) في الدروس، تلقى درس الحياة فلم يكن نجياً

وغابَ الرفاقُ كأن لم يَكُنْ بِهِمْ لك عهدٌ ولم تُضَعِبْ

ثم إن رفاق الدراسة غابوا عنك، فكانه لا عهد لك بهم، ولم تصحبهم

إلى أن فَنَوَا ثَلَّةً ثَلَّةً فَنَاءَ السُّرَابِ على السُّبَسْبِ

وأخيراً.. فنون ثلثة (جماعة) بعد جماعة، مثلما يفنى السراب على السبب (الصعراء). لا تفوت

شوقي فرصة يتعجب فيها من عبث الحياة إلا اقتصرها. قال محمد صبري السوربوني عن هذه

القصيدة: «كلها درر.. ولا أعرف لها نظيراً في الشعر قديمه وحديثه في بكاء الشباب وزمن

الدرس والمكتب»

٢٢٣ زلزال القيامة

قال شوقي في زلزال طوكيو ويوكاهاما (١٩٢٦):

قِفْ بِطُكْيُو وَطُفْ على بُكْهَامَةَ وَسَلِ القَرِينَيْنِ: كَيْفَ الْقِيَامَةُ

قف بإزاء طوكيو وطف على يوكوهاما، واسأل القرينين (البلدين) كيف تكون القيامة،

فقد شهدا شبيها في الزلزال

دَنِبِ السَّاعَةُ النِّي أَنذَرَ النَّاسَ، وَحَلَّتْ أَشْرَاطُهَا وَالْعَلَامَةُ

عندئذ اقتربت الساعة التي أنذر الله الناس بقدموها، ووقعت أشراطها (دلائلها) والعلامة (العلامة

التي بها يعرف قيام الساعة)

حَازَهُمْ مِنْ مَرَاجِلِ الْأَرْضِ قَبْرٌ فِي مَدَى الظَّنِّ عَمَقُهُ أَلْفُ قَامَةٍ

حازهم (احتواهم) من المراحل (خزانات الغليان) قبر يظن المرء أن عمقه ألف قامة (ألف مرة

طول الإنسان)

تَحَسَّبُ الْمَيِّتُ فِي نَوَاحِيهِ يُغَيِّي نَفْخَةَ الصُّوْرِ أَنْ تَلْمَ عِظَامَهُ

تحسب أن الميت في هذا القبر الجماعي يمي نفخة الصور (يجعل نفخة البوق التي تفع في يوم

القيامة عاجزة)، فلا تستطيع هذه النفخة أن تلم عظامه

دولة الشرق وهي في ذروة العزّ - تحارّ العيون فيها فخامة
اليان دولة الشرق العظيمة وهي في ذروة (قمة) العزّ، والعيون تحار من فخامة نهضتها . . هذه
الدولة

لو تأملتّها عشيّة جاشت خلتها في يد القضاء حمامة
لو رأيتها في ذلك المساء عندما جاشت (اهتزت) لخلتها (ظنتها) حمامة صغيرة في يد القضاء

٢٢٤ شروط الملك

قال شوقي (١٩٢٦):

يا طالباً لمعالي المُلْكِ مجتهداً خُذْها مِنَ العلمِ أو خُذْها مِنَ المالِ
يا من يطلب أُمجاد الملك مجتهداً (مُتأبراً في طلبها)، عليك بالعلم أو بالمال

بالعلمِ والمالِ يَبْنِي الناسُ مُلْكَهُمْ لَمْ يُبْنِ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وإِقْلَالٍ
بهما كليهما يَبْنِي الناس الملك، فلا ملك بجهل ولا بإقلال (نقر)

٢٢٥ سلام أرق من صبا بردى

قال شوقي يذكر قصف الفرنسيين دمشق جواً وبراً في أكتوبر تشرين الثاني ١٩٢٥،
قالها عام (١٩٢٦):

سَلامٌ مِنْ صَبا بَرْدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لَا يُكْفِكُفُ يا دِمَشقُ
سلام أرق من صبا (نسيم) بردى (نهر دمشق)، ودمع لا يكفكف (يُمنع من الهول) لك يا دمشق
ومَعِذْرَةُ البِرَاعَةِ والقَوافي! جلال الرُّزْءِ عَنْ وَصْفِ يَدُوعِ
ولك معذرة من البراعة (القلم) والقوافي (القصائد) فهما لا يفياك حُفْكُ، فجلال (ضخامة) الرزء
(المصيبة) يلقى (يصعب) عن الوصف

وبِئْسَ رَمَتْكَ بِهِ اللَّيالي جِراحاتُ لها في القلبِ عُمُقُ
وقد حل بي مما رمتك به الليالي (أحداث الزمن) جراح عميقة الغور في القلب

دَخَلْتُكَ وَالْأَصِيلُ لَهُ اتِّتِلَاقُ وَوَجْهُكَ ضاحِكُ الْقَسَماتِ طَلَقُ
دخلتك قل حين من الزمن وكان للأصيل (الغروب) اتِّتِلَاقُ (بريق)، وكان وجهك - آنذاك -
ضاحك القسَماتِ (التقاطيع) طلقاً (مستبشراً)

وتَحْتَ جِنايِكَ الأنهارُ تجري ومِلءَ رُباكِ أوراقُ الشجرِ والوُزُقُ (الحمامات)
وكانت الأنهار تجري تحت جناحك (بساتينك)، وملء رباك أوراق الشجر والوُزُقُ (الحمامات)

وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ صَبَاحٌ لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتٌ وَسَبْقُ
وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ (بيض الوجوه) صَبَاحٌ (مشرقون)، سباقون للفضل يصلون فيه إلى العايات البعيدة

عَلَى لَهَوَاتِهِمْ شُعَرَاءُ لُسْنٌ وَفِي أَعْطَافِهِمْ خُطَبَاءُ شُدُقُ
على لهواتهم (الستهم/اللهاة لحمة الحلق المتتالية) شعراء لسن (فصحاء)، وفي أعطافهم (جنوبهم)
خطباء شُدُق (مصحاء). وهو إذ يقول في أعطافهم خطباء إنما يقصد هم خطباء، ومن بيان العربية
أنك إن قلت «بين جنيك خير صديق» فالمعنى «أنت خير صديق»

رُؤَاةٌ قِصَائِدِي، فَاعْجَبْ لِشِعْرِي بِكُلِّ مَحَلَّةٍ يَرْوِيهِ خَلْقُ
هؤلاء رؤاة لقصائدي يحفظونها ويرددونها، فاعجب لهذا الشعر الذي يرويه خلق (ناس) في كل
محلة (بلدة)

عَمَزْتُ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلَطَّتْ أَنْوْفُ الْأَسَدِ وَاضْطَرَمَّ الْمَدَقُ

عمرت إباءهم (أثرت نخوتهم) حتى تلطت (اشتعلت) أنوف الأسود غضباً، واضطرم
(التهب) المدق (أرنب الأنف). عندما سأل شوقي محمد عبد الوهاب عن أجمل بيت
في القصيدة اختار هذا البيت، سألته شوقي: فهمته؟ قال لا. فقط لجبرسه. وغنى
عبد الوهاب أحياناً من القصيدة وتجنب هذا البيت

وَضَجٌّ مِنَ الشُّكِيمَةِ كُلِّ حَرٍّ أَبِي، مِنْ أُمْبِيَّةٍ فَبِوَعْتِي
وضج (سهم) من الشكيمة (حليدة اللجام بعضها الحصان) كل حر أبي (رافض)، فيه عتي (أصالة)
موروثه من عهد بني أمية

لَحَاها اللَّهُ أَنْبَاءَ تَوَالَتْ عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ
لحأها (لعنها) الله هذه الأنباء التي توالى على سمع الولي (الصديق) بما يشق (يؤذي)

تَكَادُ لِرَوْعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا تُخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
تكاد هذه الأنباء لما فيها من روعة الأحداث (الأحداث العريضة) تخال (تظن) من الخرافات،
ولكنها للأسف صادقة

وَقَبِلَ مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ وَقَبِلَ أَصَابِهَا تَلَفٌ وَحَرَقُ
قبل معالم التاريخ قد دكت، وأصابها الخراب والحرق

الْسَبِّ، دَمَشَقُ، لِلْإِسْلَامِ ظَنَرَأُ وَمُرْضِعَةُ الْأَبْوَةِ لَا تُعَقُّ
السب يا دمشق ظنر (مرضعة) الإسلام؟ (ومشق احتضنت الإسلام باكراً)، وإن مرضعة الأبوة
(الأباء) لا يجوز عقوبتها

صَلاَحُ الدِّينِ، تَاجُكَ، لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمَ بِأُزَمِّنَ مِنْهُ فَرَقُ
صَلاَحِ الدِّينِ (المتدفون في دمشق) تَاجُ لَكَ، وَهُوَ تَاجُ لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمَ (يُزَيَّنُ) بِأَجْمَلٍ مِنْهُ فَرَقُ
(رَأْسُ)

وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ لَهَا مِنْ سَرَاحِ الْعُلُويِّ عِرْقُ
وَكُلِّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَ عِزُّهَا أَخَذَتْ عِرْقًا (غَصَنًا) مِنْ سَرَاحِ (شَجَرِ) الْعُلُويِّ (الْمَجِيدِ)
بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الْكُبْرَى، وَمُلْكًا غِبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُنْقُ
بَيْتُ بَا دِمَشْقَ دَوْلَةُ كُبْرَى، وَمُلْكًا فِي الْمَشْرِقِ وَآخَرُ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَلَيْتَ بِهَذَا حَضَارَتَانِ لَا يَنْقُ
غِبَارُهُمَا (لَا يَلْحَقُ بِهِمَا أَحَدُ)

لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُرْسٌ بِشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسٍ تُدَقُّ
هَذَا الْمَلِكُ لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامُ الْفَرَسِ وَالزَّيْتِ وَالنَّصْرِ، وَهُوَ عُرْسُ نَسَمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ بِشَائِرِهِ (أَخْبَارُهُ)
الْمَارَةُ تَدُقُّ بِهَا الطَّبُولُ

رِبَاعُ الْخُلْدِ، وَيَخَكُ، مَا دَهَاهَا أَحَقُّ أَنَّهَا دَرَسَتْ، أَحَقُّ؟
يَخَاطَبُ دِمَشْقَ: رِبَاعُ (رَبِيعِ) الْخُلْدِ (الْجَنَّةِ) مَا الَّذِي دَهَاهَا؟ وَهَلْ صَحِيحٌ أَنَّهَا دَرَسَتْ (تُحْيَتُ)؟
وَأَيْنَ دُمَى الْمَقَاصِرِ مِنْ جِبَالِ مُهَتَّكَةٍ وَأَسْتَارِ تُشَقُّ
وَأَيْنَ دُمَى (مَرَاثِ) يُقْصَدُ نِسَاءُ الْمَقَاصِرِ (الْبُيُوتِ)؟ أَيْنَ هِيَ مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ (النُّورِ) الْمُهَتَّكَةِ
(الْمَمْزُوقَةِ) الْمَشْقُوقَةِ؟

بَرَزْنَا وَفِي نَوَاحِي الْأَيْكِ نَارٌ وَخَلْفَ الْأَيْكِ أَفْرَاحٌ تُزَقُّ
بَرَزَتِ النِّسَاءُ (خَرَجْنَ) مِنْ بَيْتِهِنَّ بَعْدَ حَرْقِ دِمَشْقَ عَلَى أَيْدِي الْفَرَنْجِيِّينَ، وَكَانَ فِي نَوَاحِي الْأَيْكِ
(الْغَابِ) نَارٌ، وَخَلْفَ الْغَابِ أَطْفَالُهُنَّ كَالْأَفْرَاحِ الَّتِي تُزَقُّ بِالْحَبِّ زَقًّا

إِذَا رُمِّنَ السَّلَامَةُ مِنْ طَرِيقٍ أَنْتَ مِنْ دُونِهِ لِلْمَوْتِ طُرُقُ
إِذَا رَمَنَ (طَلَنَ) السَّلَامَةَ بِسُلُوكِ طَرِيقٍ، كَانَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ هَذَا الطَّرِيقِ طَرِيقٌ أُخَرَى يَأْتِي مِنْهَا لِهَوْلَاءُ
النَّوْءِ

يَلْبِلُ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَايَا وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطَفٌ وَصَعَقُ
حَدَّثَ لَهُنَّ هَذَا فِي لَيْلٍ لِلْقَنَابِلِ وَالْمَوْتِ فِي سَمَائِهِ خَطَفٌ لِلْأَرْوَاحِ وَصَعَقٌ لِلنَّاسِ

إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفَقٍ عَلَى جَنَابَتِهِ، وَأَسْوَدَ أَفَقٍ
إِذَا عَصَفَ حَدِيدُ الْمَدَافِعِ أَحْمَرَ الْأَفَقِ عَلَى جَنَابَاتِ اللَّيْلِ بِالنَّارِ، وَأَسْوَدَ الْأَفَقِ مَرَّةً أُخَرَى بِالدِّخَانِ

سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ أَبْيَنَ فَوَادِيهِ وَالصَّخْرَ فَرَقُ
فاسألني يا دمشق من راع (أخاف) غيدك (جميلاتك) بعد وهن (بعد حلول الظلام): هل يوجد فرق
بين قلبه وبين الصخر؟

وَلِلْمُسْتَعْمَرِينَ، وَإِنْ الْأَتَوَا، قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرُقُ
وللمستعمرين - وإن ألتوا (أظهروا اللين) - قلوب مثل الحجارة لا ترق (تلين)

رَمَاكَ بِطَيْشِهِ، وَرَمَى فَرَنْسَا، أَخُو حَرْبٍ بِوَصْلَتِ وَحْنِ
رماك بطيشه - ورمى بلده فرنسا أيضاً - صاحب حرب (هذا الجنرال) به صلف (تكبر) وحنق

إِذَا مَا جَاءَهُ طُلَّابُ حَقٍّ يَقُولُ عَصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
إذا جاءه أصحاب الحق يطلبونه بعدهم عصابة (جماعة) خرجوا على السلطة وشقوا عصا الطاعة

دُمُ الثَّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نَوْرٌ وَحَقُّ
فرنسا تعرف خير المعرفة دم الثوار وتضحياتهم، وهي تعلم أن هذا الدم مجيد وينير طريق الحرية،
فهي صاحبة ثورة مجيدة

جَرَى فِي أَرْضِهَا، فِيهِ حَيَاةٌ كُنْهَلُ السَّمَاءِ وَفِيهِ رِزْقُ
وقد جرى دم الثوار في أرض فرنسا، وكان فيه حياة، كان مثل منهل السماء (المطر) الذي يأتي
بالخير

بِلَادُ مَاتَ فَنَبَيْتُهَا لِتَحْيَا وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا
تلك بلاد مات شبابها لتحيها، وزالوا (ماتوا) دون قومهم (دفاعاً عن قومهم) ليقى القوم

وَحُرَّرَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاها فَكَيْفَ عَلَى قَنَاها تُسْتَرْقُ
وقد تحررت الشعوب على قنا (رماح) فرنسا عقب ثورتها ١٧٨٩، فكيف تسترق (تستبد) الشعوب
على هذه الرماح نفسها؟

بَنِي سُوْرِيَّةَ، أَطْرَحُوا الْأَمَانِيَّ وَالْقُوا عَنْكُمُ الْأَحْلَامَ الْقُوا
يا بني سورية أطرحوا (اتركوا جانباً) الأمانى، وألقوا عنكم الأحلام

فَمَنْ خَذَعَ السِّيَاسَةَ أَنْ تُعْرُوا بِالْقَابِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ رِقُ
فمن خذع السياسة أن يُعَرَّ المرء بالقاب الإمارة، بينما هي رق (عبودية). وكانت فرنسا تسعى في
تفتيت سوريا إلى لبنان الكبير، ودولة جبل الدروز، وحكومة العلويين. وسأيرها في هذا المعنى
عدد من الساسة

وَكَمْ صَيِّدٌ بَدَا لَكَ مِنْ ذَلِيلٍ كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ عُتْقُ
وكثيراً ما يظهر لعينيك صَيِّدٌ (فخر وإمالة عتق) من شخص ذليل، فهو يُميل عنقه لا مخرأً ولكن
كالمصلوب

فُتَوِّقُ الْمُلْكَ تَحَدُّثٌ ثُمَّ تَمْضِي وَلَا يَمْضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتَقُ
فتوق الملك (الشفوق في بنيانه) تحدث ثم يمكن إصلاحها، ولكن المختلفين من أبناء البلد لا
يسهل إصلاح الفتق بينهم

نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً وَلَكِنْ، كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرَقُ
نصحت لكم مع اختلافنا في القطر، ولكننا جميعاً نشترك في الهم، فالشرق كله مظلوم والغرب له
ظالم

وَجَمَعْنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ
ولئن اختلف بلدي عن بلدكم فإن ما يجمعنا هو البيان الذي لا يختلف فيه والنطق باللغة العربية
وقفتُكُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
أنتم بين الموت والحياة، وإذا رمت (أردتم) النعيم والعز طول الدهر فاشقوا (انعموا). وحق كلمة
«اشقوا» أن تكون بفتح القاف، ومثلها كانت قبل بضعة أبيات كلمة «يفقوا». ولكن هذا إقواء لا
تقبله الأذن

وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ يَدٌ سَلَفَتْ وَدِينٌ مُسْتَحَقُّ
وللأوطان في دم كل حر من أبنائها يدٌ (معروف) سابق، ولها عليه دين مستحق الوفاء

وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسَقَوْا وَيَسْقُوا
ومن ذا الذي يسقي عدوه الموت ويشرب الموت إذا لم يفعل ذلك الأحرار

وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ، وَلَا يُجِئُ
ولا شيء يبني الدول مثل الضحايا من أبنائها، ولا شيء مثلهم يذني (يقرب) الحقوق لأصحابها
وينجزها

فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ وَفِي الْأَسْرَى فِدَى لَهُمْ وَعِثْقُ
ففي قتلى الحرية حياة للأجيال اللاحقة، وفي الأسرى عتق (تحرر) وفداء

وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
وللحرية الحمراء بدم الفداء بابٌ يَدُقُّ عليه أبناء الوطن بأيديهم المضرجة (المصروغة
بالدم)

جَزَاكُم ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقٍ وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ
جَزَاكُم اللهُ ذُو الْجَلَالِ يَا أَبْنَاءَ دِمَشْقٍ، فَأَنْتُمْ كُنتُمْ بَدَايَةَ عِزِّ الشَّرْقِ فِي عَصْرِ نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ

٢٢٦ كان شعري الغناء في فرح الشرق

قال شوقي في حفل مبايعته بلمارة الشعر (١٩٢٧):

مَرْحَباً بِالرَّبِيعِ فِي رَيْعَانِيَّةٍ وَيَأْنُورِهِ وَطَيْبِ زَمَانِيَّةٍ
رَيْعَانِيَّة: أوله، أنواره: نوار الشجر وزهره

أَيْنَ نَوْرِ الرَّبِيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ بَرِّ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْنَانِيَّةٍ
لا مقارنة بين نَوْر (نوار) الربيع وزهر (نوار) الشعر عندما يستوي على أفنانه (أغصانه)

سَرْمَدُ الْحَسَنِ وَالْبَشَاشَةِ، مَهْمَا تَلْتَمِسُهُ تَجِدُهُ فِي إِثَانِيَّةٍ
فالشعر سمرمد الحسن (أبدي الجمال)، ومهما (في أي وقت) تلتمس (تطلب) الشعر تجده بانعاً كأنه
في إبانته (في موسمه)

حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَالُ الْقَرِيفِ بَعْدَ أَوَانِيَّةٍ
كل شيء جميل في أوانه، والقريص (الشعر) جماله يزيد بعد انقضاء زمن عليه

أَمَرَ اللّٰهَ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحَكْمِ سَمِعَ فَالْتَقْنَا عَلَى صَوْلَجَانِيَّةٍ
أمر الله الحقيقة والحكمة فالتقنا على صولجان الشعر ترافقانه دوماً. أحقاً؟ الشعراء يتبعهم
المهنتون؟

لَمْ تَنْزُ أُمَةٌ إِلَى الْحَقِّ إِلَّا يَهْدِي الشَّعْرُ أَوْ خُطَى شَيْطَانِيَّةٍ
لم تنز أمة للمطالبة بحقها إلا والشعر يهديها ملاكاً أو يثيرها شيطاناً

وشيطان الشاعر هو الذي يوحى إليه بالشعر في الخرافة الأدبية المعروفة، وشوقي هنا يرمي إليها

لَيْسَ عِزْفُ النِّحَاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ فِي شُجَاعِ الْفَوَادِ أَوْ فِي جَبَانِيَّةٍ
عزف الآلات النحاسية ليس أشد وقعاً من الشعر في قلوب الشجعان والجبّاء

ظَلَّلْتُنِي عِنَايَةً مِنْ فَوَادٍ ظَلَّلَ اللّٰهُ عَرْشَهُ بِأَمَانِيَّةٍ
ظللتنني عناية أحمد فؤاد، وأدعو الله أن يظل عرشه بأمان منه

مَلِكُ النَّيْلِ مِنْ مَصْبِيٍّ بِالشَّطِّ - إِلَى مَنْبَعِيهِ مِنْ سُودَانِيَّةٍ

هو ملك النيل من مصبّه (فرعي دمياط ورشيد اللذين يصبان ماء النيل في شاطئ المتوسط) وحتى
منبعه في السودان (فالنيل الأبيض والأزرق بمثابة المنبعين اللذين يؤلفان النيل وكلاهما يمر
بالسودان قبل دخول مصر)

يَا عُكَاظاً تَأَلَّفَ الشَّرْقُ فِيهِ مِنْ فِلِسْطِينَ إِلَى بَغْدَادِ

أيها الحفل الشبيه بعكاظ، وقد تألف (تجمع) الشرق فيه من فلسطين إلى بغداد (بغداد)

قَلَّدْتُني المَلُوكَ مِنْ لَوْلُو الْبَحْرِ رَيْنِ آلَاءِهَا وَمِنْ مُرْجَانِ

لقد قلدي (طوق عتقي) الملوك الأعمى (يجمعهم) من لؤلؤ ومرجان (لؤلؤ) البحرين، مشيراً إلى هدية حاكم البحرين له آنذاك

مَوَكَّبُ الشَّعْرِ حَرَّكَ الْمُتَنَبِّيَ فِي ثَرَاهُ، وَهَزَّ مِنْ حَسَّانِ

هذا الحفل كان موكباً للشعر، وقد حرك المتنبي في ثراه (تريته)، وهز حسان الشعر (حسان بن ثابت)

رُبَّ سَامِي الْبَيَانِ نَبَّ شَأْنِي أَنَا أَسْمُو إِلَى نِبَاهَةِ شَائِنِ

رب رجل سامي البيان (عالي الفصاحة) يشير إلى محمود سامي البارودي الذي سبقه في الشعر زماناً وفتح له الطريق) وأنا أسمو (أطلع) إلى نباهة شأنه (أهميته)

كَانَ بِالسُّبْقِ وَالْمِيَادِينِ أَوَّلِي لَوْ جَرَى الْحِظُّ فِي سَوَاءٍ عِثَانِ

كان أولى مني بالسبق في الشعر وفي ميادينه لو أن الحظ جرى في سواء عثانه (واتاه). كان البارودي رجلاً ميادين، كان محارباً ووزيراً للحرية، وكان شاعراً مهماً

إِنَّمَا أَظْهَرُوا يَدَ اللَّهِ عِنْدِي وَأَذَاعُوا الْجَمِيلَ مِنْ إِحْسَانِ

ما يصنعه هؤلاء المحضون هو أنهم يبرزون يد (نعمة) الله علي، ويذيعون جميل إحسان الله علي

مَا الرَّحِيقُ الَّذِي يَذُوقُونَ مِنْ كَرَمِي، وَإِنْ عِشْتُ طَائِفاً بِدِينَانِ

ورحيق شعري الذي يذوقونه ليس من كرمي (بستاني)، وإن عشت وأنا أطوف بدينان الكرم (جزار الخمر). فشوقي يطوف حول أوهية الخمر الكبيرة يستقي منها خمرة الشعر ليقدمها للناس وليس له سوى فضل الاستقاء لغيره

وَهَبُونِي الْحَمَامَ لَذَّةَ سَجْعٍ أَيْنَ فَضْلِ الْحَمَامِ فِي تَحْنَانِ؟

وهوني (افرضوا أنني) كالحمام في لذة سجمه (لحنه)، أين فضل الحمام في تحنانه (حنانه)؟ فالحمام من طبه السجم وليس له فضل فيه

وَتَرَّ فِي اللَّهِاهِ مَا لِلْمُعْنَى مِنْ يَدٍ فِي صَفَائِهِ وَلِيَانِ

الشعر كأنه وتر في اللهاة (اللحمة المتدلية في آخر الحلق بين اللوزتين)، وليس للمعنى يد (فصل) في أن يكون للوتر صفاء أو ليانة (لين)

كَانَ شَعْرِي الْغَنَاءَ فِي قَرَحِ الشَّرِّ قِي وَكَانَ الْعِزَاءُ فِي أَحْزَانِ

كان شعري غناء في قراح الشر، وعزاء للناس لينسوا أحزانه

قد قضى الله أن يُؤلفنا الجُبر حُ، وأن نلتقي على أشجانِه

قضى الله أن يؤلفنا (يجمعنا) الجرح، وأن نلتقي على أشجانِه (أحزانِه)

كلَّما أنَّ بالعراق جريحٌ لَمَسَ الشرقَ جنبَه في عُمانِه

كلَّما أنَّ (تأوه) بالعراق جريح، لمس الشرق خاصرته في عُمانِ إذ يحس بالآلم

وعليَّنا كما عليَّكم حديدٌ تَنَزَّرَى الليوْثُ في قُضبانِه

ونحبنا قضبان الحديد مثلما تحبسكم، وداخلها تنترى (تتواهب) الليوْث طلباً للحرية

٢٢٧ يحصلون الميت

قال شوقي يرثي إسماعيل أباطة، أحد الأعيان، وعضو الجمعية التشريعية، (١٩٢٧):

يقولون: يرثي الرَّاحِلِينَ، فَوَيْحَهُمْ أأَمَلْتُ عِنْدَ الرَّاحِلِينَ الْجَوَازِيَا

يلومني بعضهم لأنني أرثي الراحلين، قالويل لهم، هل أنا أوْمل عند الراحلين الجوازِيَّ (المكافآت)

أَبْوَا، حَسْداً، أَنْ أَجْعَلَ الْحَيَّ أَسْوَةً لَهُمْ، وَمِثَالاً قَدْ يُصَادَفُ حَاضِياً

مؤلاء العاسدون رفضوا أن أجعل الشخص الحي أسوة (قدوة) ومثلاً، وكان أملي إذ أمدح الأحياء أن يصادف الممدوح بشعري حاذباً (شخصاً يحدو حدوه)

فلَمَّا رُبِيتُ الْمَيِّتَ أَقْضِي حَقَّوْهُ وَجَدْتُ حَسُوداً لِلرُّفَاتِ وَشَانِيَا

فعندما رُبيت الميت لقضاء حقه وتكريمه، وجدت حسوداً للرفات وشانئاً (مبغضاً) للميت

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعْ الْعَهْدَ لِهَالِكٍ فَلَسْتُ لِحَيٍّ حَافِظَ الْعَهْدِ رَاجِئَا

إذا أنت لم ترع (تحفظ) العهد لهالك (ميت)، فانت لن ترعى عهد الحي

فَلَا يَظْهَرُ الْمَوْتُ عَهْدَكَ مِنْ أَخٍ وَهَبُهُ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيكَ نَائِيَا

فلا تدع الموت يظوي عهدك إزاء أخ لك، وهبه يا شوقي (افترض أنه) رحل ليمش في واد بعيد غير واديك ولم يمت موتاً

أَقَامَ بِأَرْضٍ أَنْتَ لَا قِيَمَ عِنْدَهَا وَإِنْ بِشِمَا تَسْتَبْعِدَانِ التَّلَاقِيَا

وافترض أن الميت سكن أرضاً متلاقيه فيها، وإن كان اللقاء مستبعداً الآن، فالموت سيجعلنا كلنا تتلاقى في التراب

وَلَيْسَ الْبَيَانُ الْهَجْوُ إِنْ كُنْتَ سَاخِطاً وَلَا هُوَ زُورَ الْمَدْحِ إِنْ كُنْتَ رَاضِئَا

والبيان ليس الهجاء في وقت سخطك، ولا المدح الكاذب وقت رضاك

ولكن هُدى الله الكريم ووخيه حَمَلَتْ بِهِ الْمَصْبَاحَ فِي النَّاسِ هَادِيَا
ولكن البيان هدى الله والهامه، وأنت يا شوقي - يخاطب نفسه - حملت مصباح البيان تهدي الناس به
تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُورًا، وَتَارَةً تُضِيءُ عَلَى الْمَوْتَى الرَّجَامَ الدَّوَّاجِيَا
تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُورًا، وَأَحْيَانًا تُتِيرُ عَلَى الْمَوْتَى الرَّجَامَ (حجارة القبر) الدَّوَّاجِيَا (المعتمة)
هِيَ أَكْلُ تَفَنِي، وَالْبَيَانُ مُحَلَّدٌ أَلَا إِنَّ عِثْقَ الْحَمْرِ يُنْسِي الْأَوَانِيَا
أحسام الناس هياكل فانية، والبيان خالد، كالخمر العتيقة فإن عثقها يجعلها جيدة ونسي معه دنانها
وخوابيها المسودة المطلبة بالقار

٢٢٨ الشاعر والرواة

قال شوقي في الحفل الخمسيني لدار العلوم (١٩٢٧):

نَظَّمَ اللَّهُ مُلْكُهُ بِعَبَادٍ عَبَقَرِيَّيْنَ أَوْزَنُوا الْمَلِكَ حُسْنًا
نظم الله ملكه (كما ينظم المرء العبد من اللآلئ) بالعابرة من خلقه الذين أوزنوا الملك حسناً
(تركوا له زينة)
شَغَلَتْهُمْ عَنِ الْحَسَدِ الْمَعَالِي إِنَّمَا يُحَسِّدُ الْعَظِيمُ وَيُشْنَا
شغلت هؤلاء العابرة عن الحسد الأمجاد، والعظيم دائماً يحسد ويُشْنَا (يُمَقِّت)
كُلُّمَا صَارَ لِلْكُھُولَةِ شِعْرِي أَنْشَدُوهُ فَعَادَ أَمْرَدَ لَدُنَّا
كلما صار شعري كهلاً (كبير السن) أنشده هؤلاء الشباب الذين يتعلمون ليصبحوا عابرة المستقبل،
فعاد (فصار) أمرد (فتياً) لدنأ (طري العود)
أَسْرَهُ الشَّاعِرُ الرُّوَاةُ، وَمَا عَنَّ حَوْهَ، وَالْمَرْءُ بِالْقَرِيبِ مُعْنَى
الرواة هم أسرة الشاعر، وهم لا يُعْتَوْنَهُ (لا يتمونه)، بينما الإنسان يتعب من أقارب النسب
هُمْ يَضُنُّونَ فِي الْحَيَاةِ بِمَا قَا لَ، وَيُلْفَوْنَ فِي الْمَمَاتِ أَصْنَا
في حياة الشاعر يضنُّ الرواة بما قال (يحرصون على شعره)، وتلفيهم (تجدهم) بعد موته أضنُّ
(أحرص) على شعره

وَإِذَا مَا انْقَضَى، وَأَهْلُوهُ، لَمْ يَغَرْ حَلَمَ شَقِيقاً مِنَ الرُّوَاةِ أَوْ ابْنَا
وإذا ما انقضى (مات) وأهلته، لم يعد حلم شقيقاً من الرواة من يكون كالشقيق أو الابن
نَحْنُ فِي صُورَةِ الْمَمَالِكِ مَا لَمْ يَصْبِحِ الْعِلْمُ وَالْمَعْلَمُ مِنَّا
نحن لسنا مملكة حقيقية بل شبح مملكة إلا إذا أصبح العلم والمعلم تابعين من بلدنا

لَا تُنَادُوا الْحُصُونُ وَالسُّفُنَ وَادْعُوا إِلَهُكُمْ يُنْشِئُ لَكُمْ حُصُونًا وَسُفُنًا
 لَا تُنَادُوا مِنْ يَنْشِئُ لَكُمْ الْحُصُونُ وَالسُّفُنَ، بَلْ نَادُوا الْعِلْمَ لِكَيْ تَنْشِئُوا بِهِ حُصُونًا وَسُفُنًا بَأَنْفُسِكُمْ
 إِنَّ رَكْبَ الْحَضَارَةِ اخْتَرَقَ الْأَرْضَ ضَوْسُ السَّمَاءِ رِيحًا وَمُزْنًا
 موكب الحضارة اخترق أعماق الأرض، وشفق السماء يريحها ومزنها (غيبها)
 وَصَحْبِنَاهُ كَالْعُغْبَارِ فَلَا رَحْمَ لَّا شَلَدْنَاهُ وَلَا رِكَابًا زَمَنَّا
 ونحن! لقد صحبنا موكب العلم كأننا الغبار الذي يصاحب الموكب، فلم تكن جزءاً من الموكب،
 فما شلدنا رحلاً (خرج الدابة) ولا زمنا ركاباً (ربطنا ركاب الحصان)

٢٢٩ جارة الوادي

قال شوقي بذكر رحلة بلبنان، (١٩٢٧):

شَيِّفْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبٍ بَالِكٍ وَلَمَمْتُ مِنْ طُرُقِ الْمَلَاكِ شِبَاكِ
 شيعت (ودعت) أحلامي بقلب بالٍ، ولممت شباكي التي كنت أنصبها في طرق الملاح
 (الجميلات)

وَيْعَ ابْنِ جَنْبِي، كُلُّ غَايَةٍ لَذَّةٍ بَعْدَ الشَّبَابِ عَزِيزَةٌ الْإِدْرَاكِ
 سكين ابن جنبي (قلبي)، فكل لذة كبيرة تعمل الغاية تصبح بعد انقضاء الشباب عزيزة الإدراك
 (صعبة التحقيق)

لَمْ تَبْقَ مِنَّا بِمَا فَوَّادُ بَقِيَّةٍ لِفُتُوَّةٍ، أَوْ فَضْلَةٍ لِعِرَاكِ
 لم تبق منا يا قلبي بقية لفتوة (لاعتزاز الشباب بقوته) ولا فضلة لعراك (مقارعة اللهو)

كُنَّا إِذَا صَفَّقْتَ نَسْتَبِقُ الْهَوَى وَنَشُدُّ شَدَّ الْمُضْبَةِ الْفُتَّاكِ
 كنّا وأصحابي يا قلبي إذا صفقت (خفقت) نسابق الهوى، ونشد إثر الملاهي اشتداد عصبه
 (جماعة) من الفتاك (المنغمسين في اللهو)

وَالْيَوْمَ تَبَعْتُ فِي حَيْثُ تَهَزُّنِي مَا يَبْعَثُ النَّاqُوسُ فِي النَّسَاكِ
 واليوم! تبعث في نفسي يا فؤادي عندما تهزني مشاعر هادئة كالتي يبعثها الناقوس (جرس الكنية)
 في النساك (المرهين)

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِبْتُ، وَعَادَنِي مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ
 يا جارة الوادي (بلدة رحلة بلبنان) طربت، وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك ما يشبه الأحلام

مَثَلْتُ فِي الذِّكْرَى هَوَاكَ وَفِي الْكُرَى وَالذِّكْرِيَّاتُ صَدَى السَّنِينِ الْحَاكِي
أكرر ذكراك في ذهني وفي نومي، والذكريات كأنها صدى السنين الحاكي (المقلد)، فهي تنبه
الحدث الأصلي وتحاكيه كما يشبه الصدى الصوت الأصلي

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ بِرَبْوَةٍ غَنَاءَ، كُنْتُ حَيَالَهَا أَلْفَاكِ
مررت الآن وأنا على الرياض (البساتين) بربرة غناء (تلة جميلة) كنت حيالها (عندها) كأنني ألفتك

ضَحِكْتُ إِلَيَّ وَجُوهُهَا وَعَيُونُهَا وَوَجَدْتُ فِي أَنْفَاسِهَا رَيَّاكِ
ضحكت إلي وجوه الربوة (أزهارها) وعيونها (السواد في وسط الأزهار)، ووجدت في أنفاس
(رائحة) الربوة رياك (عطرك)

لَمْ أَذِرْ مَا طَيْبُ الْعِناقِ عَلَى الْهَوَى حَتَّى تَرَفَّقَ سَاعِدِي فَطَوَاكِ
لم أكن أدري ما طيب (الفة) العناق مع وجود الحب حتى ترفق (ثاني) ساعدي فطواك في ضمة حب

وَتَأَوَّدْتُ أَعْطَافُ بَانِكِ فِي يَدِي وَاحْمَرُّ مِنْ خَفَرَيْهِمَا خَدَاكِ
وتأودت (تمايلت) أعطاف (جنيات) بانك (شجر البان) في يدي، واحمر خدأك من خفريهما
(خجلتهما). احمر الخدان من «خفريهما» أي خجلتهما، ولكن الوزن جعلها «خفريهما» فكان لكل
خد خجلاً خاصاً به

وَدَخَلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: فَرَعَاكِ وَالْدُّجَى، وَلَسَّمْتُ كَالصَّبْحِ الْمُتَوَرِّ فَالِكِ
ومع العناق دخلت في ليلتين: فرعك (شعرك)، والدجى (الليل)؛ ولست (قبلت) فاك الذي كان
كالصبح المشرق

وَتَعَطَّلْتُ لَفَةً الْكَلَامِ، وَخَاطَبْتُ حَبْنِي فِي لَفَةِ الْهَوَى حَبْنَاكِ
وتعطلت لفة الكلام، وتخطبت عيوننا بلغة الهوى

وَمَحَوْتُ كُلَّ لُبَانَةٍ مِنْ خَاطِرِي وَنَسِيتُ كُلَّ تَعَائِبٍ وَتَشَاكِ
ومحوت كل لبانة (رغبة) أخرى من خاطري، ونسيت كل تبادل للكتاب والشكوى

لَا أَمْسِ مِنْ حُسْرِ الزَّمَانِ وَلَا غَدً جُمِعَ الزَّمَانُ فَكَانَ يَوْمَ رِضَاكِ
فلا الأمس ولا الغد محسوبان في عمر الزمن، فكل الزمن هو اللحظة الحاضرة، لحظة رضاك

إِنْ تُكْرِمِي، يَا رَحْلَ، شِعْرِي إِنِّي أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكِ
إن تكرمي شعري يا زحلة فإني أنكرت كل القصائد إلا ياك أيتها القصيدة

أَنْتِ الْخَيَالُ، بَدِيعُهُ وَغَرِيبُهُ، اللَّهْ صَاغَلِكِ، وَالزَّمَانُ رَوَاكِ
فأنت فصيحة مكونة من الخيال البديع الغريب، وقد صاغك الله ورزقك الزمان

٢٣٠ البناء بالحاسدين

قال شوقي في بناء الدلو الجليدة لبنك مصر، ويخاطب طلعت حرب (١٩٢٧):

مَا زِلْتُ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ بِرُكْنِيهِ حَتَّى اسْتَقَامَ عَلَى أَعَزِّ دَعَامِ
مَا زِلْتُ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ (مدحت يكن، وفواد سلطان) بركن هذا المبنى حتى قام على أعز (أقوى)
دعامة

أَسْتَشْتُمُ بِالْحَاسِدِينَ جِدَارَهُ وَيَنْتَشُمُ بِمَعَاوِلِ الْهَدَامِ
وَأَنْتُمْ بَيْنَهُمْ جِدْرَانَهُ بِأَجْسَامِ الْحَسَادِ، وَيَنْتَمُوهُ بِمَعَاوِلِ الْهَادِمِينَ، فَكُنْتُمْ اسْتَضَمْتُمْ قُوَى الْحَسَدِ
وَالْهَدْمِ لَتَشْعُدُوا بِهَا هَمَمَكُمْ فَبَيْنْتُمْ مَا بَيْنْتُمْ. معنى جديد، ها؟

شَرِكَاؤُكَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةُ، لَمْ تُنَلِّ إِلَّا بِطُولِ رِعَايَةٍ وَقِيَامِ
شركائك يا طلعت حرب ملء الدنيا، وقد حققها بطول الرعاية والقيام عليها

اللَّهُ سَخَّرَ لَلْكَنَانَةِ خَازِنًا أَخَذَ الْأَمَانَ لَهَا مِنَ الْأَعْوَامِ
الله سخر لمصر خازناً (أمين صندوق) أخذ أماناً لمصر من الزمن الغدار

وَكُنَّ عَهْدُكَ عَهْدُ يَوْسُفَ، كُلُّهُ ظِلٌّ وَسُنْبُلَةٌ وَقَطْرٌ غَمَامِ
فكان عهدك عهد يوسف الصديق (الذي كان خازناً لفرعون)، فعهدك كله ظل من الشجر وسنابل
وقطر (مطر) من الغمام

وَكُنَّ مَالُ الْمَوْدِعِينَ وَزَرْعُهُمْ فِي رَاحَتِكَ وَدَائِعُ الْأَيْتَامِ
وكان ودائع الناس وزرعهم (يودعون المال عندك، أو يقرضونه لتحسين مزارعهم) في يديك ودائع
الأيتام التي يحرم العيث بها كل التحريم

مَا زِلْتُ تَبْنِي رُكْنَ كُلِّ عَظِيمٍ حَتَّى أَنْيْتَ بِرَايِعِ الْأَهْرَامِ
لا تفتأ تبني كل مبنى عظيم، حتى جتنا الآن بهذا المبنى وكأنه هرم رايح

٢٣١ قد يكون الغلو رأياً أصيلاً

قال شوقي يرثي أمين الرافعي، الكاتب السياسي وعضو الحزب الوطني، ثم نصير الوفد
إلى أن اختلف مع سعد، (١٩٢٧):

مَالِ أَحَابُهُ خَلِيلاً خَلِيلاً وَتَوَلَّى اللَّذَاتُ إِلَّا قَلِيلاً
شوقي يتكلم عن نفسه: مال (نعب) أحباب شوقي واحداً واحداً، وتولى (انصرف) اللذات
(الرفاق) إلا قليلاً منهم

نَصَلُّوا أَمْسٍ مِنْ غِبَارِ اللَّيَالِي وَمَضَى وَحْدَهُ يَحُثُّ الرَّحِيلَا
 نصلوا (انسحبوا) أمس من غبار الليالي، فكان الزمن كوكبة خيل وفرسان مسرعة يصحبها العبار،
 ومن ينسحب يترك الغبار سائراً ويتخلف عنه، ومضى شوقي يحث (يتعجل) الرحيل كما رحلوا
 سَكَنْتَ مِنْهُمْ الرِّكَابُ، كَأَنَّ لَمْ تَضْطَرِبْ سَاعَةً وَلَمْ تَمْضِ مِيلَا
 سكنت الركاب (الخيول) التي كانوا يركبونها، وكأنها لم تكن تضطرب (تتحرك)، وكأنها لم تَمْضِ
 (تمشي) بهم ميلاً واحداً

جُرِّدُوا مِنْ مَنَازِلِ الْأَرْضِ إِلَّا حَجَرًا دَارِسًا وَرَمَلًا مَهِيلًا
 جردوا من منازلهم في الأرض عدا الحجر الدارس (حجر القبر المصحور الأثر) والرمل المهيل
 عليهم

فِي بَابٍ مِنَ الثَّرَى رَدَّةُ الْمَوْتِ نَقِيًّا مِنَ الْحُقُودِ غَمِيلًا
 وهم في باب (قبر) من التراب رده (جعله) الموت نقياً غملاً (مغلولاً) من الحُقُودِ (الآحقاد)
 طَرَحُوا عِنْدَهُ الْهَمُومَ، وَقَالُوا إِنَّ عِبَاءَ الْحَيَاةِ كَانَ ثَقِيلًا
 طرحوا همومهم عند شوقي وذهبوا، وقالوا إن عبء الحياة كان ثقيلاً

رُبَّ يَوْمٍ يُنَاحُ فِيهِ عَلَيْنَا لَوْ نَحْسُ النُّوَاخَ وَالتَّمَرْتِيلَا
 رب يوم يُنَاحُ فيه علينا نحن أيضاً، هذا لو كنا سنحس بهذا النواخ والتمرتيل وقد متنا

بِمَرَاثٍ كُتِبْنَ بِالْدمْعِ عَنَا أَسْطَرًا مِنْ جَوَى وَأُخْرَى عَلِيلَا
 سيناخ علينا بمرات كتبت بالدموع، ففيها أسطر من الجوى (اللوعة) وأسطر من الغليل (اللوعة)

يَجِدُ الْقَائِلُونَ فِيهَا الْمَحَانِي يَوْمَ لَا يَأْذُنُ الْبِلَى أَنْ نَقُولَا
 سيجد أصحاب المراثي معاني لراثنا في وقت لا يأذن لنا البلى (تمحل الجسم) أن نقول الشعر

أَخَذَ الْمَوْتُ مِنْ يَدِ الْحَقِّ سِفَاً خَالِدِي الْفِرَارِ عَضْباً صَقِيلَا
 بموت الرافعي أخذ الموت من يد الحق سيفاً خالدي الفرار (حله كحد سيف خالد بن الوليد)
 عضباً (قاطعاً) مصقولاً

لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شَيْخَ الْفَقْرِ لَوْ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
 لم يكن الرجل يخاف شيخ الفقر إذ يطوف هذا الشيخ بالرجال مهولاً (مخوفاً)

جَاعَ حِينًا فَكَانَ كَاللَّيْثِ، أَبَى مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جُوعٍ هَزِيلَا
 جاع الرافعي حيناً فكان كالأسد أكثر ما يكون إياه وعزة يوم يجوع ويهزل حسه

قِيلَ: غَالِي فِي الرَّأْيِ، قُلْتُ: هَبْوُهُ قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيًا أَصِيلًا
فيل عنه إنه كان غالياً في رأيه (مغالياً متشدداً)، قُلْتُ: هَبْوُهُ (افرضوا أنه) كذلك، قد يكون الغلوُّ
(التشدد) رأياً أصيلاً للمرء وليس مجرد عناد

وقديماً بنى الغُلُوُّ نفوساً وقديماً بنى الغُلُوُّ عقولاً
والتشدد بنى في القديم نفوساً وعقولاً، لأنه تشدد في الحق

عاشَ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَلَمْ يَجِدْ حِلَّ شُؤْنِ النَّفْسِ قَالاً وَقِيلَا
عاش الرافعي ولم يغتَبِ الرجال، وكان يجتنب القال والقيل

إِنْ يُفْثُ فَيْكَ مِنْبَرُ الْأَمْسِ شِعْرِي إِنَّ لِي الْمَنْبَرَ الَّذِي لَنْ يَزُولَا
لن أفات (أضاع) شعري منبر الأمس إذ لم أسمع في تأيئك، فإن لي منبراً لن يزول. والرجل
مات سنة ٢٦ وورثاه شوقي سنة ٢٧ فيما بين يدينا من توارخ. (ويفت) قرأها جامع الشوقيات
ومصاحب الموسوعة الشوقية كلاهما (يفت) بفتح فضم، وفضلت الضم فالفتح

جَلَّ عَنْ مُنْشِدِ سَوَى الدَّهْرِ يُلْقِيهِ عَلَى الْغَابِرِينَ جَيْلاً فَجَيْلَا
فشعري جل عن أي منشد سوى الدهر، الذي يرثه على الغابرين (الفانين) جيلاً يفنى بعد جيل،
وشعري باقي

٢٣٢ رثاء سعد

قال شوقي يرثي سعد زغلول (١٩٢٧):

شَيَّعُوا الشَّمْسَ وَمَالُوا بِضَحَاهَا وَانْحَنَى الشَّرْقُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا
شيعوا (ودّعوا) الشمس، ومالوا (ذهبوا) بضحاها، وانحنى الشرق، مطلع الشمس، عليها وبكاهها.
والشرق أيضاً هو بلاد الشرق

لَيْتَنِي فِي الرِّكْبِ لَمَّا أَقْلَتُ يَوْشَعَ هَمَّتْ فَنَادَى فَنَاحَا
ليتني وأنا في ركب المشيعين إذ أقلت (غابت) هذه الشمس، ليتني كنت يوشع (قائد اليهود الذي
أرادت الشمس المغيب فطلب إلى ربه منعه من الغروب كي يقتل أعداءه قبل دخول الست) حين
همت الشمس بالمغيب فنادى ربه فَنَاحَا (أعادها)

جَلَّلَ الصُّبْحَ سَوَاداً يَوْمَهَا فَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَخْلَعْ دُجَاهَا
يوم معيب شمس سعد جلال الصبح بالسواد، فكأن الأرض لم تدخل في النهار وبقت لابة ثوب
الدجي (الظلمة)

مَا دَرَتْ مَصْرُ بَدْفِي صُبْحَتْ أَمْ عَلَى الْبَعَثِ أَفَاقَتْ مِنْ كَرَاهَا

لم تدر مصر هل ضُبحت بدفني، أم أنها آفاقت من كراها (نومها) على البعث (يوم القيامة) لاهتياج
المشاعر في يوم موت سعد

خَفَضُوا فِي يَوْمٍ سَعِدَ هَامَهُمْ وَيَسْعُدُ رَفَعُوا أَمْسَ الْجِبَاهَا
خَفَضَ النَّاسُ جِبَاهَهُمْ فِي يَوْمِ مَوْتِ سَعْدٍ، وَكَانُوا بِهَذَا الرَّجُلِ قَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَقْتُ بِهِ رَايَةً كُنْتُ مِنَ الذُّلِّ فِدَاهَا
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَقْتُ عَلَيْهِ رَايَةً مِصْرَ الَّتِي كُنْتُ تَقْدِيهَا مِنْ أَنْ يَصِيهَا الذِّلُّ

ضَمَّتِ الصَّدْرَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهَا وَتَلَقَّى السَّهْمَ عَنْهَا فَوَقَّاهَا
ضَمَّتِ الرَّايَةَ صَدْرًا كَانَ يَضُمُّهَا وَيَتَلَقَّى سَهْمَ الْأَعَادِي عَنْهَا وَيَقِيهَا

تَسْكَبُ الدَّمْعَ عَلَى سَعِدٍ دَمًا أُمَةً مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ بَنَاهَا
تَسْكَبُ الدَّمْعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا أُمَةً بَنَاهَا سَعْدٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ

رَفَعَدَ الشَّائِسُ إِلَّا ثَوْرَةً فِي سَبِيلِ الْحَقِّ لَمْ تَخْمَدْ جُذَاهَا
رَفَعَدَ الشَّائِسُ إِلَّا أَنْ ثَوْرَتِهِ لَمْ تَخْمَدْ جُذَاهَا (جمراتها)

قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَفَتْنِيًّا فَرَعَاهَا
قَدْ تَوَلَّى سَعْدَ الثَّوْرَةِ صَبِيًّا، فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَتَوَلَّاهَا فَتْنًا (شَابًا) فَرَعَاهَا

جَالَ فِيهَا قَلَمًا مُسْتَنْهَضًا وَلِلسَانِ كُلَّمَا أُغِيثَ خَدَاهَا
جَالَ (تَجَوَّلَ) سَعْدٌ فِي الثَّوْرَةِ صَاحِبَ قَلَمٍ يَسْتَنْهِضُ الْعِزَامَ، وَصَاحِبَ لِسَانٍ كُلَّمَا تَعَبَتِ الثَّوْرَةُ
خَدَاهَا (أَنْشَدَهَا خَدَاءً لِتُسِيرَ قَدَمًا)

وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِهَا فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاهَا
وَرَمَى نَفْسَهُ فِي بُرْكَانِ الثَّوْرَةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّى لَظَاهَا (لَهِيهَا) فَتَنَّى

أَقْبَلْتُمْ بِمَعَدِّ مُوسَى مِنْ يَدِي قَلَفْتُ فِي وَجْهِ فِرْعَوْنَ عَصَاهَا
هَلْ عَلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى النَّبِيِّ يَدًا رَمَتْ فِي وَجْهِ الْمُسَيِّدِ عَصَاهَا كَمَا فَعَلَ مُوسَى بِفِرْعَوْنَ؟ إِنَّهُ سَعْدٌ
زَغْلُولٌ الَّذِي نَحْنُ الْإِنْجِلِيزُ

أَيْنَ مِنْ عَيْنَيَّ نَفْسٌ حَرَّةٌ كُنْتُ بِالْأَمْسِ بَعِينِيَّ أَرَاهَا
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي الْآنَ تِلْكَ النَّفْسُ الْحَرَّةُ الَّتِي كُنْتُ بِالْأَمْسِ أَرَاهَا

كَلَّمَا أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشْرُهَا بِي وَتَدَاهَا
كَتَّ كُلَّمَا أَقْبَلْتُ اهْتَزَّتْ نَفْسُ سَعْدٍ، وَتَوَاصَى بِشْرُهَا بِي وَتَدَاهَا (أَوْصَتْ بِشَاشَةِ نَفْسِهِ، كَرَّمَ تِلْكَ
النَّفْسَ، بِي خَيْرًا)

الْمَحُ الْأَيَّامَ فِيهَا، وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تَمَثَالُ صِبَاهَا
ألمح الأيام (مرور السنين) في هذه النفس، وأرى وراء السن صورة الصبا، فنفس سعد في
شيخوخته احتفظت بحيوية الصبا

حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِهَا فَتَدَاعَى، وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاهَا
حلت السبعون سنة في هيكل (جسم) هذه النفس، فتداعى الجسم (هَرَمَ) بينما النفس موفورة البنان
عامرة بالحيوية

رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ، فَإِنْ مَزَحَتْ لَمْ يُذْهِبِ الْمَرْحُ بَهَا
هذه النفس هي روعة (مهابة) النادي (المحفل) في الجدِّ، فإن مزحت فالمزح لا يذهب ببهايتها
ووقارها

وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِهَا يُشْبِهُ الصَّفْحَ، وَجَلَمٌ عَنْ عِذَاهَا
ولها صبر على الحساد يشبه بالصفح (المسامحة)، ولها حلم (احتمال) لعذاها (لأعاديها). والقول
إن «صبر سعد على الحساد يشبه الصفح» جديد وجميل، ودقيق. وكلمة «يشبه» في هذا البيت
مطربة لأنه ليس فيها مبالغة

أَيَنْ مَنِّي قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا سُنْتُهُ أَنْ يَرْتِي الشَّمْسُ رِثَاهَا
أين قلبي الذي كنت إذا سمت (أجبرته) أن يفعل المستحيل، كأن يرتي الشمس، فعل؟

خَانَنِي فِي يَوْمٍ سَعِيدٍ، وَجَرَى فِي الْمِرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَاهَا
خانتني قلبي في يوم موت سعد، وجرى في الرثاء فكبا (سقط أرضاً) دون الوصول إلى المدى
(الغاية القصوى)

فِي نَعِيمِ اللَّوْ نَفْسُ أُوتِيَتْ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ ثَقَاهَا
فلتذهب إلى نعيم الله هذه النفس التي أُوتيت (تُحْت) يَفَم الدنيا ولكنها لم تنس ثقاها (تقواها)

لَا الْحِجَا، لَمَّا تَنَاهَى، عَرَّهَا بِالْمَقَادِيرِ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَاها
لا هي اغترت عن الأقدار بالحجا (الحكمة) عندما نالت الحجا حتى أقصاه، ولا زهاها (غرَّها)
العلم

ذَهَبَتْ أَوَابَةُ مُؤْمِنَةٍ خَالِصاً مِنْ حَيْرَةِ الشُّكِّ هُدَاهَا
ذهبت نفس سعد أوابة (تائبة) مؤمنة، وهُدَاهَا خالص لا تشوبه حيرة الشك في الحائق

آتَسَتْ خَلْقاً ضَعِيفاً، وَرَأَتْ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَا
آست (وجدت) هذه النفس خَلْقاً (جسماً) ضَعِيفاً، ورأت فيما وراء العالم الفاني إلهاً خالداً

مَا دَعَاها الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ لَيْتَهُ يَوْمَ «وَصَيْفٍ» مَا دَعَاها
نَفْسُ سَعْدٍ مَا كَادَ يَدْعُوها الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ بِالْقُدُومِ إِلَيْهِ، فَلَبِثَ هَذَا الْحَقُّ (هنا معناه الموت) فِي
يَوْمٍ وَصَيْفٍ («مسجد وصيف»، عِزَّةُ سَعْدٍ الَّتِي بِهَا مَاتَ) لَمْ يَدْعُهَا

٢٣٣ الله أعلم والقبور

قال شوقي (١٩٢٧):

اللَّهْ أَعْلَمُ وَالْقُبُورُ النَّفْسُ تَخْلُدُ أَوْ تَبْهَرُ
الله والقبور يعلمان هل النفس تخلد أو تبور (تضئ)

مِرٌّ مَضَى الْمَوْتَى بِهِ وَمَضَتْ عَلَى الْمَوْتَى الدُّهُورُ
هذا السر ذهب الموتى به، ومضت عليهم دهور

مَنْ كَانَ يُخَيِّي أَوْ يَمَيِّدُ بَتْ فَلَيْسَ يُفْجِرُهُ النَّشُورُ
من يحيي الناس ويميتهم فلن يعجز عن النشور (البعث). القصيدة بأبياتها التسعة والثلاثين على
الراء المضمومة، لا الساكنة كما أرادها بعضهم

٢٣٤ جبان

قال شوقي في مسرحية «هترة» على لسان حيلة، نصف الرجل الجميل الجبان،
(١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جَمِيلٌ وَلَيْسَ بِحَامِي الْبُيُوتِ وَلَا مَانِعٌ مِنْ يَدِ مَالَةٍ
إِذَا مَا عَوَى الْكَلْبُ ضَلَّ السَّلَاحُ وَبَلَ مِنَ الْخَوْفِ سِرْوَالَهُ
ضَلَّ: نسي

يَجُودُ بِزَوْجَتِهِ لِلْمُخِيرِ وَيَرْمِي إِلَى الذَّنْبِ أَطْفَالَهُ

٢٣٥ شكوى التيوس

قال شوقي من مسرحية «قميز»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

خَلَلْنَا بِاللَّهِ مِنْ سَا مَنْ وَدَعْنَا مِنْ يَسُوسِ
كُلَّ جِبْنٍ حَاكَمَ يَنْفَ شَيْ عِلْمَيْنَا وَيَدُوسِ
هَكَذَا يَخْتَلِفُ الْحَقُّ سُوءُ وَنُحُوسِ
إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَذْنَا بَ لِبَعْضٍ هُمْ رُؤُوسِ

مَنْزِلُ الْأُنْدِ الصَّحَارَى وَعَلَى الْمَرْعَى الثَّبُوسُ

٢٣٦ طريق النجاة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

أَحِبُّ الْحَسِينَ، وَلَكُنَّمَا لَسَانِي عَلَيْهِ، وَقَلْبِي مَعَهُ
حَبَسْتُ لَسَانِي عَنْ مَذْجِهِ حِذَارَ أُمِّيَّةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ وَرُمْتَ النِّجَاةَ فَكُنْ إِمْعَةً
اضطربت: اشتعلت، إمعة: شخص لا رأي له

٢٣٧ حامل العشق

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

سَجَا اللَّيْلُ حَتَّى هَاجَ لِي الشَّغَرُ وَالْهَوَى وَمَا الْبَيْدُ إِلَّا اللَّيْلُ وَالشَّعْرُ وَالْحَبْ
سجا الليل: سكن، هاج: أهاج

مَلَأَتْ سَمَاءَ الْبَيْدِ عِشْقًا وَأَرْضَهَا وَحُمِلْتُ وَحْدِي ذَلِكَ الْعِشْقُ يَا رَبِّ
يا رب! قد ملأت سماء الصحراء وأرضها عشقًا، وحملت أنا كل هذا العشق وحدي

٢٣٨ هَيَّيْنَهَا

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان زوج ليلي «وُزْد» بصراح قيساً بأنه لم
يُصِبْهَا (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

اسْمَعْ حَدِيثِي إِنَّهُ مَا خَطَّ مِثْلَهُ الْقَلَمُ
وَيَسْرُهُ لَا الْأَهْلُ يَدُ رُونَ بِهِ وَلَا السَّخَنَمُ
أَنَا الَّذِي ظَلِمْتُ، قِيْ سُرُّ، مَا أَنَا الَّذِي ظَلِمُ
كَمْ مَرَّتِ اللَّيْلُ بِي وَاللَّيْلَتَانِ لَمْ أَنْمُ
مَنْذُ حَوْتُ دَارِي لِيْ لَى مَا خَلَوْتُ مِنْ نَدَمِ
كَانَتْ إِطَافَتِي بِهَا كَالْوَكْنِيِّ بِالصَّنَمِ
وَرُبُّمَا جِئْتُ فِرَا شَهَا، فَخَانَتْني الْقَدَمُ
شِعْرُكَ يَا قَيْسُ جَنَى عَلَيَّ هَذَا وَاجْتَرَمُ

هَيَّيْتُهَا فَاَمْتَنَعَتْ كَأَنَّهَا صَيْدُ الْحَرَمِ

شعرك جعل ليلي مهية ومحرم كالصيد في الحرم

٢٣٩ قد يهون العمر إلا ساعة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جبلُ التَّوْبَادِ! حَيَّاكَ الْحَيَا وَسَقَى اللَّهَ صَبَانَا، وَرَعَى

يا جبلُ التَّوْبَادِ (جبل في نجد) حياك الحيا (المطر)، وسقى الله ورعى أيام الصبا

وَعَلَى سَفْحِكَ عِشْنَا زَمَنًا وَرَعَيْنَا غَنَمَ الْأَهْلِ مَعَا

هذه الرِّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا لِثَبَابِنَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا

كَمْ بَنَيْنَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبَعًا وَانْتَنَيْنَا فَمَحَوْنَا الْأَرْبَعَا

الأربع: البيوت

وَحَفَظْنَا فِي نَقَا الرَّمْلِ، فَلَمْ تَحْفَظِ الرِّيحُ، وَلَا الرَّمْلُ وَعَى

نقا: كتيب

لَمْ تَزَلْ لَيْلَى بِعَيْنِي طِفْلَةً لَمْ تَزِدْ عَنْ أَمْسٍ إِلَّا إِضْبَعَا

كَلَّمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا فَأَبَتْ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا

قَدْ يَهْوُونُ الْعَمْرُ إِلَّا سَاعَةً وَنَهْوُونَ الْأَرْضَ إِلَّا مَوْضِعَا

بيت من حمرة شوقي المعتمدة

٢٤٠ عد ظافراً أو لا تعد

كليوباترا تحت أنطونيوس على القتال، من مسرحية «مصر كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

إِمضِ إِلَى الْهَيْبِجَاءِ أَنْ طُنْيُو كَمَا يَمْضِي الْأَسَدُ

الهيباء: الحرب

إِمضِ إِلَى الْمَجْدِ، وَلَا يُفْعِلْكَ شُغْلٌ فِي الْبَلَدِ

الْمَجْدُ لَا يَنْأَلُ عَنْ صَاحِبِهِ وَلَا وَلَدُ

يَا لَيْتُ سِرٌّ، يَا نَسْرُ طُرْ عُدْ ظَافِراً، أَوْ . . لَا تَعُدْ

٢٤١ الذابلتان

قال شوقي على لسان كليوباترا وقد رأت قبيل انتحارها زنبقة في إناء، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

زُنْبَقَةٌ فِي الْإِنِيَّةِ ضَحِيَّةُ الْأُنَانِيَّةِ
جَنَتْ عَلَيْهَا عُزْبَةٌ أَلْ أَسْرُ الْأَكْفُفِ الْجَانِيَّةِ
جئت عليها (أحرمت بحقها) وكبدتها عُزْبَةً وَأَسْرًا فِي الْمَزْهَرَةِ تِلْكَ الْأَكْفُفِ الْجَانِيَّةِ (القاطعة التي خنتها)
وَبُدِّلْتُ مِنْ سَعَةِ الْمَرْءِ نِسْوَةٌ ضَمِيْقُ الْمِبْطَاطِيَّةِ
الباطية: الإناء

يَنْقُوْنَهَا مِنْ جَرَّةٍ بَعْدَ الْعِيُونِ الْجَارِيَّةِ
نقى الزنبقة من الجرة بعد أن كانت تشرب من العيون الجارية

يَا جَارَتَا! شَأْنُكَ لَا يَشْمِيهِ إِلَّا شَانِيَّةُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي الْعَرَبِ ضِغْ غَيْرُ دَارِ خَاوِيَّةِ
وَكُنَّا ذَابِلَةً عَمَّا قَبِلَ دَاوِيَّةِ

زَالَ النُّعْمِيمُ وَقَرَعُ نَا مِنْ حَيَاةٍ فَاِنِيَّةِ

٢٤٢ عبت في عبت

قال شوقي (١٩٢٨):

نَعِيشُ وَنَمْضِي فِي عَذَابٍ كَلْدَةٍ مِنْ الْعَيْشِ، أَوْ فِي لَذَّةٍ كَعَذَابِ
عَيْشَتَا وَمَوْتَا عَذَابٍ مَخْتَلَطٍ بِاللَذَّةِ

وَكُلُّ أَخِي عَيْشٍ، وَإِنْ طَالَ عَيْشُهُ، تُرَابٌ لَعَنُ الْمَوْتِ وَابْنُ تُرَابٍ
وَكُلُّ أَخِي عَيْشٍ (كل حي) مهما طال عمره، فهو تراب (لأنه خلق من تراب ويؤول إلى التراب)
وَابْنُ تُرَابٍ (قَابُوَاهُ مِثْلُهُ)

٢٤٣ يدور حيث تلور المجد والحسد

قال شوقي برثي عبد الخالق ثروت، وهو رئيس وزراء مرتين في العشرينات، ومات في باريس فجأة (١٩٢٨):

يَمُوتُ فِي الْغَابِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ، الْأَسَدُ كُلُّ الْبِلَادِ وَسَادَ حِينَ تَسَدَ
يموت الأسد في الغاب أو بعيداً عنه، وكل بلد هي وساد (وسادة) لك حين تَسَدُ هذه البلاد (تَتَخَذُ وَسَادَةً)

قد غَيَّبَ الْغَرْبُ شَمْساً لَا سَقَامَ بِهَا كَانَتْ عَلَى جَنَابِ الشَّرْقِ تَتَّقِدُ
 إذ مات الفقيد في يارس قد غَيَّبَ الْغَرْبُ هذه الشمس التي لم يكن بها من سقام (مرض)، وكانت
 متوقفة في جناب بلادنا في الشرق

طوى جِمَائَتَهُ الْمُحْتَلُّ وَانْبَسَطَتْ حِمَايَةُ اللَّهِ فَاسْتَذَرَى بِهَا الْبِلَدُ
 طوى المحتل حمايته عنا، وانبسطت فوق البلد حماية الله فاستدري (احتسب) بها

نَمَ غَيْرَ بَاكِ عَلَى مَا شِدَّتْ مِنْ كَرَمٍ مَا شِيدَ لِلْحَقِّ فَهَوَ السَّرْمَدُ الْأَبْدُ
 نم يا عبد الخالق ثروت غير آسف على الكرم (المعروف) الذي شدته (بنيته)، فما شيد للحق فهو
 سرمدي (أبدي)

لَمْ يُظْلَغِكَ الْحُكْمُ فِي شَتَى مَظَاهِرِهِ وَلَا اسْتَخْفَكَ لَيْسَ الْعَيْشِ وَالرَّغْدِ
 لم يجعلك الحكم في شتى مظاهره طاعية مستبدأ، ولا استخفك (أطربك) لين العيش والرهق
 (الغنى)

نَشَاتَ فِي جَبْهَةِ الدُّنْيَا وَفِي فَمِهَا يَدُورُ حَيْثُ تَدُورُ الْمَجْدُ وَالْحَسَدُ
 نشات وأنت في المقدمة وذكرك على ألسنة الناس، والمجد والحسد يلازمانك، مثل كل عظيم
 لكل يوم غَدٌ يَمْضِي بِرُؤْيَا وَمَا لِيَوْمِكَ يَا خَيْرَ اللَّذَاتِ غَدُ
 لكل يوم حزين غد يذهب بالروعة (بالارتياح)، ولكن يومك الذي مت فيه يا خير اللذات (الرفاق)
 ليس له غد تنسى فيه حزننا، فحزننا عليك دائم

٢٤٤ ما الناس إلا أول

قال شوقي في حفل نسائي في دار التمثيل العربي برئاسة هدى شعراوي (١٩٢٨):
 إِنَّ السَّمَاءَ جَدِيرَةً بِالطَّيْرِ وَهَوَ بِهَا جَدِيرُ
 السماء جديرة بالطائر الذي ينشد حريته وهو جدير بها

هِيَ سَرْجُهُ السَّمْشِدُودُ وَهُوَ عَوَّ عَلَى أَعْنَئَتِهَا أَمِيرُ
 السماء للطير كالسرج للحصان، والطير إذ يمسك بأعنتها (بزمامها) مثل الأمير

حَرِيَّةٌ خُلِقَ الْإِنْسَانُ تِلْكَ لَهَا كَمَا خُلِقَ الذُّكُورُ
 يا قاسم! انظر كيف سا رَ الْفِكْرُ وَانْتَقَلَ الشُّعُورُ
 يا قاسم أمين (وتوفي قبل القصيدة بعشرين سنة) انظر كيف سار (اكتسب سيروية وانتشر) فكرك
 وانتقل شعورك لغيرك

حَابَتْ قَضِيَّتُكَ الْبِلَا ذَكَائِهَا مَثَلُ يَسِيرُ

قضية المرأة، وهي قضيتك، طافت بالبلاد كالمثل السائر

مَا النَّاسُ إِلَّا أَوَّلُ يَمْضِي فَيُخْلَفُهُ الْآخِرُ

الناس المؤثرون في سير الأمور هم ذلك «الأول» الذي يبادر، ثم يمضي، ثم يتبعه المتأخر رماً

الْفِكْرُ بَيْنَهُمَا، عَلَى بُغْدِ الْمَزَارِ، هُوَ السَّفِيرُ

ويصل بين الأول والآخر الفكر، وهو على البعد الزماني والمكاني سفير بين الأجيال

مَا فِي كِتَابِكَ ظَفَرَةٌ تُنْعَى عَلَيْكَ وَلَا غُرُورُ

كتابك عن تحرير المرأة ليس فيه ظفرة (شلوذ) تُنْعَى (تُشْتَد) عليك، ولا غرور

وَوَضَعْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّ- حِسَابَ وَاضِعِهِ عَسِيرُ

وضعت كتابك وأنت تعلم أن واضع كتاب كهذا سيتعرض للصعاب

لَكَ فِي مَسَائِلِ الْكَلَا مُ الْعَفْ وَالْجَدَلِ الْوَقُورُ

كنت في المسائل التي طرحتها عفيف اللسان وذا جدل رصين

عَضْرُ الْعَبَاقِرَةِ النُّجُورُ مِ بْنِورِهِ تَمْشِي الْعَصُورُ

قصيدة من واحد وخمسين بيتاً كلها مضمومة القافية، فلماذا جعلتها الموسوعة الشوقية وجامعو الشوقيات المتأخرون موقوفة مقيدة؟ كأنما لم يسمعوا بمجزوء الكامل المرفل؟ ولم نعلم أن شوقي لزم في هذا الأمر ما لا يلزم. فأما ما صنعه المعجاج في «قد جبر الدين الإله فجبر» حين أسكن رويته، مع أن كل أشطره التي بلغت نحو الستين كانت تكون منصوبة لو أنها أطلقت فأمر مختلف. فذلك رجز، وأبيات المعجاج رؤيت موقوفة، والوزن يقتضي ذلك

٢٤٥ مشى ومشت فيالق من فرنسا

قال شوقي في ذكرى استقلال سوريا (١٩٢٨):

حَيَاةٌ مَا تُرِيدُ لَهَا زِيَالَا وَدُنْيَا لَا نُوْدُ لَهَا اسْتِقَالَا

نحن متعلقون بهذه الحياة لا نريد لها زوالاً، ولا نود عن الدنيا انقلاً

وَلَوْ زَادَ الْحَيَاةَ النَّاسُ مَغْيَاً وَإِخْلَاصاً لَزَادَتْهُمْ جَمَالَا

ولو زاد الناس دنياهم مثابة وإخلاصاً لازدادت جمالاً

كَأَنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْمَعَالِي لِأَهْلِ الْوَاجِبِ ادَّخَرَ الْكَمَالَا

كأن الله عندما قسم المعالي (الأمجاد) ادَّخَرَ لمن يقومون بالواجب الكمال

ترى جدًّا، ولست ترى عليهم ولوعاً بالصغائر واشتغالا
 ترى من «أهل الواجب» جدًّا ومثابرة، ولا ترى بهم ولعاً (شغفاً) أو اشتغالاً بصعائر الأمور
 وليسوا أرغد الأحياء عيشاً ولكن أنعم الأحياء بالا
 وليسوا أغنى الناس، ولكنهم أنعم (أهدأ) الناس بالاً

وإن سألتهم الأوطان أعطوا دماً حُرّاً، وأبناء، ومالا
 سأذكر ما حيت جدار قبر بظاهر جلق ركب الرمالا
 سأذكر ما حيت حجارة قبر بظاهر (خارج) جلق (دمشق)

تغيب عظمة العظام فيه وأول سيد لقي النبالا
 تغيب في هذا القبر يوسف العظمة الذي كان أول سيد لقي ب صدره النبال (السهام)

مشى ومشت فيالق من فرنسا تجر مطارف الظفر اخنيالا
 زحف لملاقاة فيالق الفرنسيين الذين كانوا يحرون مطارف (أردية) الظفر (النصر في الحرب الأولى)
 اخنيالاً (تكبراً)

أقام نهاره يلقى ويلقى فلما زال قرع الشمس زالا
 مكث نهاره يقدفهم ويتلقى قذائفهم، فلما غربت الشمس غربت حياته

فكفن بالصواري والموالي وغيب حبت جال وحيث صالا
 فكفن بالصواري (بالسيوف) والموالي (الرماح)، ودفن حيث جال وصال

٢٤٦ اللؤلؤة لمن نالها

قال شوقي في تمثال نهضة مصر (١٩٢٨):

ورب امرئ لم تليذه البلاد نماها ونبّه أنسالها
 رب رجل لم يولد في البلاد، ولكنه نماها (أنماها) وجعل أنسالها (أبناءها الأصليين) نابيين
 وليس اللآلئ ملئك البحور ولكنّها ملئك من نالها
 واللائل ليست ملكاً للبحر، بل يملكها من غاص ونالها، ومصر ملكها محمد علي وهو غريب عنها

وما كعلّي ولا جليلي إذا عرّضت مصر أجيالها
 وليس يوجد كمحمد علي وجيله بين أجيال مصر المتعاقبة

بنوا دولة من بنات الأسنة لم يشهد النيل أمثالها
 بوا دولة من بنات الأسنة (ذوات الأسنة من سيوف ورماح) لم يشهد وادي النيل مثلها

٢٤٧ في الليل لما خلي

قال شوقي (١٩٢٩):

في الليل لما خلي إلا من الباكي
والنوح على النوح حلي للصَّارِخِ الشَّاكي
ما تعرَّفَ المبتلي في الروض من الحاكي

عدما يخلو الليل من كل شيء إلا من عاشق يبكي، وعندما يحلو النوح على الدوح (الشجر) لمن يصرخ بشكواه، لا تعرف عندئذ المبتلي (المبتلى) من الحاكي (المرد للصوت تقليداً ومحاكاة)

سكونٌ ووحشة وظلمة وليلٌ ما لوشن آخر
ونجمةٌ مالت، ونجمةٌ حلفت ما نثاخر

دا النوم يا ليل نعمةً يغلم بها السَّاجِرُ

سكون الليل ووحشته، ونجمة مالت للمغيب، وأخرى حلفت ألا نثاخر (تتزعج)

الفجر شَفَشَقْ وفاض على سوادِ الخَمِيلَةِ
لمخٌ كَلَمَحِ السِّبَاضِ من العيونِ الكَحِيلَةِ
والليل سَرَخَ في الرياض أذهم بِقُرَّةِ جَمِيلَةِ

شقق الفجر على الخميلة (البستان) التي كانت سوداء، لمخ الفجر (أبرق) مثل بريق ياض العين الكحيلة (السوداء)، وأما الليل فسرخ (مشى) في البستان كأنه حصان أدهم (داكن) ولكن له غرة بيضاء جميلة

هنا نُواخِعُ الفُصُوفَ وهناك بُكا في المضاجعِ
ليه تُشْتَهِي النومَ عُيُونُ وعيونُ سَوالِي هَواجِعِ
ودوخٌ غَرِقَ في الشُّجُونِ ودوخٌ ما شافشِ المَواجِعِ

نواخ على الفصوف ويكاء في الأسرة. ولماذا تنهر عيون حتى تنتهي النوم، بينما عيون أخرى سَوالِي (سالية وناسبة للهم) وهواجع (هاجعة نائمة)؟ ولماذا يكون هناك دوح (شجر) غارق في الشجون (الأحزان)، ودوخ لم ير ما يوجع؟

يا ليل أنيني سَمِعْتُهُ والشوق رَجَعَ لي وعاد
وكلُّ جَرَحٍ وَساعَتْهُ وكلُّ جَرَحٍ بِمِيعاد
كم من مفارقٍ وَجَفَتْهُ ونضو هَجَرَ وبِمعاد

يا ليل قد سمعت أنيني، وما قد عاد لي الشوق، وكل جرح له ساعته وميعاده، وكل هلك من شخص مفارق لحبيبه قد أصبته بالوجع، وكل هلك من نضو هجر وبِمعاد (مهزول سبب الهجر)

٢٤٨ قتل السم

قال شوقي في تأبين فوزي الغزي الدمشقي المتوفى عام (١٩٢٩) وقيل دست له زوجته السم:

طَبَعَتْ مِنَ السَّمِّ الْحَيَاةَ، طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا وَهَوَاؤُهَا الْمُتَنَشِّقُ
طبعت الحياة من السم فهذا هو طبعها، طعامها وشرابها وهواؤها الذي نستنشق سم

وَالنَّاسُ بَيْنَ بَطِيئِهِ وَزَعَافِهِ لَا يَعْلَمُونَ بِأَيِّ سُمِّيْهَا سُقُوا
والناس بين السم البطيء المفعول والزعاف (السريع) لا يعلمون أي سم تناولوا

أَمَّا الْوَلِيُّ فَقَدْ سَقَاكَ بِسُمِّهِ مَا لَيْسَ يَسْقِيكَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ
لكن الولي (الصديق) سقاك يا فوزي الغزي بسمه كما لا يسقيك العدو الأزرق (الشديد العداوة)

٢٤٩ كالعلمي حول سفرة

قال شوقي (١٩٢٩):

لَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ مَرَّتْ
فَلَمْ يَرُغْنِي غَيْرُ صَوْتِ كَسْمُوَاءِ السَّهْمِ
لم يؤغني: لم يخفني

كَرَّتْ، وَلَكِنْ كَالْجَبَا نِ قَاعِداً، وَقَرَّتْ
كَرَّتْ (هجمت) لكن وهي قاعدة كما يفعل الجبان، ثم فرت

لَمْ أَجْزِهَا بِشِرَّةٍ عَنْ غَضَبٍ وَشِمْرَةٍ
لم أجزها (أقابلها) بشرة (بشر) عما فعلته وهو الغضب والشر

وَلَا رَأَيْتُ غَيْرَ أَمٍّ بِالْبَنَيْنِ بَرَّةً
ولم أر فيها سوى أم بارة بأبنائها

رَأَيْتُ جِسْمَهُ الْأَمَّهَاتِ فِي بِنَاءِ الْأَسْرَةِ
رأيت فيها ماثرة الأمهات في بناء الأسرة

فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى اطْمَأَنَّ جِشَاءُهَا وَقَرَّتْ
فظلت معها حتى اطمأن جاشها (قلبي)، وقرت (هدأت)

أَتَيْنُهَا بِشَرِّبَةٍ وَجِشْتُهَا بِكَسْرَةٍ
جتها بشربة وكسرة خبز

فَاضْطَجَعَتْ تَحْتَ ظِلِّهِ لِ الْأَمْنِ وَاضْطَجَعَتْ

فاضطجعت (استلقت) في ظل الأمن واسيطرت (تمددت)

وَقَرَأَتْ أَوْرَادَهُمْ وَمَا كَرَّتْ مَا قَرَّتْ

ومئرت هميراً كأنها تقرأ أوراذاً (أدعية)، وهي لا تندي ما تقرأ

وَسَرَحَ الصَّغَارُ فِي نُؤْدِيِّهَا فَذَرَّتْ

وسرح (انساب) صغارها في ثديها (أثدائها) فذوت لهم اللبن

اخْتَلَطُوا وَعَيُّتُوا كَالْعُمَى حَوْلَ سُفْرَةٍ

فاختلط واحداهم بالآخر وعيثوا (كزكبوا وأفسدوا) كأنما هم قوم عبيان حول سفرة (مائدة).

ليس طريقاً فقط هذا التنبيه، بل جميل

٢٥٠ تلك الحياة وهذه ألقاها

قال شوقي في حفل تكريم السيد نصير بطل رفع الأثقال، وقد فاز بميدالية ذهبية في أولمبياد ١٩٢٨ بأستردام في رفع الأثقال (١٩٣٠):

يا قاهرَ الغربِ العتيْدِ ملأتهُ ببناءِ مصرَ على الشِّفاءِ جميلاً

يا قاهر الغرب العتيْد (المكين) ملأت هذا الغرب بالبناء (المدبح) على مصر يتردد جميلاً على الشفاء

قَلْبَتْ فِيهِ يَدَا تَكَادُ لِشِدَّةِ فِي الْبَاسِ، تَرْفَعُ فِي الْفَضَاءِ الْفِيلَا

قلبت في الغرب يدك القوية التي تكاد لشدة البأس (القوة) ترفع الفيل في الهواء

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَدِيدَ وَيَأْسُهُ جَعَلَ الْحَدِيدَ لِسَاعِدَيْكَ ذَلِيلَا

إن الله الذي خلق الحديد ويأسه (شدته) جعل الحديد يذل لقوة ساعدك. . . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد. . . الآية ٢٥ الحديد، وسيد نصير كان يرفع حديدًا

قُلْ لِي نُصِيرُ، وَأَنْتَ بَرٌّ صَادِقٌ: أَحْمَلْتُ إِنْسَانًا عَلَيْكَ ثَقِيلَا

قل لي يا سيد نصير وأنت البار الصادق: هل حملت إنساناً من القلاء؟

أَحْمَلْتُ ذَنْبًا فِي حَيَاتِكَ مَرَّةً أَحْمَلْتُ يَوْمًا فِي الضُّلُوعِ غَلِيلَا

هل حملت ذنباً؟ هل حملت في ضلوعك غليلاً (حقداً)؟

أَحْمَلْتُ ظُلْمًا مِنْ قَرِيبٍ غَادِرٍ أَوْ كَاشِحٍ بِالْأَمْسِ كَانَ خَلِيلَا

أحملت ظلماً من قريب غادر، أو من كاشح (عدو يطن العداوة) كان بالأمس لك من الأصدقاء؟

أَحْمَلْتُ مَنًّا، بِالنَّهَارِ مُكْرَّرًا وَاللَّيْلِ، مِنْ مُنْدٍ إِلَيْكَ جَمِيلًا

هل حملت منّا (جميلاً في عطفك) يذكرك به بالنهار والليل رجل مُنْدٍ (معطوف) إليك جميلاً

أَحْمَلْتُ طُغْيَانَ اللَّتِيمِ إِذَا اغْتَنَى أَوْ نَالَ مِنْ جَاءِ الْأُمُورِ قَلِيلًا

هل حملت طغيان (تجبر) اللّيم إذا اغتنى أو صار وجيهاً بعض الشيء

أَحْمَلْتُ فِي النَّادِي الْعَبِيَّ إِذَا تَقَى مِنْ سَامِعِيهِ الْحَمْدَ وَالتَّبْجِيلَا

هل حملت في النادي (في جماعة الناس) العبّي عندما يلاقي من السامعين الحمد والتبجيل؟

نَلَكَ الْحَيَاءُ، وَهَذِهِ أَثْقَالُهَا وَزِنَ الْحَدِيدُ بِهَا فِعَادَ ضَنْبِلَا

تلك هي الحياة وأثقالها، وزن (قورن) الحديد بها فعاد (ضنبل الوزن) . . أي تبين أنه خفيف بالقياس إلى الحياة

٢٥١ سلوا كؤوس الطّلا

قيل كان شوقي يجالس أم كلثوم في حفل، فقدم لها كأس شراب، فرفعتها مجاملةً إلى شفيتها، لكن الكأس ما لامست فاعا. وفي اليوم التالي - هكذا قالوا، وهم في قصصهم يحبون أن يجعلوا الأمر يحدث في اليوم التالي مباشرة، على أنني أميل لتصديق سائر القصة، وقد رواها رياض السنباطي قبيل وفاته في مقابلة مع تلفزيون الكويت - قدم لها شوقي قصيدته. وخطتها بعد مونه بـ ١٤ سنة. ولشوقي غنت أم كلثوم نسج قصائد، فخطها كلها بعد وفاته:

سَلُوا كُؤُوسَ الطَّلَا: هَلْ لَامَسَتْ فَاهَا وَاسْتَخْبِرُوا الرَّاحَ: هَلْ مَسَّتْ ثَنَائِيهَا

اسألوا كؤوس الطلا (الخمر) هل لامست فم الحبيوة، واستخبروا (اسألوا) الراح (الخمر) هل مسّت ثنائياها (أسانها)

حَدِيثُهَا السَّحَرُ، إِلَّا أَنَّهُ نَعَمَّ جَرَتْ عَلَى فَمِ دَاوُدَ فَعَضَّاهَا

حديثها السحر، إلا أنه نعمّ (أنعام) جرت على فم داود النبي صاحب الزمائر

حَمَامَةُ الْأَيْكِ مِنَ الشَّجَوِ طَارَحَهَا وَمِنْ وَرَاءِ الدُّجَى بِالشُّوقِ نَاجَاهَا

من ذا الذي طارح (بادل) حمامة الأيك (الشجر) بالشجو (الحزن)، ومن ذا الذي في الدجى (الليل) ناجاها (هامسها) بالشوق

يَا جَارَةَ الْأَيْكِ، أَيَّامُ الْهَوَى ذَهَبَتْ كَالْحُلْمِ، آهًا لَا يَأْمُ الْهَوَى آهًا!

أيها الحمامة يا جارة الأيك (يا ساكنة الشجر) لقد ذهب أيام الهوى كأنها الحلم

٢٥٢ رثاء المويلحي

قال شوقي يرثي محمد المويلحي، وكان شوقي سخر منه في قطع عديدة لا تحمل توبيخاً قبل ثلاثين سنة - انظر إحداها في أشعار سنة ١٩٠٢ - ذلك أن المويلحي نشر نقداً لأدعاً لشوقي، ولكن شاعرنا عاد ووافاه بالهدايا واسترضاه، على عهد العقاد في «الديوان»، (١٩٣٠):

رُبَّ سَجْعٍ كَمُرْقَصِ الشُّعْرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لِحْنُهُ وَلَا إِيْقَاعُهُ
رب سجع (سَجْع: نثر مقفى) كالشعر المرقص (المطرب جداً) لما (لم) يختلف لحنه ولا إيقاعه
عن الشعر لجودة الأسجاع. في تقسيم الناقد القديم للشعر فإن «المرقص» منه في الطبقة العليا
هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ! مَا أَسْجَاعُهُ!
المويلحي في هذا السجع بديع الأزمنة كلها، فما قيمة بديع الزمان الهلثاني، وما قيمة أسجاعه
بالمقارنة!

صَارَعَ الْعَبْثَ حِقْبَةً، لَبِثَ شِعْرِي سَاعَةَ الْمَوْتِ كَيْفَ كَانَ صِرَاعُهُ
والذي تَحْرِصُ النُّفُوسُ عَلَيْهِ عَالِمٌ بَاطِلٌ فَلَيْلٌ مَنَاعُهُ

٢٥٣ باكيات على الحسين الفواطم

قال شوقي في رثاء الشريف حسين الذي مات في حَتَّانَ ودُفِنَ في القدس (١٩٣١):
لَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مَاتِمٌ قَامَ فِيهَا أَبُو الْمَلَائِكِ هَاشِمٌ
لك ماتم في الأرض والسما، قام فيها يقبل الغزاء أبو الملوك هاشم جد النبي، وأصل السلالة
الهاشمية، وكان الشريف حسين كبير هذه السلالة في زمنه

قَعَدَ الْأَلَّ لِلْمَرْءِ، وَقَامَتْ بَاكِياتُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْفَوَاطِمُ
قعد آل هاشم للمرء، وقامت تبكي على الحسين نساء آل هاشم (فهن كلهن شقيقات فاطمة الزهراء
بنت رسول الله)

فَمُ تَحَدَّثْتُ أَبَا عَلِيٍّ إِلَيْنَا كَيْفَ غَامَرَتْ فِي جِوَارِ الْأَرَامِ
قم يا أيها المتوفى، يا أبا علي، وتحدث إلينا كيف خاطرت وتعاملت مع الإنجليز الأرقام
(الأفاعي)

لَمْ تُبَالِ النُّيُوبَ فِي الْهَامِ خُشْنًا وَتَعَلَّقَتْ بِالْحَوَاشِي الْمَوَاعِمِ
ولم تبال (لم تهتم) بالنيوب البارزة الخشنة في الهام (في رؤوسهم)، وتعلقت بالحواشي (الجوانب)
الناعمة. أي نظرت إلى رقة كلامهم لا إلى لؤم فعلهم، ويقول العرب «هو رقيق الحاشية» إذا كان
حلو الكلام ليناً

قَدْ رَجَوْنَا مِنَ الْمَغَانِمِ حَقًّا وَوَدَدْنَا الْوَغَى فَكُنَّا الْغَنَائِمَ

رجونا أن ننال شيئاً من الغنائم، ووددنا الوغى (الحرب) فكانا نحن الغنائم. يشير إلى حرب الحسين للدولة العثمانية في أواخر الحرب العالمية الأولى، وكيف وعدوه باستقلال العرب وخافوه، وفي كلام شوقي تشف خفي، فقد كان نصيراً للدولة العثمانية حتى سقوطها

٢٥٤ يا شراعاً وراء دجلة يجري

قال شوقي يشيد بالمرآق والملك فيصل، وكتب هذه الأبيات ليغنيها محمد عبد الوهاب أمام فيصل في بغداد (١٩٣١):

يا شراعاً وراء دِجْلَةَ يَجْرِي فِي دُمُوعِي، تَجَنَّبْتُكَ الْعَوَادِي

يا شراعاً (مركباً) يجري وراء نهر دجلة في نهر من دموعي، أدهو أن تتجنبك العوادي (المصاب). يقول كمال النجمي إن محمد عبد الوهاب كان عليلاً عندما أزمع السفر إلى بغداد ملياً دهوة الملك فيصل، ليقول له شوقي أيها الشراع الذي سيجري، لكن ليس في دجلة بل وراء دجلة بقليل في نهر آخر من دموعي، أدهو لك أن تتجنبك المصاب

سِرَّ عَلَى الْمَاءِ كَالْمَسِيحِ رُؤَيْدًا وَاجِرٍ فِي الْيَمِّ كَالشُّعَاعِ الْهَادِي

سر على الماء أيها المركب كال المسيح (وكان من معجزاته السير على الماء) رؤيداً (منهلاً) واجرٍ في البحر كشعاع يهدي الناس

وَأَتِ قَاعاً كَرَفَرَفِ الْخُلْدِ طَيْباً أَوْ كَفِرْدَوْسِهِ بِشَاشَةِ وَاِدٍ

وات (جرى) قاعاً (سهلاً) كأنه في طيه رفرث الخلد (الأغصان المتدلية في الجنة)، وكأنه في بشاشة واديه فردوس الخلود

قِفْ تَمَهَّلْ وَخُذْ أَمَاناً لِقَلْبِي مِنْ عَيُونِ السَّهَا وَرَاءَ السَّوَادِ

قف أيها المركب وتمهل، وخذ الأمان لقلبي من عيون السهّا (الجميلات الشبهات يقر الوحش) وراء السواد (بلاد العراق)

وَالشَّوَاسِيَّ وَالنَّدَامَى! أَمِنْهُمْ سَامِرٌ يَمْلَأُ الدُّجَى أَوْ نَادٍ

وماذا عن الشواسي (أي نواس) والندامى؟ هل منهم سامر (مجلس سر) أو نادٍ (محفل) يملأ الليل

خَطَرَتْ فَوْقَهُ الْمِهَارَةُ تَعْدُو فِي غِبَارِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ

خطرت (مشت) فوق هذا السهل المهارة (الخيال) تعدو في غبار الآباء والأجداد (أي مصاحبة لهم، وغير مقصرة عن إنجازاتهم)

أُمَّةٌ تُنْشِئُ الْحَيَاةَ، وَتَبْنِي كِبْنَاءِ الْأَبُوءِ الْأَمْجَادِ

هذه أمة تنشئ حياة لنفسها، وتبني (الآباء) الأمجاد (الماجدون/ ذوو المجد)

تَحْتَ تَاجِ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالْمُلْكِ عَلَيْكَ عَلَى فَرْقِ أَرْحَحِي جَوَادِ
تَبْنِي الْأُمَّةَ نَفْسَهَا تَحْتَ تَاجِ عِمَادِهِ الْقَرَابَةِ (قَرَابَةُ فَيْصَلٍ لِلنَّبِيِّ فَهُوَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ) وَالْمُلْكِ، وَالتَّاجِ
عَلَى فَرْقِ (رَأْسِ) أَرْحَحِي (كَرِيمِ عَطُوفِ) جَوَادِ (كَرِيمِ)

مَلِكُ الشَّطِّ وَالْفُرَاتَيْنِ وَالْبَطِّ حَاءٍ، أَعْظَمُ بِفَيْصَلِ وَالْبِلَادِ
إِنَّهُ مَلِكُ الشَّطِّ (شَطُّ الْعَرَبِ) وَالْفُرَاتَيْنِ (دَجَلَةُ وَالْفُرَاتِ)، وَالْبَطِّ حَاءٍ (مَكَانٌ فِي مَكَّةَ)، فَمَا أَعْظَمُ
فَيْصَلًا وَالْبِلَادِ!

٢٥٥ القدس

قَالَ شَوْفِي فِي تَأْيِينَ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ، أَحَدَ زَعَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْهِنْدِ، وَتَوَفَّى فِي الْقُدْسِ،
(١٩٣١):

بَيْتٌ عَلَى أَرْضِ الْهِنْدِ وَسَمَائِهِ الْحَقُّ حَائِظُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
هَذَا الْبَيْتُ (الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى) قَائِمٌ عَلَى أَرْضِ الْهِنْدِ وَفِي سَمَاءِ الْهِنْدِ (الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ: أَقْرَبُ
بَقْعَةٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ)، وَالْحَقُّ جِدَارُهُ وَأَسَاسُهُ

«الْفَتْحُ» مِنْ أَعْلَامِهِ، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
كَلِمَةُ «الْفَتْحُ» عِلْمٌ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (اسْمٌ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ)، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْقُدْسُ مِنْ
أَسْمَائِهِ

٢٥٦ بلبل لم يتح أمثاله للخلفاء

قَالَ فِي ذِكْرِ سَيِّدِ دُرُوشِ (١٩٣١):

بُلْبُلٌ إِسْكَندَرِيٌّ، أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ
سَيِّدُ دُرُوشِ بُلْبُلٌ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ أَيْكُهُ (شَجَرَةٌ) فِي السَّمَاءِ

رَبَّمَا اسْتَلْهَمَ ظُلُمَاءُ الدُّجَى وَأَتَى الْكَوْكَبَ فَاسْتَوْحَى الضُّيَاءَ
نَرَاهُ يَسْتَلْهَمُ ظُلَامَ الدُّجَى (اللَّيْلِ) يَقَعْدُ يَلْحَنُ فِي اللَّيْلِ، وَيَأْتِي الْكَوْكَبَ فَيَسْتَوْحِي مِنَ الضُّيَاءِ فَنَاءً.
وَكَانَ لِسَيِّدِ دُرُوشِ أَلْحَانٌ عَتِيقَةُ الطَّرَازِ كَالْأَدْوَارِ الْعَشْرَةِ الَّتِي مَتَاهَا «أَنَا هَوَيْتُ» وَهِيَ مِنْ شَغْلِ
اللَّيْلِ، وَكَانَتْ لَهُ أَلْحَانٌ تَعْبُجُ بِحَيَاةِ النَّهَارِ وَمَشَاغِلِ النَّاسِ كَالْحُلُوفَةِ الَّتِي قَامَتْ تَعْمِجُنُ

وَرَمَى أَذْنِيهِ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلَسَ الْبَيْغَاءُ
وَيَرْمِي أُذُنَيْهِ بَعِيدًا يَخْتَلِسُ الْأَصْوَاتَ لِيَصُوِّغَ مِنْهَا قَتْلَهُ كَأَنَّهُ الْبَيْغَاءُ فِي جَوْدَةِ الْاِقْتِبَاسِ. وَسَيِّدُ دُرُوشِ
كَانَ يَخْتَلِسُ مِنْهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ النَّاسِ وَنَدَاءِ الْبَاعَةِ، وَكَانَ رَاتِقًا فِي التَّعْبِيرِ بِالْغَنَاءِ عَنْ نَبْضِ الشَّارِعِ؟
فَإِنْ يَكُنْ بَيْغَاءُ فَيَبْغَاءُ الشَّعْبَ

سَيِّدُ الْفَنِّ! اسْتَرِخْ مِنْ عَالَمٍ آخِرُ الْعَهْدِ بِتُعْمَاءِ الْبَلَاءِ
سيد درويش! يا سيد الفن! استرخ من هذا العالم الذي آخر ما عهدناه فيه من التُّمَي (النعم) كان
بلاء، فحتى نعيم هذه الدنيا بلاء

لَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ فَنًّا نَابِغًا دَفَعَ الْفَنُّ إِلَيْهِ بِاللَّوَاءِ
لقد استخلفت (نصبت خليفة) فنًّا نابغاً (لقنان نابغة/ ويعني عبد الوهاب) دفع إليه الفن بلواء القيادة
إِنَّ فِي مُلْكِ فُؤَادِ بُلْبُلٍ لَمْ يُنَخْ أَمْثَالُهُ لِلْخُلَفَاءِ
إن في ملك فؤاد (في مصر) بلبلًا (عبد الوهاب) لم يحظ بمثله الخلفاء. وكان للخلفاء العباسيين
خاصة مغنون مشهورون حدثنا عنهم كثيراً صاحب «الأغاني»

يَسْتَحْي أَن يَهْتَفَ الْفَنُّ بِهِ وَجَمَالَ الْعَبَقْرِياتِ الْحَيَاءِ
هذا البلبل (عبد الوهاب) يستحي أن يهتف فن الشعر بمدحه، وجمال العبقرية ذلك الحياء الملازم
لها

٢٥٧ عقيدة وجهاد

قال شوقي بيتاً ليكون شعاراً لجريدة الجهاد لتوفيق دباب ١٩٣١ :
قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
دون رأيك : وراء معتقدك

٢٥٨ شجرة نسيئها الشعراء

وقال بصف النخيل بين المتزه وأبي قبر، والمتزه حي بالإسكندرية، (١٩٣١):
أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبَ وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبِ
أرى شجراً عالياً كان رؤوسه تخفي في السماء، وقد شق العنان (الحجاب) في منظر عجيب
مَاذُنُ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَدَبِ
هي كالمآذن، وفي ظواهرها (خارجها) درج من شذب (قشور). والمآذن درجها من باطنها في
العادة

وَلَيْسَ يُؤْذَنُ فِيهَا الرِّجَالُ وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْغُرُبُ
ومآذننا هذه لا يؤذن فيها المؤذن، بل تصيح عليها الغُرُب (العربان)

وَبِاسْمِقَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرِّمَالِ نَمَتْ وَرَبَّتْ فِي ظِلَالِ الْكُتُبِ
ورب باسقة (عالية) من بنات الرمال (نخلة)، نمت وكبرت في ظلال الكتب (كتبان الرمل)

تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الكَثِيبِ إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ دَفَعَتْ

أنت تراها طويلة ثم قصيرة خلف كتيب الرمل، بحسب الريح التي تحرك الكتيب. هذا معنى مصنوع. فلا نظن أن شوقي رأى كتيب الرمل يجيء ويذهب مع الريح فتطول النخلة وتقصر في عيني الراي لكنه وثب بخياله وصنع الصورة. وأي بأس في ذلك! قال مارون عبود عن شوقي: «وفيه من أبي تمام تصيد المعاني وأخذها عنوة إذا اقتضى الأمر».

وهذا هُوَ النخلُ مَلِكُ الرِّياضِ أَمِيرُ الحقولِ عروسُ العِزْبِ

هذا النخل ملك البساتين، وأمير الحقول، وعروس العزب (البيارات/المزارع)

طعامُ الفقيرِ، وَحَلْوَى الغَنِيِّ وَزَادُ المَـسَافِرِ، وَالْمُغْتَرِبِ

فِيَا نَخْلَةَ الرَّمْلِ لَمْ تَبْخَلِي وَلَا قَصَّرْتِ نَخْلَاتِ الثُّرْبِ

فنخلة الصعراء لم تبخل، ونخلة التراب كنخيل الإسكندرية ما قُصِّرَتْ في العطاء

وَأَعْجَبُ كَيْفَ طَوَى ذِكْرُكَ وَلَمْ يَخْتَفِلْ شِعْرَاءُ العَرَبِ

أنا أعجب كيف طوى شعراء العرب ذكركن (أغفلوا ذكركن) أيتها النخلات

الْبَيْسِ حَرَاماً خَلَوْا القِصَائِدَ بِدُونِ وَصْفِكَ وَعُظِّلَ الكُتُبُ

عُظِّلَ الكتب: خلوها

٢٥٩ ركزوا رفاتك لواء

قال شوقي في رثاء عمر المختار، (١٩٣١):

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ لِوَاءِ بَسْتَنْهَضِ الوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ

ركز (غرس) الطليان رفاتك يا عمر المختار في الرمال لواء (راية)، بستانهض (يشير) الوادي (بلدك) صباح مساء. و«الوادي» عند شوقي مرادف لمصر، فإذا قال «الوادي» فهو يعني مصر، وصارت على لسانه كأنها تعني «البلد».. كل بلد

يَا وَيْحَهُمْ! نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمٍ يُوْحِي إِلَى جَبَلِ الغَدِ الْبَحْضَاءِ

الويل لهم! نصبوا مناراً مضيئاً ولكنه من الدم، وهو يوحي إلى الجبل الجديد البغضاء (الكراهية) للمستمع)

خُيِّرَتْ، فَاخْتَرَتْ المَيِّتَ عَلَى الطَّوَى لَمْ تَبْنِ جَاهاً، أَوْ تَلَّمْ نَرَاءِ

اخترت المييت على الطوى (الجوع)، ولم تصنع لنفسك جاهاً (رياسة)، ولا نراء

إِنَّ البَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظُّلْمَا لَيْسَ البَطُولَةُ أَنْ تُعَبَّ المَاءِ

البطولة هي الموت عطشاً، وليس أن تُمَبَّ (تكرع) الماء

والمسلمون، على اختلاف ديارهم، لا يملكون مع المصاب عزاء

كل المسلمين لا يجدون ما يعزيهم (ينسيهم) المصاب (البلاء) بفقدك

في ذمة اللو الكريم وحفظه جسد بئرقة ومسد الصحراء

ليكن في ذمة (حفظ) الله هذا الجسد الذي ومسد (مُجَبِّي/ومسد) في الصحراء بئرقة (في ليبيا)

بطل البداوة لم يكن يغزو على نثك، ولم يك بركب الأجواء

لم يكن بطل البداوة يغزو على نثك (دبابة)، ولا في طائفة

لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

لكنه كان أخا خيل (صاحب خيل) حمى صهواتها (ظهورها)، وأدار من أعرافها (شفر رؤوسها)

الهيجاء (الحرب). هنا صورة زعيم على صهوة جواده وبه تداعب شعر عنق الفرس، واليد

الأخرى توجه جنوده في الحرب، عَصَر شوقي هذا في أربع كلمات

لبى قضاء الأرض أسي بمهجة لم تخش، إلا للسماء، قضاء

لبى (أجاب) حكم القضاء الأرضي فجاد بمهجته (قلبه) التي لم تكن تخشى إلا من قضاء السماء.

أرأيت كيف يداعب شوقي كلمات اللغة ترى قضاء الطليان الجائر بشق عمر المختار واقفاً موقف

مقارنة مع قضاء الله، وترى عمر المختار يلبي قضاء الطليان فيقدم مهجته شهيداً. وهو لا يخاف

القضاء الذي يلبي دعوته بل يخاف قضاء الله، كل هذا في كلمات قلائل، وهذا الإيجاز سر من

أسرار البيان، وقد تعددت أن أنثر لك البيت بكلام كثير حتى يقف كلامي، مظلوماً، وقفة مقارنة

مع بيت شوقي، ولتعرف ما في الإيجاز من جمال

وأنى الأسير يجرُّ ثقل حديد أسد يجرُّ حبة رقطاء

جاء الأسير يجر ثقل قيوده، كأنما هو الأسد يجر أفسى رقطاء (مرقطة/مُبَقَّعة)

سبعون لو ركبنا مناكب شامي لترجلت هضباته إعياء

سبعون عاماً، هي عمر الشهيد، لو اعتلت مناكب (أكتاف) شامي (جبل) لترجلت (الهبط) هضبات

الجبل تبعاً من ثقل هذه السنوات

يا أيها الشعب القريب، أسمع فأصوغ في عمَر الشهيد رثاء

يا شعب ليبيا القريب منا، هل نسمعي حتى أرثي شهيدك

ذهب الزعيم، وأنت باق خالد فانقذ رجالك، واختر الزعماء

الزعيم ذهب وأنت (الشعب) باق، فانقذ (نقّص) رجالك، واختر الزعماء

وأرخ شيوخك من تكاليف الوغى واحمل على فتيانك الأعباء

وانترك الشيوخ (المسنين) ليستريحوا من تكاليف (مشقات) الوغى (الحرب)، واحمل الأعباء

(المشكلات) على الفتیان

٢٦٠ يا منصف الموتى من الأحياء

قال في رثاء حافظ إبراهيم (١٩٣٢):

قَدْ كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يا منصفَ الموتى مِنَ الأحياءِ
كُنْتُ أَوْثَرُ (أفْضَلُ) أَنْ أَمُوتَ قَبْلَكَ فَتَقُولَ أَنْتَ رِثَائِي يا حافظ، يا من أنصف الموتى من ظلم
الأحياء، لكثرة ما رثى حافظ الموتى

لَكِنْ سَبَقْتُ، وَكُلُّ طَوِيلٍ سَلَامَةٍ قَلْبُكَ، وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
لكنت سبقت، وكل سلامة تطول فهي بقدر من الله، وكل منية (موت) فيقضاه الله

بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ غُرَاءَ تُحَفِّظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
بالأمس (قبل خمس سنوات عند تكريمي أميراً للشعراء) حلّيتني بقصيدة غراء (باهرة)
حفّظت لك فيها الجميل فهي يد بيضاء (إحسان منك)

غَيْظُ الْحَسُودِ لَهَا، وَقَمْتُ بِشُكْرِهَا وَكَمَا عَلِمْتَ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي
غَيْظُ (اغتاظ) الحسود منها، وقمتُ أنا بواجب الشكر، وأنت تعلم مودتي ووفائي

قَلَمٌ جَرَى الرَّحْبَ الطَّوَالَ، فَمَا جَرَى يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ
قلّمتُ جرى الحب (المُدَد) الطويلة ولكنه لم يكتب فاحشة ولا هجاء

يا حَافِظَ الْفَصْحَى، وَحَارَسَ مَجِيدَهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَلْتُ مِنَ الْبُلْغَاءِ
أنت حفظت الفصحى وحرس مجدها، وأنت إمام (زعيم) من نجلت (أنجبت) من البلغاء
جَدَّدْتَ أَسْلُوبَ الْوَلِيدِ وَلَفْظَهُ وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ الطَّلَائِي
جددت أسلوب الوليد (البحري) ولفظه، وجئت ببيان سحر كيان الطائي (أبي تمام)

كَمْ ضِغْتُ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ وَكِيدَهَا وَهَنَفْتُ بِالشُّكُوى مِنَ الضَّرَّاءِ
كم كنت نمر عن ضيقك بالدنيا ومكرها، وكم هنتضت (جاهرت) بالشكوى من الضراء (البلوى)

فَهَلُمَّ فَارِقُ يَا سَ نَفْسِكَ سَاعَةً وَاطْلُعْ عَلَى الْوَادِي شِعَاعَ رَجَاءِ
فها أنا ذا أتراك اليأس ساعة، واطلع على مصر شعاعاً من رجاء في مستقبل زاهر

خَلَّفْتُ فِي الدُّنْيَا بَيَانًا خَالِدًا وَتَرَكْتُ أَجْيَالًا مِنَ الْإِبْنَاءِ
تركت في الدنيا بياناً خالداً، وأجيالاً ممن هم أبناؤك في البلاء

٢٦١ نغمة المهد

قال شوقي (١٩٣٢):

الْحَانُ كُلُّ جَمَاعَةٍ وَغَنَائُفُهُمْ لُغَةً وَتَجَوَّى بَسَنَتُهُمْ وَجَوَارُ
الألحان والأغاني في كل شعب لغة أخرى ونجوى (حديث هاس) فيما بينهم وحوار

لا تَمُشِّقُ الْأَذْنَ إِلَّا نَغْمَةً كَانَتْ عَلَيْهَا فِي الْمُهْدِ تُدَارُ

الأذن لا تمشق إلا النغمات التي كانت تلدور عليها (تسمعها) في المهد (في الطفولة). وهذه فكرة عميقة لشوقي لا نلظها أخذها من كتاب. فهو رجل سميع عرف ألحان مصر في عهد الحامولي ومحمد عثمان وأم كلثوم، وصنع من ربيبه محمد عبد الوهاب طاقة موسيقية مثقفة أهلها لأجيال من العرب من بعده. ثم سافر شوقي إلى فرنسا وعاش سنوات وسمع موسيقاهم. وظل يسافر إليها - مصطحباً عبد الوهاب لاحقاً - وظل يعيش على زادين موسيقيين: زاد من الشرق وزاد من الغرب. كان يحب موسيقى الغرب، لكن الشفق ظل للموسيقى التي سمعها في المهد. ألا ترى الصبي في بلدنا يأكل مخلل الخيار المالح من يد أمه، ثم يسافر إلى أوروبا ويتغرب نصف قرن يقضيه وهو يتفحص الرقعة الملصقة على مرطبانات المخلل في السوبرماركتات بحثاً عن مخلل مصنوع بالملح لا بالسكر؟ فكيف الحال بالموسيقى التي هي ألصق بالفس. واليوم حالنا أعجب وأعقد. فالموسيقى الغربية صارت تعطى لأطفالنا في المهد، أو في المدارس التي تحترق اللغة العربية والتي صار يذهب إليها أبناء الأغنياء. ودخلنا مرحلة متقدمة في بيع نفوسنا للغرب. ونشأ عندنا ناس يسخرون من مفردات موسيقانا الشرقية. منذ الخمسينات بدأوا بهذا، وحلروا من «ربيع الصوت» كأنه الطاعون، وقالوا إنه سبب الرخاوة والجموعة في موسيقانا. وما ربيع الصوت؟ على مقام الراس العامر يربع الصوت مَجْدُ السِنَابِي في مصر تمجيداً في «وقف الخلق»، وعليه أيضاً غنى عبد الوهاب «أخي جاوز الظالمون المدى» و«يا سماء الشرق»، وهما لحنان فيهما عظمة واستهاض

٢٦٢ وجد الرعية والرعاة نياما

قال شوقي يندد بالاحتلال (١٩٣٢):

أَعْطَى الْعَهْدَ وَأَقْسَمَ الْأَقْسَامَا أَلَّا يَطْوِلَ مُقَامُهُ فَنَاقِمَا
عاهد المستعمر الإنجليزي مصر وأقسم لها ألا يطول مقامه، ولكنه أقام (مكث)

خَمْسُونَ عَاماً فِي الْبِلَادِ يَسُوقُهَا بِالْعُنْفِ عَاماً وَالْهَوَادَةَ عَاماً
خمسون عاماً (١٨٨٢ - ١٩٣٢) قضاها الإنجليزي في مصر يسوقونها بالعنف عاماً وبالهدوء (اللين) عاماً

مُسْتَعْمَرٌ جَعَلَ الْخِلَافَ ذَرِيعَةً لِيَهْزُرَ رُمْحاً أَوْ يَسْلُ حُسَامَا

مستعمر اتخذ من الخلافات الداخلية ذريعة (حجة) ليهز لنا الرمح ويسل علينا السيف

لَمَّا أَنَّى الْوَادِيَّ وَعَبَّأَ جَيْشَهُ وَجَدَ الرَّعِيَّةَ وَالرُّهَاءَ نَبَامَا

لما جاء المستعمر وادينا وعبأ جيشه زاحفاً وجد الرعية والحكام نائمين. بل كان في مصر من أمرئ على عدم النوم آنذاك: عدو شوقي اللود أحمد عرابي

لقد هجا شوقي عرابي هجاء مرأاً لمخالفته الخديوي توفيقاً وكان والد شوقي من حاشية الخديوي. وشمت شوقي عرابي لهزيمته أمام الإنجليز في معركة التل الكبير (وكان شوقي آنذاك في الرابعة عشرة من العمر). وظل شوقي على موقفه حتى بعد عودة عرابي من المنفى. والآن يقر شوقي بأن الراعي (توفيقاً) كان نائماً. أما عرابي، أقر شوقي أم لم يقر، فهو الذي قاد جيش مصر برغم أنف الخديوي ليقف وقفة عز ومجد وليقدم ١٤٠٠ شهيد، ويقتل ٥٥٠ من الغزاة، وليعلن للأجيال اللاحقة أن مصر لم تُستعج رخيصة، وليكون متاراً

يَا أَيُّهَا الْجَبِيلُ الَّذِي يَبْنِي غَدَاً كُنْ فِي بِنَائِكَ حَازِماً مُقْدَامَا

مقدم: شعاع

وَإِذَا بَنَيْتَ الْمَلِكَ فَابْنِ حَقِيقَةً لَا تَبْنِ أَوْهَاماً وَلَا أَحْلَامَا

٢٦٣ اطلب القطن وزاول غيره

قال شوقي في مشروع القرش، وهو آخر شعر قاله، ومات أحمد شوقي في ١٤ أكتوبر (١٩٣٢):

اجْمَعْ الْقُرْشَ إِلَى الْقُرْشِ يَكُنْ لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ لَبَدٌ

لبد: كثير

اطلبِ الْقُطْنَ، وَزَاوِلْ غَيْرَهُ وَاتَّخِذْ سُوقاً إِذَا سُوقٌ كَسَدَ

اطلب القطن (اسع في إنتاجه)، وزاول (مارس) إنتاج محاميل أخرى أيضاً، فهذا يفتح لك سوقاً بديلة إذا كسدت سوق القطن

نَحْنُ، قَبْلَ الْقُطْنِ، كُنَّا أُمَّةً نَهِيْطُ الْوَادِيَّ وَتَرَعِي وَتَرِدُ

كنا قبل أن يزرع بمصر القطن أمة نهيط وادي النيل وترعى الأنعام فيه وترد (تستقي الماء). لم يكن للقطن شأن كبير في مصر القديمة، وأصبح سلعة تجارية مهمة، تفني الفلاح أو تكسره بحسب السوق العالمية للقطن، منذ عهد محمد علي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٥٢	عتابا	٢٦	شاء
٩٨	لعبا	٢١٥	ماء
١٩٢	واكتسابا	٢٥٩	مساء
٩٤	والرّيا	٨	الشّاء
١٧	أب	١٠	الرجاء
٢٤	تَضْرِبُ	١١٨	إماء
٥٧	ثعلبُ	١٦٠	شّماء
٢٥	ذَقْبُ	١٤١	وشّاء
٢٣٧	والحبُ	٢٦٠	الأحياء
٢٢٢	أخِبِ	٥٠	الأضواء
١٨٩	العربِ	١٥٣	الكرماء
٨٦	عُرايبي	١٠٦	دوائي
٢٤٢	كُعْلَابِ	٢٥٦	الساء
٩٦	الْمَضْبِ	٢١٩	شفاءها
٢٥٨	عَجَبُ	٢٥٥	بنائِه
٢٨	يحبُّها	٢	أبي
١٨٥	تايِه	٥٨	الثعلبا
٢٠٨	حانا	٢١٤	الكِتَابا
١٠٤	سُبَاتُ	١٧٣	نَوَابا
٣٣	الْحَادِثَاتِ	١٨٤	طَلَبَا

٢٠	والوداد	١٠٣	الموت
٢٢٠	ينادي	١٢٨	عَرَافَات
١١٩	أراد	٢٣	مَرَّت
٢٤٠	الأسد	٢٤٩	مَرَّت
٤٧	المنفرد	٣٦	والمشْرِقَات
٢٦٣	لَبْد	٥	دَسْتُهُ
١٠٥	مخلد	١٦٢	فأَبَيْتُهُ
١٩٤	أشدّها	٢١٠	فَرَحَمَتُهُ
١٢٩	عَوْدُهُ	٨٨	علاجها
٢١٦	الجوهر	٢١٨	مُنْبَاح
٨٢	العِثَار	١٩٣	الأفراح
١١	الكبرى	١١٦	يَتَسَبَّحُ
١٣٧	الكرى	٢١٧	الشّدَادَا
٩٠	جَرَى	١٨	بالعدى
٣٤	الأكبر	١٩٥	شَرِيدَا
٢٣٣	تَبَوُّرُ	٩	قَيْدَا
٨٩	تَغْيِيرُ	٢١	النقْدُ
٢٤٤	جَدِيرُ	٢٤٣	تُسَدُّ
٢٦١	وجواز	٧٤	صِيَادُ
١٣٤	وفقيّر	١٢	مَدِيدُ
٨٥	الأقدار	٢٥٧	وجِهَادُ
٦٢	الحصار	١٧٤	الأعواد
٤٨	الصّحاري	١٨٢	الصَّادُ
١٢٦	الغفور	٢٥٤	العَوَادِي
٤٢	القنجر	١	بالمنقود
١٥٩	بالأبكار	٣١	بعدي
١٢٧	حُصَارٍ	٣٥	للسّيد
٩٧	خبر	١٣٩	نادي
١٣٨	كِبَارٍ	١٣	وأَقْعِدُ

١٨٣	وَقَعَ	٤	كَدِرَ
١٤٢	أَرْجَعَكَ	٤١	مَتَّظِرٍ
٢٣٦	مَعَهُ	٨١	وَبِالْحَنَرِ
٢٥٢	إِيقَاعُهُ	١٤٠	وَسَطَّرِ
١٠٠	وَمَتَّبَعُهُ	٣	الْأَخْضَرُ
٣٢	كَفَى	١٦	الْخَوَاطِرُ
٤٦	اِخْتِلَافٍ	١٨١	الْعُمُرُ
٩١	الْأَشْرَافِ	١٥٨	الْكَلْدَرُ
٦٨	الْأَلْفَافِ	٨٠	كَغَابِرٍ
٦٥	ظَرِيفٍ	١٥٤	لِلْكَلْدَرِ
٣٨	إِشْفَاقُ	٦١	الشَّجَرَةِ
٢٤٨	الْمُتَشَقُّ	١٠٨	كَعَثْرَةٍ
١٧٩	تَغْدِيقُ	١٩٨	مُدَارَةٍ
٢٢٥	دَمَشْقُ	١٧٥	مُدْخَرَةٍ
١٦١	الطَّبَاقِ	٦٣	مَسْتِرَةٍ
١٤٨	الْمَدَاقِ	٦٠	مَسْرَةٍ
١٩٩	الْمَدَاقِ	١٩٧	وَالْجَارَةِ
١١٠	طَلَاغِي	٩١	يَجَارُهُ
٧٣	مُرَقِّي	٨٣	أُنْسُ
٩٩	مُشَاقِ	٢٣٥	يَسُوسُ
١٤٦	وَيُلَاقِي	١٧١	أُنْسِي
٩٥	فَرَاغِهِ	١٣٣	تَنْقَضَا
٢٧	الْمَلِكِ	٦	أَجْمَعَا
١٩٠	بَيْنِكَ	٢٠٧	فَرَاغَا
٢٢٩	شِبَاكِي	٢٣٩	وَرَعَى
١٤٧	يَحْمُوكِ	١٨٨	وَلَعُ
٤٩	أَرِيكَ	٢٠٢	النَّاحِي
١٥	يَرَاكَ	٦٤	بِالضَّفْدَعِ
٢٣٢	فَبَكَاهَا	٢٠٥	لِيُرْقِعَ

١٨٦	اعتدالة	١١٧	الملا
١٧٠	أضْمَى	١١٥	النِلا
١٣٦	الأقواما	١٥٦	النَّيلا
٨٧	الأناما	٢٤٥	انتقالا
١٣٢	الرَّامَا	٢٥٠	جميلا
٢١٣	عَلَامَا	٢٠٦	رسولا
٢٦٢	فَأَقَامَا	١١٢	علا
١٢٠	كَرِيمَا	٢٣١	قليلا
١١٤	الأيامُ	١٣٥	مَقَالَا
٢٠٠	الدرهمُ	٥١	غزائُ
٥٥	الفَظِيمُ	٨٤	قليلُ
١٩٦	خَادِمُ	٦٩	يُحْمَلُ
١٢٣	كَرِيمُ	١٤٩	يميلُ
١٤٥	والإسلامُ	١٣١	البُئْبُلُ
٧٧	وَتَرَحَّمُوا	٣٠	التَّرَلُّلِي
١٠٢	الأَمَمُ	٢٢٤	المالِ
١٢٤	الحُرْمُ	١١١	النَّشَائِ
١٠١	بالسلامِ	١٥٠	وإذلالِ
٢٣٠	دِعامِ	١٥١	ومِثَالِ
٢٠١	دَمِي	١٠٧	الطَّوِيلُ
٢٣٨	القَلَمُ	١٧٨	قَبْلُ
٥٣	المُقَطَّمُ	٧٠	مَلَلُ
٩٣	عَدَمُ	٥٩	الِبْطَالَةُ
٢٥٣	هاشِمُ	٢٤٦	أَنَسَالِهَا
٢٢٣	الْقِيَامَةُ	٢٤٧	الناكي
٥٦	حَمَامَةُ	٥٢	يَذِلَّةُ
٩٢	وَتَحْمِيهَا	١٢٥	رَحَلَةُ
٤٠	اقتِرَانَا	٢٣٤	مالُهُ
٣٩	الرَّائِيْنَا	٧	تَبْدِيلُهَا

٢١٢	وَيَزِينُ	١٨٧	الغابرينا
٧٥	المُعِينَةُ	٥٤	الواعظينا
٧٨	والسَمِينَةُ	١٤٤	إنسانا
٢٠٣	رُجْبَانُهَا	١٧٦	جبانا
٤٣	شُجُونُهُ	٢٢٨	حُسْنًا
١٧٧	أَرْسَانِهِ	١٦٩	دَيْلَنَا
٢٢٦	زَمَانُهُ	١٥٧	لِوَادِينَا
٦٧	فَتَاهَا	١٦٨	مُتَقِيمِينَا
١٥٥	يَرَاهَا	٢١١	وَأَزْمَانُ
٣٧	كَبُورُهُ	٧٢	الْأَسْنَانِ
٢٢٧	الْجَوَازِيَا	١٤	الْجَانِي
١٣٠	ثَانِيَا	٧٦	الْحَيَوَانِ
٢٠٤	شَيَا	٢٢١	بِالْحُسَيْنِ
٤٤	غَالِيَا	٧١	تَرْعِيَانِ
٤٥	مَمْشَرِيَا	٧٩	عَنِّي
١٨٠	هَيَا	١٢٢	وَالذَّانِي
١١٣	وَالْمَعَانِيَا	٢٢	أَبَوَيْنِ
٢٤١	الْأَنَانِيَةُ	٢٠٩	السَّنُونُ
٢٩	الثَانِيَةُ	١٩	فَكَانُ
٢٥١	ثَنَائِيَا	٦٦	فَقَنُ
١٢١	يُعَادِيهَا	١٧٢	مُفْعَجِينِ
١٠٩	عَلَيْهِ	١٤٣	وِطِينِ

حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)

هيات «عناصر الموضوع».. أو قل رؤوس الأقلام، وضبطت التواريخ، وقلت: أكتب مقدمة لهذه الأشعار التي انتخبتها من ديوان حافظ إبراهيم. ثم رميت بورقة العناصر جانباً. وأغلقت الكتب التي قرأتها عن حافظ إبراهيم، وأعدت ديوانه إلى الرف. وقلت في نفسي: أحدثك عنه حديثاً، فهذا أروح لي ولك.

وها أنت تراني متعثراً أبحث عن طرف الخيط.

غازطني حافظ، وقد عدت إليه الآن بعد سنوات كثيرة من قراءتي الأولى لديوانه. انتخبت له الأبيات المشهورة، والأبيات الجميلة، والأبيات التي تعبر عن حياته وشخصيته، ورجعت إلى ما انتخبت فازددت غيظاً.

غازطني في الأولى كثرة ما في ديوانه من الفصائد المغسولة التي ليس فيها بيت يلفتك، وغازطني في الثانية أنني رأيت مختاراتي التي ضمت خير أبياته مملوءة بالحشَف، وكان عليّ أن أعود فأنتحي منها ما لم أعد أراه جيداً.

ثم إن حافظاً غازطني مرة ثالثة لأنه خدعني بقصعة في شعره تحجب عن المرء ما في الشعر من سخف أو إحالة أو تكرار غير نافع، أو تكرار ضار بالمعنى.

وبدأت أشحذ أمتاني. قلت في نفسي: أنا دائماً أقول إن الشاعر بجيده لا برديته، وها هو أخونا في الله حافظ إبراهيم قد دسّ لي ضمن ما كنت حسبه «جيد» أبياتاً رديئة غير أن عليها طلاء خالِباً. فلأخرج عن سياستي مع شعرائي، ولأشهر على حافظ سكين التعريق. ثم عدل بي عن هذه القعلة شيطان وشيء.

أول الشئين أنني قرأت كتاب المازني الذي وضع فيه حافظاً على السفود.
والسفود سيخُ شيءٌ اللحم، وكان أخلق بنا أن نقول «وضع السفود في حافظ
واشتواه»، ولكن الرافعي شاء أن يكون التعبير «على السفود»، فهو عليه!

وثانيهما أنني رأيت حشداً من الأساتيد قد سرقوا نقداً المازني ونسبوا
لأنفسهم الصغيرة، وسلخوا عبارات كاملة من المازني وزينوا بها صفحات
المسوخ التي أصدروها. لا، لم يستفرغ المازني كل سفاسف شاعرنا. ولكنني،
لو مضيت في عزمي السفودية، سأكون مضطراً إلى انتقاد بعض ما انتقده
الرجل، فهل أفعل ما فعله الأساتيد؟

والشيء الثاني.. الشيء الثاني في الواقع هو ذلك الذي صنعه الأساتيد.
لكن بقي شيء آخر.. ثالث، وهو الأهم.

الشيء الثالث الذي منعني من تعقب ما وقع فيه حافظ من إحالات
وركاكات هو أن شاعرنا كان يكتب للأذن لا للعين.

قرأت وصفاً جميلاً كتبه عبد الرحمن صدقي لحفل ألقى فيه حافظ قصيدة
في تكريم يعقوب صروف ونبيه فارس. وصف صدقي إقبال حافظ على
الجمهور، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وهامته الكبيرة. ووصف إيماءاته
«التمثيلية» وصوته الفخم وإلقاءه الأخاذ، وتكراره بعض الآيات قبل أن يمضي
في سائر القصيدة، فرأيت مصداق ما قاله كثيرون من أن حافظاً كان يمتلك
مهارة كبيرة في الإلقاء. ثم قرأت ما كتبه طه حسين عن سؤاله حافظاً عن عبارة
«جثا قبره» التي وردت في مطلع قصيدة رثى فيها مصطفى كامل (أيا قبراً! هذا
الضيف آمال أمة/ فكبر وهلل والقي ضيفك جائئاً)، فكيف للقبر أن يجثو على
ركبتيه؟ ورد حافظ: «دعني من نقدك وتحليلك. ولكن، حدثني أليس يحسن
وقع هذا البيت في أذنك؟ أليس يثير في نفسك الحزن؟... قال طه: ولكن.
فقال حافظ: دعني من لكن، واكتف مثلي بهذا».

الرجل يستعمل اللغة القديمة، والأساليب العتيقة، ويتكلف في سبيل ذلك
ما يتكلف، ويخطئ، ويحيل، ولكنه ينظم ناصباً أذنيه يسمع ما ينظمه بأذان
جمهوره. والجمهور غفور للشاعر رحيم به إن هو أحسن سوق القضية بمجملها
ناثراً في أثناء الآيات درراً قليلة وسط حشد من العبارات ذات الوقع الفخيم،
وليس مهماً بعد ذلك إن كانت فيها قبور جائية.

قررت أن آخذ حافظ إبراهيم على بعضه. وفعلت. وشرحت ما اخترته من أبياته وأنا مغيط محنق، لكنني كفت لساني عن انتقاده إلا ما ندر. كان في نظمه بوهيمياً كما كان في سلوكه منذ أن ترك الدراسة يافعاً إلى أن مات.

كان حافظ شاعراً. وملاً بشعره الأندية. وعاشت له أبيات، وقصائد كاملة أيضاً، ظل الناس يرددونها. لم يكن رجل فكر، ولا رجل سياسة، وأزيد وأقول ولا وطنياً مناصلاً. كان يحب وطنه، وهذه ليست فضيلة، فكلنا يحب وطنه. وكان يفكر في رفعة وطنه كثيراً، ويتألم لأن نهضة بلده مصر لم تكتمل، بل لقد انتكست. ولعل في هذا بعض الرد على قوم يزعمون أن العهد الملكي بمصر قبيل ثورة ١٩٥٢ كان عهد نهضة مباركة وكبيرة، وأن حركة الضباط أجهضت هذه النهضة. في شعر حافظ، مأخوذاً في مجمله - ومضافاً إليه شعر شوقي - مجموعة كبيرة من القرائن على أن مشاعر أهم شاعرين في تلك الحقبة كانت مشاعر أسى على نهضة كانت في عصر محمد علي، وخفت قليلاً ثم كانت تريد أن تستمر في عهد إسماعيل فأجهضتها الأمم الأوروبية، ثم بالاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢ بدأ الانحسار، وظل متواصلاً.

من حق أي مؤرخ - مصرياً أو غير مصري - أن ينتقد حركة ضباط ٥٢، ومن حقه أن يفضل على مؤسسات حكم العسكر آنذلك المؤسسات الأشبه بالديمقراطية التي كانت في العهد الملكي، فأما تصوير العهد الملكي على أنه كان نهوضاً متصلاً، فهذا عكس الحقيقة.

رأى كثيرون حافظاً وطيب قلبه، ووفاء لأصدقائه وللمن أحسنوا إليه، واغتفاره إساءة من أساء، وتغمد هجوم من هاجمه بالعفو السريع فعده رجلاً من كَمَلَة الرجال. ليكن. على أن الرجل الكامل يحتفظ في ركن من شخصيته بخزانة سوداء يودع فيها قمامات سلوكه، فإن لم ير الناس في شخصية حافظ المتفتحة شيئاً عليه قفل ومفتاح، فربما كان ذلك لأنهم غصوا البصر.

كان حافظ حقاً طيب المعشر لطيفاً.. لكن ليس مع كل الناس. فهو ابن بلد، يعامل من يصغره سناً أو قدراً بجلافة ابن البلد، ويعامل من يحسن إليه بالإجلال، وهو يحفظ المعروف، ويحسن إلى الناس كثيراً. وكان سخياً سخاء خرافياً، ونوادر سخائه تملأ الكتب، والسخاء ستر يحجب عن الأعين كثيراً من علل الشخصية. وكان صاحب نكتة، وذا محضر جميل وبديهة مساعفة، ويحسن السخرية المرة. يراه المرء أول معرفته به متجهماً، ثم سرعان ما يفيض بشراً،

حتى ليقبل ضيفه الجديد عليه يريد أن يقبله بين عينيه، وهذا شيء قاله أحد من عرفوه، ونسيت من هو.

درس حافظ الشعر العربي من «الوسيلة الأدبية» وفيها قرأ شعر البارودي، ولقي البارودي وسمعه وجالسه، فحافظ امتداد طبيعي لمدرسة إحياء الشعر العربي، التي جعلوا البارودي رأسها. وقرأ أغاني أبي الفرج مراراً، وصاحبه لزوميات المعري، وسمع أشعار شوقي وكان يقفو أثره في بعض الموضوعات.

لم يكن الشاعر المثقف. كان يحب رنين الشعر العربي القديم وقرأ كثيراً وحفظ منه كثيراً، وجعلوا حفظه آية من الآيات، إذ كان يستحضر من خزانة ذاكرته ما شاء أياها شاء.

وأعود إلى غيظي.

كل هذا الغيظ الذي حدثتك عنه.. ثم أختار لحافظ بضعة مئات من الأبيات! لا، وإنني لأبرز الكثير منها بالتسويد!

لم يكن لحافظ دقة أبي تمام، ولا سلاسة البحتري، ولا صنعة ابن الرومي، ولا فخامة المتنبّي، ولا فعولة المعري، ولا خيال شوقي.

ولكن، كان لحافظ شيء لم يكن لأي من هؤلاء. كانت له شخصيته، تماماً مثلما لك ولّي ولكل إنسان شخصيته. وعبر حافظ عن شخصيته في شعره، وليس كل أحد قادراً على أن يعبر عن شخصيته، وعن.. إمعيته أيضاً.

عبر عن إمعيته الفكرية بوضوح: لا رأي له في كرومر، ويودعه بقصيدة يذكر فيها المحاسن والمساوي، ثم يتصل ببيت يقول فيه إن هذا «ما يقوله الناس»؛ ولا رأي له في السفور والحجاب، ويريد في رثائه قاسم أمين أن ينتظر كي يكشف له المستقبل صحة أو خطأ آراء الففيد. وهو ناظم على الأجانب المقيمين في مصر ثم يعود ويحييهم على نشاطهم التجاري.

وعبر حافظ عن أحداث زمنه. وكانت له قدرة الخطيب، الذي أدمن النظر في عيون جمهور السامعين، على تخير العبارة الطنانة. والعبارة الطنانة من بعض المكونات المفيدة للشعر. فإن شبهت مكونات الشعر بمكونات صلصة الطماطم فاعلم أن العبارة الطنانة ليست من المواد الحافظة، التي لا مهمة غذائية لها بل هي تحفظ الصلصة من التلف السريع. لا، العبارة الطنانة جزء من الشعر، لأن إنشاد الشعر جزء من الشعر، ولأن الإيقاع جزء من الشعر،

ولأن الشعر يصبح ثثراً إن عدم هذه المكونات. فهل المعنى جزء من الشعر؟ يقول لك القدماء: نعم، ولا. ويقولون إن المعاني ملقاة على قارعة الطريق، والممول إنما هو على حسن السبك، وعلى الالتزام بعمود الشعر العربي. ويقول لك قدماء ومحدثون كثر: بل المعنى مهم، شرط ألا تتحول القصيدة إلى مقالة.

حافظ غير المثقف أشعر من حافظ لو كان مثقفاً. وأكاد أجزم بنسبة ٩٩٪ كما يقول العوام - في أول مناسبة تسوق تعسّ حظّ عامياً ليقول لي هذه العبارة، سأجيبه ببرود وبكل جدية: وكيف قست هذه النسبة المثوية لطفاً؟ - أجزم بأنه لو كان حافظ قد تنقف وقرأ كثيراً لكان شعره في غاية الغثاءة. وكنت في مقدمة كتابي الأول في هذه السلسلة قد بحث لك بأنني حاولت الشعر وأخفقت فيه، وعبرت عن ذلك بالقول:

أتيت بقاموسي وألفيتي إلى الـ قصيدة أبغيتها، وأخشى تعاليتها
فألفيتها تهوى البريء ولو به جنون، بل المجنون أقصى أمانيتها
فيا شعر، يا ولأد، يا خلُق، فُتني لأنّ علومي شوهتني تشويها

وفي حافظ سذاجة تظهر جلياً كلما طرق موضوعاً ثقافياً، ولكنه قد بجيء بعد أن يستعرض عضلاته الثقافية، المنفوخة بمنفاخ الدراجات، بأبيات قليلة يشكو فيها بؤسه، صادقاً في شبابه كاذباً في كهولته: كاذباً لأنه لَطى في السنوات العشرين الأخيرة من حياته في وظيفة دسمة (بلغ راتبه الأقصى ثمانين جنيهاً في الشهر.. هذا عام ١٩٣٢، عندما كان الجنيه يُغني «أنا أنطونيو وأنطونيو أنا»).

أبيات الشكوى عند حافظ فيها عذوبة، وفيها استمرار لنغمة مألوفة عند شعراء العرب أصبحت من أركان أركان القصيدة في عصور الانحطاط. وهي بالمناسبة عصور انحطاط وانحسار وسفه وسفاسف وأنوف بعض الأكاديميين في التراب. نعم رغم السفاسف فإن مما يجعل السامع يترنج ويتخدر أن يسمع شعراً فيه نغمات عتيقة. (مثال على ذلك من دنيا الألحان أغنية لنجاة الصغيرة تقول «أبظن أنني لعبة بيديه؟/ أنا لا أفكر في الرجوع إليه» وتصحّب هذه الكلمات ألحان تعبيرية جديدة، ثم تمضي الأغنية بلا إيقاع وبلا تطريب.. «اليوم عاد كان شيئاً لم يكن/ وبراءة الأطفال في عينيه»، وعندما يريد

عبد الوهاب أن يقيم الناس عن كراسيهم يلحن لهم البيت «حتى فسانيني التي أهملتها/ فرحت به رقصت على قدميه» تلحيناً آخر مختلفاً. . تلحيناً فيه طرب وإيقاع وجملة ميلودية متقنة من الطراز القديم). وألا ترائنا نستمع إليك بأدب وأنت تلقي علينا قصيدة ألفرد دوفيني عن الذئب، فإذا أتبعناها بقصيدة البحري حيث يقول: «كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه» استيقظت فينا روح الصحراء التي كلانا فيها ذئب حقاً، وصفقنا لقديمنا المضحك بمسك السنين؟

شكا حافظ من الأجانب بمصر: من اليونانيين، ومن الشوام أيضاً. ولكن حافظاً رجل رقيق، وهو ابن بلد. كان يحب صديقه خليل مطران اللبناني ويمدحه شعراً ونثراً، وكان مطران بثقافته العميقة، وفرنسيته المتقنة يساعد حافظاً في الترجمة. وكان يغشى مجالس أهل الصحافة، وجلهم من الشوام، وكانوا يرفعون ذكره عالياً بنشر قصائده في صدور جرائدهم. وفي السوريين قال حافظ بعض أجمل شعره، وطوفهم بحبه وبإعجابه. ولكن تدمره كان من المصريين الذين كانوا - حسب تحليله الساذج - متوانين وكسالى. وكان اسم أكمل رجل في مصر. . لعلك حزرت. . فلا داعي للتشهير.

هذا سجل حياة شاعرنا:

ولد في عوامة راسية قرب ديروط في الصعيد، عند قناطر التقسيم. . قناطر تقسيم حصص المياه. كان محمود سليمان باشا أحد كبار ملاك الأراضي قد أسكن إبراهيم فهمي والد شاعرنا وأمه هانم البورصلي فيها. فإبراهيم فهمي مهندس مياه، والباشا بحاجة إلى «مساعدة صديق» كي يحصل على نصيب وافر لبروي فداده إلى ١٦٠٠. وأنجبت هانم - هذا اسمها - الطفل حافظاً في عام ١٨٧١، ربما قبله بعام، وربما بعده بعام. ثم أختاً له. ثم مات زوجها إبراهيم فهمي ولحافظ من العمر أربع سنين. فخر الباشا الصديق المساعد، وخسرت الأسرة العوامة.

رحلت الأم بولديها إلى القاهرة، إلى بيت أخيها، المهندس في مصلحة التنظيم، محمد نيازي البورصلي، وكان يسكن في حي المغرلين بين القلعة والتحرير. وأحوال حافظ قوم من قدامى أتراك مصر نسوا لسانهم التركي واستعربوا وتمصروا. لم يكن خال حافظ من ذوي اليسار، لكنه كان يعيش مع زوجته وحدهما ولم يرزقا بأبناء.

تربى حافظ في كنف خاله بلا أب، ولكن كان له في البيت أم، وكانت له

أم أخرى هي زوجة خاله، وكانت أخته. وقد تزوجت، من بعد، وأنجبت أربعة وماتت شابة.

درس في مدارس القاهرة حتى بداية المرحلة الثانوية، ثم كان أن رحلت العائلة كلها إلى طنطا، فانقطع حافظ عن الدراسة، إذ لم يكن بطنطا مدرسة ثانوية كما ذكر بعضهم، أو لأنه كان يكره المدرسة كما قال محمد إسماعيل كاني الذي يتسبب إلى أسرة أخت حافظ.

أخذ حافظ، وهو في السادسة عشرة يعاشر طلاب المعهد الأحمدى بطنطا، وحضر دروساً في النحو والصرف في الجامع الأحمدى. ويصف الشيخ عبد الوهاب النجار أول لقاء له بحافظ في طنطا عام ١٨٨٨، وحافظ في نحو السادسة عشرة، يقول: «فتى غص الإهاب، له ظرف ولطف محاضرة، ويديه وحضور... قضينا رمضان نصلي المغرب والعشاء والتراويح معاً، ثم نسير حتى السحور، ونظل حتى يؤذن لصلاة الفجر، وبعدما نمضي في صحبتنا حتى طلوع الشمس، فيذهب كل منا إلى بيته» بتصرف عن الشيخ النجار.

مضت على حافظ سنة خصبة جداً من حيث امتلاكه لأدوات اللغة والبيان، وقاحلة بوهيمية في نظر خاله المهندس. وضاق حافظ ذرعاً بكلمات خاله التأنيبية، فقال بيته المشهورين: (ثقلت عليك مؤونتي/إني أراها واهية// فافرح فإنني ذاهب/متوجه في داهية). وكانت الداهية استمراراً في معايشرة طلاب المعهد، فقد سكن حافظ عند صديق كان مجاوراً للجامع الأحمدى.

ولعل هذا الصديق ضاق بحافظ.. على أن شاعرنا أصبح الآن يعرف قدر نفسه، فهو يحسن أن ينظم، واستقامت على لسانه اللغة العربية الفصحى. عاد إلى منزل خاله. لكنه بدأ يبحث عن عمل. ولم يجد خيراً من المحاماة، فهو فصيح اللسان، حسن الكتابة سريع الفهم وسريع البديهة.

عمل في مكتب المحامي الشيمي، ثم وجد يدق عليه في الأجر، فانتقل إلى مكتب محمد أبي شادي، ثم إلى مكتب عبد الكريم الفهيم.

قد وضحت الصورة الآن، نحن بإزاء شخص قلق. فما الذي يلقي بهذا الشاب القلق، الذي بدا أنه مشروع شاعر، في أحضان الجيش؟ ربما طوله وكفاه العريضان.

إلى القاهرة، والمدرسة الحربية. ولحسن حظه كان المحتل الإنجليزي قد

ألقى من منهاج هذه المدرسة معظم ما كانت تدرسه من علوم، وبعد سنتين أو ثلاث تخرج حافظ ملازماً ثانياً. وقضى في الجيش ثم في الشرطة ثلاث سنوات، كان فيها مثال الضابط الماهر.

ونقل إلى السودان في حملة كشنر.

فقد بعث الإنجليز الجنرال هربرت كشنر إلى الخرطوم للقضاء على الحركة المهدية وقصد أطماع فرنسا في السودان. وفي الثاني من سبتمبر/أيلول عام ١٨٩٨ كانت المواجهة بين جيش الأنصار السوداني بقيادة عبد الله التعايشي خليفة المهدي، وبين القوة البريطانية. وكان مع الثمانية آلاف جندي بريطاني ١٣ ألفاً من المصريين والسودانيين. وكان جيش التعايشي يزيد عن الخمسين ألفاً.

فتح كشنر على جموع جيش الأنصار المدافع. كانوا يزحفون بملايسهم البيضاء موجة إثر موجة، وكان الإنجليز يعالجون زحفهم بالمدافع أولاً ثم بالبنادق الرشاشة لمن لم يسقط بالقذائف، ثم بالبنادق بتصيدون بطلقاتها من تبقى. وانجلت هذه المقتلة عن ١٢، ١٠٠ قتيل سوداني، وأكثر منهم من الجرحى، ويخبرنا ونستون تشرشل الشاب، الذي شهد الواقعة، أن كشنر نفسه كان يشجع جنوده على الإجهاد على الجرحى، طائفاً بينهم قائلاً «اذكروا غوردون»، الجنرال البريطاني الذي قتله جيش المهدي قبل خمس عشرة سنة. وخسر كشنر ٤٧ جندياً فقط. ثم إنه نصف ضريح المهدي في أم درمان. ينقل لنا الوصف مع استنكار للفعلة تشرشل نفسه. وقد قيل إن الملكة فكتوريا العجوز بكت عندما علمت بتدليس مقام المهدي.

حتى بعض الصحف البريطانية استنكرت وحشية كشنر وجيشه، وصفه أحدهم قائلاً، كشنر ليس إلا آلة للقتل، ولا بأس بعرضه في المعرض الدولي بباريس مع لافتة تقول آلة القتل في السودان.

فأين كان الضابط حافظ إبراهيم وقتها؟ كان في الخرطوم وعلى رأس عمله. فماذا صنع؟ لا تذكر لنا الكتب شيئاً عن ذلك، ولم أر أحداً اهتم بالأمر أصلاً، بله أن يبحث للشاعر عن مخلص (ألا بآي/برهان الكينونة في مكان آخر).

أنت لا تشهد يوم القيامة بالبيجامة.

وتكملة القصة أن لندن أبرقت لكنتشنر بما معناه: ليس ما ابتغيناه الانتقام لمقتل غوردون، الغرض وقف مطاعم باريس في السودان. فانطلق كنتشنر إلى فاشودة بالسودان حيث دس الفرنسيون مشط قدمهم في الباب. وبعد رفع البنادق ثم التفاوض ورحلت فرنسا عن السودان. ثم نوّدي بـكنتشنر أن اذهب إلى الترانسفال بجنوب إفريقيا.. لتصبح بطل حرب البوير. وفعل.

وذكر حافظ إبراهيم في كتابه «ليالي سطوح» بعض ما حدث في السودان. ذكر شيئاً على هامش الهامش، ولكن له دلالة.

لقد سحب البريطانيون من المصريين في الجيش الذخيرة. فغدّت البنادق في أيديهم عصياً. فثار الضباط المصريون. واجتمعوا، وقال قائل منهم - والنقل الآن حرفي عن حافظ -: «أليس من الخطأ أن تبقى هكذا الجنود، ونحن في بلد غير آمن، وهذه دماء أعدائنا لا تزال غريضة، وتلك أجسادهم تغدو عليها وتروح عنها جيوش العقبان والرخم، وقد أكل الحقد صدور أهل البقعة، وتغلغل الضغن في نفوسهم».

ويحدثنا حافظ بتطويل ممل عن استدراج الإنجليز للسودانيين في الجيش لمعرفة خبر هذا التمرد، وعن إسكارهم، وعن خيانة ضابط مصري لزملائه، وكيف أن الإنجليز توصلوا إلى قائمة بنحو ثمانين اسماً، ثم لم يريدوا إحداث ضجة فاختاروا منهم بالقرعة ثمانية عشر أحالوهم على الاستياداع وأعادوهم إلى مصر، وكان بينهم شاعرنا.

لا يذكر لنا حافظ، لا شعراً ولا نثراً شيئاً عن مقتلة أم درمان وما تلاها من فظائع. ونحب أن نظن أنه لكسله الشديد لم يضغط على زناد. على أننا، من قليل ما وصلنا من أشعاره في السودان التي كان يبعث بها إلى أصدقائه في مصر، نعرف أن غاية همه كانت تذكر مجالس الخمر في مصر، والشكوى المتصلة من بقاءه في السودان، ورغبته الشديدة في العودة إلى مصر. لقد خدم حافظ في حلفا وطوكر وسواكن في السودان. ولكن نصه في «ليالي سطوح» الذي يعتبر الأنصار هم الأعداء صريح.

لقد كانت جموع السودانيين الذين ذبحهم كنتشنر من المسلمين، وكان لسانهم عربياً، ولعل حافظ نسي ذلك وهو يكتب الأبيات الجميلة في نصرة الإسلام «سلام على الإسلام بعد محمد/ سلام على أيامه النضرات» وفي نصرة اللغة العربية «أنا البحر في أحشائه الدر كامن».

ثمة هيكل عظمي ههنا في خزانة سوداء أبقاها حافظ، وأبقاها الذين كتبوا عنه الكتب، مقفلة. وكلمة «أعدائنا» الواردة في المقتطف أعلاه من كلام حافظ بليغة في الإشارة إلى أنه وصحبه من الضباط كانوا يعتبرون جيش الأنصار السوداني «العدو».

لحافظ الضابط بضع قطع قصيرة في جندي مليح، إحداها صريحة «ومن عجب أن قلدوك مهنداً/ وفي كل لحظ منك سيف مهند». وهذا مألوف من رجل يحب الجمال وجد نفسه ضابطاً يقترب من الثلاثين وسط جنود، وانقطع عن الإناث زمناً. وفي قصص جيش إسبرطة، وجيوش العباسيين الثغرية حالات كهذه فشت حتى لقد صارت سمة من سمات ذئك المجتمعين.

أعيد حافظ أخيراً إلى مصر، محالاً على الاستبداع، ثم أحبل على المعاش بعد ثلاث سنوات ونصف السنة بناء على طلبه. كان ذلك في سنة ١٩٠٣.

تفرغ حافظ لأستاذه وإمامه محمد عبده مفتي الديار المصرية والقطب الفكري والعملية لحركة الإصلاح. ونهل من علم محمد عبده الغزير، وقيل إن الإمام كان يساعد حافظاً حتى في فهم اللغة الفرنسية التي ألم بها محمد عبده وهو في باريس. ومات الإمام عام ١٩٠٥ فرثاه حافظ بدموع حرى وظل يذكره في شعره فيما بعد. وفي عام ١٩٠٦ نجحت السيدة هانم في تزويج ولدها. لكنه لم يلبث مع زوجته سوى أربعة أشهر، لم يعد بعدها لزواج ولا لغير زواج. يقول أحمد حسن الزيات «فوى في قلبه حب المرأة» ولا يزيد.

ونحن أيضاً لا نزيد. ولم نر في سيرة الرجل ما يدعم أية تكهنات. غير أننا نريد التنويه بكتاب جيد عن حافظ إبراهيم بقلم السيد محمود عبد الله، ولندخل إلى التنويه من هذا الباب الذي فتحناه والمتعلق بحقيقة ميول حافظ الجنسية. يعرض المؤلف لما أورده مؤرخ حافظ وصديقه الذي عايشه، أحمد محفوظ، من أن حافظاً انصرف عن تلك الزوجة لأنه لم يشاهدها قبل الزواج، فلم تقع في نفسه موقعاً حسناً، ويدير صفحتين على أن هذا لا يكفي لتبرير انصراف الشاعر عن المرأة كلياً بعد ذلك رغم أنه أصبح موسراً. وينتهي المؤلف إلى القول إن السبب هو ما «مني به من فتور في ميله الغريزي إلى الأنثى».

بعد سنتين من هذا الزواج الفاشل توفيت والدته حافظ، وكانت تعيش معه

في منزل مستقل. فانتقل مرة أخرى للعيش مع زوجة خاله التي رعاها حافظ في شيخوختها، وظلت تقيم معه عشرين سنة حتى ماتت.

ظل حافظ بعد وفاة الإمام، بل حتى في حياته، يغشى مجالس الوجهاء من أبناء الأسر الكبيرة وينال صلاتهم، وله مدائح في أبناء هذه الأسر. وظل ينشر شعره في المحافل، وأصبح ذا صيت. طرقت قصائده في الحرب الروسية اليابانية، وفي الإمام، وفي دنشواي، الأذان، وتندر الناس بأبياته في مجالسهم. ونشر كتاباً استحضر فيه روح الكاهن الجاهلي سطيع، وألقى على لسانه كلاماً عن السودان، كما أسلفنا، وعن دهاء الإنجليز وغطرسة ضباطهم. وهاجم أحمد شوقي في بضع صفحات.

كان في هذه الفترة ينظم الشعر محاولاً الوصول إلى السدة الخديوية، ولكن شوقي كان يسد عليه الطريق، وتقرب حافظ من شوقي، وأقر له في أبيات مفرقة على عدة قصائد بالسبق، ونشأت بين الرجلين علاقة طيبة. لكن شوقي ظل حتى النهاية يتزعج كلما قرن الناس اسمه باسم حافظ، فهو شاعر مصر الأواحد. قالها كذا مرة في شعره.

فرض حافظ وجوده بأشعاره الرنانة التي كانت تزداد رنيناً عندما يلقيها في حفلات التهنئة ومحافل التأبين الكثيرة التي كانت تلتقي فيها قصيدة حافظ مع قصيدة شوقي ملقاة على لسان آخر، فشوقي لا يحسن الإلقاء.

ظل حافظ يسترضي الإنجليز بأشعار «ماتت الملكة عاش الملك» ثم بقصيدة سيئة الصيت في وداع المعتمد البريطاني اللورد كرومر في أعقاب حادثة دنشواي. كان شوقي أيامئذ وطنياً، في تصنيف من يعشقون التصنيف، لكنه كان وطنياً من النافذة لا من الباب. فهو شاعر الخديوي عباس حلمي، في وقت كانت العلاقة فيه بين عابدين (قصر الخديوي) والدوبارة (قصر المعتمد البريطاني) متوترة. وكان حافظ أيامئذ حائراً بين مجالس المائلات ذوات الأطبان، وبين مصانعة الإنجليز، ومحاولة التقرب من السدة الخديوية، ومدح السلطان عبد الحميد، ثم الترحيب بعزله، وبين مدح الشوام الذين كان يسيطرون على الصحافة، ورتاء كبرائهم.

وفي أثناء هذا كله كان حافظ يقول شعراً يتوجع فيه للأيتام، ولضحايا الحريق في مصر والزلازل في إيطاليا، ويرى شوقي يرثي تولستوي فلا يقصر، فيرثي تولستوي. ومثلما كان يصانع الإنجليز كان يهاجم احتلالهم للبلاد.

وأخيراً انفتح له باب السماء. عينه وزير المعارف أحمد حشمت رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب. فعرف حافظ نعمة المرتب الجيد. وعاش عشرين سنة ممسكاً بالمرتب بكلتا يديه. ليس أنه كان موظفاً حسن الدوام والانضباط.. بهذا لا يكون حافظ حافظاً. كان شاعرنا يقضي ساعات الدوام على مقهى الكتبخانة. ويظل بين الحين والآخر على دار الكتب ليتحدث مع زملائه، وكان جل حديثهم عن العلاوات والتعيينات وما إلى ذلك من أحاديث الموظفين. من سنة ١٩١١ حتى خروجه من الوظيفة (أو «إخراجه» منها على يد حكومة إسماعيل صدقي/والعهدة في «الإخراج» على أحمد حسن الزيات) عام ١٩٣٢ ظل حافظ شاعراً موظفاً. يمدح بحساب ويرثي بغير حساب، فإن قال شعراً وطنياً فهو مقيس بمقياس الاعتدال والعمومية «وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي». وقامت الحرب العالمية الأولى فأنب حافظ الألمان على إضرام نارها، وانتهت الحرب، فلم يجد حافظ من يستحق الرثاء أو المدح فمدح عمر بن الخطاب في ملحمة طويلة. وقامت ثورة ١٩١٩ في مصر، فقال حافظ شعراً وطنياً لم ينشره، لكنه انتشر بين الناس. وعاد شوقي من منفاه فحياه حافظ، وتوطد الود بين الشاعرين على قاعدة قبول حافظ أن يكون ثاني اثنين، مع أن شوقي المجلي ظل يرى نفسه الأوحد ولا ثاني له.

جمع الشاعرين مجلس سعد زغلول الذي جمع الأمة حوله، وعندما أقام سعد لشوقي حفل مبايعة بلإارة الشعر جاء حافظ مبايماً. وبعدها بقليل، وفي العام نفسه ١٩٢٧، مات سعد زغلول فرثاه كل شعراء مصر وغير مصر.

كان من محاسن حافظ في هذه الفترة، وفي كل حياته، أنه ظل يسأل: لماذا لا نتقدم مثلما تقدمت أوروبا؟ لماذا لا نتعلم، ولماذا لا نتفن صناعاتنا، ولماذا لا نكون لنا أخلاق كأخلاقهم؟ كانت هذه الأسئلة التي يطرحها حافظ - رغم أنه لم تتوفر لها إجابات لا على لسانه، ولا في سلوكه الشخصي البوهيمي - الأسئلة الوجودية الحقيقية.

كان جواب طه حسين على مثل هذه الأسئلة حث الأمة المصرية على أن تكون جزءاً من أوروبا. وكانت إجابات بعض أصحابه الدستوريين تتمثل في أطراح الفصحى، وفي التخفف من التدين - على الأقل كانت هذه نصيحة اللورد كرومر قبل انصرافه.. ولكن الكل كان يجمع على ضرورة التعلم. واحتلت

مصر بفتح جامعة، وظل حافظ متعجباً من ذلك النشاط عند الشوام، في مقابل ما ظنه خمولاً عند المصريين.

لقد كانت مصر وما زالت - ونكتب في ثاني يناير/ كانون الثاني عام ٢٠١٧ - القاطرة في العالم العربي. لكنها قاطرة عتيقة تقطر عربات أعتق منها.

حملت مصر عن بغداد الراية بسقوط بغداد، وحتى قبل سقوطها، فالفاطميون كانت لهم خلافة بجانب الخليفة في بغداد، وكانوا يحكمون مصر وبعض الشام ولهم في المغارب وجود قوي وجذور. وحكم الأيوبيون مصر والشام، ومثلهم المماليك. ثم لما انضوى العرب تحت جناح الدولة العثمانية، خفت صوتهم وتبددت قيادتهم. لكن مصر كانت أول من رفع رأسه، فكان عهد محمد علي نهضة كبرى بلغ من قوتها أن جيشه هدد إستانبول، بعد أن سحق الجيش العثماني في قونية، ١٨٣٢، مما اضطر السلطان العثماني إلى الاستنجاد بقيصر روسيا لحماية عاصمته. وتدخلت القوى الأوروبية، وانكمش محمد علي، لكنه ظل يسيطر على مصر، وبعض الشام وبعض الحجاز، والسودان.

وكان الاحتلال الإنجليزي، ١٨٨٢، وقبله كان شق قناة السويس، وشهد عصر شاعرنا نملاً مصرياً متصاعداً وسعيّاً إلى الاستقلال الحقيقي. ونالته مصر، وظلت تقود الأمة العربية في عهد عبد الناصر. وظلت نهضتها الاقتصادية اللاحقة - نسبة لشهوة اللحاق بأوروبا - أشواقاً.

ومصر اليوم ما تزال الكبرى عدد سكان، وهي رائدة الفن السينمائي وفنون الموسيقى وما زالت في الطليعة. إلا أنها ما تزال تبحث عن جواب السؤال: كيف نلحق بأوروبا؟ ومثلما كان لهذه المعضلة أثر في نفسية حافظ إبراهيم، فلها أثر في الشخصية المصرية اليوم.

تري الممثل السوري أو التونسي لا يكاد ينزل مصر حتى يكتشف أن عليه أولاً أن يقدم فروض الولاء اللساني. فيقول للمليحة إن مصر أم الدنيا، وبقيّة هذا الموشح.

لقد تعمقت المعضلة المصرية باكتشاف النفط في دول الخليج، وبالتراجع في نمو الاقتصاد المصري. ظلت مصر القاطرة، ليس أنها قاطرة حديثة، ولكن لأن ما سواها لا يملك العمق الثقافي كي يقود. وكانت الحقبة السعودية (والتعبير لمحمد حسنين هبكل) حقبة سياسية فارغة من المحتوى النهضوي، والفكري.

نكتب هذا لما وجدناه من طرافة في التشابه بين مشاعر حافظ إبراهيم ومشاعر كثير من المصريين اليوم. فتمة أزمة نفسية عند مثقفي مصر، تلخصها عبارة «أم الدنيا». فكل نقد أو حتى تحليل يصدر عن عربي آخر محمول على الحسد. والبلوى أن بعض العرب الآخرين أصابتهم أزمة نفسية معاكسة فهم يضعون مسألة التصدر المصري موضع الشك، وموضع النفي. ثم تتدفق أنهار التلاسن فالتشاتم. هل أنت ممن يعاقر الإنترنت؟ إذن لا حاجة بي لسرد المزيد.

غير أنني أقول إن العمق التاريخي لمصر بوصفها القاطرة ذخير لا يملكه بنفس القدر أي بلد عربي آخر، والفرشة الاجتماعية الواسعة والخصبة في مصر منبع للفن والأدب، والتنوع الفكري في مصر - حتى عندما نمر في مخاض سياسي صعب - أمر لا يوجد في بلد عربي آخر.

هي رب الأسرة العربية، ورب الأسرة مريض نفسياً وجسدياً. شفاه الله. وما يستر عليه أن أهل البيت كلهم مرضى، فإن كان في جيوب بعضهم دراهم كثيرة فهي دراهم ملوثة بالزيت والزفت. ولم أجد دراهم الزيت والزفت قد عادت على أهلها بعلم ولا بحضارة، لا بل هي اجتلبت غفيراً من البلاد الفقيرة لكي يتشوهوا بالكاش. هذه حال دول الفقر العربية مع دول الخليج الغنية، يأتي الرجال والنساء من دول الفقر إلى دول الخليج، ويعيشون كما يعيش الناس في معسكر عمل. وفيها يفقد أولادهم وبناتهم الحس الحضاري ويستعيضون عنه حساً استهلاكياً سمسرياً، ويعودون إلى بلاد الفقر ليشكلوا طبقة وسطى غير منتجة.

هذا كلام لا يعيدنا إلى شاعرنا بأي قدر من السهولة. لكن ربما استطعنا العودة.. بصعوبة. هو كلام ككلام شاعرنا.. كلام شخص محبط من حالة عربية فظيعة. بين عشية وضحاها انتقلت دول عربية عديدة من حال الاستقرار الخامل إلى حال الحرب الأهلية، والآفاق مليدة بغيوم سود.

عاش حافظ إبراهيم حياته وبلاده تبحث عن نفسها، فقد رأى، وهو بعد طفل، الإنجليز يحتلون البلد ومات ولما تقلع مصر ذلك المسمار. وظل يحلم بأن تصبح مصر كاليابان. نحن الآن نحلم بأن تعود البلاد العربية عشر سنوات إلى الوراء.. إلى ذلك الاستقرار الخامل.

ها هي أشعار حافظ إبراهيم مرتبة القديم فالأحدث.

١ المعجز الثاني

تفريظ كتاب «فحول البلاغة» لمؤلفه السيد توفيق البكري، نشر البتآن في (١٨٩٥):

هَذَا كِتَابٌ مُذْ بَدَأَ مِسرُهُ لِلنَّاسِ قَالُوا: مُعْجِزٌ ثَانٍ
مَنْذ أَنْ نَشْرَ كِتَابَكَ وَلَمْ يَعْذْ سَرَأْ قَالَ النَّاسُ هَذَا مُعْجِزٌ ثَانٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ

أَثَابَكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ ثَوَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا كَجَزَاءِ عُثْمَانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ

٢ استعطاف

كتب يستعطف محمد سليمان أباطة:

طَالَ الْحَدِيثُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا السَّمَرُ وَلَاخَ لِلنَّوْمِ فِي أَجْفَانِكُمْ أَنْزُرُ
السمر: السامرون

وَذَلِكَ اللَّيْلُ قَدْ ضَاعَتْ رَوَاحِلُهُ فَلَيْسَ يُرْجَى لَهُ مِنْ بَعْدِهَا سَفَرُ
ضاعت رواحل، نياق، الليل فليس يرحل عنا فهو مقيم

هَذَا مِضَاجُكُمْ بِأَقْوَمٍ فَالْتَقِطُوا طَيْبَ الْكَرَى بِمُيُونِ شَابِهَا السَّهَرُ
التسويد من الشاعر عمران الففني

أَبَيْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي كَيْفَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ وَمَا لِي عَنْهُ مُضْطَبَّرُ
فَمَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرُّكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ..
ليست الحمامة المطوقة، التي كان ريشها عند الغروب طوق، وقعت في الشرك، الشبكة، عند الغروب..

بَاتَتْ تُجَاهِدُ هَمًّا وَهِيَ آيَسَةٌ مِنَ النَّجَاةِ وَجُنُحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرَةٌ..
وَبَاتَ زُغْلُولُهَا فِي وَكْرِهَا فَرِعًا مُرَوَّعًا لِرَجْوِ الْأُمِّ يَسْتَنْظِرُ..
يُحَفِّزُ الْخَوْفُ أَحْشَاءَهُ وَتَزْعِجُهُ إِذَا سَرَتْ نَسَمَةٌ أَوْ وَسَّوَسَ الشَّجَرُ..
يعرك الخوف أحشاء الزغلول، أي صغير الحمام، ويزعجه أي صوت في غياب أمه

مِنْنِي بِأَسْوَأَ حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ، فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ؟
صغير الحمام ليس أسوأ حالاً مني عندما قاطعني هذا الصديق، فهلا تذكر صديقي صحتنا فعذل عما أتى به؟

يا ابن الكرام اُنْسَى اُنْسِي رَجُلٌ لِيُظِلَّ جَاهِكَ بَعْدَ اللّهِ مُفْتَقِرٌ
إِنِّي فَنَّاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي مَبْنِي جَنِيْتُ، فَقُلْ لِي كَيْفَ أُعْتَذِرُ؟

٣ أدرك فَنَّاكَ

نهضة الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء ١٨٩٩، وبعث بالآيات من السودان:

تَبَسَّمَ المِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَدًّا لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مِعْطَالٌ
تَبَسَّمَ النَّبِيُّ مَرَحًا فِي قَبْرِهِ لَمَّا سَمَوْتَ وَارْتَضْتَ إِلَى وَطِيقَةِ الإِفْتَاءِ، وَكَانَتْ مِعْطَالًا، عَيْرَ مَتْرُكَةً
بِالْخُلُقِ

يَا مَنْ نَبِمَنْتِ الْفُتْيَا بِطَلْعِهِ أَدْرُكَ فَنَّاكَ فَقَدْ ضَاعَتْ بِهِ الْحَالُ
يَا مَنْ نَبِمْتَ، تَفَاعَلْتَ، وَطِيقَةُ الْفُتْيَا بِطَلْعِهِ، مَحْيَا، الْحَقُّ فَنَّاكَ فَهَرُ فِي ضَبْنٍ، وَحَالَتِ، وَهُوَ
ضَابِطٌ بِالسُّودَانِ، صَبَّةٌ

٤ جيش الأقداح

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا جِيوشَ الدَّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحٍ
فَهَبُوا إِلَى خِمَارَةٍ قَبِيلٍ إِنَّهَا قَعِيدَةُ خَمْرِ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
الخمارة: صاحبة الحانة

وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظِلْمَا نُحَاوِلُ وَزْدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
جئنا عطشانين نحاول ورود الخمر رغم اللاحي، المربخ

فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى وَفِي وَدْفِهَا، وَاسْتَمْرَضَتْ جِيوشَ أَقْدَاحٍ

٥ عكوف

ذكرى مجلس شراب، بعث بها من السودان لأصحابه بمصر:

رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى مَا تَعَاهَدْنَا، وَكُنَّا فَاعِلِينَ
فَقَضَيْنَاهُ، وَلَمْ نَحْفِلْ بِمَا سَطَّرَتْ أَيْدِي الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ
الكرام الكاتبون: ملائكة تسجل كل ما يفعل الإنسان

وَتَوَائِبُنَا إِلَى مَشْمُولٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ تَسُرُّ النَّظَائِرِينَ
عَمَدُ السَّاقِي لِأَنَّهُ يَقْتُلُهَا وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَيْتَ مِنْذُ سَنِينَ
قتل الخمر يكون بمزجها بالماء، وهي بكر أحصت، وكانت مصونة، لم تمسها يد، منذ عُصِرَتْ

نَمَ لَمَّا أَنْ رَأَى عِفَّتَهَا خَافَ فِيهَا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
وَأَجَلْنَا الْكَأْسَ فِيمَا بَيْنَنَا وَعَلَى الصُّهْبَاءِ بَيْنَنَا عَاكِفِينَ

٦ القطيعة

يعاتب محمد البابلي، نشرت (١٩٠٠):

أَحْيَى وَاللَّهِ قَدْ مَلِئَ الْوِطَابُ وَدَاخَلَنِي بِصُحْبَتِكَ ارْتِيَابُ
ملئ الوطاب، امتلأ الوعاء وفاض بي ومللت منك، وصرت مرتاباً بصدافتك

رَجَوْتُكَ سَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابِ
نَبَذْتُ مَوَدَّتِي، فَاغْنَأْ بِبُعْدِي فَأَخِرْ عَهْدَنَا هَذَا الْكِتَابِ

٧ أضرحة الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرَزُّقُونَ بِدِرْهَمٍ وَيَأْلَفُ الْفِئَةُ تُرَزُّقُ الْأَمْوَاتِ
عند قبور الأولياء صناديق يضع فيها الناس الدراهم

مَنْ لِي بِحَفْظِ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَخْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْقَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا بَحْرُ النُّذُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ

٨ قَلَمًا لَوْ سَمَحْتَ!

مدح محمود سامي البارودي، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٠٠):

أَعِزَّنِي لِمَدْحِكَ الْبِرَاعَ الَّذِي بِهِ تَحُطُّ، وَأَقْرِضْنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا
البراع: القلم

سَلَبْتُ بِحَارَ الْأَرْضِ دُرَّ كَنْزِهَا فَأَمَسْتُ بِحَارُ الشَّعْرِ لِلدُّرِّ مَوْرَهَا
الدر: اللؤلؤ. المعنى الملموح: كأنك - بإحياك الشعر وإعادته إلى رونقه القديم - جعلت كل
لآلئ البحار موجودة في الشعر، فصارت «بحور» الشعر مصدر اللؤلؤ

٩ البدلة القديمة.. والجديدة

يصف كساء له، نشرت (١٩٠٠):

لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ أَنَا فِيهِ أَتَيْتُ مِثْلَ الْكِسَانِي
الكساني: من نحاة الكوفة، ومشاهير القراء

صَجَّجْتَنِي قَبْلَ اصْطِحَاكِكَ دَهْرًا بَذَلْتُ فِي تَلَوْنِ السَّحَرَاءِ

كأنت بدلتك السابقة بتغيير ألوانها فتبعت لتعرضها للشمس والمطر فهي كالحرباء

نَسَبُوهَا لِطَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءٍ

طيلسان ابن حرب: كساء جاء ابن حرب للشاعر الحمدي، وظل يعيره به حتى بعد أن اهترأ الكساء شر اهتراء، وكُتبت في هذه الكساء أشعار كثيرة

كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَاسْتَعَارَتْ لَوْنَ وَجْهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

يا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي فَوْقَ مَا أَشْتَهِي وَفَوْقَ الرُّجَاءِ

قِيَمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءِ

قَعَدَ الْفَضْلُ بِي، وَقُمْتُ بِعِزِّي بَيْنَ صَخْبِي، جُزِيتَ خَيْرَ الْجَزَاءِ

١٠ الذنب للقدماء

عام (١٩٠٠):

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي يَا سَاقِيَّيْ عَلَيَّ بِالصُّهْبَاءِ

مَشْمُولَةٌ لَوْلَا الثَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ تَحْرِيمِهَا، وَالذَّنْبُ لِلْقَدَمَاءِ..

لولا أنني بقي لتعجبت كيف أن الله حرم الخمر، والذنب في تحريمها للقدماء..

قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا نَزَلَ الْكِتَابُ بِحُكْمِهِ وَجَلَاءِ

فقد قربوا الصلاة سكارى بعد أن قال لهم القرآن فلا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، فحرم الله الخمر تحريماً كاملاً

يَا طِبَّ جَالِينُوسَ فِي أَنْوَاعِهِ مَا لِي أَرَاكَ كَشْبِرَةَ الْأَعْدَاءِ

أيتها الخمرة.. يا طب جالينوس، لماذا يجورون عليك كثيراً..

عَصْرُوكَ مِنْ خَدْيٍ سَهْلٍ خُلْسَةً ثُمَّ اخْتَبَبَاتِ بِمُهْجَةِ الظُّلُمَاءِ

عصرك من خدي نجم سهل، وهو نجم لامع محمر، ثم عثوك في قلب الظلام

فَلَبِثْتَ فِيهَا قَبْلَ نَوْحِ حِقْبَةٍ وَتَدَاوَلَتْكَ أَنْامِلُ الْأَنْاءِ

فبقيت في قلب الظلام زمناً سبق نوح، وتداولتك أصابع الأناء، العصور

حَتَّى أَنَاخَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي بِيَدِ الْكَرِيمِ وَرَاخَةَ الْأَدْبَاءِ

حتى أذن الله أن تظهري بهيئة في يد الكريم وفي أكف الأدباء

١١ الكاس والطاس

بعث حافظ بهذه الأبيات إلى الكاتب محمد المويلحي (١٩٠٠):

أَوْشَكَ الدِيكَ أَنْ يَصِيحَ، وَنَفْسِي بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَخَذْسِي
يَا غُلَامُ. . المَدَامَ وَالْكَاسَ وَالطَّاءِ مَنْ، وَهَيَّءْ لَنَا مَكَاناً كَأَمْسِي
أُظْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غِيَابِ هَذَا الدَّ نَّ، وَأَمْلَأْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَسِي
خُمْرَةً قَبْلَ إِنَّهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُذُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسِي

١٢ اليأس

نشرت في ديسمبر/كانون الأول (١٩٠٠):

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَتَعَلَّ الدَّمَ وَهَدْتُ وَمَا أَهْبَيْتُ إِلَّا الشَّنْدُمَا
أَتَعَلَّ الدَّمُ: أَلَسَ الدَّمُ كَأَنَّهُ نَعْلُ

لَحَى اللَّهُ هَذَا الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ تَهَلَّتْ مِنْ بُنْيَانِنَا مَا تَهَلَّتْ
القاسطين: الظالمين

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّمَادَ بَيْنَهُمْ فَلَا تُكْ مِصْرِيّاً وَلَا تُكْ مُسْلِمَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودَعٍ رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسَاءً وَمُفْنَمَا
أَضْرَّتْ بِهِ الْأُولَى فَهَامَ بِأَخِيهَا فَإِنْ سَاءَتِ الْأُخْرَى فَوَيْلَا مِنْهُمَا
الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

فَهُبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نُكْباً وَأُظْلِفِي سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَتَحَطَّمَا
نُكْباً: أُنْبُءٌ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ

فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَغْصَمَا
أعصم: أكثر حماية

فِيَا قَلْبَ لَا تَجَزَعْ إِذَا عَصَكَ الْأَسَى فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَسْأَلَمَا
وَيَا قَدَمِي مَا مِزَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلَمَا
فَلَا تُبْطِئِي سِيراً إِلَى الْمَوْتِ، وَاعْلَمِي بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمَا
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَسَمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرُّضَا وَجَسَمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا

مُعْلَمًا: متخذًا شارة الحرب، وكان الفارس البطل يميز نفسه بعلامة

فَمَا اسْطَغْتِ أَنْ تَسْتَمِرِّي مَرَّ طَعْمِهِ وَمَا اسْطَغْتِ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَا
 فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِنَا فَتَجَمَّلِي فَإِنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذَاقًا وَمَطْعَمًا
 وَيَا قَبْرُ لَا تَبْخُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةِ عَلَى صَاحِبِ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلَامَا
 يريد أن يكون قبره كريماً فيرد التحية على من يزوره!

١٣ الإخفاق بعد الكدّ

نشرت (١٩٠٠):

كَمْ هُمْتُ فِي الْبَيْدِ وَالْأَرَامِ قَائِلَةٌ وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
 هَمْتُ عَلَى وَجْهِي كَثِيرًا فِي الصَّحَارَى وَالْأَرَامِ، الظَّيَاءِ، قَائِلَةً، غَافَةً فِي قَبُولَةِ، وَالشَّمْسِ مَلْتَبَةِ
 وَكَمْ لَيْسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِسَةٌ وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَاشِي لَدَى الثُّوبِ
 كَمْ قَدْ لَيْسْتُ ثُوبَ الظَّلَامِ وَالتُّرَابِ نَاعِسٍ مَرْطَبٍ بِالنَّدَى، وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَاشِي، قَلْبِي، لَدَى
 حلول المصائب

وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسَبُنِي لَدَى السُّرَى ثَامِنًا لِلتَّبَعَةِ الشُّهُبِ
 لَكُنْتُ غَيْرُ مَجْدُودٍ، وَمَا قَتَيْتُ يَدُ الْمَقَادِيرِ تُفْصِلُنِي عَنِ الْأَرْبِ
 غير مجدود: غير محظوظ

فَقَدْ عَدْتُ مَصْرُ فِي حَالٍ إِذَا ذُكِرَتْ جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطِبِ
 إِذَا نَطَلْتُ فِقَاعَ السَّجَنِ مُتَكِّئًا وَإِنْ سَكَّتْ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبِ
 قَاعِ السَّجَنِ: كَانَ السَّجَنُ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ حَفْرَةٌ صَافِيَةٌ، كَتَلُكَ الَّتِي سَجَنَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِيهَا
 الْحَطِيئَةَ، (أَلْفِتْ كَاسِبَهُمْ فِي قَمَرٍ مَظْلَمَةٍ، فَافْخَرْ هَلِيكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ)

أُبَشِّرُكَ الْفَقْرَ حَدِيثًا وَدَائِحًا وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ؟

١٤ الأيام دول

نشرت في يونيو/حزيران (١٩٠٢):

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا إِلَّا بِقِيَّةٍ دَمَعٌ فِي مَآقِبِنَا
 كُنَّا قِلَادَةً جِيدِ الدَّهْرِ فَانْقَرَطَتْ وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
 كَانَتْ مَنَارِلُنَا فِي الْعَرْزِ شَامِخَةً لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
 كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَكُنْ تَشْرِقُ إِلَّا عَلَى بِلَدٍ تَحْكُمُهَا مِصْرُ الْقُرْعُونَةِ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ
 نَظَرَ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْإِنْجِلِيزَ كَانُوا فِي وَقْتِهَا كُنْكَ... فَلَا أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ أَحَدٍ

حَنِى عَدُونَا وَلَا جَلَّةَ وَلَا نَشَبَ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌّ يُوَاسِينَا

النشَب: المال

١٥ الملك الساهر

تهته إدولرد السابع البريطاني بتوجيه، أغسطس/ آب (١٩٠٢):

لَا تَعَجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرَا
مَا ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشاً بَاتَ يَحْرُسُهُ عَدْلٌ، وَلَا مَدَدٌ فِي سُلْطَانٍ مِّنْ عَدْرَا
ثَلَّ: هدم

خَيْرَتُهُمْ فَرَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا عَلَى مِرَافِقِهِمْ، وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
الإنجليز حرصوا على مصالحهم، وملكهم حرص أيضاً

تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمُلْكِ مِنْ مَلِكٍ إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَن يَغْرِسُ الشُّجَرَا
وكلهم في الشورى مشتركون حتى البستاني، يشير بإعجاب إلى الديمقراطية في بريطانيا

١٦ أنا البحر

اللغة العربية تشكو حظها بين أهلها، نشرت (١٩٠٣):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَانِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي

رجعت لنفسي - تقول اللغة العربية - فاتهمت حصاني، أي عقلي، وناديت قومي لنصرتي فلم يتحركوا لي، فاحتسبت أجري عند الله في حياتي التي ستقضي.. إذ ها هم أهلي يتركونني أموت

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ، وَلَبَّيْتِي حَقِيقْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي

أنا شابة فهل ترمي الفتاة الشابة بالعقم.. ولبتي كنت عقيماً حقاً فلا أكثرث لرمي بالعقم لأنه عندك حقيقة لا مجرد اتهام

وَلَدْتُ، وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِيسِي رَجَالاً وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بَنَاتِي

على أنني ولدت فعلاً.. فلست عقيماً، ولدت ألفاظاً حسناً وأبناً جليلاً.. ولما وجدت قومي غير أكفاء لبناتي العرائس وأدتهن

وَسِغْتُ كِتَابَ اللّهِ لِفُظٍّ وَغَايَةً وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

كل ما في القرآن من لفظ ومن غرض في هداية الناس ومن عظات قد وسعته وهبرت عنه، أنا اللغة العربية

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصِفِ آلِهِ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءِ لِمُخْتَرَعَاتِ

وقد «نسق» حافظ إبراهيم وزميله خليل مطران أسماء كثيرة لمفاهيم في علم الاقتصاد عندما ترجما كتاب «الموجز في علم الاقتصاد» ونشر عام ١٩١٣، مثال ذلك تعريبهما للبورصة بـ «المَصْفَق».. أي حيث تتم الصفقات، ولعمري لو درج هذا الاسم للبورصة لكان حلواً، وكم من رجل صفقه البورصة صفقات مؤلمة على حر وجهه

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

إن كنت سمعت البرنامج الإذاعي «الفتاة الجميلة» لفاروق شوشة، وفي مقدمة كل حلقة هذا البيت مقروءاً بـ «سألوها» بدل «سألوا»، فهذا جائز في العروض أيضاً، ونظن أن حافظاً كان سيأخذ بهذه القراءة لو سمعها، ففيها مدٌّ كان سيعجب حافظاً الخطيب المتشدّد. لكن «سألوا» أحسن للمعنى، فالعرب أهملوا لفتهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء سؤال الغواص عن دررها ولو مرة واحدة، لا مساعلة مرة بعد مرة

فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى، وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ، وَإِنْ عَزَّ الدُّوَاءُ، أَسَاتِي
أَسَاتِي: أطبائي

فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَلْيَنْسِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْبِيْنَ وَفَاتِي
نكلوني للزمان: تتركوني، وتوكلوا بي الزمان

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزُّ أَقْوَامٍ بِمِزْ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ تَفْتُنًا فَيَا لَيْتَكُمْ تَانُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
في تلك السنين اشتدت الدعوة إلى العامية، وقال بها عدد من المستشرقين الذين رأوا لهجات البلدان العربية مختلفة جداً، ورأوها سائرة في طريق التبلور إلى لغات

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِيْنِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَانِي
كان من بين الدعاة إلى العامية عدد من كتاب مصر أيضاً، وكان هناك من يدعون إلى تبسيط اللغة، ونبد الألفاظ المماتة

أَيُهْجَرُنِي قَوْمِي - عفا الله عنهم - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ
صَرَتْ لُؤَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ

سرت لوة، حنوز، الإفرنج الداعين إلى التجديد والعامية في هذه «اللغة» العربية المجددة التي لم تصل برواة، لم ترد على السنة قدامى الرواة، مثلما يسري سم الأفاعي في مجرى ماء فُرَاتٍ، عذب

فجاءتْ كُثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشْكَلَةً الْأَلْوَانُ مُخْتَلِفَاتِ
اللغة المجلدة كالنوب المرقع.. فهي مشحونة بالكلمات الأجنبية، أو غير المقبولة معجماً

١٧ بشكل عام.. لا شيء

قال في زواج الشيخ علي يوسف صاحب «المؤيد» من صفية السادات ومحاولة والدها
التفريق بينهما لعدم الكفاءة، فالشيخ جورنالجي و«السادات» عائلة تزعم أنها من نسل
الحسين، وتكلمة القصة أن صفية عادت إلى زوجها ورضي أبوها بعد تحايل ووسائط،
ولم يقل حافظ رابعاً صريحاً جريئاً بل حام حول الموضوع، نشرت القصيدة في سبتمبر/
أيلول (١٩٠٤):

فما أنتِ يا مصرُ دارَ الأديبِ	ولا أنتِ بالبلدِ الطَّيِّبِ
وكم فيك يا مصرُ من كاتبِ	أَقَالَ السِّراعَ ولم يَكُثِبِ
وكم غَضِبَ الناسُ مِنْ قَبْلِنَا	لَسَلِبِ الحقوقِ، ولم نَغْضِبِ
أَنابَتَةُ العَصْرِ إِنَّ القَرِيبَ	مُجِدُّ بِمِصرَ، فَلَا تُلْعَبِي

نايئة العصر: النشء الجديد

يقولون: في النشء خيرٌ لنا	وللنشء شرٌّ مِنَ الأجنبي
وكم ذا بِمِصرَ مِنَ المُضْحِكَاتِ	كما قال فيها أبو الطَّيِّبِ
أُمُورٌ تُمُورٌ وَعِيشٌ يُؤُورُ	ونحنُ مِنَ اللُّهُوِ في مَلْعَبِ

عش بُور: يصبح مُراً

وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ	فِرَارَ السَّليمِ مِنَ الأَجْرَبِ
وَصُخْفٌ تَطُنُّ ظَنِينَ الذُّبَابِ	وأخرى تَشُنُّ على الأَقْرَبِ
وهذا يَلُودُ بِقِصْرِ الأميرِ	وَيَدْعُو إلى ظُلْمِ الأَرْحَبِ
وهذا يَلُودُ بِقِصْرِ السِّفيرِ	وَيُظَنِّبُ في وَرْدِهِ الأَعْدَبِ
أَلِفْنَا الحُمُولَ ويا لَيْتَنَا	أَلِفْنَا الحُمُولَ ولم نَكُذِبِ

١٨ أمنية

بهنّ الخديوي عباساً الثاني بالعام الهجري مارس/ آذار (١٩٠٤):

أَمَولايَ إِنَّ الشَّرْقَ قد لَاحَ نَجْمُهُ وَأَنَّ له بَعْدَ المَمَاتِ نُشُورُ
لاح نجمه: بدا في أفقه نجم السعد، والحظ الطيب، والنشور: البعث بعد الموت

جَرَتْ أُمَّةُ الْيَابَانِ شَوْطاً إِلَى الْعُلَا وَمَصَرٌ عَلَى آثَارِهَا سَتَسِيرُ

١٩ أنا يابانية

نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٠٤):

لَا تَلُمُ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي الْعِزْمُ، وَالْدَهْرُ أَبِي
لَا تَلْمَنِي إِذَا نَا سَيْفِي وَلَمْ يَقْطَعْ، أَيْ فَشَلْتُ فِي الْحَيَاةِ . . فَلَقَدْ صَحَّحْتُ الْعِزْمَ، وَلَكِنَّ الدَّهْرَ أَبِي
أَنْ يَسْمَعَنِي بِالْحَطِّ . . كَانَ حَافِظٌ قَدْ تَرَكَ الْجَيْشَ قَبْلَ سَنَةٍ مِنْ تَارِيخِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَعَادَ إِلَى حَيَاةِ
لَا تَخْلُو مِنْ تَشْدِيدِ

رُبَّ سَاعٍ مَبْصِرٍ فِي سَفِينِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا ظَلَمَا
مَرْحَباً بِالْخَطْبِ يَبْلُغُونِي إِذَا كَانَتِ الْعُلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا
مَرْحَباً بِالشَّدَائِدِ إِذَا كَانَتِ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَعَالِي

عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أُورِثُ الْحُسْنَى عَقَفْتُ الْأَدْبَا
إِيَّوْ يَا دُنْيَا أَهْبِيسِي أَوْ فَانِيسِي لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خُلْبَا
يَا دُنْيَا أَنْتَ خِدَاعَةٌ كَالْبَرْقِ الَّذِي يَبْشُرُ بِالْمَطَرِ وَلَكِنْ، لَا يَأْتِي بَعْدَهُ مَطَرٌ

أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمْنِي خَافِلاً مَا يَتُّ أَفْكَو النُّوْبَا
أُمَّةٌ قَدْ نَفَتْ فِي سَاعِدِهَا بُنْصُهَا الْأَهْلُ وَحُبُّ الْغُرْبَا
فَت فِي سَاعِدِهَا: أَخْطَأَهَا

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا وَتُقَلِّدِي بِالنَّفُوسِ الرُّتْبَا
وَكَانَ حَافِظٌ بَرْتَبَةً مَلَاظِمَ أَوَّلٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا مَبَالِيَا وَمُشْرِفٌ مِنَ الْخِدْمَةِ، وَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْمَخَالَفَةِ
لِلضَّبَاطِ الْإِنْجِلِيزِ أَبْهَأَ

وَهْيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا تَعَشَّقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
لَا تُبَالِي لِمِجَبِّ الْقَوْمِ بِهَا أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَالِي لِمِجَا
الْقَوْمِ: الْإِنْجِلِيزِ

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَخَدِيشٍ عَجَبَا:
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي عَادَةً وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَقَبَا
ذَاتُ وَجْهِ مَرْجَ الْحَسَنِ بِهِ صُفْرَةٌ تُنْسِي الْيَهُودَ الدُّعْبَا
وَجْهَهَا فِيهِ صَفْرَةٌ لِأَنَّهَا يَابَانِيَّةٌ

حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً لَا رَهَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَأِ
وَأَنْتَ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ قَتْنِي وَهَلْهُنَّ الْأَقْفَى فِي الْأَقْفَى حَبَا
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشَغْرِ بَاسِمٍ نَظَّمُ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَا
نَعْرَهَا بِاسْمٍ وَتَبْدُو أَسْنَانُهَا الَّتِي كَانَ فَمُهَا نَظْمُهَا مِنَ اللُّوْلُو أَوْ مِنَ الْحَبِّ، فَتَقْفِعُ الْكُورُسُ
نَبِّأُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بِعَمْدَةٍ مُنْقَلَبَا
مقلب: رجوع

وَدَهَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي عَلَنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدُهُ أَبْظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُنْقَلَبَا
الدب: روسيا

فُلْتُ وَالْآلَامُ تَفْرِي مُهْجَتِي: وَبِكَ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا؟
ويك: ويحك، الظبا: الظباء

مَا عَهْدَنَاهَا لِيُظَنِّي مَسْرَحاً يَبْتَغِي مَلْهُىً بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوساً تُشْتَرَى بِالْتَّمَنِّي أَوْ عُقُولاً تُسْتَبَى
الحرب ليست مجالاً للنساء يشترين فيه نفوس الرجال بالأمانى الكوافب، أو يسيين عقولهم بالدلال

أَحْسَبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُذْبِهَا أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالثُّبَا؟
القَد الميامس ليس من عتاد الحرب، واللحظ الفتان ليس كالثبا، سن الرمح

فَسَلِّسْنِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
وَتَقَعْنَتْ الرَّدَى فِي غَارِ أَسْدَلِ النَّفْعِ عَلَيْهَا هَيْدَبَا
افتحمت الموت في غارة هبط فيها النفع، الغبار، فكانه الهيدب، الغيم

فَقَطَبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
يصف الحرب بأنها قطبت جبينها فكانها الموت

جَالِ عِزْرَاتِيْلُ فِي أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّفْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى
ونعت غبار الحرب مشى عزرائيل يخترم الأنفس ويمشي الهيدب، مشية سريعة للإبل

قَدَمِهَا لِلَّذِي يَمُرُّهَا وَالرَّمْيَ يَا ظَبِيَةَ الْبَانِ الْخَبَا
الزمي خبائك، خيمتك أبتها الظبية واتركي الحرب لأهلها

فَأَجَابَنِي بِصَوْتٍ رَافِعِي وَأَرْتَنِي الظَّنِّي لَيْثاً أَغْلَبَا:
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَمَدُّوْا وَزِدَ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَا أَشْرَبَا؟
 أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَنْتَنِي مِنْ مُرَادِي أَوْ أَذَوْقِ الْمَطْبَا
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرُّمِّي، وَلَمْ تَسْتَطِيعَ كَفَّايِ تَقْلِيْبِ الظُّبَا

الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف

أَخَذْتُ الْجَرَحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأَوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
 هَكَذَا الْمِيكَادُ قَدْ صَلَّمْنَا أَنْ تَسِرَى الْأَوْطَانُ أُمَّأً وَأَبَا

الميكادو: كلمة يابانية كانت تستعمل في الإنجليزية لتعني «الفضرة الإمبراطورية اليابانية»، ولا يستعملها اليابانيون

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَبْتَهُ حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرِ قُلُبَا

الحَوْلُ القُلْبُ: اللامية الأريب

كَانَ وَالْتِاجَ صَغِيرَيْنِ مَعَاً وَجَلَّالَ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصُّبَا

أيامئذ كان الإمبراطور الياباني هو «موتسوهيتو»، وهو أول أباطرة أسرة مييجي، بدأ الحكم وهو في الخامسة عشرة، كان صغيراً وكان تاج الأسرة جديداً، وفي عهد بدأ النهوض الكبير لليابان

فَقَدْ هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوُكْبَا
 بَعَثَ الْأَمَةَ مِنْ مَرْقَلِيهَا وَدَعَاها لِلْعُلَا أَنْ تَذَابَا
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرِبَا

شأوه: غايته. ومع أسرة مييجي نهضت اليابان نهضة أدهشت العالم، وأكثر شخص في هذا العالم اندهش منها وهش لها حافظ إبراهيم، لأن قلبه كان يخفق بشوق لأن تنهض مصر مثل اليابان

٢٠ الصفرة والبيض

الحرب اليابانية الروسية، نشرت في نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٠٤):

أَسَاحَةٌ لِلْحَرْبِ أَمْ مَخْشَرُ وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟

أهذه ساحة حرب أم يوم القيامة الذي تحشر فيه النفوس؟ وهذا مورد، منهل وينبوع، للموت، أم هو نهر الكوثر في الجنة؟ وما الذي حشر نهر الكوثر هنا؟ سوى القافية، وسوى أن المحشر استدعاه، رغم أن المعنى ياباها

وَهَذِهِ جُنُودٌ أَطَاعُوا مَوِيَّ أَرِيَابِهِمْ، أَمْ نَعَمْ تُنَحَرُّ؟

أريابهم: أسيادهم، نَعَمْ: أجل

لَهُ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأَلَى قَامُوا بِأَمْرِ الْمُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا!

الآلى: الذين، استأثروا: استبدوا

وَعَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ فَأَمَعْتُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَغَمَرُوا

قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا

البیض: الروس

وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْثَانِهِمْ لَا يُغْمِلُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا

الصفرة: اليابانيون

فَمَاتَتِ الْأَرْضُ بِأَوْثَانِهَا حِينَ النِّقْيِ الْأَبْيَضِ وَالْأَصْفَرِ

وَأَمَلَتْهَا خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ يَلْهُو بِهَا الْمَيْكَادُ وَالْقَيْصَرُ

الميكادو: لقب إمبراطور اليابان، والقيصر: لقب إمبراطور روسيا

وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أُخْتَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقَقُ الْأَخْمَرُ

أخت الأرض: الشمس

وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوقَانَهَا لَعَلَّهَا مِنْ رِجْسِهَا تَظْهَرُ

لعلها المازني في كتابه الذي ندم عليه أن البيت مستوحى من أبي العلاء: (وَالْأَرْضُ لِلطُّوقَانِ مُشْتَاقَةٌ/ لَعَلَّهَا

مِنْ دَرَجٍ تُفْسَلُ)، وانظر كتابنا «تألق الشعر»، وفيه مئة وخمسون صفحة من مختاراتنا من شعر أبي العلاء،

مسبوقة بثلاثين صفحة من قصة حياته. وكانت أبيات لزوميات أبي العلاء مما يشهد به حافظ كثيراً

أَشْبَعَتْ بِأَخْرَبِ ذَنَابِ الْفَلَا وَغَضَّتِ الْعُقْبَانُ وَالْأَنْسُرُ

هذا لما أكله هذه الجوارح والكواسر من لحم الفلى

وَمِيرَتِ الْحَيَاتَانُ فِي بَحْرِهَا وَمَطَمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْلَرُ

ميرت: رُؤِدت بالميرة أي الغذاء، لا يقدر: لا حيلة

إِنْ كَانَ هَذَا الدَّبُّ لَا يَنْتَنِي وَذَلِكَ السُّنِّيُّ لَا يُقْهَرُ

وَالْبَيْضُ لَا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ

فَمَا لَيْتَكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ

إن كانت النتيجة مجرد قتل بغير حسم، فلماذا الحرب والقتيل؟ والواقع أن اليابان حسمت الحرب

لصالحها بنصر مؤزر

تَسُوْنَا الْحَرْبَ وَإِذْ أَصْبَحْتَ تَدْعُو رَجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا

يفخر الشرقيون بانتصار اليابان الشرقية على روسيا التي تعد من بلدان الغرب

أَتَى عَلَى الشَّرْقِيِّ حِينٌ إِذَا مَا ذُكِرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذْكَرُ

وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ

حَتَّى أَعَادَ الصُّفْرُ أَيْمَانَهُ فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ

٢١ رثاء محمود سامي البارودي

يناير/ كانون الثاني (١٩٠٥):

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِنِّي عَيْبٌ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي

مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضَبِي لَا تُطَاوِعْنِي وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟

لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتُ عَنْهَا لِبَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ

رَحَلْتَ عَنِ الدُّنْيَا بَعْدَ أَنْ فَعَدْتَ بِكَ الْعَالَ، وَفَقَدْتَ الْبَصْرَ، فَلَمْ يَبْقَ لَكَ تِلْكَ اللَّيَالِي السَّوْدُ الْكَثِيَّةُ، وَلَا تِلْكَ الْبَيْضُ فِي أَيَّامِ حَزَنِكَ بِمَا فِيهَا مِنْ لَهْوٍ

أَغْمَضْتَ عَيْنِيكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَلَمْ تَحْفَلْ بِمُوجُودِي

تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْعَلِهِ تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَزْيِ الْمَاءِ فِي الْعُودِ

إِنْ هَذَا رُكْنُكَ مَنَكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ لَكَ الْفَضِيلَةُ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ

بنكبتك يا محمود سامي البارودي، وهزلت وفيك إلى سيلان هُذ ركنك، ولكن فضلك رفع لك ذكراً عالياً

إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزَلٍ وَقَوْلِيَةٍ غَيْرُ الْمَوَاقِبِ فِي ذِكْرِ وَتَغْلِيظِ

أَكْرِمُ بِهَا زَلَّةً فِي الْحَمْرِ وَاجِدَةً إِنَّ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مُحَمَّدٍ

الزلة: الخطأ في تقدير الموقف أثناء الثورة العربية، ولكن.. لعلها ليست زلة بل موقف وطني مشرف

كَمْ وَقَفَ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صَنِيداً بِصَنِيدٍ

نَسَحَتْ يَوْمَ كَرِيدٍ كُلَّ مَا نَقَلُوا فِي يَوْمِ ذِي قَارَ عَنْ هَانِي بْنِ مَسْعُودٍ

يوم كريد: الحرب في جزيرة كريت تحت الراية العثمانية. وكان البارودي ضابطاً في تلك الحملة، وهاني بن مسعود بطل ذي قار

أَوْدَى المَعْرِي تَقِيَّ الشَّعْرِ مُؤْمِنُهُ فَكَادَ صَرَحَ المَعَالِي بَعْدَهُ يُودِي
 مات المعري الذي كان تقياً وموئناً في شعره (وإن لم يكن كذلك في معتقده!) وكاد صرح الشعر
 يموت بعد المعري، وقد ظل الشعر يتحدر بعد المعري ألف سنة حتى جاء البارودي فأحياء

وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَنْبُذُهُ كَأَنَّهُ دَسَمَ فِي جُوفِ مَمْعُودِ
 الممعدود: المصاب في معدته. وكان حافظ يشكو دائماً من أمعائه ويقول إنها نقطة الضعف التي
 ستقتله.. ونال حافظ علفة ساخنة على هذا التشبيه من النقاد

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَعْيَتُهُ فِرَاحَ يَعْتَرُّ فِي حَنَوٍ وَنَمْعَقِيدِ
 ألوى بالشعر الضعف، أي أنهكه، واسترخت أعتته، كما يصبح مقود الفرس رخواً غير مشدود فهو
 متمب قد كف عن الجري. وهذا من بيت الطرماح، يتخيل كيف سيصبح حال الشعر بعد موته:
 (إِذَا قُبِضْتُ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقْتُ/ غُرَى المَجِيدِ وَاسْتَخَى مِنْهُ الْقَصَائِدِ)

٢٢ سلام على الإسلام

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، أغسطس/ آب (١٩٠٥):

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ عَلَى أَيْمِهِ النُّظُرَاتِ
 على الدين والدنيا، على العلم والحجبا على البرِّ والتقوى، على الحسناتِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى هَادِي المَوْتِ قَبْلَهُ فَاصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
 فواللهي - والقبرُ بيني وبينه - على نظرةٍ مِنْ تِلْكَمُ النُّظُرَاتِ
 انحسر ألباً الآن، إذ يقف القبر هائفاً بيني وبين الإمام، على نظرة من نظرائه

وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي - حِيَالِ القَبْرِ - فِي عَرَافَاتِ
 وقفت حاسراً عن رأسي. وعندما كنت حيال قبر الإمام، أي بجانبه، كنت كأني واقف بعرفات
 خشوعاً. التسويد من عمران القفني

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ أَيْتَرُكَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حُمَاةٍ؟
 تباركت يا رب، أترك الإسلام بدون حماة يحمونه؟

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى وَلَانْتُ قِنَاءَ الدِّينِ لِلْعَمَزَاتِ
 لات قنأة الدين للغمزات: أصبح مكشوقاً معرضاً للاعتداء

زَرَعْتَ لَنَا زَرْعاً فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ وَبِنْتَ وَلَمَّا نَجَعَتِ الثَّمَرَاتِ
 أخرج شطاء: أنبت رؤوس سنابله، بنت: فارقت

مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عَجَباً بِرَبِّهِ وَيَخْطِرُ بَيْنَ اللَّمَسِ وَالْقُبَلَاتِ
 مَشَى النَعَشُ مَخْتَالاً فَخَوِراً بِرَبِّهِ، بِصَاحِبِهِ، وَالنَّاسِ يَلْمُسُونَهُ وَيَقْبَلُونَهُ تَرْكاً
 تَكَادُ الدَّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تُقِلُّهُ وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِيرَاتِ
 نقله : تحمله

٢٣ آلة تسحق الكسل

إلى رجال الدنيا الجديدة، أنشدها في حفل كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع
 الشهادات على خريجاتها، مايو/ أيار (١٩٠٦):

كَاشِفَ الْكَهْرِبَاءِ لِيَتَكَ تَعْنَى بِاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَّا الطَّبَاعَا
 آلَةُ تَسْحَقُ الثَّوَاكِلَ فِي الشَّرِّ قِي، وَتُلْقِي عَنِ الرِّيَاءِ الْقِنَاعَا
 بهيب بلديسون أن يخترع آلة تزيل الكسل والنفاق

٢٤ إلى ناظر المعارف

سعد زغلول، نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٦):

يَا سَعْدُ أَنْتَ مَسِيحُهَا فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ خَدَا
 والمسيح أحياء الموتى

يَا سَعْدُ إِنَّ بِمِصْرَ أَيْدٍ خَاماً تُؤْمَلُ فِيكَ سَعْدَا
 السعد: الحظ الحسن

فَدَقَامَ بَيْنَهُمْ وَيَدِ نَ الْوَلَمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدَا
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمَسْتَشَا رَ إِذَا تَمَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى

كان دنلوب هو «المستشار» الإنجليزي لشؤون التعليم، وسعد زغلول هو الوزير، وكان بينهما شد
 وحذب. سعد يريد تعليمًا وطنيًا واسعاً والمستشار الإنجليزي يريد تعليمًا ضيقاً يوفر طبقة مواطنين
 لإدارة الروتين الحكومي

فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِيدَ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ
 هِيَ سُنَّةُ الْمُخْتَلِّ فِي كُلِّ الْعُصُورِ، وَمَا تَعْدَى
 وما تعدى: ما تجاوز المتوقع منه، ولكنه بالطبع معتد أثير

٢٥ صيدوا العباد

حادثة دنشواي، وقُتل فيها جندي إنجليزي، ربما بضرية شمس وهو يصطاد ورفاقه الحمام، فشنت الإنجليز أربعة رجال وجلدوا العشرات في قرية دنشواي، بعد محاكمة هزيلة ثار لها الإنجليز أنفسهم، وأدت إلى هزل المعتمد البريطاني كرومر بعد أشهر. فصلنا القول في الحادثة في الفصل المخصص لأحمد شوقي. نشرت القصيدة في يوليو/تموز (١٩٠٦):

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولأنا والودّاد
القائمون بالأمر: الإنجليز

خَفَضُوا جِبَشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئاً وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
وَإِذَا أَفْوَرَتْكُمْ ذَاتُ طَسْوِي بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا قَصِيدُوا الْعِبَادَا
إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءَ لَمْ تُفَاوِزْ أَطَوَانُنَا الْأَجِيَادَا
لبعض الحمام شبه أطواق من الريش عند الرقبة، ونحن مطوقون بقيود الاحتلال في أجيادنا، رقابنا

لَا تُقِيدُوا مِن أُمُو بِقَنِيلٍ صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
تقيدوا: تقتصوا قصاصاً

جَاءَ جُهَاًلُنَا بِأَمْرِ وَجِئْتُمْ ضِغْفَ ضِغْفِيهِ قَسْوَةً وَاشْتَدَادَا
لَيْتَ شِعْرِي أَنَّكَ مَحْكَمَةُ التَّفْ شَيْخِي عَادَتْ أَمْ هَهُدُ نِيرُونُ عَادَا؟
محاكم التفتيش: محاكم ظالمة عقدها الإسبان على مدى ٣٥٠ سنة للتخلص من آثار الحكم العربي في الأندلس، نيرون: إمبراطور روماني قيل إنه أحرق روما وقعد يتفرج عليها

كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشْفِي مِنْ ضَمِيفِ الْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا
إِنَّهَا مُثَلَّةٌ تُشِفُّ عَنِ الْقَبِّ خُظَ وَلَسْنَا لِمَقْبِظِكُمْ أُنْدَادَا
التشفي بالضميف هو كالمثلة، أي التمثيل بالمقتول

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَا

المدعي العمومي في تلك المحكمة كان إبراهيم الهلباوي، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول أخا سعد زغلول، وقد كان الهلباوي من أشهر المحامين، وندم على فعلته واعتذر من مواطنيه بعد أربع سنين، وكان له دور في الحركة الوطنية، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول من كبار المثقفين والداعين للتحرر ومن الوطنيين في الحركة العربية. ولكن الرجلين عاشا بعد دنشواي وماتا خائنين، وظل الشعب يحترهما لأنهما احتقرا الشعب ورضيا أن يكونا أداة للمحتل. ألا إن الإنسان موقف

قَدْ ضَمِينَا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِصْرٍ وَضَمِينًا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا

وترقى الهلباوي فعلاً بعد دوره الشيع

لَا جَرَى النِّيلُ فِي تَوَاحِيكِ يَا مِصْرَ رُّ، وَلَا جَادِكِ الْحَبَا حَيْثُ جَادَا

الحيا: المطر

أَنْتِ أَنْبَتْ ذَلِكَ النَّبْتَ يَا مِصْرَ رُّ فَأَضْحَى عَلَيْكِ شَوْكَا قَنَادَا

القناد: الشوك

إِيو يَا مِثْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ سَادَ فِي عَقْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا

المدرة: الزعيم

أَنْتِ جَمَلَانَا فَلَا تَنْسِ أَنَْا قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْجِدَادَا

قيل: أنشد المصريون هذا البيت في جنازة الهلباوي عام ١٩٤٠

٢٦ الظلم المنظم

شكوى مصر من الاحتلال، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩٠٧):

لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فَهَذَّبَتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنَظَّمًا

فَمِلُّنَا عَلَى جِزْرِ الْجَمَادِ وَذُلُّنَا فَأَعْلَبْنَاهُ طِينًا وَأَرْخَضْنَاهُ دِمَا

إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا فَلَا أَطْلَعَتْ نَبْتًا وَلَا جَادَا السَّمَاءَا

السا: المطر

نَهَشَ إِلَى الدِّبْنَارِ، حَتَّى إِذَا مَشَى بِهِ رُيَّةٌ لِسُوقِ الْفَاءِ وَزَهَمَا

فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ - وَالْخَفَضُ وَارِفٌ - قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَغَيَمَا

٢٧ العهدة على الراوي

وداع اللورد كرومر، قالها عند استقالته، ونشرت في أبريل/نيسان (١٩٠٧):

سَلَامٌ، وَلَوْ أَنَا نُسِيءُ إِلَى الْأَلَى أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدَا

مَنْطَرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَقْضَيْتَهَا عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ الْيَدَا

أبايك: أفضلك

أَمِنَّا فَلَمْ يَسْلُكْ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكًا وَنَمِنَا فَلَمْ يَطْرُقْ لَنَا الدُّعْرُ مَرْقَدَا

وَكُنْتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَحْمِي ضَعِيفَنَا وَتَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عَدَا
تَشَعَّبَتِ الْأَرَاءُ فِيكَ: فَقَائِلُ أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
وَأَخْرُ لَمْ يَقْصِرْ عَلَى الْعَالِ هَمُّهُ يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالِ لَا يَكْفُلُ الْهُدَى
بعضهم نظر إلى فوائد حصلت عليها البلاد في عهد كرومر وبعضهم قال إن المال ليس كل شيء.

قَضَيْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ، وَإِنَّهُ قَضَاءُ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلُ إِلَى الرَّدَى
كان كرومر قليل الاعتبار للغة العربية وللدين الإسلامي، ويرى أن طريق مصر هو التحرر من الماضي

وَوَافَيْتَ وَالْقُطْرَانِ فِي ظِلِّ رَايَةٍ فَمَا زِلْتَ بِالسُّودَانِ حَتَّى تَمَرَّدَا
وَحَاوَلْتَ إعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَةً تَجَرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدَا
شجع كرومر الأجانب ونشاطهم التجاري، ومنحهم امتيازات غير متاحة للمصريين، وهذا جر على مصر الذل السرمدي، الأبدى

وَزَاخَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ خَبِيرٌ، وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدَا
وَمَا الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ سِوَى شَرِكٍ يُلْقِي بِهِ مَنْ تَصَيَّدَا
المتصيد لخيرات البلاد الأخرى يلقي الشرك، أي الشبكة، في هذه البلاد على هيئة شركة. الدول الخائرة العزم، حتى يومنا هذا، تتغنى بالاستثمار وتشجع الاستثمار وجلب الاستثمارات الأجنبية. ما لها لا تتغنى بالتصنيع والتعليم كي يفتح أهل البلد المصانع والشركات؟

فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسُ أَلْسُنُ إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مُفَنِّدَا
اكتفى حافظ من وداع كرومر بسرد ما يقوله الناس من مباح وقادح. ولم يفت هذا الموقف الخش متفدي حافظ

٢٨ رثاء قاسم أمين

يونيو/حزيران (١٩٠٨):

لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً لَمْ تَشْكُ، لَمْ تَسْتَوْصِ، لَمْ تُقْلِ
مُتَّ مَوْتًا ارْتَجَالًا بَلَا شَكْوَى مِنْ مَرَضٍ وَيَلَا وَصِيَّةٍ

إِنْ رَيْتَ رَأْيًا فِي الْحِجَابِ وَلَمْ تُعْصِمْ، فِتْلَكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
لئن كنت ريت، أي رأيت، رأياً ضد الحجاب، ولم تُعْصِمْ من الخطأ، فلا بأس فالحصمة للأنبياء

الْحَكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرَجِعُهُ فِيمَا رَأَيْتَ، فَتَنْمِ وَلَا تَسَلِ
فلا تهتم، فالحكم بشأن الحجاب متروك للأيام المقبلة

وكذا ظهراء الرأي تتركه للدمر يُنضِجُه على مهل
فلإذا أصبت فانت خير قتي وضح الدواء مواضع العلل
أو لا، فحسبك ما شرفت به وتركت في دنياك من عمل

٢٩ الدخول بين السلطان والوالي

تهته السلطان عبد الحميد بعبد جلوسه، سبتمبر/أيلول (١٩٠٨):

مُني على دار السلام تحيةً وعلى الخليفة من بني عثمان
دار السلام، هنا، إستانبول عاصمة الخلافة

وعلى رجال الجيش من ماشي به أو راكبي أو نازح أو داني
يحي من الجيش المشاة والخيالة، والنازح البعيد في مهمة، والداني القريب المرابط في الديار
وعلى الألى سكنوا إلى الحُسنى، سوى ذاك الذي يدعو إلى العصيان
الألى: الذين

والي الحجاز الخارجي، وما به إلا اقتناص الأصفر الرنان
بغلاف والي الحجاز الخارجي العاصي الذي يقتنص الأصفر الرنان، الذهب، من أموال الحج
ما للشريف المنتمى حسباً إلى خير البرية من بني عدنان..
ما لي أرى شريف مكة الذي ينسب إلى النبي..

أمسى يمالئه وينظر عيه وضلاله بحالة العربان
ما لي أراه يمالئ الوالي، يطاوعه، ويؤيد ضلاله يحض من أبناء القبائل من الحثالة، أردأ الناس
تأله لو جئتما رمل النقا ونزلتما بمواطين العقبان..
لما والي الحجاز وما شريفها لو جئتما من الجنود بعدد حبات رمل النقا، الكتيب، ولو رابطتما
في أماكن العقبان، الصقور والنسور، في معاقلة الجبلية..

وغرستم أرض الحجاز أمانةً وأسلمت بحراً من النيران..
ولو غرستم أرض الحجاز بأمانة الرماح، ولو سالت النيران من أسلحتكما..

وأقمتما فيها المعاقلة منعةً من أرض نجد إلى خليج عُمان..
ولو أقمتما الحصون المنيعية من نجد إلى عمان..

لَدَهَاكُمَا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا مَاحِيِ الْحُصُونِ وَمَاسِيحُ الْبُلْدَانِ
لدهاكما السلطان العثماني، فاجأكما بالنكبة، ولترككما كالغبار تنفروه الريح... فهي الذي يمحو
الحصون ويمح البلاد مسحاً

٣٠ سورة ومصر

القاهيا في فندق شبرد لتكريم جماعة من السوريين، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٠٨):

لِمِصْرَ أَمْ لِرَبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ هُنَا الْعُلاَ وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقُ يَجِبُ

لا زالت: أدهو الله أن تبقى، وخير لا زال الجملة الإسمية (قلب الهلال خافق) الهلال: رمز
الدولة العثمانية وكانت آنذاك تحكم مصر إسمياً وبلاد الشام فعلياً، يجب: يخفق

خِذْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهْثَكِ سِتُورُهُمَا وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ

خدران للضاد: بيتان للغة العربية، والخدر حجرة النساء في الخيمة أو البيت

أُمُّ اللُّغَاتِ قَدَاةُ الْفَخْرِ أَهْمُهَا وَإِنْ سَأَلْتَ هِيَ الْأَبَاءُ فَالْعَرَبُ
إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النِّيلِ نَازِلَةٌ بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ

نازلة: مهية، الراسيات: الجبال

وَإِنْ دَعَا فِي تَرَى الْأَهْرَامِ دُوَ أَلَمِ أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُنْتَجِبُ
لَوْ أَخْلَصَ النِّيلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدُهُمَا تَصَافَحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاءُ وَالْعُشْبُ
نَسِيمَ لُبْنَانَ! كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ مِنْ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ؟
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسْعَرَةٌ تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبُ

أنفاس المقتربين في أصقاع الأرض تهفو، تهب حينئذ، إلى الوطن لبنان

لَوْلَا طِلَابُ الْعُلاَ لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا مِنْ طَيْبِ رِيَّاكَ، لَكِنَّ الْعُلاَ تَعَبُ

التسويد لعمران القفيني

كَمْ غَادَةً بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِتَةٍ عَلَى أَلْفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ
كَمْ فَتَاةٌ تَبْكِي عَلَى زَوْجٍ رَمَى بِهِ طَلَبُ الْمَعَاشِ إِلَى الْهَجْرَةِ

يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ وَتَسْتَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ
يذهب وليس معه إلا العزم، ويتشي، أي يعود، ومعه مجد ومال

بَارِضٍ كُولُْمَبٍ أَبْطَلُ حَطَارِفَةٍ أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وُوثِبُوا وَتَبُوا

أرض كولب: أميركا، وفيها أسود بلاد الشام الذين يفزون على الرزق قهراً. جمعي جامع ذات سنة، لعلها ٢٠٠٧، بوزير الخارجية البرازيلي، وكانت تصحبه زوجته. وسأله ملياً عن أبناء بلده ذوي الأصل الشامي، ويسمونهم توركو، أي الأتراك لأنهم هاجروا في زمن كانت بلاد الشام فيه تحت الحكم التركي، وكنت مهتماً بسيرة الشاعرين القروي وفرحات اللذين عاشا في البرازيل، وتحدث طويلاً، وفي ختام حديثه أشار إلى زوجته الجالسة بجانبه: «هي أيضاً سورية الأصل»

أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَجِلٌ وَجِيشُهُمْ حَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُفْتَرِبٌ
مَا هَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نَثَرُوا فَالشُّهْبُ مَنُورَةٌ مَذْكَانَتِ الشُّهْبُ
رَادُّوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْ وَجَدُوا إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْباً صَاعِداً رَكِبُوا

كانوا رواداً لمنايع الرزق

سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُوداً وَمَا قَبِلَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
أم اللغات، اللغة العربية، انتعشت على السنة، وفي صحف، المغتربين زمناً. ثم ماتت في الأجيال
اللاحقة

فَأَيْنَ كَانَ الشَّائِبُونَ كَانَ لَهَا هَذِي يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ
عِيشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَخْتَجِبُ فَصَافِحُوهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْقَرْبُ
لَوْ لَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا
ومن أبدى فحراً لما ناله السوريون بمصر من نجاح حافظ إبراهيم نفسه في كتابه «اليالي سطح»،
حيث شكّا من الوجود الاقتصادي السوري، ومن تقاعس المصريين عن دخول ميدان الاقتصاد
بقوة، هذا إلى ترحيب دائم من حافظ بالمطفين السوريين

إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْباً فِي مَوْءِنِهِمْ فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

٣١ ملح مغن

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٨):

يَا جَاكَ إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ وَلِكُلِّ عَصْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
جَاكَ رومانو مغن يهودي إسكتري

إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَقَاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا
التويد لعمران القفيني

قَدْ جَاءَ مُوسَى بِالْعَصَا، وَأَتَيْتُنَا بِالْعُودِ يَشْدُو فِي يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ

تَسَابِقُ الْأَسْمَاعُ صَوْبَكَ كُلَّمَا غَنِيَّتَهَا شَوْقاً إِلَيْكَ وَتُغْنِيكَ

تعنى: تتطلع مسرعة وتمد العنق

خُلِقَ كَمَا شَاءَ الْجَلِيسُ وَشِيَمَةً يَذْكُوبِهَا صَدْرُ النَّدِيِّ وَيَغْبِقُ

وَمُرُوءَةً لَوْ أَنَّهَا قَدْ قُتِمَتْ بَيْنَ الْيَهُودِ لِأَخْسَنُوا وَتَصَدَّقُوا

٣٢ تسونامي مسينا

(١٩٠٨/١٢/٢٨):

نَبِّئَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا دَهَى الْكَوْنِ أَبْهَا الْفَرْقَدَانِ

الفرقدان: نجمان

غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ، فَأَنْتَحَتْ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ؟

أنتح: أقبلت بالأذى أو باللوم

لَيْسَ هَذَا، سُبْحَانَ رَبِّي، وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ

عَلَيَانِ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ عَنْهُ تَوَرَّانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ

رَبِّ، أَيْنَ الْمَفَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْبَرِّ- عَلَى الْكَيْدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟

كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ، وَالْمَوْتَ فِيهَا رَاصِدٌ عَفْلَةً مِنْ الرُّبَّانِ

سَابِحٌ تَحْتُنَا، مُطْلٌ عَلَيْنَا حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِ

الموت في البحر يسبح تحت الغنية ويحوم حولها . . . يبتعد ويقترب

فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ فِي خَلْقِي: كِلَاهُمَا قَائِرَانِ

خلقي: خلقى وطيمة

مَا لِمَسْبِينٍ هُوِجَلَتْ فِي صِبَاهَا وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاحِيَانِ

مسبنا في صقلية بإيطاليا، وقد ضربها ما نسميه اليوم تسونامي في آخر ثلاثة أيام من عام (١٩٠٨)، قتل بها مئة ألف نسمة

وَمَحَتْ يَلُكُّمُ الْمَحَامِيْنَ مِنْهَا حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَتَانِ

حين اكتملت آياتها العمرانية، معالمها، جاءت آيتان، برهاتان من براهين القدرة الإلهية وهما الزلزال والفيضان، فمحتا المعالم

خُصِفَتْ، ثُمَّ أَغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِ

وَأَتَى أَمْرُهَا فَأُصْحَتْ كَأَن لَّمْ تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةُ الْبُلْدَانِ
لَيْتَهَا أُنْهَلَتْ فَتَقْضِي حُقُوقاً مِنْ وَدَاعِ اللَّذَاتِ وَالْجِيرَانِ
اللغات: الأصحاب، المولودون في وقت واحد

بَقَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا وَطَقَى الْبَحْرُ أَيُّمَا طُغْيَانِ
نِلْكَ تَغْلِي حِقْداً عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ- انْشِقَاقاً مِنْ كَثْرَةِ الْغَلْيَانِ
فَتُجِيبُ الْجِبَالُ رَجْماً وَقَنْفَاً بِشَوَاطِئِ مِنْ مَآرِجٍ وَدُخَانِ
مارج: لهب

وَتَسُوقُ الْبَحَارُ رَدّاً عَلَيْهَا جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانِ
والجيش له جناحان ميمنة وميسرة

فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِ
الجون: الأسود، الموت الأسود: خنقاً أو غرقاً، والأحمر: جرحاً

جَنَّدَ الْمَاءَ وَالشَّرَى لِهَلَاكِ الْ- خَلْقِ ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنُّيِّرَانِ
الموت جند الماء واليابسة بالطوفان والزلازل.. ثم استعان بنيران البركان

وَدَعَا السُّخْبَ عَاتِباً فَأَمَدَّتْ- هُ بِجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِ
فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْبَأْ مِنْ وَخَارِثِ هَزَائِمِ الشُّجْعَانِ
وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نَفُوسِ لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطُّعْمَانِ
شفى الموت غله، أي غيظه، من نفوس أهل المدينة التي ما كانت تبالي الموت في مجال الطعان،
الحرب والطمع بالرماح

رُبَّ طِفْلِ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرِ ضِي يُنَادِي: أُمِّي! أَبِي! أَدْرِكَانِي!

ساخ: غاص. يعلق المازني في كتابه المندوم عليه «شعر حافظه» على هذا البيت قائلاً: «هلى وفرة علامات النداء، لا يعقل أن الساخ في باطن الأرض يستطيع شيئاً من ذلك».. وتعليقنا: يا مازني، ما أصدرك أنت من شعر، وهو كثير، غثٌ هشاً لم نحتملها أنت نفسك، فتبرأت منه. ولا والله لم أجد لك بيتاً واحداً يحسن بالمرء أن يقرأه بله أن يحفظه. وقد كان حافظ يستحبك في دار الكتب أحسن استقبال غافراً لك كتابك المشحون بالغضب من شعره. ولعلك هاجمت الرجل لموقف قديم ناداك فيه بيا ولد، عندما انتقدت ترجمته للبوساء. ولك يا مازني، بعد، حستان: أولاهما أنك كنت مقالاً ألدت فيه الندم على كتابك، وثانيتها أنك برهان عظيم على أن الناثر الكبير قد يكون مفلساً إفلاساً إدقاعياً في الشعر، فأنت ممن كتبوا أجمل نثر العربية في القرن العشرين. والآن إلى بيت الشعر الذي نحن بصدده: هذا تصوير هائل لطفل

بدأ جسمه بفوص في الوحل أو حتى في الحمم البركانية وقيت في صدره قوة تعبت
على أن يدفع إلى حنجورته بثلاث كلمات: أمي! أبي! أدركاني! فأين المستحيل في
هذا؟ واطر إلى الأبيات التي تلي هذا البيت فهي ترسم صورة مخيفة لمعاناة أولئك
الضحايا في ساعة الموت المحقق

وَقَتَاةٌ هَبَاءٌ تُشَوِّى عَلَى الْجَمْفِ سر، تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
وَأَبٌ ذَاهِلٌ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي مُسْتَمِيتاً تَحْتَهُ مِنْهُ الْبَدَانِ
بَاحِثاً عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُنْتَظِرَ الْجَنَانِ
مستطير الجنان: منخل القلب

تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ: لَا هَوْنَ نَاجٍ مِنْ نَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنْ
وان: متوأن، متأخر

عَصَبَتِ الْأَرْضُ أَتَخِمَ الْبَحْرُ مِمَّا طَوِيَاءُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحُوتُ لِلنُّسُورِ شَكَاةً رَدَّدَتْهَا النَّسُورُ لِلْحَيَاتَانِ
أَسْرَفَا فِي الْجُسُومِ نَفَرًا وَنَهَشًا ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِبَظَةِ يَشْكُوَانِ
الكظة: التخمة، الحوت والنسر يشكوان التخمة لكثرة ما أكلا من لحوم الموتى

لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّمِّ- وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعِ عَانِ
يدعو على ساكن القمم السماء العالية، النسر، وساكن قاع البحر، الحوت

فَدَاغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِإِلْتِقَانِ
لَهْفَتِ نَفْسِي وَأَلَفْتُ لَهْفَ عَلَيْهَا مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ
صناع: حاذقة، متقنة لعملها

مَوْلَعَاتٍ بِصَيْدٍ كُلِّ جَمِيلٍ نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
فأبدي الإيطاليين تنصب حبايل، شباكاً، هي في الواقع الألوان لتمجيد الفن الجميل

حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
مُنْطِفَاتٍ لِسَانَ كُلِّ جَمَادٍ مُفْجِمَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْسَانِ
سواجع الأفنان: الطيور المفردة على الأغصان

مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا يُلْهَمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنْفُوَانِ
الدَّرَارِي: المتلألئة

إِنَّ إِيطَالِيَا بَنَتْهُمَا بُنَاةً فَاطَمَتْنِي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِ

إيطاليا بنهما، أي أبنائهما، بناءً، يحنون البناء.. فاطمتني يا مسينا فسوف يعاد بناوك

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ سِتَ يَمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانٍ

المغاني الحسان: الربيع الجميلة

وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعَوَّدِي سَنَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلَيَانِ

وَسَلَامٌ عَلَى أَمْرِي جَادَ بِالنَّفْسِ سَحْبٍ، وَتَنَّى بِالْأَضْفَرِ الرُّثَانِ

ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْسَانِ، لَمْ أَذْعُكُمُ إِلَى إِحْسَانِ

التبرع لمينا حق على الإنسان وليس إحساناً

٣٣ المتهم على الحاليين

ذكرى مصطفى كامل، أنشدها في ذكرى وفاته الأولى فبراير/شباط (١٩٠٩):

قَدْ أَتَهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبْ جَلَلًا إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالِيْنَ مُتَّهَمٌ

قالوا: لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ

إِذَا سَكَنَّا تَنَاجَوْا، تِلْكَ عَادَتُهُمْ وَإِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فِتْنَةٌ هَمَمٌ

إن سكتنا نهامس الإنجليز يدبرون لنا تدبيراً، وإن نطقنا قالوا إننا ندعو لفتنة شاملة

٣٤ الانقلاب العثماني

نشرت في مايو/أيار (١٩٠٩)، بعد خلع عبد الحميد:

فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى فَيْكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ

شِمُّوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهَيْمَةِ إِنَّ يَشَمَّتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ

نفي عبد الحميد إلى سلاطيك بعد عزله

لَكَ فِي الدَّهْرِ - وَالْكَمَالُ مُعَالَ - صَفَحَاتٌ مَا بَيْنَ بَيْضٍ وَسُودِ

كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِالْأَمْسِ فَرْدًا فَتَمَّذَا الْيَوْمَ أَلْفَ عَبْدٍ الْحَمِيدِ

٣٥ سقوط الطاغية

أنشدها حافظ في حديقة الأزبكية في يوليو/تموز (١٩٠٩)، بعد سقوط عبد الحميد

وصدور الدستور:

وَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ يَلْدِزًا بَعْدَ رَيِّهِ وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَانْدَكَ جَانِبُهُ .

يلدز: قصر عبد الحميد، ربه: صاحبه

وَأَسْلَمَهُ أَحِبَّائِهِ لِقُضَايِهِ وَقَرَّ - وَلَمْ يَخْشَ الْمَعَرَّةَ - كَاتِبُهُ .
وَقَلَّمَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ وَكَذَّلَ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجِنُّ حَاجِبُهُ .
حاجب عبد الحميد دلهم على مكانه الذي تجهله حتى الجن

فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى بَلَاءَ قَضَاءِ اللّٰهِ فِيمَنْ يُحَارِبُهُ
من لم يشاهد تلك الأحداث فهو لم يشهد كيف تزول الدنيا، أي النعمة، وكيف يقع قضاء الله على رأس من يحارب الله بظلمه لعباده

وَلَمْ يُغْنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ دَعَاؤُهُ وَلَا عَصَمَتْ عَنْهُ تِجَارَتُهُ
وَلَمْ يُخَفِهِ عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ مَخْدَعُ وَلَا نَفَقُ فِي الْأَرْضِ جَمَّ مَسَارِيئِهِ
النفاق الكثير المسارب لم يستطع مواراة عبد الحميد

وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَحَاطَهَا بِسُورٍ مِنَ الْأَمْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمَتْ لَمَّا شَكَّ فِي عَبْدِ الْحَمِيدِ مُخَاطِبُهُ
تَمَائِلُ إِيَّاهُمْ أَنْيَمَتْ وَأَقْعَدَتْ تَرَاوَى بِهَا أَهْطَافُهُ وَمَنَاقِبُهُ
كان في القصر صور وتمائيل لعبد الحميد في شتى الأوضاع للتنويه، وتبدو فيها جوانب جسمه وكفائه، فهي صور وتمائيل كاملة للتنويه وليست لوحات بورتريه بفرض الفن

تَمَثَّلَتْ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ وَتَخَدَّعَ فِيهِ الْمَوْتُ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ لِيَنْقَلِبَ مَوْتاً وَاحِداً عَزَّ خَالِبُهُ
وَأَخْرَجَهُ مِنْ يَلْدَانِ رَبِّ يَلْدَانِ وَجَرَّهَ مِنْ سَيْفِ عُثْمَانَ وَاهِبُهُ
سيف عثمان: سيف توارثه سلاطين بني عثمان من مؤسس دولتهم، وكان السلطان يقتله بعد أسبوعين من توليه السلطنة

مَضَى عَهْدُ الْأَشْيِدَادِ وَأَنْذَكَ صَرْخُهُ وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَائَتْ عَقَارِيئُهُ

٣٦ سقى الله «أيام زمان»

إلى البرنس حسين كامل باشا، رئيس مجلس شورى القوانين الذي أصبح سلطاناً بعد ست سنين، ونشرت في نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٠٩):

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ أَهْمُ ذَاكَ نَوْمَكَ أَمْ هُيَامُ
نصل الدجى: بدا في سواد الليل بياض الفجر مثلما ينصل الشعر المصبوغ فيبدو البياض في أصوله، ذاد نومك: صدّه

لَعَنُوكَ مَا أَرَقْتُ لِغَيْرِ مُضِرٍ وَمَا لِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
هَلَاكُ الْفَرْدِ مَنَشْؤُهُ تَوَانٍ وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنَشْؤُهُ انْقِسَامُ
وَلَنَا قَدْ وَنَيْنَا وَانْقَسَمْنَا فَلَا سَمْعِي هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ

وتينا: توانينا وتكاسلنا

فساء مُقَامُنَا فِي أَرْضِ مِصْرٍ وَطَابَ لِغَيْرِنَا فِيهَا الْمُقَامُ
أسطوانة حافظ الأثير: الأجانب يرتعون في مصر وأوضاع المصريين سيئة

٣٧ تقييد الصحافة

من قصيدة في نعمة العام الهجري، يناير/كانون الثاني (١٩١٠):

إِن الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى مِضْرٌ وَمَا فِيهَا وَأَلَّا تَنْطَلِقَا
كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى آلَمِنَا صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
كَانَتْ صِمَاماً لِلنَّفُوسِ إِذَا غَلَّتْ فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكْتَ أَنْ تُزْهَقَا
مَا لِي أَنْوُحَ عَلَى الصَّحَافَةِ جَاذِعاً مَاذَا أَلَمٌ بِهَا، وَمَاذَا أَخَذَقَا؟
قُصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَمِينُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَضْعَفَا

٣٨ الأم مدرسة

انشدها في حفل بيورسعيد لإعانة مدرسة البنات، مايو/أيار (١٩١٠):

كَمْ ذَا يُكَادُ حَاشِقٌ وَيُلَاقِي فِي حُبِّ مِصْرٍ كَثِيرَةُ الْمُشَاقِ
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً يَا مِضْرُ قَدْ خَرَجْتُ عَنِ الْأَطْوَاقِ
لعله يقصد: أحبك حباً خرج عن طوقى وقدرتى

لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ ظَلِيلَةً يَحْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقٍ
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَرِسَاقٍ..
ليست الخمر البابلية الصافية والشرب، أي الشاربون، الذين يتنافسون على ارتشافها..

وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي..
بينما الخمر لامة كالشمس ترسل أشعتها من الكؤوس الملأى وتخفي في حلق الشاربين،
والساقى الذي يدور عليهم بالخمير وجهه كالبدر..

بِأَلَدٍ مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ قَدْ مَارَجَتْهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ

.. ليست ألد من الخلق الكريم المعزوج بسلامة الذوق

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي الشَّرْقِ جِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ؛ إِذَا أَحَدَتْهَا أَحَدَتْ شَعْباً طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

حتى لو كان هذا أحد أشهر أبيات الشعر السائرة على الألسن فإن التربية الحسنة تنشئ شعباً طيب
الخلق ومتقناً للعمل.. هذا شيء والأعراق.. أي النسب العالي شيء آخر. ولا أدري أين ذهبت
كلمة «الأخلاق» عن شاعرنا كي يقعدنا في مقعد القافية ويربحنا من أعراق

الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ نَعَهْدَهُ الْحَبَا بِالرَّيِّ أَوْزَقَ أَيْمًا إِيرَاقِ

الأم بستان إن تعهده الحبا، وافيء المطر، أصبح مورقاً بورق كثير

أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ

يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاصِ الْأَخْدَاقِ

لواهيًا: لاهيات عابثات، «نواصي الأخداق» تعبير بارد لكنه يظل أحسن من مرادفه «الجنس
اللطيف»

فِي دُورِهِنَّ شُؤْرُهُنَّ كَثِيرَةٌ كَشُؤْرٍ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْزَاقِ

المزراق: العربة

كَلَّا، وَلَا ادْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ

لَبِستِ نِسَاؤُكُمْ حُلًى وَجَوَاهِرًا خَوْفَ الضَّبَاعِ نُصَانِ فِي الْأَحْقَاقِ

الأحقاق: العلب الصغار، والمفرد حق

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَنَاثًا يُقْتَنَى فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ

المخادع: الحبرات، الطباق: لعلها الأدوار أو الطوابق

تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا دُولًا، وَهُنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِ

الزمن يتغير دولًا، تتداوله الحوادث والأقوام، والنساء جامدات على وضعهن

فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ

رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ

الموقفان: التقيد والإطلاق لحرية المرأة، الوثاق: الحبل

وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتَكُمْ نُورَ الْهُدَى، وَعَلَى الْحَبَاءِ الْبَاقِي

٣٩ رثاء تولستوي

نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٠):

ولستُ أبالي حين أبكيك للورى حَوَتْكَ جَنَانٌ أَمْ حَوَاكَ سَعِيرُ
فإنني أحبُّ النَّابِغِينَ لِوَعْدِهِمْ وَأَحْسَقُ رَوْضَ الْفِكْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
دعوتُ إلى عيسى فضجَّتْ كَنَائِسُ وَهُزَّ لَهَا عَرْشُ وَمَادَ سَرِيرُ
وفي آخر حياته مال تولستوي إلى الدين ميل زهد

وقال أناسٌ إنَّه قولٌ ملحدٌ وقال أناسٌ إنَّه لبشِيرُ
إذا زُرْتَ رَهْنُ الْمَحْبِسِينَ بِحُفْرَةٍ بها الزهدُ ثاوٍ والذكاءُ سَتِيرُ..
إن زرت حفرة رهين المحبين أبي العلاء المعري التي فيها الزهد ثاو، مقيم، والذكاء ستير،
مستور..

فَقِفْ ثم سَلِّمْ، واحننْهم إنَّ شَيْخَنَا مَهَبَّ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورُ
وسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ، فإنه عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَصِيرُ
يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مَبْصِراً بما لم تُخَبِّرْ أَحْرَفُ وَسُطُورُ
يُنَادِيكَ: أَهلاً بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا وماتَ ولم يَلْدُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
وكان تولستوي من النبلاء ذوي المال والمزارع، وترك هذا كله في آخر عمره زهداً

قَضَيْتَ حَيَاةَ مِلْؤُهَا الْبِرِّ وَالثَّقَى فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
حياةُ الورى حربٌ وأنتَ تريدها سلاماً، وأسبابُ الكفاحِ كَثِيرُ
أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَاءِ إِلَّا تَنَاحِراً وكدحاً ولو أنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
سنة العمران: طيمة المجتمع الإنساني

ولولا امتزاجُ الشرِّ بِالْخَيْرِ لم يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
ولم يبعثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى ولم يَنْطَلِعْ لِلْسَّرِيرِ أَمِيرُ
السري: العرش

ولم يَعْشِقِ الْعَلِيَاءُ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ كَرِيمٌ وَلَمْ يَزُجْ الثَّرَاءُ فَقِيرُ
فكم في طريقِ الشرِّ خيرٌ وَنِعْمَةٌ وكم في طريقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ

٤٠ يا واور قل لي

إعانة ملجأ رعاية الأطفال، انشدنا في حفل بالأوبرا، فبراير/ شباط (١٩١١):

صفحة البرق أَوْمَضَتْ في الغمام أم شهابٌ يَشُقُّ جوفَ الظلام؟
يصف القطار: أهو في سرعته كالبرق بين الغيوم، أم كالشهاب الساقط وسط الظلام؟

أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَضِ ۖ فَأَعْيَا سَوَابِقَ الْأَوْهَامِ؟
أم أن هذا هو سليل البخار، ابن البخار أي القطار، يطير نحو مقصده فيمجز سوابق الأوهام،
الخيال السابق عصره؟

مَرَّ كَالنَّجْمِ لَمْ تَكَدْ تَحْفُ الْعَبْدُ ۖ نَحْنُ عَلَى ظِلِّ جِزْمِ الْمُتَرَامِي
أو كَشَرِخِ الشَّابِ لَمْ يَدْرِ كَاسِي ۖ ۚ تَوَلَّى فِي بَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
مر القطار سريعاً كمصر الشاب الباكر الذي يمر ويقضي سريعاً فلا يدري كاسيه، أي صاحبه
المكتسي به، أذهب الشاب في البقظة أم في الحلم

لَا يُبَالِي السَّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ ۖ لَوْ وَخَّانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيداً ۖ لَمْ تُضْغِضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ
اليد هي الفيافي هي الصحارى

لَيْسَ يَشْنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الضُّدِ ۖ بَّ يَوْمَ الْهَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
ليس يشني القطار عن عزمه الحر الشديد، الذي تصورت العرب أنه يذيب دماغ الضب في الهجير،
القيظ، بين الموامي، أي الصحارى

لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّأ ۖ بِحَ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ
ولا يعثره البرد الذي يجعل الكلب يخرس عن النباح بين خيام القوم في الزمهرير
هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَرْجَعَهُ الْمَيِّبُ ۖ دُ وَرَاقَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
الظليم: ذكر النعام

بَا حَدِيداً يَنْسَابُ فَوْقَ حَبِيدِ ۖ كَانْمِيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرُّهَامِ
الرقطاء: العبة المرقطة أي المتقطعة، والرهام: التراب

قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقاً وَغَرْباً ۖ بِزُرَاعِي مُشْمَرٍ مَقْدَامِ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بِجَنْبِي لَكِنْ ۖ مَا بِجَنْبِي مُسْتَدِيمُ الضُّرَامِ
بين حنيك أيها القطار حرارة من الرجل المشتعل كي يتبع البخار، وفي جنبي أنا لهيب. لكن
ضرام لهيب، اشتعاله، دائم

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ، وَإِنْ كُنْتُ حَتَّ ثَمَرِنَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلَهِ فَبِمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي

الهوامي: الهائلة.. يتحدث عن قطار يسير بالبخار

لَا تُبَالِي أَرْغَمْتُ بِالْبَيْنِ أَحَبًّا بَأْ وَأَسْرَفْتُ فِي أَدَى الْمُسْتَهَامِ..
لَا تُبَالِي أَرَعْتُ، أَخَفْتُ، بِالْفِرَاقِ أَحِبَّاءًا وَأَسْرَفْتُ فِي إلْحَاقِ الْأَدَى بِالسْتَهَامِ، العاشق الهائم..

أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْآرَامِ
أم جمعت الأعداء داخلك على صعيد واحد، وخلطت الأسود، الرجال، بالآرام، بالنساء. يقول
أحمد رامي بعد ثلاثين سنة من هذه القصيدة «ها وبور قل لي رايح على فين.. قربت غرب
وبعدت قريب/ وجمعت حبيب على شمل حبيب» والوايور هو القطار، من كلمة «فيير» ومعناها بخار

قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ اللَّهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصِّيَامِ
لَمْ أَقِفْ مَوْفِي لِأَنْشِدَةِ شِعْرًا حُبِّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النُّظَامِ
إِنَّمَا قُنْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ، وَالْقَلْبُ دَامِ
ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ حَيْشًا دُونَ شُرْبِي قَدَاهُ شُرْبُ الْجِمَامِ
ذقت حيشة أخف من قذاها، شوائبها ووسخها، الموت نفسه

فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِبًا فِي فُؤَادِي وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي
ثَاقِبًا: مشتلاً

فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِطِفُ النَّاسَ مَنْ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامٍ

٤١ رثاء المرتاب

رثاء الدكتور شبلي شميل، أنشدها في فبراير/ شباط (١٩١١):

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ إِنَّ ذَلِكَ السَّكُونُ فَضْلُ الْخُطَابِ
حُزِنَ الْعِلْمُ يَوْمَ مُتِّ، وَلَكِنْ أَمِنْ الدِّينِ صَبِيحَةَ الْمُرْتَابِ
بموتك حزن العلم، واطمان الدين من صيحة رجل مرتاب في الدين هو أنت

كَنْتُ تَبْغِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرَى ضِيٍّ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللَّبَابِ
حاولت معرفة حقيقة الإنسان وخلقه وأنت بعد على الأرض حياً.. وهذا شيء قد يعرفه المرء بعد
موته

فاسْتَرْخِ أَبْهًا الْمَجَاهِدُ وَاعْتَدَا قَدْ بَلَغْتَ الْمَرَادَ تَحْتَ التَّرَابِ

هذا عزاؤنا كلنا.. فبعد الموت سنعرف حقيقة الحكاية

وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَانْبَلَجَ الْحَقُّ - لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةَ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ - لَمْ يَكُنْ مُلْجِداً وَلَكِنْ تَصَدَّى
رَأَيْتَ إِدْرَاكَ كُنْهِ مَا أَعْجَزَ النَّاسَ - إِيَّاهُ سَبَلِي! قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فَيْكَ الدَّ
قِيلَ: تَرْنِي ذَاكَ الَّذِي يَنْكُرُ النُّورَ - قُلْتُ: كُفُّوا فَإِنَّمَا قَمْتُ أَرْضِي
أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحَابِيهِ فِي الْقَوْرِ - أَنَا أَزْنِي شَمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي
أَرْنِي شَمَائِلًا مِنْهُ، أَيُّ اخْلَاقًا، عِنْدِي كُنْ، أَيُّ كُنْ بِالنِّسْبَةِ لِي، أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ، جَمِيعُ شَهِدٍ
كَانَ حُرُّ الْأَرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْخُنْ - لَوْلَا لَا يَسْتَبِيحُ غَيْبُ الصُّعَابِ

الخلل: الخداع

مُفْضِلاً مُحْسِناً عَلَى الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ - حَرِّ، جَمِيعِ الْفُؤَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ
كَانَ جَمِيعُ الْفُؤَادِ: شَجَاعاً، كَانَ رَحْبَ الْجَنَابِ: وَاسِعَ الصَّدْرِ كَرِيماً

كَانَ فِي الْوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الْكَبْرِ - حَرِّ، وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ
نُكِبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى - وَأَصْبَحَتْ رَوَائِعُ الْأَدَابِ

٤٢ فراش العاشق

من قصيدة ملح في الخلدوي عباس حلمي (١٩١١):

أَشْكُرُ لِذَاتِ الْخَالِ مَا صَنَعَتْ بِنَا - تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْمَغْصَمُ
لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ فِي جَوْفِ الدُّجَى - مَتَمَلِّجاً مِنْ هَوْلِ مَا يَتَجَسَّمُ
يَمْشِي إِلَى كَنَفِ الْفِرَاشِ مُحَافِزاً - وَجِلاً يُؤَخِّرُ رَجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَظَرِهِ وَيَنْشَنِي - جَزَعاً وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَاكَ وَيُخْجِمُ

يحنى العاشق دخول فراشه لأنه لن يستطيع النوم، وسيتقلب متألماً من عشه

رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُذَيَّةٌ وَاِنْسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ اَزَقَمُ

فكان في كل جنات فراشه مدى، سكاكين، وقد انساب في كل ركن من ارقم، ثعبان

فَكَأَنَّهُ فِي هَوْلٍ وَسَعِيرِهِ وَاِذْ قَدْ اَطْلَعَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ

هَذَا وَحَقِّكَ بَعْضُ مَا كَابَذْتُهُ مِنْ نَاطِرِيكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ اَعْظَمُ

اَضَعْتُ اِلَى قَوْلِ الْوُشَاةِ فَاَسْرَقْتُ فِي هَجَرِهَا وَجَنَّتْ عَلَيَّ وَاَجْرُمُوا

حَتَّى اِذَا يَشْسُ الطَّبِيبُ وَجَاءَهَا اَنِّي تَلِفْتُ تَسَلَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا

٤٣ المتصدي للخديوي

رثاء مصطفى رياض، رئيس وزراء مصر في ثلاث حكومات، وأنشدها في حفل الأربعين يوليو/تموز (١٩١١):

وَقَفْتُ لِاسْمَاعِيلَ وَالْأَمْرِ أَمْرُهُ وَفِي كَفِّ سَيْفٍ مِنَ الْبَطْشِ يَلْمَعُ

كان رياض باشا نائب رئيس لجنة التحقيق في الوضع المالي لمصر في اواخر عهد الخديوي اسماعيل، ورغم انه صنعة اسماعيل فقد أدى دوره بأمانة مما أزعج الخديوي، لكن الإنجليز والفرنسيين دعموا رياضاً. وبعد ذلك سنة وبعض السنة تولى رياض رئاسة أول حكومة في عهد الخديوي توفيق بعد عزل اسماعيل

اِذَا صَاحَ لِبَاءُ الْقَضَاءِ وَأَسْرَعْتُ اِلَى بَابِهِ الْاِبْهَامُ، وَالنَّاسُ خُشَعُ

كان القضاء والقدر كانا في خدمة اسماعيل

فَمَا أَغْلَبَ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَزَوْعُ يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَزَوْعُ..

فليس الأغلب، أي الأسد، الشاكي العزيمة، المسلح بجراته وعزمه، الأروع، الشجاع، الذي يصارع مثيله في الغابة..

بِأَجْرٍ مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مَصَادِمًا إِرَادَةَ إِسْمَاعِيلَ وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ

ليس بأجراً من هذا الوزير وهو يصادم الخديوي اسماعيل، وهو يسمع صوت الموت يتهدده

وَأَرْهَبْتُ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوُوا وَكَانُوا أَنْاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا

أرهمت حكام الأقاليم فارعوا، كفوا عن غيهم، وكانوا قد أوضاعوا، أسرعوا، في طريق الجهالة، الضلال

فَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِتَنْجُوَةٍ لَخَالُوا رِياضًا فَوْقَهُمْ يَتَسَمَّعُ

تناجوا: تهاوسوا

أَقَمْتُ عَلَيْهِمْ رَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ إِذَا سَوَّلَتْ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ بَرْدَعُ

٤٤ اعتذار عن التخلف

اعتذار إلى أحمد شوقي، عن عدم حضور زواج ابنته، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩١٣):

قد عاقبني سوء حظي عن خفلة المهرجان
وقد كفاني عقاباً ما كان من جرمان
إن فأتني أن أؤقي بالأمس حق الثهان
فاقبله مني قضاءً وكن كريم الجنان

الجنان: القلب

والله يقبل منّا الطَّـ لالة بـمـد الأوان

٤٥ القمود

من محاوره بين حافظ وخليل مطران في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا: نشرت في مارس/آذار (١٩١٣):

فعدت شعوب الشرق عن كسب المحامد والمفاخر
فونث وفي شرع الننا حرم من ونى لا شك خاسر
ونث: نوانت وكسبت

تمشي الشعوب لقصديما قُدماً وشعب النبل آخر

٤٦ رثاء متأخر

(١٩١٤):

مليت وفوفي بينكم مثلها على راحل فارقت فشحاني
أفي كل يوم يَبْضَعُ الحزنُ بَضْعَةً من القلب؟ إنِّي قد فعدت جناني
يصع بضمه: يقطع قطعة، والجنان هو القلب

كفاني ما لقيت من لوعة الأسى، وما نابني يوم الإمام كفاني
كفاني ذلك الحزن على الإمام محمد عبده

نفرق أحبابي وأهلي، وأخرت يد الله يومي فانتظرت أواني

وفي ذمتي ليليازجي وديعة وأخرى ليزيدان وقد سبّاني
في ذمتي وديعة، أمانة، برثاء إبراهيم اليازجي وتوفي قبل القصيدة بشماني سنين، وأخرى برثاء
جرحي زيدان، وقد سبّاني للقبر... وهل ترانا يا حافظ سنظن أنك سيفتخما؟

فيا ليت شعري ما يقولان في الثرى إذا التّقياً يوماً وقد ذكّراني
وقد رمياً بالطّرف بين جموعكم ولم يشهدا في المشهدين مكاني
أبجمل بي هذا العقوق، وإنّما على غير هذا العهد قد عرّفاني
دعائي وفائي يوم ذاك فلم أكن ضنيناً ولكنّ القريض عصاني

٤٧ شعرنا وشعرهم

تحية إلى واصف غالي، وقد نشر ترجمة لقصائد من الشعر العربي القديم إلى
الفرنسية، يونيو/حزيران (١٩١٤):

غرست من زهرات الشرق طائفة في أرض هيجو فجاءت طرفة الجاني
فرست من زهرات الشعر العربي مجموعة في أرض هيجو، فرنسا، فكانت شيئاً طريفاً، غريباً،
لمن يجني هذه الزهرات أي لمن يقرأ هذه الأشعار

أسمعتهم من نسيب القوم فانطلقت شؤون كل شجي القلب ولهان
انطلقت شؤون كل شجي القلب: اندفعت الدموع من عينيه، «فالشؤون» مجاري الدمع في العين

وزدّتهم من كلام البحثري قطعاً مثل الرياض كسّتها كف نيسان
سلّ ألفريد ولامرتين هل جرّبا مع الوليد أو الطائي بميدان
ألفريد دي موسيه، ولامرتين من شعراء فرنسا، والوليد هو البحري، والطائي هو أبو تمام

ما لي أفاخرُ بالموثى وبين يدي من شعر أحيائنا ما ليس بالفاني
في شعر شوقي وصبري ما نثيه به على نوابضهم، دغ شعر مظران
أي ناهيك بشعر مظران

٤٨ فلهم القصاب

إلى فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا وقد بدأت الحرب العالمية الأولى، نشرت في يناير/
كانون الثاني (١٩١٥):

لا تحسبنّ الفخر ما أحرزته الفخر بالذكر الجميل زهين
هل شذت في برلين غير معسكر قامت عليه معاقل وحصون

وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ إِنَّ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسُوفَ تَلِينُ
نَظَّمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى فَالْنَيْلُ نَاءٌ بِهَا وَنَاءُ السَّيْرِ
الشاط التجاري الألماني انتشر في كل مكان، وناء به، تضرر من ثقله، الناس في مصر ومي
فرنسا . . والسين نهر باريس

فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُضْبَةٌ وَبِكُلِّ بَحْرِ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مُغْمَدُ وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسُّرَى مَأْمُونُ
كان الأمر والنهي لك قبل الحرب، وكانت الطرق آمنة والسرى، سير الليل، آمناً. وكان للالمان
مع الدولة العثمانية عهود وتجاراات وإنشاءات

فَعَلَامٌ أَرَمَقَتْ الْوَرَى وَأَثَرَتْهَا شَعْوَاءٌ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فَنُونُ؟
تَاللَّهِ لَوْ نُصِرَتْ جِيوشُكَ لَانْطَوَى أَجَلَ السَّلَامِ وَأَقْفَرَ الْمَسْكُونُ
سَبْعُونَ مِليوناً إِذَا وَزَعَتْهَا بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالِنَا مِليونُ
لو انتصرت فسوف يقرر المسكون، أي العالم، وستوزع السبعون مليون ألماني على الدنيا،
وسيكون نصيب مصر منهم مليوناً. مع بدء الحرب العالمية الأولى كان عدد سكان ألمانيا ٦٨
مليوناً، وسكان مصر عشرة ملايين. اليوم في مطلع ٢٠١٧: ألمانيا: ٨٠، ومصر ٩٢ مليوناً

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ نَوْرُهَا وَزَعَنْتَ أَنَّكَ مُرْسَلُ وَأَمِينُ
عَجَباً أَنْذَكُرُهُ وَتَمَلُّ كَوْنُهُ وَنَلَأَ، لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ الْمَقْبُونُ
وَكَذَلِكَ الْقَضَابُ بِذِكْرٍ رَبُّهُ وَالنُّصْلُ فِي حُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

٤٩ لا مثيل للإنجليز!

تهنئة السلطان حسين كامل بالسلطنة، يناير/ كانون الثاني (١٩١٥):

هَنِيئاً أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
العرش الجديد: عرش مصر الذي أصبح صاحبه الآن سلطاناً لا مجرد خديوي، فدخل تركيا
الحرب العالمية الأولى مع المحور ضد بريطانيا جعل بريطانيا تلغي تبعية مصر لإستانبول، وتعزل
الخديوي عاصماً وتولي حسين كامل العرش باسم «السلطان»، مضاهاة للقب «السلطان» العثماني.
فله العرش وله ما يظله هذا العرش، وهو يظل أرض مصر

وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَيْنِ فِينَا فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِمِثْلِ ظِلِّ
العرمان: أبو بكر وعمر

فَجِشْ لِلْنَيْلِ سُلْطَاناً أَيْباً لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ

وَوَالِ الْقَوْمِ إِنَّهُمْ كِرَامٌ مَيَامِينُ النَّفْيَةِ أَيْنَ حَلُّوا
 ينصحه سؤالاة الإنجليز فهم ميامين النقية، كرام الطباع، ولهم في كل بلد يحلوه مآثر. السلطان
 لم يكن بحاجة للتصيحة فالإنجليز هم اللتين ولوه العرش، وأما أنهم كرام فهي هذا نظر
 لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَضَحَّتْ ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي نَسْتَهْلُ
 ملكهم على نهر التمز، نهر لندن، ذراه، قممه تستهل، وتظهر، على المعالي
 فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا وَلِبْسَ لَهُمْ، إِذَا قَتَّشْتَ، وَمِثْلُ
 وَإِنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ أَسَاطِيلُ وَأَسِيفَاتُ تُسَلُّ

٥٠ شكسبير

في ذكرى ثلاثئة عام على وفاة شكسبير، نشرت في مارس/ آذار (١٩١٦):

يُحِبُّكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ شَخُوفٌ يَقُولُ الْعَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
 نظرت بعين الغيب في كل آفة وفي كل عصر ثم أنشأت تحكّم
 فلم تخطي المرمى، ولا عَرَوُ أَنْ دَنَتْ لَكَ الْغَايَةُ الْقُضُوى، فَإِنَّكَ مُلْهُمُ
 أَفْنُ سَاعَةٍ وَانْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً تَجِدُهُمْ وَإِنْ رَاقِ الطَّلَاءُ هُمْ هُمْ
 قَلْبِكَ تَحِيَا يَا أَبَا الشَّعْرِ سَاعَةً لِنَنْظُرَ مَا يُضْمِي وَيُذْمِي وَيُؤْلِمُ

بصي: يصيب إصابة قاتلة

وقائع حرب أبحج العلم نازها فكاد بها عهد الحضارة يُخْتَمُ

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

وَتَعْلَمَ أَنَّ الطَّبْعَ مَا زَالَ غَالِبًا سِوَاءَ جَهْوِ الْقَوْمِ وَالْمَتَعْلَمِ
 وَلَوْ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَجُزْ بِعَاطِفَةٍ إِلَّا حَسْبْنَاهُ يَرْسُمُ
 لشكسبير ولع بتصوير طباع البشر فلم يجز، يمر، بماطفة إلا وحفها كأنه يرسمها رسماً

وَقَالُوا تَحْدَانَا بِمَا يُعْجِزُ الشَّهَى فَلَسْنَا إِذْ أَنْارَهُ نَرَسُمُ

قال بعضهم: لن نرسم آثار شكسبير، ولن نحاكبه، لأنه تحدانا بما يعجز الشهي، العقول

وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسُ لَكِنَّهُ أَمْرٌ بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ

لَنْ كَانَ فِي ضَخْمِ الْأَسَاطِيلِ فَخْرُكُمْ لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ أَحْظَمُ

أيها الإنجليز فخركم بشكسبير أعظم من فخركم بأساطيلكم الفضة. لو عاش حافظ
 حتى عام ١٩٤٥ لراى بريطانيا تسلم قوتها البحرية للولايات المتحدة بكل هدوء صمن
 خطة «الإعارة والإيجارة» الأميركية. في هذا العام ٢٠١٦ - وأنا أكتب في اليوم قبل

الأخير من أيامه - احتفل العالم بالذكرى الأربعمئة على وفاة شكسبير . يبدو أن الرجل حالد فعلاً رغم ما رماه به تولستوي من نقد جارف ماحق، وأديب روسيا الكبير قرأ شكسبير بالإنجليزية وبالروسية ولم يجد فيه عظمة، ونال من الإنجليزي جورج أرويل ما يستحق من رّد. وحافظ إبراهيم لم يقرأ شكسبير لا بالروسية ولا بالإنجليزية، ولكنه اطلع على بعض مسرحياته من ترجمات صديقه مطران عن الفرنسية. وللأمانة أقول إنني قرأت عدداً من مسرحيات شكسبير في بداية سن الشباب في ترجمات مطران، وعندما قرأت بعضها بلمتها لم أجد فيها شيئاً مختلفاً، ولا ألوم نفسي، بل أتذكر آدم متز. فهذا المستشرق الألماني كتب كتاباً كبيراً عن الحضارة العربية استند فيه إلى عشرات المخطوطات والكتب القديمة التي حرثها حراثة وأظهر في كتابه معرفة عميقة باللغة العربية في شتى عصورها، آدم متز هذا عندما بدأ يتكلم عن الشعر العربي منح المتنبي فقرة صغيرة ونبذة ظهرياً واستخف بأبي فراس الحمداني استخفافاً، ثم رأته منح الصنوبري صفحات عدة ومدحه كثيراً وجدته لا يحس بما في الشعر من تيار خفي يتجاوز المعنى الظاهر. ولو عاش متز لسمع نصح الفرنسي بلاشير في الصفحات الأخيرة من كتابه هن المتنبي لثاب إلى الرشد: لقد أقر بلاشير، وهو من خير من يفهم العربية بين كل المستشرقين، بأن الإحساس بالشعر هو شغل أبناء اللغة الأصليين، خيراً قال

٥١ بين شوقي وحافظ

نشرت القطعتان عام (١٩١٧) كتب شوقي من مفاه ياسبانيا:

يا سَاكِنِي مِصرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ - وَإِنْ غَبْنَا - مُقِيمِينَ
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءٍ نَهْرِكُمْ شَيْئاً نُبَلُّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَ
صادينا: عطشانا

كُلِّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آيَنَةٌ مَا أَبْعَدَ النِّيلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا
آسنة: راكدة فاسدة

فلجابه حافظ:

عَجِبْتُ لِلنِّيلِ يَدْرِي أَنْ يُلْبِلَهُ صَادٍ وَيَسْقِي رَبًّا بِمِضِرٍ وَيَسْقِينَا
وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينَا
لَمْ تَنَأْ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ

٥٢ أيا صوفيا

قالها في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد خيف أن تحتل دول الغرب إستانبول، وتعود أيا صوفيا كنيسة، ونشرت في (١٩٣٢):

أَيَا صُوفِيَا حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي عَهْدَ كِرَامِ فَيْكِ صَلُّوا وَسَلِّمُوا

نفذ حافظ يديه من إستانبول وظن دول الغرب ستمتلكها وتحول المعلم المشهور إلى كنيسة مثلما كان

فلا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ الثَّوَاقِسِ أَكْرَمُ
وَكَيْفَ يَذِلُّ الْمَسْلُومُونَ وَبَيْنَهُمْ كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْنُكَ مُطَرِّقٌ حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُؤْمُ
عَصَبُنَا وَخَالَفُنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا وَحَكَّمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ بِرَحِمٍ

في كل العصور، عند المسلمين والمسيحيين وعند كل الناس في كل الأزمان، تتردد بعد الهزيمة عبارة: «عصبا الله فهذا عقاب منه»، وهي عبارة المغلوبين المتواكلين المهملين اللاعقلانيين الكسالي الذين يلتون باللوم في هزيمتهم على الآلهة بينما المسؤول عنها حضراتهم

٥٣ حياء السلطان المعطاء

رثاء السلطان حسين كامل، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٧):

دُكَّ مَا بَيْنَ صَخْوَةٍ وَعِشِيٍّ شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ آلِ عَلِيٍّ
انهدم صرح شامخ من صروح آل محمد علي مؤسس الدولة، وهذا الصرح هو السلطان حسين كامل

حَسْبَ الْخَطْبُ فَيْكَ أَلْسِنَةُ الْغَوِ لِ، وَأَصْبَا قَرِيبَةَ الْعَبَقَرِيِّ
وَإِذَا جَلَسَتْ الْخَطُوبُ وَطَمَّتْ أَعْجَزَتْ فِي الْقَرِيبِ طَوْقُ الرُّؤْيِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى انْسِاطِكَ لِلْغَيْبِ فِي وَدَّيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهْرِ
وكان السلطان يقرب حافظاً قبل تولي السلطنة وبعد

يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَةً وَهُوَ يَمْشِي فَوْقَ زَاهِي بِسَاطِكَ الْأَحْمَدِيِّ
الضيف يحسب دارك داره، وأنت تخط له الباط الأحمدي، أي تعامله بأريحية (وأصل العبارة بساط كان للسيد أحمد البدوي وكان كلما قعد ناس عليه اتسع)

خُلِقْتُ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرْجَحُ الزَّهْدِ هَمِرَ جَسَادَتُهُ زَوْزَةُ السَّوْسَمِيِّ
أحلاقتك كانت كرائحة الزهر وقد جادته، أمطرته، مطرة الوسمي، وهي أول مطر الربيع
وَاهْتَزَّازَ لِلْمَرْفِ مِثْلُ اهْتَزَّازِ السَّ سَيْفٍ فِي قَبْضَةِ الشَّجَاعِ الْكَمِيِّ
الكمي: المسلح

وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْمُطِيبَةِ يَنْفِي خَجَلَ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ
رَحِمَ اللَّهُ يَا حُسَيْنُ خِلَالًا فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَيٍّ

٥٤ العُمَرِيَّة

القيت في مدرج وزلوة المعارف مساء الجمعة ٨ فبراير/شباط (١٩١٨):

حَسْبُ الْقَوَانِي وَحَسْبِي حِينَ الْقِيَا أَنِّي إِلَى سَاحَةِ الْفَارُوقِ أَهْدِيهَا
حسب القواني، يكفيها، شرفاً أنها في الفاروق

مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتُكَ غَادِيَّةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
يا مولى المغيرة، يا أبا لؤلؤة قاتل عمر، لا جادتك غادية، لا أمطرتك سحابة، من رحمة الله ما
ظلت رحمة الله تجود بالسحاب على البشر

طَعَنْتُ خَاصِرَةَ الْفَارُوقِ مُنْتَقِماً مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
الحنيفة: الدين الحنيف، مجاليا: تجلياتها، فالخليفة هو مثل الدين الحنيف ورأى

فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ أَسِيهَا
الوجيمة: المصيبة، أسبها: طيبها

وَاللَّهُ مَا غَالَهَا قَدْماً وَكَادَ لَهَا وَاجَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
ما اغتال الدين منذ القدم واجت دوحته، قطع شجرته، إلا الموالي من غير العرب

لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
يا ليتهم سيمعوا ما قاله عمر والروح قد بلغت منه تراقيها
التراقي: عظام أعلى الصدر

لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ مَطَامِعاً بِسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا
رَأَيْتُ فِي الدِّينِ آراءَ مُوَفَّقَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ قِرْآنًا يُرْكَبُهَا
كانت لمر آراء عدة وافقها القرآن من بعد وزكاها، أقرها

سَمِعْتُ سُورَةَ طهَ مِنْ مُرْتَلِلِهَا فَزُلْزِلَتْ نِيَّةٌ قَدْ كُنْتُ تَشْوِيهَا
سمع عمر سورة طه فعدل عن نيته إيقاع الأذى بالمسلمين، وأسلم

وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَلَرْتَفَعَتْ عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالُ يُعَانِيهَا
وموقف لك بعد المصطفى افتقرت فيه الصحابة لما غاب هاديها
لما غاب الهادي، الرسول، افترق الصحابة بين أنصار ومهاجرين، وكان لعمر موقف الفيل

بَايَعْتَ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

وأطفئت فتنة لولاك لانتعرت بين القبائل، وانسابت أفاعيها
 فلبستقيفة يوم أنت صاحبُه فيه الخلافة قد شيدت أواسيها
 في سقيفة بني ساعدة كان ثمة يوم، يوم مشهود بطله عمر، وفيه شيدت وبنيت أواسي الخلافة،
 دعائهما، جمع آسية

وقولة لعليّ قالها عمرُ أكرّم بِسامعِها أعظمُ بِمُلقِها!
 «حرّقتُ دارَكَ لا أبقي عليك بها إن لم تبايع»، وبنّت المصطفى فيها
 ما كان غيرَ أبي حفصٍ يَفوهُ بها أمامَ فارسِ عدنانٍ وحامِها
 أبو حفص: عمر، فارس عدنان: علي بن أبي طالب

سَلْ قاهرَ الفرسِ والرومانِ هل شَقَعَتْ له الفتوحُ وهل أَهْنَى ثَوابُها
 قاهر الفرس والروم: خالد بن الوليد

ما واقعَ الرومَ إلّا قَرَّ قارِحُها ولا رمى الغُزَمَ إلّا طاشَ راسِها
 قارحها: كيرها المجرب

ولم يَجْزُ بلدةٌ إلّا سمعتَ بها «اللَّهُ أكبرُ» تَذوي في نواحيها
 لم يجز بلدة: لم يمر بها

أثناءَ أمرِ أبي حفصٍ فقبِلَهُ كما يُقبَلُ أيُّ اللّهِ نالِها
 أتى أمر أبي حفص، عمر، لخالد بالمزل، قبل الكتاب وعزل نفسه

واستقبلَ العَزلَ في إِيّانٍ سَطوَتِه ومجديه مُستريحِ النفسِ هادِها
 إن الذي بَرَأَ الفاروقَ نَزَّهَهُ عن النقائصِ والأغراضِ تنزيها
 قبل إن لعمر غرضاً من عزل خالد، هو الحمد لمكانته أو الحقد عليه لخصومة قديمة، ولكن
 شاعرنا يتره عمر عن النقائص والأغراض

وراعَ صاحبُ كسرى أن رأى عُمرأ بينَ الرعيّةِ عَطَلاً وهو راعيها
 رسول كسرى ريع، تعجب ودعش، لما رأى عمر عطلاً، معطلاً من الحراسة، يمشي بين الرعية

وعَهْدُهُ بِملوكِ الفرسِ أنْ لها سُوراً مِنَ الجُندِ والأحراسِ يَحميها
 رآه مُستغْرِقاً في نَومِهِ فرأى فيه الجلالةَ في أَسْمى معانيها
 فهانَ في عَينِهِ ما كان يُكَبِّرُهُ مِنَ الأكاسِرِ والدنيا بأيديها
 هان في عيني رسول كسرى ما كان يعظمه، ويجله، من أكاسرة الفرس وهي الملوك التي تملك الدنيا

وقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصَبَحْتُ مَثَلًا
أَمِنْتُ لَمَّا أَقَمْتُ الْعِدْلَ بَيْنَهُمْ
وما استبدَّ بِرَأْيِي فِي حُكُومَتِهِ
إِنْ جَاعَ فِي سِلَّةِ قَوْمٍ شَرَكْتَهُمْ
وَأَصْبَحَ الْجَبَلُ بَعْدَ الْجَبَلِ يَرُوبِهَا
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا
إِنَّ الْحَكُومَةَ تُغْرِي مُسْتَبِدَّيْهَا
فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
غواشيا: جمع غاشية، مصائبها

فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا:
أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْفُولِ دِرَّتُهُ
فكَمْ أَخَافْتُ غَوِيَّ النَّفْسِ عَاتِيهَا
أَوْ مَنْ يَحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيهَا
مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلْوَى فَأَشْرِبَهَا
دِرته: سوطه، وكان لعمر سوط يؤدب به المخالفين والعتاة، المنجبرين بالناس

أَخَافْتُ حَتَّى الدَّرَارِي فِي مَلَاعِيهَا
وَرَاعَ حَتَّى الْعَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا .
الدَّرَارِي: الأولاد من ذرية الرجل، فقد فرمته الأولاد في لسهن عندما ظهر، ولم يثبت له سوى
ولد واحد في قصة معروفة، وكذا العواني، أي النساء، في لهنهن .

أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ
أَنْشُودَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
أَرَيْتَ، هل رأيت، تلك المرأة التي نذرت أن تهدي للرسول أغنية .

قَالَتْ: نَذَرْتُ لَشَرِّ عَادَةِ النَّبِيِّ لَنَا
وَيَمُمْتُ خَضِرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأْتُ
وَأَسَانَدْتُ وَمَشَّتْ بِالذُّفِّ وَانْدَفَعَتْ
مِنْ عَزْوَةٍ لَعَلَّى دُفِّي أَغْنِيهَا
أَنْوَارُ طَلَعَتْهُ أَرْجَاءُ نَادِيهَا
تُشْجِي بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
مشت بالدف تغني وتطرب بألحانها ما شاء الله الذي يشجي القلوب

وَالْمُصْطَفَى وَأَبُو بَكْرٍ بِجَانِبِهِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُغْدٍ لَهَا عَمْرٌ
لَاحَ عَمْرٌ فَكَمْتُ عَنِ الْغَنَاءِ وَارْتَبَكْتُ حَتَّى كَادَ الْخَوْفُ يَرْدِيهَا، يَقْتَلُهَا .

وَحَبَّأْتُ دُفِّي فِي ثَوْبِهَا فَرَقَا
مَنْهُ، وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
فَرَقًا: خوفًا

قَدْ كَانَ جِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا
فَقَالَ مَهِيْطٌ وَخِيَّ اللَّهُ مَبْتَسِمًا
فَجَاءَ بَطْشُ أَبِي حَفْصٍ يُخَشِّيهَا
وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
مهبط الوحي: موضع مهبوطه، وهو النبي

قد قَرَّ شَيْطَانُهَا، لَمَّا رَأَى عُمَرَا إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا
وَفَنِيَّةٍ وَلَمَّوْا بِالرَّاحِ فَانْتَبَهُوْا لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَابِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ وَتَسَوَّرَتْ عَلَيْهِمُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ، مَظْلَمُ النَّوَاحِي، سَاجِيهَا، سَاكِنُهَا

سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبَّشُوا أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِثَّتْ تَسْفِيهَا
سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ، أَلْمَقَّتْ السُّفْهَ بِعُقُولِهِمْ فِيهَا، فِي الْخَمْرِ، فَسَفَّهُوا فَعَلَكَ فِي التَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ
قَالُوا: مَكَانَكَ! قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
قَالُوا لَكَ مَكَانَكَ، قَفْ، فَانْتَ أَخْطَأْتَ فِي ثَلَاثٍ وَنَحْنُ فِي وَاحِدَةٍ

فَأَتِ الْبَيْوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ يَا حُمُرُ فَقَدْ يُرْزَنُ مِنَ الْحَيِّطَانِ آتِيهَا
يُرْزَنُ: يُتَمَمُّ

وَأَتَقَانِ النَّاسَ أَنْ تَغْفِي بُيُوتَهُمْ وَلَا تُلِمَّ بِدَارٍ أَوْ تُحْبِبِهَا
وَلَا تَجَسَّنْ فَهَذِي الْآيَةُ قَدْ تَرَلَّتْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلِمَ تَذْكُرُ نَوَاهِيهَا
فَعُدَّتْ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرَتْ حُجَّتُهُمْ لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّوِّ يُمْلِيهَا
وَمَا أَيْنُتَ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بِالْآيَاتِ عَاصِيهَا
لَمْ تَأْنَفْ حَتَّى وَهَمَّ عَلَى حَرَجٍ، عَلَى إِيْمٍ، مِنْ أَنْ تَتَمَّاعَ لِحُجَّتِهِمُ الْمَقْرُونَةَ بِالْآيَاتِ رَغْمَ أَنَّهُمْ
عَصَاةٌ

وَسَرَّحَهُ فِي سَمَاءِ الشَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ بِبَيْعَةِ الْمِصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا نِيهَا
وَرَبَّ سَرَّحَهُ، شَجَرَةً، رَفَعَتْ رَأْسَهَا بَيْنَ الشَّجَرِ فِي السَّمَاءِ نِيهَاً، وَاقْتِخَارًا، لِأَنَّهَا الشَّجَرَةُ الَّتِي
جَرَتْ تَحْتَهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالَوْا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَكَانَ تَطَوُّافُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا
أَنْتَ قَطَعْتَهَا عِنْدَمَا بِالْفَوَا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَتَقْدِيسُهَا

أَهْدِي مَنَاقِبَهُ فِي عَهْدِ ذَوْلَتِهِ لِلشَّاهِدِينَ وَلِلْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَائِبَةً تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرَاةَ مَاضِيهَا
لَعَلَّ النَّائِبَةَ، أَيَّ الشَّبَابِ، يَجْلُونَ وَيَلْمَعُونَ مِرَاةَ الْمَاضِي لَخِدْمَةِ حَاضِرِهِمْ

٥٥ رثاء باحثة البادية

نشرت في سنة (١٩١٨):

مَلَكُ النَّهْيِ لَا تَبْعَدِي فَالْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا سَيَّرُ
ملك انه حفي ماصف كانت أدبية واشتهرت بلقب باحثة البادية، وجعلها ملاكاً للنهي، أي للعقل.
لا تبعدني: كلمة تقال للميتة. لتبني ذكراك حاضرة فالتاس في هذه الدنيا ما هم إلا سير، ذكرى
وسيرة

إِنِّي أَرَى لَكَ سِيمَةً كَالرُّوحِ أَرْجُهُ الزُّهْرُ
أَرْجُهُ: عطره

وَتَرَكْتَ شَيْخَكَ لَا يَعْصِي هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ خَفِيَ
تركت أبوك، وكان حفي ماصف معلماً ونحوياً، ذاهلاً لا يدري أغاب (زيد)، الاسم المستخدم
في أمثلة النحاة، أم حضر

ثِيلاً تُرْنَحُهُ الْهُمُومُ إِذَا تَعَامَلْ أَوْ تَحَاطَرْ
كَالْفَرْعِ هَزْنُهُ الْعَوَا صِفْ فَالتَّوَى ثُمَّ انْكَسَرْ
ومات أبوها في السنة التالية

يَا بَرَّةً بِأَلْوَالِدَيْهِ مِنْ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَعْقُرْ
فَسَلِّي إِلَهَكَ سَلْوَةً لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرْ
الله أبرُّ منك بأبيك

٥٦ العمود «أحمد»

أحد حافظ هذه القصيدة لاستقبال شوقي هائداً من مضاف، ونشرها قبيل وصوله، نشرها
في أغسطس/ آب (١٩١٩):

وَرَدَ الْكِفَانَةَ عِبْقَرِيَّ زَمَانِهِ فَتَنْظُرِي يَا مِصْرُ سَحَرَ بَيَانِهِ
وَالْقُطْرُ فِي شَوْقِي لِأَنْدَلُسِيَّةِ شَوْقِيَّةٍ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
مصر مشتاقة إلى قصيلة أندلسية من قلم شوقي تشفيا من أشجانها، أحزانها، الناتجة عن ثورة
(١٩١٩)

يُصْغِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا إِصْغَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
القطر، أي مصر، يصغي لأحمد شوقي وهو يترنم بشعره كإصغاء أمة أحمد، النبي، للأذان

وَأَذْكُرُ لَنَا الْحَمْرَاءَ، كَيْفَ رَأَيْتَهَا وَالْقَصْرَ، مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ؟

حدثنا عن آثار العرب في إسبانيا التي أتيت منها

مَاذَا تَحْطُمُ مِنْ دُرَاهُ، وَمَا الَّذِي أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ

قل لنا ماذا تعطم من ذرا، أعالي، قصر الحمراء، وما الذي أبقي الزمان من أركانه

إِذْ مُلِكَ أُنْدَلُسُ عَرِيضُ جَاهُهُ وَشَبَابُهُ الْمَبْكِي فِي رَيْعَانِهِ

وكان ملك العرب هناك ذا جاه، ومنزلة، وكان في شبابه الذي أصبحنا نبكي على زواله وهو في ريعانه، في نصارته

زَالَتْ بِشَاشَتُهُ، وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ

ذهب أنس وبهجة ذلك الملك وذهب إنسانه أيضاً بجلاء العرب

أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرِهِ جَرَحَتْ فَوَادَ الشَّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ

يشكو من زمرة المدمين الذين جرحوا قلب الشعر بانقاصهم أعيانه، كبار أصحابه

كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبُ الْوَرَى بِقَرِيضِهِ وَالْمُعْجَبُ مِلْءُ جَنَانِهِ

كم من شخص خارج عن أفق الشعر لا علاقة له به، قد حصب الناس بقرضه، رماهم بحجارة هي عبارة عن قصائده، والمعجب، التيه والفخر، بملأ جنانه، قلبه

يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَّخِذَ الْخُطَا رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أُرْدَانِهِ

يمشي هذا الشاعر المدمي بطيئ الخطا، تهب ريح الغرور من أردانه، أكماء ثوبه

كَمْ صَكٌّ مَسْمَعُنَا بِجَنْدَلٍ لَمْ يَظْهِ وَأَطَالَ مِحْنَتُنَا بِطُولِ إِيَّانِهِ

جندل: صخر

قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا خَلُّ الْقَرِيضِ فَلَسْتُ مِنْ قُرْسَانِهِ

يشاو: يباري

مَا كَانَ يَأْمُرُ عَشْرَةَ لَوْ لَمْ يَكُنْ رَوْحُ الْحَقِيقَةِ مُمَسِّكًا بِعِنَانِهِ

ما كان شوقي ليأمر الزلل لو لم تكن الحقيقة هي المسكة بلبجام فرسه

فَأَنسَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ أَوْ تَظْمَعِ الْأَذْهَانُ فِي إِيَّانِهِ

فالحمد لله الذي قد رده من بعد غريبته إلى أوطانه

٥٧ مظاهر السيدات

قالها في (١٩١٩)، وتأخر نشرها حتى مارس/ آذار (١٩٢٩):

خَرَجَ الْفَوَانِي يَخْتَجِجُ نَ، وَرُخْتُ أَرْقُبُ جَنَمَهُنَّ
فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ سُودِ الثِّيَابِ شِعَارَهُنَّ
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَائِبِ يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ
وَأَخَذْنَ بِجُفَزِنِ الطَّرِيقِ حَقِّ وَدَارِ سَعْدٍ قَضَاهُنَّ
يَمْشِينَ فِي كَنَفِ الْوَقَا رَ، وَقَدْ أَبْنَى شُعُورَهُنَّ

يمشين وقورات مع أنهن أبرزن شعورهن وسفرن

وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلِ وَالْخَبِيلُ مُطْلَقَةُ الْأَعِنَّةِ
وَإِذَا الْجَنُودُ سَبُوفُهَا قَدْ صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
وَإِذَا الْمَدَائِفُ وَالْبَنَا دَقُّ وَالصَّوَارِيمُ وَالْأَيْسَنَةُ..
وَالْخَبِيلُ وَالْفَرَسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نِطَاقاً حَوْلَهُنَّ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهُنَّ
فَتَطَاخَنَ الْجَيْشَانِ سَا عَاتِ تَشِيْبٍ لَهَا الْأَجِنَّةُ
فَتَضَفَّعَ النُّسْوَانُ وَالنَّدَا سَوَانُ لَبِيسٍ لَهُنَّ مُنَّةُ

منة: قرة

لَمْ انْهَزْ مَنْ مُشَتَّنَا بَ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ
فَلَبَّهْنَا الْجَيْشُ الْفُخُو رُ بِنَمْرِهِ وَيَكْنُزِهِنَّ
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ لَبَسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا بِهِنَّ دِيْبَرَجَ مُخَدَّ تَفِيْماً بِمَضْرٍ يَفُودُهُنَّ

ناول مون هتنبيرخ جنرال الألماني سيصبح رئيساً للجمهورية (١٩٢٥)، وسيعين هتلر مستشاراً، أي رئيس وزراء، عام (١٩٣٣)

فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهُنَ- وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

٥٨ أبق شيئاً

بليت عام (١٩١٩)، وانتشرت بين الناس ولم تشر في صحيفة:

بَا مَلِكًا بِرَغْمِهِ يَلْبَسُ الثَّآجَ، وَيَرْقَى لِعَرْشِهِ مَمْلُوكًا

المليك : السلطان فؤاد ابن الخديوي إسماعيل ، وتولى السلطة عام (١٩١٧) ، وتسمى ملكاً عام (١٩٢٢)

إِنْ أَتَمَّتْ بِدَاكَ تَخْرِبَ مِصْرَ فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخَرَابَ أَبُوكَ

وكان الخديوي إسماعيل ، الذي عزل عام (١٨٧٩) ، قد أسرف وأضر بمالية البلاد رغم إshawاته الكثيرة

أُبْنِي شَيْئًا - إِذَا مَضَيْتَ دَمِيمًا عَنْ قَرِيبٍ - يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا

٥٩ الأب الثاكل

رثاء عبد الحميد رمزي، قالها على لسان والد الشاب المتوفى، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٢٠):

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سَهْدِي وَنَحْبِي جَنَّتْ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟

جَنَّتْ أَزْوِي بِدَمْعِي مَضْجَعًا فِيهِ أودعتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصْبِي

لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَلَا تَبْتَئِنْ إِنِّي مُوَاثِفٌ عَنْ قَرِيبٍ

أَنَا لَا أَنْرُكَ شِبْلِي وَحَلَّةً فِي جَدِيبٍ مُوجِشٍ خَبِيرٍ رَحِيبٍ

أَوْحِينَ ابْتَرُّ دَهْرِي تُؤْتِي وَدَوَى عُودِي وَوَفَانِي مَشِيبِي

ابتر: سلب

وَإِكْتَسَى غَصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاوِ الْخَصِيبِ

يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا وَالشَّبَابُ الْعُضُّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ

لَمْ يَدْعُ أَصْبَحُ جُهْدًا إِنَّمَا غَابَ عِلْمُ اللَّوْ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ

أصبك: طيبك

إِبْرَاهِيمُ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ انْظُرْ إِلَى وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بِأَدْيِ الشُّحُوبِ

ذَاهِلٍ مِنْ قَرْطٍ مَا حَلَّ بِهِ بَيْنَ أَثَرَايْكَ يَمْنِي كَالْقَرِيبِ

كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا هَزَّةَ الشَّوْقِ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ

٦٠ البابا والباب

كتب بها إلى السيد محمد اليلايي لما أصبح نقيب الأشراف (١٩٢٠):

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ رَزْنَا فَضِيلَتَهُ فَذَلَّذْنَا عَنْهُ حِرَاسَ وَحُجَّابَ

ذالنا عنه: حال بيتنا وبينه

لو أَنَّنِي جِئْتُ لِبَلَابَا لِأَكْرَمَنِي وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ الْبَابُ
 الباب: إمام العقيدة البابية التي ورثها البهائية، والباب أيضاً هو الباب، يقول حافظ، على المعنى
 الظاهر: لو جئت إلى الباب الخشبي لأكرمني من حيث رزني الحجاب

لَا تَخْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا إِنَّنِي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
 فَأَهْنَأُ بِمَا نَلْتُ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

٦١ مصر تتحدث عن نفسها

أُنْشَدَهَا فِي حِفْلٍ بِفَنْدُقِ الْإِتْرُكُونْتِنَالِ لِتَكْرِيمِ عَلِيِّ يَكُنْ بَعْدَ هَوْدَتِهِ مِنْ أُوْرُوبَا قَاطِعاً
 الْمَفَاوِضَاتِ مَعَ الْإِنْجِلِيزِ، وَمُسْتَقْبَلاً مِنَ الْوِزَارَةِ. نُشِرَتْ فِي دَيْسَمْبَرِ/كَانُونِ الْأَوَّلِ
 (١٩٢١):

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعاً كَيْفَ أَبْنِي قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدِي
 وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّعَا رِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
 أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ فِي وَدُرَاتِهِ فَرَايِدُ هَفْدِي
 أَنَا إِنْ قَدَّرَ الْإِلَهِ مَمَاتِي لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
 مَا رَمَانِي رَامٍ وَرَاحَ سَلِيماً. مِنْ قَدِيمِ عُنَايَةِ اللُّهُ جُنْدِي
 كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَيَّ وَجَارَتْ ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
 هَلْ فِيهِمْ أَسْرَارٌ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ عِلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيِّ بَرْدِي؟

البردي: ورق شجر كتب فيه الفراعنة علومهم

إِنَّ مَجْدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ حَرِيقُ مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَّاتِي وَمَجْدِي؟
 الأوليات: المجد القديم

أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّو مَاَنْ عَنِّي الْأَصُولُ فِي كُلِّ حُدُ
 الحد: الحكم القانوني، والقانون الروماني مشهور

وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
 وَقَدِيماً بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي فَفَرَّقَنَ الْبَحَارَ يَحْمِلُنَ بَنْدِي
 سفي مرقت، شقت، طريقها في البحار حاملة بندي، رايتي، والكلام لمصر

أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ وَارِفِ الظِّلِّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدِي؟
 أَمِنْ الْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الـ سَمَاءَ صَفَوْاً وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرْدِي؟

يَضْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي مَا يُعَانِي هَوَانُهُ كُلُّ عَبْدٍ

منذ أن احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢

نَظَرَ اللَّهَ لِي فَارْشَدَ أَبْنَا نِي فَتَسَلَّوْا إِلَى الْمَلَأِ أَيَّ شَدِّ

إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدُّيُـ هَانِ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أبيضَ هندي

قَدْ وَعَدْتُ الْمَلَأَ بِكُلِّ أَيْـ مِنْ رِجَالِي، فَأَنْجِزُوا الْيَوْمَ وَعَدِي

وَارْقُمُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخـ سَاقٍ، فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي

إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ كَمَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فَيَكُنُّمْ بِشُهْدِ

في الغرب أعين ساهرة طامعة تتربص بالانقضاض على ثروات مصر

فَرَقَّهَا مِنْجَهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلُّ بُغْدِ

وهذه الأعين تنظر بمجهر مكبر لترى الخفايا، وشعاع المجهر يقرب البعيد (أصبح تلسكوباً)

فَاتَّقُوا بِجُنَّةٍ مِنْ وَثَامٍ غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَغِي وَكَدِّ

اتقوا مطامع الغرب بجنة، وقاية، هي الوثام الشديد غير رث العرا، غير مهترئ العرا، جمع هرة

وَاضْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ رَبُّ هَافٍ هَافًا عَلَى غَيْرِ عَمْدِ

الهتات: الذنوب الصغيرة

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعُشْرُ الْآ رَاءَ فِيهِ، وَعَشْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي

تردي: تبيت

وَيَطْلُنُ الْعَيُّ أَنْ لَا نِظَامَ وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جَدِّي

فَقِفُوا فِيهِ وَقِفَةَ الْحَزْمِ وَارْزُمُوا جَانِبِيهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ

إن كنت لم تسمع بأن أم كلثوم غنت أحياناً من هذه القصيدة في لحن رياض السنباطي فاسمع،

واذهب واسمع الأذنية. مقدمتها وحدها تحفة

٦٢ سيرا إلى إنجلترا

وداع محمد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم:

سَيِّرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ عِزًّا وَأَضَحَّتْ لِلْمَلَأِ مَوْزِلَا

أصبحت بلاد الإنجليز للملا، للملا أي الناس، موزلاً، ملتجأ

يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَحْذِيًّا وَتَجْزَعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا

مستحذياً: خاضعاً

شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَ
لَئِنْ عُدَا الدَّهْرُ بِنَا مُدْبِرًا لَا بَدْءَ لِلْمُدْبِرِ أَنْ يُقْبِلَا
التسويد لعمرو القفني، ويقول: لعل الدهر يقبل علينا، فمنذ زمن بعيد لم يقبل! وعدد المازني
لحافظ الدول التي أدبرت ثم استمر بها الإذبار حتى الاندثار

٦٣ راتحة الاستقلال

نصريح ٢٨ فبراير/شباط، نشرت في أبريل/نيسان (١٩٢٢):

أَلَمَحْ لِاسْتِقْلَالِنَا لَمْعَةً فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْوَحْ
استروح: أضر بالراحة، لأن هذا الإعلان في ٢٨ فبراير/١٩٢٢ جاء فيه من طرف بريطانيا أن
الحماية رفعت عن مصر، وأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وأن لبريطانيا الحق في حماية طرق
مواصلاتها وحمايتها ضد أي اعتداء خارجي، ويبقى الوضع في السودان على حاله

وَتَظْمِسُ الظُّلْمَةُ أَثَارَهَا فَأَنْتَنِي أَنْكِرُ مَا أَلَمَحْ
فقائل: لا تعجلوا إنَّكُمْ مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
بعضهم رفض الإعلان البريطاني لأنه لا يغير من الحال شيئاً فالיום مثل الأمس. مكانكم لم
تبرحوا، أي لم تتركوا مكانكم

وَقَائِلٍ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةً وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَظْمَحْ
وبعضهم قال إنها خطوة واسعة، ويعلمها تحقق الغاية التي نطمح إليها

وَقَائِلٍ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ: هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَافْرَحُوا
وبعضهم قال وبالع: هذا هو الاستقلال الحق

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبَّحُوا
العقل يقول، عقل شاعرنا طبعاً، اقبلوا المعاهدة، وأكثوها بالمواثيق

وَأَسُسُوا دَاراً لِنُؤَايِكُمْ لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْحِجَا أَفْسَحُوا
وأسسوا دار نواب واجعلوا للحجاء، للعقل، المكان الفسيح فيها

أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَافِرُوا وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
والقلب يقول، وهو قلب شاعرنا، احذروا دهاء الإنجليز وصابروهم في نضال مستمر

إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُنَلِّمُوا أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يَسْجَحْ
المعاهدة تتضمن قيداً فلماذا نسلم أيدينا لمن يريد تقييدها، والقيد لا يسجح، لا يليس... وكانت
ذكريات ثورة ١٩١٩ طرية بعد في الأذهان

إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ فَهَوَّ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْدَحُ

القيد الحريري أفدح، وأقنى، من القيد الحديدي

٦٤ جاء دوري

ذكرى الشيخ محمد عبده، أنشدها في حفل بالجامعة المصرية في يوليو/تموز

(١٩٢٢):

راعني فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا لَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِي

عَنْ جَنَابِي إِلَى بَرْدِ الثَّرَى حَيْثُ أَتَى مِنْ عَدُوِّ وَحَبِيبِ

أحن إلى التراب حيث ينساني العدو والحبيب

مَضَجُّ لَا يَشْتَكِي صَاحِبُهُ شِدَّةُ الدَّهْرِ وَلَا شِدَّةُ الْخَطُوبِ

لَا وَلَا يُسْتَبْصِرُ ذَاكَ الَّذِي يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ

قَدْ وَقَفْنَا بِنْتُهُ نَبْكِ عَلَى عَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمِ غَصِيبِ

وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا هَكَذَا قَبْلِي، وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ

وقف سنة على قبر الإمام يؤنونه، وهم على ترتيب التابئين: أحمد أبو خطوة، حسن عاصم، حسن عبد الرازق، قاسم أمين، حنفي ناصف، حافظ إبراهيم. وماتوا واحداً بعد الآخر وبفس الترتيب.. وعندما مات الرابع ١٩٠٨، كتب خامسهم، حنفي ناصف، لشاعرنا حافظ:

أَتَذَكَّرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةَ نَعْدُّ أَسَارَ الْإِمَامِ وَنُنْدُبُ

وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وَقَدْ دُبُّ بَيْنَنَا مِمَاتَ عَلَى وَفَقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبُ

أَبُو خَطْوَةٍ وَلِي وَقَفَاءَ عَاصِمُ وَجَاءَ لِعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتُ يَطْلُبُ

فَلَبِي وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَاسِمِ وَعَمَّا قَلِيلٍ شَمْسُ مَخْبِيَّ تَغْرُبُ

فَلَا تَخْشَ هُلُكاً مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنْتَ إِلَّا خَائِفٌ تَتَرَقَّبُ

فَخَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الثَّرَمَائِ لَا تَخَفُ وَنَمَّ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَخْرَبُ

وَحُفْصُ لُجَجِ الْهَيْجَاءِ أَهْزَلَ أَمْنًا فَإِنَّ الْمَنِيَا عَنْكَ تَنَآى وَتَهَرَّبُ

.. وفي تكميم حنفي ناصف (١٩١٢)، وقف حافظ وقال قصيدة:

أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنِيَا حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْنِي

إِذَا شَكُوتَ صَدَاعاً أَطْلُتَ تَسْهِيدَ جَفْنِي

وَإِنْ عَمَرَكَ هَزَالٌ هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي

وإن دعوتك لحبي يوماً فلإياك أعني
عُمري بِعُمركَ رهنَ فعمشَ ألفَ قرنٍ

٦٥ رثاء إسماعيل صبري

أنشدها في حفل التأبين في مايو/أيار (١٩٢٣):

نعماك النُعاءُ وحُمّ القَدَرِ ولم يُغنِ عَنَّا وعنكَ الحَذَرُ
حم القدر: وافي وحلّ

أَهْنِي الثُّرى أُمّ أَعَزِّي الوَرى لقد فازَ هذا وهذا خَسِرَ
رُجِنْتُ، فقد كُنْتُ حُلُوَّ اللِّسانِ جَلِيَّ البَيانِ صَدوقَ الخَبَرِ
قَلِيلَ التَّعَجُّبِ، جَمَّ الأناةِ حَكِيمَ الوُرودِ حَكِيمَ الصَّدَرِ
لقد كُنْتُ أَغْشَاءَ في دارِهِ وَنَادِيهِ فيها زَهاً وازْدَهَرُ
أغشاء: أزوره، ناديه: مجلسه

وأَعْرِضْ شِعْري على وَسْمَعٍ لَطِيفٍ يُجَسِّسُ نُبوَّ الوَثَرِ
على سَمْعٍ بِاقِعَةٍ حَاضِرٍ يَمِيزُ القَدِيمَ مِنَ المُبْتَكِرِ
رجل باقة: شديد الذكاء والحيلة

فِيضْئُلُ لَفْظِي صَفْلُ الجُمانِ وَيَكْسوهُ رِقَّةُ أَهْلِ الحَضَرِ
الجمان: اللؤلؤ

كَذلكَ كانَ، عليه السلامُ، إِماماً لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
شعر: قال شعراً. وكان إسماعيل صبري يتقن شعر شوقي أيضاً

٦٦ رحلة إلى إيطاليا

نشرت في نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٢٣):

أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْداءُ نَ كما تَشْتَهِي، ومُلكٌ كَبِيرُ
تَحْتَهَا - والعِمادُ بِاللو - نارُ وعَذابٌ ومُنكَرٌ وَتَكْبيرُ
إنَّ يَوماً كَيَومِ رَدْجُو ومَسِيرِ سنا وَكالبُريّا لَيَومِ عَسِيرِ

مسينا في صقلية، وكالبيريا منطقة منط القدم في إيطاليا وضربتها زلازل كثيرة في ذلك الزمن وقبله،
وردجو من مدنها الصغيرة، وضربها زلزال في سنة ١٩٠٨، وآخر سنة ١٩٢٣ عند نشر القصيدة

سَاعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرْتَ وَالنَّسْرَ
ذَلِكَ فَيَرْوُفُ قَائِماً يَتَلَطَّى

بركان فيزوف عند مدينة نابولي بإيطاليا

يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ، وَلَكِنْ
وَكَذَلِكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَعَّتْ
وَلَحَ الْقَوْمُ بِالنَّظَافَةِ حَتَّى
فَلِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَاراً
أَفْرَطَ الْقَوْمُ فِي النُّظَامِ، وَهَنْدِي
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ قَوْضَى
فَلِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ:
قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ
مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ السَّلَالُ لِيَزَامَ

الثواء: الإقامة والمكث

٦٧ هجاء للشعر

ضِغْتَ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخِيَالِ
يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا ابْنَ الْمَعَالِي

النهي: القول

ضِغْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ مُجُودٍ
قَدْ أَذْأَلُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ
وَنَسِيبٍ وَمَذْحَجَةٍ وَهَجَاءٍ
وَحِمَاسٍ أَرَأَهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ
عِشْتَ مَا بَيْنَهُمْ مُذَالاً مُضَاعاً
حَمَلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى
وَإِذَا مَا سَمَوْنَا بِقَدْرِكَ يَوْمَاً
أَنْ يَا تُعِزُّ أَنْ نَفُكَّ قُبُودَاً

لَمْ يُفَيْقُوا، وَأَمَةٌ مَكْسَالٍ
وَعَرَامٍ بِظُلُمِيَّةٍ أَوْ غَزَالٍ
وَرِثَاءٍ وَفَتْنَةٍ وَغَزَالٍ
وَضَفَارٍ يَجْرُ ذَيْلَ اخْتِيَالٍ
وَكَذَا كُنْتُ فِي الْعَصْرِ الْخَوَالِي
وَسُلَيْمَى، وَوَقْفَةٍ الْأَطْلَالِ
وَرَمُومٍ رَاخَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي
أَسْكَنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجِمَالِ
قِيَدْتَنَا بِهَا دُعَاءُ الْمُحَالِ

فَارْقَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشُمُّ رِيحَ الشَّمَالِ

٦٨ إِيَّاكَ وَالْإِنْجِلِيزِ

تهتة سعد زغلول بالنجاة من إطلاق الرصاص عليه في محطة القطار. نشرت في ١٣ يوليو/تموز (١٩٢٤):

لَا تَقْرَبِ التَّامِيزَ وَاحْذَرْ وَرَقَهُ مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولٌ

لا تقرب التاميز، نهر التمز. . يعني الإنجليز الذين كان سعد يشايهم من قبل، واحذر ورده، مائه، مهما بدا لك أنه ماء معسول، حلو

الْكَيْدُ مَمْرُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ وَالْخَتْلُ فِيهِ مُذَوَّبٌ مَصْقُولٌ

الختل: الخداع

فَاحْذَرْ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي بَقْلَةٍ سَعْدِيَّةٍ إِنَّ السِّيَاسَةَ عُورٌ

تَصَلَتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخَضَابُ نُصُولٌ

نصلت سياستهم مثلاً ينمو الشعر فينصل الخضاب، الصغ، ويظهر لون الشعر الحقيقي

جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا مَا رَكَّبُوهُ، وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ

ركبوا سياستهم على نحو معقد، وعندك يا سعد القدرة على تحليل هذه السياسة إلى مكوناتها لترى ما فيها من سموم

فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنِ مَطَالِبِ أُمَّةٍ يَا سَعْدُ أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولٌ

الإنجليز يعرفون الحق - يقول هذا صاحب الشرح الذي هايشهم سنوات طويلة - ولكنهم إذا ضويقوا كانوا متعاليين متعجرفين عنصريين مخادعين. . بشراً عاديين. لكن، بصراحة. . برودهم الذي شربت به الأمثال يضيء عليهم سمة الرؤفان. الله أنتم أيها الإنجليز، تعلمت منكم الكثير، ورأيت رجالاً كثيراً ونساء، من عرب ومن هنود يعشقون أن يتعجلزوا، وقد رأيت في حانوت كتب بمطار مؤخرأ كتاباً عنوانه 'كيف نصبح بريطانيأ'. وقد حماني من مثل هذا الشور، وأنا أعيش أولئك القوم، أنني كنت مكباً على مطالعة تراث قومي، وأنتي كنت أقول في نفسي كل يوم وكل ليلة: أنا عربي

٦٩ بَانِي الْهَرَمِ

سَخَّرَ الْعِلْمَ لِيَجْنِيَ آيَةً فَوْقَ شَطِّ النِّيلِ تَبْدُو كَالْعَلَمِ

آية: علامة، العلم: الجبل

هِيَ ذَكَرَ خَالِدٌ، لَكِنَّهُ عَابِسُ الْوَجْهِ إِذَا الذَّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا، عَلَى إِعْجَازِهَا، أَنَّهَا قَبْرٌ لِجَبَّارٍ حُطِمَ
حُطْمٌ: عَنيفٌ مَسِيرٌ

لَيْتَهُ سَحَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
الرَّمَم: الرِّفَات

٧٠ رثاء المتفلوطي

نشرت في سبتمبر/أيلول (١٩٢٤):

رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ النُّظَرَاتِ غَابَ عَنَّا فِي آخِرِ الْأَوَاقِ
مات المتفلوطي يوم إصابة سعد زغلول برصاص معتدٍ، فانتشل الناس عن تشييع المتفلوطي بحادث سعد

كَيْفَ غَادَرْنَا سَرِيعاً، وَهَدَيْ بِكَ يَا مُضْطَفَّى كَشْبَرَ الْأَنَافِ
التسويد لعمران القفيني

كُنْتُ فِي مَضَرٍ شَاعِراً يَبْهَرُ اللَّبَّ- بِآيَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
فَهَجَرْتُ الشَّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى النَّفْ- رٍ فَجِئْتُ الْكُتَّابَ بِالْمُعْجَزَاتِ
السري: العالي الراقي. وللمتفلوطي بضع قصائد أشهرها قصيدة هجاء في الخديوي عباس حلمي
وهو عائد من إستانبول، مطلعها: (قدوم ولكن لا أقول سعيد/وملك وإن طال المدى سييد).
وقبل اشترك في نظم القصيدة عدة أدباء فسميت قصيدة الفهاء، وانتشرت وطبع منها بشئ الطرق
آلاف النسخ، وجرت على المتفلوطي سجناً لأشهر ستة

مُتَّ عَنْ بَافِيعٍ وَخَمْسِ بَنَاتٍ لَمْ تُخَلَّفْ لَهَا سِوَى الذِّكْرِيَّاتِ
وُثْرَاكَ الْأَدِيبِ فِي الشَّرْقِ حُزْنَ- لِبَنِيهِ، وَثَرَوَةً لِلرُّوَّافِ

٧١ دين طه حسين

عن طه حسين بعد نشر كتابه في الشعر الجاهلي (١٩٢٦)، وفي البيتين ذكر للدكتور
عبد الحميد سعيد عضو مجلس النواب الذي كان من المطالبين بإهداء دم طه حسين:

إِنْ صَحَّ مَا قَالُوا، وَمَا أَرْجَفُوا وَأَلْصَقُوا زُوراً بِدِينِ الْحَمِيدِ
أَرْجَفُوا: أَشَاعُوا بِفَرَضِ الْفِتْنَةِ

فَكُفِّرْ طَهَّ عِنْدَ دِيَانِهِ أَحَبَّ مِنْ إِسْلَامِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
الديان: الله

٧٢ رثاء أحمد حشمت

وكان وزيراً للمعارف، وهو من توسط لحافظ في وظيفة بدلو الكتب وكان له إفضال كثير على الشاعر (١٩٢٦):

لَكَ مِئَةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُقْصِي مَا إِنَّ أُرَيْدُ لِيَطْرُقَهَا نَزْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفَا وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعَا
سَلَّنِي فِلَانِي مِنْ صَنَائِعِهِ وَسَلِّ «المعارف» كَمْ جَنَّتْ نَفْعَا
اسألني أيها المستمع، واسأل وزارة المعارف كم جنت من المنافع في عهد وزيرها

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعَا
تكفني: تحيط بي

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِبُنِي وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
كَمْ حَاوَلْتُ هَدْمِي مَعَاوِلُهُمْ وَأَبَى إِلَهٌ فَرَادَنِي رَفْعَا
وَلَرُبُّ حُرِّ عَابَةٍ نَفَرٌ لَا يَضْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِعْمَا

النسج للنعل: السير الجلدي بين الأصابع

٧٣ مبايعة شوقي

ألقيت في مهرجان تنصيب شوقي أميراً للشعراء، في ٢٩ أبريل/ نيسان (١٩٢٧):
يَعْبَبُونَ شَوْقِي أَنْ يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ وَمَا ذَاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفِعِ
لا عيب في أن يدع شوقي إنشاد شعره لغيره، فليس هذا عن عي، قلة فصاحة، ولا عن ترفع

فَهَذَا كَلِيمُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ بِهَارُونَ مَا بِأَمْرُهُ بِالْوَحْيِ يَضْدَعِ
فهذا موسى الذي كلم الله جاء بأخيه هارون ليصدع، ليجهز، بما يأمر الوحي به موسى

تَمَلَّكْتَ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيبِ قَسِيحَةً فَلَمْ تُبْقِ يَا شَوْقِي لَنَا قَبِيذَ إَصْبَعِ
فَبِاللَّهِ دَعِ لِلنَّائِثِرِينَ وَسِيلَةً تُغِيءُ عَلَيْهِمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ وَاقْنَعِ
ولعمري لشوقي ناثر مبدع، بلا هذا في مقدمته للشوقيات في طبعة قديمة، وفي كتابه أسواق الذهب، واقطفنا منه عبارات في فصلنا الذي عن شوقي في الكتاب

أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعَا وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

٧٤ صاحب القاف

قال حافظ في الدكتور محبوب ثابت، وهو طبيب كان يحلم بالوزارة، ويهتم بكل شأن سياسي في كل بلد، وكان يتكلم بالعامية محققاً القاف، وله حضور فكه في مجالس سعد زغلول، ولشوقي فيه أكثر من قصيدة (١٩٢٧):

يُرْغِي وَيُزِيدُ بِالْقَفَاتِ تَحْسِبُهَا قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْئِ الْبَسَاتِينِ
مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ مَآرِجِ النَّارِ تَصَوِّرُ الشَّيَاطِينِ

المارج: اللهب

قَدْ خَصَّه اللَّهُ بِالْقَاتِنَاتِ يَتَلَكَّهِنَّ وَاخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالْتُونِ
 لَا يَأْمُرُ السَّامِعُ الْمُسْكِينُ وَتَبَّتْهُ مِنْ كُرْدُفَانٍ إِلَى أَعْلَى فَلَسْطِينِ
 يَفْزُ فِي حَلْبِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرٍ بَعِيدٍ عَنْهُ

ولم يكن ذاك عن طيش ولا خجل لكنها عبقریات الأساطين

٧٥ رثاء سعد زغلول

انشدتها في حفل تأييده في أكتوبر/تشرين الأول (١٩٢٧):

إِوَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النُّفُوسِ انْصِبَابَا؟
قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثَوْبَا لِلثَّرَارِي وَالْفُضْحَى جُلْبَابَا
اقطع أيها الليل قطعة من سوادك لتكون ثوباً يستر النجوم اللامعة والضحى . . حناداً على سعد

أَنْسُجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَاباً وَاحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النِّقَابَا
قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَر فِي فَنَجِيهِ عَنِ السَّمَاءِ احْتِجَابَا
أَيْنَ سَعْدُ؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَنْفِي غَابَ عَنِ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخِطَابَا
وَكَانَ سَعْدُ فِي كُلِّ حَنْفٍ خَطِيئاً فَمَجِباً

لَمْ يُعَوِّذْ جَنُودَهُ يَوْمَ خَطْبِ
 أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَ
 قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي فَلَسْطِينَ يَبْكِي
 إِنْ زِلْزَلْنَا أَجَلَ مُصَابَا

وكان ألمُ بفلسطين يستتد زلزال مشهور ما زال الناس يؤرخون به. قالت لي عمتي رحمها الله - وكانت تخفي حقيقة عمرها - إنها تتذكر يوم الزلزال بمدينة نابلس فقد أخذها الأهل إلى الجبل وكان عمرها ثلاث سنوات. . هزرت وأسي وقلت في نفسي: ٢٧ ناقص ٣ يساوي ٢٤، وعرفت تاريخ ميلادها

يا كبيرَ الفؤادِ والنفسِ والآما لَ أَيْنَ احْتَزَمْتَ عَنَّا الذهابا؟
 كيف نَنسى مواقفاً لَكَ فينا كُنْتَ فيها المَهيبَ لا الهَبابا؟
 جَزَعُ الشَّرْقِ كُلُّهُ لِمَظْيِم مَلاً الشَّرْقِ كُلُّهُ إِعْجَابا
 نَقُفُ الدَّسِّ بِالصَّرَاحَةِ قِتلاً وَتُسْقِي مُنَافِقَ القومِ صابا

المصاب: نيات مر

قد جَمَعْتَ الأحزابَ حَوْلَكَ صَفّاً وَنَظَمْتَ الشُّيُوخَ والنُّوَابا
 أي مجلسي الشيخ والنواب

قد بَلَّوْنَاكَ قَاضِيبا ووزيراً ورئيساً ومُنْزَهاً خُلابا
 ملره: زعيم

فَوَجَدْنَاكَ مِن جَمِيعِ نَوَاحِي لَكَ عَظِيماً مُؤَوِّقاً غُلابا

٧٦ رثاء يعقوب صروف

أُنشدها في حفل تأبينه بدار الأوبرا في مارس/ آذار (١٩٢٨):

أَبْكِي وَبِئْنَ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي عَلَى الأَرِيبِ الكَاتِبِ الأَلَمِي
 كُرِّمَ بِالأَمْسِ وَأَكْفَانُهُ تَنُجُّهَا الأَقْدَارُ لِلْمَصْرِعِ

كان تكريمه قريباً وسرعان ما مات، فكانه وهو في حفل التكريم كان غافلاً عن أن القدر جاءه في نسج أكفانه

يا صَائِغَ الثَّرِّ لِتَكْرِيمِهِ هُنْهُ لِمَنْمَاءٍ مِنَ الأَذْمَعِ
 قد رَزَّيْنِ العِلْمَ بِأَعْلَافِهِ فَمَاشَ بِلَاءِ المِيزِ والمِصْمَعِ
 نَوَاضِعُ العِلْمِ لَهُ رَوْعَةٌ بَنَاهَا مِنْهَا صَلَفُ المُدْعِي
 وَحُلَّةُ المُضِلِّ لَهَا شَارَةٌ أَزْهَى مِنَ السُّيْفَيْنِ والمِذْنَعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَمَلٌ مِنْ عِلْمِهِ وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ

يشبع الناس الذين يحصلون علومه التي ينشرها في المقتطف (فتحى الشاعر العراقي الزهاوي، وهو أسن من حافظ تسع سنين، ترى معرفياً على يد مجلدات المقتطف في بيت والده)، لكن صروف نفسه لم يشبع من العلم. وكان من حسن طالع جيلنا أن أصدرت دولة الكويت مجلة «العربي» عام (١٩٥٨)، وكانت علمية أدبية كالمقتطف، وزادت عن المقتطف الصور الملونة الخلاية، وترأس تحريرها عالم تحليل وصاحب لغة وأدب هو أحمد زكي الكبياتي المصري فجعلها مدرسة تعلم فيها جيل من الناس، وفي «العربي» قرأت أول الأسطر ومنها تعلمت، ومنها صرت لا أرى الآداب تقوم بعير العلوم المادية، وأحب أن الزهاوي تعلم من المقتطف أن يكون أدبياً وطالب علم مادي في آن معاً

قَدْ غَالَتْ الْأَسْقَامُ اضْلاَعَهُ وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
ظل تفكيره حيواً رغم المرض

يَقْطِفُ الزُّهْرَ وَيَخْتَارُهُ كَالنَّحْلِ لَا يَغْفُو عَنِ الْأَيْتَعِ
كان يقطف في مجلته «المقطف» الأزهار من رياض العلم والأدب، كالنحل الذي لا يغفو عن
الزهرة ويتركها لأنها يانعة بل يقشأها

فَنَحَسِبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةٍ عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَعِي
صُرُوفٌ لَا تَبْعُدُ، فَلَسْتُ الَّذِي يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجِعِ
لا تبعد: كلمة تقال للميت، أي لا بُعد ذكرك

أَسْكَتَكَ الْمَوْتُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْكِبِ الْأَثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
لم تبدد آثارك في المجمع، المجلس، ولم يكن أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر بعد

٧٧ نضال النساء

تحية لجمعية المرأة الجديدة، نشرت في أبريل/نيسان (١٩٢٨):

يَقُولُونَ: نَصَفَ النَّاسُ فِي الشَّرْقِ عَاطِلَ نِسَاءٍ قَضَيْنَ الْعُمُرَ فِي الْحُجَرَاتِ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَغْمَلْنَ لِلنَّهْيِ وَيَغْرِسْنَ غَرْماً ذَانِي الثَّمَرَاتِ
النهي: الغفل

وَفِي السَّنَةِ السُّودَاءِ كُنُتُنَّ قُدُوءَ لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمُهْجَاتِ
في السنة السوداء، أثناء ثورة (١٩١٩)، بادرت النساء بالاحتجاج حين أودى الموت بهيج وقلوب الناس

وَقَفُتُنَّ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدْجِجَاتٍ وَكُنُتُنَّ بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
وقفت النسوة في وجه الخميس، الجيش، وسلاحهن الإيمان بمطالب الشعب

تَعَلَّمْ مِنْكُنَّ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلُ ثَبَاتٍ

٧٨ رثاء محمود سليمان

كان محمود سليمان من كبار ملاك الأراضي، وقد وظف والد شاعرنا مهندساً للرّي في
ديروط، وأسكنه عوامة فيها ولد شاعرنا. نشرت في فبراير/شباط (١٩٢٩):

قَسَمْتُ مَا جَمَعْتُ كَفَّأكَ مِنْ نَشَبٍ عَلَى بَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَانِي
وأصبح «محمد محمود» ابن الباشا رئيساً للوزراء وكان ينعم على حافظ إبراهيم كما كان ينعم أبوه
على أبيه

مَا لَ حَلَالٍ مُرَكَّيْ مَا خَلَطَتْ بِهِ وَلَيْمَ سُخِّتِ وَلَا حَقًّا لِإِنْسَانٍ

السحت: الحرام

٧٩ الواقف على الستين

تحية الشام، أنشدها في الجامعة الأميركية ببيروت، ونشرت في ٢ يونيو/حزيران (١٩٢٩):

أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي بِمِئْتَةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَوْقِ يَبْسَانِي
مئة: نعمة

لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النِّبْلِ أَكْظَمُهُ وَلِي مَنَا فِي جِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانٍ
سَكَنْتُمْ جَنَّةً فَبِحَاءَ لَيْسَ بِهَا حُبٌّ سِوَى أَنَّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
بَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا قَلْبِي جَمِيعٌ، وَأَمْرِي طَوْرَعٌ وَجْدَانِي
بل كان حافظ في دعة مرفهاً يقبض معاشاً محترماً من «دار الكتب»، ولكنه كان مقيداً في الوظيفة وأمره ليس طوع وجدانه، فالوظيفة المغربية حبست لسانه

أَقْضِي الْمَصِيفَ بِلَبْنَانٍ عَلَى شَرْفٍ وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى بِحُلُوانٍ
ليتني وادع أقضي الصيف في لبنان على شرف، في مكان عالي، ولا أغير مشتاي في حلوان بمصر

تَاهَتْ بِقَبْرِ صَلَاحِ الدِّينِ تَرْبَتُهَا وَثَلَا أَحْبَابُهَا نَيْهَا بِمُطْرَانٍ
تفتخر الشام بأن فيها قبر صلاح الدين، هذا من الأموات، أما الأحياء فيفتخرون بمطران، وخليل مطران ابن زحلة بلبنان، وكانت لبنان في ذلك الزمن، ١٩٢٩، قد انفصلت سياسياً عن سوريا، ولكنها بقيت في وجدان الناس جزءاً من سوريا الكبرى

يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ فِي الشَّدَا حَمْرُ الْحَدِيثِ فَنَحْمُ الْهَادِمِ الْبَانِي
إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِمْرِي وَمَضَّ بَارِقُهُ فَبِمَضِّ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ بَبْرُوتٍ فَمَا أَخَذْتُ عَيْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتَ بُونَانِي
وليس كأسواق الإسكندرية العامرة بحوانيت اليونانيين... وحوانيت الشام أيضاً

فَقُلْتُ فِي عِبْطَةٍ: لَلَّوْ دَرُهُمُ لَيْسَ الْفَلَاحُ لِيَوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانٍ
ليس الفلاح، والنجاح، ليوان، لكسول متوان

مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاءَ وَأَبْعَدُهُ عَنْ مَظْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَشْنَانٍ
وسنان: نعان

لا فَرْقَ مَا بَيْنَ بُودِيَّيْ يَعْيشُ بِهِ وَمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَتَصْرَانِي
 إِنْ دَامَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَاسٍ وَأَذْيَانٍ
 المدبرة: أن يعطي كل واحد صاحبه دبره أي ظهره فيخاصمه

رَأَيْتُ رَأْيَ الْمَعْرِي حِينَ أَرْهَقَهُ مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
 لَا تَظْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ دَرَنٍ حَتَّى يُعَاوِدَهَا نَوْحُ بِطُوفَانٍ
 نعى المعري، وكانت لزومياته تلازم حافظاً، طوفاناً يغسل الأرض من وسخها

وَلَى الثَّيَّابِ وَجَارَتْنِي فَتَوَّثَهُ وَهَدَمَ السُّقْمَ بَعْدَ السُّقْمِ أُرْكَانِي
 وَقَفْتُ عَلَى السَّجْنِ أَسْأَلُهَا أَسَوَّفْتُ أَمْ أَهْدَتْ خُرَّ أَكْفَانِي
 وقفت قيل بلوغ الستين أسألتها هل سوفت أكفاني، وأجلتها، أم أهدتها وهبناها. الخُر: من الوجه ومن المال ومن كل شيء هو حقيقته ووسطه. قد قلتُ وأنا في التاسعة والأربعين، ونشرتها في جريدة «الحال»، في شباط/فبراير (٧٠٠٥):

«وقفت على الخمسين» حيران في أمري كَانِي نَاسِي مَوْعِدًا غَابَ عَن فِكْرِي
 أَمَسُ جِبِينِي بِالْبَنَانِ، وَإِنِّي لِأَشُوْقُ لِلنَّسِيَانِ مِنِّي إِلَى الذُّكْرِ
 بَعِينِي أَرْنُو لِلْفَرَاغِ، وَلَا أَرَى، وَلَوْ مَرَّ جَنَعٌ مِّنْ أَمَامِي لَمْ أَدِرْ
 وَأَطْبَقْتُ أَجْفَانِي، زَفَرْتُ تَقْلَقَلْتُ بِحَلْقِي حُصْبَاتٍ، وَفَاجَأَنِي عُمُرِي

كنت أحرف أنني سرفت هذه الـ «وقفت على» من أحد، ونسيت من يكون، والآن عرفت أنني سرفت من حافظ. وقد وقفت الآن على السنين وتجاوزتها بسنة، فأنا في العمر الذي مات عليه حافظ.. وتراني كلما قال لي أحدهم «أحسن الله ختامك» أنمجب، فلم أعد أحسن بمر السنين، وتركت الأمر لصاحب الأمر.. ربما سأشعر بشيء من الفراغ بعد أن أكمل هذا الكتاب ذا المجلدات الخمسة، هذا إن بقي من الوقت وقت للشعور بالفراغ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَالْوَجَعَنِي وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
 مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ سِرَاعاً وَخَلُّوا ذَلِكَ الْوَانِي
 الواني: الضعيف

إِنِّي مَلِلْتُ وَقُوفِي كُلَّ أَوْنَةٍ أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَانٍ
 إِذَا نَصَفَحْتَ دِيوَانِي لِتَقْرَأَنِي وَجَدْتُ شِعْرَ الْمَرَاثِي يَنْصَفُ دِيوَانِي
 أَثَبْتُ مُسْتَفْهِباً وَالشُّوقُ يَنْفَعُ بِي إِلَى رُبَاكُم وَعُودِي غَيْرُ قَبْنَانٍ
 العود الفينان: الساق الناضر ذو الأغصان

فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمْ بِهِ وَيَنْجِلِي عَنْ فَوَادِي بَرْحِ أَحْزَانِي

البرح: الأذى

وَجُنِّبُونِي، عَلَى شُكْرِ، مَوَائِدِكُمْ بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ

الأفاويه: التوابل

حَسْبِي وَحَسْبُ النَّهْيِ مَا يَنْتُ مِنْ كَرَمٍ قَدْ كَذْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَّانِي

٨٠ تأبين محمد المويلحي

نشرت في أبريل/نيسان (١٩٣٠):

دَمْعَةٌ مِنْ دَمْعِ عَهْدِ الشَّبَابِ كُنْتُ خَبَّائِهَا لِيَوْمِ الْمَصَابِ

لَبَّيْتُ الْيَوْمَ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا رَاعَنِي نَغْيُ أَكْثَبِ الْكُتَابِ

وكان محمد المويلحي ناثراً مشهوراً وله «حديث عيسى بن هشام» على طريقة المقامات

هَذَا أَتُ لَوْعَنِي وَسَرَّتْ قَلْبِي عَنْ فَوَادِي وَلَطَفَتْ بَعْضَ مَا بِي

سُرْتُ عَنْ فَوَادِي تَسْرِيةً: خفت عنه

لَوْ شَهِدْتُمْ مُحَمَّدًا وَهُوَ يُحْمَلِي آيَ «عِيسَى» وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ

كتاب «حديث عيسى بن هشام»... والتورية في أي عيسى أي معجزاته، ومعجزات القرآن التي تكمن في بلاغته

وَقَفْتُ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

لَعَلَّيْنُكُمْ بِأَنْ عَهْدَ ابْنِ بَحْرِ عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طَوْلِ احْتِجَابِ

ابن بحر: عمرو بن بحر الجاحظ

٨١ حنين للدموع

نشرت في فبراير/شباط (١٩٣٢):

كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ غَسَلَتْ مِنْهُ السَّوَابِقُ حُزْنَاً فِي حَنَائِي

كان الدمع يروح عني ويخفف حزن قلبي وكانت سوابق الدمع، الدمعات التي تنزل فوراً، تغسل الحزن في حنايا قلبي، أنحائه

لَمْ أَذِرْ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّقَهُ فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رُغْمِي فَأَفْنَاهُ

لم أعرف يد الدمع، نعمته، إلا بعد أن ارتشفه فم المشيب وأفناه فجفت دموعي

قالوا تَحَرَّزْتُ مِنْ قَيْدِ الْمِلَاحِ فِعْشَنَ حُرّاً فِيهِ الْأَسْرُ ذَلُّ كُنْتُ تَأْبَاهُ

عَلَّلُونِي بِأَنِّي تَخَلَّصْتُ مِنْ أَسْرِ الْمِيلِ لِلْحَسَنِ وَتَخَلَّصْتُ مِنْ ذَلِّ هَذَا الْقَيْدِ

فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَخْنَاهُ

لَكِنِّي أَتَحَسَّرُ عَلَى ذَلِكَ الْمِيلِ لِلنِّسَاءِ، فِيهِ رَفَقٌ وَحَتَّى - لَعَلَهُ نَادِمٌ أَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
مِنَ الزَّوْجِاقِ وَبَقِيَ عَزِيباً رُبْعَ قَرْنٍ فَلَدِمَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فَشَمَّرَ بِالْوَحْدَةِ

بُذِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَقْلِيثُهُ وَكَيْفَ أَقْلَيْتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ

الْقَيْدِ الثَّانِي فِيهِ نَظَرٌ - لَعَلَهُ الْمِيلُ الْمُتَأَصِّلُ فِي نَفْسِ حَافِظِ الشَّبَانِ! أَوْ لَعَلَهُ الْمَشِيبُ كَمَا يَصْرَحُ
الْيَتُّ الْمَقْبَلُ

أَسْرَى الصَّبَابَةُ أَحْيَاءً وَإِنْ جَهَّدُوا أَمَّا الْمَشِيبُ فِيهِ الْأَمْوَاتُ أَسْرَاءُ

٨٢ فاض الكيل

نشرت (١٩٣٢):

أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْفُونُ مِنَّا فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي الْعِبَادِ؟

فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ

٨٣ تعميم الخصب

أنشدتهما في حفل أقامه لطلبة بعد فصله من الجامعة، نشر البيتان في ٧

أبريل/ نيسان (١٩٣٢):

قَدْ أَجْذَبَتْ دَارُ الْحِجَابِ وَالنُّهَى بِمَنْكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةِ

أَجْدَبْتَ، وَأَقْفَرْتَ، الجامعة التي هي دار الحجاب، العقل، والنهى، العقل أيضاً، من آرائك النافعة

وَأَخْضَبَتْ أَرْجَاءَ مِصْرَ يَسَنَ صَبِيرَ مِصْرَ كُلِّهَا جَائِعَةً

٨٤ حكومة صدقي

من قصيدة في شؤون مصر السياسية، قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي، بعد إحالته
إلى التقاعد (١٩٣٢)، وقيل إنها بلغت متي بيت، وعثر من هذه الأبيات على قليل، منه
هذا الأقل:

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادَ وَعَامٌ وَابْنُ الْكِتَانَةِ فِي حِمَاهُ بُضَامٌ

لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَتِّنِي نَفْسَهُ بِوِدَادِكُمْ فَوَقَادُكُمْ أَحْلَامُ

أَمِنَ السَّيَاسَةَ وَالْمَرْوَةَ أَنَّنَا نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
 إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صَفُوقَنَا سَنَمُوتُ، أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ
 أَشْكُو إِلَى قَضَرِ الدُّبَارَةِ مَا جَنَى صِدْقِي الْوَزِيرُ وَمَا جَبَى عَلاَمُ
 قصر الدويارة: مقر المعتمد البريطاني، وصدقي: رئيس الوزراء إسماعيل صدقي، وعلام: محمد
 علام وزير الزراعة

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مِحْرَابِهِ الشَّيْخُ وَالْقِسِّيسُ وَالْحَاخَامُ
 هذه لإسماعيل صدقي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٤	وأفراح	٩	الكساني
٨	المُسَدِّدا	١٠	بالصَّهْبَاءِ
٢٤	حَدًّا	١٩	أبى
٢٥	والوَدَّادَا	٧٥	انصِيبَا
٢٧	يَدَا	٦	ارتِيَابُ
٨٢	العبَادِ	٣٠	والْحَسْبُ
٣٤	اليهودِ	٦٠	وَحُجَابُ
٢١	مَجْهُودِي	٤١	الخطَابِ
٦١	وَحَدِي	١٧	الْعَلِيبِ
٧١	الْعَمِيدِ	٨٠	المُصَابِ
١٥	أَثَرَا	١٣	بِاللَّهَبِ
٢	أَثَرُ	٥٩	مُجِيبِي
٢٠	الْكُوْنُزُ	٦٤	مَشِيبِي
٣٩	سَمِيرُ	٣٥	جَانِيَةُ
٦٦	كَبِيرُ	٧	الأمواتُ
١٨	نُشُورُ	٧٠	الأوقَاتِ
٦٥	الْحَنَزُ	٧٧	المُحْجَرَاتِ
٥٥	سِيرُ	٢٢	النَّضِرَاتِ
٤٥	والمَفَاخِرُ	١٦	حياتي
١١	وَحَلَسِ	٦٣	فَأَسْتَرْوُحُ

٥٢	وَسَلَّمُوا	٢٣	الطَّاعَا
٨٤	يُضَامُ	٧٢	نَزَعَا
٤٠	الظَّلَامُ	٤٣	يَلْمَعُ
٦٩	كَالْعَلَمِ	٧٦	الْأَلْمَعِي
١٤	مَا قَيْنَا	٧٣	تَرْفَعُ
٥١	وَيَسْقِينَا	٨٣	النَّافِعَةُ
٤٨	رَهِينُ	٣٧	تَنْطَلِقَا
٧٤	الْبَسَاتِينِ	٣١	يُلْحَقُ
٤٧	الْجَانِي	٣٨	الْعُشَاقِي
٧٨	الْحَانِي	٥٨	مَمْلُوكَا
٣٢	الْفَرَقْدَانِ	٦٢	مَوِيلَا
٤٤	الْمِهْرَجَانِ	٦٨	مَعْسُورُ
٧٩	تِيَّانِي	٣	مِعْطَانُ
١	ثَانِ	٤٩	يُظَلُّ
٢٩	عُثْمَانِ	٦٧	الْمَعَالِي
٤٦	فَشَجَانِي	٢٨	تَقْلُ
٥	فَاعِلَيْنِ	١٢	التَّنَلْمَا
٥٧	جَمْعُهُنَّ	٢٦	مَنْظَمَا
٥٦	بَيَانِهِ	٤٢	الْمِعْصَمُ
٥٣	عَلَيَّ	٣٣	مَنْهُمْ
٥٤	أَهْلِيهَا	٥٠	مُغْرَمُ
٨١	خَنَابَاهُ	٣٦	هَيَامُ

معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)

نامت جارتني الهندية، فهذا حين أقعد إلى حاسوبي لأكتب شيئاً.
أنصت وأصيح السمع.
نامت.

فجارتني - ولا أعرف لها وجهاً، ولا صادف أن التقينا في الردهة أو في
المصعد - لا تسكت ساعة من ساعات النهار أو المساء، فإذا ساد الصمت فلا
بد أنها نامت.

بقي أن أدعو الله ألا يهيب بي ذلك الدافع الخفي فأهب من جلستي، غير
هاب ولا وجل، لكي أصقل الغرفة. ولا بأس أن أقول لمن يقرأ هذا إنني
أسكن منذ سنة وشهر في غرفة ملاء. أكثر ما أعجبنى فيها وقت اكتريتها أنها
ذات بلاط أملس، بخلاف شقة قديمة كنت أسكنها وكان بلاطها خشناً. وفي
غرفتي الصغيرة تحتل معدات التنظيف مساحة يمكن تقديرها بنسبة مئوية لا بأس
بها. ويطلب لي أن أمسح الغرفة بالمسحة مرتين أو ثلاثاً في اليوم، ليس لكي
أرى مقدار ما تساقط من شعر جسمي في الزمن الذي انقضى بين المسحة
والمسحة، ولكن كي أحس أنني أعيش في بانو.

يا إلهي! عادت إلى الكلام. بيني وجارتني جدار صفيق، جدار أسمتي
حقيقي، ولكن صوت جارتني الهندية يخترق جدار الصوت. أسمعها دائماً
وحدها، يبدو أن زوجها مخلوق أنيس لا يلاسنها، أو أنه يكتفي بهمهمة
خفيفة.

يحسن بي أن أقوم ببعض التلميع عساها تنام.

نامت جارتني لا شك. وأنا الآن أجلس وتحتني شبه بحيرة، فالبلاط الأملس لا يجف بسرعة. ولا قومة لي لساعة أو ساعتين حتى يجف. الآن أشعر حقاً أنني أعيش في بانيو. وهذا جد ملائم للكتابة عن شاعر. فأنا إذ أكتب عن شاعر أحب ألا أعيش في بيئتي بل في بيئته. أحب أن أخرج من زماني ومكاني، وأنتقل إلى زمانه ومكانه.

لم يكن معروف الرصافي يعيش في المكان. فقد اهتزت الأرض من تحته طفلاً، وظلت تهتز. فإن ثبتت هزها.

كان سومرست موم الأديب البريطاني كذلك. كان مكانه الذي فيه يعيش ثروته الطائلة. في الأربعينات من القرن العشرين، كانت له سفرة في شرق آسيا، وحمل في حقيبته مئة ألف دولار أميركي. استهوته الفكرة، فقلت لنفسي يجب أن أجمع مالا كثيراً كي أقضي سنوات الشيخوخة عائشاً في ثروتي. وسألني صحفي يوماً عن أمنيته، فقلت له: أن أجمع مليون دولار. وتردد صدى هذا التصريح، وظل الأصدقاء يسألونني: هل اكتمل لك الحليون؟ الجواب: لا. بل ها قد دخلت في الشيخوخة، وإنني لأرى أحياناً بجانبني ورقة، فأنظر ذات اليمين وذات الشمال، فإذا وجدت نفسي وحيداً استللت قلمي وبدأت أحسب القروش التي وفرتها. كذا يفعل كل من أوشك على التقاعد. وخير رزق للشيخ بعد أن تصد عنه الوظائف التوفير والتدنيق.

سنة، وأكون قد تخلصت من هذه السلسلة التي أحدثك فيها عن الشعراء وأسمعك شعرهم. سنة، ويأتي الزمن الشيخوخي الذي يحس فيه الإنسان بأنه يملك الكثير من الوقت، وهو في الحقيقة لا يملك منه سوى القليل. سنة، وتبدأ مرحلة جديدة تصبح فيها أحلام اليقظة صعبة. ربما لهذا السبب يقبل المسنون على الدين إقبالاً ملحوظاً، فعندما تنتهي أحلام يقظتهم ينتهبون إلى أن هناك حلماً خالداً ويركزون اهتمامهم فيه.

على أنني الآن قاعد في البانيو، وتحتي ما زال البلاط يلمع، ولمّا تجفّ البحيرة. ولا حيلة لي في القيام. إن جاءتني فكرة حسنة فها أنذا أكتبها، وإن لم تجئ فعلى القارئ أن يحتمل كل ثرثرتي، فلا قومة لي حتى نجف بحيرتي.

جف الماء.. ليس ماء بحيرتي بل ماء حلقي. فقد عادت جارتني إلى

الكلام، ليس صراخاً هذه المرة بل كلام هادئ. ومع ذلك أقسم لو أنني أعرف لغتها لفهمت كل كلمة من كلامها، ففي صوتها خاصية غريبة هي الاستواء. إنه لا يصعد ويهبط مثل أصوات البشر، بل يظل على وتيرة واحدة، هادئاً كان أم صارخاً. وهو الآن ليس بصارخ، لكنه عالي، ومتواصل.

وعلى صوتها الهادئ، وكلامها الذي لا أفهمه، يمكنني أن أركز ذهني في حياة معروف الرصافي المضطربة. فإني لم أحسن التركيز فلا بأس.. فحياته كانت مضطربة.

هذا رجل بغداداي. والواقع أنه طفل بغداداي لا رجل. فعلى غير ما عودتك سوف أبدأ من شاعرنا منذ الولادة وأصعد درجة درجة حتى أوسده حفرته.

معروف الرصافي

ولدت أم عربية، في بيت أبيها جاسم، وريته عربياً. فقد كان أبوه الكردي عبد الغني محمود، العريف في الجيش العثماني، ثم شرطي الجندرية، غائباً معظم الوقت، ثم مات ومعروف في نحو السابعة من العمر، فإني رأيت يذرف الدموع في أكثر من قصيدة على اليتيم فاعلم أنه يستقي من بئر حقيقته.

كانت فاطمة بنت جاسم تعتني بولدها وترسله مع شطيرته إلى الكتاب كل يوم. ثم أخذ معروف يتردد على «المدارس الدينية»، لا أدري طبيعة هذه المدارس، ولا الجهة التي كانت تنفق عليها، وأنا أنقل لك بعض المعلومات من نجدة فتحي صفوة في كتابه عن الشاعر ضمن سلسلة «الأعمال المجهولة»، والكتاب طيب وذو أسلوب قوي، رغم أنه المؤلف فيما بدا لي لم يدقق النص بعد أن دفعه إلى المطبعة.

بعد ذلك التحق الرصافي بأستاذ كبير هو الشيخ محمود شكري الألوسي اثنتي عشرة سنة لا يفارقه. والألوسي بحر زاخر في علوم اللغة والأدب القديم وعلوم الدين على مذهب أهل السنة. فمن نظر في كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» عرف أن الرصافي عب من البحر.

لقب الألوسي تلميذه النابه «الرصافي» مستذكراً معروف الكرخي الصوفي الراهد، والرصافة جانب بغداد الشرقي المقابل للكرخ، وكان التلميذ يتدرب على الشعر بمدح أستاذه.

عمل الرصافي في التدريس، وظل ينظم، وأخذ ينشر أشعاره في مجلات مصر وسورية وهو بعد قتي، فظن الناس أن «الرصافي» اسم يستخفي وراءه شاعر كبير لا يريد أن يتأذى بما في قصائده من صراحة. ومع إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، ثم خلع السلطان عبد الحميد في السنة التالية، كان الرصافي في الثالثة والثلاثين من العمر، معلماً واعياً لما تحدثه التغيرات في إستانبول على أحوال العراق. وقد نشط في تأييد ضباط جماعة «الاتحاد والترقي» الذين أرغموا السلطان على الدستور، فانقلب عليهم، فغزلوه. وكان لجماعة الاتحاد والترقي في بغداد حضور، وأصدروا صحيفة بالعربية والتركية، وتولى الرصافي تحرير نسختها العربية.

برزت في ذلك الحين الأفكار العلمانية للرصافي. كان صاحبنا بعد أن أخذ عن أستاذه الكبير علمه الغزير باللغة والأدب خالفه في تمسكه القوي بالدين على المنهج السلفي القريب من الوهاية.

استدعى القطب الصحفي في إستانبول «أحمد جودت» الرصافي ليحرر جريدة في عاصمة الدولة، فذهب الرصافي، ليجد أن المشروع قد ولد ميتاً.

توجه الرصافي إلى بيروت حيث احتفت به الأوساط الأدبية، وطبع له هناك، عام ١٩١٠، ديوان بوبه وقدم له اثنان من كبار أهل الأدب (محيي الدين الخياط، ومصطفى الغلاييني)، وفي هذا ما يدل على أن أهل الأدب واللغة في ذلك الزمن عرفوا قيمة الرصافي الأدبية وعمق معرفته باللغة وأساليها، وهو بعد في الخامسة والثلاثين من العمر. ثم عاد الرصافي إلى بغداد.

واستدعي الرصافي ثانية إلى إستانبول لتحرير صحيفة «سبيل الرشاد»، فذهب. وخلع في إستانبول الحجة والعمامة وتزوج امرأة تركية. وأخذ يدرس الواعظين، وكان طلعت باشا أحد كبار رجال الاتحاد والترقي يدرس العربية على يده، ويقول «شيخني معروف الرصافي».

وعلى يدي طلعت دخل الرصافي مجلس المبعوثان نائباً في عام ١٩١٢، و«زامل في ذلك المجلس نائباً شاباً من الحجاز اسمه الشريف فيصل ولم يكن يخطر لأي منهما في ذلك الوقت ببال أن هذا الشاب الحجازي سيتوج بعد أقل من عشر سنوات ملكاً على العراق، وأن الرصافي سيصبح من أشد مناوئيه»، اهـ عن نجدة فتحي صفوة.

بقي الرصافي في النيابة أزيد من أربع سنين مؤيداً للدولة العثمانية في حربها ضد نصف العالم، الحرب العالمية الأولى. كان على بعض اتصال مع الجمعيات العربية التي تتطلع إلى نيل العرب حقوقهم، ثم صارت تتطلع - بعد أن بدا واضحاً أن الدولة العثمانية آيلة للتفكك - إلى نيل بلاد العرب الاستقلال، وكان الرصافي يتقد هذا التحرك. قد ظل الرصافي عثمانياً الهوى.

وعندما قام شريف مكة، الشريف حسين، بالتحرك ضد الدولة العثمانية بدعم بريطاني رماه الرصافي بخيانة الدولة العثمانية الإسلامية وممالاة أعدائها. وبدأت أعراض الهزيمة تظهر بوضوح متسارع على الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الأولى، وظل الرصافي عثمانياً.

توجع الرصافي عندما سقطت بغداد بيد الإنجليز عام ١٩١٧، وظل في إسطنبول حتى انتهت الحرب في عام ١٩١٨. ودخلت تركيا نفسها مع انتهاء الحرب في أنون حروب داخلية ستنتهي بقيام الدولة التركية الحديثة على يد مصطفى كمال أتاتورك.

غادر الرصافي إسطنبول إلى دمشق، حيث كان الأمير فيصل يهيء نفسه لتسلم العرش بدعم بريطاني، ولأن موقف الرصافي من الإنجليز معروف فقد تعذر عليه أن يمكث في دمشق، فتوسط له محمد كرد علي في وظيفة بالقدس.

مكث الرصافي في القدس عامين سعيدين احتفى فيهما به أدباء فلسطين. كان معلماً في مدرسة المطران. لا ندرى إن كان الرصافي قد عرف قبل مقدمه أن هذه المدرسة إنما أنشأها المبشرون الأنجليكان الإنجليز قبل عشرين سنة من مقدمه، وظلوا يديرونها حتى يومنا هذا. على أن الأنجليكان، بخلاف كل الطوائف، يتسمون بسماحة لم يتسم بها الحكم الإنجليزي الذي كان قد وطد لنفسه في فلسطين قبل قدوم شاعرنا. لقد دخل الجنرال إدmond ألنبي القدس في أواخر عام ١٩١٧ راجلاً احتراماً للمدينة المقدسة، ولكن وزير خارجيته في لندن آرثر بلفور، صاحب الاعتقاد بالشعوذة والرئيس السابق لجمعية غيبية لا تؤمن بأن الإنسان يموت، كان قد أصدر الوعد المعروف باسمه لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين قبل شهر وتسعة أيام من احتلال الإنجليز للقدس.

عاش الرصافي في القدس مع إخوته من الفلسطينيين وجلهم كان غافلاً عما يدبر للبلد رغم الإشارات الواضحة.

وبعد هذين العامين السعيدين استدعت بغداد ابنها. لقد بدأ زعماء العراق يحشدون قواهم تحت شعار «العراق للعراقيين». ذلك أن فيصل طرد من دمشق شر طردة بعد أن أخلاها الإنجليز للفرنسيين ودخلها الجنرال غورو دخولاً وقحاً وهو يبشر نفسه بأنه قد بلغ بالحروب الصليبية نهايتها بانتصار الغرب. وبدأ الإنجليز يرتبون ليفصل كي يتسلم عرش العراق.

استدعى زعماء بغداد الرصافي المعادي للإنجليز كي يحرر جريدة لهم تدعم مطالبهم.

لكن الإنجليز شقوا صف الزعماء العراقيين وتوجوا فيصل ملكاً على العراق. وصل فيصل في صيف ١٩٢١، واستقبله الرصافي بقصيدة قدح ثم بقصيدة مدح. لكن فيصلاً زوى وجهه عن زميله القديم في المبعوثان. واستعطفه الرصافي برسالة بعد سنة. ولم يقبل عليه فيصل بوجهه. فأخذ شاعرنا يبيت في الناس أهاجيه في فيصل.

سافر الرصافي إلى إستانبول، وكان قد طلق زوجته التركية قبل رحيله في نهاية الحرب، ورأى أن ما كانت عليه إستانبول وهي عاصمة الإمبراطورية تغير كثيراً. فلم تعد عاصمة دولة نصف أهلها عرب، بل كبرى مدن تركيا وحسب. وبسرعة مضى الرصافي إلى بيروت يريد أن يقيم بها. لكنه عدم في بيروت مورداً للرزق مع أنه اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فعاد إلى العراق وشارك في انتخابات المجلس التأسيسي ١٩٢٤، ولم ينجح. لا، ولم يقربه فيصل الذي بلغته أبيات الرصافي في هجائه.

عمل الرصافي في تدريس اللغة العربية موظفاً في المعارف. وأخذ يمدح الملك ورجال الحكم ويهجوهم طامعاً في منصب كبير. كان فيصل رجلاً حكيماً عاقلاً، وكان الرصافي شاعراً قلقاً. فعاش الملك مغضباً ومحتماً ما تجود به قريحة الشاعر، وعاش الشاعر آمناً ومقصى عن رفيع المناصب.

لكن الله أرسل للرصافي رجلاً رقيق القلب وصاحب سياسة هو رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون. أقنع السعدون الملك بأن يسمح للرصافي بالترشح لمجلس النواب. وانتخب الرصافي نائباً في عام ١٩٢٨. وممرت سنة وانتحر رئيس الوزراء السعدون، في الأغلب لأنه شعر أن المطلوب منه أن يكون لعبة ثانية بيد الإنجليز، حيث اللعبة الأولى فيصل نفسه.

بقي الرصافي في مجلس النواب أربع سنين، ثم ضاق رزقه فارتحل إلى الفلوجة على بعد ثمانين كيلومتراً من بغداد، وعاش في بيت أفرد له بعض من يقدر أدبه. ومات فيصل عام ١٩٣٣، ورثاه الرصافي. وعاد الرصافي إلى مجلس النواب عام ١٩٣٥ وظل فيه أربع سنين أخرى.

في الفلوجة، حيث مكث الرصافي سبع سنين، كتب كثيراً من النثر. فيها كتب «الشخصية المحمدية» الذي ستحدث عنه بعد أن نوصل الرصافي بأمان إلى حفرة قبره.

عاد الرصافي إلى بغداد مع قيام انقلاب رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١. كان حكام البلد الإنجليز يخوضون حربهم العالمية الثانية، ولم يكونوا في مزاج يسمح لهم بقبول انقلاب مدعوم من هتلر. قمعوا الانقلاب الذي أيده الرصافي بكل قوة.

كان الرصافي يعيش في بغداد في دار مستأجرة مع خادمه عبد بن صالح وأولاد الخادم الكثر. فتح الرصافي دكاناً لبيع السجائر، وتوسط له أهل الخير لكي يأخذ حصة من سجائر «غازي» من الشركة لبيعها. ونظم شاعرنا بيتاً، ربما رشحنه ليكون أسخف بيت شعر عربي، في الدعاية لسجائره: دُخِّنْ سيجارة غازي/ واشعُرْ بفخر اعتزاز. ونشر البيت في دعايات السجارة المذكورة في صحف بغداد. ولكن هذا لم يشفع للدكان المنحوس فسرعان ما أغلق أبوابه. . إن كان له أكثر من باب. وقال شاعرنا: «والله لو حاولت بيع الأكفان لما استأثرت يد الرحمن بنفس من الأنفس».

خصص مظهر الشاوي، أحد شيوخ القبائل، مرتباً للرصافي. وشاعرنا صاحب مزاج، وهو سخي متلاف. يصف لنا أحمد حسن الزيات زيارته للرصافي في بيته ببغداد. . وسأنقل لكم وصفه.

العودة عصر اليوم التالي

قد مضى ذلك المساء الذي كتبت فيه الصفحات السابقة. . والآن أكتب في عصر اليوم التالي. . فاسمعوا الآن معي ما أسمع من خلال الجدار الأسمنتي في غرفتي! كاكا آآع. . ددي ننيكاب أوز دوب. هل فهمتم شيئاً؟ لحظة. . سورات! ماذا؟ هنا بدأت الأحرف تتوالى على نحو يصعب معه تدوينها. إن كنت تفهم لغة هذه الآدمية فأنت بحول الله قد عرفت عن جيرانتي ما لا أعرف. همنا هاما دي! ما معنى هذا لو سمحت؟

وأسمع بوضوح شديد: تيكاً ماسالاً، كاري كاري. والصوت غير الصوت. هذا في الواقع صوت بطني. فقد أخذ يتجاوب مع جارتني الهندية تحت وقع الجوع بكلمات حبيبة إلى قلبي. وكيف لا تكون حبيبة وهذه الخلطة من البهارات الهندية كافية للقضاء على كل نكهة. أطبخ بها نعل جلدك العتيق على نار هادئة وستجد له مذاقاً رائعاً. . مذاق المسالاً طبعاً. لا أدري ماذا يقدمون لنا في المطاعم الهندية الرخيصة. . تأكل وتملاً بطنك وتدفع أقل مما تدفعه في شطيرة جبن.

سأقوم إلى إعداد غدائي الآن، فمنذ الصباح لم أتناول شيئاً. وعندي سمكة. ليست كالسمكة التي نصحني بها صديقي في لندن.

جلد السمك

كان الشاعر العراقي صلاح نيازي يقف أمامي في طابور مطعم الإذاعة البريطانية يسوق صينيته على السكة وأسوق صينيته خلفه، والتفت إليّ ووجهه مشرق بالفرح: «عيني شوف. سمك، سمك، ويجلده. عيني! لا تطرح جلد السمكة جانباً. أرجوك، أرجوك». وتغضن وجهه وكأنه يلقي قصيدة حزينة. «لا، لا. كل الفائدة في جلد السمكة. يود! مليء باليود. يصعد إلى قشرة الدماغ فوراً، وكُلُّش مفيد للذاكرة».

لا أذكر إن كنت عملت بنصيحته أم لم أعمل. لكنني من يومها وأنا أغمض عيني كلما قدمت إلي سمكة بجلدها، وأبلع قطعة من هذا الجلد بلعاً، وها هي ذاكرتي تسبح بحمد ربها. سألني عن أي شاعر أكتب الآن؟

غدائي سمكة منزوعة القشر والشوك معاً. لا أريد يوداً، ولا أريد أن أخوض لعبة البحث عن الشوك. عندي نصف سمكة منزوعة الفائدة، وسأشحنها شحناً بالكاري والمسالاً، وأعود إلى شاعرنا. كائنات من كان شاعرنا. وليكن في علمك أنني عندما أملاً بطني أكتب كتابة مملة مشحونة بالثرثرة. تماماً مثلما أفعل الآن وأنا أتصور جوعاً.

العودة إلى الرصافي

اللهم أدم النعمة، واحفظها من الزوال.

كنا نقول إن الرصافي قعد في سنتيه الأخيرة في بغداد تحت حكم الإنجليز

الذين كرههم وكرهوه. ولكنه عرف دماءهم. ورأى كيف تتحرك السياسة العراقية في زمنهم، فكان كمن يشهد مسرح العرائس... يرى العرائس ولا يرى الأصابع الخفية التي تحركها.

استطرد عن الإنجليز

الإنجليزي مخلوق من مخلوقات الله، يمكن أن يكون ذكياً ويمكن أن يكون بغلاً. ولكن ستين مليون بغل يسبرون في اتجاه واحد يحركون الجبال، وثلاثمئة مليون عربي - كل واحد منهم، زعيم، أو فقيه، أو ولي من أولياء الله، له قول في خالق الكون وفي فوائد جلد السمك - يسير كل منهم في اتجاه مختلف يتحركون فقط حركة موضعية، كان يسميها معلم التربية البدنية «مكانك سر».

قبل أزيد من ربع قرن خاطبني زميل إنجليزي يشتغل في الراديو القومي الثالث، المتخصص في الموسيقى، وقال لي: قد نصحوني بك لهذا البرنامج الذي نريد إنتاجه في لبنان. اسم البرنامج «نجوم فوق لبنان» وهذه ترجمة حرفية لـ «ستارز أوفر لبنان». هل رأيت كلمة لبنان وهي مكتوبة باللفظ الإنجليزي؟ في الواقع أهل ذلك البلد الشقيق ينطقونها لبنين. ولكنهم إذا استمروا في إهمال اللغة العربية قد يقولونها ليون، أو أي شيء آخر.

المهم، مضينا إلى لبنان. وذهبنا إلى الحازمية ورأينا وديع الصافي. قال لي: من وين حضرتك؟ قلت له: فلسطيني. قال لي كلمة واحدة: معلى. وكان لقاء طريفاً. أطرف ما فيه أن وديع الصافي لا يتحدث كلمة إنجليزية واحدة. فترك لي صاحبي الإنجليزي، وهو مخرج البرنامج وأنا المقدم، المجال لكي أسرح مع وديع الصافي في ذكريات أيام زمان مع صباح وفيروز، وبعليك.

ثم ذهبنا إلى عجلتون لنرى فادية الحاج، وبعد السؤال الأول بدأت توجه كلامها للإنجليزي لا إلي. ومثلها فعل وليد غلمية الذي قابلناه في معهد الموسيقى في سن الفيل. ما الذي يميز هذا الإنجليزي عني؟ أهو فهمه للموسيقى والغناء في لبنان؟ بالطبع لا. ولا هو عمره، فرما كان يصغرني ببضع سنوات. ولا حتى لغته الإنجليزية، فقد كنت أتكلم مع النجوم بالعربية أو بإنجليزية مبسطة كي أستل منهم بعض العبارات الإنجليزية، لأن البرنامج سيكون لجمهور إنجليزي.

عند الرحابنة في أنطلياس

ذهبنا إلى أنطلياس والتقينا منصور الرحباني . كان قد دخل في مرحلة العزوف الشيخوخي ، وبدأ يتحدثني - ويحمد الله أنه لم يكن يحسن شيئاً من الإنجليزية - عن العلاقات المميزة بين المسلمين والمسيحيين . ولم يكن هذا الأمر مما يعنيني ، لا في ذلك اللقاء ولا في أي لقاء آخر في حياتي كلها . فهؤلاء القوم في لبنان يتبادلون القبلات اليوم ويسحبون خناجرهم غداً ، وكلهم يقتتلون : طائفاً يقتتلون ، وعشائرياً يقتتلون . فإذا لم يكن ثمة تهديد من طائفة أخرى فإن أبناء الطائفة الواحدة يتسلون فيما بينهم بحرب أهلية صغيرة .

وخرجنا من عند منصور الرحباني . وفي الشارع أمام البيت وقفت كي ألقى في آلة التسجيل كلاماً يكون بمثابة المقدمة للقاء . لاحظت لون الشبايك ، إنه أحمر أحمر . في حمرة الدم . وأعادني هذا ، ليس إلى الدم الذي سفحه أشقاؤنا في حربهم الأهلية الأخيرة ، بل إلى هذا الوضع الطفولي في أغاني الرحابنة . كانت الدنيا في العالم الرحباني بسيطة وملونة بألوان أساسية . كان أغرب لون عندهم اسم مغنيتهم «فيروز» ، وبخلافه فليس عندهم تلك الألوان المختلطة : الخمري والبطيخي والتركوازي ، بل اكتفوا بالأحمر والأصفر والأخضر والأزرق بأبسط صورة . قلت أشياء من هذا القبيل .

وسقط في يد صاحبي الإنجليزي . وبدأ يحاجبني في إشارتي إلى اللون الأحمر . قلت له : أحاجيك أن تجد لي في بيروت كلها شبايك بهذا اللون . هذا لون اختاره ناس صنعوا عالماً في الهواء ، صنعوا دنيا أحلامية . هؤلاء ارتفعوا عن واقع بلدهم بما يكفي ليقولوا في كلامهم وموسيقاهم أشياء تصلح لكل زمان ومكان . لقد صنع الرحابنة في نحو سبع عشرة مسرحية عالماً من الخيال ، فيه الحب والسياسة ، وفيه المرح والنكتة ، وفيه أجمل الشعر وأجمل الموسيقى . وحرى بالمتقف العربي أن يربأ بنفسه عما تفعله إذاعات الإف إم من أعمال السكين في هذه المسرحيات ، واستخراج الأغاني منها ، وإلقاء الحوار في سلة المهملات . حرى بالمتقف العربي أن يعود إلى هذه المسرحيات فيسمعها كاملة لكي يدخل في هذا العالم الرحباني ، ويتذوق الفن على درجة تذوقه أرفع من درجة التذوق البسيطة بالأغنية وحدها متزوعة من المسرحية .

مكنت على حالي تلك مع مخرجي الإنجليزي أسبوعاً ذقت فيه مرارة عقدة الخواجا عند كبار أهل الفن، ومرارة ضيق الأفق عند هذا الرجل. وعدنا إلى لندن، وسجلت المزيد من الوصلات والمقدمات. وكان من محاسن شخصية صاحبي أنه منظم غاية التنظيم فجمع البرنامج من القصائد الصوتية الكثيرة، وصاغه في أحسن صورة في ثلاث حلقات.

عودة ثانية إلى الرصافي

لا تنتظر من الرصافي أن يكون خائفاً للإنجليز، فهو حر، وفي شخصيته خليط من القسوة والرفقة والجلافة وطيبة القلب. ولا تنتظر منه أن يكون مفكراً رصيناً لما في شخصيته من قلب وحدة مزاج. وربما أيضاً لأنه شاعر، وربما أيضاً لأنه كف عن المطالعة في سن مبكرة مكتفياً بما تعلمه من أستاذه الألوسي. وشر ما تعلمه الرصافي التعصب الطائفي. وهو في كتبه «السياسة في العراق»، و«الشخصية المحمدية» متحامل على الشيعة تحامل من هو واثق من أنه على حق. لكنك تراه يتعامل مع أبناء بلده من الشيعة بأريحية وطيب نفس. كان في حياته وفي أفكاره التي سترها واضحة كل الوضوح في شعره علمانياً بعيداً عن الدين. وترك لنا مصداق ذلك في كتابه الكبير «الشخصية المحمدية».

سمعت عن الكتاب من زكي مبارك.

فقد زار الأديب المصري الشاعر الرصافي وهو في الفلوجة، وقد أنهى لنوه كتاب «الشخصية المحمدية». وجاء الرصافي لزكي مبارك بمخطوط الكتاب، اسمع زكي مبارك: «ألح عليّ الشاعر في أن ألقى نظرة على ذلك الكتاب، وهو مخطوط في عشرة كراريس، وكنت قضيت ساعة في هدوء. فلما وقع بصري على بعض فقرات الكتاب ثرت ثورة عنيفة، وانطلقت أجادله بلا ترفق ولا تلطف. وقابل الشاعر ثورتي بأدب رائع دلني على أنه من أقطاب العقل [...] والرصافي، مؤلفاً، غير معروف، لكن كتابه عن النبي محمد كتاب هائل جداً، وترجع أهميته إلى ما فيه من نقد الأخبار والأحاديث، وقد لا تتسع الصدور لظهور هذا الكتاب، وهذا هو الشاهد على أن أسلافنا كانوا أوسع صدرأ وأعلى مقاماً، اه عن «وحي بغداد» لزكي مبارك.

قرأت هذه الفقرة عند زكي مبارك، وقلت في نفسي لعل كتاب الرصافي ضاع. وقرأت في مكان آخر ما يدل على أن نسخة منه محفوظة في بغداد. ثم

فجأة جاءني من يقول إن الكتاب قد طبع في ألمانيا. كنت أوشك على سفر إلى هناك، بل إلى المدينة نفسها التي زعم الزاعم أن الكتاب طبع بها.

لم أعثر على الناشر في مكتبه. ولكن صديقاً أهدى إليّ نسخته. فإذا هو كتاب كبير حقاً، يتجاوز السبعمئة صفحة. وقد عهدت الرصافي الناشر يكتب الفقر القصيرة والكتب الصغيرة ككتابه عن السياسة في العراق.

جعلت كتاب «الشخصية المحمدية» زادي في أسبوع قضيته في لندن وآخر في أمستردام. ويا له من كتاب! ولكثرة ما فيه من جحد الغيبات، والتشكيك في أحداث ظل الناس يروونها وكأنهم رأوها بأعينهم، ولكثرة ما فيه من نقد للدين بسن الرمح لا بسن القلم، لم يعد أحد قادراً على حجبهِ عن النت. فنسخته المصورة موجودة في كل مكان. والممنوع مرغوب. ولا أجادل الرجل في كلامه، وحتى عندما أورد له من الشعر بعض ما يشبه ما جاء في نثره فإنني إن ناقشته في مسألة لغوية فلا أناقشه في أفكاره.

لم يتزوج الرصافي بعد امرأته التركية. وعاش الثلاثين سنة الأخيرة من حياته عيشة بوهيمية، حتى وهو نائب في مجلس النواب. زاره الأديب المصري أحمد حسن الزيات، صاحب «الرسالة»، في بيته في بغداد بعد عودته من الفلوجة. وكتب عن هذه الزيارة عقب وفاة الرصافي: «... ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة... وليس في البيت مكتب ولا مكتبة، فقد كان لا يقرأ، وإنما يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه، ويكتفي بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه. وكان في الردهة قوم يأكلون ويشربون، وفي حجرة النوم آخرون يسرون ويلعبون، وكان الرصافي يتصدر هؤلاء وفي يمينه كأس وفي يساره ورق [اللعب]، فلما رأيته فض اللعب وأقبل بأنسه علي، ثم أخذ يشرب ويتحدث عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ، ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال... هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس».

يصف الشاعر محمد مهدي الجواهري الرصافي وهو في آخر أيامه: «... في تلك الغرفة الجرداء التي لا أنساها أبداً، وكأنما أنا فيها الآن، كان الرصافي على سرير من السرر الرخيصة... وقد أحس بي وأنا أدب على أطراف أصابعي لتلا أوقفه... وكانت الحيرة في أين أجلس إذ ليس في الغرفة

كرسي أو خشية أو حتى حجر للجلوس، ويتحامل الرصافي على نفسه فألح عليه ملتصقاً ألا يفعل، فيأبى وأطيع، فأتحدث إليه آخر حديث وأوجهه قبل أن يموت بأيام».

وكتب الرصافي وصيته وأودعها لدى محام صديق، وعند وفاته قرأها على الحاضرين صديقه وراويته مصطفى علي. أوصى الرصافي بكل ما يملك، وبحقوق مؤلفاته لأسرة خادمه عبد بن صالح. وأوصى أن يدفن في أي مقبرة كانت، «على أن يكون قبري في طرف منها، وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلاً». والتوقيع: «المؤمن بالله وحده لا شريك له معروف الرصافي».

أحسن إلى الرصافي كل الإحسان راويته مصطفى علي، وهو لغوي مدقق وأديب، بنشر ديوان الشاعر نشرًا محترماً في خمسة أجزاء. وعلى هذه الطبعة اعتمدنا. ومصطفى علي في هذه المجلدات الخمسة يروي وينقب لك عن المعنى القاموسي مع ضبط طيب للكلمة في الهامش ببيان بابها الصرفي، لكنه لا يشرح معنى دقيقاً ولا يشفي غليل من أراد أن يعرف مناسبة القصيدة أو تاريخ نظمها. فهو يورد من ذلك الشيء بعد الشيء. وقد أخذنا عنه تواريخ بعض القصائد، ولم نبحت كثيراً عند غيره.

الرصافي شاعر مهمل، يكتب قصيدته على ظهر مغلف أو علبة سجائر. أو هكذا أتخيله. يكتبها قبل الحفل الذي سيلقيها فيه بيوم أو بساعتين. وقد تأتي قافيته قلقة، أو قد يحشو البيت بحشوة منكرة. وقد نقبس له في القطعة بعد القطعة بيتاً من هذه الأبيات المشعبة لأنه يقيم لنا السياق. لا عليك من ذلك. الرصافي كان لسان زمنه وبلده، وكان جريئاً، وكان صاحب موقف، وكان يحسن أن يقول بين الحين والحين بيتاً رناناً يردده الناس في العراق. وخير لك أن تتحرى مزاج العراق عصرئذ في شعره من أن تقرأ كتب التاريخ. وقالوا: خياله ضيق. وأقر هو بذلك في أكثر من قصيدة، وافتخر بواقعيته.

كنا ونحن نقرأ ديوانه نشعر كأن الرصافي واقف أمامنا يلقي هذه القصائد، وهذا شيء جميل. لكنك قد لا تريد أن تقرأ الألف والسبعمئة صفحة التي هي الديوان. حسناً فهذه خمسون صفحة فقط هي أجمل ما قال معروف الرصافي.

١ الضمير لثاماً

(١٩٢٢):

وَلَرَبِّ خَافِيَةٍ يُكَتِّمُهَا الْقَتَى وَالْوَجْهَ مِنْهُ يَسِرُّهَا يَنْكَلِمُ
كُلُّ يُسِيرُ إِلَى السَّرِيرَةِ وَجْهَهُ فَكَأَنَّهُ بِضَمِيرِهِ مُنَلِّسُ
السريرة: الضمير وما يخفيه المرء، والمرء لا يستطيع أن يخفي مكتونه فكأنه يضمه على وجهه كما يضع الكوفية

إِنَّ الْوَجْهَ صَحَائِفَ مَطْمُوسَةً يَمْحُو كِتَابَتَهَا وَيُثَبِّتُهَا الدَّمُ
الدم الذي يتدفق إلى الوجه كأنه الحبر الذي يكتب في الوجه ما يخفيه الضمير... فالوجه يحمر أو يصفر بما يتدفق أو لا يتدفق من دم

إِنِّي أَرَى هَذِي الْوُجُوهَ تَوَاطِعَاً بِالسَّرِّ لَكِنْ نُظِّفُهُنَّ مُجَمِّجِمُ
مججم: مغمغم، غير واضح، مثل نطق الإنجليز عندما يتحدثون باليابانية، أو العكس

٢ المرأة بين الأب والزوج

مَا أَهْوَنَ الْأُنْثَى عَلَى ذُكْرَانَا فَلَقَدْ شَجَانِي ذُلُّهَا وَخُضُوعُهَا
ضَعُفَتْ فَحُجَّتْهَا الْبُكَاءُ لِيَخْضِعَها فَسَلَّحَهَا عِنْدَ الدِّفَاعِ دُمُوعُهَا
هِيَ مُنْعَمَةٌ الْمُسْتَمِجِينَ، وَلَبَّتْهَا كَانَتْ لِرِزَامٍ لَا يَجُوزُ مَبِيعُهَا
بيع اللزوم في الفقه: الذي لا يجوز للمشتري فيه رد السلعة

فَوَلَّيْتُهَا عِنْدَ الزَّوْاجِ يَبِيعُهَا وَحَلَّلْتُهَا عِنْدَ الطَّلَاقِ يُضِيعُهَا
ولي المرأة: أبوها أو من يقوم بتزويجها، حللها: زوجها

وَكَلَامُهَا مُتَعَكِّمٌ فِي أَمْرِهَا هَذَا يُعَرِّبُهَا وَذَاكَ يُجَبِّعُهَا

٣ كون عجيب

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَوْنَ فِي الْأَصْلِ وَاحِداً عَجِبْتُ لِأَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ ضُرُوبُ
ضروب: أنواع

وَلِأَنَّ اخْتِلَافَ الْأَدْمِيِّينَ سِيرَةً وَهُمْ قَدْ تَسَاوَوْا صُورَةً لِعَجِيبِ
وَأَعْجَبَ مَا فِي الْكَائِنَاتِ ابْنُ آدَمَ فَمَا غَيْرُهُ فِي الْكَائِنَاتِ مُرِيبُ
يُنَزِّمُ فَعَلَ السُّوءَ وَهُوَ حَلِيفُهُ وَيَحْمَدُ قَوْلَ الصَّدِّيقِ وَهُوَ كَلُوبُ

تسويد البيتین من عمران الففینی

ولو بآخ كل بالذي هو كآيم لَمَا عُدَّ في هذا الأنام أديب
 المتأدبون هم كذلك لأنهم يكتون ما بأنفسهم من خساسة، ولو أظهر كل إنسان ما يكتنه لما كان
 في البشر أي شخص على خلق

وقد يفتري المال الفضائل للورى وليس لهم مآ افتراه نصيب
 المال يفتري الفضائل للورى: ينب إلى الناس محاسن ليست لهم

٤ المصير

وما المرء إلا بيت شجر عروضة مصائب، لكن ضربه حفرة القبر
 العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول من بيت الشعر، الضرب: الجزء الأخير من الشطر الثاني
 من البيت

وتنظّمنا الأباؤ شِعراً، وإنما ترُدُّ المنايا ما نَظَّمْنَ إلى النثر
 ورُبَّ نيام في المقابر زرتهم بمنهل دمع لا يُنهته بالزجر
 زرتهم ودمعي منهل، مسكوب، لا ينهته، لا يُرَدِّع، بالزجر، بالنهر وبالتعنيف
 أسگان بطن الأرض! هلاً ذكرتم عهوداً مضت منكم، وأنتم على الظهر
 على الظهر: على ظهر الأرض

رَضِيتُمْ بِأَكْفَانِ الْبِلَى حُللاً لكم، وكنتم أولي الديباج والحللي الحمر
 رضىتم بالأكفان حللاً، أي ملابس، وكنتم أولي الديباج، أصحاب الحرير، والملابس الحمر...
 وكانت الملابس الحمر ملابس عليّ القوم، وحتى النساء فقد كن «حمر الجلابيب» كما وصفهن
 المتنبي دلالة على العز

فقلت، ولِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مُشِيرَةً: ألا إن هذا الشَّعرَ مِنْ أَفْجَعِ الشُّعْرِ

٥ الفوق والتحت

نَحْنُ عَلَى رَغَمِ مَا عَلِمْنَا نعيش في غيبِ السماء
 غيب: غلام، السماء: المعنى... وأصل السماء الغيم لكن شاعرنا في الأغلب قصد المعنى وهمزها
 كمن همز الرضا فجعلها الرضاء

نَشْرَبُ ماءَ الظُّنُونِ عَجَباً فلم نَعُدْ منه بِأَرْتِواءٍ
 فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
 هذا من العلوم المعاصرة التي فهمنا منها أنه لا يوجد فوق ولا تحت، وإلا كان سكان أستراليا
 وكنّا غرامها سقطوا في الفراغ... وعلى هذا فلا صعود لمن يريد الصعود

وَأَتَمَّا نَحْنُ فَوْقَ نَجْمٍ نَحْيَا مُحَاطِينَ بِالْهَوَاءِ
على الأصح نحن فوق كوكب

فَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ ارْتِقَاءٍ لِلرُّوحِ يَبْقَى، أَيُّ ارْتِقَاءٍ!
بانقضاء الفوق والتحت لم يعد للروح صعود بعد الموت!

٦ الماء المهلتر

يَا مِياهاً جَرَتْ بِدَجَلَةٍ نَجَتْ زُ مُروراً بِجَانِبَيْ بَغْدَادِ
أيها الماء أين تجري ضياعاً وَحَوَالِيكَ قَاجِلَاتُ الْبَوَادِ
لَوْ زَرَعْنَا بِكَ الْبِقَاعَ حُبُوباً لَحَصَدْنَا النُّضَارَ يَوْمَ الْحَصَادِ
النضار: الذهب... قد أخذ الترك والإيرانيون كل ماء دجلة تقريباً فلم يعد ثمة ماء مهلتر

٧ شذوق الضراغم

سَمِيَ النَّاسُ وَالْأَقْدَارُ مَخْبُوءَةً لَهُمْ وَنَامُوا وَمَا لَيْلُ الْخُطُوبِ بِنَائِمِ
جَرَتْ سُقُنُ الْأَيَّامِ مَشْحُونَةً بِنَا عَلَى بَحْرِ عَيْشٍ بِالرَّدَى مُتَلَاظِمِ
دَأْبْتُ لِنَفْسِي فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّنِي مِنْ الْعَيْشِ مُلْقَى فِي شَذُوقِ الضَّرَاغِمِ
دأبت وثابرت في كسب الرزق كأن العيش، الرزق، تنهشه شذوق الضراغم، أفواه الأسود، وأنا
بينها. تعليق عمران القفيني: «حقوق الطبع للمنتهي القاتل: (لما لي وللدنيا جلالي نجومها/
ومسماي منها في شذوق الأرقام)»

يُخَاصِمُنِي فِيهَا عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ أَنَا نَسْ فَأَبْدِي الصَّفْعَ غَيْرَ مُخَاصِمِ
وَأَقْنَعُ بِالْقُبُورِ الزَّمِيدِ لَطِيبِهِ حِذَارَ وَقُوعِي فِي خَبِيثِ الْمَطَامِمِ
حيث المطاعم: الرزق الحرام

٨ الانعتاق الفكري

مَتَى تُطْلِقُ الْأَيَّامُ حُرِّيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَسْرِ
ينشط: يفتك من الربط، العقلة: العقدة

وَيَصْدَعُ كُلُّ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقاً وَيَتْرَكَ مَا لَمْ يَذَرِ مِنْهَا لِمَنْ يَدْرِي
يصدع: يجهر

أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بَيَانَ حَقِيقَةِ عَزِينَا، مَعَاذَ اللَّهِ، فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ
رَمْنَا: أَرَانَا، عَزِينَا: نُسِينَا

٩ بصراحة

أَحِبُّ صِرَاحَتِي قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَكْرَهُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الرِّبَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ خَيْرًا بِإِقْبَاءِ الْحَقِيقَةِ فِي الْخَفَاءِ
وَلَا مِثْنُ يَرَى الْأَدْبَانَ قَامَتْ بِوَحْيِي تُنْزِلُ لِلْأَنْبِيَاءِ
وَلَكِنْ هُنَّ وَضَعٌ وَابْتِدَاعٌ مِنَ الْمُقْلَاءِ أَرْبَابِ الدُّعَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الْأَلَى وَهَمُوا وَقَالُوا بِأَنَّ الرُّوحَ تَعْرِجُ لِلْسَّمَاءِ
الْأَلَى: الَّذِينَ

لَأَنَّ الْأَرْضَ تَسْبِغُ فِي فِضَاءٍ وَمَا تِلْكَ السَّمَاءُ سِوَى الْفِضَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَخْرًا لِمُفْتَخِرٍ بِإِهْرَاقِ الدُّمَاءِ
وَلَا مِثْنُ قَدْ ارْتَبَطُوا بِمَاضِي فَعَاشُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ
وَلَا مِثْنُ تَوَكَّدَ فِي حُضُورٍ وَعِنْدَ الْغَيْبِ جَاهَرَ بِالْعَدَاءِ
وَلَا مِثْنُ يَرَى الْأَنْسَابَ وَمَا يَمُتُّ بِهِ الْأَنَامُ إِلَى الْعَلَاءِ
وَلَا مِثْنُ إِذَا وُيْثُوا اسْتَعَادُوا بِتَمَتُّمَةِ الدُّعَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ
وَلَا مِنْ مَعْشَرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا لِمَا وَعِدُوهُ مِنْ حُسْنِ الْجَزَاءِ
وَلَا مِثْنُ يَرَوْنَ اللَّهَ يَجْزِي عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْخُورِ الْوِضَاءِ
الْحُور: النِّسَاءِ فَوَاتِ الْأَمِينِ الْغَالِمَةِ السَّوَادِ وَسَطِ يَبَاحِشِ نَاصِعِ، الْوِضَاءِ: الْبَيْضِ

وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَضْلًا كَبِيرًا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
وَلَكِنْ دَالَتْ الْأَبْهَامُ حَسْبِي تَهَاوَنَ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ
دَالَتْ: مِثْلُ دَارَتْ

١٠ حديث الروح

(١٩٢٩):

أَرَى لِلرُّوحِ بِالْبَدَنِ اتِّصَالًا خَفِيًّا لَا تَبِينُ لَهُ رِسْمٌ
رِسْمٌ: أَثَارٌ

هَما مُتَلازِمَانِ فَمَا لِكُلِّ بِغَيْرِ قَرِينِهِ أَبَدًا لَزُومُ
وَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى إِذَا مُجِيتَ مِنَ الجَسَدِ الرُّسُومُ

١١ الأديان

لو قاسَ كُلُّ فِتْنٍ سِوَاهُ بِنَفْسِهِ فِيمَا أَرَادَ لَمَّا تَعَادَى اثْنَانِ
لو أَنْصَفَ الْخَصَمَانِ مَا اضْطَافَ الرَّشَا أَهْلُ الْقَضَاءِ بِمَا ادَّعَى الْخَصَمَانِ
لو أَخْلَصَ الْإِنْسَانُ فِي إِحْسَانِهِ لَمْ يَزُجْ أَنْ يُجْزَى عَلَى الْإِحْسَانِ
لو لَمْ يَشْكُ بِرَبِّهِ مُتَفَلِّسٌ فِي الدِّينِ لَمْ يُخْتَجَّ بِالْبُرْهَانِ
لو أَنَّ عَقْلَ الْمَرْءِ يَغْلِبُ حُبَّهُ لِنَفْسِهِ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْأَدْيَانِ

حب النفس يجعل المرء يُلجأ للدين لأنه يئوده بالخلود

لَوْلا جَمُودٌ فِي الشَّرَائِعِ مُهْلِكٌ لَتَفَبَّرَتْ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ
لو كَانَ أَمْرُ الْحَقِّ مَعْقُولًا لَمَّا كَانَ اسْتِلاَمُ الْقَوْمِ لِلْأَرْكَانِ
استلام: لمس، وفي الكلمة معنى التفتيل

لو حَكَّمِ الْعَقْلَ الْحَقِيقُ بِحَبِّهِمْ أَبَوْا الطَّوْفَ بِتِلْكَ الْجُدْرَانِ

١٢ الأظافر الدامية

لَقَدْ قَدَّمَ الْمَوْتَ الْحَيَاةَ أَمَانَةً نَذِيرًا وَمَنْ يُنْذِرُ فَلَيْسَ بِغَاوِرٍ
فَلَا حَاجِبٌ أَنَا نَرَى كُلَّ سَامَةٍ أَكْفَ الْمَنَابِإِ دَامِيَاتِ الْأَظْفَارِ

١٣ مساعدة الموت

في ذكرى الكاتب الفلسطيني رُوحِي الْخَالِدِي، وَقَالَهَا فِي الْقُدْسِ:

وَمَاذَا عَسَى يُجِدِّي التَّوَجُّعُ وَالْأَسَى مِنْ الْمَوْتِ إِذْ كُلُّ عَلَى الْمَوْتِ وَارِدُ
نُعِينُ مَنَابِإَنَا عَلَيْنَا بِحُزْنِنَا فَيَقْرُبُ مِنْ أَجَالِنَا الْمُتَبَاعِدُ

١٤ بلاد الداميين

في رثاء أستاذه محمود شكري الألو سي (١٩٧٤):

أَزَمَعْتَ عَنَّا إِلَى مَوَلَاكَ تَرْحَالًا لَمَّا رَأَيْتَ مَنَاخَ الْقَوْمِ أَوْحَالًا

أزمت: نويت، مولاك: ربك، مناخ: مكان

كَرِهْتَ طَوْلَ مُقَامٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا بَحِثْ تُبَصِّرُنَا لِلْحَقِّ خُذَالَا

خُذَالَا: متقاعون ومقصرون عن النجدة

وَلَمْ تَرْقُ نَفْسَكَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بِهَا لَسْنَا نُوَكِّدُ بِالْأَفْعَالِ أَقْوَالَا

وَمَا رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرِهَا وَلَا أَرَدْتَ بِهَا جَاهًا وَلَا مَالَا

أَمَّا الْعِرَاقُ فَأَمْسَى الرَّافِدَانِ بِهِ سَطَرَيْنِ لِلدَّمْعِ مِنْ خَذْبِهِ قَدْ سَالَا

أَصْبَحَ دَجَلَةُ وَالْفَرَاتِ سَطْرَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا عَلَيْكَ

مَا ضَرَّ مِنْ بَعْدِي مَا خَلَّدْتَ مِنْ كَتَبٍ أَلَّا نَرَى لَكَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْجَالَا

لَا ضَرَرَ مِنْ أَنْكَ لَمْ تَرَكَ عَقِبًا مِنَ الْأَوْلَادِ قَبِي كَبِكَ مَا يَكْفِي، وَخَلَفَ الْأَلُوسِي نَحْوَ خَمْسِينَ كِتَابًا

١٥ الدنيا المسببة

في أربعين الألوسي (١٩٢٤):

لَقَدْ تَرَحَّلْتَ فِي يَوْمٍ بِنَا انْقَلَبَتْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ فَبِهِ شَرٌّ مُنْقَلَبٍ

وَبَاتَ يَحْسُو الظَّلَا بِالْكَاسِ مِنْ ذَهَبٍ مَنْ كَانَ يَشْرَبُ رَنْقَ الْمَاءِ بِالْعَلْبِ

صار يشرب الطلا، الخمر، بكؤوس الذهب من كان يشرب رنق الماء، الكدر منه، بالعلب، بآنية من خشب

وَالْخَيْرُ قَدْ ضَاعَ حَتَّى إِنَّ طَالِبَهُ لَمْ يَلَقَ مِنْهُ سِوَى الْمَسْطُورِ فِي الْكِتَابِ

أَمَّا الرِّجَالُ فَنَارُ الشَّرِّ مُوقَدَةٌ فِيهِمْ، وَهُمْ بَيْنَ نَفَاخٍ وَمُخْطَبٍ

الناس فيهم نار شر بعضهم ينفخ في هذه النار لتزداد اتقاداً، وبعضهم يجمع لها الحطب

أَفْعَالُهُمْ لَمْ تَكُنْ جِدًّا وَلَا لَعِبًا لَكِنْ تُرَاوِغُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذه الميوعة.. لعل فحص مفهوم الميوعة مدخل طيب لدرس المجتمعات العربية اليوم

وَلَيْسَ تَنْدَى مِنَ النُّكْرَاءِ أَوْجُهُهُمْ كَأَنَّمَا الْقَوْمُ مَنَجُورُونَ مِنْ خَشَبٍ

لا تندى وجوههم، أي لا يخطلون، من النكراء، الفعل المخزي، فكانهم من خشب

بَيْنَ الدَّوَاءِ وَبَيْنَ الدَّاءِ مُعْتَرِكٌ فِيهِ قَضَى رَيْنًا لِلدَّاءِ بِالْعَلْبِ

لَا يَخْلُقُ اللَّهُ مَخْلُوقًا يَجُولُ بِهِ دَمَ الْحَيَاةِ بِلَا أَمٍّ لَهُ وَأَبٍ

وَلَا يُمِيتُ بِلَا دَاءٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا يُعِيشُ بِلَا كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ

كل شيء له سبب.. سبب وجود المرء أمه وأبوه، وسبب الموت الداء وسبب العيش الكد

وليس ذلك من عجزٍ بخالفنا عن أي زج بنا في قبضة الشجب ..
لا يعجز الله عن زجنا، وإدخالنا في قبضة الشجب، الموت ..

لكنه جعل الدنيا مُسَبَّبةً لكل أمرٍ بها لا بُدَّ من سببٍ
لكنه جعل لكل شيء سبباً

١٦ أرثيك رضم السياسة

في ذكرى الشيخ الخالصي:

أنا أبكي عليه من جهة العِلد لم وأغضي عن خوضه في السياسة
لا لأنني أراه فيها مَلُوماً بل لأنني أعيبُ فعلَ الساسة
ليس في هذه الهنات السِّيَاسِيَّةِ ما إلا ما يَنجَلِي عن خُصَاسَةِ
الهنات: الأمور، ينجلي: يتكشف

١٧ المعقول والمنقول

قد قتلُ الحياة خُبْراً، ولكن أنا منها بِخَيْرِني مَقْنُولُ
كلُّ ما قيلَ في الحياة ظُنُونُ جرَّها في افتِكَارِنا التَّخْيِيلُ
ويك! إنَّ المعقولَ ما صَحَّ عِنْدِي فَتَنَى صَحَّ عِنْدَكَ الْمُنْقُولُ
ويحك! فالأمر الذي يقر به العقل لا أكاد أجده صحيحاً فكيف بالمنقول، ما ذكره الأقدمون
وتناقلوه

إنَّ حُبَّ الحياة أَوْقَمَ أنْ الـ حوتَ نومٌ تحت الثرى لا يطولُ
لحبنا للحياة نؤم أن الموت مجرد نوم وثاني بعده حياة أخرى

١٨ حافظ وشوقي

الشعرُ بعدَ مُصابِهِ بِكَبِيرِهِ في مصرَ جَلَّ مُصابُهُ بِأَمِيرِهِ
كبير الشعر: حافظ، وأمير: شوقي

بَيْنَاهُ يَبْكِي حَافِظاً بِشَهِيقِهِ إِذْ قَامَ يَبْكِي أَحْمَدُ بِزَفِيرِهِ
أَخَذْتُ فَرَزْدَقَ الْمَنُونُ وَضَاعَفْتُ جُلِّي مُصِيبَتِهِ بِأَخْذِ جَرِيرِهِ

يشبه حافظاً بالفردق وشوقي بجريز، وقد رحل شاعرا مصر متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق، ورحل جريز والفردق متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق

١٩ أسنان الحمار

كُلُّ مَنْ يَخْبُرُ الْأَنْبِيَّ خُبْرِي لَا يُبَالِي الْأَخْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
أَنَا جَرَّبْتُهُمْ إِلَى أَنْ تَسَاوَى الـ يَوْمَ عِنْدِي مِيبَاتُهُمْ وَالنَّهْأ

٢٠ تقدم أيها العربي

أَجَلْ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ مَعَدٍّ عَلَوْا فَتَسَنَّمُوا الْمَجْدَ الْمَجِيدَا

معد: جد عرب الشمال، تسنموا: قعدوا فوق ستام الجمل، أي علوا وارتفعوا

وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي أَرَاكَ لِغَيْرِ مَا يُجْدِي مُرِيدَا
أراك أيها العربي مُرِيدَا، طالباً، ما لا يجدي ولا ينفع

وَمَا يُجْدِي افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالِي إِذَا لَمْ تَفْتَخِرْ فَخْرًا جَدِيدَا
الأوالي: الأوال

أَرَى مُسْتَقْبَلَ الْأَيَّامِ أَوَّلِي بِمَظْمَحٍ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَسُودَا
فَوَجْهَ وَجْهٍ عَزِيمِكَ نَحْوَ آتٍ وَلَا تُلِفْتَ إِلَى الْمَاضِيْنَ جِيدَا
وهل إن كان حاضرتنا شقياً نَسُودُ يَكُونُ مَاضِينَا سَعِيدَا؟
تَقْدِمُ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطَا فَإِنَّ أَمَانِكَ الْقَيْشَ الرَّهِيدَا
وَأَسْنُ فِي بِنَائِكَ كُلِّ مَجْدٍ طَرِيفٍ، وَاتْرُكِ الْمَجْدَ الثَّلِيدَا

الطريف: الجديد، التليد: الموروث

فَشَرُّ الْعَالَمِينَ ذُو وَخُمُولٍ إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُودَا
وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَبًا جَدِيدَا
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فَخْرًا تُقِيمُ لَهُ مَكَارِمُهُ الشُّهُودَا
فَدُعِينِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ مَضَى الزَّمَنُ الْقَدِيمُ بِهِمْ حَمِيدَا
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجْوهُ الدَّهْرِ بَيْضَا لَهُمْ وَرَأَيْنَا قَعَبَسْنَ سُودَا
وَقَدْ عَاهَدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُلْكٍ أَضَعْنَا فِي رِعَايَتِهِ الْعُهُودَا
وَعَاشُوا سَادَةً فِي كُلِّ أَرْضٍ وَعِشْنَا فِي مَوَاطِنِنَا عَبِيدَا
إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِي بِلَادٍ رَأَيْتَ أَسْوَدَهَا تُسَيِّحُ قُرُودَا

٢١ الغاية الكبرى

كُتِبَتْ لِنَفْسِي عَهْدٌ تَحْرِيرُهَا شِعْرًا وَأَشْهَدْتُ فِيمَا قَدْ كُتِبَتْ لَهَا الدَّهْرًا
لِذَاكَ جَعَلْتُ الْحَقَّ نُصْبَ مَقَاصِدِي وَصَيَّرْتُ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِ جَهْرًا
جَهَرْتُ بِمَا أَرَاهُ حَقًّا، وَلَمْ أَبْقِهِ سِرًّا

وَجَرَّدْتُ شِعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَائِي فَلَمْ أَكُنْهُ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْعَرًّا
القراء: القراء، أي الناصحة

وَأَرْسَلْتُهُ نَظْمًا يَرُوقُ انْسِجَامُهُ فَيَحْسَبُهُ الْمُضْغِي لِإِنْشَائِهِ نَثْرًا
فَجَاءَ مُضِيئًا، لَيْلُهُ كُنْهَارُهُ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كُفْرًا
أَضْمَنُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا فَيَحْسَبُهُ جُهَالُهَا مَنْطِقًا مُجْرًا
جهالها: يعني الجاهلين بالحقيقة، الجهل: الفحش

وَيَحْمِلُهُ الْعَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَيُوسِعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شُرًّا
رُؤْيَاكَ إِنْ الْكُفْرَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ وَإِنْ صَرِيحَ الْكُفْرِ مَا خِلْتَهُ نُكْرًا
هَلِ الْكُفْرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا فَتَضْرِبَ لِلْأَنْظَارِ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
الكفر هو أن ترى الحق بادياً فتضرب، أي تنصب، ستاراً يواريه عن الأنظار

إِذَا كَانَ لِي هُزِّي الْجُسُومِ قَبَاحَةٌ فَأَحْسَنُ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
إِنْ كَانَ الْعَرِي قَبِيحًا بِالْجَسَمِ، فَالْحَقِيقَةُ تَزْدَادُ حَسَنًا عِنْدَمَا تَكُونُ عَارِيَةً، مَكْشُوفَةً وَاضِحَةً
أَحْبَبُّ الْفَتَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ فَيَصْبِحَ فِي أَفْكَارِهِ مُظْلَقًا حُرًّا
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مُقْلَدًا فَيُحْشَرَ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَسْرَى
يحشر: يُقَدِّ

إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ فَحُرِيَّةُ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكِبْرَى
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةً إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا
إِذَا السِّيفُ لَمْ يَغْضُذْ رَأْيِي مُحَرَّرٌ فَلَا تَأْمَلُنْ مِنْ حَدِّهِ ضَرْبَةً بِكْرًا
بعضه: يدعوه، الضربة البكر: الضربة الأولى التي تصيب مقتلًا

إِذَا لَمْ يَعْشَنْ حُرًّا بِمَوْطِنِهِ الْفَتَى فَسَمَّ الْفَتَى مَيْتًا، وَمَوْطِنُهُ قَبْرًا
أَحْرَرْتَنِي إِنْنِي اتَّخَذْتُكَ قَبْلَةً، أَوْجَهُ وَجْهِي كُلَّ يَوْمٍ لَهَا عَشْرًا

وَأَمْسِكْ مِنْهَا الرُّكْنَ مُسْتَلِمًا لَهُ وَفِي رُكْنِهَا اسْتَبَدَّلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرًا
 الْمَسْ رُكْنُ الْحَرِيَّةِ وَأَسْلَمَهُ، أَيِ أَقْبَلَهُ، وَقَدْ اسْتَبَدَّلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَ، أَيِ الْعَقْلَ جَعَلَ الْحَرِيَّةَ
 كَمَثَلِ يَقْدَسُهَا (وَالرُّكْنَ وَالْإِسْلَامَ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَجِّ)
 وَإِنْ لَا مَنِي قَوْمٌ عَلَيْكَ فِئْتَنِي لَمُلْتِمَسٌ لِلْقَوْمِ مِنْ جَهْلِهِمْ عُذْرًا

٢٢ نَحْيَةٌ لِلْعَبْقَرِيَّةِ

وَضَحَّ الْحَقُّ، وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ بِعَظِيمٍ هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ
 فَأَمَّ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى بِكِتَابٍ عَرَبِيٍّ قُرْآنِهِ تَرْنِيلُ
 طَالِبًا غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ قُضْوَى صَدُّهُ عَنْ بُلُوغِهَا مُسْتَحِيلُ
 وَوُصُولًا إِلَى مَقَامِ رَفِيعٍ عَزَّ مِنْ قَبْلِهِ إِلَهُ الْوُصُولِ
 وَدَعَاءٍ لَوْ مَا كَرَّتُهُ دَوَاهِي الدُّرِّ هَرَّ طَرًّا لَا غَتَالَهَا مِنْهُ عُوْلُ
 دَعَاءٌ لَوْ اتَّخَذْتَ مَعَهُ دَوَاهِي الدُّرِّ، مَصَائِبَ الزَّمَنِ، طَرًّا، جَمِيعًا، سَبِيلَ الْمَكْرِ لَا غَتَالَهَا مِنْهُ غَوْلُ،
 لَقَضَى دَعَاؤُهُ عَلَيْهَا

تَذَلُّهُمْ الْخَطُوبُ، وَالرَّأْيُ مِنْهُ فِي دُجَاهَا كَأَنَّهُ قِنْدِيلُ
 تَدْلُهُمْ: تَسْوَةٌ

كُلُّ أَوْصَافِهِ الْجَلِيلَةِ يَدْعُ فَهُوَ مِنْ عَبَقَرِيَّةٍ مَجْبُولِ
 يَدْعُ: جَلِيدٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ

أَطْلَقَ النَّاسَ مِنْ تَقَالِيدِ جَهْلِ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِهَا مَغْلُولُ
 مَغْلُولٌ: مَقِيدٌ

نَهَضَتْ عَالَمِيَّةٌ فِي وَغَاهَا مِنْ أَمَامِ الْجَعْبَرِ قَرَّ الْفَيْلُ
 أَحْدَثَ النَّبِيُّ نَهْضَةً عَالَمِيَّةً، وَفِي وَغَاهَا، فِي حَرَبِهَا، يَفِرُّ الْفَيْلُ مِنَ الْبَعِيرِ... يُشِيرُ إِلَى غَزْوِ الْعَرَبِ
 فَارِسَ وَتَغْلِبَ جَبَالَهُمْ عَلَى فَيْلَةِ الْفَرَسِ

يَعْرِفُ النَّبِيلُ فَضْلَهَا وَعُلاَهَا مِنْ قَدِيمٍ وَيَشْهَدُ الدَّرْدَنِيلُ
 النَّبِيلُ، حَيْثُ السُّودَانُ وَمِصْرُ، وَالْأَنْدَلُسُ، حَيْثُ تَرْكِيَا، يَعْرِفَانِ فَضْلَ هَذِهِ النَّهْضَةِ

غَيْرَ أَنَّا عَنْ نَهْجِهَا الْيَوْمَ جِدْنَا وَاسْتَحْلَلْنَا، وَكُلُّ حَالٍ تَحْوُلُ
 اسْتَحْلَلْنَا: تَغْيَرْنَا، تَحْوُلُ: تَغْيِيرُ

وَاخْتَلَفْنَا فِي الدِّينِ حَتَّى افْتَرَقْنَا فِرْقًا لَا يُسِيغُهَا الْمَعْقُولُ
 الْمَعْقُولُ: الْعَقْلُ

لو رَأَى الشَّرُّ فِينَا كَثِيرٌ مُسْتَفِضٌ، وَالْخَيْرُ نَزَرَ قَلِيلٌ

نور: شحيح قليل

وَالدَّعَاوَى فِي الْحَقِّ مِنَّا كِبَارٌ طَالَ فِيهَا التَّزْمِيرُ وَالنَّطْبِيلُ

دعائونا في الحق: ادعائنا أننا على حق

قَالَ مُسْتَنْكَرًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ: مَا بِهِذَا قَدْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ

٢٣ دفاعاً عن الإسلام

يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ النِّقْمِ

وإن كَانَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمٍ

هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ

أَلَا قُلْ لِمَنْ جَاؤُوا عَلَيْنَا بِحُكْمِهِمْ رُويَدَا فَقَدْ قَارَفْتُمْ كُلُّ مَأْتَمٍ

قارفتهم: ارتكبتهم

عَلَّوْنَا وَكُنْتُمْ سَافِلِينَ، فَلِمَ نَكُنْ لِنُبْدِي إِلَيْكُمْ جَفْوَةَ الْمُتَهَكِّمِ

كنا في ازدهار بينما الغرب في انحطاط، ولم تكن تظهر له الجفاء والخشونة والازدراء

وَلَمْ نَتْرِكْ الْحَسَنَى أَوْانَ جِدَالِكُمْ وَتِلْكَ لَعَنَرِي شِمَةَ الْمُتَحَلِّمِ

المتحلم: الرزين الحليم

٢٤ نحن والغرب

هَمُّ الرِّجَالِ مَقْبِيَّةٌ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عُمرَانِهَا

إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّبُوخِ، وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا

هَدْيٌ لَدَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ مَبَادِيٌّ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا

وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ بِفَتْوَحِهَا، وَعِلْمِهَا، وَبَيَانِهَا

يَا أُمَّةَ عَاشَ الْبَرِيَّةُ أَغْصُرَا فِي عَدْلِهَا رَغْدًا وَفِي إِحْسَانِهَا

البرية: الناس

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ الْعَصُورُ فَجَاءَهَا زَمَنٌ بِهِ انْقَادَتْ إِلَى عُبْدَانِهَا

فَنَضَّتْ مَلَائِسَ عِزِّهَا وَتَشَاقَلَتْ فِي الدَّلِّ رَاسِفَةً بِقَيْدِ هَوَانِهَا
نضت أمة العرب، أي خلعت، ملايس العز، وأصبحت تسير متشاقة بطيئة راسفة، أي ماشية ببطء،
في قيود هي الهوان والذل

٢٥ مريم وابنها

رَمَتْ مِسْمَعِي لَيْلًا بِأَنَّةِ مُؤَلِّمٍ فَأَلْقَتْ فَوَادِي بَيْنَ أَنْيَابِ ضَيْغَمٍ
رمت هذه المرأة في سمي، أي أفني، برثة مؤلم، بأنين شخص متالم، فكانها رمت قلبي بين
أنياب ضيغم، أمد

تُقَطِّعُ فِي اللَّيْلِ الْأَنِينَ كَأَنَّهَا تُقَطِّعُ أَحْشَائِي بِسِنْفِ مُثْلَمٍ
مثلم: غير حاد

يَهْرُ نِيَاظَ الْقَلْبِ بِالْحَزَنِ صَوْتُهَا إِذَا اهْتَزَّ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ الْمُخَيِّمِ
فَمَا خَفَقَانُ النُّجْمِ إِلَّا لِأَجْلِهَا وَمَا الشُّهُبُ إِلَّا أَذْمُعُ النُّجْمِ تَرْتَمِي
خفقان النجم: اهتزازه، وكانت العرب ترى في النجوم اهتزازاً. يتخيل الشاعر النجم يكي وجسمه
يرتجف ودموعه تسيل وهي الشهب الساقطة

أَرَى لَحْمَةَ الظُّلَمَاءِ عِنْدَ أَنْبِيهَا فَأَعْجَبْتُ مِنْهَا كَيْفَ لَمْ تَنْضَرِمِ
كان الليل فعم لسواده، وأعجب لما لا يتوهج جمرأ لحرارة أنبها

وَبَيْتٌ بَكَتْ فِيهِ الْحَيَاءُ نُحُوسَةً وَلَا حَتَّ بِوَجْهِ الْعَائِسِ الْمُتَجَهِّمِ
الحياة باكية ومنحوسة وعابة ومتجهمة، مكشرة، في هذا البيت

دَخَلْتُ بِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ عَلَى الْتِي سَقَانِي بُكَاهَا فِي الدُّجَى كَأَنَّ عُلْقَمِ
فَأَلْقَيْتُ وَجْهًا خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدَّهُ وَمُخَمَّرٌ جَفْنِي بِالْبُكَاءِ مُتَوَرِّمِ
خدد: شقق

لَقَدْ جَنَمْتُ فَوْقَ التُّرَابِ وَحَوْلَهَا صَغِيرٌ لَهَا يَرْتَوِ بِمِئْنِي مُبَيِّمِ
جنمت، فعدت، في بيتها على التراب، وعندنا طفل يرتو، أي ينظر، بعين اليتيم، أي أنه يتيم

تَرَاهُ وَمَا إِنَّ جَاوَزَ الْخَمْسَ عُمُرُهُ يُدِيرُ لِحَاظَ الْيَانِعِ الْمُتَفَهِّمِ
بَكَى حَوْلَهَا جُوعاً فَقَلَّتْهُ بِالْبُكَاءِ وَلَيْسَ الْبُكَاءُ إِلَّا تَوَلَّةٌ مُعْهِمِ
ليس عندنا ما تغليه به إلا البكاء، والبكاء تولة المعدم، تصيرة الفقير

وَقَفْتُ لَدَيْهَا وَالْأَسَى فِي عَيُونِهَا يَكْلُمُنِي عَنْهَا، وَلَمْ تَنْكَلِمِ

وَمَذَّ عَرَضَتْ لِلإِبْنِ مِنْهَا التِّفَاةُ أَشَارَتْ إِلَيْهِ بِالْمَدَامِجِ أَنْ قَمِ
أَبُوكَ تَرَامَتْ فِيهِ سَفَرَةٌ رَاجِلِ إِلَى الْمَوْتِ لَا يُرْجَى لَهُ يَوْمَ مَقْدَمِ
مَشَى أَرْمَنِياً فِي الْمَعَاهِدِ فَارْتَمَتْ بِهِ فِي مَهَاوِي الْمَوْتِ ضَرْبَةً مُسْلِمِ
مَشَى أَبُوكَ وَهُوَ مِنَ الْأَرَمَنِ فِي الْمَعَاهِدِ، فَرَمَتْهُ فِي مَهَاوِي الْمَوْتِ، وَدِيَانَهُ، ضَرْبَةً مِنْ
مَقَاتِلِ مُسْلِمِ

وَلَوْلَاكَ لَاغْتَرْتُ الْحِمَامَ تَخْلُصاً بِنَفْسِي مِنْ أُنْعَابِ عَيْشٍ مُدْمَمِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ أَمَّكَ مَرِيماً عَنْ الْمَوْتِ أَنْ يُودِيَ بِأَمِّكَ مَرِيماً
أَمْرِيْمُ مَهْلاً بَعْضُ مَا تَذَكَّرِيْنَهُ فَأَنْتَ تَرْمِيْنَ الْفُؤَادَ بِأَسْهُمِ
لِئِنْ مَلَأُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ جَرَائِمَا فَهُمْ أَجْرَمُوا وَالَّذِينَ لَيْسَ بِمَجْرِمِ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِحَقِّ الْأَرَمَنِ مَجْرَمُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ دِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الْمَجْرِمِ. وَكَانَ الْأَرَمَنِ تَعْرَضُوا
لِمَقْتَلَةِ كَبِيرَةٍ فِي زَمَنِ الْخَرْبِ الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى عَلَى يَدِ الْأَنْثَرَكِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّؤْمَ لُؤْماً تَجَاهَهَا سَكْتُ فَلَمْ أَنْبِسْ وَلَمْ أَتَبْرِمِ
وَأَطْرَفْتُ نَحْوَ الْأَرْضِ أَطْلُبُ عَفْوَها وَمَا أَنَا بِالْجَانِي، وَلَا بِالْمُتَّبِعِ
طَلَبْتُ الْعَفْوَ مِنْهَا مَعَ أَنِّي لَسْتُ جَانِياً فِي تِلْكَ الْمَقْتَلَةِ، وَلَسْتُ مُتَّبِعاً بِهَا، بَلْ مُشْفِقٌ عَلَيْهَا

بَكَيْتُ، وَمَا أَدرِي أَلْبَكِي تَضْجِراً مِنَ الْقَوْمِ أَمْ أَبْكِي لِشِقْوَةِ مَرِيْمِ؟
لَا أَدرِي هَلْ كَانَ بِكَائِي لِأَنِّي مَلَكْتُ مِنْ أَعْمَالِ التَّرَكِّ أَمْ لِشَقَاءِ مَرِيْمِ. وَكَانَ الرَّصَافِي عَشْمَانِي الْهُوَي

٢٦ الروائع

هِيَ السَّاحَةُ النَّكْرَاءُ فِيهَا تَلَاعَبَتْ مَخَارِيقُ ضَمِيمٍ تَخْلِطُ الْجِدَّ بِاللُّؤِ
فِي سَاحَةِ السَّجَنِ النَّكْرَاءِ، الْقَبِيحَةِ، تَرَى السَّجَنَاءَ يَتَلَاعَبُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ مَخَارِيقُ، كَرَاتِ
قَمَاشٍ، لَكِنَّا نَعَانِي الظُّلْمَ. . وَلِمَبْهُمُ هُوَ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللُّؤِ، أَيْ اللَّعِبِ

تَصَعَّدَ مِنْ جَوْفِ الْمَرَاخِضِ فَوْقَهَا بُخَارٌ إِذَا تَمَرَّرُ بِهِ الرِّيحُ تَفْصِدِ
وَفَوْقَ السَّاحَةِ رَوَائِحِ الْمَرَاخِضِ

هَنَّاكَ يَوْذُ الْمَرْءِ لَوْ قَاءَ نَفْسَهُ وَأَطْلَقَهَا مِنْ أَسْرِ عَيْشٍ مُنْكَدِ
مَقَابِرُ بِالْأَحْيَاءِ غَصَّتْ لُحُودُهَا بِخَمْسِ مِثْلَيْنِ أَنْفُسِ أَوْ بِأَزِيدِ
يَخْضُونَ فِي مُسْتَنْقَعٍ مِنْ رَوَائِحِ خَبَائِثٍ مَهْمَا يَزِدُّ الْحَرَّ تَزْدَدِ
تَدَوَّرَ رُؤُوسُ الْقَوْمِ مِنْ شَمِّ نَتْنِهَا فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ عَادِمُ الشَّمِّ يُخْسِدِ

٢٧ الشمس الخجلى

خَرَجْتُ بِعِيدِ النَّخْرِ صُبْحاً فَلَاخَ لِي مَسَارِخُ لِلْأَضْدَادِ فِيهِنَّ مَرْتَعُ
خرجت بعد ذبج الخراف في عيد الأضحي فرأيت مسارح ترتع فيها الأضداد، مشاهد فيها أبناء
الأغنياء وأبناء الفقراء

صَبَاحٌ بِهِ يَكْسُو الْغَنِيُّ وَلِيَدَهُ ثِيَاباً لَهَا يَبْكِي الْيَتِيمُ الْمُضَيِّعُ
خَرَجْتُ وَقُرْصُ الشَّمْسِ قَدْ ذَرَّ شَارِقاً تَرَى النُّجُورَ سَيَّالاً بِهِ يَتَذَقُّعُ
عندما خرجت كان قرص الشمس قد ذر شارقاً، برز عند الشروق، والنور يسيل منه

وَلَمَّا بَدَتْ حَمْرَاءُ أَبْقَنْتُ أَنَّهَا بِهَا خَجَلٌ مِمَّا تَرَاهُ وَتَسْمَعُ
لما بدت الشمس وعليها احمرار أبقت أنها خجلى مما تراه من تفاوت طبقي

٢٨ كلامي غير معقد

لَعَنَرُكَ إِنَّ الْحُرَّ لَا يَتَقَبَّدُ أَلَا فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ فِي الْمُقَنَّذِ
المفند: المتبذ الموثب

إِذَا أَنَا قَعَّدْتُ الْقَصِيدَ فَلَيْسَ لِي بِهِ غَيْرُ تَبْيَانِ الْحَقِيقَةِ مَقْصِدُ
وَلَا عَجَبُ أَنْ عَابَنِي الشَّاعِرُ الَّذِي يَقُولُ سَخِيفَ الشَّعْرِ، وَهُوَ مُقَلِّدُ
فَإِنَّ ابْنَ بُرْدٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَاعِرٍ، تَنَقَّصَهُ فِي الشَّعْرِ حَمَادٌ عَجَزَدُ
ابن برد: بشار، وحمام عجزد: غريمه وكان بينهما هجاء متصل

إِذَا رُمْتُ نَصْحاً جُنْتُ بِالنُّصْحِ وَاضِحاً وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِي الْكَلَامُ الْمُعَقَّدُ
بيدي الرصافي علوه لعدم وجود وثبات خيال جامع في شعره

٢٩ بلبل وذباب

إِذَا دُفِعَ الشَّرُّ الْقَبِيحُ بِمَنْطَلِهِ تَحَصَّلَ شَرٌّ ثَالِثٌ وَتَوَلَّدَا
وَلِي خُلُقٌ يَأْبَى عَلَيَّ انْطِبَاعَهُ عَلَى الْخَيْرِ تَسْلِيمِي إِلَى الشَّرِّ مَقْوَدَا
وَتَكَرَّرَ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلَّلٍ فَقَدْ كَرِهْتُ حَتَّى الطَّرِيقَ الْمُعْبَدَا
لكرمي للمبودية كرهت حتى الطريق المعبد

إِذَا مَا أَتَقَتْ نَفْسٌ رَدَاهَا بِإِلَافَةٍ فَمَعْنَدِي نَفْسٌ تَتَّقِي الذُّلَّ بِالرَّدَى
إذا تجت نفس من النفوس رداها، موتها، بأن تتلل، فأنا أحمي نفسي من الذل بأن أعرضها
للموت. التسويد لعمران القفيتي

وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنَا مَنْ أَبِي لَهُمْ خَنَا الطَّبْعِ إِلَّا أَنْ يُرَوْا لِي حُسْدَا
الخنا: العار

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَمُتَّ الرُّوضُ بِلُبْلٍ وَيَمْنَعُهُ ذِبَانُهُ أَنْ يُفَرِّدَا

٣٠ ليس لمصر!

أَمَارِسُ دَهْرًا مِنْ جَدِيدَيِّ دَاهِرَا وَمَا زَالَ لِبِلِي بِالْعِرَاقَيْنِ سَاهِرَا
من جديدتي: أي من زمني، والجديدان هما الليل والنهار، الدهر الداهر: الطويل الثقيل،
والعراقان: تعبير قديم يشير إلى عراق العرب وعراق المعجم

أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرَا
وَأَنْ أَتِمَّادَى فِي جَدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَتَكْرَهُ نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُخَادِعَا لِأَدْرِكَ نَفْعًا أَوْ لِأَدْفَعَ ضَائِرَا
وَمِنْ أَجْلِ مَفْنِي لِلْمَخَانِبِ أَنْكَرْتُ يَدِي أَنْ تُحَلِّيَ فِي الْجِنَانِ أَسَاوِرَا
في الجنة تعلّى معاصم الفائزين بالأساور

يَقُولُونَ لِي فِي مِصْرَ لِلْعَلَمِ نَهَضَةٌ نَفَقْتُ أَذْهَانًا، وَتَجَلُّو بِمَائِرَا
وَأَنْ بِهَا لِلْعَلَمِ قَدْرًا وَحُرْمَةً وَأَنْ بِهَا لِلْحَقِّ عَوْنًا وَنَاصِرَا
وَقَدْ ضَرَبُوا وَغَدَا لِنَكْرِمِ شَاعِرٍ تَمَلَّكَ صَبْنًا فِي الْأَقَالِيمِ طَائِرَا
هُوَ الشَّاعِرُ الْفَخْلُ الَّذِي رَاحَ شَعْرُهُ بِإِنْشَادِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سَائِرَا
فَلَوْ قُلْتُ بَعْضَ الشَّعْرِ فِي يَوْمِ حَقْلِهِمْ نَشُدُّ بِهِ مِنَّا لِمِصْرَ الْأَوَاصِرَا
يقولون للرصافي. ألا قلت بعض الشعر في هذا الحفل لتكريم أحمد شوقي أميراً للشعراء فتشد
أواصرنا بمصر، أي روابطنا؟

فَقُلْتُ: أَجَلْ. وَالشَّعْرُ لَيْسَ بِمُعْجِزِي وَلَنْ تَعْلِمُوا مِنِّي عَلَى الشَّعْرِ قَادِرَا
أَلَا إِنَّ شَوْقِي شَاعِرٌ جِدُّ شَاعِرٍ يَفُوقُ الْأَوَالِي، بَلْ يَبْزُ الْأَوَاخِرَا
يز: يفوق، الأوالي: الأوائل

تَمَلَّكَ حُرَّ الشَّعْرِ فَهَوَّ رَقِيقُهُ وَقَامَ عَلَيْهِ بِالَّذِي شَاءَ أَمِيرَا

الشعر رقيقه: الشعر عبده

إِذَا رَامَ جَزْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ زَاخِراً وَإِنْ رَامَ سَهْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ سَاجِراً

رام: أراد، زاخراً: متدفق

فَلَا عَجَبٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ إِذَا عَقَلُوا مِنْهُمْ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرَا

عقدوا الخناصر: استحسنوا. والخنصر الإصبع الصغير.. ألا ترى أنك عندما تعد واحد اثنان ثلاثة على أصابعك فإنك تبدأ بالخنصر!

وَلَكِنِّي قَدْ أَنْظَرُ الْحَفْلَةَ الَّتِي نَقَامُ لَهَا الْيَوْمَ فِي مِصْرَ سَاجِرَا

إِذَا احْتَفَلْتُ مِصْرَ بِشَوْقِي فَمَا لَهَا تُقِيمُ عَلَى الْأَحْرَارِ فِي الْعِلْمِ حَاجِرَا

كيف تحتفل مصر بشوقي وتحجر على الأحرار ونسكتهم؟

فَقَدْ أَسْمَعْتُنَا ضَجَّةً أَمْطَرَتْ بِهَا حَلِيباً وَطَهَ حَاصِباً مُتَطَايِرَا

أسمعتنا مصر ضجة حين أمطرت علي عبد الرازق وطه حسين حاصباً، ريحاً فيها حصن وتراب. وقد عاقبوا الأول على كتابه «أصول الحكم في الإسلام»، وحاكموا الثاني على كتابه «في الشعر الجاهلي»

فَمَا بَالُ هَذَا عُدَّ فِي مِصْرَ مَارِقاً وَمَا بَالُ هَذَا عُدَّ فِي مِصْرَ كَافِرَا

علي عبد الرازق عدوه مارقاً، خارجاً عن الشرع، وطه حسين كفروه

إِذَا لَمْ تَكُ الْأَنْكَارُ فِي مِصْرَ حُرَّةً فَلَيْسَ لِمِصْرَ أَنْ تُكْرِمَ شَاعِرَا

أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَيْسَ بِطَائِلٍ إِذَا كَانَ عَمَّا يَبْلُغُ الْعِلْمَ قَاصِرَا

ليس بطائل: لا فائدة منه

كَمَا أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ السُّفُوسُ حَرَاثِرَا

وَأَلَا فَعَصْرُ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلُنَا لَهُ السُّبْقُ فِي تَكْرِيمِ مَنْ كَانَ شَاعِرَا

٣١ الغربال

خَلِيلِي إِنَّ الْأَرْضَ غُرْبَالٌ قُدْرَةٌ تَجَمَّعَتِ الْأَحْيَاءُ ضِمْنَ إِطَارِهِ

الأرض كغربال كبير يقمص القُدرة، قدرة كل فرد على الصمود في المعترك، وكل الأحياء ضمن إطاره.. والبقاء للأصلح

فَلَا عِشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدِيرَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكَارِهِ

فمن لم يكن ذا قدرة على دفع الأذى والمكروه عنه سقط من خروم الغربال ومات

وَمَنْ لَمْ يُهِنْ صَرَفَ الزَّمَانِ بِرَحَلَةٍ تُهِنُهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ فِي عُقْرِ دَارِهِ
 من لم يوجه إمانته إلى مصائب الدهر بأن يرحل ليجت عن تحقيق ذاته فإن المصائب تأتيه لنهته في
 عقر داره، في وسطها

وَمَا شَرُفَ الدُّرِّ الثَّمِينُ قَرِيدُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَبْرَحْ بَطُونُ مَحَارِهِ
 لا يصبح اللؤلؤ الذي فريده ثمين، أي حياته الكيرة ثمينة، لا يصبح شريفاً إلا إذا غادر داره وهي
 بطن المحار، أي الصدف

أَرَى كُلَّ ذِي فَقْرٍ لَدَى كُلِّ ذِي غِنَى أَجِيرًا لَهُ مُسْتَخْدِمًا فِي عَقَارِهِ
 وَلَمْ يُعْطِهِ إِلَّا الْيَسِيرَ وَإِنَّمَا عَلَى كَدِّهِ قَامَتْ صُرُوحُ يَسَارِهِ
 ينال الفقير يسيراً من المال مع أن صروح الغنى واليسار، قصوره، قامت على تعب الفقير

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي لِنَايَةِ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَحْيَا سَعِيدًا فَبَجَارِهِ
 وَلَيْسَتْ حَيَاةُ النَّاسِ إِلَّا الظُّلْمُ فِي إِبْسَاسِهِ وَاحْضِرَارِهِ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْمَاءُ يُحْيِيهِ جَرِيئُهُ وَيُرْدِيهِ مُكْثٌ دَائِمٌ فِي قَرَارِهِ
 الماء الجاري يكون نظيفاً حياً صالحاً للشرب والراكذ يرديه، أي يمته، ركوذه. والقاعدة العلمية
 هي العكس، فالماء الجاري يموت فيها الطحلب، أما الماء الراكذ فتعيش به مخلوقات كثيرة

٣٢ الملاحق

وَكَمْ مُدْعٍ فَضَلَ التَّمَذُّنَ مَا لَهُ مِنْ الْفَضْلِ إِلَّا أَكَلُهُ بِالسَّلَاحِ
 وَقَدْ تَعْرِضُ الْأَسْمَاعُ عَنْ ذِي فَصَاحَةٍ وَتُصْنَفِي إِلَى ذِي اللَّكْنَةِ الْمُتَشَادِقِ
 ذو اللكنة، العيب السوء، الطلق، المتشاقق: الذي يحرك شذوذه أي جانبيه فمه مفاصلاً

وَالطَّفُ جَوْزِ الدَّهْرِ جَوْزٌ نَرَى بِهِ نَدْلٌ مَعْشُوقٍ وَذُلَّةٌ عَاشِقِ
 جوز: ظلم

نَفَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ لِأَتْنِي نَعَرْتُ مِنْهَا مَا بَهَا مِنْ خَلَائِقِ
 الخلائق: الصفات

وَلِي عِنْدَ إِخْوَانِ الصُّفَا أَرْجِيئَةٌ إِلَى كُلِّ خِلٍّ فِي الزَّمَانِ مُوَافِقِ
 إِذَا مَا عَقَدْنَا مَجْلِسَ الْأَنْسِ بِالطَّلَا فَبَيْنِي وَبَيْنَ السُّكْرِ خَمْسُ دَقَائِقِ
 فَأَقْرِعُ بِالْكَاسِ الرَّوِّيَّةِ جَبْهَتِي بِشُرْبٍ كَمَا عَبَّ الْقَطَا مُتَلَاحِقِ

الروية: الملائنة، وطير القطا، وهو كحمامة سمينة، يشرب ويرفع رأسه مرة بعد مرة شكل متلاحق

أَسَابِقُ نُدْمَانِي إِلَى السُّكْرِ طَائِرًا بِجِنْحٍ مِنَ الْأَنْسِ الْمُضَاعَفِ خَافِقٍ
 يسابق الندماء إلى الشرب مسرعاً كأنه يطير بجناح خافق، وما هذا الجناح سوى الأنس والفرح
 فَمَا هِيَ إِلَّا بَعْدَ شُرْبِي سَوْبَعَةٌ وَقَدْ دَبَّ مِنْ رَأْسِي الظَّلَا فِي النِّفَارِقِ
 فَنَادَمْتُ أَصْحَابِي عَلَى غَيْرِ حِشْمَةٍ وَقُلْتُ لَهُمْ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُنَافِقِ
 على السكر تزيد صراحته ويقول ما في قلبه

تَعَوَّدْتُ سَبْقِي فِي الْفَخَارِ فَلَمْ أُرِدْ مِنَ السُّكْرِ أَنْ أَخْطِئَ بِهِ غَيْرَ سَابِقِ
 لكثرة ما تعودت أن أكون سباقاً إلى المكارم صرت لا أستطيع أن أخطئ بالشرب إلا سابقاً غيري
 كَمَا اعْتَادَ سَبْقًا فِي الْمَكَارِمِ خَزَعْلٌ بَلَا سَابِقِ فِيهَا عَلَيْهِ، وَلَا حِقِ
 إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ فِي طَيِّ بُرْدِهِ يُرَافِقُهُ، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُرَافِقِ
 الشيخ خزعل والمجد يسيران معاً. وكان الشيخ خزعل محسناً لشاعرنا

فَيَرْحَلُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي مَوَاقِبِ وَيَنْزِلُ مِنْ أَحْسَابِهِ فِي سُرَادِقِ
 يسير ويسير نسبه العريق معه كأنه في موكب لعظمة نسبه، وينزل فينزل معه حبيه، شرفه، فلا يكاد
 يسهه السراديق، الخيمة الكبيرة

وَأِنْ جَاءَ أَغْضَى مَنْ رَأَاهُ تَهَيَّبًا سَوَى نَظَرٍ مِنْهُمْ بِعَيْنَيْ مُسَارِقِ
 إن جاء خزعل غضى الناس أبصارهم لهيبته، فلا ينظر الناظر إليه إلا باستراق النظر
 جَوَادٌ إِذَا اسْتَمْطَرَتْهُ جَادَ كَفُهُ بِأَعْرَزَ مِنْ وَبْلِ الْغُيُومِ الدَّوَافِقِ
 إذا طلبت منه المطاء كان سخياً وكفه أعز من وبل، مطر، الغيوم المتدفقة

٣٣ الضرب بالنمل

سَبَرْتُ زِمَانِي بِالنُّهَى وَمَخْفَضُهُ بِشَجَرِي حَتَّى تَجَلَّتْ عَوَافِقُهُ
 سبرت زمانى: فت صفة واختبرته، بالنهى: بالعقل، ومخضه: فعمته فحماً دقيقاً
 وَلَمْ أَسْتَيْزِ فِي النَّاسِ إِلَّا تَجَارِييَ وَهَلْ يَضْلُقُ الْإِنْسَانَ إِلَّا تَجَارِيئَهُ
 لَا رَبَّ شَيْطَانٍ مِنَ الْإِنْسِ قَدْ غَدَا يُخَاتِلُنِي خَلْسًا وَعَيْنِي تُرَاقِبُهُ
 يخاتلني: يخدعني

فَقُلْتُ لَهُ اخْسَأْ إِنَّمَا أَنْتَ خَائِبٌ وَقَبْلَكَ أَغْيَا الْجِنَّ مَا أَنْتَ طَالِبُهُ
 فَوَلَّى عَلَى الْأَعْقَابِ يَخْجُو وَقَدْ دَرَى، وَلِلَّهِ تَرَيِّ، أَنَّنِي أَنَا عَالِبُهُ

فَأَتَّبَعْتُهُ مِنِّي شِهَابٌ تَسَامُحٌ يَشْقُ ظِلَامَ الْجَهْلِ بِالْجَلْمِ نَاقِبُهُ

يشبه جلله وتسامحه بالشهاب الناقب، أي المتوقد

وَلَوْ شِئْتُ أَرْسَلْتُ الْحَدِيدَةَ خَلْفَهُ تُطَارِدُهُ حَتَّى تَضِيقَ مَذَاهِبُهُ

ولكنني أبيت مني الخلداع مهذب تعود فعل الخير مذ طر شاربه

رفض الخلداع مني، أي شخصاً أنا هو، مهذب تعود فعل الخير مذ طر، نبت، شاربه

وَذِي سَفَهٍ أَغْضَيْتُ عَنْهُ تَكْرُماً فَدَبَّيْتُ عَلَى رِجْلَيْ غُذْرٍ عَقَارِيهَ

فقمْتُ له بِالنَّعْلِ ضَرْباً، فَلَمْ تَزَلْ يَدَايِ بِهِ حَتَّى اطْمَأْنَنْتُ غَوَارِيهَ

اطمأنت غواريه: هبطت أمواجه، أي سكن وهدا

٣٤ طريد بغداد

لَقَدْ طَرَّخْتَنِي فِي الْبَلَاءِ مُضَاعَاً طَوَائِخُ جَاءَتْ بِالْخُطُوبِ نَبَاعَا

طوحتني: رميتي بعيداً

فَبَارَخْتُ أَرْضاً مَا مَلَأْتُ حَقَائِبِي سَوَى حَبِّهَا عِنْدَ الْبِرَاحِ مَتَاعَا

البراح: المغادرة والفراق

فَقَبْتُ عَلَى بَغْدَادَ صَنْبَ مُودِّعٍ أَمَضْتُهُ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعَا

أمضته الحادثات قراعاً: أكلته المصائب وهو يقارعها ويحاربها

أَضَاعَتَنِي الْأَيَّامُ فِيهَا، وَلَوْ دَرْتُ لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أَكُونَ مُضَاعَا

فيها: أي في بغداد

وَلَوْ شِئْتُ كَايَلْتُ الَّذِينَ انْظَرَوْا بِهَا عَلَى الْحَقْدِ صَاعاً بِالْعَدَاءِ قَصَاعَا

كايلتهم صاعاً فصاعاً: رددت عليهم بالمثل، والمصاع كيل قديم

عَلَى أَنَّنِي ذَارَيْتُ مَا شَاءَ حِقْدَهُمْ فَلَمْ يُجِدْ نَفْعاً مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا

ذارت كيدهم ما شاء الله لي.. لكن سدى

وَأَشَقَى الْوَرَى نَفْساً وَأَضْيَعُهُمْ نَهْيَ لَبِيبٍ يُدَارِي فِي نُهَاهُ رَعَاعَا

النهي: العقل

تَرَكْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْمَدِيحِ لِأَهْلِهِ وَنَزَّهْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قَذَاعَا

القذاع: الشتم والتعير

وَأَرْسَلْتُهُ عَفْوَاً فَجَاءَ كَمَا تَرَى قَوَافِي تَجَنَّبُ الْبِلَادَ سِرَاعَا
كَأَنِّي وَقَدْ جَدُّ الْفِرَاقِ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الْهَجُومِ سِرَاعَا
كأنى سفينة أشالت، رفعت، شرعها لتستغل الرياح الهاجمة

فَمَالَتْ بِهَا الْأَزْوَاحُ وَالْبَحْرُ مَائِجٌ وَقَدْ أَوْشَكْتَ الْوَاوَحَا تَتَدَاعَى
الأرواح: الرياح

فَتَحَسَّبُنِي مِنْ مَرَّةٍ فِي أَقْدَعَا تَرْقَى هَضَاباً زُلْزِلَتْ وَنِلَاعَا
تحسبني وأنا في عرثي، وكأنني راكب سفينة تتقاذفها الأمواج، أقدع، ملتوي الأقدام، ينضعف
كانه يترقى ويصعد هضاباً ونلاعاً، تلالاً، ضربها الزلزال

فَمَا أَنَا إِلَّا قَوْمَةٌ وَانْحِنَاءَةٌ وَمِسرٌ أَذَاعَتْهُ الدَّمُوعُ قَدَاعَا
فأنا بعد التضضع أقوم ثم أنحني.. ومشاعري سر لكن دموعي تفضحه

٣٥ الحكم العسكري

نَفَضْتُ يَدَيَّ مِنْ أَبْنَاءِ دَهْرٍ أَهَانُوا الشُّهْمَ وَاحْتَرَمُوا الزُّرِّيَا
الزري: المستحق للاحتقار والازدراء

وَقُلْ حِبَاؤُهُمْ حَتَّى رَأَيْنَا ظَنِينِ الْقَوْمِ يَتَّبِعُهُمُ الْبَرِيَا
الظنين: أخو الشبهات، المطمون في سلوكه

تَقَلَّدَتِ السَّبُوفُ رُحَاءَهُ مُخِرٍ وَكَانَتْ قَبْلُ تَحْتَجِبُ الْهُرْيَا
تحتمل الهري: تحتل العمى

وَكَيْفَ تُسَاسُ مَمْلَكَةٌ بِمِثْلِ إِذَا مَا الْحَكْمُ أَصْبَحَ عَسْكَرِيَا؟

٣٦ العلم المفيد

إِنُّوَا الْمَدَارِسَ وَاسْتَقْبَلُوا بِهَا الْأَمَلَا حَتَّى نُطَاوَلْ فِي بُنْيَانِهَا زُحَلَا
سيرُوا إلى العلم فيها سَيْرٌ مُعْتَزِمٌ ثُمَّ ارْكَبُوا اللَّيْلَ فِي تَحْصِيلِهِ جَمَلَا
اركبوا في تحصيل العلم الليل، تقطونه بالدرس، اركبوه كأنه جمل

لَا تَجْعَلُوا الْعِلْمَ فِيهَا كُلَّ غَايَتِكُمْ بَلْ عَلِّمُوا النَّشْءَ عِلْماً يُتَّجِ الْعَمَلَا
وَجَنَّبُوهُمْ عَلَى فَعْلٍ مُعَاقَبَةٍ إِنَّ الْعِقَابَ إِذَا كَرَّرْتَهُ فَتَلَا

فَجَيِّشُوا جَيْشَ عِلْمٍ مِنْ شَبِيبَتِنَا عَرْمَرَمًا تَضْرِبُ الدُّنْيَا بِهِ الْمَثَلَا
العرمرم: الجيش الكبير

وَأَنْ عَزَا مُسْتَظَلًّا ظِلَّ رَأَيْتَهُ هَزَّ الْبِلَادَ وَأَخْبَا الْأَغْصَرَ الْأَوَّلَا
إِنَّا لِمِنْ أُمَّةٍ فِي عَهْدٍ نَهَضَتْهَا بِالْعِلْمِ وَالسَّيْفِ قَبْلًا أَنْشَأَتْ دَوْلَا
مَاذَا تَقُولُونَ فِي نَقْدِي مَنَاهَجَكُمْ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّفْصِيلَ وَالْجُمْلَا؟
نقدت المناهج حتى كفيتم التفصيل والإجمال

وَأَيُّ نَفْعٍ لِمَنْ بَاتِي مَدَارِسَكُمْ إِنْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا مِثْلَمَا دَخَلَا؟

٣٧ الدور قبوراً

إِذَا مَا عَقَّ مَوْطِنَهُمْ أَنْاسٌ وَلَمْ يَبْنُوا بِهِ لِلْعِلْمِ دُورَا
فَبِأَنَّ ثِيَابَهُمْ أَكْفَانُ مَوْتَى وَلَيْسَ بُيُوتُهُمْ إِلَّا قُبُورَا

٣٨ كذبة الدهر

كَمْ كَذَّبَ الدَّهْرُ فِي قَمَائِلِهِ وَسُوِّدَ الْجَاهِلِينَ مِنْ كَذِبِهِ
الدهر يكذب، ومن بعض أكاذيبه نيل الجاهلين مواقع السيادة

٣٩ التخصص

أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اسْتَهَاءَ مِنَ الْعِلْمِ حِمٍ وَإِلَّا اسْتَفَقَاتْ مِنْ سُوءِ فَطْمِ
استأثت: تغيات

لَيْسَ فِي أَرْؤُسِ الرِّجَالِ دِمَاجٌ مَا ضِمْ فِي ذَكَائِهِ كُلُّ عِلْمٍ
فَمِنْ النِّقْصِ أَنْ تُحَاوَلَ أَنْ تُضْمَ رُبِّ فِي كُلِّ ذِي الْمُلُومِ بِسُوءِ
أَوَّلَيْسَ الْبِنْتُ السَّمَاءُ، وَإِنْ كَا ن وَحِيدًا، يَرْبُو عَلَى أَلْفِ نَجْمٍ

٤٠ نشيد لعبد الحميد

سَكَّنَا مِنْ جَهَالَتِنَا بِقَاعَا يَجُورُ بِهَا الْمُؤْمَرُ مَا اسْتَطَاعَا
المؤمر: المجهول أميراً

فَكِدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِيَاعَا فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضِيَاعَا

تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

* * *

أَيَا حُرِّيَّةَ الصُّحُفِ ازْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لَكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تُظَلِّقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَامْطَلِينَا
مَتَى تَصِلِينَ إِلَيَا حَتَّى نَتَلَقَّ . . قَدَمِي لَنَا وَعْدًا بِالْوَصَالِ أَيُّهَا الْمَشْوُوقَةُ، ثُمَّ امْطَلِينَا، كُونِي مَاطِلَةً

فَإِنَّا مِنْكَ نَقَنَعُ بِالْوُعودِ

* * *

نَنَعَمُ فِي قُصُورِكَ غَيْرَ دَارٍ أَهَاشِ النَّاسُ أَمْ هُمْ فِي بَوَارِ
بِوَارٍ: هَلَاكٍ

فَإِنَّكَ لَمْ تُطَالَبِ بِاعْتِدَارٍ وَهَبْ أَنَّ السَّمَالِكَ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءٌ يُلْدِرُ بِالْمَشِيدِ
يُلْدِرُ: قَصْرُ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي إِسْتَنْبُولَ

٤١ دخان ولهب

إِنْ كَلَّفْتَنِي السُّكَارَى شَرْبَ خَمْرَتِهِمْ شَرِبْتُ لَكُنْ دَخَانًا مِنْ سِكَارَاتِي
سِكَارَاتِي: سِجَارَاتِي، وَفِي الْعِرَاقِ يَكْتُبُونَ الْقَافَ الْبَدْوِيَةَ كَافًا، وَفِي مِصْرَ جِيمًا، وَفِي بِلَادِ الشَّامِ
يَتَحَيَّرُونَ، وَفِي الْخَلِيجِ يَكْتُبُونَهَا قَافًا فَيَقُولُونَ عَنْ الْفَاقَةِ زَقَارَةُ

إِنِّي لَأَمْتَصُّ جَمْرًا لَفَّ فِي وَرْقٍ إِذْ تَشْرَبُونَ لَهَبًا مِلءَ كَاسَاتِ

٤٢ تحريم الغناء

رَطَّبَ حَبَاتِكَ بِالْغِنَاءِ إِذَا عَرَا هُمْ يُجَقِّقُ فِي الْحُلُوقِ الرُّيْقَا
عَرَا: اهُتَرَى، وَجَاءَ مَفَاجَأً

وَأَثَرُكَ مُجَادَلَةَ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا هَزَجَ الْغِنَاءِ خَلَاعَةً وَفُسُوقَا
أَفَأَنْتَ أَغْلَظُ مُهْجَةً مِنْ نُوقِهِمْ فَقَدْ اسْتَحْشُوا بِالْحُدَاءِ النُّوْقَا
الْحُدَاءُ: الْغِنَاءُ لِلزَّيْلِ

أَرَفَى الشُّعُوبَ تَمَثُّنًا وَخَضَارَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْفِتَنِ عَرِيقَا

٤٣ الاستهلاك

أَوْ مَا تَرَى أَهْلَ الْبِلَادِ تَقَيَّدُوا لِلْغَرْبِ مِنْ حَاجَاتِهِمْ بِقِيودِ
الْغَرْبِ يَكْسُوهُمْ مَلَابِسَ مُنْ بِهَا يَغُرُّونَ مِنْ مَالٍ لَهُمْ وَنُقُودِ
وَتَرَاهُ يَسْلَخُهُمْ بِمَصْنُوعَاتِهِ سَلَخَ الشَّيَءِ، فَهُمْ بِغَيْرِ جُلُودِ
هَذِي سَفَائِثُهُمْ تَرُوحُ وَتَقْتَدِي بِبِضَاعٍ لَمْ تُخَصَّ بِالتَّعْمِيدِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ لِانْتِصَاصِ يَمَانِنَا بَعْضُ الْمَحَاجِمِ أَوْ كِبَاضِ الدُّودِ

نتمص بضائعهم دمنًا كما تمتصه المحاجم، المحجم أداة فصد الدم في الحجامة، أو الدود، القلق الذي يستغله المعالجون في امتصاص الدم

مَنْ كَانَ مَحْلُولَ الْعُرَا فِي مَالِهِ وَجَبَ أَنْجِلَالُ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
من لم يحسن القيام على الميزانية وجب أن يتخلى عن حمل اللواء وقيادة البلد

٤٤ التمويه

دَعِ الْآنَاسِيَّ وَأَنْسُبْنِي لِعَبِيرِهِمْ إِنْ شِئْتَ لِلشَّاءِ، أَوْ إِنْ شِئْتَ لِلْبَقْرِ
فَإِنَّ فِي الْبَشَرِ الرَّاقِيِ يَخْلُقَتْهُ مَنْ قَدْ أَنْفَتَ بِهِ أَنِّي مِنَ الْبَشَرِ
وَأَشْنَعُ الْكِذْبِ عِنْدِي مَا يُمَازِجُهُ شَيْءٌ مِنَ الصِّدْقِ تَمْوِيهاً عَلَى الْفِكْرِ
فَإِنَّ إِبْطَالَ هَذَا فِي النُّهَى عَصِرٌ وَلَيْسَ إِبْطَالُ مَنْحَصٍ الْكِذْبِ بِالْعَصْرِ

٤٥ تلخيص «رأس المال»

كُلُّ مَا فِي الْبِلَادِ مِنْ أَمْوَالٍ لَيْسَ إِلَّا نَتِيجَةُ الْأَهْمَالِ
تلخيص حسن للنظرية الماركسية في القيمة المضافة: قيمة كل سلعة هي مقدار ما وُضع فيها من عمل. وسيبدو في الآيات المقبلة أن الرصافي كان يصدر عن الإمام بالنظرية الماركسية

عِنْدَنَا الْيَوْمَ لِلْحَيَاةِ نِظَامٌ قَدْ حَوَى كُلَّ بَاطِلٍ وَمُحَالٍ
حَيْثُ يَسْمَى الْفَقِيرُ سَعْيٍ أَجِيرٍ لِعَنِي مُسْتَأْثِرٍ بِالْخِلَالِ
وَتَرَى الْغَائِصِينَ فِي الْبَحْرِ أَمْسَى لِسَوَاهُمْ مَا أَخْرَجُوا مِنْ لَالٍ
لَال: لالئ

أَكْثَرُ النَّاسِ يَكْتَحُونَ لِقَوْمٍ قَعَلُوا فِي قُصُورِهِمْ وَالْعَلَالِي
إِنَّمَا الْحَقُّ مَذْهَبُ الْإِشْتِرَاكِيِّيَّةِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأَمْوَالِ

مَذْهَبٌ قَدْ نَحَا إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ - قَدِيمًا فِي غَايِرِ الْأَجْيَالِ

أبو ذر الغفاري: من الصحابة، وزهد ودعا إلى التوبة بين الناس في العطاء

لَيْسَ فَرَضُ الزَّكَاةِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا خُطْوَةٌ نَحْوَ مَبْتَغَاءِ الْعَالِي

الزكاة خطوة أولى نحو هذا المنصب: الاشتراكية

مَا رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ إِلَّا أَدَاةٌ لِلْمَسَاعِي كَالْحَبْلِ لِلْأَخْمَالِ

رؤوس الأموال أداة لتشغيل الناس ودوران عجلة الاقتصاد وليست للتخزين والكثرة

أَيُّهَا الْعَامِلُونَ إِنَّ اتِّحَادًا بَيْنَكُمْ مُرْخِصٌ لَكُمْ كُلِّ غَالٍ

وقال البيان الشيوعي: «يا عمال العالم اتحدوا»

فَلْيَكُنْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَصِيرًا وَمُعِينًا لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

٤٦ الازدراء

أَكْبَ عَلَى الْخَوَانِ وَكَانَ خِفَاءً فَلَمَّا قَامَ أَثَقَلَهُ الْقِيَامُ

ووالى بينها لُقْمًا ضِعْمًا فَمَا مَرِثَ لَهُ اللَّقْمُ الضُّخَامُ

وَعَاجَلَ بَلْعَهُنَّ بِغَيْرِ مَضْغٍ فَهُنَّ بِغِيهِ وَضَعْنَ فَالْتِهَامُ

فَضَاقَتْ بَطْنُهُ شِبَعًا وَشَالَتْ إِلَى أَنْ كَادَ يَنْقَطِعُ الْجَزَامُ

فَأَرْسَلْتُ اللَّحَاطَ إِلَيْهِ فَرَزًّا وَقُلْتُ لَهُ: رُوَيْدَكَ بِأَعْلَامُ

أَرَى اللَّقْمَاتِ تَأْخُذُهَا حَلَالًا فَتَدْخُلُ فَاكَ وَهِيَ بِهِ حَرَامُ

فَلَا نَأْكُلُ طَعَامَكَ بِأَزْوَاجٍ مُعَاجِلَةً فَيَأْكُلُكَ الطَّعَامُ

طَعَامُ النَّاسِ أَغْجَبُ مَا أَحْبَبُوا فَمَنْ حَبَاثَتُهُمْ وَبِهِ الْجِمَامُ

أعجب الأشياء التي يحبها الناس الطعام، فمنه يحبون وبه يموتون

وَلَوْ أَنِّي اسْتَظَفْتُ حَيْبَامَ دَهْرِي لَصُنْتُ فَكَانَ ذَيْدُنِي الصِّيَامُ

ديني: هادني

وَلَكِنْ لَا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ تَكَاتَرَ فِي فُطُورِهِمُ الطَّعَامُ

وَنَامُوا مُتَخَمِّينَ عَلَى امْتِلَاءٍ وَقَدْ يَتَجَشَّأُونَ وَهُمْ نِيَامُ

يتجشأ: يخرج قفاعة هواء من بطنه... يخرجها من فمه بصوت

فَقُلْ لِلصَّائِمِينَ آدَاءُ فَرَضٍ أَلَا مَا هَكُنَا فَرَضَ الصِّيَامِ

٤٧ إلى الصديق اللود

أرى بغداداً من بعد اغبرارٍ رَهَتْ بِقُدُومِ شَاعِرِهَا الرُّهَاوِي
وما الآدابُ في بغدادَ لولا يَرَاعُ جَمِيلُهَا إِلَّا دَعَاوِ
يراع: قلم، دعاوٍ: ادعاءات

إذا ما قالَ في بغدادَ شعراً رَوَاهُ لَهُ بِأَقْصَى الْأَرْضِ رَاوِ

٤٨ أبناء إماء

لَقَدْ قَطَعُوا حَقَّ النِّسَاءِ فَشَدُّوا عَلَيْهِنَ فِي حَبْسٍ وَطَوَّلَ نَوَاءِ
قَطَعُوا الحق: لم يقرؤا به، طول نواء: طول إقامة

وقد الزَّمَوْهُنَّ الْحِجَابَ وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِنَ إِلَّا خُرْجَةً بِغِطَاءِ
أَهَانُوا بِهِنَ الْأَمْهَاتِ فَأَصْبَحُوا بِمَا فَعَلُوا مِنَ الْأُمِّ اللَّؤْمَاءِ
ولو أَنَّهُنَّ أَبْقَوْا لَهُنَّ كِرَامَةً لَكَانُوا بِمَا أَبْقَوْا مِنَ الْكُرْمَاءِ
أَلَمْ تَرَهُنَّ أَمْسَوْنَ عَبِيداً لِأَنَّهُنَّ عَلَى الثَّلْثِ شَبُّوا فِي حُجُورِ إِمَاءِ
صار رجالنا عبيداً للأجنبي لأنهم تربوا في حجور، أحضان، نساء هن كالأماء، الجوارى

وَهَانَ عَلَيْهِنَ حِينَ هَانَتْ نِسَاؤُهُنَّ فَحَثَّلَ جُورِ السَّاسَةِ الْغُرَبَاءِ
أَبْسَعُدَ مَخْيَاكُم بِغَيْرِ نِسَائِكُم وَهَلْ سَمِعْتِ أَرْضَ بَغْدَادِ بِغَيْرِ سَمَاءِ
النسب: النسب

وما العارُ أَنْ تَبْدُو الْفَتَاةُ بِمَسْرَحٍ تُمَثِّلُ خَالِي عِرَّةٍ وَإِبَاءِ
ولكن عاراً أَنْ تَزُيَّا رِجَالَكُم عَلَى مَسْرَحِ التَّمَثِيلِ زِيَّ نِسَاءِ

٤٩ النعجة والذئب

قُلْ لِلْأُلَى ضَرَبُوا الْحِجَابَ عَلَى النَّسَاءِ أَفَتَعْلَمُونَ بِمَا جَرَى تَحْتَ الْعَبَاءِ؟
شَرَّفَ الْمَلِيحَةُ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَذَّبَا
وَالْوَجْهُ إِنْ كَانَ الْحَيَاءُ نِقَابَهُ أَغْنَى فِتَاةَ الْحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
وَاللُّؤْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نِسَاؤُنَا مَثَلُ النَّعَاجِ، وَأَنْ تَكُونَ الْأَذْؤِيَا

٥٠ الذين واللواتي

هِيَ الْأَخْلَاقُ تَنْبُتُ كَالْبَنَاتِ إِذَا سُوِّبَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ
وَلَمْ أَرِ لِخَلْقِي مِنْ مَحَلٍّ يُهْدَبُهَا كَحِضْنِ الْأُمّهَاتِ
فَحِضْنُ الْأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ بِتَرْبِيَةِ الْبَنِينَ أَوِ الْبَنَاتِ
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي بِتَفْضِيلِ الَّذِينَ عَلَى اللَّوَاتِي
وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ تَضِيقُ بِهِ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ
الَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ فَرْضًا عَلَى أَبْنَائِهِ، وَعَلَى الْبَنَاتِ؟
وَكَانَتْ أُمْنًا فِي الْعِلْمِ بَحْرًا تَحُلُّ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلاتِ
أَمَّا: أُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ

أَلَمْ نَرِ فِي الْجِسَانِ الْغَيْدَ قَبْلًا أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتٍ؟
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ قَدَمًا يَرُخْنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغَزَاةِ
يَرْحَن: أَرَادَ يَلْعَبُ

لَئِنْ وَأَدَّوَا الْبَنَاتِ فَقَدْ قَبَرْنَا جَمِيعَ نِسَائِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ
الْجَاهِلِيُّونَ وَأَدَّوَا الْبَنَاتِ وَنَحْنُ قَبَرْنَا النِّسَاءَ بِإِيقَاتِهِنَّ فِي الْبُيُوتِ أَوْ بِالْحِجَابِ
حَجَبْنَاهُنَّ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي فَعِشْنَ بِجَهْلِيَّهِنَّ مُهْتَكَاتِ
وَلَوْ عَلِمَتْ طِبَاعُ الْقَوْمِ لُؤْمًا لَمَّا حَدَّتِ النِّسَاءُ مُحَجَّبَاتِ
فِدَى لِحَلَايقِ الْأَعْرَابِ نَفْسِي وَإِنْ وَصِفُوا لَدِينَا بِالْجُفَاءِ
فَكُمْ بَرَزَتْ بِحَبِيبِهِمُ الْقَوَانِي خَوَاسِرَ غَيْرِمَا مُتَرَبِّياتِ
حَوَاسِر: كَاشَفَاتِ الشَّعْرِ، غَيْرِمَا مُتَرَبِّياتِ: غَيْرَ وَاقِمَاتِ فِي شَبْهَةِ أَوْ رِيَّةِ

٥١ أمة ومحبوسة

لَمْ أَرِ بَيْنَ النَّاسِ ذَا مَظْلَمَةٍ أَحَقُّ بِالرَّحْمَةِ مِنْ مُسْلِمَةٍ
مَنْقُوصَةٍ حَتَّى بِمِيرَاثِهَا مُحَجَّوَةٌ حَتَّى عَنِ الْمَكْرُمَةِ
قَدْ جَعَلُوا الْجَهْلَ صَوَانًا لَهَا مِنْ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الْمَآثِمَةِ
صَوَانًا: حَافِظًا صَائِنًا

وَالْعِلْمُ أَعْلَى رُتْبَةٍ عِنْدَكُمْ مِنْ أَنْ تُلْقَاهُ وَأَنْ تَغْلِسَهُ

ما تَصْنَعُ المرأةَ مَحْبُوسَةً في بيتِها إنْ أَصْبَحَتْ مُغْدِمَةً
كم في بيوتِ القومِ مِنْ حُرَّةٍ تَبْكِي مِنَ البُؤْسِ يَعْينُنِي أُمَةٌ

٥٢ نحن السفوريين

نحنُ السُّفُورِيُّونَ أَغْلَمُ بالذي شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ مِنْ دِينِ
أَيَكُونُ ما شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ شيئاً يَخَالِفُ شِرْعَةَ التَّنْذِيرِ؟

٥٣ يا شعبي الضائع

قالها والمراق تحت الحكم العثماني:

أَمَا أَنَّ أَنْ يَفْشَى الْبِلَادَ سُعُودُهَا وَيَذْهَبَ عَنْ هَذِي النَّيَامِ مُجُودُهَا
يفشى: يفتي، سعودها: حفظها الحسن، هجودها: نومها

بَرِئْتُ إِلَى الْأَحْرَارِ مِنْ شَرِّ أُمَّةٍ أَسِيرَةٌ حُكَّامِ ثِقَالِ قُبُودُهَا
جَرَى الْجَوْرُ مِنْهَا فِي بِلَادٍ وَسِيقَةٍ فَضَاعَتْ عَلَى الْأَحْرَارِ ذُرْعَا حُدُودُهَا
عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِدَوْلَةٍ يَسُوسُهُمُ بِالْمُؤَيِّقَاتِ صَبِيدُهَا
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُمْ يَرْغَبُونَهَا وَأَمْوَالُهَا مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ جُنُودُهَا
وَصَارَتْ لِثَامُ النَّاسِ يَمْلِكُو كِرَامَهَا وَهَابَ لِبَيْدِهَا فِي النَّشِيدِ بَلِيدُهَا
صار الثام يرتفعون فوق الكرام، وصار البليد يعيب في الشعر لبليد الشاعر المشهور

وَمَا ثُلَّةٌ قَدْ أَهْمَلَتْهَا رُعَاتُهَا بِمَأْسَدَةٍ جَاعَتْ لِعَشْرِ أَسْوَدُهَا..
الثلة: قطع الغنم، المأسدة: أرض كثر أسودها، جاعت لعشر: مضت عليها عشرة أيام بلا طعام..

فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يُحَامِي مَرَاخَهَا فَرَائِسَ بَيْنَ الضَّارِيَاتِ تُبِيدُهَا..
بات الفطيع بلا راع يحمي مراخه، أرضه، فأصبح فرائس تغترسها الأسود الضارية، المفترسة
بِأَضْيَعٍ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا ذُو شَهَامَةٍ يَذِيبُ الرِّزَايَا عَنْكُمْ وَيَذُودُهَا
ليست هذه الأعنام أشد ضياعاً منكم إذ لا شهيم يذب الرزايا، يدفع المصائب ويذودها، يعدها عنكم

٥٤ الإسلام ذنباً

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغُرِّ بِإِحْصَالِ تَسْتَوْجِبُونَ أَحْتَرَامَا

وَإِذَا مَا فَعَلْتُمْ الْخَيْرَ يَوْمًا حَبِيبُوهُ جِنَايَةً وَأَنَا مَا
وَإِذَا مَا افْتَرَى عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ أَيْدُوهُ وَصَدَّقُوا الْأَوَّامَا
وَإِذَا مَا جَنَى عَلَيْكُمْ أَنْاسٌ سَكَّنُوا عَنْهُمْ وَمَرُّوا كِرَامَا
مرور الكرام: أي المرور بلا اهتمام. المعنى مأخوذ من صفة الكريم النفس الذي يرى الخطأ فيمر
به بلا تأنيب لصاحبه

كَمْ بِأَرْضِ الْبِلْقَانِ مِنْكُمْ قَتِيلٌ وَأَيَّامِي مُضَاعَفَةٌ وَيَسْنَامِي
أيامي: أرامل. . وفي نهاية الحرب العالمية الأولى تفككت الدولة العثمانية وخلقت في مناطق
البلقان حيث كانت تحكم كثيرين من المسلمين يتعرضون للآذى

رَجِمَ اللَّهُ أُمَّةً أَصْبَحَ الْغُرُ بٌ يَرَى كُلَّ ذَنْبِهَا إِسْلَامَا

٥٥ وعود العربيين

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَصْبَحُوا يُنْكِرُونَنَا وَقَدْ عَرَفُونَا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَرَّ
هُمْ أَسْمَعُونَا نُغْمِرَةَ عَرَبِيَّةً قَدَوَى صَدَاها فِي الْمَسَامِعِ مُضْطَرًا
نغمة: عصية وحماة للنسب، مضطرب: مضطرب. يتخذ العربيين

فَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ قَامَ فِيهَا مُثَرَّرًا فَطَرَى لَنَا مِنْ يَابِسِ الْقَوْلِ مَا طَرَى
وَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ أَرْخَصَ الشَّعْرَ دُونَهَا وَكَمْ قَلَمٍ فَوْقَ الطُّرُوسِ بِهَا صَرَا
كم من شاعر بذل شعره رخيماً في سبيل الدعوة للعروبة، وكم قلم قد سُمع له صرير فوق
الطرُوس، الأوراق، وهو يشيد بها، بالنغمة العروبية

وَكُنَّا أَجْبَنَاهُمْ إِلَيْهَا إِبْجَابَةً بِهَا قَدْ تَرَكْنَا جَانِبَ الدِّينِ مُزَوَّرًا
وقد تفاعلت - بقول الرصافي - مع تلك الدعوات، مخالفاً بذلك الرابط الديني الذي يربطني بالدولة
العثمانية

رَجَاءُ اتِّحَادٍ فِي طَرِيقِ سِيَاسَةٍ تَعُمُّ مَرَامِيهَا بَنِي بَغْرِبٍ طُرَا
جاريته رجاء التوحيد في سياسة تعم مراميها، أغراضها، العرب طراً، جميعاً
فَمُذْ حَانَ أَنْ يَخْضَلَ غُضُنُ اعْتِزَانَا وَبَرَّتْ بَعْدَ الْيَبْسِ رَطْبًا وَيَخْضَرَّا..
منذ أن حان الوقت ليخضل، لينثل بالندى، غصن اعتزازنا ويخضر..

نَصَبْنَا حَبَاشِيمَ الرَّجَاءِ لِرَبِّحِهِمْ فَهَبَّتْ لَنَا نَكَبَاءَ عَاتِيَةٍ صِرَا
نصبنا أمرفنا راجين أن نشم رائحة طيبة، فهبت علينا ريع نكباء، مخربة، صير، باردة

٥٦ رويدك غورو!

رُؤَيْدُكَ، غُورُو، أَيُّهَذَا الْجُنَيْتُ أُلُفْ فَقَدْ أَلَمَّنا مِنْ خِطَابِكَ أَقْوالُ

دخل الجبرال غورو دمشق وألم بقبر صلاح الدين ورفسه وقال: «قم فقد عدنا يا صلاح الدين، ووجودي هنا إيذان بانتصار الصليب على الهلال» العبارة في ص ٣٥٩ من كتاب «غزو الشرق الأوسط الحديث» لماير وبرايواك

ذَكَرْتُ لَنَا الْحَرْبَ الصَّلِيبِيَّةَ الَّتِي بِهَا الْيَوْمَ قَدْ تَمَّتْ لِقَوْمِكَ آمَالُ

وَلَوْ أَنَّنَا قُلْنَا كَمَا أَنْتَ قَائِلٌ لَأَنْحَى عَلَيْنَا بِالْتَّمَصِّ هَذَا

أنحى بالتمص: انهم بالتمص

وَقَالُوا لَنَا أَنْتُمْ أَوْلُو جَاهِلِيَّةٍ وَإِنْ خَالَفُوا وَجْهَ الصَّوَابِ بِمَا قَالُوا

فَقَدْ قَادَتِ الْأَعْرَابُ نَحْوَ غَدُوِّكُمْ خُبُولاً لَهَا فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ تَجَوَّالُ

الأعراب في الحجاز والأردن بقيادة الشريف حسين مكة حاربوا عدوكم، يا غورو، وهو الدولة العثمانية

وَقَامَتْ لَكُمْ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ رَايَةٌ لَكُمْ فُتِحَتْ فِيهَا مِنَ الْقُدْسِ أَقْفَالُ

ورفع الهاشميون في مكة راية قتال ساعدت الغرب في فتح القدس مع نهاية الحرب العالمية الأولى

٥٧ عندما يحبض الزمن

لَمَّا تَكْرَهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّنِي أَنِّي إِلَيْهِنَّ، يَا أَمِيمَ، بَغِيضُ

وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثْلِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضُ

صنيعه: معروف

لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً مَا لِلْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمِيقَةُ

تسويد عمران القفني

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا فِي الْحُكْمِ، تَطْهَرُ تَارَةً وَتَحْبِضُ

أحداث الزمن تشبه في حكمنا عليها النساء تطهر وتحبض.. أي فيها ما يسر وما يسوء

وَإِذَا الْفَنَى قَمَعَتْ بِهِ أَعْمَالُهُ أَعْبَاءُ بِالنَّسَبِ الرَّفِيعِ نُهَوْضُ

تسويد عمران القفني

٥٨ يا قوم لا تتكلموا

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام مُحرَّم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّومُ
أما السياسة فاتركوا أبداً ولا تَنَدُّوا
إن السياسة مِرْها لو تعلمون مُطْلَسَمُ

مطلسم: غامض

مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يعبَ شَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مُكْرَمُ
قَلْبُكُمْ لَا تَنْعَ وَلَا بَصَرَ لَدَيْهِ وَلَا قَمُ
وَإِذَا ظَلِمْتُمْ فَاضْحَكُوا طَرِباً وَلَا تَنْظَلُمُوا
إِنْ قِيلَ هَذَا شَهْدُكُمْ مُرَّ فقولوا عَاقِمُ
أَوْ قِيلَ إِنَّ نَهَارَكُمْ لَيْلٌ فقولوا مُظْلِمُ
أَوْ قِيلَ إِنَّ بَلَادَكُمْ يَا قَوْمُ سَوْفَ تُقْسَمُ
فَتَحَمِّلُوا وَتَشْكُرُوا وَتَرْتَمِحُوا وَتَرْتَمُوا

٥٩ حكم الدخيل

في حفل تكريم أمين الريحاني:

أَأْمِينُ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَإِنِّي لَا أَدْعِي شَيْئاً بغيرِ دَلِيلِهِ
مِنْ ابْنِ بُرْجَى لِلْمَعْرَافِي نَقِمْ وَسَبِيلُ مُتَمَلِّكِيهِ غيرُ سَبِيلِهِ

منكوه: حكامه

لا خَيْرَ فِي وَطَنِ يَكُونُ السِّيفُ عِنْدَ لَدَ جَبَانِهِ، وَالْمَالُ عِنْدَ بَخِيلِهِ
وَالرَّأْيُ عِنْدَ طَرِيدِهِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ لَدَ غَرِيبِهِ، وَالْحُكْمُ عِنْدَ دَخِيلِهِ

استاء الملك فيصل مما رآه تعريضاً به في كلمة «دخيله»، فقالوا له: لعل الرصاني يقصد الإنجليز

وَقَدْ اسْتَبَدَّ قَلِيلُهُ بِكَثِيرِهِ ظُلُمًا، وَذَلَّ كَثِيرُهُ لِقَلِيلِهِ
وَإِذَا الْمُخَاطَبُ كَانَ مِثْلَكَ وَاعِيًا أَغْنَى اخْتِصَارُ الْقَوْلِ عَنْ تَطْوِيلِهِ

يخاطب أمين الريحاني

يَا مَنْ يُكْتَمُ فَضْلُهُ مُتَوَاضِعًا وَالنَّاسُ مُجْمِعَةٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ

شكواي بُحْتُ بها إليك وليس في
 إنَّ المريضَ لَيَسْتَرِيحُ إذا اشْتكى
 شكوى الزميلِ غَضاضَةً لزميلِهِ
 ومما به لَطِيبِيهِ، وخليْلِهِ

٦٠ ويل لبغداد

ويل لبغدادَ ممَّا سوف تذكُّرُهُ
 لقد سَقَيْتُ بِفَيْضِ النَّعْمِ أَرْبُعَهَا
 عَنِّي وعنْهَا اللَّبالي في الدَّواوِينِ
 على جِوانِبِ وادٍ ليس بِسَقِينِي
 ولَوْ تَأَدَّدْتُ زُفُوماً بِفَسْلَيْنِ
 تَأَدَّدْتُ: اتَّخَذْتُ غُفُوماً لِحَبِزِي، الزُّفُومَ وَالْفَسْلَيْنِ: من طعام أهل النار

عَاهَدْتُ نَفْسِي وَالْأَيَّامَ شَاهِدَةً
 ما كُنْتُ أَحْسَبُ بَغْدَاداً تُحَلِّثُنِي
 أَلَّا أَقَرَّ عَلَى جَوْرِ السُّلَاطِينِ
 عن ماءٍ دَجَلَتْهَا يَوْماً وَتُظْمِئُنِي
 تحلثني: تمنعني ورود الحوض

حَتَّى تَقْلُدَ فِيهَا الْأَمْرَ زُهْرَةً
 من الْأَناسِ بِأَخْلَاقِ السَّرَاحِينِ
 زُهْرَةٌ: شُرْفَةٌ، حِثَالَةٌ، السَّرَاحِينِ: الثَّغَابُ

لَأَجْعَلَكَ إِلَى بَيْرُوتَ مُنْتَسَبِي
 قد كان في الشَّامِ لِلْأَيَّامِ مَدُّ زَمَنِ
 لَعَلَّ بَيْرُوتَ بَعْدَ الْيَوْمِ تُؤْوِينِي
 ذَنْبٌ مَحَنُهُ اللَّبالي في فِلَسْطِينِ
 أَذْنِبْتُ الشَّامَ بِحَقِّي عِنْدَما جِئْتُهَا وَفِصْلَ فِيهَا فَلَمْ أَحِظْ بِاسْتِظَالِ حَسَنِ، فَلَمَّحْتُ إِلَى الْقُدْسِ فَعَمَلْتُ
 هُنَاكَ وَاحْضِي النَّاسَ بِـ

إِنْ كَانَ فِي الْقُدْسِ لِي صَحْبٌ غَطَّارِقَةٌ
 فَكُمُ بِبَيْرُوتَ مِنْ غُرِّ مَيَّامِينِ
 الْغَطَّارِقَةُ وَالْمَيَّامِينُ: السَّادَةُ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ

٦١ ملك ينتظر آخر الشهر

لَهُمْ مَلِكٌ تَأْتِي عَصَابَةٌ رَأْسِهِ
 تَأْتِي عَصَابَةٌ رَأْسَهُ، عِمَامَتُهُ، أَنْ يَعْصِبَهَا وَيُلْفِئَهَا لَهُ إِلَّا سَيْفَ الْإِنْجِلِيزِ، أَيَّ أَنْ عَرِثَهُ قَائِمٌ بِفَضْلِ
 وَحُودِهِمُ الْعَسْكَرِي فِي الْعِرَاقِ (الْتِمِيسِينَ نَسَبَةً إِلَى نَهْرِ لَنْدَنِ الْاَنْتَزِ)

وَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ
 يُعَدِّدُ أَيَّاماً وَيَأْخُذُ رَأْيَا
 قَبْلَ عِنْدَما تَقَى الْعَلِكُ فِصْلَ الرِّصَافِي بَعْدَ حِينَ عَاتَبَهُ قَائِلاً: أَمَا زِلْتَ تَقُولُ إِنِّي أَعْدَدُ أَيَّاماً وَأَأْخُذُ
 رَأْيَا؟ فَقَالَ الرِّصَافِي: أَمَلٌ أَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ

٦٢ الكراسي الخجلى

أنا بالحكومة والسياسة أعرفُ ألامُ في تفنيديها وأعنفُ
تفنيديا : انضماما

ساقولُ فيها ما أقولُ ولم أخفُ من أن يقولوا شاعرٌ مُتَطَرَّفُ
هذي حكومتنا وكلُّ شُمُوخِها كَذِبٌ، وكلُّ صنيعِها مُتَكَلِّفُ
عَلِمَ ودُستورٌ ومجلسٌ أُمِّي كلُّ من المعنى الصحيح مُخَرَّفُ
أسماءُ ليسَ لنا سوى ألفاظِها أمّا معانيها فليست تُعرَفُ

تعليق عمران الفيني: (منع أسماء للوزن، ومنع المصروف فيج حتى في الضرورات . . . الشعراء الكبار يصرفون الممنوع لا العكس)

مَنْ يَغْرِا الدُّستورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَقَعاً لَصَكِّ الانعذابِ مُصَنَّفُ
تَشْكُو البلادُ سياسةً ماليةً تَجتاحُ أموالُ البلادِ وتُنَلِّفُ
تُجَبَى ضرائِبُها الثَّقَالُ وإنّما في غيرِ مصلَحةِ الرِّعيّةِ تُضَرَّفُ
يا قومُ خَلُّوا الفاشِيةَ إنّها في السَّائِسِينَ قَظَافَةٌ وَتَعَجَّرُفُ

الفاشية: الفاشية، وكان بدأ يتشكل حزب يأخذ بنهج الفاشية الإيطالية

لِلإنجليزِ مَطايحُ بِبلادِكُمْ لا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَتَبَلَّشُوا
تَبَلَّشُوا: تصبحوا بلشين، والحزب البلشي هو حزب لينين الشيوعي في روسيا/الاتحاد السوفيتي

بِاللُّهِ يَا وَدَّاءُنا ما بِأَلِكُمْ إن نحن جادلناكُم لم تُنصِفُوا
هذي كراسيُّ الوزارةِ نَحَتُّكُم كادَتْ لِفَرَطِ حَيائِها تَتَقَصَّفُ
أنتم عليها والأجانبُ فوقَكُم كلُّ بِسُلْطَنِهِ عَلَيْكُم مُشْرِفُ
أَبْعَدُ فخرًا لِلوزيرِ جُلُوسُهُ قَرِحاً على الكُرسيِّ وَهُوَ مُكْتَفُفُ

مكتف: مقيد بالحيال

كم من نواصٍ لِلِعَدَى سَنَجُزُّها وَلِحَى بِأَيْدِيِ الشَّائِرِينَ سَتُنَتَّفُ
نواصٍ: الناصية شعر مقدم الرأس، نجزها: نقصها. وكان من عادة العربي إذا أسر خصمه أن يحلق له شعره

٦٣ أم الدنيا

في زيارة مع وفد برلماني عراقي للقاهرة لحضور المعرض الصناعي (١٩٣٦):

إذا العروبة حُلَّتْ عرشَ دولتيها فمضُرُّ تاجٍ لها قد صيغَ من دَهَبٍ
من أَفقٍ فُسطاطُها في الشرقِ قد طَلَعَتْ شمسٌ إذا غابَ قُرْصُ الشمسِ لم تَغِبْ

الفسطاط: القاهرة القديمة

٦٤ من العجائب

وَمِنْ العجائبِ في الزمانِ وأهله بَلَّةُ الفَقِيهِ وَفِظَنَةُ الزُّنْدِيقِ

٦٥ الجمهورية

قالها في عهد السلطان عبد الحميد:

سوقُ ثَباعٍ بها المَرَاتِبُ سَمِيَتْ دارُ الخِلافةِ عندَ مَنْ لم يَعُولِ
دارُ الخلافة: إستانبول

أَبَتْ السِّياسَةُ أنْ تَدومَ حُكومتُ خُصِّتْ بِرَأْيِ مُقَدَّسٍ لَمْ يُسألِ
المقدس الذي لا يُسأل: السلطان، فهو ليس موضع مساءلة. التسويد لعمران الفيني

إنَّ الحُكومتَ، وَهِيَ جُمهُوريَّةٌ كَشَفَتْ عَمايَةَ قَلبٍ كُلِّ مُضَلِّلِ
الحكومة، إذ تكون جمهورية، تكشف العماية، السعابة، التي تغطي قلب المضللين المفرر بهم

٦٦ الأمير المأمور

قالها عند قدوم فيصل إلى بغداد (١٩٢١):

خَرَجَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ احْتِفَاءً بِقُدُومِ الأميرِ غَيرِ الأميرِ
مَلَأُوا الشَّارِعَ الكَبِيرَ لِأَميرٍ في كَبيرِ العقولِ غَيرِ كَبيرِ
كَيْفَ جاءَ الأميرُ قَبْلَ اتِّمارِ الـ قُومِ فَبِما يَخْتَصُّ بِالنَّاميرِ

اتِّمار: تشاور

ثم سَمَّوْهُ بِالأميرِ، وهذا مِنْ ضُروبِ الخِدايعِ في التَّعبيرِ
أَميراً وَالأميرُونَ مِثْلُوه لَمْ يَكُنْ عِندَهُمْ سِوى مَأْمُورِ

الأمرون هم الإنجليز الذين عينوا فيصلاً ملكاً على العراق

٦٧ العهد قيوداً

لَنَا مَلِكٌ وَلَيْسَ لَهُ رَعَايَا وَأَوْطَانٌ وَلَيْسَ لَهَا حُدُودٌ
وَأَجْنَادٌ وَلَيْسَ لَهُمْ مِلاَحٌ وَمَمْلَكَةٌ وَلَيْسَ بِهَا نُقُودٌ
وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ تَرَاهُمْ سَادَةً وَمُمْ الْعَبِيدُ
كِلَابٌ لِلْأَجَانِبِ هُمْ، وَلَكِنْ عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أَسْوَدُ
وَلَيْسَ الْإِنْجِلِيزُ بِمُنْقِذِينَا وَإِنْ كُتِبَتْ لَنَا مِنْهُمْ هُودُ
مَتَى شَفَقَ الْقَوِيُّ عَلَى ضَعِيفٍ وَكَيْفَ يُعَاهِدُ الْخِرْفَانُ سَيِّدُ
شَفَقَ: أَشْفَقَ، سَيِّدَ: ذُئِبَ

وَلَكِنْ نَحْنُ فِي يَدِهِمْ أَسَارَى وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عَهْدٍ قِيُودُ

٦٨ الوعد الكاذب

فَعَلَ الْإِنْجِلِيزُ فَبِكُمْ فِعَالاً قَدْ رَضَوْهَا لَكُمْ وَلَمْ تَرْضَوْهَا
تَتَشَكَّرُونَ فِي السِّيَاسَةِ مِنْهَا ثُمَّ أَنْتُمْ تَأْبُؤُونَ أَنْ تَرْضَوْهَا
وَعَدُوكُمْ مِنْ قَبْلُ مَمْلَكَةٌ الْعُرُ بَ اجْتَلَوْهَا بِالْمَيْنِ وَافْتَرَضَوْهَا
اجتَلَوْهَا: رَاوَاهَا، بِالْمَيْنِ: بِالْكَذِبِ. وَكَانَ الْإِنْجِلِيزُ وَهَدُوا الشَّرِيفَ حَسِينَ فِي سَنَاتِ الْحَرْبِ
الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى مَلَكَةً لِلْعَرَبِ يَكُونُ عَلَى رَأْسِهَا، وَنَكُنُوا

قُبَّةٌ زُخْرِقَتْ لَكُمْ بِالْأَمَانِي هُمْ بَنَوْهَا لَكُمْ وَهُمْ قَوَّضَوْهَا

٦٩ المخارة

قَالَهَا فِي وَاقِعَةِ (تسوشيما) الْبَحْرِيَةِ بَيْنَ الرُّوسِ وَالْيَابَانِ (١٩٠٤):

سَعَرُوهَا فِي الْبَحْرِ حَرْباً ضَرُوساً تَأْكُلُ الْمَالَ نَارُهَا وَالنَّفْسُ
قُرْبَ تُوْشِيمَ قَدْ تَصَادَمَ أَشْطُو لِأَنَّ أَرْدَى الْيَابَانُ فِيهِ الرُّوسَا
أَرْدَى: أَمَاتَ

كُلُّ مَخَارَةٍ إِذَا حَرَّكَتْ ذُئِبَ سَاعَهَا خَضَخَضَتْ بِهِ الْقَامُوسَا
مَخَارَةٌ: سَفِينَةٌ تَمُخَّرُ عِبَابَ الْمَاءِ، الذُّفَاعُ: السَّيْلُ الْعَظِيمُ، الْقَامُوسُ: الْبَحْرُ... الْمَعْنَى الْمَلُوحُ أَنَّ
السَّفِينَةَ عِنْدَمَا تَتَحَرَّكُ يَمُنْ عَلَيْهَا مِنَ الْجَنْدِ تَضَعُ سَطْحَ الْبَحْرِ

أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحاً فَتَهَادَثَ عَلَى الْعُبَابِ عَرُوسَا

٧٠ لو أن سيفي في يدي

تعرضت برقة (في ليبيا اليوم) لغزو الإيطاليين عام (١٩١١)، وتصدى لها جنود الدولة العثمانية التي كانت تحكم بلاد العرب آنذاك، وكان مصطفى كمال أتاتورك على رأس القوة العثمانية التي أبليت بلاء حسناً، ولكن إيطاليا بمئة وخمسين ألف جندي مقابل عشرة آلاف سيطرت على كل ليبيا في خريف (١٩١٢):

يَوْمُ عَلَيْنَا أَهْلَ بُرْقَةِ أَنْكُمُ تَدُورُ عَلَيْكُمْ بِالْدمَارِ رَحَى الْحَرْبِ
وَأَنَا إِذَا مَا تَسْتَغِيثُونَ لَمْ نَجِدْ إِلَيْكُمْ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ مِنْ دَرْبِ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِيفُونَا تَمَلَّمُ فِي الْأَعْمَادِ شَوْقاً إِلَى الضَّرْبِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا اللَّيْثُ شُدَّتْ قَبْوُهُ وَأَلْقَى حَيّاً شِبْلُهُ فِي قَمِ الذَّنْبِ

٧١ عثر المدبرين

في الحرب العثمانية الإيطالية في ما سيعرف بـ «ليبيا» (١٩١١):

لَكُنْ أَدَبَرَ الطَّلَبَانُ عِنْدَ كِفَاحِنَا فَإِنَّ لَهُمْ فِي بَطْشِ شَجَعَانِنَا عُلُرَا
أدبر: فر، لشدة بطش جنودنا فالإيطاليون معلودون أنهم فروا من القتال

فإِنَّا لَقَوْمٌ إِنْ نَهَضْنَا لِحَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ أَفْرَعْنَا بِنَهْضَتِنَا الدَّهْرَا
وَنَأْكُلُ مَرَّ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّا نَلُوكُ بِهِ مَا بَيْنَ أَضْرَامِنَا تَمْرَا
وَكَمْ قَدْ نَشَرْنَا بِالسِّيفِ جَمَاجِمَا نَقَلْنَا بِهَا فَوْقَ الثَّرَى لِلْعَدَى شِعْرَا
وَهَلْ حَسِبُوا قَتْلَ النِّسَاءِ شَجَاعَةً وَقَدْ تَرَكُوا عِنْدَ الرِّجَالِ لَهُمْ نَارَا
يَوْمُ عَلَى أَسَافِنَا الْيَوْمَ أَنَّهَُا تُفَارِعُ قَوْمًا قَرَعَهُمْ بِالْعَصَا أُخْرَى

الواقع أن الدولة العثمانية سلمت ليبيا بعد كفاح طويل للمملكة الإيطالية في معاهدة لوزان الأولى في أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٢

وَمِنْ مُبْكِيَاتِ الدَّهْرِ أَوْ مُضْجِكَاتِهِ لَدَى النَّاسِ: حُرٌّ لَمْ يَكُنْ خَصْمُهُ حُرّاً
سَنَفَأَرُ حَتَّى تَسَامَ الْحَرْبُ نَارَنَا وَنَقْتُلُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ أَنْفُساً عَشْرَا

وعلى ذكر العشرة فإن المحتلين الإيطاليين طبقوا في ليبيا أثناء ثورات الشعب عليهم ممارسة رومانية قديمة - حسب التافهون أنهم حقاً ورثة الإمبراطورية الرومانية - هي التعشير الشرقي، فكاوا يصفرون رجال المقاومة صفوفاً ويعلونهم واحداً واحداً ويقتلون كل عاشر نادياً

٧٢ الشعر الواضح

ألا لا اهْتَدَتْ لِلشَّعْرِ يَوْمًا هَوَاجِسِي إِذَا هِيَ لَمْ تَنْزِعْ إِلَى مُسْتَبِينِهِ
ليجعل الله هواجسي، وأفكاري، لا تهتدي إلى الشعر إن هي لم تنزع، وتبذل، نحو الشعر الواضح
المستبين

وَلَا غُضُّتْ فِي بَحْرِ الْقَرِيضِ مَخَاطِرًا إِذَا لَمْ أَقْزُ مِنْ دُرِّهِ بِشَمْسِيْنِهِ
إِذَا انْتَضَمَتْ أَبْيَاتُهُ فِي قِصَائِدِي نَرَى كُلَّ بَيْتٍ مُنْسِكَأً بِقَرِينِهِ
وَمَا كَانَ دَوَّخَ الشَّعْرِ يَوْمًا لِنُجَّتَنِي بِغَيْرِ الْيَدِ الطُّوَلَى ثِمَارُ غُصُونِهِ
دوخ الشعر، شجرته، لا تقطف ثماره إلا بيد طويلة.. أي من جانب شاعر قدير

وَلِلشَّعْرِ حَبْنٌ لَوْ نَظَرْتَ بِنُورِهَا إِلَى الْغَيْبِ لاسْتَشْفَقْتَ مَا فِي بَطُونِهِ
فَكَمْ بَتْ فِي نَهْرِ الْمَجْرَى فِي الدُّجَى مِنْ الشَّعْرِ أَجْرِي مُنْشَاتٍ سَفِينِهِ
كنت أبات ليلًا في نهر المجرة، محلقًا بخيالي بين النجوم، وأنا أسير في هذا النهر منشآت سفن
الشعر، أي سفته العالية الأشعة

هُوَ الشَّعْرُ لَا أَعْتَاضُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَلَا عَنْ قَوَافِيهِ وَلَا عَنْ فُنُونِهِ

٧٣ الأرملة المرضعة

لَقِيْتُهَا لَبْتَنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا نَمَشِي وَقَدْ أَثْقَلَ الْإِمْلَاقُ مَشَاهَا
الإملاق: الفقر

أَثْوَابُهَا رُئَّةٌ وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَالِدَمْعُ نَذِيرُهُ فِي الْخَدِّ حَبَانُهَا
رغم تسويدي لهذا البيت الرقيق، فممران القفني يقول: (شكرًا على هذه المعلومة، أول مرة نعرف
أن الدمع يذرف، لا بل من العينين، وفوق ذلك يسيل على الخد.. ما شاء الله)

بَكَتْ مِنَ الْفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا وَاصْفَرَّ كَالْوَرْسِ مِنْ جَوْعٍ مُحَيَّاها
الورس: الكرم، نبات أصفر يصبغون به الطعام. وفيه بعض مرارة. وصبغوا الأرز بالصفّر،
وبالزعفران

مَاتَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسَعِّلُهَا فَالْدَمْعُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَقْرِ أَشْقَاهَا
الْمَوْتُ أَفْجَعُهَا، وَالْفَقْرُ أَوْجَعُهَا، وَالْهَمُّ أَنْحَلَهَا، وَالنَّمُّ أَضْنَاهَا
أنحلها: جعلها نحيلة

تَمْشِي بِأَطْعَامِهَا وَالْبَرْدُ يَلْسَمُهَا كَأَنَّهُ عَقْرَبٌ شَالَتْ زُبَانَهَا
الأطعام: الأسماك.. الملابس المتهترجة، شالت: رفعت، زباناها: الزباني أداة اللع في ديل
العقرب

حَتَّى حَمَدًا جَسْمَهَا بِالْبَرْدِ مُرْتَجِفًا كَالْقُصْنِ فِي الرِّيحِ، وَاصْطَكَّتْ ثَنَائِيهَا
ثنائها: أَسْنَانُهَا

نَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَشْرُكْ بِلَا لَبِّينِ هَذِي الرُّضِيْعَةُ وَارْحَمْنِي وَإِيَّاهَا
بَا رَبِّ مَا حِيلَنِي فِيهَا وَقَدْ ذَبَلْتُ كَزَهْرَةِ الرُّوْضِ فَقَدْ الْغَيْثُ أَظْلَمَاهَا
مَا بَالُهَا وَهِيَ طَوَّلَ اللَّيْلِ بَاكِئَةً وَالْأُمُّ سَاهِرَةً تَبْكِي لِمَبْكَاهَا
يَكَادُ يَنْقُذُ قَلْبِي حِينَ أَنْظَرُهَا تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوهِهَا فَاها
ينقد: يَنْقُلُجُ

كَانَتْ مَصِيبَتُهَا بِالْفَقْرِ وَاحِدَةً وَمَوْتُهَا بِالدِّهَانِ بِالْيُسْمِ ثَنَائِيهَا
هَذِي حِكَايَةُ حَالٍ جِئْتُ أَذْكُرُهَا وَلَيْسَ بِخَفَى عَلَى الْأَحْرَارِ مَفْزَاهَا
أَوَّلَى الْأَنَامِ بِعَطْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةً وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ فِي الْمَالِ وَاسَاهَا

٧٤ أرذل العمر

وَاهَا عَلَى شَرْخِ الشَّبَابِ الْمُتَهَيِّ خَلَّفَتْ ذِكْرَاهُ بِقَلْبِي وَمَضَى
أَطْلُبُ عَيْشِ الْمَرْءِ فِي شَبَابِهِ، فَإِنْ تَوَلَّى فَهُوَ عَيْشٌ مُزْدَرَى
وَهَلْ يَطْلُبُ الْعَيْشَ لِنَلِيقِهِ الَّذِي إِنْ هَمَّ بِالنُّهْضَةِ خَانَتْهُ الْقَوَى
الهم: الشيخ، السن

وَلِإِنْ ظَهَرَ الْأَرْضِ يَسْتَفْضِلُ مَنْ قَامَ يَدِيبُ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

٧٥ بقيني بقيني

أَيَا بَغْدَادَ لَا جَارَ لَكَ سُحْبٌ وَلَا حَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الْجُدُوبُ
يدعو الله ألا تتجاوز الغيوم بغداد بل تجودها بالمطر، وألا يحل بها الجذب، القحط

تَطَاوَلَ سَاكِنُوكِ عَلَيَّ ظُلُمًا فَضَاقَ عَلَيَّ مَغْنَاكَ الرَّحِيبُ
مغناك: ربيعك، والمغاني هي الربوع

رَمَانِي الْقَوْمُ بِالْإِلْحَادِ جَهْلًا وَقَالُوا عِنْدَهُ شَكٌّ مُرِيبٌ

فَمَنْ ذَا مِنْكُمْ قَدْ شَقَّ قَلْبِي وهل كُثِفَتْ لَكُمْ فِي الْعُيُوبِ
فَمِنْذَ اللَّهِ لِي مَعَكُمْ وَقُوفٌ إذا بَلَغْتَ حَنَاجِرَهَا الْقُلُوبِ
تبلغ القلوب الحناجر في يوم القيامة

يَقِينِي شَرٌّ فَرِيَّتَكُمْ يَقِينِي يَأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ رَقِيبٌ
يحفظني من شر افترائكم عليّ يقيني، إيماني، بأن الله يعلم كل شيء

٧٦ ذكرى المتنبي

ألقاها في الجامعة الأميركية ببيروت (١٩٣٥):

لو حازَ مُوسَى مَضَاءَ عَزَمَتِهِ ما تَأَهَّ في التَّيِّهِ عِنْدَمَا دَخَلَهُ
لو امتلك موسى عزيمة المتنبي لما تاه في التيه، أي صحراء سيناء. وكان المتنبي قطع هذه
الصحراء فاراً من كافور، واقتصر بذلك

كَمْ شَاعِرٍ قَدْ قَفَا لَهُ أَثَرٌ وناقِدٍ رَاحَ يَبْتَغِي زَلَّةَ
اقضى الشعراء أثر المتنبي وقلدوه، وانتقدوا المتنبيون طالين له زلاً، غلطاً

فَاخْفَقُوا عَاجِزِينَ عَنِ ذَرَكِ لِبَعْضٍ مَا كُفُّهُ نَيْسَرُ لَهُ
هجزوا عن إدراك بعض المجد الذي حازه كله المتنبي

٧٧ أنشودة للمعري

في ذكرى أبي العلاء المعري (١٩٣٨):

حَبِيبُ هَلْ بِأَخَا مُضَرٍّ نَذِكُرُ خَيْرَ مُدَّكَّرٍ
يا أخا مضر، أيها العربي، هيا نذكر خير من هو جدير بالذكر

نَذِكُرُ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافَتَكُرُ

* * *

نَفْسُهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَمَتْ غَيْرَ خَاسِرَةٍ
كل دنيا وأخرة ونفت كل ما استنقر

مصر أبي العلاء تركت الدنيا والآخرة، ونفى عقله كل المعتقدات التي استقر عليها
الناس، (فأبو العلاء) وارجع إلى شرحنا لحياته ولشعره في كتابنا «تألق الشعراء» ترك
الدنيا لأهلها، ولم يعلق كبير أمل على الآخرة. ولم نقل في مقلمتنا لشعر الرصافي قبل
صميجات إنه كان كذلك، فما نحن نقول: كان كذلك في عدم تعليقه أملاً على الآخرة،

فأما عن ملذات الدنيا فصاحبنا نهل وعُلَّ منها). استقرَّ: هي استقرَّ بتشديد الراء، وفي موضع كهذا، عند القافية، كان أبو العلاء يكره وضع الشدة، ونحن في العادة نضعها كي يدرك القارئ الكلمة بالنظر سريعاً، ولكننا هنا - إكراماً لأبي العلاء - رفعناها

جَعَلَ الْحَقُّ ذَوْقَهُ بَادِلًا فِيهِ طَرْقَهُ

طوقه: طاقته

شَاعِرٌ لَيْسَ فَوْقَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي الْبَنَرِ

لَيْسَ لِمَوْتٍ عِنْدَهُ مِنْ تَقَارِيْعَ بَعْدَهُ

تقاريع: عقاب وتأنيب

إِنْ عَمِرَا الْحَيَّ رَدَّهُ فَاقْدِ الْحَسَّ كَالْحَجَرِ

إن عمرا الموت الحي، أي جاء الموت للإنسان، رده، أي جعله، فاقد الحس فكانه حجر

نَحْنُ أَسْرَى ذَوَاتِنَا خَشْيَةً مِنْ مَمَاتِنَا

نحن أسرى لذواتنا التي تعلق آمالاً على الخلود وذلك لشدة خشيتنا من الموت

كَمْ وَكَمْ فِي حَيَاتِنَا مُبْتَدَأَ مَالٍ خَبَرُ

فنحن نقول كل شيء له أول وله آخر، لذا لا بد من وجود حياة أخرى، ولكن، يقول الرصافي، كثيرة هي الأمور التي لها أول وليس لها آخر

٧٨ الأرض مسجدنا

الْأَرْضُ مَسْجِدُنَا فَفِيْمَ مَسَاجِدَ أَمْسَتْ تُعَدُّ الْيَوْمَ بِالْآلَافِ؟

كَانَ الصَّلَاةُ بِمَسْجِدٍ وَبِغَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَدَى الْأَسْلَافِ

هَلَّا جُعِلْنَ مَدَارِسًا فَبَاضَةً مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِالزُّلَالِ الصَّافِي

هلا بنيت المدارس بدل المساجد

يَنْتَابُهَا أَبْنَاؤُكُمْ كِي يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِالنَّصِيبِ الْوَافِي

٧٩ أمة وحدها

أَمْ كُلُّشَوْمٍ فِي فَنُونِ الْأَغَانِي أُمَّةٌ وَحْدَهَا بِهِذَا الزَّمَانِ
هِيَ فِي الشَّرْقِ وَحْدَهَا رَبَّةُ الْفَنِّ - فَمَا إِنْ لِلْفَنِّ رَبٌّ ثَانِ

٨٠ الاحتشام العاري

زَهْرَةٌ قَدْ بَدَتْ مِنَ الْأَكْمَامِ فَتَجَلَّى مِنْهَا الْجَمَالُ السَّامِي
هذه الفتاة كزهرة بدت بين أكمامها، بتلاتها، فتجلى جمالها

إِنَّ تَجْرِيدَهَا مِنَ الثَّوبِ يَحْكِي أَنْفُسًا جُسُودَتْ مِنَ الْأَنَامِ
إِنَّ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ يَغْضَبُ مِنْ أَنَّ نَنَوَارِي وَسَامَةُ الْأَجْسَامِ
خَلَعَتْ ثَوْبَهَا وَأَغْضَتْ حَيَاءَ فَأَرْزَنَّا خِلَافَةً فِي احْتِشَامِ
لِسُقُوطِ الرَّدَاةِ عَنْ مَنَكِبَيْهَا نَهَضَ الْفَنُّ قَائِمًا بِاحْتِرَامِ
يبدو أنه يصف لوحة لعارية

٨١ المتربص

وَمَا عَرْنِي ذُو ظَاهِرٍ مُتَوَدِّدٍ إِذَا كَانَ فِيهِ بَاطِنٌ مُتَلَصِّصٌ
وَيَا رَبِّ وَجْهِ لَمْ يَرُقْنِي بَيَاضُهُ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ أَبْرَصٌ
رب وجه أراه من بعيد أبيض ولكنني لقراستي أحس أنه لا يمجيني فلما دنا مني إذا الشخص
أبرص، فيأخذه بياض علة لا بياض جمال

دَعُوا كَشَفَ مَكْنُونِ الصُّدُورِ لِفُطْنِي فَإِنِّي بِذَا مِنْ دُونِكُمْ مُتَخَصِّصٌ
ذِكَاةٌ لَوْ اجْتَرَزْتُ الْجِدَارَ بِشُورِهِ لَشَفَّ لِعَيْنِي الْجِدَارُ الْمُجَصِّصُ
المجصص: المطلي بالجبين

عَلَى أَنَّ لِي فِي مَعْرِضِ الثَّكِّ رَيْصَةٌ وَرُبَّ يَقِينٍ نَالَهُ الْمُتَسَرِّبُصُ
إذا شككت في أمر فإن لي ربيعة، وقفة للتروي، والمتروي يحصل على اليقين

٨٢ تعصب في مصر

مِنْ جُزْرِ مِصْرَ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنَّهَا تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
فَتَرَى بِمِصْرَ تَعْصِبًا لِأَدِيبِهَا مَتَحَكِّمَ التَّرْغَاتِ فِي أَعْصَابِهَا
التزغات: الوساسوس

فَذَكِّرْ أُولِي الْأَدَابِ مِنْ غَيْرِ الْأَلَى فِي مَصْرَ يَغْضَبُ مِنْكَ أَهْلُ جَنَابِهَا

جَنَابِهَا : مَطَقَتُهَا

فَالشَّاعِرُ الْمَصْرِيُّ فِيهَا قَاضِلٌ وَسِوَاهُ مَفْضُولٌ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا

٨٣ المختصر

لِسَانُكَ يَسْحَرُ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنُكَ يَفْتِرُّ فِي ضَعْفِهِ
وَقَدْ كُذِّبَ بِخَطَرٍ فِي لُظْفِهِ فَيُظْلِمُ بِرَدْفِكَ فِي وَضْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَضْرُكَ الْمُخْتَصَرِ

يطلب : يكثر القول

٨٤ النجوم الهاربة

وَاللَّيْلُ قَدْ طَالَ عَلَى مَنْ ثَنَّا وَصَارَ لَيْلًا بَارِدًا مُظْلِمًا
لَعَلَّ هَذَا الرِّعْدُ مُذْ صَوْتَا هَرَبَ مِنْهُ تِلْكَمُ الْأَنْجُمَا

٨٥ أموت غراماً

إِسْمَعِي لِي قَبْلَ الرَّحِيلِ كَلَامَا وَدَعِينِي أَمُوتُ فِيكَ غَرَامَا
كَلَّمَا زَادَ عَاذِلِي فِيكَ عَذْلًا زِدْتُ فِي حُزْنِكَ الْبَدِيعُ هُبَامَا

٨٦ العصية على القياس

وَصَاحَ وَجْهَ التُّدْمَاءِ كَأَسَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَسْتُ لَهَا بِحَاسٍ
رَبُّ رَجُلٍ صَاحٍ غَيْرِ سَكَرَانَ، أَعْطَاهُ التُّدْمَاءُ كَأَسَا فَقَالَ لَسْتُ حَاسِبًا، شَارِبًا

وَعَالِي فِي الْإِبَاءِ فَمَارَسُوهُ فَلَانَ أَبِيئُهُ بَعْدَ الْبِرَاسِ
بَالَعَ فِي الرَّمْصِ لَكُنْهُمْ مَارَسُوهُ، أَلْهَوْا عَلَيْهِ، فَلَانَ أَبِيهِ، مَا كَانَ رَافِضًا الْكَأْسَ فِي نَفْسِهِ

فَقَالَ، وَقَدْ مَشَّتْ فِيهِ وَدَبَّتْ دَبِيبَ الْمَاءِ فِي وَرَقِ الْغِرَاسِ
مَشَّتِ الْخَمْرُ فِي جَسْمِهِ كَمَا يَمْشِي الْمَاءُ فِي وَرَقِ الشَّجَرِ

لَعَنَمُوكَ إِنْ فِي الصُّهْبَاءِ مَعْنَى دَقِيقًا لَيْسَ يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ
فِي الْخَمْرِ شَيْءٌ لَا يَدْرِكُهُ الْمَرَّةُ بَأَن يَقَارَنَهُ بِمَفْعُولِ شَيْءٍ آخَرَ. . فِيهَا شَيْءٌ فَرِيدٌ

٨٧ المتكهرب

قامت تَمِيسُ بِأعطافٍ وأوراكِ رَفَصاً على نغماتِ المَقُولِ الحاكي
أعطاف: خصره، المقول: اللسان في الأصل، وكل ما يصدر كلاماً، الحاكي: اليك أب،
الفونوغراف

قالت وقد شاهدتِ وَجدي المَبْرَحَ ما أغراك؟ قلتُ لها: عيناكِ عيناكِ
فاستضحكتِ وَهِيَ تَجْنِي الوردَ قائلةً ما أحسنَ الوردَ! قلتُ: الوردُ حَدَاكِ؟
وقلتُ: أهوى، فقالتِ بالدلالِ: وَمَنْ تَهوى؟ فقلتُ لها: إِيَّاكِ إِيَّاكِ
الحسنُ يَفْتِنُ والألحاظُ فَايَكُةَ واحِيرتني بينَ فُتَانٍ وفُتَاكِ
أَمسى غرامُكِ يَجري في عُرُوقِ دَمِي كالكَهْرَباءِ التي تَجري بِأَسلاكِ
تعلق عمران الفيني: (هذا ملحوظ من البارودي لطشاً ذريعاً: وسرت بجسمي كهرياء حسنة/ فمن
العروق بها سلوك تغبر)

٨٨ تحية الوفد المصري

رجالَ النيلِ حُبَيْثُكُمْ رِجالاً بِما لِلْعُرْبِ فيكُمْ مِنْ سِماتِ
بِكُمْ طَرِبَ الفراتُ وقالَ جَهراً لِوادي النيلِ إِنَّكَ مِنْ لِدائِي
لدائي: رفاقي المولودون في زمنٍ معي، أنرابي

كِلانا جَارِيانَ على سُهولِ بِأبناءِ المُروِبَةِ أهْلانِ
وَتَجَمَعْنَا جوامِعُ كُبرياتِ وَأَكْبَرُكُمْ سَبَّةُ اللُّغاتِ

٨٩ بمتهى الدقة

مَنَلْتُ في دَلالِها عُرْباناً فَأُرْتَنِي مَحاسِنُا فَتُناثُ
حَبْتُ طارِخُتها الغرامُ بِبَيْتِ بِالمرايا قد زَوَّقُوا جُذْرائَها
ما أرى البيت إلا حجرة في مبنى. وقال الزيات إن الرصافي كان يسكن في بغداد في حي البعابا
هِيَ عَمَّازَةُ اللَّحَاظِ لَعوبُ ذاتُ ذَلْ ظَريفَةُ لَحْبانُ
لحانة: تتكلم بدلال وتلوي الكلمات لئلا لو كنت أشرح هذا لشخص سويدي لاضطرت لكثير من
الكلام، ولكنك فاهم ما أعني!

بَضَّةٌ، فَعَمَّةٌ، لَمِيسٌ، رَدَاحٌ غَادَةٌ، أَخَوْرِيَّةٌ، بَهْنَانَةٌ
 بضه: طرية، فعمة: ممتلئة، لميس: لينة، رداح: سمية الأرداف، غادة: ناعمة، أخورية: أحوية: بيضاء،
 بهنانة: مرحة

نَاهِدُ النُّوْذَلَيْنِ مَحْطُوطَةٌ الْمَثُ حَيْنٌ، حَوْدٌ، رَجْرَاجَةٌ، وَرْكَانَةٌ
 النودلان: الثديان، محطوطة المتين: مصقولة الظهر على جانبي العمود الفقري، حود: ناعمة،
 رجراجة: تمشي ونهزه، وركانة: ممتلئة الوركين

خُدْلَةٌ سَاقُهَا، مُهْفَهْفَةُ الْحَضْبِ رِي، كَعَابٌ، بَرَّاقَةٌ، سَيْفَانَةٌ
 خدلة ساقها: ساقها ممتلئة، مهفهفه الحضر: ضامة البطن، كعاب: بارزة الصدر، براقه: ذات
 دلال تشير للرجال، سيفانة: طويلة

ذَاكَ وَجْهِ كَأَنَّهُ بَدْرٌ رِيْمٌ وَقَوَامٌ كَأَنَّهُ خَوْطٌ بَانَةٌ
 خوط بانه: غصن شجرة البان

لَوْ رَأَاهَا كِسْرَى الْمَلُوكِ لَخَلَّى مُلْكُهُ تَارِكاً لَهَا إِيوَانَهُ
 وَتَدَلَّى قُرْطٌ بِسَالِفَتَيْهَا رُضِعَتْ فِيهِ مَاسَةٌ بِجَمَانَةٍ
 الجمان: شلوات فضة على شكل اللؤلؤ

وَقَفْتُ لِي عُرْيَانَةٌ فَتَقَلَّفُ حْتُ إِلَيْهَا بِذِلَّةٍ وَاسْتِكَانَةٍ
 فَنَمَشْتُ تَحْلُعاً، وَتَنَنْتُ، وَتَلَوْتُ كَأَنَّهَُا خَبْرُ رَأَانَةٍ
 ثُمَّ صَدْتُ فَأَدْبَرْتُ عَنْ دَلَالٍ ثُمَّ عَادْتُ فَأَقْبَلْتُ عَنْ مَجَانَةٍ
 المجانة: الفحش وترك الحياء

وَلَقَدْ رَاعَنِي، وَزَادَ فَوَادِي وَلَهَا مَا رَأَيْتُ نَحْتَ الْمَشَانَةِ
 رَكْباً، كَغُفْبَاءٍ، عَضُوضاً، مَضُوضاً، نَاشِزاً، ذَا بَضَاضَةٍ وَرَزَانَةٍ
 يصف ما لا يصفه النحرج من المرأة، وكل تلك أسماء لذلك العضو

مُشْرِفِ السَّطْحِ، رَابِثاً، ذَا انْتِصَابٍ، حَامِي الْجَوْفِ، ضَنْكُهُ، رِيَانَةٌ
 رابثاً: بارزاً، ضنك: ضيق، ريان: متلن

قَدْ حَكَى كَوْمَةً مِنَ اللَّوْلُؤِ الرَّطِّ بِ وَإِنْ كَانَ فَائِقاً أُنْمَانَةً
 حكى: أشبه

نِعْمَةُ الْعَيْشِ أَتَرَفَّتُهُ، وَأَخْلَتْ أَشْكَيْتِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَعِجَانَةً
 الأسكتان: الشفران، خاليان من الأذى: أي من البرص، والعجان: ما بين السيلين

عَطِرُ الرِّيحِ، قَدْ تَشَمَّمْتُ مِنْهُ إِذْ تَشَمَّمْتُهُ شَدًّا أَفْخَوَانَةُ

الريح: الرائحة

وَشَرِبْتُ الرُّحِيقَ وَهُوَ يَجَاهِي مُبْرَأً مِنْ رَخَاوَةٍ وَعَنَانَةٍ
سَلِسَتْ فِي انْقِيَادِهَا بَعْدَ أَنْ قَدْ كَرَّرْتُهُ مِنْ هَبْنِهَا الْوَسْنَانَةِ
فَدَعَنْتَنِي إِلَى الْكَفَاحِ بِغَمَزٍ فَتَعَرَّيْتُ مِنْهَا ثُمَّ أَفْرَعْتُ
إِلَى الطَّلْعِ صَفْلَةً مُرَّانَةً

الصفلة: الريح، العرانة: الريح

فَرَمْتُ كَفُّهَا عَلَى ذَلِكَ الدُّوِّ سَرَّ كَيْمَا تَشْوَعُهُ بِالْبَنَانَةِ

الدوسر: المسمار، يشوص: يهلك، البنانة: الأصابع

وَعَدْتُ فِي تَجَطُّمٍ وَامْتِلَاجٍ بِشِفَاءٍ وَزِدِّيَّةٍ، غُبْسَانَةِ

التجضم: الأخذ بالقم، الامتلاج للصبي: مص ثدي الأم

ثُمَّ أَضْجَعْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ وَاعْرَوُ رَيْثُ مِنْهَا مَطِيَّةٌ خَيْفَانَةُ

اعروى فرسه: ركبها بلا سرج، خيفانة: الفرس الخفيفة

فَتَبَطَّنْتُهَا وَقَدْ أَخَذَ الشَّاءُ قَوْلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ مَكَانَهُ

الشاقول: من اسم عضو الذكر

وَاضِعاً قَائِيً فَوْقَ فِيهَا وَكُلُّ قَدْ أَمَصَّ الضُّجْبِعَ مِنْهُ لِسَانَهُ

فَالْتَصَفْنَا صَدْرًا بِصَدْرٍ، وَيَطْنُ فَوْقَ بَطْنٍ، وَعَانَةُ فَوْقَ عَانَةٍ

فَعَدْتُ فِي ارْتِهَازِهَا تَلَلُكًا بِكَلَامٍ لَا تَسْتَتِمُّ بَيَانَهُ

دهز: هز

ثُمَّ قَالَتْ وَقَدْ دَوَّتْ مُقَلَّتَاهَا وَشَكَّتْ مِنْ قُوَادِمِهَا خَفَقَانَهُ

أَطْعَنُ الطَّاعِنِينَ لِلضَّادِ مَنْ بِالضُّادِ قَدْ أَنْطَقَ الْإِلَهُ لِسَانَهُ

الضاد: عضو الثأنث

٩٠ المهندس يتأمل

كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمُهَا صُنْعاً وَبُنْيَاناً

هذا قصر شيراغان على البسفور

فَمَا كُنْتُبُ التَّارِيخِ فِي كُلِّ مَا رَوَتْ لِقُرَائِهَا إِلَّا حَدِيثٌ مُلَفَّقٌ
نَظَرْنَا لِأَمْرِ الْحَاضِرِينَ قَرَابِنَا فَكَيْفَ بِأَمْرِ الْعَابِرِينَ نُصَدِّقُ
نظرنا في سيرة الموجودين قرابتنا ما رأينا، شككتنا فيه، فكيف نستصدق ما يروى عن العابرين،
الذاهبين

وَهَلْ قَدْ خُصِمْنَا دُونَ مَنْ مَاتَ قَبْلَنَا بِخُبَيْثِ السَّجَايَا؟ شَدُّمَا نَتَحَقَّقُ!
فَهَلِ السَّجَايَا الْخَبِيثَةُ، الصِّفَاتُ السَّيِّئَةُ، لَنَا نَحْنُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِينَ مِثْلُهَا؟ مَا أَشَدَّ حَقْمَنَا!
خَلِيلِي هَلْ مَنْ بِالرُّصَافَةِ عَالِمٌ بِأَنْنِي إِلَى مَنْ بِالرُّصَافَةِ شَيْئٌ
يا صاحبي هل يعلم أحد في الرصافة، الشاطئ الشرقي لدجلة في بغداد، أنني مشتاق إلى من
بالرصافة

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْعَجُوزَ بِكَيْثُهَا يَدْمَعُ بِهِ الْأَهْدَابُ نَظْفُو وَتَغْرِقُ
أَتَذَكَّرُ أُمِّي فَأَبْكِي بِدَمْعٍ تَنْظُو فَوْقَهَا أَهْدَابُ، رَمُوشُ، الْعَيْنُ، ثُمَّ لَكثرة الدَّمْعِ تَفْرُقُ هَذِهِ الْأَهْدَابُ
فِيهَا

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا لَا يَعْيشُ بِأَرْضِهِمْ سِوَى مَنْ يُدَاجِبُهُمْ، وَمَنْ يَسْتَمَلُّقُ
لَحَى اللَّهُ، لَعَنَ، قَوْمًا لَا يَعْيشُ بَيْنَهُمْ مَرْتاحًا إِلَّا مَنْ يَنَاقِظُهُمْ وَيَسْتَمَلِّقُ لَهُمْ

وَلَمْ يَحْظَ إِلَّا اثْنَانِ مِنْهُمْ بِحِفْظِهِ مِنَ الْمَالِ مُثَرٍّ، أَوْ مِنَ الْعِرْضِ مُمَلِّقُ
الَّذِي يَحْظَى بِالْقَبُولِ عِنْدَ النَّاسِ وَاحِدٌ مِنَ اثْنَيْنِ: ثَوْبِي، أَوْ فَقِيرٌ فِي الْعِرْضِ وَالشَّرَفِ

قَتَلْتُ الْوَرَى خُبْرًا فَلَيْسَ بِخَادِعِي حَدِيثٌ مُطَرَّى أَوْ كَلَامٌ مُنَمَّقُ
هَذَاذَلِكَ! لَا تَحْفِلْ مَقَالَ مُؤَرِّخٍ وَلَا يَسْتَفِزُّكَ الْكَلَامُ الْمُشَفَّقُ
هَذَاذَلِكَ: قَفَا قَفَا وَاسْمِنِي، لَا تَحْفِلْ بِكَلَامِ الْمُؤَرِّخِينَ، وَلَا تَشْعُرْ بِعِمَاسَةٍ وَاسْتَفْزِزْ
الْكَلَامَ الشَّقِيقَ: الْمُنَمَّقُ

كِذَابٌ عَلَى وَجْهِ الطُّرُوسِ مُسَطَّرٌ يَغْصُرُ بِهِ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيَشْرَقُ
هَذَا كُلُّهُ كَذَابٌ، كَذِبٌ، مَسَطَّرٌ عَلَى الطُّرُوسِ، الْأَوْرَاقِ، وَلَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ بَلْ يَغْصُرُ بِهِ
وَيَشْرَقُ، أَيْ يَلْفَظُهُ وَيَرْفُضُهُ

فَدَغْ عَنْكَ لَغَوُ النَّاطِقِينَ وَخَذْ بِمَا رَوَاهُ مِنَ الْأَثَارِ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ
فَإِنْ ذَكَرُوا النُّعْمَانَ يَوْمًا فَلَا تُوثِقُ بِأَكْثَرِ مِمَّا قَالَ عَنْهُ الْخَوَزَنْقُ
لَا تَصْدُقِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي يوردونها عَنِ الْمَلِكِ النُّعْمَانَ، إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ أَثَرِ مَلْعُوسٍ مِنْ قَصْرِه
الْمَعْرُوفِ «الْخَوَزَنْقِ»

فَأَصْدَقُ مِنْهُمْ فِي الْمَسَامِيحِ لَهْجَةً ضَفَادِعُ فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ تُنْفِثُ
مَلَكَتُ مِنَ الدُّنْيَا حَقِيقَةً أَهْلِهَا وَإِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِهَا أَتَصَدَّقُ

٩٢ السكران بمجد زائل

أَلَا فَادْكُرُوا يَا قَوْمُ أَرْبَعَ مَجْدِكُمْ فَقَدْ دَرَسَتْ إِلَّا بَقِيَّةُ أَطْلَالِ
أربع: ربوع، درست: بليت

وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانٍ طَافِحٍ تَحَسَّى مِنَ الصُّهْبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالِ
كانوا يقيسون الشراب بالرطل ولعله كأس كبيرة

مَشَى بِأَرْتَعَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَتَارَةً يَقُومُ، وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالِ
يَسُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادِهِ فَتَقْذِفُهُ الْجُدْرَانُ قَلْقَةً إِذْ لَالِ
وَيَنْفَتِحُ لِلطَّرَاقِ مُقَلَّةً حَابِئِي فَيَغِيضُهَا خَزْيَانٌ عَنْ شَتْمِ عُذَالِ
هذا السكران يفتح عنه بحق وغضب للطراق، المشاة في الطريق، ثم يغميضها بخزي وذلل إذ
يسمع شتم من يلومونه. القصيدة طويلة جداً ويروي فيها الرصافي سيرة الطبيب القديم أبي بكر
الرازي

٩٣ سقوط عبد الحميد

لَقَدْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ فَمِنْ نَصَارَى وَمِنْ هُودٍ هُنَاكَ وَمُسْلِمِينَا
جمع قادة المعارضة في سلايك باليونان، وكانت تحت الحكم العثماني، جمع الجند لكي
يردعوا السلطان الذي تراجع عن الدستور

فَكَانُوا الْجَيْشَ أَلْفَ مِنْ جُنُودٍ مُجَنَّدَةً وَمِنْ مُنْطَوِّعِينَا
نَرَاهُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ عَزْمًا وَمَا هُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ دِينَا
وَلَمَّا جَدَّ جِدُّهُمْ اسْتَقْبَلُوا عَلَى ظَهْرِ الْقَطَارِ مُسَافِرِينَا
فَلَمْ يَنْصَرِّمِ الْأُسْبُوعَ إِلَّا وَهُمْ بِرُبَا فَرُوقٍ مُخَيَّمُونَا
لم يمض أسبوع حتى نصبوا خيامهم في ريا فروق، من أسماء إستانبول

هَنَالِكَ فَمَتْ مُرْتَجِلًا إِلَيْهِمْ لِأَبْصَرَ مَا أَوْمَلُ أَنْ يَكُونَا
وَبِاخِرَةٍ عَلَتْ فِي الْبَحْرِ حَتَّى حَكَّتْ بِمُبَابِهِ الْحِصْنَ الْحَمِينَا
وفي الميناء رست باخرة ذات مدائن عالية كأنه الحصن المنيع في عاب البحر

يُؤْتِرُ جَرِيهَا فِي الْبَحْرِ أَثَرًا تَكَادُ بِهِ تَظُنُّ الْمَاءَ طِينًا

ترك سير الباعرة أثراً في الماء يدوم بعض الوقت فكان الماء طين

رَكِبْتُ بِهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ بَحْرًا غَدَا بِسُكُونٍ لُجَّتِهِ رَهِينًا

أَتَيْنَا دَارَ قُسْطَنْطِينٍ صُبْحًا وَقَدْ قُتِحَتْ لَهُمْ فَتْحًا مُبِينًا

دار قسطنطين: القسطنطينية، إستانبول

وَقَلَّ الْجَيْشُ جَيْشُ اللَّهِ يَشْفِي بِحَدِّ سَيْوفِهِ الدَّاءَ الدُّفِينَا

وَحَطُّوا قَصْرَ يَلْدِزْ عَنْ سَمَاءٍ لَهُ فَاثَحَطَّ أَسْفَلَ سَائِلِينَا

هُوَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِهِ هَوِيًّا إِلَى دَرَكِ الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَا

أسقطوا السلطان عبد الحميد فهوى ليكون مع الظالمين

وَأُنْزِلَ عَنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ خَلْعًا وَأُفْرِدَ لَا نَدِيمَ، وَلَا قَرِينَا

فَسِيقَ إِلَى سَلَانِيكَ احْتِبَاسًا لَهُ كَيْ يَسْتَرِيحَ بِهَا مَضُونَا

أخذ المعارضون من الجيش إلى سلانيك باليونان، وحبسوه في قصر هناك

وَمَوْتُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ لَهُ بَيْنَ الَّذِينَ سَقَوْهُ هُونًا

لَقَدْ نَقَضَ الْيَمِينَ وَخَانَ فِيهَا فَذَاقَ جِزَاءَ مَنْ نَقَضَ الْيَمِينَ

فَقَرَّتْ أَعْيُنُ الدُّسْتُورِ أَمْنًا وَشَاهَتْ أَوْجُهُ الْمُتَمَرِّدِينَ

٩٤ المقيدون بأوجالهم

لِمَنِ الْقَصْرُ لَا يُجِيبُ سُؤَالِي أَهْلَاتُ رِبْوَعِهِ أَمْ خَوَالِي؟

لمن هذا القصر؟ وما له لا يجيب سؤالي؟ هل ربوعه مسكونة أهلة أم خالية مهجورة؟

مَا تَدَاعَى مِنْكَ الْبِنَاءُ، وَلَكِنْ قَدْ تَدَاعَى بِنَاءُ تِلْكَ الْمَعَالِي

ما تنادى، تهدم، بناؤك، ولكن ذلك المجد قد انهدم

كَنتَ مَأْوَى الْعُلَا مَثَارَ الدُّنْيَا مَهِيْطَ الْعِزِّ، مَصْدَرَ الْإِذْلَالِ

كان فيك العلا، المجد، وكنت مآثر الدنيا، سبب الرذائل، وكنت مهبط، موضع، العز، ومصدر الإذلال للناس... كنت كل هذا يا قصر يلدز

أَيِّنْ خَافَاتُكَ الَّذِي كَانَ يُدْعَى قَاسِمَ الرِّزْقِ، بِاعَتْ الْآجَالِ

خافان: أمير تركي... وكان يقال عن عبد الحميد إنه يقسم الرزق للناس ويحدد آجالهم بقتلهم أو العفو عنهم

وَعَزَاءٌ .. فَلَسْتُ أَوْلَ قَصْرِ نَكَمَ الدَّهْرِ مِنْ ذُرَاهِ الْعَوَالِي

ذراه الموالى : قمه الشامخة

قَدْ تَدَاعَى مِنْ قَبْلِ إِيوَانٍ كَسَرَى بَعْدَ أَنْ طَالَ شَاهِقَاتِ الْجِبَالِ

إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَذُرُّ الضَّبَّ سَمٌ وَتَأْبَى أَنْ تَسْتَكْبِرَ لِوَالِ

نحن، رعايا الدولة العثمانية، نذراً الضيم، ندفع الظلم ولا نستكين لولاة الأمر

بِأَمْلُوكَ الْأَنَامِ مَلَأَ اعْتَبِرْتُمْ بِمُلُوكِ تَجَوُّزُ فِي الْأَفْعَالِ !

لَيْسَ هَذَا الْحَمِيدُ فَرْدًا وَلَكِنْ كَمْ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ مِنْ أَمْثَالِ

فَاتَرَكُوا النَّاسَ مُطْلَقِينَ وَإِلَّا هَشْتُمْ مُؤْتَفِقِينَ بِالْأَوْجَالِ

اعطوا الناس حريتهم، وإلا فإنكم أنتم ستكونون مقيدين أيضاً لكن بالأوجال .. بمخاوفكم

٩٥ الخطيب الساكت

يَا سَاكِتًا وَهُوَ مَشْنُوقٌ عَلَى عَمِدٍ لَأَنْتَ أَبْلَغُ مَنْ نَادَى وَمَنْ خُطِبَا

رغم سكوتك فأنت خطيب بليغ أيها المشنوق على عمود خشبي

طَالِبْتَ بِالشَّرْعِ حَتَّى قُتِلْتَ بِهِ كَذَاكَ مَنْ جَهَلَ الشَّيْءَ الَّذِي طَلَبَا

يَا ظَالِمَ الشَّعْبِ مَظْلُومًا بِفِعْلَيْهِ حَلِيكَ أَمْ مِنْكَ يَبْكِي الشَّعْبُ مُتَحِجَا

يَا مُفْسِدًا قَامَ تَحْتَ الدِّينِ مُسْتَتِرًا لِيَجْعَلَ الْأَمْرَ فِي الْبُلْدَانِ مُضْطَرِبَا

انظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْمَصْلُوبِ مُتَعِظًا فَإِنَّمَا قُتِلَ فِي الشَّرْعِ قَدْ وَجَبَا

انظر أيها السامع إلى هذا المشنوق واتعظ به .. جمال المشنوق مصلوباً كي يأتي بشاهد قرأني في

البيت التالي ..

وَأَيُّهُ اللَّوْ فِي التَّنْزِيلِ قَائِلَةٌ مَنْ كَانَ يُفْسِدُ فِي أَوْطَانِهِ ضَلِيلَا

الآية : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو

تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»

٩٦ رجال الدين

لَا ذَرَّ دُرَّ رَجَالِ الدِّينِ إِنَّهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا فِيهِ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا كَتَمُوا

لا در درهم: عكس لله درهم

وَاسْتَعْمَلُوهُ كَمَا تَهْوَى مَارِبُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا آلَةٌ لَهُمْ

وإن تصادمت بالمادات تنكرها فانت في زعيمهم بالدين تضطد
وإن أثبت ببرهان فاعجزهم لم يخبروا الرد، بل من عجزهم شتموا
وإن تقل لهم قولاً يشقنهم شلوا عليك وردوا قبلما فهموا
خلاتك كظلام الليل من برها يقل بامثال هذي تفسح الأمم

٩٧ سارحل عنهم

بخطاب الشاعر محمد مهدي الجواهري:

أقول لرب الشعر مهدي الجواهري إلى كم تناغي بالقوافي السواجرا
تناغي: تترنم

ركبت بحور الشعر قبلك خائضاً لعنرك منها كل طام وزاخير
وسيرت من غر القوافي بلجها قصائد سارت كالسفين المواخير
سيرت في لج بحور الشعر، في عبقها، قصائد كأنها السفن التي تنخر، تلتق الماء

فلم ألف إلا منكبرين مكاتبي يحيدون عني كالوحوش النوافير
فقابلتهم بالصفيح عنهم ترفعاً وأعرضت عن شتم السفين المهاير
أنا اليوم من هذي الحياة على شفاً أشارت منه مرقدي في المقابر
أنا على شفا، على طرف، الحياة أشرف على مرقدي الأخير

سارحل عنهم عائداً من شروبرهم برّب كريم، قابل الثوب، غافر
عائد: ملجئ

٩٨ وداع بمرارة شديدة

قال الرصافي في أواخر أيامه (١٩٤٣):

يا موطناً لست منه في موادعة حش بعد موتي حيش الوداع الهاني
يا وطني الذي لا موادة منه لي، لم يكن وديعاً معي، عش وادعاً هانئاً

فكل من فيك تعنيني سعادتهم وكل أبنايك الأعداء إخواني
أعدائي من أبناء الوطن هم في الواقع إخواني

إن سرّك الدهر يوماً سرّني، وإذا أذاك بالمرعجات الدهر آذاني

ما ضَرَّنِي أَنْ كُلَّ النَّاسِ تَحْقِرُنِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَالشَّانِ
وليس يَنْفَعُنِي عِزٌّ وَلَا شَرَفٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ ذَا عِزٍّ وَسُلْطَانِ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ فَقَرَّبُوا مِنِّي حَيَاتِي كُلَّ قُرْبَانِ
أنا ضحية من ضحاياكم فلاكن قريانا نتالون به الرضا

لَا تَحْسَبُونِي مِنْكُمْ جَاذِعًا ضَجِرًا وَإِنْ يَكُنْ شَقَطِي فِي الْعَيْشِ أَضْوَائِي
أضوائي: أنحلني وأهزلني

إِنِّي أَلِفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْمَصَتِي فَالْتَقَمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سَبَّانِ
مخمصتي: جوعي

تَخْتَارُ نَفْسِي الطَّلَوَى بِالْعِزِّ قَانِعَةً وَتَتْرُكُ الْقَصَفَ فِي ذُلِّ لِمِبْطَانِ
الطوى: الجوع، القصف: اللهوء، المبطان: كبير البطن

بِأَلِهَجَيْنِ يَشْتُمِي فِي مَجَالِسِهِمْ تَأَمُّوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَخْضَانِ غُفْرَانِي
جَادَلْتُمُونِي لَمَّا أَحْسَنْتُمْ جَدَلِي حَتَّى بَدَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَانِي
بلستم: قلتم البذاءات، الخاني: المفحش

وَمِنْ عَنَاءِ اللَّيَالِي أَنْ يُجَاوِلَنِي مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبُرْهَانِ بُرْهَانِي
كَمْ تُظْهِرُونَ عِفَافاً فِي تَدْيِينِكُمْ وَتُضْمِرُونَ ضَمِيرَ الْفَاجِرِ الزَّانِي

٩٩ ليل متحجر

وَلَيْلٍ بِهِ قَدْ بَتَّ أَخْتَلِسُ الْكُرَى وَأَرْقُبُ فِيهِ النُّجْمَ أَنْ يَتَفَوَّرَا
يتفور: يهيب

تَمَطَّى عَلَى الْأَكَامِ مِنْهُ بِغَيْهَبٍ تَكَاثَفَتْ حَتَّى خِلْتُهُ قَدْ تَحَجَّرَا
تمطى الليل، تمدد، على الأكام، التلال، بغيب، سواد، كان كثيفاً حتى خلت هذا السواد قد
تحجر

وَكَاذَ دُجَاهُ يُمَكِّنُ الْكَفَّ لَمَسَهُ فَلَوْ سَارَ سَارٍ فِي دُجَاهِ تَعَثَّرَا
ولكثافة الظلمة كانت كأن بإمكان المرء لمسها بكفه، ولو سار فيها لعثر بها.. . أليست قد
تحجرت؟

١٠٠ استسلام الفصحى

الشعرُ ما قلت يا عبودُ فأنحُ به مدح الصناديد لا هَجَوُ الرعايدِ
يحاطب الملا عود الكرخي الشاعر الشعبي: انح بالشعر، توجه به، إلى مدح المصاديد،
الشجعان، لا هجاء الرعايد، الجبناء

دَعْ هذه اللُغَةَ الفُصْحى فنحن بها ظَلَنَّا نُخاطِبُ جبلاً غيَرِ مَوْجُودِ
فالناسُ غَيَّرَتِ الأَيامُ لَهْجَتَهُمْ يَكُلُّ لَحْنٍ على الأفواهِ مَعْقُودِ
فانظُمْ لنا رَجَلاً في الشعرِ يفهمه مَنْ في الرِّسائِقِ مِن تلكَ العبايدِ
انظم رجلاً يفهمه أهل الرساتيق، القرى، من العبايد، جماعات الناس

١٠١ الالتفات

لَقِيتُها في الطريقِ حابِرةً بهَمِيراً مِن قَلْها تَبَخُّرُها
بهمر: يُميل. كانت المرأة مقبلة عليه وهو ماش والتفتا وجهاً لوجه.. ومضى كل في طريقه..
أعجَبَها منظري وأعجَبَنِي بالحسنِ عند اللقاءِ منظَرُها
فصارَ قلبي بِالحُبِّ بِأمرُني وقلْبُها بالفرامِ بِأمرُها
وحين مرَّتْ والشوقُ يُنْكِرُنِي بِخَمَرِهِ نارةً وُسْكَرُها
لَفْتُ جِدي أرى أَنظُرُنِي والتَفَتَتْ لي ترى أَنظُرُها
بعد أن اجتازتني التفت لأرى هل سلتفت هي إلي، والتفت هي للفرض نفسه

فقلتُ والشوقُ فيَّ مُلْتَهَبٌ إِنْ صَلَّرُنِي فسوف أَهْزِها
إن هزرتني على عدم التعرض لها فسوف أعلوها على ما فعلت بقلبي.. والمرأة - لمن يقرأ هذا
ولا يعرف النساء - تغفر لك أن تتغنى بجمالها، ولا تغفر لك أن تتجاهله. هذه قطعة غريبة غلوية
أخاذه.. هذا موقف سجله قلم شاعر فصيح

١٠٢ بكل بساطة

أرى الحياةَ بسيطاً أمرُ صاجِها فكيفَ يَشْكُونُ منها كَثَرَةُ الحَاجِ
إن الحياةَ لَعَمَرُ اللّهِ قائِمةٌ بِحُكْمِ شَيْئَيْنِ إِدخالٍ وإِخراجِ
الحياة هي أكل وتخلص من الفضلات ليس غير، ولا حاجة حقيقة للإنسان سوى هذا

١٠٣ شيخ وفية

أنا شيخ وذِي عصاي قَتِيَّةٌ قد آتَنِي مِن مَّظْهَرٍ لِي هَدِيَّةٌ
حائه عصا مفضضة من مظهر الشاوي الذي كان يحسن إليه في أخريات حياته

صَاغَةُ الصَّابِئِينَ قد أَلْبَسُوها حِلِيَّةَ ذاتِ صَنَعَةٍ عِبْقَرِيَّةِ
الصابئة في العراق اشتهروا بالصياغة . الصنعة العبقرية : العقدة جدًّا ، كأن من صاغها من الجن
الذين يسكنون وادي عفر

فَسَأَمْتُ بِها قَويًّا سَويًّا بَعَلَمًا كُنْتُ مَاشِبًا كَالْحَنِيَّةِ
الحنية : القوس

١٠٤ معلومات وهمية

لَقَنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَفَائِقًا فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دَوْنُها الْأَفْهَامُ
تلقت شابًا معلومات دينية كثيرة ومعقدة لا تكاد تسويها أفهام ، عقول ، الناس
ثم انقضى عصرُ الشبابِ وطبئهُ فإِذَا الْحَفَائِقُ كُلُّها أَوْهَامُ

١٠٥ التجارة بالوطن

لَا يَخْدَعَنَّكَ هُنَاكَ الْقَوْمُ بِالْوَطَنِ فَالْقَوْمُ فِي السَّرِّ غَيْرُ الْقَوْمِ فِي الْعَلَنِ
أَحْبُولَةُ الدِّهْنِ رَكَّتْ مِنْ نَقَادِئِها فَاغْتَضَّ عَنْها الْوَرَى أَحْبُولَةُ الْوَطَنِ
أحبولة : مصيدة ، ركت : أصبحت ركيكة ضعيفة

١٠٦ ملك بلا شعب !

قُلْ لِمَنْ صَبَّرَ الْمَلِيكَ عِمَادًا لِأُمُورٍ فِي الْمُلْكِ تَأْبَى الشَّرِيكَاءُ .
قل لمن جعل الملك صاحب أمر لا يشاركه فيه أحد ولا يشاور أحداً .
قد رأينا شعباً بِغَيْرِ مَلِيكَ هَلْ رَأَيْتُمْ بِغَيْرِ شَعْبٍ مَلِيكَاً ؟

١٠٧ كان آدمياً

إِنَّ نُورِي السَّمِيَّةِ قد كَانَ قَبْلًا أَدَمِيًّا قَرُدٌ بِالْمَسِيحِ قَرْدًا
قد أبى أن يعيش حرًّا مَعَ الثُّرُ كِ وَأَمْسَى لِلْمُنْبُوسِينَ عَبْدًا
التميسين : الإنجليز ، نسبة لنهر التمز الذي يقطع لندن

مَثَلُ إِبْلِيسَ مَا أَطَاعَ سُجُوداً وَأَطَاعَ الْهَوَاَ لَغْناً وَطَرْدَا

١٠٨ المعاهدة القيد

قَدْ أَبْلَغُونَا حَبَّةَ اسْتِعْبَادِنَا لَكِنْ مُمَوَّهَةً بِالِاسْتِقْلَالِ

حملونا نبلع حبة دواء هي الاستعباد لكنها مموهة بمعاهدة تعد بالاستقلال، وحة الدواء المرة تكون مغلقة بالسكر

مَنْ ذَا رَأَى ذَنْبَ الذَّنَابِ مُصَافِحاً يَسْتَوْدِدُ حَمَلاً مِنَ الْأَحْمَالِ

لَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْفِكَ كَقُبُودِنَا فَاسْتَوْتَمُّوا مِنْهُمْ بِالْأَفْئَالِ

١٠٩ الحثالة

قَدْ كَانَ لِي وَطَنٌ أَبْكِي لِتَكْبِيهِ وَالْيَوْمَ لَا وَطَنَ عِنْدِي وَلَا سَكَنَ

وَلَا أَرَى نِي بِلَادٍ كُنْتُ أَسْكُنُهَا إِلَّا حُثَالَةً نَاسٍ قَاءَهَا الزَّمَنُ

١١٠ جربوني

يَا مُبْعِدِي بِظُلْمٍ عَنْ مَنَاصِبِهِمْ وَقَاطِعِينَ إِلَى مَا أَبْتَغِي طُرُقِي

عَلِمْتُ كُلَّ خُفْيَةٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ وَمَا عَلِمْتُ الَّذِي تَرْضَوْنَ مِنْ خُلُقِي

لا أعرف ما الذي تريدونه من صفات تتوفر فيّ لكي تولوني منصباً

مَاذَا يُوَافِقُكُمْ مِنْ شَأْنٍ صَاحِبِيكُمْ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْكُمْ حَايِزَ السَّبَقِ

إِنْ كَانَ عَقْلٌ فَإِنِّي عَاقِلٌ قَاطِنٌ أَوْ كَانَ حُجْمٌ فَعِنْدِي أَحْمَقُ الْحُمِّي

فَجَرِّبُونِي تَفَوُّزُوا عِنْدَ تَجَرِّبَتِي بِمَا تُرِيدُونَ مِنْ طَلِيشٍ وَمِنْ نَزَقِ

النزق: الخفة والطيش. لابن الرومي - قبل ألف سنة من الرصافي - قصيدة تشبه هذه شهاً كبيراً يشبه الشبه بين هذين الشاعرين البغداديين. انظرها في كتابنا «تألق الشعر» ضمن الفصل الخامس عن ابن الرومي

وَأَنْ أَبْيِئْتُمْ سِوَى مَنْ عَرَضَهُ دَنْسٌ فَلَسْتُ مَعَكُمْ عَلَى شَيْءٍ بِمُتَّفِقِ

لَا أَبْعَدُ اللَّهُ غَيْرِي عَنْ مَنَاصِبِكُمْ إِنِّي بِتَدْنِيْسٍ عَرْضِي غَيْرُ مُرْتَزِقِ

فليكن غيري قريباً من مناصبكم فأنا لا أرتزق بتدنيس شرفي

١١١ لا يبالون لأنهم موتى

قَالَ ذُو الْحِزْبِ إِذْ أَتَاهُ مَقَالِي نَحْنُ لَسْنَا بِمَا يُقَالُ نُبَالِي
صَادِقٌ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ، وَأَنْتَى يَأْلُمُ الْمَيِّتُ مِنْ جُروحِ النَّصَالِ
هو لا يلتفت لقولي... فأنتى، كيف، يتألم الميت من الجرح ينصل البف؟

إِنَّمَا تَجَزَعُ الْكِرَامُ مِنَ الدَّمِّ - وَتَخْشَى الْأَمْجَادُ لَذْعَ الْمَقَالِ
الأمجاد: أهل المجد

١١٢ سنلتقي

قُلْ لِلَّذِي أَنْحَى عَلَيَّ بَظْلُمِهِ سَفْهًا وَجَارَ بِقَوْلِهِ وَبِفِعْلِهِ
الْمَوْتُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَسَنَلْتَقِي عِنْدَ الَّذِي تُثِقُ الْخُصُومُ بِعَدْلِهِ

١١٣ أثواب الرياء

سَوَدَ اللَّهْ مِنْكَ يَا شَيْخَ وَجْهًا حَشَنَ حَتَّى بِاللُّحْبَةِ السُّودَاءِ
لِحْيَةٍ طَالَ ذَقْنُهَا فَهَوَ فِيهَا أَلِفٌ خُطَّ بَيْنَ عَيْنِي وَرَاءِ
لحيته مفسومة نصفين وذقنه في الوسط مثل الألف... وحرف الألف هذا واقع بين العين والراء...
ففي وجهه كلمة «عار»

لَوْ نَعَفْنَا مِنْ شَعْرِهَا وَهَزَلْنَا لَنَسَبْنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءِ
وَصَفَوُهَا بِالمُسْتَقِيمِ فَقُلْنَا إِنَّهُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الْأَمْعَاءِ
المستقيم في علم الأحياء: الجزء الأخير من الأمعاء

١١٤ استطراد

وَشَامِخِ الْأَنْفِ مَا يَنْفُكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكْبُرِ فِي بُحْبُوحَةِ النَّادِي
قَدْ لَازَمَ الصَّمْتَ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُزَابٍ بَغْدَادِ
هذا في الشعر أسلوب الاستطراد الذي يرع فيه أبو تمام والبحري. أن يتناول الشاعر موضوعاً ثم يفتل عنه ليجري مقارنة كقولك: «رئيس الدولة قلبه مفتوح لا يخفي شيئاً، فكان ملفات مخبراته في أيدي العدو»، فانت قد مدحته توصلأ إلى الإساءة إليه

١١٥ أكل الثوم

ما أقبح الجهل يُبدي عيب صاحبه للناظرين، وعن عينيه يُخفيه
كذلك الثوم لم يشممه آكله والناس تَشْتَمُ نَشْنَ الرِّيحِ مِنْ فِيهِ

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٢٠	المجيدا	١٩	أَسَاءُوا
١٠٧	قِرْدَا	٩	الرَّيَاءُ
٢٩	وَتَوَلَّدَا	١١٣	السُّودَاءُ
٢٨	الْمُمْنَدُّ	٥	الْعَمَاءُ
٦٧	حُلُوذُ	٤٨	نَوَاءُ
١٣	وَارِدُ	٤٩	الْعَبَا
١٠٠	الرَّعَادِيدُ	٩٥	خَطْبَا
١١٤	النَّادِي	٦١	عَاصِبَا
٢٦	بِالدِّ	٧٥	الْجُدُوبُ
٦	بَغْدَادِ	٣	ضُرُوبُ
٤٣	بِقُبُودِ	٧٠	الْحَرْبِ
٥٣	مُجُودُهَا	٦٣	ذَقَبِ
٢١	الدَّهْرَا	١٥	مُنْقَلَبِ
٣٧	دُورَا	٣٣	عَوَاقِبَةُ
٣٠	سَاهِرَا	٨٢	أَدَابِهَا
٧١	عُنْرَا	٣٨	كَذِبَةُ
٥٥	مَرَا	٥٠	الْمَكْرُمَاتِ
٩٩	يَتَغَوَّرَا	٤١	سِيكَارَاتِي
٨	الْأَسْرِ	٨٨	سِيَمَاتِ
٦٦	الْأَمِيرِ	١٠٢	الْحَاجِ

١٤	أَوْحَالًا	٩٧	السَّوَابِجِ
٣٦	زُحَلًا	٤	القَبْرِ
٥٦	أَقْوَالٌ	١٢	بِقَادِرِ
٢٢	الرَّسُولُ	٤٤	لِلْبَقْرِ
١٧	مَقْتُولٌ	٧٧	مُدَّكَّرٌ
٩٢	أَطْلَالٍ	١٠١	تَبَخَّرُهَا
٤٥	الْأَعْمَالِ	٣١	إِطَارِهِ
١٠٨	بِالْإِسْتِقْلَالِ	١٨	بِأَمِيرِهِ
٩٤	خَوَالٍ	٦٩	وَالنُّفُوسَا
١١١	نُبَالِي	٨٦	بِحَاسِي
٦٥	يَعْقِلُ	١٦	السِّيَاسَةِ
٧٦	دَخَلَةٌ	٨١	مُتَلَصِّصٌ
٥٩	دَلِيلُهُ	٧٤	وَمَضَى
١١٢	وَيَفْعَلُهُ	٥٧	بَفَيْضُ
٥٤	احْتِرَامًا	٦٨	تَرْتَضُوهَا
٨٥	عَرَامًا	٤٠	اسْتَطَاعَا
٨٤	مُظْلَمًا	٣٤	تِيَاعَا
١٠٤	الْأَفْهَامُ	٢٧	مَرْتَعٌ
٤٦	الْقِيَامُ	٢	وُخْضُوعُهَا
١٠	رِسُومٌ	٦٢	وَأَعْنَفُ
٩٦	كَتَمُوا	٧٨	بِالْآلَافِ
٥٨	مُحَرَّمٌ	٨٣	ضَعْفِهِ
١	يَتَكَلَّمُ	٤٢	الرَّيْقَا
٢٣	التَّقْدِيمُ	٩١	الْمُتَرَنِّدِيُّ
٨٠	السَّامِي	٦٤	الزُّنْدِيقِ
٧	بِنَانِمِ	٣٢	بِالْمَلَايِقِ
٢٥	ضَيِّقٌ	١١٠	طُرْقِي
٣٩	مَقْصَمٌ	١٠٦	الشَّرِيكَا
٥١	مُسْلِمَةٌ	٨٧	الْحَاكِي

٨٩	قَتَانَةٌ	٩٠	وَبُنَيَانَا
٢٤	عُمَرَانِيهَا	٩٣	وَمُسْلِمِينَا
٧٢	مُسْتَبِينِهِ	١٠٩	سَكَنُ
٧٣	مَمَشَاهَا	١١	اِثْنَانِ
٤٧	الرَّهَاقِي	٦٠	الدَّوَاوِينِ
٣٥	الرَّزِيئَا	٧٩	الزَّمَانِ
١٠٣	هَدِيَّةٌ	١٠٥	الْعَلَنِ
١١٥	يُخْفِيهِ	٩٨	الْهَانِي
		٥٢	دِينِ

محمد مهدي الجواهري

(١٩٠٢م - ١٩٩٧م)

عاش الجواهري عُمرين.

عاش خمساً وتسعين سنة ميلادية.

ومن يعيش عمرين يكمل الدائرة مرتين: رثى الجواهري زوجتين، وسقط سقطتين، وخلف لنا مذكراته في جزأين اعترف فيهما بالسقطتين، وسماههما الهاويتين. وخاض في الجزأين - وأتم ثانيهما في عام ١٩٩١ - مبارزات دونكشوتية مع ناس ماتوا.

ولما كنت أدخلت نفسي في دوامة ضمير المثني المزعج، فلاخاطب اثنين: القارئ والقارئة، في موضوع مختلف، ثم ستكون لي عودة إلى «شاعر العرب الأكبر» كما سماه الناس. طبعاً «الأكبر»! فمن قهر عزرائيل كل هذه السنين، فقد أمارت المنافسين، وأمارت الشعر العمودي، وبقي متربعا على خراثبه.

أيتها القارئة،

القارئ يكون رجلاً أو امرأة، فإن قلنا «شخصاً» كي نريح أنفسنا من توجيه الكلام دائماً إلى مذكر «الشخص» مذكر، ويصبح علينا عندئذ أن نقول «شخصة»! لم تحل المشكلة.

ليس عند الإنجليز هذه المشكلة، فهم يقولون قارئ، ويدور، وهي تنصرف إلى مذكر ومؤنث. قد ارتاحوا من هذه. فأما إن جاءوا للضمائر فليحق بهم ما يلحق بنا.

انتفضت نساء الغرب في مطلع القرن العشرين انتفاضة كبيرة، ولنر في

معظم دول العالم حق التصويت. ولأن لم يهدأن: يُرَدَّن تخليص البشرية من تراث عمره آلاف السنين جعل الذكر ذا حقوق أكثر من الأنثى. أولئك من «النسويات»، وفي هذه الفئة رجال كثر هم «النسويون». وفي أواخر القرن العشرين ثارت النسويات والنسويون على الضمائر. فأصبح الكاتب في البلاد الناطقة بالإنجليزية يقول عبارة «هو أو هي» في كل مرة ورد فيها ضمير الغائب المفرد. بعضهم تفنن فصار يقول «هي أو هو»، مقدماً الهي على الهو. وبعضهم صار يقول «هو» مرة، و«هي» مرة. ولحقنا من هذا العنت شيء، ولكن ضمائرنا مفصلة تفصيلاً يعود علينا بإزعاج لا تعرفه الإنجليزية، فضمير الجمع عندنا «هم» و«هن» فيه تذكير وتأنيت، وعند أولئك القوم للجنسين ضمير واحد في الجمع.

أنا فيما أكتب أقول «هو» ولا أبالي، تاركاً للأجيال المقبلة أن تتخلص من عبء الإرث القديم.

وقد تحمس شعراء مصر والعراق للمرأة ولتحررها. وفي كتابنا الذي بين يديك ثلاثة شعراء من مصر وثلاثة من العراق، فأما شعراء مصر فقد وقفوا وقفة الهائب من دعوة نصير المرأة ورائد الفكر النسوي قاسم أمين (ت ١٩٠٨) المصري. وتلجلجوا في شأن المرأة ومكانتها، ولم يخرج من شعرهم ولا من حياتهم فكر نسوي واضح. وأما ثلاثة شعراء العراق فقد كان لهم شأن آخر.

وقبل أن نمضي في هذا الشأن نقف وقفة قصيرة بإزاء سلسلتنا هذه: «الزبدة»، التي استعرضنا فيها أشعار نحو أربعين شاعراً منذ الجاهلية حتى خبا الشعر العمودي في أواسط القرن العشرين. ونسجل على أنفسنا أننا لم نأخذ شاعرة واحدة. فلماذا؟ لم نسلك في هذا الأمر سبيل النسويين الذين يريدون حشر المرأة في كل مجال لمجرد إعطائها فرصة. التاريخ العربي ذكوري والشعر العربي ذكوري. وعندما ثارت في العراق نازك الملائكة على الشعر العمودي، وسارت في درب شعر التفعيلة، ونظرت له تنظيراً باسماً في كتاب هو أحد أهم كتب التقعيد لصناعة الشعر منذ مئات السنين، وعندما تبعته شاعرة فلسطين فدوى طوقان، وانحرفت بسرعة عن العمودي إلى التفعيلي، كان الشعر العمودي يدوي. وهكذا فمع دخول شاعرتين كبيرتين إلى ساحة الشعر العربي كان هذا الشعر قد شق طريقاً جديداً، وإحداهما كانت من أوائل من شق الطريق، والثانية تحولت مسرعة وسارت فيه. وسلسلتنا تتناول الشعر العمودي فقط.

فلماذا لم آخذ الخنساء ضمن شعرائي؟

ديوانها صغير ومحوره ضيق. فأخذت لها قصيدة في موضوعها الوحيد:
الرباء.

ونعود إلى شعراء العراق. كان هؤلاء من أشد أنصار المرأة في كل العالم العربي، كانوا على يسار قاسم أمين. وقد اقتطفنا من أشعارهم النسوية الكثير لأنهم قالوا ذلك الشعر بحماسة، وكانوا رواد فكر في العالم العربي كله. وهنا يتدخل توجهي الشخصي، فأنا نسوي مؤيد لنيل المرأة كل ما للرجل من الحقوق. ولكن بعد ذلك في أعماق نفسيتي ذلك الإرث الذكوري المتغلغل فينا الذي لا نملك له صداً. تربية النفس على شيء جديد أبطأ من الاقتناع به فكراً.

كان الجواهري شاعراً عمودياً. بدأ باكراً، وله أشعار كثيرة معاصرة لشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي. وخاض عالم الشعر مع هؤلاء الذين أنهضوا الشعر العمودي نهضته الأخيرة. لكنه عاش طويلاً، فحضر في اليوتوب، ورآه شباب زمننا هذا. فنال بطول العمر تقديساً. وسنعود إلى الجواهري، فهذه السطور هي في التقديم لما اخترناه من شعره.

فهل مات الشعر العمودي؟

لم يمت الشكل. فما زال بعض الشباب ممن قرأ الشعر القديم وأكبّ عليه إكباب درس وتمحيص يقول شعراً على البحور المعروفة. أو على الأصح على بعضها. ولكن مصطلح «الشعر العمودي» يعني شيئاً واحداً. فهو الشعر الموزون المقفى على الطريقة القديمة، وهو أيضاً الشعر الذي يتناول المعاني بانضباط كلاسيكي. وكثير من العمودي الذي يكتبه شباب العرب اليوم رومسي، مفرط في المجاز المزدوج، فهو عمودي وزناً، رومسي محتوى.

لن نحكم على الشعر العمودي بالموت. لكنه - حتى عند شوقي والبارودي والرصافي وكل شعراء كتابنا هذا «إحياء الشعر» - شعر «يحاول» أن يكون قديماً. يحاول أن يضاهي البحري. يحتفل بالمفردة المهجورة. هو شعر لا هت. لم ينجح شوقي في الوصول إلى البحري ولا إلى المتنبي. ولن أنجح أنا إن كتبت لك بلغة عتيقة في أن أبلغ الجاحظ، سأبقى مغموط الحظ مضنوز النصيب، واقفاً أمام صوان ملابس عتيق أتخير منه أبراداً وطبالسة وقلانس أرنديها كي تظنني عتيقاً، ثم يضحك مني الزمن. نشر الجاحظ لزمن الجاحظ

وشعر المتنبي لزمن المتنبي. واللغة تتغير حتى لو صك المنفلوطي رأسه
بالجدار.

كان الجواهري من ساقه شعراء الإحياء، غير أنه فعل فعل صاحب لوائهم
البارودي في أنه كان يلتمس الأسلوب العتيق.

أيها القارئ،

بالله عليك إلا ما ذهبت عني الآن، ومضيت إلى شعر الجواهري تقرأه!
هذه الأسطر التي أكتبها لك في هذه المقدمة، بعد فراغي من الاختيار فالتشكيل
فالتشرح، فضلة قلم، وبقيّة مداد أنثره فوق الصفحة، فكأنها قطرات العرق
تساقط من جبين الراكض الذي وصل شريط النهاية في جري المسافات
الطويلة. قد أنصبت نفسي وأنا أتخير لك الشعر وأشرحه، ثم أراك بعد ذلك
تمر به مر الكرام. حرام عليك أن تتسلى بقراءة مقدمتي هذه - على ما فيها من
استطراد، يشي بضعف الاستعداد، وعلى ما يلوح عليها من غثاثة، تمشي في
كتابتي كأنما بوراثه - وتترك شعر الجواهري وذلك الجهد الكبير الذي وضعته
في انتخاله وشرحه.

خذ قصيدة الجواهري المشهورة «أم البساتين». ها هي مجلوة لك هنا
كالعروس في ثلاثين بيتاً، قصيدة من بديع الشعر. صعبة قاسية حليتها بشرح
يفتح لك مغاليقها. فأما أصلها فمئة وخمسة وستون بيتاً. قرأها لك صاحب
هذه الأسطر في طبعة ديوان الجواهري ذات الأجزاء السبعة الصادرة في بغداد،
١٩٧٣، في حياة الشاعر، وعارضها على الطبعة التي أصدرها ذووه لديوانه
الكامل بعد وفاته. قرأتها وانتقلت لك منها الأبيات الثلاثين، وأنعتب القاموس
والصحاح وأسهرت المصباح.

قد فعلت مثل هذا بكل ما سيأتيك من أشعار الجواهري. ثم أراك تقرأ بيتاً
أو بيتين، وتقول لنفسك: لا أريد المختارات، أريد القصيدة الأصلية كاملة.
فاذهب عني، ورح اقرأ الدواوين؛ ما الذي أتى بك أصلاً.

قد اشتغلت بهذه الأشعار زمناً طويلاً، وإلا أكن مللت منها فإنني مللت
من القراء الكرام، وإن كان عندي أمل في أن يأتي زمن يجد فيه الناس في هذا
الجهد ما ينفع. أنا، والحال هذه، كالشيخ الذي رآه كسرى ملك الفرس يزرع
شتلة زيتون، فقال له: أنت شيخ هرم، ولن تعيش لتأكل من ثمر هذه الشتلة!

فقال الشيخ: غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون. فقال كسرى: زه. وأعطاه ألف شيء.. ماذا كان اسم العملة الفارسية العتيقة؟ لا أدري. لكنني أدري أن الناشرين في عالمنا لا يقولون زه.

بعض أصحابي، ولهم في القلب موضع، يرددون عليّ أبياتاً من قصيدة للجواهري، يقولون إنها رائعة وعظيمة.. يصدعون رأسي بها. عظيمة فقط لأنهم سمعوها منه في اليوتيوب. ولم يسمعوها من شعره غيرها. فهم مثل رجل دخل كهف علاء الدين - بعد أن فتح له سمسم - فوجد في فم الكهف قفة دراهم فعلاً منها كيسه وخرج. ليت تعمق ليجد الذهب والألماس. أنا تعمقت يا بعض أصحابي. وأخرجت لكم ألماس الجواهري، فلا تصدعوا رأسي برنين نحاسكم.

للأسف، الجواهري صعب، وأشعاره تتعطش للشرح: صعب في مفرداته، التي يلوي أعناقها لتؤدي معاني منحرفة بعض انحراف عما وضعت له؛ وصعب في معانيه التي تختفي وراء ستار من لفظ رنان.

هو معاصر لأنه عاش السياسة في زمنه، وذاق كثيراً من النفي وقليلاً من السجن والأذى، وأصدر الجرائد، ومدح الرؤساء والملوك، ودخل في الفكر الاشتراكي من باب الشيوعية بعض دخول؛ وهو قديم لأنه عاش في شعر المتنبي والبخترى وشب على الجبة والعمامة في النجف؛ وهو مثقف قرأ الكتب، لكنه لم يُفرق فيها فلم تُفرق شاعريته؛ وهو شاعر لأن الله خلقه شاعراً.

لا أخفي عليك أنني دخلت عالم الجواهري متأخراً. قد صرفني عنه أولئك الأصحاب الذين جعلوني أظن أن الرجل إنما نال عندهم من المكانة ما نال لأنه عاش خمساً وتسعين سنة، فسجل حضوراً في دفاترهم. لكنني، في هذه على الأقل، كنت متواضعاً. قلت في نفسي: ليكن! يقولون إن الجواهري شاعر كبير، فلأفحص عن الأمر. وفحصت. ورأيت الجواهري شاعراً كبيراً فعلاً. ورأيت تلك الشلالات الغزيرة التي هي قصائده الطويلة تحجب عن العين المعاصرة ما عنده من شاعرية.

هو في قصيدته خطيب، وكان يلقي القصائد في شتى المحافل، وكان بطرب لما يراه من إعجاب الجمهور بأبياته الرنانة. وهو في قصيدته مطبل يروي أحداثاً. وهو في قصيدته صانع يتعب في تركيب البيت، فيتعب معه البيت ويأتي معوجاً.

ما أحوج شاعراً كهذا إلى منخلي.

استندت في اختياراتاتي إلى المجموعتين اللتين أشرت إليهما سابقاً، وقد خللتا، كلتاهما، من الشرح، إلا من سطر في الصفحة بعد الصفحة فيه المعنى القاموسي لمفردة.

محمد مهدي الجواهري

الجواهري من النجف بالعراق، واسم الأسرة منسوب إلى كتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» الذي كتبه أحد قدامى الأجداد واسمه محمد حسن. وكانت لأسرته أواصر نسب مع أسر عريقة كثيرة في النجف والحلة. كان أبوه عبد الحسين فقيهاً وشاعراً. وأراد لولده الثاني «مهدي» أن يكون فقيهاً، وأراد الله غير ذلك.

نشأ الطفل مهدي مدلاً من أم تحنو عليه - هل نلاحظ أنني بدأت أكتب كما يكتب رقعاء منتديات النت.. لا ينقصني الآن إلا أن أقول «منذ نعومة أظفاره» حتى يكتمل الانحدار، وهل هناك أم لا تحنو على طفلها؟.. الجواهري نشأ مدلاً. أمه تحنو عليه، وأبوه يحنو عليه، والأمة التي في بينهم، واسمها تفاحة، تحنو عليه وتقص عليه القصص. وجدته لأبيه تحنو عليه. وهذه الجدة اسمها صيته. وماتت والجواهري طفل في الخامسة، وأقيم للجدّة «صيته» عزاء مهيب لم يقم من قبل لامرأة، كما يخبرنا الجواهري.

في هذا المحفل، وفي محافل تشبهه، سمع الجواهري شعر الشعراء. وكانت النجف مدينة شعر وأدب، وكانت مدينة علم. نقصد ما كان يقصده القدماء بكلمة «علم»: علوم الدين واللغة والأدب.

لم يكمل محمد مهدي - قد أضيف اسم محمد لاسمه فيما بعد - علومه الشرعية واللغوية في حوزات النجف كي يصبح فقيهاً. بل أخذ منها ما تحتاج إليه روحه الشاعرة. كان يتعلم في بيته على أبيه وأقاربه، وليس في ذهنه سوى أنه يريد أن يصبح شاعراً. ونظم باكراً، لا ندرى درجة نعومة أظفاره عندما بدأ ينظم، لكنه قرزم مثلما يقرزم الشعراء ثم استوى له الشعر وهو في نحو الثامنة عشرة. وفي هذه السن الطرية شهد الجواهري ثورة العشرين في العراق ضد الحكام الجدد: الإنجليز.

كان كثيرون من أبناء النجف لا يحملون «الجنسية» العراقية. ففي العهد

العثماني حمل الكثيرون منهم الجنسية الإيرانية فراراً من الجندية. وكان الزلزال الكبير الذي حدث بانحسار الظل العثماني عن العراق والوطن العربي، وزلزال ثورة العشرين على المحتل الإنجليزي، لم يكونا كافيين للخروج من حالة انعدام الجنسية العراقية لدى الكثيرين.

ثم بدأ العهد الفيصلي مع تتويج الإنجليز فيصل بن الحسين ملكاً على العراق سنة ١٩٢١. ونالت الجواهري الشاب، وكثيرين من الشيعة في العراق، بقية باقية غير قليلة من أذى الطائفية، التي كانت لذلك الزمن في العراق مثل ألم الضرس الذي يتفج عليك نفحاً خفيفاً: لا يخفت فتستطيع له نسياناً، ولا يشتد فيجعلك تهرع إلى طبيب الأسنان.

ولو صدقنا الجواهري في أن عشرة بالمئة فقط من أعضاء مجلس النواب المستحدث كانوا من الشيعة، وحتى لو كذبناه وجعلنا النسبة عشرين بالمئة، فإن مجرد هذه المعلومة تدل دلالة محملة بالمغازي على أن مئات السنين التي انصرفت على حكم العثمانيين السُّنة للعراق، بما وقع فيها من تحاك وتنافس مع إيران الشيعية، تركت العراق محكوماً برجال السنة.

عُيِّن الجواهري مدرساً، ثم قبل له أنت لست عراقياً، فأين الجنسية؟ وفصل من التعليم، وعاد إلى التعليم. وزار إيران، حيث كان يعمل أخوه الأكبر، مرتين. وقال شيئاً في قصيدة طهرانية جعل ساطع الحصري، المسؤول عن شؤون التعليم في حكومة فيصل والكاتب القومي المشهور، يفصله، ثم تدخل وزير شيعي فأعاد. ثم استقال الجواهري.

ولما كان صاحبنا قد أصبح شاعراً له كلمة مسموعة بين الناس فقد تلافى البلاط الأمر بتعيينه في التشريفات. وفي هذه الوظيفة كان الشاب الشاعر لصيقاً بالملك فيصل يتمرغ في رعايته ويميل على جوانبه ميل الطفل على أبيه. ووصف لنا ذلك في صفحات كثيرة مدهشة: يندعش القارئ لهذا الأدب المملوكي الجرم عند ذلك الملك العربي. كان لفیصل بعض ما لأخيه الأصغر عبد الله بن الحسين ملك الأردن من دهاء، وكان له أضعاف ما لأخيه من رقة وحلم. وكان الرصافي موظف التشريفات يتمرد في شعره ويتنقده، وكان الملك يتغمد كل ذلك بالنسيان، أو بعتب ناعم. كان فيصل يتذوق الشعر كأخيه عبد الله، وكان يشر الجواهري بأنه سيكون شاعر العراق الأكبر.

واستقال الجواهري من القصر بعد ثلاث سنين، متمرداً على التشريفات

وعلى الملك فيصل، ولم يفت الملك أن يقرص أذن الشاعر الذي انصرف عن ملكه. ولم يفت الجواهري أن يمدح الملك السعودي الذي سلب الهاشميين ملكهم الحجازي نكاية بفيصل.

أصدر الجواهري بعد إذ تمرد وتححر صحيفة «الفرات». ثم عاد إلى الوظيفة في التعليم ثم في ديوان وزارة المعارف. ومات الملك فيصل عام ١٩٣٣، وتولى الحكم ابنه غازي، فلم تكن للجواهري حظوة.

ومع انقلاب بكر صدقي، تموز/ يوليو ١٩٣٦، أحس الجواهري بقرب الفرج، فأيد الانقلاب، وأصدر صحيفة باسم «الانقلاب». لا غرو، كان هذا أول الانقلابات التي زركشت سياسة العالم العربي في القرن العشرين فلم تكن كلمة «انقلاب» قد اكتسبت معناها السلبي، وكانت الحركة الدستورية العثمانية قبل نحو ثلاثين سنة قد سميت انقلاباً، وكان العرب يعدونها حركة حميدة. ثم بعد سنة وشهر اغتيل بكر صدقي فانقضى بذلك أول تموز يمر على رأس الجواهري. فجعل اسم جريدته «الرأي العام».

ومات الملك غازي في عام ١٩٣٩ بحادث سيارة، يزعم الجواهري أن السياسي الداهية نوري السعيد قد دبره، وبعد موته بأشهر قامت الحرب العالمية الثانية وعلى عرش العراق الطفل فيصل بن غازي وهو ابن خمس سنوات، وتولى الوصاية عليه خاله الأمير عبد الإله.

وفي عام ١٩٤١ انقلب على الحكومة - وكان قطباها الوصي عبد الإله، والسياسي نوري السعيد المدعوم إنجليزياً - رشيد عالي الكيلاني، فهرب «الوصي» و«السياسي» كلاهما من العراق، ولم يسع الإنجليز أن يسكتوا على الأمر لمبول الانقلابي الألمانية، ففضوا على الحركة الانقلابية بعد أشهر، وعاد عبد الإله ونوري السعيد إلى بغداد. لم يؤيد الجواهري الانقلاب فسافر إلى إيران ومكث بها زمناً قصيراً.

نجدته في سنة ١٩٤٤ في سورية يشارك في إحياء الذكرى الألفية لأبي العلاء المعري. ونراه - وهو الآن رجل في أوائل الأربعين من العمر - شاعراً له صوت عالٍ في أحداث البلاد، وله صيت ذائع. قد كانت له علاقة طيبة بالشاعر الزهاوي الذي توفي قبل سنوات، وله الآن علاقة طيبة بالشاعر الرصافي الذي سيموت عام ١٩٤٥ قبيل انتهاء الحرب. ويموت الرصافي صار الجواهري «شاعر العراق الأكبر» فعلاً.

أصبح الجواهري نائباً عن كربلاء في برلمان ١٩٤٧، ووالى نشر قصائده، في العراق وخارجه. وفي العام التالي هب العراقيون في انتفاضة ضد معاهدة بورتسموث التي أراد الإنجليز بها التمسك بأكبر قدر ممكن من النفوذ في العراق، بعد أن انتصروا في الحرب العالمية الثانية انتصاراً هو أشبه شيء بالهزيمة. فبعد انتصارهم الباهظ طلب التاريخ - وأميركا - من الإنجليز أن يفككوا إمبراطوريتهم.

في هذه الانتفاضة على المعاهدة قتل الأخ الأصغر للجواهري، جعفر. فتدفق الجواهري بشعر كأنه النار. وبعد سنة أعدم الحكم عدداً من الشيوعيين، من بينهم يوسف سليمان يوسف، المعروف بفهد. ولم نجد للجواهري رثاء في الرجل. كان الجواهري يعطف على الشيوعيين، لكنه لم ينتظم حزبياً في حياته.

نجده في عام ١٩٥٠ في مصر بدعوة من طه حسين، ثم عام ١٩٥١ في لبنان يؤين عبد الحميد كرامي. وعقب انتفاضة تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ سجن الجواهري في معتقل أبو غريب ثم رحل إلى سورية حيث وجد الملجأ الآمن. وعاد إلى العراق عام ١٩٥٧، وفي العام التالي كان انقلاب عبد الكريم قاسم، تموز/يوليو ١٩٥٨. هذا التموز الثاني للجواهري كان الضربة القاضية للملكية في العراق. فقد اغتال الانقلابيون العائلة المالكة، وجروا جثة الوصي عبد الإله في الشوارع. وقتل، أو انتحر، نوري السعيد.

قربت حكومة قاسم الشيوعيين، وتقربت من الاتحاد السوفييتي. لكن حكم العسكر يظل حكم عسكر، وقد تحير الجواهري في قاسم فقد كان يقرب هذا الاتجاه ثم ذاك لغيرما غرض سوى أن يتخلص من خصومه.

تغنى الجواهري بعبد الكريم قاسم وحكمه. ولكنه لم يتخل عن وجدانه العروبي. كان عبد الكريم قاسم لا يرد طلباً للجواهري. ولكن شاعرنا أحسر بعد قليل أنه عالق في شبكة تأييد الحكم. هذا الحكم الذي دخل في مهزلة المحاكمات الصورية حتى قبل انقلاب عبد الوهاب الشواف الفاشل. فقد عين قاسم ابن خالته «عباس المهداوي» رئيساً لمحكمة «ثورية» أخذت تهين المتهمين على شاشة التلفزيون، الذي كان دخل العراق حديثاً، قيل أن ترسل العديد منهم إلى حتفهم. واصطلم الجواهري بقاسم في أكثر من مناسبة.

انسلاً الجواهري سنة ١٩٦١ إلى بيروت ليشترك في تكريم الأخطل

الصغير، بشارة الخوري، ومضى بعدها إلى تشيكوسلوفاكيا البلد الاشتراكي ضمن «المعسكر السوفيتي».

أطيح بعبد الكريم قاسم، أوائل ١٩٦٣، وقتل قتلة شنيعة في ستوديو الإذاعة بعد محاكمة مضحكة مدتها نصف ساعة.

لكن الجواهري بقي في تشيكوسلوفاكيا سبع سنين، حتى جاء تموزه الثالث.

في ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ انقلب البعثيون على الرئيس عبد الرحمن عارف الذي كان خلف أخاه عبد السلام عارف. كان انقلاباً أبيض بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين، وعاد الجواهري إلى العراق ليجد التكريم والراتب التقاعدي. وهو الآن أهم شاعر عربي عمودي. فالجواهري بحكم السن والعادة لم يتمكن من السباحة في تيار شعر التفعيلة، وحافظ على طريقته.

لم تطب الإقامة للجواهري في العراق، فرحل إلى سورية عام ١٩٧٣، وعاش في كنف الرئيس حافظ الأسد بضع سنين. وظل ينتقل بين دمشق وبغداد وبراق في تشيكوسلوفاكيا حتى سنة ١٩٨٠ عندما غادر العراق للمرة الأخيرة، وأخذ يعيش في دمشق حتى وفاته عام ١٩٩٧. وظل محظوظاً ببيته في براغ معظم هذه الفترة الأخيرة.

يصدع رأسك «أبو فرات»، وهذه كنيته وفرات هو ابنه الشيعي، على مدى ألف صفحة وهو يقص قصة السبعين ديناراً الفلانية، والمئة دينار العلانية. وهو مدرك أن طفولته الفقيرة - رغم رجحان شأن والده وأسرته في ميزان النسب - ظلت تعيش في أعماقه.

لا ألوم الأب الذي يفتدق على أطفاله، ويهين نفسه في سبيل أن يجنبهم أي شعور بالعوز. فمن جاع صغيراً ظل جائعاً طول عمره حتى لو اغتنى كبيراً. وأدركها الجواهري وسجلها على نفسه وعلى عبد الكريم قاسم الذي نشأ في أحضان الحرمان.

في نفوسنا حجرات مغلقة، مفاتيحها في يد الطفولة.

عندما كنت في نحو الخامسة من العمر رماني أبواي في القسم الداخلي بمدرسة راهبات مار يوسف أسبوعين ليقتضيا شهر غسل متأخراً في مصر. قالت لنا المعلمة جانيث: انسخوا الدرس. ولم يكن عندي ورقة. فنسخت الكلمات

على نصف الصفحة في ذيل الدرس. ولم يكن نصف الصفحة فارغاً، بل كانت عليه كلمات مكتوبة بخط دقيق، هي أسئلة وتوجيهات للمعلم، إلخ. نسخت بقلم الرصاص فوق الكلمات الصغيرة المطبوعة. ووبختني المعلمة وتراقصت شامة كبيرة مخيفة في خدما أمام وجهي. والآن وبعد أكثر من نصف قرن تراني أبخل خلق الله في الورق. اطلب مني رقم هاتف، وستراني أقص لك من طرف الورقة قطعة صغيرة لا تكاد تكفي للرقم.

سقط الجواهري عندما تصالح مع الرجعية فأنشد قصيدة في تتويج فيصل الثاني، وسقط عندما التصق بعبد الكريم قاسم. لكنه عاش حياته نابذاً للطائفية باذلاً في سبيل ذلك جهده، متعاطفاً مع الفقراء كارهاً التفاوت في الرزق بين الناس، ووجد هذان الاتجاهان صدى طيباً في شعره.

كانت حياته الطويلة بكاملها المرحلة الأولى من طفولة العالم العربي. فبعد أن رمنا الدولة العثمانية من رحمها إلى حضن الاستعمار أخذنا نتبؤل لإرادياً. وما زلنا.

إذ انغمست في تاريخ العراق في القرن العشرين كي أتمكن من فهم الجواهري وعصره عشت كوابيس الإعدامات والسحل وحكم الفرد. وصادف أن تعثرت بكتاب عن تاريخ بريطانيا، فقلت أروح عن نفسي قليلاً. وأي ترويح! قرأت كيف أعدم هنري الثامن ائتين من زوجاته الست، وكيف ترك ثالثة تموت في سجنها. وكيف أعدمت ابنته إليزابيث الأولى «ماري ملكة الاسكوتلنديين» على الوضع.

الوضع

الوضع خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.

جئي بالملكة ماري وصعدت إلى المنصة وهي في أتم زينتها. خلعت طيلسانها بابتسامة وهي تقول: ما تعودت أن أخلع طيلساني على مشهد من الناس. وأقعى قصابها ومساعدته على الركبتين وطلبا المغفرة، فغفرت لهما. ثم أقعنت هي بركبتيهما على وسادة وثيرة، ووضعت رأسها على الوضع بعد أن قالت: بين يديك أيها الرب أضع روحي. وبضربتين من البلطة قطع رأسها، وعندما رفعه الجلاد صائحاً «عاشت الملكة»، يقصد إليزابيث، سقط الرأس لأن الشعر كان مستعاراً.

وكانت حرب أهلية، وأعلنت بريطانيا الجمهورية، وأقعى تشارلز الأول على ركبته أمام الوجود، وكانت ضربة واحدة. ثم أعيدت الملكية بعد بضعة عقود، وعاقب تشارلز الثاني أنصار الجمهورية قتلًا استطاع. وجاء جيمس الثاني وحاول أن يكون الحاكم الفرد، ولكن بريطانيا كانت قد شبت وتحول برلمانها إلى مؤسسة تعرف كيف ترعى مصالح الطبقة التي تمثلها. لا أصبحت بريطانيا ديمقراطية ولا غدت حريصة على حقوق الإنسان، لكنها تبنت الطريق إلى «حكم الطبقة» لا حكم الفرد. تخلصت من نزوات الفرد يوم عزلت جيمس الثاني عن الحكم فيما عرف بـ «الثورة المجيدة»، ١٦٨٨.

التاريخ ليس فيزياء، والمستقي العبر منه كالأعمى يدخل بيته الجديد. أدري أن الشعوب العربية تعيش طفولتها، ولا أدري كم جيلًا سيعيش ويموت قبل أن تشب.

ها هو الجواهري يمدح قاسماً ويجعله البطل و«الزعيم الأوحده» ثم بعد سنة يفر من وجهه، ثم بعد سنة يصله خبر قتله فيحمد الله ويوقد الشموع. وها هو يمدح عبد الناصر قبيل الهزيمة ويرثيه بعدها. لا نضع الشعراء على درجات، ولا نصنفهم، ولا نحكم عليهم بحصافة فكرهم الاجتماعي أو السياسي، بل بجودة شعرهم: بحرارة، وبصدق، وبما فيه من صنعة متقنة.

١ الأمنيات

النجف (١٩٢١):

جَلَبْتُ لِي الْهَمَّ، وَالْهَمُّ عَنَّا أَوْ مَا أَرْوَحُنِي لَوْلَا الْمُنَى

الأمنيات وأحلام البقطة جلبت لي الهم، وهو غناء، وما كان أروحي، أي ما كان أكثر ارتياحي، لولا هذه الأمنيات

إِنَّمَا أَشْكُو حَيَاةَ كُلِّهَا تَبِعَاتُ كُنْتُ عَنْهَا فِي غِنَى

حَرَّةَ الطَّيْرِ فَقَالُوا: مُنَعَدُّ رَبِّ نَوْحٍ خَالَهُ الْمُرُّ عِنَّا

يطنون الطير عندما يفرّد سعيداً، لكن ربّ نوح، أنين، ظنه الغر، الغنيم الجاهل، غناء.. وكذا الشاعر يتغنى بالشعر ولكنه متألم

وَأَنْتَنِي الْفُصْنُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ حَامِلٌ مَا لَمْ يُطْفِئْهُ مَا أَنْتَنِي

ويتني الفصن فيظنونه يتمايل غنجاً.. لكنه ما انتنى إلا من ثقل الشعر الذي يحمله

٢ القنوط

النجف (١٩٢٣):

قد كنتُ أقربَ للرجا ء فصِرْتُ أقربَ للقنوط
القنوط: اليأس

كلُّ البلادِ إلى صعو د والعراقُ إلى هبوط
يا نائماً ما نبّهتُ لهُ الحادثاتُ مِنَ الغَطِيطِ
الغَطِيط: الشخير

لم يبقَ مِن نَسَجِ الأَكُفِّ - المُحَكِّماتِ سوى الخيوط
لم يبقَ من أمجاد الماضي، التي هي كاللباس الذي أحكم سجه، سوى خيوط

٣ هَذَبَ الحب

النجف (١٩٢٤):

عاطفتُ الحبَّ ما أبدعها مَذَبْتُ طَبْعِي وَصَفْتُ خُلُقِي
حُرِّقْتُ تَمَلُّاً رُوحِي رِقَّةً انا لا أنكرُ فضلَ الحُرِّقِ
يُنِّيْ بَأْسَ القَلْبِ لا تَشْفَلُهُ ذَكْرِياتُ غِبْرِ ذِكْرَاكِ يُنِّيْ
لستُ تَدْرِي بالذي قاسينُهُ كيف تَدْرِي طَعَمَ ما لم تَلْقِي
لم تَدْعِ مِنِّي إِلَّا رَمَقاً وفداء لكَ حتى رَمَقِي
رمق: بقية من حياة

أنا، ما عشتُ، على دينِ الهوى فهُواكُمُ بِنَمَةٍ في عُنُقِي
بيعة: عهد ومباينة. سودت هذه القطعة كلها لأنني كنت قرأتها في برنامج تلفزي اسمه «قال الشاعر»، ثم سمعت نفسي أقرأها من اليوتيوب بضع مرات فأخذت مكانها في أفني، كذا هو الشعر... نسج القصيدة مراراً فتخلع عليها ما قد لا يكون لها من حلال الجمال

٤ فارس الشعر

النجف (١٩٢٤):

أنا في الشعرِ فارسٌ إنْ أَغَالَيَبَ يَكُنِ الطَّبْعُ لِي مِجَنًّا وَتُرْسًا
أغالب: أبارى، الطبع: القريحة الطبيعية، والشاعر المطبوع هو الذي يقول الشعر منطلقاً من طبع، وليس بعد طول فكر وصناعة، المِجَن: الترس

وَإِذَا مَا ارْتَمَتْ عَلَيَّ الْقَوَافِي نِلْتُ مُخْتَارَهَا وَعِفْتُ الْأَخْسَا

إذا رمت القوافي نفسها علي اخترت أحسنها وعفت وكهرت الخسيس منها

إِنْ أَكُنْ أَصْغَرَ الْمُجِيدِينَ مِثْنًا فَأَنَا أَكْبَرُ الْمُجِيدِينَ نَفْسًا

النفس الكبيرة: الشخصية الواقة الشامخة

طَبَّقْتُ شُهْرَتِي الْبِلَادَ وَمَا جَا وَزَّ عُمْرِي عَشْرًا وَسَبْعًا وَخَمْسًا

المواهري من مواليد ١٩٠٢، وفي الأمر خلاف شديد اقتضى من علي جواد الطاهر صفحات كثيرة .. ضاعت سدى

٥ عَزَّ الْمُرْتَقَى

النجف (١٩٢٤):

وَطَنِي، وَمَنْ لَكَ أَنْ تَعُودَ فَتَرْتَقِي؟ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْيَا وَعَزَّ الْمُرْتَقَى

كيف لك يا وطني أن تعود للصعود، بعد أن أعيا، صعب، المرتقى، طريق الصعود، وصار عزيزاً، صعباً

لَوْ يَعْلَمُ الشَّجَرُ الَّذِي أَنْبَتَهُ مَا حَلَّ فَيْكَ مِنَ الْأَذَى مَا أَوْزَقَا

٦ السهر اللذيذ

ليران (١٩٢٦):

كَمْ أَرَى مُنْتَظِرًا وَغَدُوكُمْ ثَقُلَ الْوَعْدُ عَلَى الْمُنْتَظِرِ

قَدْ سَهَرْنَا فَوَجَدْنَا أَنَّهُ فَوْقَ طَعْمِ النَّوْمِ طَعْمُ السَّهْرِ

وجلنا السهر في حبكم ألد من النوم

٧ نظرية

(١٩٢٦):

سَحَرْنَا ظَوَاهِرُ الْأَمْرِ حَتَّى أَوْهَمَتنَا أَنَّ الْبِلَادَ قَوِيَّةٌ

نَتَعَنَّى، وَعَصَرْنَا مِنْ نُحَاسٍ، بِأَغَانِي عُصُورِنَا الذَّهَبِيَّةِ

كُلُّنَا بِالَّذِي تَمْنَى سَعِيدٌ لَا تُبَالِي أَنَّ الْبِلَادَ شَقِيَّةٌ

كَثُرَ الْمُدَّهَوْنَ، لَمَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْبَدِيهِيِّ، فِكْرَةَ فَلَسَفِيَّةِ

عندما نتخلف في موضوع بديهي يأتي الأدباء والقاد بفكرة يدعون أنها فلسفة

لو يقول الأديب في الشرق «إن الـ أرض تحتِي»، لَسُمِّبَتْ نظريَّةُ

٨ القصائد الشاربية الأكلة

بغداد (١٩٢٧):

أَيْدِي مَنْ يُرَدِّدُهَا حِسَاناً خَلَاءَ مِنْ زِحَافٍ أَوْ سِنَادٍ..

هل علم من يردد أشعاري الخالية من المشكلات العروضية كالزحاف والسناد..

بِأَنَّ الشَّعْرَ تَشْرَبُ مِنْ عُيُونِي قَوَافِيهِ، وَتَأْكُلُ مِنْ فَوَادِي؟

هل يعلم أن قوافي الشعر ترمقني كأنها تشرب الماء من عيوني، وتأكل من قلبي؟ فالشعر ينطلق من أعماق وجداني

٩ حبس الغيث

بغداد (١٩٢٨):

سَكَنْتُ حَتَّى شَكَنْتَنِي غُرُ أَشْعَارِي وَالْيَوْمَ أَنْطِقُ حُرّاً غَيْرَ مَهْذَارٍ

تُرْ يَا شَعُورُ عَلَى ضَبْمٍ تُكَابِدُهُ أَوْ لَا، فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِشَوَّارٍ

تر يا شعور على ظلم تمناني، وإن لم فعل فلست ثائراً على شيء

لَوْ فِي يَدِي، لَحَبَسْتُ الْغَيْثَ مِنْ وَطَنِي مُسْتَسْلِمٍ، وَقَطَعْتُ السَّلْسَلَ الْجَارِي

السلسل الجاري: الماء المتفرق كأنه، وهو يجري، سلسلة من حلقات. وفي العراق سلسلان جاريان: دجلة والفرات

الْعَذَرَ يَا وَطَنًا أَهْلَيْتُ قَيْمَتَهُ عَنْ أَنْ يُرَى سِلْعَةً لِلْبَائِعِ الشَّارِي

العذر: أطلب المعذرة

وَكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَقِّ فِي بَلَدٍ لِلْإِلَافِكِ وَالزُّوْبِ فِيهِ أَلْفُ مِزْمَارٍ؟

الإفك والزور: الكذب والاحراء.. ففي البلد كثيرون ممن يزمرون للكاذبين ويمجدونهم. تسويد عمران الفيني

مَا ذَا السُّكُونُ؟ أَلَا تَهْتَاجُ نَحْوَتُكُمْ أَنْ الْعُرْوَةَ قَدْ حُقَّتْ بِأَخْطَارٍ؟

ما ذا: أي ما هذا

١٠ الإنجليز يقتلون شابين

بغداد (١٩٢٨):

مَشَى نَعْمَنُ بِجُرْ وَرَافَةٍ نَعْمَا سَحَابٌ مُقْلِعٌ قَفَى سَحَابَا

النمش يأتي بعده نعثن والمشيرون كالسحاب المقلع، المنكشف الزائل، الذي يقني سحاباً وال قبله. يصور جمهورين كبيرين يشعان نعثين واحداً بعد الآخر

سَبَعْلُم مَّن يَخَالُ الْجَوَّ صَفَوَا بِأَنَّ الْجَوَّ مَمْلُوءٌ ضَبَابَا
وَمَنْ ظَنَّ الْمَجَالِسَ عَامِرَاتٍ بِمَدْحٍ، أَنَّهَا شُجِنَتْ سِبَابَا
وَلَوْ عَرَفْتُ بِلَادِي مَا أَرَادْتُ بِهَا الثُّوَابُ لَمْ تُرِدْ انْتِخَابَا
وَقَدْ تَخَذُوا لَحُومَ بَنِي زَادَا وَقَدْ لَبِسُوا جُلُودَهُمْ ثِيَابَا
فِيَا وَطَنِي مِنَ التَّكْبَاتِ قَامَنْ فَقَدْ وَقَّتَكَ حَقَّتْكَ وَالنُّصَابَا
بهذا: أنت يا وطني آمن من حلول المصائب بك لأنك أخذت منها النصاب، أي النصب، الوالي

١١ أزمت وصلعت

بغداد (١٩٢٩):

سَبَقِي طَوِيلاً هَلَا الْأَزْمَاتُ إِذَا لَمْ تُقْصِرْ عُمَرَهَا الصَّدَمَاتُ
مَشَتْ كُلَّ جَارَاتِ الْعِرَاقِ طَمُوحَةً مِرَاحاً، وَقَامَتْ دُونَهُ الْعَقَبَاتُ

الدول المجاورة تقدمت، والعراق بينه وبين القدم عقبات، صعب

وَمِنْ حَبِّ أَنْ اللَّيْنُ تَكْفَّلُوا بِإِنْقَادِ أَهْلِهِ هُمُ الْعَفَرَاتُ
من تكفلوا بإيقاد أهل العراق هم أنفسهم العثرات، العقبات المعوقات

عَدَا يُمْنَعُ الْفَتْيَانُ أَنْ يَتَعَلَّمُوا كَمَا الْيَوْمَ، ظُلُمًا، تُمْنَعُ الْفَتْيَاتُ
أَقُولُ لِقَوْمٍ يَحْمَلُونَ أَنَاثَهُمْ وَمَا حُيِّدَتْ فِي الْوَاجِبَاتِ أَنَاثُهُ
الأناة: التروي والبطل

بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذِي الْخُطَى تُدْرِكُ الثَّمَنِي، بِطَاءٍ لَعَمْرِي مِنْكُمْ الْخُطُواتُ
تحقيق الأمانى إنما يتم بخطى أسرع من خطاكم البطيئة

١٢ الأمم تتعثر وتقوم.. وتندثر أيضاً

بغداد (١٩٢٩):

هَلْ أَنْفَذَ الشَّامَ كُتَّابٌ بِمَا كَتَبُوا أَوْ شَاعَرَ صَانٌ بَغْدَاداً بِمَا نَظَّمَا؟
يَا أُمَّةَ عَرَّهَا الْإِقْبَالُ نَائِبَةً أَنَّ الزَّمَانَ طَوَى مِنْ قَبْلِهَا أُمَمَا
غر الأمة الإقبال، الازدهار، ونسيت أن الزمن طوى، أبداً، أمماً في السابق

سُلبُ حَقُونِ فَلَسْطِينَا بِأَنْدَلُسٍ وَيَعْطِفُونَ عَلَيْهَا الْبَيْتَ وَالْحَرَمَا
وَسُلْبُوكَ بَغْدَاداً وَجَلَقَةً وَيَتْرَكُونَكَ لَا لَحْماً وَلَا وَضْماً
سُلبوك أيها الأمة بغداد وجلقة، دمشق، ويتركونك وليس بك لحم ولا وضم، والوضم هو الخشبة التي يقطع عليها القصاب اللحم.. ولم ترض القافية هنا بكلمة عظم فجاء الشاعر بكلمة رضيت عنها القافية ولم يرض المعنى

بِأَمَّةٍ لِيُخْصِمَ ضِدَّهَا اخْتَكَمَتْ كَيْفَ ارْتَضَيْتِ خَصِيماً ظالماً حَكَمَا
سَلَى الْحَوَادِثُ وَالنَّارِخُ هَلْ عَرَفَا حَقّاً وَرَأياً بِغَيْرِ الْقُوَّةِ احْثَرَمَا

١٣ ضد الغالية

أَنَا ضِدُّ الْجُمْهُورِ فِي الْعَيْشِ وَالتَّف كَبِيرٌ طُوراً وَضِلَّةٌ فِي الدِّينِ
الجمهور: الغالية

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ مُنْعٍ الْعَيْشِ شَيْءٌ وَمِنْ لَذَّةٍ بِهَا يَزْدَهِيَنِي
يزدهني: يفرحني

ابْنِي لِي تَبْسِمَ حَيَاتِي، وَإِنْ كَا نَتَّ حَيَاةً مَلِينَةً بِالشُّجُونِ
أيها الحبيبة ابني لي فحياي ملومة بالشجون، الهموم

أَنْصِفْنِي تُكْفِّرِي عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ طُوراً، فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي
طراً: جميعاً

مَتَمِّنِي قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا يُدِّ رِيكَ مَا بَعْدَهُ وَمَا يُذَرِّبُنِي
فَسَتُفَرِّمَنَ بِالسَّحَابِ رِضْوَا نَأَى قُلُوبِكَ بَيْنَ حُورٍ وَهَيْنِ

بعد الموت ستذهبن ليوم الحساب وستقومين بإغراء رضوان حارس الجنة فيجعلك ضمن الحور العين

وَأَنَا فِي جَهَنَّمَ مَعَ أَشْبَا خُ حُورٍ بِفَيْهِهِمْ عَسَرُونِي
عَنْ بَسَارِي أَهْمَى الْمَمَرَةِ وَالثَّبِ نَحْ الرِّهَائِي مُقْعِداً عَنْ بَسْمِي

يحشر الجواهري نفسه، محقاً، مع اثنين من كبار الشاكرين في تاريخ شعرنا العربي: الرهاوي، والمعري.. وزاد فجعل الرهاوي مقعداً حتى لا يكون المعري الوحيد صاحب العاهة

١٤ الشريف حسين

بغداد (١٩٢٩):

سَلامٌ عَلَى شَيْخِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا سَلامٌ عَلَى تَارِيخِهِ الْمُتَأَلَّقِ

الشریف حسین کان شریف مکة، وجعله شیخ الجزيرة العربية كلها . . وفي هذا تعريض بحکام نجد
السعوديين الذين أخذوا الحجاز من الحسين

أبا فیصل بعض التَّعْزِي فَكَمْ رَمَتْ شَهَامَةٌ قَوْمَ شَمْلَهُمْ بِالتَّفْرِقِ
كثيراً ما شنت الشهامة شمل القوم وفرتهم . . والحسين تفرق بنوه فمتهم من ملك الأردن ومنهم
من ملك العراق، وهو قد ذهب إلى قبرص متقياً عن الحجاز سنة ١٩٢٥

ولي فيك قبل اليومِ غُرٌّ قَصَائِدِ كفاها سُوءاً أَنَّهَا بَعْضُ مَنْطِقِي
يكفي قصائدي فيك علواً أنها من شعري أنا

مِنْ اللَّاءِ عَذَاهَا جَرِيرٌ بِرُوحِهِ وَلَا يَمَّ شَطْرَ نَبْهَا نَسِجُ الْفَرْزَدِ
وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا إِنْ أَرَادُوا انْقِصَاصَ مِنَ الشَّعْرِ قَالُوا عَنْهُ لَمْ يَتَفَرَّقِ

كانوا يتقصون من شعر الشاعر إذا لم يكن زار العراق وأقام بها «فتفرق» شعره

فَإِنْ لَا تَبْدُ الْمُفْلِقِينَ فَإِنَّهَا يُقْصَرُ عَنْهَا شَاعِرٌ غَيْرُ مُفْلِقِ
إن لم تبد، أي تفق، هذه القصيدة الشعراء المفلقين، الفحول، فإنها لا تصدر عن شاعر غير فعل

سَهَرْتُ لَهَا اللَّيْلَ التَّمَامَ أَجِيذُهَا أَغْوَصُ عَلَى غُرِّ الْمَعَانِي، وَأَنْتَقِي
الليل التمام: أطول ليلة في السنة

فَمَنْ يَتَنَكَّرُ مِنْ هُمومٍ فَإِنِّي لَا نَكِرُ أَنْ أَعْتَادَ غَيْرَ التَّحَرُّقِ
من يتنكر من الهموم، يعتبر حضورها في نفسه شيئاً منكراً رديئاً، فإنا استغرب أن اتعود شيئاً سوى
التحرق والتوهج

وَأَنْكِرُ نَفْسِي أَنْ تُرَى فِي انْبِسَاطِي وَأَنْكِرُ صَدْرِي أَنْ يُرَى غَيْرَ ضَيْقِي
أَخِيفُ إِلَى الْمَرَاةِ كُلَّ صَبِيحَةٍ أَرَى هَلْ أَشَابَ الْهَمُّ بِالْأُمْسِ تَفَرَّقِي
أخف، أسرع، إلى المرأة، صباحاً لأرى هل جعل الهم مفرق رأسي يشيب مما عانته ليلاً من هموم

١٥ جنس الشعراء

بغداد (١٩٣١):

غريبٌ عَالَمُ الشعراءِ تَقْسُو ظُرُوفُهُمْ، وَأَلْسُنُهُمْ تَرِقُ
كبعضِ الناسِ هُمْ، فإذا اسْتَشِيرُوا فبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ فَرْقٌ

١٦ علي وعمر

قال الجواهري محياً بعثة الجامعة المصرية إلى العراق، بغداد (١٩٣١):

إِنَّ السِّيَاسَةَ لَمْ تُبَقِّ- عَلَى الْبِلَادِ وَلَمْ تَنْزَرْ
وَبِرْغَمِ مَا فِي الرَّافِدَيْنِ- مِنْ الْمَصَائِبِ وَالْغَيْرِ
الغیر: المصائب

وَبِرْغَمِ أَنَا قَدْ تَرَعَّ- سَمَ عِنْدَنَا حَتَّى الْبَقَرِ
فَهُنَا شَبَابٌ نَامِضُ- نَ عَقُوقُهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ
عقوقنا نحن للشباب وتخلينا عنهم إحدى الكبر، الأثام

نَمَشِي عَلَى نُورِ النُّعَا- قَةِ مَشْيِي مُوْتَوِي الظُّلَمِ
نمشي الشباب على نور الثقافة بثقة بالظفر، الفوز. لم تعد كلمة موثق في صندوق الوزن فأعد
الشاعر موثقاً . . وصلت الفكرة

فِيهَا الشَّجَاعَةُ مِنْ عَلِيٍّ- وَالسِّيَاسَةُ مِنْ هَمَزِ
شَوْقِي يَمِيشُ كَمَا يَلْبِ- نَقْ بِمَنْ تَفَكَّرَ أَوْ شَعَرَ
يعيش أحمد شوقي حياة متعة تليق بالفكر وبالشاعر

وَتَحُورُ إِسْرَاهِيمَ عَا- طِفَّةُ الْأَمِيرِ مِنَ الصُّغَرِ
وحافظ إبراهيم تحوطه رعاية أمير الشعراء شوقي من وقت أن كانا صغيرين . . ليس كذلك
بالضبط . . فقد كان بينهما دائماً تنازع، وانتقد حافظ شوقي في كتابه «اليالي طبع»، ثم صاروا
صديقين ودودين في آخر عشرين سنة من حياتهما، وسيموتان كلاهما بعد سنة واحدة من نصبة
الجواهري هذه

أَمَّا هُنَا فَالشَّعْرُ شِي- ةٌ لِلتَّمْلُحِ يُدْخَرُ
أما في العراق فالشعر يدخر ويخبأ للتسلح، للتلبية

١٧ الطموح

بغداد (١٩٣١):

مَضَتْ حِجَجٌ عَشْرٌ وَنَفْسِي كَأَنَّمَا- مِنْ الْغَيْظِ سَيْلٌ سُدِّي فِي وَجْهِهِ الْمَجْرَى
حجج: سنوات

خَبِرْتُ بِهَا مَا لَوْ تَحَلَّلْتُ بَعْدَهُ- لَمَا ارْزَدْتُ عِلْمًا بِالْحَيَاةِ وَلَا خُبْرًا

وَأَبْصَرْتُ مَا أَهْوَى عَلَى مِثْلِهِ الْعَمَى وَأَسْمِعْتُ مَا أَهْوَى عَلَى سَمْعِهِ الْوَقْرَا
أَصْرْتُ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَحِبُّ لَوْ عَمِيتَ فَلَمْ أَرَهَا، وَأَسْمَعُنِي النَّاسُ أَشْيَاءَ كَانَ الْوَقْرُ، ضَعْفُ السَّمْعِ،
أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِهَا

وَلَيْسَ بِحُرٍّ مَنْ إِذَا رَامَ غَايَةً تَخَوَّفَ أَنْ تَزِمِي بِهِ مَسْلَكَاً وَغَرَا
رام غاية: سعى نحو هدف

وَمَا أَنْتَ بِالْمُعْطِيِ الشَّمَرَةَ حَقَّةً إِذَا كُنْتَ تَخْشَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَغْرَى
مَشَى الدَّهْرُ نَحْوِي مُسْتَثِيرًا خُطْوِيَهُ كَأَنِّي بِعَيْنِ الدَّهْرِ قَبِضَرُ أَوْ كَسْرَى
وَقَدْ كَانَ يَكْفِي وَاحِدٌ مِنْ صُرُوفِهِ لَقَدْ أَسْرَقْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُمْرًا تَنْتَرَى
من صروفه: من مصائب الدهر، تنرى: متواترة متتابعة

وَمَا كَانَ ذَنْبِي عِنْدَهُ غَيْرَ أَنْتَنِي إِذَا مَسَّنِي بِالْخَيْرِ لَمْ أَطْلِ الشُّكْرَا
طَمَوْحٌ يُرِيدُنِي كُلَّ شَيْءٍ أَنَالُهُ وَإِنْ جَلَّ قَدْرًا، دُونَ مَا أَبْتَنِي قَدْرَا
حُبِيتُ بِنُدْمَانٍ وَخَمَرٍ فَاظْنِي بِأَنِّي لَا مُلْكَاً حُبِيتُ وَلَا قَصْرَا
حُيْتُ: أعطيت

وَلَوْ بِهِمَا مُتَّعْتُ مَا زِلْتُ سَاخِطاً عَلَى الدَّهْرِ، إِذْ لَمْ يَخْبُنِي حَاجَةً أُخْرَى
وَجُوزِيْتُ شَرًّا عَنْ طَمَوْحِي، فَهَا أَنَا بِرَغْبَتِي لَا خَلًّا تَخَذْتُ وَلَا خَمْرَا
لَا حَصَلَ عَلَى خَمْرٍ وَلَا عَلَى خَلٍّ. وَصَانِعُ النِّيْذِ إِذَا لَمْ يَحْصُنْ عَمَلَهُ تَحُولُ حَصِيرُهُ إِلَى خَلٍّ لَا
خَمْرَ... وَالْخَلُّ أَقْلُ سَعَرًا بَكِيرٍ

وَأَنْ تُلْهِبَ الشُّكْوَى قَوَائِي حُرْقَةً وَغِيظاً فَلِئَنِّي قَادِحٌ كَبِيداً حَرَى
وَلَوْ حُمَّ لِي أَنْ أَخْكُمَ النَّاسَ سَاعَةً وَأَنْ أَتَوَلَّى فِيهِمُ النَّهْيَ وَالْأَمْرَا..
حم: قُضِيَ. كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي رِقَابِ النَّاسِ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ لِيرْفَعَ رَايَةُ
الْعَدْلِ.. هَكَذَا نَظَنُّ كَلْنَا. وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ فَشُومٌ. فَلَوْ جَاءَتْهُ سَاعَةٌ كَهَذِهِ السَّاعَةِ لَمَا صَنَعَ إِلَّا مَا
يَصْنَعُهُ كُلُّ طَاغِيَةٍ. مُحَمَّدٌ مَهْدِي الْجَوَاهِرِي يُرِيدُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَنْ يَغَاقِبَ الْمَافِقِينَ الطَّغَامِينَ فِي
الظَّهْرِ

لَمَزَقْتُ وَجْهًا بِالْخَدِيعَةِ بَاسِمًا وَلَا شَيْئُ تَغَرَّاً بِالصُّغْفِينِ مَفْتَرَا
لاشيت: أفريت، مفترأ: مبتسماً

وَقَطَّعْتُ كَفِّي مَنْ يَمُدُّ يَمِينَهُ يُصَافِحُنِي فِي حِينٍ تَقْلَعُنِي الْيُسْرَى

١٨ النواميس المفسرة

بغداد (١٩٣١):

حُرْبَةُ الْفِكْرِ مَا زَالَتْ مُهَلَّدَةً فِي الرَّافِدَيْنِ بِهَمَّازٍ وَمَشَاءٍ
هَمَازٍ: مُتَّابٌ، مَشَاءٌ: يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ نَاقِلًا أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِفْسَادًا، وَتَمَامُ الْعِبَارَةِ الْقِرَائِيَّةُ:
مَشَاءٌ يَنْمِيحُ

وَبِالنَّوَامِيسِ مَا كَانَتْ مُفْسَّرَةً إِلَّا لِصَالِحِ هَيْئَاتٍ وَأَسْمَاءٍ
النَّوَامِيسُ: الْقَوَائِنُ، مَا كَانَتْ: لَمْ تَكُنْ. بَعْدَ سَنِينَ سَجَدَ الْجَوَاهِرِيُّ نَفْسَهُ مَقْرِبًا مِنْ وَزِيرٍ مَعَارِفٍ،
وَسَيَطْلُبُ مِنْهُ طَلِبًا وَاحِدًا: أَنْ يَجْعَلَ وَلَدَهُ يَنْجَحُ فِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ بِالْمَدْرَسَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ أَنْ
أَسْفَطَتْ دَرَجَاتِهِ الْمَدْرَسِيَّةَ، وَكَانَ لِلْجَوَاهِرِيِّ مَا أَرَادَ. الْمَصْدَرُ: مَذَكَّرَاتُ الْجَوَاهِرِيِّ

١٩ عذبيني لو سمحت

بغداد (١٩٣٢):

لَا تَشِخِّي وَلَا تَجُودِي، وَلَكِنْ أَتُرْكِينِي مَا بَيْنَ جَزْرِ وَمَدٍّ
ثُمَّ قُولِي هَاكَ الَّذِي تَبْتَغِيهِ ثُمَّ لَنَا أَقْوَلُ: هَاتِيهِ، رُدِّي
لَوْحَةً مَا لَهَا النُّظِيرُ وَقُوفُ الْعَاشِقِ الْعَاشِقُ بَيْنَ أَخْذٍ وَرَدٍّ
هَذِهِ لَوْحَةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا: وَقُوفُ الْعَبِّ، أَيِ الْعَاشِقِ، مُحْتَارًا فِي أَمْرِ الْمَعشُوقِ

لَا لِأَجَلِي لَكِنْ لِأَجْلِ التَّلَهِّيِ بِقَوَائِي حَرَكَتِي بَعْضٌ وَجُدِي
يُرِيدُهَا أَنْ تَحْرُكَ وَجَدَهُ، أَيِ غَرَامِهِ، لَيْسَ لِأَجَلِهِ بَلْ كَيْ يَتَلَهَّى، وَيَتَسَلَّى، بِالْقَوَائِي أَيِ يَقُولُ شِعْرًا

٢٠ أسود وثمان

بغداد (١٩٣٢):

وَفَاتَتْ أَنْسَاءً قُدْرَةً فَتَحَسَّنَكُنُوا وَلَمْ يُخْلَقُوا أَسْدًا، فَعَاشُوا ثَمَالِيَا
إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلٍ نَفْحُ تَحِيَّةٍ وَصُوبُ غَمَامٍ يَسْرُكُ الْقَبْرَ عَاشِيَا
أَهْدِي نَفْحَ تَحِيَّةٍ، أَيِ تَحِيَّةٍ مَتَفُوحَةٍ مَتَفُوحَةٍ، إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلِي الْإِيطَالِي صَاحِبِ كِتَابِ «الْأَمِيرِ»
الَّذِي وَصَفَ غَشَمَ الْقَوِي وَصَلَفَهُ وَدُمَاءَ الضَّعِيفِ وَمَكْرَهُ، وَأَهْدِيهِ دُعَاءَ بَصُوبِ غَمَامٍ، أَيِ بَمَطَرٍ،
يَجْعَلُ الْعُشْبَ يَنْبِتُ عَلَى جَنَابَاتِ الْقَبْرِ

أَبَانَ لَنَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ الْوَرَى مِثْرًا عَلَيْهَا وَحَاجِبًا
وَلَوْ رُمْتُ لِلْمَعْرُورَاتِ كَشْفًا أَرَيْتُكُمْ مِنَ النَّاسِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ عَجَائِبًا

٢١ إقرار بالفوق لشوقي

قال الجواهري ضمن رثاء أحمد شوقي، وكان رثى حافظاً قبله، بغداد (١٩٣٢):

لَقَدْ فَاتَ بِالسَّبْقِ كُلِّ الْجَيَا فِي الشَّعْرِ هَذَا الْجَوَادُ الْأَعْرَ

الجواد الأغر: الفرس الذي في جبهته غرة بيضاء

كَأَنَّ عُيُونََ الْقَوَافِي الْحَسَا نِ، مِنْ قَبْلِ كَانَتْ لَهُ تُدْعَرُ

٢٢ تغير حُسن الجعفري

قال الجواهري وزار في سامراء أطلال «الجعفري»، قصر الخليفة المتوكل على الله:

وَالْجَعْفَرِيُّ فَلَمْ يُقْصَرْ زَمْنُهُ الْـ بَاقِي بِرَغَمِ الدَّهْرِ عَنْ تَمَثُّلِهِ

الجعفري، قصر الخليفة العباسي جعفر المتوكل، قبل نحو ١٢١٠ سنة، لم تقصر رسوم، أي أطلاله، في تمثيل القصر، أي إعطاء صورة عما كان عليه. . رغم مرور كل هذه السنين

بَادِي الشُّحُوبِ، تَكَادُ تَقْرَأُ لَوَعَةً لِنَعِيمِهِ الْمَسْلُوبِ فَوْقَ طُلُولِهِ

وَكأنما هُوَ لَمْ يَجِدْ عَنْ جَعْفَرٍ بَدَلًا يُسَرُّ بِهِ، وَلَا عَنْ جَبَلِهِ

جعفر المتوكل الخليفة الذي بناه

وَلَقَدْ شَجَّشْنِي عَبْرَةً رَقْرَاقَةً خَيْرَانَةً فِي الْعَيْنِ عِنْدَ دُخُولِهِ

إِنِّي سَأَلْتُ الدَّهْرَ عَنْ تَخَطُّبِهِ مِنْ سَطْحِهِ، عَنْ عَرَضِهِ، مِنْ طُولِهِ

فَأَجَابَنِي: هَذِي الْخُرَيْبَةُ صَدْرُهُ وَالْبَلَقُ الْخَالِي مَجَرُّ ذُبُولِهِ

صدر القصر، واجهته، هي هذه الأطلال الخربة، ومجر ذبوله، أي بقية مراقفه، بلقع خال، أرض قاحلة

وَسَلَّ الرِّيحَ السَّافِيَاتِ فَلإنْهَا أَذْرَى بِكُلِّ فُرُوجِهِ وَأَصُولِهِ

السافيات: التي تأتي بالتراب

وَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الزَّمَانَ إِذَا انْتَحَى شُهِبَ السَّمَاءَ كَانَتْ مَدَاسَ خِيُولِهِ

انتحى: قصد

مَدَّتْ بَنُو الْعَبَّاسِ كَفَّ مُطَاوِلٍ فَمَشَى الزَّمَانُ لَهُمْ بِكَفِّ مَغُولِهِ

استطال بنو العباس ومدوا سلطانهم فوق الناس، فتكبهم الزمن بالمغول الذين أنهوا خلافتهم في العراق

٢٣ تقصير اللغة

بغداد (١٩٣٢):

كَمْ فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ مَعْنَى يُضَيِّعُهُ عَلَى الْقَرَّاطِيسِ نَقْصٌ فِي التَّعَابِيرِ
القراطيس: الأوراق

حَتَّى كَأَنَّ عَيُونََ الشَّعْرِ يُعَوِّزُهَا وَصَفَ الدَّقَائِقِ مِنْ هَذِي التَّصَاوِيرِ
فَمَا تُلِمُ بِهَا إِلَّا مُقَارَبَةً وَلَا تُحِيطُ بِهَا إِلَّا بِتَقْدِيرِ
يتألم الشاعر، وحق له، لأن الشعر واللغة عاجزان عن أداء المعاني.. هذه أبيات يقولها رجل كان
يمد يده عميقاً داخل روحه وهو يقول الشعر، ويحاول أن يمسك بأبداع سمكة ملونة.. ثم قد
تخرج يده وبها سمكة شبوط

٢٤ إذا لم تكن ذنباً..

بغداد (١٩٣٣):

دَعِ النَّبْلَ لِلْعَاجِزِ الْقُفُودِ وَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَفْنَمٍ فَارْزُدِ
القعود: القاعد عن القتال، الجبان

وَلَا تُخَدَعَنَّ بِقَوْلِ الضُّعَافِ مِنَ النَّاسِ إِنَّكَ صَفُّ الْبِيدِ
الضعاف يمدحونك لأنك نظيف اليد.. فلا تخدع بذلك، أنت فقط جبان لا يجرؤ على الوصول
إلى الثمار المحرمة

سَفَاسِفُ تَضْحَكُ مِنْ أَمْرِهَا صَرَامَةٌ ذِي الْقُسْوَةِ الْأَبْدِ
أقوال الناس هذه سفايف، أي سخافات، يضحك منها الأبد، أي القوي

فَلَا تَفُذْ طَوْعاً لَأَمْثَالِهَا مَتَى مَا تُفَرِّزُ بِهَا تَنْقِدِ
فلا تتخضع بأقوالهم، فإنك إن تفرر بها وتخدع أصبحت مفزوداً لا حراً

إِلَيْكَ النَّصِيحَةُ مِنْ مُضْطَلِّ بِنَارِ الشَّجَارِ مُسْتَخْصِدِ
منحصد: مجرب ناضج

رِدِّ الْعَيْشَ مُزْدَجِمَ الضَّقَتَيْنِ مِنَ الْغِشِّ مُلْتَحِمَ الْمَوْرِدِ
رد العيش، عليك ورود العيش، وهو كالنهر المزدحمة ضفتاه بالغش وقد التحم الناس وتكاثفوا
وتقاتلوا على الخيرات

وَكُنْ رَجُلَ السَّاعَةِ الْمُجْتَلِيِ مِنَ الْيَوْمِ مَا يُرْتَجَى فِي عَدِ
كن رجل الساعة الواقعي الذي يجتلي، أي يرى، اليوم ما يرجى حدوثه غداً.. أي أنه ذو بصيرة

إِذَا مَا مَخَضَتْ نَفُوسَ الرِّجَالِ: مِنَ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْأَبْعَدِ..

مخضت: محضت وفحضت بدقة

تَيَمَّنْتُ أَنَّ الَّذِي يَدْعُونُ مِنَ الْمَجْدِ لِأَنَّ لَمْ يُوَلَّدْ

المجد كما يصفونه شيء خرافي لم يوجد بعد

هُمْ النَّاسُ لَا يَفْضُلُونَ الْوُحُوشَ بِغَيْرِ التَّحَبُّلِ لِلْمَقْصِدِ

الناس يتميزون عن الوحوش فقط بأنهم ذوو حيلة في الوصول إلى مقاصدهم

فَلَا تَأْتِ سَاحَةً هَذِي الذَّنَابِ تُنَازِلُهَا بِفَمٍ أَقْرَبِ

فم أدرد: فم سقطت أسنانه

وَمَا اسْطَغْنَتْ فَاقْطَعْ يَدَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ، وَقَبِّلْ يَدَ الْمُعْنَدِي

كن ظالماً - ذلك أحسن من أن تكون مظلوماً - وشارك الظالمين في قطع يد الضعيف الذي اعتدى عليه، وقبِّل يد المعتدي.. يا لها من نصيحة.. لكننا رأينا كثيراً من الرجال «الناجحين» يرمون كل المبادئ في سلة المهملات حرصاً على أن يكونوا مع القوي، وعلى من يخدم مصالحهم. قال البريطاني بول ميسون، في كتاب له صدر عام ٢٠١٥: «في أغسطس ٢٠١٤، قضيت عشرة أيام في غزة، في مجتمع يتم تدميره تدميراً منتظماً بقصف طائرات بلا طيار، وبالْقصف المدفعية، وبالْقنص. قتل ١٥٠٠ مدني، ثلثهم أطفال. وفي فبراير ٢٠١٥ رأيت الكونغرس الأمريكي يصفق وافقاً خمساً وعشرين مرة للرجل الذي أعطى الأوامر بتلك الهجمات» اد بول ميسون

أَقُولُ لِنَفْسِي وَقَدْ عَرَبَيْدَتْ رَجَالٌ لِغَايَاتِهَا: عَرَبَيْدِي

وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُنَوِّتِ الْحَيَاةَ بِنَفْسِ الْمُخَاطِرِ تُسْتَعْبَدِي

يا نفسي إذا لم نواتي الحياة، ثقبلي عليها، بنفسية المجازف فيكون نصيبك الاستعباد

٢٥ التجارب المؤذية

بغداد (١٩٣٤):

لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَتِيرُ الشَّعْرُ نَخْوَتَهُ وَمَنْ يُحَرِّكُهُ لُطْفُ التَّرَاكِيِبِ

تعليق عمران القفيني: (يبدو أن الشعر سيخيب ظننا - ونرجو ذلك - ويبقى صامداً. في زمن الجواريي «لم يبق من يستير الشعر نخوته»، وفي زمن المتني قبله بأكثر من ألف سنة كذلك تعب «بيع الشعر في سوق الكساد»، وإن قصد المتني شيئاً في ذلك السياق، إلا أنه كان يشكو كساد بضاعته في المحصلة)

أَعْلَى مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْقَوْمِ مَنَزَلَةٌ نَفْخُ الْبُطُونِ وَتَطْرِيزُ الْجَلَابِيْبِ

أهم من الشعر عند الناس أن يأكلوا حتى الانتفاخ، وأن يلبوا الجلابيب المطرزة

قالوا: استغذت من الأيام تجرئة. والموت أروح من بعض التجارب
قالوا لي إنك استغذت من مصائب الأيام تجارب، وأقول إن الموت أروح، أخف وقعاً، من بعض
التجارب التي يمر بها الإنسان

تُعْصِي الشَّدَائِدُ أَقْوَاماً بِلا أَدبٍ وَتَبْتَلي عَيْرَ مُحْتَاجٍ لِنَادِيٍّ

٢٦ الْجَلْب

بغداد (١٩٣٤):

أَلَا إِنَّ وَضَعَ التَّنْهِي وَالْأَمْرَ عِنْدَنَا غَرِيبٌ، وَأَهْلُ التَّنْهِي وَالْأَمْرِ أَغْرَبُ
الأمر والنهي: يقصد الحكم

تَدَاوَلَ هَذَا الْحَكْمَ نَاسٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ طَبِغاً فِي مَنَامٍ لَخَبِبُوا
تداول الحكم، وتبادلته فيما بينهم، ناس غير لاهين للحكم حتى لو أنهم - في أوضاع طبيعية -
أرادوا أن يحملوا به حلاً لما استطاعوا

وإِنَّ مِنَ الْمُسْتَحْدِثِ الْحَكْمَ عَادَةً يَرَى فُرْصَةً مِنْهُ اقْتِدَاراً فَيَضْرِبُ
إنها لعادة عند المستحدث الحكم، الجدید عليه، أن يقتصر الفرصة فيضرب بقوة. وفي هذا
تعريض بالملك فيصل وبين جاء معه من سورية وأصبح يتحكم في الناس بالعراق، ومن هؤلاء
ساطع المصري المسؤول عن التعليم، وكان الجواهري ناقماً عليه

وَمَا جِئْتُ أَهْجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مَوْضِعٌ نَزِيهٌ لَهُ بِالْهَجْوِ يُؤَنَّى فَيُثْلَبُ
يثلب: يلم

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْمِرَاقِ مُؤَمَّرٌ خَرِيبٌ بِهِ، لَا أَلَمٌ مِنْهُ وَلَا أَلْبُ
مؤمر: صاحب أمر ونهي

أَكُلُ بَغِيضٍ يُثْقَلُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ وَنَابِئُهُ، يُجْعَلُ لِلْمِرَاقِ وَيُجْلَبُ؟
أكل شخص بنیض، كربه، ثقيل.. وحتى ظله على الأرض ثقيل، وترفضه الأرض بجي، يؤتى
به، للعراق؟

٢٧ أَحَبُّ نَفْسِكَ

بغداد (١٩٣٤):

لِأَمِّ الْقَوَافِي الْوَيْلُ إِنَّ لَمْ يَقُمْ لَهَا ضَجِيجٌ، وَلَمْ تَرْتَجَّ مِنْهَا الْمَحَافِلُ
الويل للشعر إن لم يكن مؤثراً

أَرَى الْقَوْمَ مَنْ يَفْذَعُ يُقَرَّبُ إِلَيْهِمْ وَمَنْ يَجْتَنِبُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ التَّحَامُلُ

الشاعر المقتدع، الثَّام، يصيح مَقْرَباً لِقَادِي ضَرَرِهِ، وَمَنْ يَجْتَنِبُ الشَّمَّ يَتَحَامَلُونَ عَلَيْهِ

وَأَعْلَمُ عِلْماً يَقْطَعُ الظَّنَّ أَنَّهُ لِكُلِّ امْرِئٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَوَازِلُ

أَعْرِفْ يَفِيئاً أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِدُ مَنْ يَعْلَهُ، يُلُومُهُ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ. تَسْوِدُ عِمْرَانَ الْقَيْنِي

فَمَا اسْتَطَعْتَ فَاجْعَلْ دَابَّ نَفْسِكَ خَيْرَهَا وَلَا تُدْخِلَنَّ النَّاسَ فِيمَا تُحَاوُلُ

فَمَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ يُسَاوِرُ عَقْلَهُ وَأَمُّ الَّذِي يَسْتَنْصِيحُ الْغَيْرَ شَاكِلُ

نَصِيحُكَ إِمَّا خَائِفٌ أَوْ مُخَرَّرٌ كَلَا الرَّجُلَيْنِ فِي الْمُلِمَّاتِ خَاذِلُ

الَّذِي تَطْلُبُ نَصِيحَتَهُ إِمَّا خَائِفٌ فَلَا يَمْحُضُكَ النَّصِيحُ، أَوْ مَغْرُورٌ، مُضِلٌّ، وَكِلَاهُمَا يَخْذَلُكَ فِي الْمُلِمَّاتِ، الصَّعَابِ الطَّارَةِ

٢٨ الحكم بالترقيع

بغداد (١٩٣٤):

هُوَ الْحُكْمُ، إِنَّ حَقَّقْتَ، لُغَةً لَاعِبٍ يُسَمُّونَ تَرْفِيعَاتِهِ بِالتَّجَارِبِ

الحكم مجرد ترقيع وإرضاء فلان على حساب فلان، ويسمون هذا الترفيع «التجارب». (هو) في أول البيت ضمير شأن كقولهم هُوَ أَفْهَمُ أَكْثَرُ وقد أُولِعَ بِهِ شُعْرَاءُ الْعِرَاقِ

فَتَجَرِبَةُ لِلْحُكْمِ خَلْقٌ مُؤَلَّفٌ وَتَجَرِبَةُ لِلشَّعْبِ تَخْرِيجُ نَائِبٍ

فمن هذه «التجارب» خلق وظيفة لموظف، ومنها انتخاب الشعب لنائب

وَأَنَّ بِلَاداً بِالتَّجَارِبِ هُدْمَتْ وَضُيِّعَ أَهْلُهَا لِأَحَدِي الْعَجَائِبِ

تُعْطَلُ أَرْبَابُ الْمَوَاهِبِ رَيْثَمَا يُتَمَّمُ تَخْرِيجُ الضَّعَافِ الْمَوَاهِبِ

يتم تعطيل أصحاب المواهب بحجة منح فرصة للصف الثاني... والنتيجة تخريج، وتعيين، غير الموهوبين. ومن ذلك تعيين الجواهري، وهو الشاعر الفصح، مدرساً في مدرسة ابتدائية، وحجب المناصب اللائقة به عنه

مِنَ الظُّلَمِ أَنَّ نَائِبِي قَصِيدَةُ شَاعِرٍ لِيُصْلِحَ حَالاً، أَوْ مَقَالَةُ كَاتِبٍ

فَمَا دَامَ حُكْمُ لِلتَّجَارِبِ رَاهِناً فَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ انْتِظَارِ الْعَوَاقِبِ

مَا دَامَ الْحُكْمُ فِي بِلَادِنَا مَرْهُوناً لِلتَّجَارِبِ فَلَنْ تَنْفَعُ فِيهِ الْقَصَائِدُ وَالْمَقَالَاتُ، بَلْ نَجْلِسُ وَنَنْتَقِرُ الْعَوَاقِبَ، النَّاتِجَ

وَمَا خَيْرُ شَعْبٍ لَسْتُ تَعْمُرُ بَيْنَهُ عَلَى قَارِيٍّ مِنْ كُلِّ أَلِفٍ وَكَاتِبٍ

وَمَا خَيْرُ شَعْبٍ: أَيُّ لَا خَيْرَ فِي شَعْبٍ، أَسْلُوبٌ قَدِيمٌ

تَمْشَى يَجْرُ الْفَقْرَ رِذْفاً وِراءَهُ؛ وَأَتَمِّنُ بِمَضْحُوبٍ وَأَتَمِّنُ بِصَاحِبِ
 مَشَى هَذَا الشَّعْبِ يَجْرُ الْفَقْرَ وِراءَهُ كَأَنَّهُ أَرْدَفَهُ خَلْفَهُ عَلَى حِصَانٍ؛ وَمَا أَتَمَّنِ الْمَصْحُوبُ، هَذَا
 الرَّابِكُ، وَمَا أَتَمَّنِ صَاحِبَهُ الْفَقْرَ

٢٩ فيضان الفرات

(١٩٣٥):

طَفَى نَضُوعُفَ مِنْهُ الْحَسَنُ وَالْخَطَرُ وَفَاضَ فَاِلْأَرْضُ وَالْأَشْجَارُ تَنْفَمِرُ
 طَفَى الْفَرَاتُ بِفِيضَانِهِ فَتَضَاعَفَ جَمَالُهُ وَخَطَرُهُ مَعاً

وَرَأَيْتِ الطَّائِرَ الظُّلَمَانَ هَيَبْتُهُ فَمَرَّ وَهُوَ جَبَانٌ فَوْقَهُ خَلِيرُ
 الطُّيُورِ خَافَتْ هَيْبَةَ النَّهْرِ إِذَا فَاضَ

هُوَ الْفَرَاتُ وَكَمْ فِي أَمْرِهِ عَجَبُ فِي حَالَتَيْهِ، وَكَمْ فِي آيِهِ عَجَبُ
 بَيْنَمَا هُوَ الْبَحْرُ لَا تُسْطَاعُ عَضْبَتُهُ إِذَا اسْتَشَاطَ فَلَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ..
 بَيْنَمَا الْفَرَاتُ كَالْبَحْرِ لَا يُطِيقُ النَّاسُ فَضْلَهُ..

إِذَا بِهِ وَاهِنُ الْمَجْرَى يُعَارِضُهُ عُودٌ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ سَبْرِهِ حَجَرٌ
 إِذَا بِهِ بَعْدَ حِينٍ وَاهِنُ الْمَجْرَى، ضَعِيفُ الْجَرِيَانِ، يَمْتَرِضُ مَجْرَاهُ عُودٌ فَيُؤْثِرُ فِيهِ، وَيَمْتَرِضُهُ حَجَرٌ
 فَيَمْنَعُ جَرِيَانَهُ

٣٠ الكراسي الشواهير

بغداد (١٩٣٥):

تَصَفَّقْتُ أَعْمَالَ الْوَرَى فَوَجَدْتُهَا مَخَازِي عَقَلُوهَا بِشَتَّى السُّتَائِرِ
 وَخُبَّبَ تَدَلِّيسٌ، وَذُمَّتْ صَرَاخَةٌ فَلَا عَيْشَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ النَّائِمِ
 وَلَمْ يَبْقَ مَعْنَى لِلْمَنَاصِبِ هُنْدَانَا سِوَى أَنَّهَا يَمْلِكُ الْقَرِيبِ الْمَصَاهِرِ
 تُسَنَّ ذُبُولٌ لِيَلْقَوَانِيْنِ يُبْتَقَى بِهَا جَلْبُ قَوْمٍ لِلْكَرَاسِيِّ الشَّوَاهِرِ
 وَكَانَتْ طِبَاعٌ لِلْعَشَائِرِ تُرْتَجَى فَقَدْ لُوْثَتْ حَتَّى طِبَاعُ الْعَشَائِرِ
 وَكَانَ لَنَا مِنْهُمْ سِلَاحٌ فَأَصَبَحُوا سِلَاحاً عَلَيْنَا بَيْنَ حِينٍ وَآخِرِ
 وَلَا تَحْسَبَنَّ الشَّعْرَ سَهْلاً مَهْهُ بِهِذِي الْمَسَاوِي بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرِ

لَا تَحْسَبِ الشَّعْرَ سَهْلًا الْهَيُوبِ وَسَطَ هَذِهِ الْمَسَاوِي..

فإنَّ عَظِيماً أَن يَخْلَدَ شَاعِرٌ مَخَازِي جَبِلٍ بِالقَوَافِي السَّوَائِرِ

فإن عظيماً، فظيماً، أن يخلد الشاعر مخازي جيله بقصائد سائرة مشهورة

سُضِّحَكَ قُرَاءَ التَّوَارِيخِ بَعْدَنَا وَنَبْدُو لَهُمْ فِيهِنَّ إِحْدَى النُّوَادِرِ

فلو قصرنا شعرنا على التنديد بالمسائى سيفضحك منا قراء التاريخ مستقبلاً، وسيتدرون بنا

٣١ دموع يزيد

بغداد (١٩٣٥):

تَوَلَّى يَزِيدُ دَفَّةَ الْحُكْمِ فَاَنْطَوَى عَلَى الْجَمْرِ مَنْ قَدْ كَانَ بِالْحُكْمِ أَجْدَرَا

تولى يزيد الحكم بعد أبيه معاوية فأحس الجديرون بالحكم، من نسل علي، بجمر في أحشائهم

بَنُو هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ وَفِيهِمْ تَرَعَرَعَ هَذَا الدِّينُ عَرَساً وَأَنْمَرَا

مؤلاء هم بنو هاشم قوم النبي الذين ترعرع فيهم الدين مفروساً وحين انمر وانتشر

تَرَدَّى عَلَى كُرْوِ رِدَاءِ خِلَافَةٍ وَلَمْ يُلْقِ عَنْهُ بَعْدُ لِلْخُمُرِ مِثْرَا

تردى، لبس، يزيد ثوب الخلافة كارهاً له.. ذلك أنه لم يخلع عنه مئزر، أي ثوب، الخمر. وكان

يزيد صاحب شعر وخمر وسماع وصيد

وَشَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يُصَوِّرَ نَفْسَهُ عَلَى غَيْرِ مَا قَدْ عُوِّدَتْ أَنْ تُصَوِّرَا

وشق عليه، صعب عليه، أن يصور نفسه بغير صورتها، فلم يغير عاداته

وَأَنْ يُبْتَلَى بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُكْرَهاً وَأَنْ يَجْمَعَ الضُّدَّيْنِ سُكْراً وَمِثْبَرَا

وصعب عليه أن يبتلى بالأمر والنهي، أي بالحكم، وأن يجمع بين السكر واعتلاء المنبر لخطبة

الجمعة

عَلَى أَنَّهُ بِالرَّغَمِ مِنْ سَقَطَاتِهِ وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْحُسَيْنِ تَأْتِرَا

لكنه رغم سقطاته، عيوبه، تأثر عندما ورده خبر مقتل الحسين بن علي

أَقُولُ لِأَقْوَامٍ مَضَوْا فِي مُصَابِهِ يَسُومُونَهُ التَّحْرِيفَ حَتَّى تَغْيِرَا

أقول للشيعه الذي أخذوا يعرضون مصاب الحسين، نكبة كربلاء ومقتل الحسين، للتحريف حتى

تغيرت الرواية

دَعُوا رَوْعَةَ التَّارِيخِ تَأْخُذُ مَحَلَّهَا وَلَا تُجْهِدُوا آيَاتِهِ أَنْ تُحَوِّرَا

اتركوا روعة التاريخ، ذلك القزح الذي حدث في التاريخ، تأخذ محلها التاريخي الحقيقي، ولا

تلووا أعناق الحقائق لكي تبدلوا آيات، علامات، التاريخ

٣٢ على قبر الزهاوي

بغداد (١٩٣٦):

على رَغَمِ أَنْفِ الموتِ ذِكْرُكَ خَالِدٌ تَرِنُ بِسَمْعِ الدهْرِ مِنْكَ الْقَصَائِدُ
لقد كنتَ فَخْرًا لِلْعِرَاقِ وَزِينَةً تُرَانُ نَوَادِيهِ بِهَا وَالْمَعَاهِدُ
وكنْتَ على خِضْبِ الْعِرَاقِيِّ شَاهِدًا إِذَا أَعْوَزْتَنَا فِي التَّبَاهِي شَوَاهِدُ
ثَوَى الْيَوْمَ فِي هَذِي الْحُفَيْرَةِ عَالِمٌ بِأَسْرَارِهَا، لِلَّهِ بِالْعَقْلِ نَاشِدُ
ثوى، أقام، بهذه الحفيرة، القبر، عالم بأسرار القبر والموت، وناشد، أي سأل، لمعرفة الله بالعقل
أَقَامَ عَلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ اعْتِقَادَهُ عَدُوٌّ لِأَشْبَاحِ الْخُرَافَاتِ ظَلَامُهُ
وكان نَفِيًّا فَكُورَةً وَعَقِيدَةً عَزِيزًا عَلَيْهِ أَنْ تُسِفَّ الْعَقَائِدُ
نف: تنحط

يُؤَكِّدُ أَنَّ الدِّينَ حُبٌّ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ وَاحِدُ
وَأَنَّ الَّذِي قد سَحَّرَ الدِّينَ طَامِعًا يُتَاجَرُ بِاسْمِ اللَّهِ لِلَّهِ جَاحِدُ
جَمِيلٌ أَهَانَ الرَّافِدِينَ بِثَالِثٍ مِنْ الشُّعْرِ قَنَمِيهِ بِحُورٍ رَوَائِدُ
أهان بلاد الرافدين، نهري دجلة والفرات، برافد ثالث هو الشعر . . وشعره كانت ترفده بحور من
الفكر والفصاحة

٣٣ التكريم الموعود

بغداد (١٩٣٦):

حِبَانِي الْعِرَاقُ السَّنْحُ أَحْسَنَ مَا حَبَا بِهِ شَاعِرًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ دَاعِيَا
رَجَاءٌ كَمَا اسْتَمَطَّرْتُ فِي الصَّيْفِ مُزْنَةً وَرِزْقًا كَمَا أُسَارَتُ فِي الْكَاسِ بَاقِيَا
منحني العراق أملاً ضميئاً، كضف أمل من يطلب المطر من مزنة، أي غيبة، في الصيف،
ومنحني رزقاً قليلاً كأنه ما أسارت، أي أبقيت في قعر الكأس
وَعَيْشًا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهُ قَلْتُ عِنْدَهُ «كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا»
عندما أنظر في عيشتي في العراق أردد مع المتنبي قوله . . يكفيك مما بك من الضيق الذي يشه
الداء أن تعتبر الموت جيداً لأنه يشفيك

وَوَاعَدَنِي بَعْدَ الْمَمَاتِ احْتِفَاءً يُجَوِّدُ فِيهَا الْمُتَشِدُّونَ الْمَرَاثِيَا
ووعدني العراق بعد مماتي باحتفاء يشد فيه الشعراء المراثي، فالمرء يكرم بعد موته لا في حياته

٣٤ الخرافات

بغداد (١٩٣٧):

وَرُبُّ رُؤُوسٍ بَرَزَوْا عَشَّشَتْ بِهَا خُرَافَاتُ جَهْلِ فَاشْتَكَيْنَ صُدَاعَا
برزة: مشهورة

وساوسُ لو حَقَّقَتْهَا لَوَجَدَتْهَا مِنْ الْمَهْدِ كَانَتْ أَذُوبًا وَضِبَاعَا
أصل هذه الوسوس والخرافات التي يؤمنون بها تخويف الطفل بالذئب والضيع وهو صغير
بِهَا نَوْمُنَا الْأَمْهَاتُ تَخَوُّفًا وَمَا أَبْقَطَلْنَا الْحَادِثَاتُ تِبَاعَا
وإنَّ شَبَابًا يَرْقُبُ الْمَوْتَ جَائِعًا مَتَى اسْتَطَاعَ عَنْ حَوْضِ الْبِلَادِ دِفَاعَا؟
الجائع لن يستطيع الدفاع عن الوطن

يَرَى فِي الصَّنَاعَاتِ احْتِقَارًا، وَيَزْدَهِي إِذَا طَمَنَ التَّوْطِيفُ مِنْهُ طَمَاعَا
يحقر الشباب المهنة، ويزدهون، يفرحون، إذا طمأن التوظيف طمعهم في نيل الرزق
وَجَدْتُ جَبَانًا مَنِ وَجَدْتُ مَهْدَبًا وَجَدْتُ جَهُولًا مَنِ وَجَدْتُ شُجَاعَا
المهذب أجده جباناً، والشجاع.. اكتشف أنه جاهل

٣٥ نِعَمُ الْخَصْمِ

في ذكرى ياسين الهاشمي رئيس الوزراء، بغداد (١٩٣٨):

سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمًا لَمْ أَدْرُغْ حِزْبًا، وَلَمْ أَزَحَفْ بِظِلِّ زَعِيمٍ
عشت اثناء حكمك ناقماً معارفاً، ولكنني لم اتخذ حزباً دعواً لي، ولم اناصر زعيماً اتفياً ظله
حَاشَا! وَلَمْ أَهْتِفْ لِخَيْرِكَ دَاعِيًا أَوْ أَنْ أَخْصُ سَوَاكَ بِالتَّقْدِيمِ
لم أكن داعية لخيرك، ولم أفضل غيرك عليك.. رغم معارضي لك

لَكِنْ طُمُوحٌ لَيْسَ يُرْضِي أَهْلَهُ أَنْ تَسْتَمِرَّ سِيَاسَةُ الشَّرْمِيسِ
لكن، كان عندي طموح. ولا يرضى أصحاب مثل هذا الطموح بسياسة الترقيع والترميم غير الجدية

سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمًا، وَوَجَدْتَنِي بِإِزَاءِ شَهْمٍ فِي الْخَصَامِ حَلِيمٍ
وجدت نفسي أمام رجل حلیم وشهم مع خصومه

رَحِبْ بِنَفْدِ خُصُومِهِ مُتَفَتِّحٍ بِالْبِشْرِ آوَنَةً وَبِالتَّفْهِيمِ
رحب، واسع الصدر، لقد يوجهه الخصوم إليه، ويستميل الناس بالبشر، والبشاشة، ويفهمهم مقاصده

يُعْطِيهِمْ نَصْفًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ رَجُلٌ يَسُوسُ وَلَيْسَ بِالْمَعْصُومِ
يعطيهم نصفاً، يعرفهم، وهو يدرك أنه رجل سياسة وليس نبياً معصوماً

٣٦ بكاء زوجة

في رثاء زوجته أم فرات، بغداد (١٩٣٩):

خَلَعْتُ ثَوْبَ اضْطِجَارٍ كَانَ يَسْتُرُنِي وَبَانَ كِذْبُ ادِّعَائِي أَنَّنِي جَلِيدٌ
تركث التظاهر بالصبر، وتبين للناس أن ادعائي بأنني جلد، صبور، ادعاء كاذب
بَكَيْتُ حَتَّى بَكَى مَنْ لَيْسَ بِعَرِيفُنِي وَتَحُثُّ حَتَّى حَكَانِي طَائِرُ حَرْدٍ

٣٧ الطبيعة ترقص

ألقاها في مهرجان بلتان (١٩٣٩):

زَهْوُ حُمْرِ الْقِيَابِ فِي الْجَبَلِ الْأَخْضَرِ خَضِرَ يَسْبِي كَزْهَوِ أَهْلِ الْقِيَابِ
إشراق القباب، الخيام، الحمر في هذه الجبال الخضراء بلتان يسبي العقل مثل إشراق الناس هناك
وَالْكُرُومُ الْمُعَرَّشَاتُ حَبَالِي مُرْضِعَاتُ كَرَائِمِ الْأَعْنَابِ
الكروم المعرشة، المرفوعة أعضانها فوق العرائش، حبل بالثمر... وهي تُرضع من مائها عناقيد
العنب الكريمة، أي التي من النوع الأصيل الذي - كما سيأتيك - يصلح للخمر
حَانِيَاتٍ عَلَى الدَّوَالِي تَحْلِي مَنَ عَنَاقِيدَ زِينَةٍ لِلْكَعَابِ
تحنو الكروم بأوراقها على الفصوص الدوالي، المتدلية، والمتحلبة بالعناقيد التي تصلح زينة
لللكاب، للفئة الشابة

رَافِعَاتِ الرُّؤُوسِ شُكْرًا، وَأُخْرَى سَاجِدَاتِ شُكْرًا عَلَى الْأَعْنَابِ
بعض فصوص العنب رافع الرأس كأنما تشكر الله، وبعضها منبطح على الأرض ساجد شكرًا.
و«الأعقاب» تذكر المرء «بالمعانيب المقدسة» في النجف بلد الشاعر، وفيها سجود كثير وعبادة
سِيلَنَ فِي الْحَقْلِ مِثْلَ رُوحٍ لِجِسْمٍ وَتَمَلَّدَنَ فِيهِ كَالْأَعْصَابِ
وتصايخن: أين، أين الندامي؟ وتغامزن ثم، أي هناك، للأكواب المعياة
نصايحت الكروم: أين الندامي ليشربوا خصري؟ وتغامزن ثم، أي هناك، للأكواب المعياة

وَتَخَازَرْنَ وَالْمَعَاصِرَ أَبْصَا رَأَى حِدَادًا مَلِيئَةً بِالسُّبَابِ
تخازرت الكروم ومعاصر الخمر، أي نظر بعضها إلى بعض بأطراف العيون... وهي نظرات غصبي
لأن المعاصر أبطأت في استقبال العنب لعصره

نظراتٍ كانتِ خطاباً بليغاً ولدى العاصرينَ فُخْوَى الخطابِ
أصحابِ المعاصرِ عنهم الجوابِ فرعانِ ما ميباشرون القطفِ فالعصر
كيف لا تَرَقُصُ الطبيعةُ في أر ضٍ ثراها مُحَضَّبٌ بِالشَّرَابِ

٣٨ المهادنة

بغداد (١٩٤٠):

أنا اليومَ إذ صَانَعْتُ أحسنَ حالةً وأحدوثاً مِنِّي كَغَيَرِ مُصَانِعِ
اليومِ إذ صَانَعْتُ، دارِثٌ وتنازلتُ، أحسنَ حالاً وأحدوثاً، سيرة، مما كنت عليه قبلك وأنا عني
حَبَبْتُ جُذُوءَ لا أَلْهَبَ اللُّهُ نَارَهَا إذا كان حتماً أن تَقْضَ مُضَاجِعِي
فلتظفني ولتخبْ جذوة، جمرة، عنادي، ولا أعاد الله اتقادها، إن كانت ستقضي مضاجعي،
مستظفني... ومؤكد أنها ستظفني

بلى، وشكرتُ العُمَرَ أن مَدَّ حَبْلَهُ إلى أن حَبَانِي مُهَلَّةَ الْمُتَرَاجِعِ
وشكرتُ عمري لأنه طال، فمنعني بذلك مهلة للترجيع عما كنت عليه

تَمَنَيْتُ مَنْ قَاسَتْ عَنَاءَ مَطَامِحِي تَعَوُّدُ لِيَتَهَنَّا فِي رَحَاءِ تَوَاضِعِي
تمنيت لو تعود زوجتي المتوفاة أم فرات، التي عانت من طموحاتي، حتى تجد الهناء والراحة في
ظل تواضع هذه الطموحات والتخفف منها

٣٩ شكر

إلى نوري الأورف لي، بغداد (١٩٤١):

كم مِن يَدٍ بِيضَاءَ ضِبَقْتُ بِشُكْرِهَا قَرَعَا، وعاشت - لا تضيق - يَدَاكَ!
ما أكثر الأيدي البيض، المعاريف... جمع معروف، التي لم أهرف كيف أشكرك عليها فضفت بها
قَرَعَا؛ أدمو الله أن تعيش يدك والآ تضيق هاتان البدان

حاشاي لم أَذِلِفَ إِلَيْكَ تَزَلُّفًا كَلًّا، وَلَسْتُ تُرِيدُهُ حَاشَاكَ
حاشاي أن أكون ظفت إليك، دخلت خلعة، دخول متزلف متملق... وحاشاك أن تريد من المرء
مثل هذا التلذل

لِلشَمْرِ مَنَزِلَةٌ لَدَيَّ أَجِلُّهَا وَأَجِلُّهَا - لَوْ أَقْدِرُ - الْأَقْلَامَا
لكن وجدتُ الشمرَ مِهْنَةً حَاجِزَ إن لم يَقُمْ عَنِّي بِشُكْرٍ نَدَاكَ
نذاك: سخاوك

٤٠ المتشاغل

لبنان (١٩٤٢):

عَجَّ الرصيفُ بأسرابِ المَها وهفا قلبي بِزُفْرَةِ قَنَاصٍ، ولم يَصِدْ
 عح، ازدحم، الرصيف بأسراب الحصان، وهفا وتطلع قلبي إليهن وزفرت زفرة صياد... لكن لم يصد
 فَمِنْ مُوَافِيَةٍ وَغَدَاءٍ وَرَاقِبَةٍ وعداء، وأين التي وقت ولم تَعِدْ؟
 مواحدة منهن تعطي وعداً، وأخرى ترقب وعداً، ولكن أين التي وقت حتى دون أن يكون هناك وعد؟
 قَالُوا تَشَاغَلَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَلَدٍ فقال تَهْدَاكِ: لم يَشْغَلْهُ مِنْ أَحَدٍ
 سِوَى رَضِيْعِي لِبَانِ تَوَامِ حُبِّهَا رَهْنِ الْغِلَالَةِ إِشْفَاقاً مِنَ الْحَسَدِ
 لم يشغلني سوى النهدين، اللذين كأنهما طفلان رضيحان محبوبان في غلالة، ثوب رقيق، كأنما
 للاستار من عيون الحساد

٤١ السوفييت

قال الجواهري في معركة ستالينغراد التي صدَّ فيها السوفييت الألمان، بغداد (١٩٤٣):

أُمُّ غُورَكِي لَيْتَ عِنْدِي وَخِيَهُ لِأَوْفِي بِنْتِكَ الْيَوْمَ الثُّنَاءُ
 يخاطب الأم بطلّة رواية «الأم» لمكسيم غوركي الروائي الروسي، ثم السوفييتي: ليت عندي إلهام
 غوركي لكي أوفي بنتك، المرأة الروسية المحاربة ضد الغزو الألماني، ما تستحق من ثناء
 لو يَعُودُ الْيَوْمَ حَيًّا لَرَأَى مِثْلَهَا أَلْفًا تَهْزُ الْبُلْغَاءُ
 لو عاد غوركي للحياة لراى ألف امرأة مثلك تهز مشاعر البلغاء
 بَلْ وَلَوْ أَنَّ غُورَكِي أُمُّهُ مِثْلُ هَذِي لَمْ يَبْزُ الثُّبْعَاءُ
 ولولا أن أم غوركي نفسه كانت مثل الأم التي كتب عنها لما بَرَّ البلغاء، تفوق عليهم
 يَا تُولُسْتَوِي، وَلَمْ تَذْهَبْ سُدَى ثَوْرَةُ الْفِكْرِ، وَلَا طَارَتْ هَبَاءُ
 يخاطب روح الأديب الروسي تولستوي، الذي مات سنة ١٩١٠: لم تذهب سدى الثورة الفكرية
 التي انبثقت منك

يَا ثَرِيًّا وَهَبَ النَّاسَ الثَّرَاءَ قُمْ تَرَ النَّاسَ جَمِيعاً أَثْرِيَاءَ
 يا تولستوي، أيها الثري الذي وهب ثروته للفلاحين، قم من قبرك لترى كيف أصبح الناس كلهم
 أثرياء في ظل الحكم الشيوعي. (قد خاطب تولستوي وهو في قبره الشاعر حافظ إبراهيم في قصيدة
 له رقم ١٣٩ في هذا الكتاب ضمن الفصل عن حافظ، وخاطبه في قبره أحمد شوقي في القصيدة
 رقم ١٣٤ هنا أيضاً)

فَمَ تَجِدُهُمْ مَالِكِي عَلِيَّهِمْ مِنْ عَلَى عَهْدِكَ كَانُوا أَجْرَاءَ
هَكَذَا الْفِكْرَةُ تَزْكُو ثَمَرًا إِنْ زَكَّتْ عَرَسًا وَإِنْ طَابَتْ نَمَاءَ

٤٢ الطحالب

بغداد (١٩٤٤):

أَمَّمْ تَجِدُهُ، وَنَلَمَبْ وَيُعَذِّبُونَ وَنَطْرَبْ
الأمم الأخرى تلقى العذاب بالجهد والعمل وخوض الحروب... ونحن نظرب، والفصيدة من بات
الحرب العالمية الثانية

وَنَمِيشْ نَحْنُ كَمَا يَمِبْ شِنْ عَلَى الضَّفَافِ الطُّخْلُبْ
مَنْطَفُؤْلِينَ عَلَى الْوَجُو وَنُعُومُ فِيهِ وَنَرْسُوبْ
نُوحِي التَّطْيِيرَ كَالْفُورَا بِ إِلَى الْخَفُوسِي وَنَنْمَبْ
التطير: التشاوم، التعيب: صوت الغراب

وَنُبْتُ رُعباً فِي الصَّفُو فَوِي مِمَّا نَدُسُّ وَنَكْذِبْ
نَدْعُو إِلَى الْمُسْتَعْمِيرِ نَ، لِسَوْطِهِمْ نَتَجَنَّبْ
ندعو لمهادنة المستعمرين كي تجنب سياطهم. وكان رشيد عالي الكيلاني في العراق انقلب على
الحكم في أوائل الأربعينات، ولكن الإنجليز خلال الحرب العالمية الثانية قمعوا انقلابه، وتعاون
عدد من الساسة في العراق مع الإنجليز لتجنب بطشهم وللانتفاع بالتقرب منهم

نَهْوَى تَقَرُّبَهُمْ وَفِي هَ عَنَفْنَا يَتَقَرَّبْ
إِنْ الْعِرَاقَ بِمَا نَحْشُ دُ ضِدُّهُ وَنُؤَلِّبْ
نؤلب: نحث الرأي المعادي

بَيْتٌ عَلَى يَدِ أَهْلِهِ مِمَّا جَنَمُوا يَتَخَرَّبْ
إِنَّ الْحَيَاةَ سَرِيمةً وَجَرِيمةً لَا تُفْلَبْ
وَنَدُوسُ مَنْ لَا يَسْتَنْطِيبُ عَ لِحَاقِهَا وَنُؤَدِّبْ

٤٣ المغامر المجاهر

قالها للرصافي وأجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها: بَكَ الْيَوْمَ لَا بِي أَصْبَحَ الشَّمْرُ
زاهراً/ وقد كنتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَلَكٌ شاعراً بغداد (١٩٤٤):

تَمَرَّسْتُ بِالْأُولَى فَكُنْتُ الْمَغَامِرَا وَفَكَّرْتُ بِالْأُخْرَى فَكُنْتُ الْمَجَاهِرَا
الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

وَفَضَّلْتَ عَيْشاً بَيْنَ تِلْكَ وَهَذَا بِهَ كُنْتُ - بَلْ لَوْلَا - مَا كُنْتُ شَاعِراً

فصلت أن تعيش بين المغامرة في الحياة وبين المجاهرة برأيك في شأن الآخرة.. وبهذا كنت شاعراً ولولا تمسكك بالأمرين: المغامرة والمجاهرة لما كنت شاعراً

وَكُنْتُ جَرِيئاً حِينَ يَدْعُوكَ خَاطِرٌ مِنَ الْفِكْرِ أَنْ تَدْعُو إِلَيْكَ الْمَخَاطِرُ

كنت جريئاً حين يدعوك خاطر من خواطر الفكر لذا كأنك كنت تدعو المخاطر لئلا بك

عَلَى يَقْوَأُ أَنْ لَسْتُ فِي النَّاسِ وَاجِدًا عَلَى مِثْلِهِ - إِلَّا الْقَلِيلَ - مُنَاصِرًا

وكنث واثقاً أنك لن تجد مناصراً على مثله، على مثل ذلك الخاطر الفكري، إلا قليلاً

وَكُنْتُ صَرِيحاً فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا وَكَانَ - وَمَا زَالَ - الْمُنَاصِرُ نَائِراً

فإن شأبها ما لم تجد عنه نذخة شَفَعَتْ بِهِ حُكْمَ الظُّرُوفِ مُسَاطِرًا

إن شاب الحياة ضرورة لم تجد نذخة عنها، مخرجاً منها، فإنك تسامر الناس بحكم الظروف، وليس لأنك تخلت عن فكرك. وهكذا كان الرصافي.. يهادن قليلاً ثم يعود ويطلق أفكاره الجريئة

فَقَدْ كُنْتُ عَنْ وَخِي الضَّرُورَةَ نَاطِقًا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ مُحَضِّرِ الطَّبِيعَةِ صَادِرًا

وإني إذ أهدى إليك تحييتي أهرؤ بك الجيلَ العَفَوقَ الْمُعَاصِرَا

أهرؤ بك الجيل الذي لا تهزؤه نَوَاطِئُهُ، حَتَّى تَزُورَ الْمَقَاسِرَا

هذا الجيل العاق لا تهز وجدانه أفكار ومعاماة التوايغ إلا بعد موتهم. ومات الرصافي بعد القصيدة بسنة على سرير معنني من الذي لا يكلف سوى دينار، بحسب تقدير الجواهري الذي زاره في آخر أيامه، وبعد موته نصبوا له تمثالاً معنياً أيضاً ولكنه كلف آلاف الدنانير

٤٤ قف بالمعرة

ألقاها في دمشق في الاحضالات بألفية أبي الملاء المعري (١٩٤٤):

قِفْ بِالمَعْرَةِ واسْمَحْ خَلْدَهَا التَّشْرِبَا واسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَعَبَا

قف بالمعرة، بلد أبي الملاء، واسمح بكفك خلدتها المعبر، واستوح، استنزل الوحي والإلهام، من شاعرها الذي طوق حلق الدنيا بطوق ممثل في فكره وأجبه

واسْتَوْحِ مَنْ طَلَّبَ الدُّنْيَا بِحُكْمَتِهِ وَمَنْ عَلَى جُرْجِهَا مِنْ رُوحِهِ سَكَبَا

أبا الملاء، وحتى اليوم ما برحت صنَّاجَةُ الشَّعْرِ تُهْدِي الْمُتَرْفَ الطَّرْبَا

يا أبا الملاء ما زالت صناجة الشعر، صاجاته الإيقاعية الرنانة، كصهدها تطرب المترف، الغي. أي أن الشعر ما زال مجرد تسلية للأغنياء الممدوحين

يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عُلْيَا مَنَازِلِهِ رَأْسٌ لِيَمْسَحَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ دَنْبًا
ترى رأس الشاعر، أي ذهنه، يتزل بالفكر من مراتبه العليا لكي يمسح ذيل ذي النعمة، الغني،
فيمده تملقاً

وَزُمْرَةُ الْأَدَبِ الْكَابِي بِزُمُرَتِهِ تَفَرَّقَتْ فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى عَصَبًا
وزمرة الأدب الكابي بزمرة، الخامد بسبب هذه الزمرة، تفرقوا عصباً، جماعات شتى، وكلهم
منشغلون بضلالات أهوائهم، مصالهم

تَصْبِدُ الْجَاءَ وَالْأَلْقَابَ نَاسِيَةً بِأَنَّ فِي فِكْرَةٍ قُنْدَسِيَّةٍ لَقَبًا
هذه الزمرة تعبد، أي تصيد، الجاء والألقاب ناسية أن الفكر بما فيه من قدسية هو خير لقب

وَأَنَّ لِلْعَبْقَرِيِّ الْفَذُّ وَاحِدَةٌ إِمَّا الْخُلُودَ وَإِمَّا الْمَالَ وَالنَّشْبَا
وناسية أن العبقرى الفذ، المفرد، له احتمال واحد من اثنين: الخلود أو نيل النشب، المال

على الحصير، وكوؤ الماء يَرْفُدُهُ وَذَهْنُهُ وَرُفُوفٌ تَحْمِلُ الْكُتُبَا . .
وهو جالس على حصير وليس لديه سوى كوز ماء وذهن وقاد، وحوله رفوف عليها الكتب . .

أَقَامَ بِالضُّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا شَيْخٌ أَظْلَلُ عَلَيْهَا مُشْفِقًا حَلِيبًا
.. بهذه الصفة أقام الدنيا وأقعدا هذا الشيخ، المعري، الذي نظر إلى الدنيا نظرة إشفاق
وحذب، حنان، لما يلاقيه أهلها من عناء

لَمْ يَنْسَ أَنْ تَشْمَلَ الْأَنْعَامَ رَحْمَتَهُ وَلَا الطُّيُورَ وَلَا أَفْرَاحَهَا الزُّعْبَا
لم ينس المعري أن تشمل رحمة المواشي والطيور وأفراحها الزغب، التي ما ثبت من ريشها إلا
الضعيف . . وكان المعري نباتياً جارفاً

حَنَا عَلَى كُلِّ مَقْصُوبٍ فَضَّيْدُهُ وَشَجَّ مَنْ كَانَ، أَيًّا كَانَ، مُغْتَصِبَا
كان يحنو على كل مظلوم فيضد جرحه، وكان يشج، يجرح، المغتصبين أباً كانوا ببقده لهم

سَلِ الْمَقَادِيرَ، هَلْ مَا زِلْتَ سَادِرَةً أَمْ أَنْتِ خَجَلِي لِمَا أُرْهَقْتِهِ نَصْبًا؟
أسأل الأقدار هل ما زلت سادرة، لامبالية، أم أنت تشعرين بالخجل لكثرة ما أُرهِقْتِ المعري
نصباً، ما حثك من العناء؟

نَعُوا عَلَيْكَ، وَأَنْتَ النَّوْرُ، فَلَسَفَةٌ سَوْدَاءٌ لَا لَذَّةَ تَبْغِي وَلَا طَرِبَا
نددوا بفلسفتك لأنها سوداء لا فيها لذة ولا طرب . . لكنت كنت مستتيراً

لَا أَكْذِبُكَ إِنَّ الْحُبَّ مُتَّهِمٌ بِالْجَوْرِ يَأْخُذُ مَنَّا فَوْقَ مَا وَهَبَا
الحب والعشق متهم بالجور، بالظلم، فهو يعطينا قليلاً من المتعة، ويأخذ منا الكثير من راحة البال

عَانَى لَطَى الْحُبِّ بَشَارٌ وَعُضِبَتْهُ فَهَلْ يَسْوَى أَتُهُمْ كَانُوا لَهُ حَطْبَا

فِشَارُ بْنُ بَرْدٍ وَصَحْبُهُ ذَاقُوا عَذَابَ الْحُبِّ، وَكَانُوا حَطْبًا لِنَارِهِ

هَلْ كُنْتَ تَخْلُدُ إِذْ ذَابُوا وَإِذْ غَبَرُوا لَوْلَمْ تَرْضَ مِنْ جِمَاحِ النَّفْسِ مَا صَعْبَا

فَبَيْنَمَا أَوْلَتْكَ الشَّعْرَاءُ قَدْ ذَابُوا وَغَبَرُوا، مَضَا وَانْتَهَتْ سِيرَتُهُمْ، لَكُنْكَ بَاقِي خَالِدٌ لِأَنَّكَ رَضْتَ جِمَاحَ النَّفْسِ، رَوَضْتَ نَفْسَكَ الْمُنْفَلَتَةَ وَضَبَطْتَ شَهْوَاتَكَ

تَأْبَى انْجِلَالاً رِسَالَاتٍ مُقَدَّمَةً جَاءَتْ تَقْوَمُ هَذَا الْعَالَمَ الْخَرِبَا

أَجْلَلْتُ فَبِكَ مِنَ الْمِيزَانِ خَالِفَةً: حُرِيَّةَ الْفِكْرِ، وَالْجِرْمَانِ، وَالْمَضْبَا

لِثَوْرَةِ الْفِكْرِ تَارِيخٌ يُحَدِّثُنَا بِإِذْ أَلْفَ مَسِيحٍ دُونَهَا صُلْبَا

تَارِيخُ ثَوْرَةِ الْفِكْرِ يَقُولُ إِنَّ أَلْفَ مُفَكِّرٍ صَلَبَ كَالْمَسِيحِ دُونَهَا، أَيْ حَمَاةَ لثَوْرَةِ الْفِكْرِ

٤٥ تَرْحِيبُ بَطْنِ حُسَيْنٍ

وَعَدَ لَهُ حُسَيْنٌ بَزِيَارَةَ الْعِرَاقِ، دِمَشْقَ (١٩٤٤):

أُنْبِئِكَ أَنَّ الرَّافِدِينَ تَطَلَّعَتْ ضِيْفَانُهُمَا وَاسْتَنْهَضَ الشَّجَرُ الزُّرْهَا

تَطَلَّعَتْ ضِيْفَانُ النَّهْرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَرْفِدَانِ الْعِرَاقَ إِلَى مَقْدَمِكَ وَأَخَذَ الشَّجَرُ يَطْلُبُ مِنَ الزَّرْعِ أَنْ يَنْهَضَ لِاسْتِجَابَتِكَ

نَمَى خَبِرٌ أَنْ سَوَّفَ تَسْمَى إِلَيْهِمَا فَكَادَ إِلَيْكَ النَّخْلُ مِنْ طَرَبٍ يَسْمَى

وَصَلَ خَبَرُ أَنَّكَ سَتَأْتِي فَكَادَ النَّخْلُ يَمْشِي لِاسْتِجَابَتِكَ. مَجْتَوُونَ لَهُ حُسَيْنٌ! سَمِعَ بَيْتَيْنِ كَهْذَيْنِ فِي التَّرْحِيبِ بِهِ ثُمَّ لَا يَزُورُ الْعِرَاقَ. . مِنْ يُقَالُ فِيهِ بَيْتَانِ كَهْذَيْنِ يَأْتِي إِلَى الْعِرَاقِ زَحْفًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَرَاحَتَيْهِ. قَدْ أَلْفَى الْجَوَاهِرِيُّ الْفَصِيدَةَ فِي دِمَشْقَ، فِي خُصْمِ احْتِفَالِ بَذَكْرَى الْمَعْرِيِّ، وَرَدُّهُ رَدًّا جَمِيلًا قَائِلًا إِنَّهُ يَنْتَظِرُ أَنْ تَنْهِيَ الْأَسْبَابَ. وَطَهُ حُسَيْنُ الَّذِي كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ مِثْلَ أُمِّ الْمَرْسُوسِ مُتَصَدِّرًا النَّدَوَاتِ وَيُلْقِي خُطْبًا كَأَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ لِرَئِيسِ دَوْلَةٍ - نَقَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لَنَا كِتَابُ صَدْرٍ عَنْ مَجْمَعِ دِمَشْقَ - كَانَ «الْبَطْنُ»، وَالْأَلِيطُ فِي لُغَةِ أَهْلِ مِصْرَ: الْمُتَكَبِّرُ تَكَبُّرًا أَتَقْنَاءَ، الْعَارِفُ قَدَّرَ نَفْسَهُ، التَّارِكُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرِينَ مَسَافَةً مُحْصَوِيَةً بِالْمُتَمَتِّعِ. لَكِنْ طَهُ أَحَبَّ الْجَوَاهِرِيُّ وَسَاعَدَهُ وَرَفَعَهُ، وَكَانَ طَهُ حُسَيْنٌ يَعْرِفُ أَفْئَادَ النَّاسِ، وَيُبْذِلُ لِلْأَدْبَاءِ مِنْ جَاهِهِ، وَمِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ

٤٦ يَافَا

(١٩٤٥):

يَافَا بِوَمٍ حُطَّ بِهَا الرُّكَّابُ تَمَطَّرَ عَارِضٌ وَدَجَا سَحَابُ

يَوْمَ أُنْزِلَ رُكَّابًا فِي يَافَا، أَيْ وَصَلْنَاهَا، أَمَطَرَ عَارِضٌ، غَيْمٌ، وَدَجَا سَحَابٌ، أَيْ عَقَدَ ظِلْمَةً فِي الْجَوِّ

وَقَفْتُ مُورَّعَ النُّظَرَاتِ فِيهَا لِيُظَرِّفِي فِي مَغَانِيهَا انْسِيَابُ
وَمَوْجُ الْبَحْرِ يَغْسِلُ أَخْمَصَيْهَا وَيَالْأَنْوَاءُ تَغْتَسِلُ الْقِيَابُ
الأنواء: الأمطار

وَيَبَارَاتُهَا ضَرَبَتْ نِطَاقاً يُحَظِّطُهَا، كَمَا رُسِمَ الْكِتَابُ
البيارات: ساتين البرققال، وكانت تحيط بيافا وتخطط لها حدودها، كما تكون الكتابة في صفحة الكتاب، أي المصنف، محاطة بإطار

أَقْلَسْنِي مِنَ الزُّورَاءِ رِيحٌ إِلَى يَافَا وَحَلَّقَ بِي عُقَابُ
حملتني من الزوراء، لقب بغداد، ريح، وحلق بي عقاب، العقاب من الكواسر. سافر الجواهري إلى فلسطين بالطائرة (أول مرة يفعلها، ثم إن شاعرنا وقع في حب السفر جواً) . . . وحط في مطار اللد القريب من يافا

رَكِبْنَاهُ لِيُبَلِّغَنَا سَحَاباً فَجَاوَزَهُ لِيَبْلُغَنَا السَّحَابُ
ركبنا هذا العقاب، الطائرة، ليلعب بنا السحاب، فتجاوز السحاب علواً فصار السحاب هو الذي يريد أن يصعد إلينا

أَحَقّاً بَيْنَا اخْتَلَفَتْ حُدُودُ؟ وَمَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ وَلَا الثَّرَابُ
وَلَا انْفَرَقَتْ وَجُوهٌ عَنْ وَجُوهٍ وَلَا الضَّادُ الْفَصِيحُ وَلَا الْكِتَابُ
لَيْسَ حَمُّ الْوَدَاعِ فَضِيقْتُ ذُرْعاً بِهِ، وَاشْتَقُّ مُهْجَتِي الذَّهَابُ
حم: أرف وحان وقضي، اشتف مهجتي: برى قلبي برأ

فَمِنْ أَهْلِي إِلَى أَهْلِي رُجُوعٌ وَعَنْ وَطَنِي إِلَى وَطَنِي إِيَابُ
وقال الجواهري من بعد: ليتني ما كنت رأيت فلسطين كي لا أتسر على ضياعها

٤٧ تقحمت صدري

في ذكرى الحسين، بغداد (١٩٤٧):

تَقَحَّمْتُ صَدْرِي وَرَيْبُ الشُّكُوكِ بِضِيحٍ بِجُدْرَانِهِ الْأَزْجَعِ
يخاطب الحسين: دخلت في قلبي بقوة رغم أن قلبي مملوء بالشكوك في أمر الدين
وَقَدَسْتُ ذِكْرَكَ لَمْ أَتَحِجَّلْ ثِيَابَ الثُّقَاةِ وَلَمْ أَدْعِ
وقدست ذكرك، لكن دون أن ألبس لبوس الأتقياء ودون ادعاء بأنني متدين

٤٨ جراح الشهيد

القاما في حفل بعد سبعة أيام من مقتل أخيه الأصغر جعفر، بغداد (١٩٤٨):

أَتَفَلَّمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَفَلَّمُ بِأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا قَمُ؟

يَصِيحُ عَلَى الْمُذْقِعِينَ الْجِياع أَرِيْقُوا دِمَاءَكُمْ تُطْفِئُوا

هذا الفم يصيح على المذقيين، الفقراء، طالباً منهم أن يثوروا لكي ياتوا رزقهم وحفهم

وَيَهْوِفُ بِالنَّفَرِ الْمُهْطِعِينَ أَهْبُوا لِأَمَّاكُمْ تُكْرَمُوا

المهطعين: الخائضين

أَتَفَلَّمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ تَطْلُ مِنَ النَّارِ تَسْتَفْهِمُ

تُمْسُ دَمًا نَمَ تَبْغِي دَمًا وَتَبْقَى تُبْلِحُ وَتُسْتَظْهِمُ

تستظم: تطلب الطعام.. من دم العدو

نَقُلُ لِلْمُتَّقِمِ عَلَى ذُلِّهِ هَجِينًا يُسَخَّرُ أَوْ يُلْجَمُ

الهجين: غير الأصل، يلجم: يوضع له لجام لكي يروض ويدلل

تَقَحَّمُ، لُعِنَتْ، أُرِيزَ الرِّصَاصِ وَجَرَّبَ مِنَ الْحَطِّ مَا يُقَسِّمُ

اتقحم الرصاص وجرب الحصول على ما قسمه الله لك من حظ

وَحُضِّهَا كَمَا خَاضَهَا الْأَسْبِقُونَ وَتَنْ بِمَا افْتَتَحَ الْأَقْدَمُ

تَنْ: كن ثانياً بعد آباءك الأسماء.. أي أكمل مسيرتهم

يَقُولُونَ مَنْ هُمْ أَوْلَاءِ الرُّعَاةِ؟ فَأَقْبَهُنَّهُمْ بِدَمٍ مَنْ هُمْ

وَأَقْبَهُنَّهُمْ بِدَمٍ أَنَّهُمْ عَبِيدُكَ إِنْ تَدْعُهُمْ يَخْدُمُوا

أقبحهم المستعمرين بأنهم، بأن المستعمرين، عبيدك

وَأَنَّكَ أَشْرَفُ مِنْ خَاصِرِهِمْ وَكُفِّبُكَ مِنْ خَسَدِهِ أَكْرَمُ

أنت أشرف من أحسنهم، وكعبك أكرم من خد هذا الذي هو أحسنهم

أَرَى أَفْقًا يَنْجِيحُ الدَّمَاءِ تَنْوَرُ، وَاخْتَفَّتِ الْأَنْجُمُ

أرى الأفق محمراً لكن احمراره هذا من النجيج، الدم

سَتَبْقَى طَوِيلًا تُجَرُّ الدَّمَاءَ وَلَنْ يُسْبِرَ الدَّمَ إِلَّا الدَّمَ

ستواصل الدماء جر مزيد من الدماء، ولن يبرد دم شهدائنا إلا سكب دم الأعداء

وَأَخْبِ تَنَايِدُ عَنْكَ النُّجُومَ لَعَلَّكَ مِنْ بَيْنِهَا تَنْجُمُ

تنجم: تظهر

وَنَزْعُهُمْ أَتَيْكَ تَأْتِي الصَّبَاحَ وَقَدْ كَذَّبَ الْقَبْرُ مَا تَزْعُمُ

نزعم أختك أنك ستأتي في الصباح، ولكن قبرك يكذب زعمها

بِمِثْلٍ لَنَنْهَضُنِي الذِّكْرِيَّاتُ عَلَيْكَ كَمَا يَنْهَشُ الْأَرْقَمُ

الأرقم: الثعبان

٤٩ ضياع فلسطين

بغداد (١٩٤٨):

فَمَا ذَهَبَتْ فِلَسْطِينَ بِسِحْرِ وَلَا كُنِيَِبَ الْفَنَاءِ بِلَا مِدَادِ

فلسطين لم تذهب بقدرة سحرية بل بسبب عدو قوي، والفناء للشعوب والبلاد لا يكون من الطلاس بل من أسباب واضحة كأنها كتبت بالمداد، الحبر

وَلَا طَاحَ الْبِنَاءُ بِلَا انْجِرَافٍ وَلَا بَنَتْ الْيَهُودُ بِلَا عِمَادِ

طاح: سقط، عماد: قوة واستعداد، وهو في الأصل عمود الخيمة

٥٠ النوق، وقلة النوق

بغداد (١٩٤٩):

تَعَالَيْ أَدُّكَ فُكْلُ الثَّمَارِ نَرِفْ، وَنُؤَاؤُهَا يُقَطِّفُ

يريد أن يذوق المحبوبة! فالثمار تتمايل على غصونها ومصيها أن تقطف لتأكلها لا أن تبقى لتفزع عليها

صِرَاعٌ يَطُولُ فَكَمْ تَهْتَفِينَ إِلَى الرُّوحِ مِنِّي وَكَمْ أَهْدُفُ . .

صراع يطول بين الفتى والفتاة.. هو صراع الغزل والدلال.. والفتاة تهدف إلى امتلاك روح

فتاها.. وهو يهدف إلى..

إِلَى الْجِسْمِ مِنْكَ، وَكَمْ تَعْرِفِي مَنْ أَيْسَرَ السَّحَرُ وَكَمْ أَغْرِفُ

يهدف إلى جسمها.. وهي تعرف أين المحز، المفصل، وهو يعرف.. والبارع هو الذي «يطبق المفصل» مثلما يعرف القصاب جيداً أين مكان التقاء العظمتين فيمس سكينه في المكان الصحيح.

يقول إن العاشقين كليهما يعرفان طقوس هذه اللعبة جيداً

وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ يَمْشِي الزَّمَانُ وَيُقْنِي مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ

وبين هدف المرأة إلى امتلاك روح الرجل وتكوين أسرة، وهدف الرجل إلى المغامرة نشأ الأجيال

ويمشي الزمن ويخلد الجنس البشري

٥١ صبية الاستعمار

القاهيا في لبنان، في تأبين عبد الحميد كرامي (١٩٥٠):

باقٍ، وأعمارُ الطُّغاةِ قِصارُ، مِنْ سِفْرِ مَجْدِكَ، حَاطِرُ مَوَارِ
سقى ذكر عاطر موار، مترقق، من كتاب مجلدك . . بينما أعمار الطغاة قصيرة، إلا لا يلوم لهم ذكر

فإذا ذُكرتْ بكِ البلادُ قَعَاذِرُ فَهِيَ الحَبِيبُ لِنَفْسِكَ الْمُخْتَارُ
فإن ذكرت في تأيئك أوضاع البلاد فأنت تعذرنى لأنها الحبيبة إلى نفسك

عبدُ الحميدِ وما تزالُ كعَهدِها شَغَبٌ يُذَلُّ، وأُمَّةٌ تَنهَارُ
البلاد يا عبد الحميد على حالها

تَنْهَى وتَأْمُرُ ما تَشَاءُ عِصَابَةٌ يَنْهَى وَيَأْمُرُ فَوْقَها اسْتِعْمارُ
وقيل إن القصيدة سببت للشاعر مشكلة مع السلطات اللبنانية، فتمنع من دخول لبنان مدة من الزمن، وأزال المنع ابن المؤين «رشيد كرامي» عندما صار رئيس وزراء

٥٢ نامي

(١٩٥٠):

نامي جِياعِ الشَّمْبِ نَامي حَرَسَتْكَ إِلَهَةُ الطَّمَامِ

نامي فإِنْ لَمْ تَشَبَّ مِمي مِنْ يَنْقُطَةِ فَمِنْ المَنَامِ

نامي على زَيْدِ الوُعُودِ دُيُذَاتُ فِي عَسَلِ الكَلَامِ

نامي يا جموع الشعب على زيد الوعود، والزيد الرغوة، يذاف، يخلط، بالكلام المعسول من
الهاكئين بقرب تحقق الرخاء

نامي تَرْزُوكِ عَرَائِسُ الدِّ أَحْلَامِ فِي جُمُوحِ الظَّلَامِ

تَشَنُّوْرِي قُرْصِ الرُّغْبِ فِي كَدُورَةِ البَنَرِ التَّمَامِ

نامي حتى تنوري، تشاهدي، الرغيف كأنه البدر

وَتَرْبِي زَرَائِمِكَ الْفِيسَا حَ مُبَلَّطَاتِ بِالرُّخَامِ

في الأحلام ترى الشعوب بيوتها - التي هي كالزرائب، بيوت الماشية - قصوراً مبلطة بالرخام

نامي تَصِحِّي، نَعْمَ تَوُ مُ المَرءِ فِي الكُرْبِ الجِسامِ

نامي إلى يَوْمِ النُّشُورِ وَ يَوْمِ يُؤَوِّدُنْ بِالْقِيَامِ

النشور: البعث من القبور

نامي وسييري في منا يك ما استطعت إلى الامام
 نامي على تلك العظا ت العر من ذاك الإمام
 نامي يساقط رزقك الـ مؤعود فوقك بانتظام
 نامي فما الدنيا سوى جنس على تكدي مقام
 نامي على المجد القديـ سم وفوق كؤم من عظام
 الدائم على كوم عظام هو المفتخر بعظام أجداده، هو «العظامي» في مقابل «العصامي» المفتخر بما أجز بنفسه

٥٣ العواء

بغداد (١٩٥٣):

عدا علي كما يستكلب الذئب خلق ببغداد أنماط أهاجيب

عدا علي: ظلمي، استكلب: توحش

يسعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ضوء من القمر المنبجج مسكوب

يشير إلى المثل: كلب ينجح القمر، لمن يشتك ولا يستطيع أن يذبح

وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت أبا محسد بالشئم الأهاريب

قبل ألف عام عوى ألف كلب على أبي محسد، المتنبئ، ولم يتقص ذلك شيئاً من مجده

٥٤ انتظار الفرج

بغداد (١٩٥٥):

كُنَّا نقول إذا ما فائنا سحر لا بُدَّ من سحر ثانٍ يواتينا

السحر: قيل الشروق، يواتنا: يتاح لنا

لا بُدَّ من مطلعٍ للشمس يُفرحنا ومن أصيلٍ على مهلٍ يُحبِّبنا

واليوم نرُقُبُ في أسحارنا أجلاً نقوم من بعده عَجَلَى نواعينا

٥٥ صنائع الاستعمار

ألقيت بدمشق في ذكرى عدنان المالكي، الضابط الذي اغتيل بتدبير نوري السعيد كما قيل، وأراد الشاعر إخافة حكام المراق بقصيدته، ومنح بعد القصيدة اللجوء السياسي في الشام (١٩٥٦):

واهزأة الأحلاف بين مسخّر ومسخَّرين، وسبِّد وإماء

يا للحرية لحلف يقوم بين السيد والعبد، وبين المستعير والقوم الذين تحت استعمار

يا مَنْ رَأَى جِلْفاً عَجِيباً أَمْرُهُ بَيْنَ الثَّرَى وَكَوَاكِبِ الْجَوَازِ
دَوَّى عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ صَوَاعِقاً وَغَيَّ الشُّعُوبِ وَيَقْطَعُ الدُّمَاءِ
الدُّمَاءُ: عامة الناس... ويستعملها الجواهري بالمعنى الإيجابي خلافاً للمألوف

وَتَكْشَفُوا غُرِيّاً عَلَى أَضْوَائِهَا مِثْلَ اللُّصُوصِ بِلَيْلَةٍ قَمَرَاءِ
وَتَقَبَّحَتْ مِنْ زِمْنَةٍ فَتَعَقَّنَتْ بِصَدِيدِهَا ضَمَائِرُ الْأَجْرَاءِ
ضمائر المأجورين الذين يعملون لصالح المستعمر تقبحت من الزمّة، المرض المزمن، وتعفت بما فيها من صديد، ولةً وقيح

فَهُمْ كَفَاجِرَةٍ تُغْطِي جَهَنَّمَ صِدْقُ الْفُجُورِ بِكَاذِبِ الْخِيَلِ
السَّائِرُونَ الْفَهْقَرَى، لم يعرفوا بَيْنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ غَيْرَ وَرَاءِ
وَهُمْ يَزُومُونَ الْحَقَائِبَ خَشِيبَةً مِنْ قَبْضَةِ الْأَقْدَارِ كَالنُّزْلِ
يجعلون متاعهم وأموالهم في حقائب لكي يفروا من البلد إن فاجأتهم الثورة. وكان الوصي عبد الإله ونوري السعيد قد فرأوا من العراق في خضم حركة رشيد عالي الكيلاني قبل القصيدة بخمس عشرة سنة

٥٦ البساتين

دمشق (١٩٥٦):

جَزَائِرُ! دَارَتْ بِمُسْتَعْمِرٍ رَحَى مَنْ يُفْسِرُ بِهَا يَهْلَعُ
أيها الجزائر لقد دارت على المستعمر الرحى، الطاحون، التي تجعل من يفسر بها، يطنح، يشعر بالهلع

مَشَتْ لَكَ بَارِيسُ أُمُّ الْحَقْوِ فِي وَخْشٍ يَدِبُ عَلَى أَرْبَعِ
تَهْدُمُ بَسَاتِينَ فِي مَوْضِعٍ وَتَبْنِي بَسَاتِينَ فِي مَوْضِعٍ
هدمت فرنسا البساتين، رمز سطوة الملكية، بباريس؛ وتبني بساتين في مستعمراتها لاضطهاد الشعوب

٥٧ بردى والنيل

في ذكرى عدنان المالكي، دمشق (١٩٥٧):

هَذَا بِجِلْقٍ عَمَلَقٌ عَلَى بَرْدَى وَثُمَّ فِي مِصْرَ يَحْمِي النَّيْلَ جَبَّارُ
هنا في الشام وعلى ضفاف بردى يقف عملاق هو الجيش السوري الذي كان من بناته عدنان المالكي صاحب الذكرى وثم، أي هناك، جبار يحمي النيل

اسْلَمَ جَمَالٌ لَنَا نَسَلَمَ، فَقَدْ عَرَفَتْ بِكَ الْكَرَامَةَ فِي الشَّرَفَيْنِ أَمْصَارُ
جمال عبد الناصر، وكان يتم آنذاك الإعداد لرحلة مصر وسورية التي تمت وشيكاً
وانصاعَ يَبْرِي سِيوفَ الْهِنْدِ لَاهِبَةً مُهَنْدٌ يَغْرِي الحَدَّ بَنَارُ
انصاع: انشغل

تَغْشَى الْمَشَاكِلُ مَثْنِيَهُ فَيَحْسِمُهَا لَا حَيْثُ تَطْفَى وَلَكِنْ حَيْثُ يَخْتَارُ
هذا السيف العربي الذي هو عبد الناصر تغشى المشاكل متبهاً، تحل المشاكل بجانيه، فيحسم
أمرها ليس بالضرورة في مكان وقوعها بل في المكان الذي يختاره هو

لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَ الْعَرَبِ مِنْ صَبْرٍ بِهِمْ عَلَى الضَّرِّ الْإِحَاحُ وَإِصْرَارُ
صبر: صابرون، وفيهم على الضر، أي رغم الضيق، إصرار

نَحْنُ الَّذِينَ أَعْرَضْنَا الْكُونَ بِهَجَّتِهِ لَكِنَّمَا الدَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ
شِدْنَا الْحَيَاةَ وَكُوَفُّنَا السَّمَاتِ كَمَا شَادَ الْخَوَزَنَقُ كَنِي يَرْدَى سِيَمَارُ
شاد العرب حياة وحضارة عنت الآخرين وكوفتوا بهبوط وانحطاط دولتهم، فهم مثل (سمنار)
المهندس الذي بنى للنعمان قصر الخوزنق ثم قتله النعمان

٥٨ الرنوع

إلى شكوي القوتلي، رئيس سورية، دمشق (١٩٥٧):

أَنَا وَاللَّهُ رَاتِعٌ فِي ذَرَا لُظْ خُفِكَ مَا بِي إِلَى سِوَاكَ احْتِجَاؤُ
يخاطب رئيس سورية شكوي القوتلي، وكان الجواهري في ضيافة سورية. في ذرا: في كف
غَيْرَ أَنِّي بِالْمَالِ أَضْوَى، وَإِنْ أَشْ سَمَنْ غَيْرِي، إِنَّ النُّفُوسَ مِزَاجُ
بالمال أضوى، أصبح مهزولاً، وإن كان المال يجعل غيري سميناً. وكان الجواهري يتلقى المال
من الحكومة السورية والمراقبة والتشيكوسلوفاكية والمصرية ومن بعض أثرياء العراق. كل هذا في
أوقات مختلفة تلطي وتفتري. وتألفت الحكومة العراقية بعد انتفاضة تشرين بمزرعة من ثلاثة آلاف
دونم معظمها غامر، بور غير صالح للزراعة، واعتبر المنحة حقاً، لكنه سكت زمناً بعدلها

٥٩ الذئب

بغداد (١٩٥٩):

مَنْ مِنْكُمْ، رَغَمَ الْحَيَاةَ وَعَبِيْهَا لَمْ يَحْتَسِبْ لِلْمَوْتِ أَلْفَ حِسَابِ
ذُئِبٌ تَرَصَّدَنِي وَفَوْقَ نُيُوبِهِ دَمٌ إِخْوَتِي وَأَقَارِبِي وَصِحَابِي
الموت ذئب يقف لي بالمرصاد، وأنا أرى على أنيابه دم من مات من أهلي وأصحابي

٦٠ في تمجيد الحاكم

في افتتاح المستنصرية متحفاً ومزوراً (١٩٦٠):

أَعِدْ مَجْدَ بَغْدَادٍ وَمَجْدُكَ أَغْلَبُ وَجَدِّدْ لَهَا عَهْدًا وَعَهْدُكَ أَطْيَبُ

تَسْرَبْ هَمْسٌ أَنَّ فَقْعًا بِقَرْقَرٍ يُعِدُّ شِرَاكًا لِلْهَزَنِيِّ وَيَنْصِبُ

الفتح الفطر، والقرقر المكان المنخفض (وقع بقرقر: أي شخص تافه)، وقد يلعب أن هذا الشخص ينصب شاكاً للأسد، والأسد هو عبد الكريم قاسم. وكان الجواهري ذا منزلة عنده.. ثم تغير الوضع في أواخر عهده

وَأَنَّ الَّذِي خَلَفَ الْحُدُودَ يَحْمُدُهُ كَلِصَّ يَجُوسُ الْبَيْتِ لَيْلًا وَيَهْرُبُ

التأمرون على حكمك تملأهم بالمال جهة خارجية

أَبَا الشَّعْبِ لَا يَنْعَبُ حَوُونٌ مُغَايِرٌ فَخَلَقَكَ شَعْبٌ لِلْحَوُونِ مُنْعِبٌ

أبو الشعب: عبد الكريم قاسم، حاكم العراق

سَلِ الشَّعْبَ رَحْفًا تَدْرِ كَيْفَ رُحُوفُهُ وَيَذَلَّا تَجِدُ أَرْوَاحَهُ كَيْفَ ثَوْبُهُ

سَتَهْوِي رُؤُوسٌ مَا اشْتَكَى مِنْكَ إِضْغَعٌ وَتُلَوِّي رِقَابًا مَا التَوَّى مِنْكَ مَنَكِبُ

وكان قاسم تعرّض لمحاولة اغتيال أصيب فيها في كتفه برصاصة

٦١ فاوست

في مهرجان الأخطل الصغير، بيروت (١٩٦١)، وقد اتخذ الجواهري المناسبة حجة
ليفر من بطش عبد الكريم قاسم

بَا مَنْ يُقَابِضُنِي صَدَى الْـ هَمَسَاتِ وَالسَّرِّ الْمُرِيبِ

يريد أن يعقد مقابلة.. فمن ذا يمنحني السر المريب، هذا سر مريب غير بريء بل به خمر ونساء..

وَتَسَابُرُ الْقُبُلَاتِ فَمِي نَجْوَى كُمُسَّرَقِي الدَّبِيبِ

من ذا يعطيني تنازع، تبادل، القبلات مع نجوى، همس، كأنها ديب على أطراف الأصابع مسترق استراقاً..

وَيَدَا تَحَبَّطَ فِي الْهَوَى وَيَدَا تُعَابِثُ فِي الْجُيُوبِ

ومن يعطيني يد محبوب تتخط أثناء العناق، ويد حبيب تعبت في الجيوب.. والحب هو فتحة العنق في القميص

يَا مَنْ يُقَابِضُنِي رَيْبَ سَحَابِ الْعُمُرِ ذَا الْمَرْجِ الْعَشِيبِ

من ذا يعطيني الشباب الذي هو كالرييح المعشب

بِالْمَقْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بِخُرَافَةِ الثَّمَنِ الْخَصِيبِ

وله مقابل ذلك العبقرية الشعرية وخرافة الثمن الخصيب

شَيْطَانٌ غَوْتَةٌ! يَا رَبِّ سَبَّ الْغَنَرِ وَالثَّمِّ وَالْخُرُوبِ

يا شيطان غوته، يا بفستوفيليس الذي جعله غوته في ملحمة يخوض مقابضة شبيهة مع البطل فاوست (شيطان غوته عرض العلم اللامتناهي والملاذات مقابل أن يمتلك روح البطل)

وَمُقَابِضَ السَّبْعِينَ بِالْـ عَشْرِينَ عَنْ ثَمَنِ رَهَبٍ

يا من يقابض فيعطيني سن العشرين بدل سن السبعين مقابل الثمن الرهيب

لَوْ جِئْتَنِي لَوَجَدْتَنِي مَحْضَ السَّمْعِ الْمُسْتَجِيبِ

لَبْنَانُ يَا وَطَنِي إِذَا حُلُلْتُ عَنْ وَطَنِي الْحَبِيبِ

حللت: أبعثت عن الماء

أَبَشَارَةٌ! وَإِلَيْمَا شَكَايَ أَفْرُكُ يَا حَبِيبِي

هَلْ صَاكَ سَمْعَكَ أَنَّنِي مِنْ رَافِدَتِي بِلَا نَصِيبِ؟

هل وصل إلى سمعك يا بشارة الخوري أنه لا نصيب لي من الرافدين، العراق؟

٦٢ المنفي

براغ (١٩٦١):

أَنَا مِنْ يَلُكُمُ الضُّحَايَا، رَمَتْ بِي فِكْرَةٌ حُرَّةٌ وَرَاءَ الْحُدُودِ

لَمْ أَطِقْ كَثَمَهَا، وَأَعْلَمُ كُلَّ الـ عِلْمِ أَنَّنِي بِهَا أَحْزُ وَرَيْدِي

أَنَا فِي عِزَّةٍ مُنَا، غَيْرَ أَنَّنِي فِي قُوَادِي يَنْزُرُ جُرُحَ الشَّرِيدِ

لِي عِتَابٌ عَلَى بِلَادِي شَدِيدٌ وَعَلَى الْأَقْرَبِينَ جِدُّ شَدِيدِ

يَا لِبَغْدَادَ حِينَ يَنْتَصِفُ الثَّاءُ رِيحٌ مِنْ كُلِّ نَاكِيرٍ وَجُحُودِ

٦٣ أم البساتين

قال الجواهري عام (١٩٦١) وهو لاجئ سياسي في براغ:

حَبِيبْتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَبِّينِي يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا أُمَّ الْبَسَاتِينِ

يا دجلة.. يا ساقية البساتين فكانك أمها.. حيث سفحك، شاطئك، وأنا بعيد عنه

حَيِّثُ سَفَحَكَ ظِمَانًا أَلُوذُ بِهِ لَوَذَ الْحَمَائِمِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ
 بِأَدَجَلَةِ الْخَيْرِ يَا نَبْعًا أَفَارِقُهُ عَلَى الْكَرَامَةِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَبْنِ
 إِنِّي وَرَدْتُ حَبُونَ الْمَاءِ صَافِيَةً نَبْعًا فَنَبْعًا فَمَا كَانَتْ لِتَرْوِينِي
 وَأَنْتَ يَا قَارِيَا تَلْوِي الرِّيحَ بِهِ لَيَّ النَّسَائِمِ أَطْرَافَ الْأَقَانِينِ
 تلوي الرياح القارب يميناً ويساراً كما تلوي النسائم أطراف الأفانين، الأعصان، لَبَّأ

وَدِدْتُ ذَلِكَ الشَّرَاحَ الرَّخْصَ لَوْ كَفَّنِي يُحَاكُ مِنْهُ عَدَاةَ الْبَيْنِ بِطَوِينِي
 وددت أن الشراح الرخص، الناعم، يخاط لي مه كفني عندما يغيني البين، الفراق. فالنوم أسهل
 من فراق الوطن

يَا أُمَّ بَغْدَادَ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ عَنَجٍ مَشَى التَّبَعْدُ حَتَّى فِي الدَّهَاقِينِ
 من ظرفك يا دجلة يا أم بغداد، التي لولاهما لما كانت بغداد، ومن رقتك وغنجك انتشر التبغدد،
 التمددين والرفقة والدلال والنعمة، حتى في الدهاقين، ملاك الأرض من المعجم. وظلت كلمة البغدة
 حتى يومنا تعني الدلال والنعمة

يَا أُمَّ بِلَكَ الَّتِي مِنْ أَلْفٍ لَيْلَتِهَا لِأَنَّ يَغْبَقَ عِظْرُ فِي السَّلَاحِينِ
 يخاطب دجلة: يا أم تلك المدينة (بغداد) التي ظل أثر قصصها المسماة «ألف ليلة وليلة» عابقاً في
 السلاطين، الغناء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مَا يُغْلِبُكَ مِنْ حَقِّي يُغْلِي فُؤَادِي، وَمَا يَشْجِيكَ يَشْجِينِي
 ما يجعلك تغلبن من الحق والغضب يجعل فؤادي يغلي أيضاً

أَدْرِي بِأَنَّكَ مِنْ أَلْفٍ مَضَتْ هَدْرًا لِأَنَّ تَهْزِينَ مِنْ حُكْمِ السَّلَاطِينِ
 من ألف سنة مضت هدرًا، مهدورة لم تشهد فيها ازدهاراً، وحتى اليوم أنت تهزين من حكم
 السلاطين

تَهْزِينَ أَنْ لَمْ تَزَلْ فِي الشَّرْقِ شَارِدَةً مِنْ النُّوَاوِيسِ أَرْوَاحُ الْفَرَاعِينِ
 تهزين لأن الشرق يعاني من المسبيين، فكان أرواح الفراعنة ظلت شاردة من النواويس، القبور،
 ونحل في أجساد الحكام الحاليين. . وفرعون العراق وقتذاك هيد الكريم قاسم

تَهْزِينَ مِنْ خِصْبِ جَنَاتٍ مُنْتَشِرَةٍ عَلَى الصُّفَافِ وَمِنْ بُؤْسِ الْمَلَايِينِ
 تهزين من هذا التضاد بين الخصب والجنان على شاطئيك وبين وجود الملايين من الفقراء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مِنْ كَنْزٍ مَوْهِبٍ لَدَيْكَ فِي الْقُمْمِ الْمَسْحُورِ مَخْزُونِ
 ما أكثر المواهب التي كتبت في العراق كأنها مخزونة في قمم مسحور، جرة النحاس التي يحس
 فيها المارد

لَعَلَّ يَوْمًا عَصُوفًا جَارِفًا عَرِمًا آتٍ فَتَرْضِيكَ عُقْبَاهُ وَتَرْضِيَنِي

لعل هناك ثورة عارمة ستأتي وترضى بعقباه، بتيجتها

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ إِنَّ الشَّعْرَ هَذَهْدَةٌ لِّلْمَسْمُوعِ مَا بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينٍ

هذهدة للمسع: تحريك هادئ له، كما تحرك الأم وليدما كي ينام، التوين: العنة، الصوت الأنفي الحنون

حَتَّى الضَّفَادِعُ فِي سَفْحَيْكَ سَارِيَّةٌ عَاطِيَتُهَا قَاتِنَاتٍ حُبٌّ مَفْتُونٌ

حتى الضفادع في شاطئيك أحييتها وتبادلته معها وهي سارية، ماثية ليلاً، وفاتنة، حب المفتون بها. وسبت للجواهري أبيات جعل فيها تقيق الضفادع رسولاً بين المحبين

عَارَ لُثْهَرٌ خَلِيعَاتٍ وَإِنْ لَبِستَ مِنَ الطَّحَالِبِ مَزْهُوُ الْفَسَاتِينِ

خليعات: عاريات.. رغم أن الضفادع تلبس لباساً معجباً من الطحالب

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ الْأَلَى خَيْرُهَا بِلَوَايَ لَمْ أَلِفْ حَتَّى مَن يُوَاسِينِي

من بين كل من عرفوا بمعصيتي لم أجد من يواسيني

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا مَن ظَلَّ طَائِفُهَا عَنْ كُلِّ مَا جَلَّتِ الْأَحْلَامُ يُلْهِينِي

طائف دجلة، طيفها الذي يتباهي في صحرو أو منام، يلهيني عن كل طيف تجلوه، وتبديه، الأحلام

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ خَلَّيْنِي وَمَا قَسَمْتُ لِيِ الْمَقَادِيرُ مِنْ لَذْعِ الثَّمَابِينِ

وَأَرْكَبُ الْهَوَى فِي رِيحَانِ مَأْمَنَةٍ حُبِّ الْحَيَاةِ يَحُبُّ الْمَوْتَ يُغْرِينِي

أركب المخاطر في ريحان مأمنة، في عز زمن الأمان، وحيي للحياة الكريمة يغريني بأن أستهيئ بالموت.. يل بأن أحبه

وَمَا الْبُطُولَاتُ إِصْحَارُ وَإِنْ قَنِمَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ مِنَ الْعَلْيَاءِ بِالْهُونِ

البطولات لبست معجزات بل هي سهلة على الشجاع، فأما نفس الجبان فترضى بالهون، اللذل، بدلاً من العلياء، المجد

لَا يُؤَلِّدُ الْمَرْءَ لَا هِرَاءً وَلَا سَبْعًا لَكِنْ عَصَاوَةٌ تَجْرِبُ وَتَلْقِينِ

إِنَّ الْمَصَائِبَ طَوْعًا أَوْ كَرْهِيَّةً أَهْدَنُ نَحْتِي، كَمَا أَبْدَعَنُ تَلْوِينِ

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مَعْنَى مَرَجَتْ لَهُ دَمِي يَلْخُمِي فِي أَحْلَى الْمَوَاحِينِ

ما أكثر المعاني التي وضعت فيها دمي ولجمي، أي الأشعار التي كانت قطعة من روحي، ثم جعلت ذلك في أحلى المواعين، الآنية.. وأواني المعنى في الشعر هي الأبيات والقوافي

سَهَرْتُ لَيْلَ أَخِي ذُبْيَانَ أَحْضَيْتُهُ حَفَضَ الرَّوَاضِعَ بَيْنَ الْعَتِّ وَاللَّبَنِ
سهرت ليل ليلى النابتة الذبياني الموصوف بالطول والكآبة، وأنا أحضن الشعر كما تحضن
المرصع رضيعها وهي تعالجه بين جذب ولين (تلقمه تليها بقوة ليأخذه ويبدأ يمسح، ثم تترقب به
حتى ينسجم ويرضع).. غوش تشيه

أَعِيدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَفَضَ خَفْضَةً وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ
أكتب شعري وأغير فيه وأبدل والمعاني والألفاظ والأوزان تتفاعل وتعتلج اعتلاجاً.. أحت
الألفاظ نحتاً ثم أخفضها لتستقر.. ولا أحد معي سوى النجم يراقبني ويعجب لهذه التمارين
الغريبة

حَتَّى إِذَا أَضَ رَيَّانَ الصَّبَا عَفِيراً مَهْوَى قُلُوبِ الْحَسَانِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ ..
حتى إذا أض، أي صار، الشعر مكتلاً كأنه الفتى الشاب الممتلئ حيوية، وصار مهوى، موضع،
قلوب الفتيات الحسان الخرد، الناعمات، العين ذوات العين الواسعة

أَتَاحَ لِي سُمْ حَيَاتٍ مُرَقَّطَةٍ تَدِبُ فِي حَمَاٍ بِالْحَفْدِ مَسْنُونِ
عندئذ.. جلب علي الشعر هجمات الأعداء التي هي مثل سم حيات مرقطة، منقطة، تزحف في
حماً مسنون، في طين تن، هو الحقد

فَهَلْ يَحْسِبُ اللَّيَالِي مِنْ صَدَى آلَمِي أَنِّي مَضِيفَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ؟
ألا يكفي الليالي، المصائب، من صدى ألمي، من بعض آلامي، أنني صرت مضافة بين أنياب
السراحين، الذئاب؟

٦٤ غريب الدار

براغ (١٩٦٢):

يَا غَرِيبَ الدَّارِ، وَالْأَيُّمِ هَامُ كَالنَّاسِ تُدَارِي
وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَغْلِبُنَّ مَنْ بَنَى الدَّهْرَ ابْتِكَارًا
بنات الدهر، أي المصائب، تغلب أبناء الدهر، أي الناس، بما يبتكره من أفانين العذاب

يَا غَرِيبَ الدَّارِ لَمْ تَكُ قُلْ لَهُ الْإِسَامُ دَارًا
يَا لِبَغْدَادَ مِنَ النِّسَا رِيحُ هُرْءٍ وَاحِدٍ قَارًا
خَلَّاهُ وَمَسَّرَتْ لِي مَوْحِدٌ أَخْلَافًا غَزَارًا

حالات بعداد المغترب، صلتته عن الماء، ومرت للوعد، أي حلفت له، أخلاقاً غزاراً، أي ضروفاً
ملية بالحليب

واضْطَفَّتْ يُوماً وَأَجَلَّتْ عَنْ ضِفَافِهَا كَنَاراً

بعداد اصطفت، اختارت، اليوم، وطردت عن ضفافها، ضفتها على دجلة، الكنار

لَيْسَ عَاراً أَنْ تُؤَلِّيَ مِنْ مُسَفِّينَ فِرَاراً

يقول لنفسه: ليس عاراً أن تمر من وجه المسفين، الهابطين أهل الإسفاف

جَافِهِمْ كَالنَّسْرِ إِذْ يَأْتِي نَفْ دِيْدَاناً صِفَاراً

جافهم: عالجهم بالجفاء والبعد

خِلْقَةً صُبَّتْ عَلَى الْفَجْرِ مَرَّةً دَعَاها وَالْفَجَارَ

الخلقة التي جبلت على الفجر دعاها وفجورها

أَنْتَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَزُرَ رَعً فِي الْمَوْرِ اخْوَاراً

الاحوار: شدة سواد بزيو العين مع شدة بياض حوله... وهذه صفة حميدة وهبات أن تزورها فيمن هو أعور

يَا غَرِيبَ الدَّارِ فِي قَا فَلَئِنْ سَارَتْ وَسَاراً

لِمَصِيرٍ وَاحِدٍ تَمَّ تَنَاسَلَتْ أَبْنِ صَاراً

سَامِحِ الْقَوْمَ انْصَافاً وَاخْتَلَقْ مِنْكَ امْتِذَاراً

اختلق أعلاراً لمن أساموا إليك

عَلَّيْهِمْ مِثْلَكَ فِي مُفِّ تَرْقِي الدَّرْبَ حَبَازِي

فَإِذَا مَا عَاصِىَ الدَّمَّ مَرِ بِكُمْ أَلْوَى وَجَاراً

ألوى بكم الدهر: رماكم

فَكُنِ الْأَوْثَقَ هَهُدَاً وَكُنِ الْأَوْفَى ذِمَاراً

الذمار: الشرف

أَوْ، فَلَا لَوْمْ، وَلَا عُذْرَ وَلَا قَوْلَ بُمَسَارِي

بماری فيه: يجادل بشأنه

٦٥ كردستان

ميونخ (١٩٦٣):

قَلْبِي لِكُردِستَانِ يُهْدِي وَالْقَمُّ وَلَقَدْ يَجُودُ بِأَصْغَرِيهِ الْمُغْلِمِ

المعتمد، أي الفقير، ليس له ما يقلعه سوى أصغريه: قلبه ولسانه

شَغَبَ دَعَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالْتَمَّ تَنَحَّطُمُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَطَّمُ

٦٦ حلم النصر

قالها قبيل نكسة (١٩٦٧)، وكنا وقتها نحلم بنصر وشيك ومؤكد، براغ:

يَا نَاصِرَ الْأُمَّةِ الْكُبْرَى وَحَاضِنَهَا لَا الْعُجْبُ يَمْلَأُ بُرْدَتِيهِ وَلَا الْبَرَمُ...
يا عبد الناصر الذي نصر الأمة الكبرى، كل الأمة العربية وليس مصر فقط، ولا يملا نوبك
العُجب، التكبر، ولا البرم، الملل...

أَنْقِذْ فَلَسْطِينَ مَرْدُوداً بِهَا حَرَمَ عَلَى ذَوِيهِ، وَمَرْكُوزاً بِهَا عَلَمَ
التركيبة للمنتهي: (مخلوق له المرج، منصوباً بصارخة/ له المناير، مشهوداً بها الجمع). وكان
المنتهي يسلي بقصيدته سيف الدولة من هزيمة ألت بجيشه، والجواهري هنا يحث عبد الناصر
على حرب ستفضي إلى هزيمة نكراء

وَلَبَّ فِي جَنَابَاتِ الْقُدْسِ صَارِخَةً مِنْ قَبْلِ أَذْرَكِهَا فِي الرُّومِ مُغْتَصِمُ
قم بتلبية امرأة نصرخ في نواحي القدس، وكان المغمصم قد أدرك وأنقذ مثل هذه المرأة عندما
اعتدى عليها الروم

جَمَعَتْ تِسْعِينَ مِليوناً كَمَا جَمَعَتْ لُبْدَ اللَّيُوثِ عَلَى أَشْبَالِهَا أَجَمُ
جمعت التسعين مليون عربي مثلاً جمعت الأجهم، الغابات، الأسود اللبد، التي لها لبدة من شعر
الرأس، وممها أشبالها

وَصُغْتُ مِنْ أَنْهَرِ شَتَى وَأَخْلَجْتُ بَحْراً بِمُضْطَخِبِ الْأَمْوَاجِ يَلْتَظِمُ
وَصُغْتُ بِالْقُوَّةِ الْحَقِّ الَّذِي دَلَفَتْ تَسْعُونَ عَاماً عَلَيْهِ وَهُوَ يُهْتَضَمُ
دلفت: مثت، يهتضم: يظلم

٦٧ اشتياق

براغ (١٩٦٧):

سَهَرْتُ وَطَالَ شَوْقِي لِلْمِرَاقِ وَهَلْ يَدْنُو بَعِيدٌ بِأَشْوِيقِ

٦٨ الصفو والكدر

من قصيدة في حفل تكريم أقامته له وزارة الإعلام العراقية، بعد انقلاب البعث، بغداد
(١٩٦٩):

يَا سَايِرَ الْحَيِّ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ أَغْيَتْ مَذَاهِبُهُ الْجُلَى عَلَى الْفِكْرِ
مذاهبه الجلى: أفعاله العظيمة التي يُلعب بها كل منعب

كَأَنَّ نَعْمَاءَهُ حُبْلَى بِأَبْوَسِهِ مِنْ سَاعَةِ الصَّفْوِ تَأْتِي سَاعَةُ الْكَدْرِ

كَأَنَّ النعمة حبلى وستلد قريباً البؤس والشقاء

بُنْغَصُ الْمَيْثَنَ أَنَّ الْمَوْتَ يُدْرِكُهُ فَتَحْنُ مِنْ ذَيْنِ بَيْنِ النَّابِ وَالظُّفْرِ

يحصن علينا حياتنا أن الموت سيدرك هذه الحياة ويضيها .. فتحن بين ذين، أي هذين، بين ناب السبع وظفره

٦٩ ضد الشعر الحديث

بغداد (١٩٦٩):

فِي الشَّعْرِ مِنْ قَرِطٍ مَا اخْتَكُوا بِهِ دَبْرٌ كَمَا تَأْكُلُ عَظْمَ النَّاقَةِ الْقَتْدُ

في الشعر دبر، أي فروج وجروح كالتي في قفا البعير، أو مثلما يحضر خشب القند، الرجل، عظم الناقة

تَشَكَّتِ الضَّادُ مِمَّا يُنْزِلُونَ بِهَا كَمَا اشْتَكَى الْجِسْمُ مِمَّا تُفَرِّزُ الْعُدْدُ

نَجَّوْا بِزَعْمِهِمْ مِنْ أَسْرِ قَافِيَةٍ وَالشَّعْرُ لَوْلَا إِسَارُ نُثْرَةٍ قَدَدُ

يزعمون أنهم استراحوا من أسر القافية، ولولا هذا الأمر لصار الشعر مثثوراً وصار قدداً، قطعاً

يَا شَاتِمِيَّ وَفِي كَفِّي غَلَاصِمُهُمْ كَمُوسِجِ اللَّيْثِ شَمًّا وَهُوَ يَزْدَرِدُ

يا من يشتموني وفي يدي غلاصمهم، غضاريف حناجرهم، أنتم مثل من يشتم الليث وهو يفتريه يا من يزدرده، ييلعه

أَتَلْعَطُمُونَ جِبِينَ الشَّمْسِ أَنْ قَذِيتْ عُيُونُكُمْ قَبِهَا مِنْ ضَوِيهَا رَمَدٌ

إذا أصبح في عيونكم قذى وأصابها الرمد لشدة ضوء الشمس فلا يغمكم أن تلطموا الشمس

٧٠ النساء

بغداد (١٩٦٩):

إِنِّي وَرَبِّ صَاغَهُنَّ كَمَا اشْتَهَى هَيْفًا لَطَافًا

يحلف بالله الذي صاغ وخلق الفتيات هيفاً، هيفاًوات مشوقات، ولطيفات

لَأَرَى الْجَنَانَ إِذَا خَلَّتْ مِنْهُنَّ أَوْلَى أَنْ تُعَافَا

تُعاَفُ الجنة بدونهن. لا يخش الجواهري شيئاً فالجنة طافحة بهن، فأما أنه سيدخل الجنة ففي الأمر نظر

٧١ النصف الأفضل

براغ (١٩٧٠):

لَجَاجُكَ فِي الْحَبِّ لَا يَجْمَلُ وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ لَوْ تَعْقِلُ

اللجاج: كثرة الأخذ والمعطاء

تَقْضَى الشَّبَابُ وَوَدَّعْتَهُ وَرُحْتَ عَلَى إِثْرِهِ تُرْقِلُ

انقضى وزال الشباب، وأنت الآن ترقل، تسرع، وراء الشباب الذاهب متجهاً صوب الموت

مَضَى مِنْكَ فِيهِ رَبِيعُ الْحَيَاةِ وَمَاتَ بِهِ نِصْفُكَ الْأَفْضَلُ

ما كان ضرره لو قال: نصفك «الأسفل»

٧٢ هَلُمِّي

براغ (١٩٧٠):

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْمَصْبَاحُ يَوْمًا لِغَاثِنَةِ مِنَ الْغَيْدِ الْحَسَانِ

مِنَ الْجَيْكِ السَّوَاغِرِ لَسْتُ تَدْرِي بِهِنَّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الرِّوَانِي:

الجيك: التشيك

هَلُمِّي أَرْسَمْنِي غَدًا، فَقَالَتْ: غَدَاءُ غَدٍ، وَفِي الْمَثَلِيِّ الْفُلَانِي

فَقَالَ: يَمْرُسَمِي حَيْثُ اسْتَنْمَتْ مِنْ الرَّسْمِ الْمَعَانِي وَالْمَبَانِي

فَقَالَتْ: لَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ ذَهْنًا وَعَلَّمَكَ التَّفَقُّنَ فِي الْبَيَانِ!

قالت له: لا، وحق من منعك المخ، وعلك الفن في الكلام مع النساء!

أَدَاةُ الرَّسْمِ تَحْمِلُهَا بِرَاحًا عَلَى فَخْذَيْكَ مَشْعُودَ السُّنَانِ

وَلَكِنْ، كُلُّ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي خُفُوتُ الضَّوءِ فِي ضَنْكِ الْمَكَانِ

ضنك: ضيق

٧٣ رثاء عبد الناصر

براغ (١٩٧١):

أَكْبَرْتُ يَوْمَكَ أَنْ يَكُونَ رِثَاءُ الْخَالِدُونَ عَهْدَتُهُمْ أَحْيَاءُ

قَدْ كُنْتَ شَاخِصَ أُمَّةٍ، نَسَمَاتِهَا وَهَجِيرَهَا، وَالصُّبْحَ وَالْإِمْسَاءُ

شاخص أمة: نصيبها ورمزها، هجيرها: ظهرتها

قَدْ كَانَ حَوْلَكَ أَلْفٌ جَارٍ يَبْتَغِي هَذَا، وَوَحْدَكَ مَنْ يُرِيدُ بِنَاءَ
أَنْتِي عَلَيْكَ، عَلَى الْجُمُوعِ يَصُوغُهَا الرَّثَاءُ عَمَاءُ، إِذْ هِيَ تَخْلُقُ الرَّعْمَاءَ
أمدح الجموع التي جمعها أنت حولك فصارت جماهير موحدة، وغيرك من الزعماء تخلقه
الجماهير لا يخلقها

وَنُكِسَتْ، فَانْتَكَسَتْ، وَكُنْتَ لَوَاءَهَا يَهْوِي، فَمَا رَضِيَتْ سِوَاكَ لَوَاءَ
الجموع انتكست بنكستك في عام ٦٧، وهوى لواءها وهو أنت، ولكنها ظلت تريدك. فبعد هزيمة
٦٧ تنحى عبد الناصر، فخرجت الجماهير، في مصر وغير مصر، تطالبه بالبقاء رئيساً

٧٤ النفط

براغ (١٩٧٢):

خَمْسُونَ عَاماً وَالْعِزَّاءُ قُ عَلَى الْبَلَاءِ مُصَفَّدُ
مصفاً: مقيد

ذَهَباً يَسِيلُ وَفِي مَصَا رِفْدٍ لَنَدَنِ يَتَجَمَّدُ
يسيل البترول ذهباً ويرسله مصاصو الدم إلى بنوك لندن ليتجمد هناك بأسمائهم

صُهِبُ السَّبَالِ يَهْزُهَا طِفْلٌ جَمِيلٌ أَسْوَدُ
صهب السبال، شُفِرَ اللحي أي الإنجليز، يهز عواطفهم الطفل الجميل الأسود، يعني الذهب
الأسود.. النفط

يَتَحَقَّقُونَ نَظِيرَهُ مِنْ أَيِّ حِضْنٍ يُوَلَّدُ
فهم يتحققونه من أي بلد يكتشف فيه

٧٥ ثورة على الموت

فلارنا، بلغاريا (١٩٧٣):

فِي دَمِي ثَوْرَةٌ عَلَى الْمَوْتِ تَكْفِي أَنْ تُعَمَّقِي عَلَيهِ، لَوْ كَانَ يُكْفَى
في دمي عنوان يكفي أن يعني على الموت، يمحوه محواً.. هذا لو كان الموت يكفي، يكفي
شُرُهُ

يَنْقُذُ الْعَمْرُ شُلْمًا كَانَ حَوْجًا كَسِرَاجٍ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ يُظْلَمَا
يفد العمر ويتهي والمرء في أمس الحاجة إليه، كالسراج الذي ينطفئ والليل حالك السواد

لَيْتَ أَنَّ الْعِجَامَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يُدْ- مِنْ الْمَوْتِ، عِلَّةٌ ثُمَّ تُشْفَى
يَجِدُ الْمَرْءَ بَعْدَهَا الْعَيْشَ أَخْلَى وَهِيَاتِ الدُّنْيَا أَلَدُّ وَأَضْفَى
لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَوْتُ مِثْلُ عُقَابِ الدَّ جَوٌّ يُدْمِي بِنَا مَخَالِبَ عُقْفَا .
الموت مثل العقاب، الطائر الكاسر، يلقي مخالبه المعقوفة بقبضه علينا . . فليت شعري . .
أَقْرَابِيْنُ نَحْنُ شَوْهَاءُ تُزَجِّي لِإِلَّهِ الْغَضَبَانِ قُرْبَى وَزُلْفَى؟
نحن قرايين شوهاء، مشوهة لأننا نموت في سن الشيخوخة عادة، تقدم للإله زلفى، تقرباً منه؟

٧٦ المتصابي

براع (١٩٧٣):

لَا تَلُمْ أُنْسَكَ فِيمَا صَنَعَا أَمْسِ قَدْ فَاتَ، وَلَنْ يُسْتَرْجَعَا
أَمْسِ قَدْ مَاتَ، وَلَنْ يَبْعَثَهُ حَمْلُكَ الْهَمُّ لَهُ، وَالْهَلْعَا
إِطْرَحُهُ وَاسْتَرْخِ مِنْ يُفْلِكُو لَا تُضِغْ أُنْسَكَ وَالْيَوْمَ مَعَا
مَا أَحْسَنَ الْمَرْءُ يَشْكُو يَوْمَهُ فَإِذَا وَلَّى بَكَاهُ جَزَمَا
نظل نشكو في يومنا . . فإذا ذهب بكياه

بِأَبْقَايَا ذِكْرِيَاتٍ كُلَّمَا جُسَّ عُوْدٌ مِنْ صَدَاهَا رَجَعَا
الذكرى مثل عود بأوتار كلما لمسه رجوع صداها، كرهها وذكرنا بها
حَدَّثَنِي مَا ثَبَتَ عَنْ أَبْدُوعَةٍ وَلَقَدْ يَأْتِي الزَّمَانُ الْبَدْعَا
أينها الذكريات فُضِيَ على الناس أبدوعة، هجية من العجائب

عَنْ فَتَى أَخْضَبَ فِي شَوْتِهِ لَا عِنَا فِيهَا الرِّبْعَ الْبَلْقَعَا
قصي قصة فتى جاءه الخصب والإلهام الشعري في شتاء العمر، وهو عجوز . . والجواهري الآن قد
نخطى السمين، وراح يلحن الربيع الذي لا يكون فيه إلهام

عَاشَ فِي الْعِشْرِينَ شَيْخًا، وَرَعَى بَعْدَ سِتِّينَ شَبَابًا مُمَرَّعَا
عندما كان في العشرين كان وقوراً كشيخ من، وبعد الستين صار صاحب شباب ممرع، خصب
قَفَّ عَلَى بَرَاهَا وَجُبَّ أَرْيَاضَهَا وَسَلَّ الْمُضْطَافَ وَالْمُرْتَبَعَا
براهها: الاسم التشيكي لبراع. يريد أن يجوب أرياض براع، هضباتها، وأن يسائل أماكن
الاصطياف والارتجاع، الأماكن التي ينزلها القوم صيفاً وريبعاً

وَسَلِ الْخَلَاقَ هَلْ فِي وُسْعِهِ فَوْقَ مَا أَبْدَعَهُ أَنْ يُبْدِعَا
مَرَّتِ الْأَسْرَابُ تَشْرَى.. مَقْطَعٌ مِنْ نَشِيدِ الصَّيْفِ يَثْلُو مَقْطَعًا
مرت أسراب الحسان تشرى، متلاحقة متواترة، فكانها مقطع من نشيد الصيف

وَتَحَقَّقْنَ فَمَا زِدْنَ عَلَى مَا ارْتَدَّتْ حَوَاءُ إِلَّا إضْبَعَا
حواء ارتدت ورقة توت... ومن ارتدتين تنابير تزيد عن ورقة التوت بإصبع

رَحِمَنَا لِابْنِ زُرَيْقٍ لَوْ رَأَى فَلَكَ الْأَزْوَارُ مَاذَا أَطْلَمَا
وكاد ابن زريق البغدادي قال «أستودع الله في بغداد لي فمراً/ بالكوخ من فلك الأزوار مطلعاً متخيلاً
زوجته المحبوبة فمراً ولكن هذا القمر مطلع - ليس من فلك من أفلاك السماء، بل - من فلك أزرار قميصها

كُلُّ مَضْمُونٍ إِلَى صَاحِبِهِ مُشْتَرِئَيْنِ إِلَى النُّورِ مَعَا
ومن وراء أزرار قميص التشبيكية الجميلة لمع الجواهري نهذاً مضموماً إلى صاحبه وقد اشتراباً معاً،
أي رفعا رأسيهما، نحو النور. سيأتي مظهر التواب وشبه التهذ برأس اللفظ

٧٧ إلى أمونة

براع (١٩٧٣):

مَا لَذَّةُ الْوَصْلِ لَمْ يَلَوْ الصُّدُودُ بِهِ وَالْحُبُّ لَمْ يَخْتَلِسْ مِنْ أَمْنِهِ الْفَرْقُ؟
ما لذة الوصل الذي لم يلو به، لم يذهب به، الصدود... وما لذة الحب الذي لم يسرق منه الأمان
الفرق، الخوف؟ يقول إن لذة وصل الحبيبة يكون في وجود احتمال صدودها، ولذة الحب في تلك
المخاوف من الوشاة

تِلْكَ الثَّلَاثُونَ وَالشَّعْ نُحِيَ دَلَفْتُ نَسَائِفْنَا هَنَأَ طَوْرًا وَتَرْتَفِقُ
دلقت، أي مضت، على زوجتنا ٣٩ سنة، وكانت نوقنا أمامها سوفاً عنباً تارة وترتفق، تلطف
بنا تارة أخرى

سِرْنَا عَلَى الشُّوكِ يُدْعِينَا وَنَأْلُهُ وَفِي مَفَاوِزِ قَرْمِينَا وَنَلْعَقُهُ
مفاوز: صحارى

كُنَّا نَرَى الْجَمْرَ مَشْبُوبًا وَنَحْتَرِقُ وَمَغْرَسَ الرَّجُلِ مَلْعُومًا وَنَحْتَرِقُ
مغرس الرجل: موضع غرس القدم

إِنِّي وَعَيْنِيكَ لَا أَمْنَى بِدَاجِيَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ لِي الْإِصْبَاحُ وَالْمَلَقُ
لا أمنى، أصاب، بداجية، بمشكلة مظلمة، إلا وأنت لي صبح وقلق، إشراق الشمس. وسيفقد
الجواهري زوجته لمنة بعد عشر سنين وسيقول: (ها نحن أمونة نأى ونفترق)/والليل يمكث
والتهيد والحرق

٧٨ محك الرجال

المغرب (١٩٧٤):

تَفَحَّمْتُ الْوَعَى وَتَفَحَّمَنِي وَخُضْتُ عَجَاجَهَا حَرْباً سِجَالاً
الوعى: الحرب، عجاجها: غبارها. وما عرف الجواهري حرباً ولا عرف ضرباً، إن كانت إلا
مباحكات وخصومات

وَلَمْ أَرَ كَالْخُصُومَةِ مِنْ مَحَكٍّ يُبَيِّنُ لَكَ الرَّجُولَةَ وَالرُّجَالَ
عندما تخاصم رجلاً تكتشف فيه الرجولة والشهامة، أو العكس

٧٩ فرح ومرح

طنجة (١٩٧٤):

لَلَّذِي دَرَكَ طَنْجٍ مِنْ وَطَنٍ وَقَفَ الدَّلَالُ عَلَيْهِ وَالْفَنَجُ
طنجة وقف عليها الدلال، صار وقفاً عليها ثابتاً صفة لها

صَفَتِ النُّفُوسُ فَلَقَّهَا مَرَحٌ يَهْفُو بِهَا، وَتَلَاقَتِ الْمُهَجُ
النفوس صافية ويهفو بها، يحركها المرح، والقلوب تتلاقى

فَبَدَّ عَلَى خَضَرٍ وَلَا رَصَدٌ وَقَمَّ عَلَى ثَغْرِ وَلَا حَرْجُ
يتراقصون ويده على خضرها ولا رصد، دون رقيب.. والبقية عندك

٨٠ ابتسام في الطرقات

براغ (١٩٨٠):

كَمَهْدِكَ مَا تَزَالُ بِرَاغٍ تُزْهِى كَأَنَّ ثُلُجَ شَتَوَتِهَا اغْتِلَامُ
ما زالت براغ كهدهك بها زاهية، والثلج الخفيف في شتوتها كأنه اغتلام، شيق..

أَعْنَهَا قَلْتُ أَمْ عَنِّي؟ سَوَاءٌ كِلَانَا عِندَهُ كَلَّفَ عَرَامُ
فهل تراني شبهت هذا التشبيه وفي ذهني براغ، أم في ذهني نفسي؟ كلا الأمرين سواء، فكلانا لديه
كلف، أي رغبة، عارمة. نعم يا محمد مهدي.. تشبيه الثلج بالاغتلام يصرف الذهن إلى هذا
الرجل الثمانييني وقد صحا من نومه وأحس يعارض أبيض يعرض له..

تَحَدَّبَتِ الثَّلُوجُ عَلَى زُرُوعٍ تَغَشَّاهَا لِیُنْفِئَهَا رُكَامُ
أحاطت الثلوج بالزروع، وهذا الركام تغشاه، وضماها، ليدفنها

وَبُيْضَتِ الْفُجَاجُ فَكُلُّ دَرْبٍ عَلَى شَفَتَيْهِ يَضْطَرِبُ ابْتِسَامٌ
وساد البياض الفجاج، الطرق الضيقة، فكل طريق كأنه قم مفتوح تظهر فيه الأسنان... كأنه قم
يتسم

٨١ الدخول في الثمانين

براغ (١٩٨٢):

حَسِبُ الثَّمَانِينَ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ جَدَلٍ غَشِيَانُهَا بِجَنَانٍ يَافِعٍ خَضِيلٍ
يكفي الثمانين فخراً وفرحاً أنني أغشاها، آتياها، بقلب يافع، فتى، خضيل، رمان مبتل بماء الشوق
كَمْ هَزَّ دَوْحَكَ مِنْ قِرْمٍ يُطَاوِلُهُ فَلَمْ يَنْلُهُ وَلَمْ تَقْصُرْ، وَلَمْ يَعْطِلْ
كثيراً ما هز دوحك، شجرتك الكبيرة، قزم يريد أن يطاول هذا الدوح... فلا هو ناله ولا الدوح
قصر

وَكَمْ سَمَتْ إِمْعَاتٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَا ثَارَ حَوْلَكَ مِنْ لَفْوٍ وَمِنْ جَدَلٍ
كثيرون من الإمعات، الناس الذين لا شخصية مستقلة لهم، سموا أن يثور حولهم ما ثار حولك من
جدل، ومن لفو، كلام فارغ أيضاً

ثَبَّتْ جَنَانُكَ لِلْبَلَوَى فَقَدْ نُصِبَتْ لَكَ الْكِمَائِنُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ خَعَلٍ
ثبت قلبك للمصيبة، فقد نصبت لك الكمائين من الغدر والختل، الخداع

لَا تَنْسَ أَنَّكَ مِنْ أَشْلَاءِ مُجْتَمَعٍ يَدِينُ بِالْحَقِّدِ وَالثَّارَاتِ وَالذَّجَلِ
كنت الغريب به: لا أنت تألفه فتستريح، ولا عنه بمنعزل
أنت من مجتمع مريض بالحقْد والثار والذجل، وكنت غريباً فيه لكنت لم تكن عنه بمنعزل

فَكَيْفَ تَنْظِمُ أَنْ تُعْفِيكَ ثَاكِلَةً أَنْتَ التَّذِيرُ لَهَا بِالْوَيْلِ وَالتَّكْلِ؟
فكيف تطمع أن تتركك ناكلة أنت الذي جتها بالكل وبقطان الولد. يعني كيف يعفك المجتمع
الفاقد وأنت الذي شئت عليه حرب الإصلاح لقتل فساد؟

٨٢ إلى عدن

(١٩٨٢):

مِنْ مَوَاطِنِ الشَّلَجِ رَحَافاً إِلَى عَدَنٍ خَبَّتْ بِي الرِّيحُ فِي مُهْرٍ يَلَا رَسَنٍ
ذاهباً من براغ حيث الشَّلَج إلى عدن... خبت، أسرع، بي الريح وأنا في مهر لكن ليس له رسن،
أي مقود، وهذا المهر هو الطائرة

حَسِبْتُني، وَعُقَابُ الْجَوِّ يَضَعُدُّ بِي إِلَى السَّمَاوَاتِ، مَحْمُولاً إِلَى وَطَنِي
وَأَنَا رَاكِبُ الطَّائِرَةِ ظَنَنْتِي ذَاهِباً إِلَى الْعِرَاقِ

مَا أَقْرَبَ الشَّمْسِ مِنِّي، غَيْرَ أَنَّ دَمِي مَا إِنْ يُصَلِّي لِغَيْرِ الشَّعْرِ مِنْ وَثْنٍ
يَرَى نَفْسَهُ فِي الطَّائِرَةِ قَرِيباً مِنَ الشَّمْسِ مَعْبُودَةِ الْقَدَمَاءِ، لَكِنَّهُ لَا يَصِلِي إِلَّا لِلشَّعْرِ

٨٣ الانسلاال

دمشق (١٩٩٣):

خَطَرٌ أَنْ يُصْبِحَ الْمَرْءُ خَطِيرًا يَمْلِكُ الدُّنْيَا، وَيَنْسَلُ حَسِيرًا
خطير: مهم. ما أصعب أن ينال المرء في دنياه كل المجد... ثم ينسل منها حسيراً، متحرراً على
فقدان كل شيء

وَاجِماً وَالرَّوْضُ مِنْ صَنْعَتِهِ وَظَمِيئاً وَهُوَ يَنْسَابُ قَدِيرًا
صعب أن يقف المرء واجماً، ساكناً حزيناً، بينما هو الذي زرع الروض. وصعب أن يكون عطشان
وهو ينساب غديرًا متدفقاً بالشعر المذهب. الشاعر يخلق الجمال ولا يستمتع به

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٦٩	الْقَنْدُ	٧٣	أَحْيَاءُ
٣٢	الْقَصَائِدُ	٤١	الْثَنَاءُ
٣٦	جِلْدُ	٥٥	وَلِإِمَاءِ
٧٤	مُصَفَّدُ	١٨	وَمَشَاءُ
٦٢	الْخُلُودِ	٢٠	نَعَالِيَا
٨	سِنَادِ	١٠	سَحَابَا
٢٤	فَارِزْدَدِ	٤٤	وَهَبَا
٤٩	مِدَادِ	٦٠	أَطْيَبُ
١٩	وَمَدَّ	٥٣	أَعَاجِيبُ
٤٠	يَعِيدِ	٢٦	أَعْرَبُ
٣١	أَجْدَرَا	٤٦	سَحَابُ
٤٣	المجَاهِرَا	٤٢	وَنُظَرَبُ
١٧	الْمَجْرَى	٢٥	الْتِرَاكِيْبِ
٦٤	تُنَادَى	٣٧	الْقِيَابِ
٨٣	حَسِيرَا	٦١	الْمُرِيْبِ
٢٩	تَنْغِيرُ	٢٨	بِالْتَّجَارِبِ
٥٧	جَبَّارُ	٥٩	حِسَابِ
٥١	مَوَازُ	١١	الصَّدَمَاتِ
٢٣	التَّعَابِيرِ	٥٨	اِحْتِيَاجُ
٣٠	السَّتَائِرِ	٧٩	وَالْعَنْجُ

٣٩	يَدَاكَ	٦٨	الْفِكْرِ
٧٨	سِجَالًا	٦	الْمُتَّظِرِ
٢٧	الْمَحَافِلُ	٩	مِهْدَارِ
٧١	تَعَوَّلُ	٢١	الْأَغَرَّ
٨١	خَصِصِ	١٦	تَذَرُ
٢٢	تَمْثِيلِهِ	٤	وَتُرْسَا
١٢	نَقَطًا	٢	لِلْقُنُوطِ
٨٠	اِغْتِلَامُ	٤٥	الزَّرْعَا
٦٦	الْبَرَمُ	٣٤	صُدَاعَا
٦٥	الْمُعْلِمُ	٧٦	يُسْتَرْجَعَا
٤٨	قَمِّ	٤٧	الْأَزْبِيعِ
٥٢	الطَّلَامِ	٣٨	مُصَانِيعِ
٣٥	زَعِيمِ	٥٦	يَهْلَعِ
١	الْمُنَى	٧٠	يَطَافَا
٥٤	يُؤَاتِينَا	٧٥	يُخَفَى
٦٣	الْبَسَاتِينِ	٥٠	يُقَطَفُ
٧٢	الْحِسَانِ	٥	الْمُرْتَقَى
١٣	الدِّينِ	٧٧	الْفَرْقُ
٨٢	رَسَنِ	١٥	تَرْقُ
٣٣	دَاخِيَا	١٤	الْمُتَأَلَّى
٧	قُوَّةُ	٦٧	بِاشْتِيَاقِي
		٣	خُلْفِي

فهرس القوافي العام

(القافية، فرقم القطعة، فاسم الشاعر)

أبواب الكتاب

١ البارودي ٢ الزهاوي ٣ شوقي ٤ حافظ ٥ الرصافي ٦ الجواهري	أحياء ٧٣ الجواهري
بالصَّهْبَاءِ ١٠ حافظ	الثَّناء ٤١ الجواهري
دواني ١٠٦ شوقي	شاء ٢٦ شوقي
وإماء ٥٥ الجواهري	ماء ٢١٥ شوقي
ومَشَاءِ ١٨ الجواهري	مساء ٢٥٩ شوقي
السَّماء ٢٥٦ شوقي	الثَّناء ٨ شوقي
شفاءها ٢١٩ شوقي	الرجاء ١٠ شوقي
بنائِه ٢٥٥ شوقي	إماء ١١٨ شوقي
سواء ١ البارودي	شَمَاء ١٦٠ شوقي
أساءوا ١٩ الرصافي	وثَّناء ١٤١ شوقي
أفياء ٢ الزهاوي	الأحياء ٢٦٠ شوقي
سَمَاء ٦٧ الزهاوي	الأضواء ٥٠ شوقي
عِياء ٥ البارودي	الكرمَاء ١٥٣ شوقي
الرَّياء ٩ الرصافي	الِكِسائي ٩ حافظ
السوداء ١١٣ الرصافي	

والرِّبَا ٩٤ شوقي	العماء ٥ الرصافي
وانتصبا ١٣ البارودي	نواء ٤٨ الرصافي
وقبا ٤٤ الجواهري	سماء ٣ البارودي
أب ١٧ شوقي	سماء ٤ البارودي
ارتياح ٦ حافظ	شيفاني ٢ الزهاوي
أطيب ٦٠ الجواهري	وشقاء ٧٠ الزهاوي
أعاجيب ٥٣ الجواهري	أثنائه ٢ البارودي
أعرب ٢٦ الجواهري	أبي ١٩ حافظ
أغيب ٢ الزهاوي	الثعلبا ٥٨ شوقي
الجدوب ٧٥ الرصافي	العبا ٤٩ الرصافي
الحرب ١٢ البارودي	الكتابا ٢١٤ شوقي
تضرب ٢٤ شوقي	انصبابا ٧٥ حافظ
ثعلب ٥٧ شوقي	ثعاليا ٢٠ الجواهري
جواب ٤ الزهاوي	ثوابا ١٧٣ شوقي
خشب ٣ الزهاوي	خطبا ٩٥ الرصافي
دروب ٥ الزهاوي	سحابا ١٠ الجواهري
ذهب ٢٥ شوقي	طلببا ١٨٤ شوقي
سحاب ٤٦ الجواهري	عاصبا ٦١ الرصافي
شروب ٣ الرصافي	عنابا ١٥٢ شوقي
عرب ١١ البارودي	غضابا ٢ الزهاوي
كتيب ٢ الزهاوي	لعبا ٩٨ شوقي
والحب ٢٣٧ شوقي	واكتسابا ١٩٢ شوقي

بِاللَّهَبِ ١٣ حافظ	وَالْحَسَبِ ٣٠ حافظ
بِذَاهِبِ ١٠ البارودي	وَحُجَابِ ٦٠ حافظ
تَكَهْرُبِ ١ الزهاوي	وَنَظَرَبِ ٤٢ الجواهري
حِسَابِ ٥٩ الجواهري	وَيُعَجَبِ ٦ البارودي
دَهَبِ ٦٣ الرصافي	أَبِي ١٥ البارودي
شَيْبِ ٨١ الزهاوي	أَبِي ٢ شوقي
عُرَابِي ٨٦ شوقي	أَخْبِ ٢٢٢ شوقي
كَعْذَابِ ٢٤٢ شوقي	اِكْتَنَابِي ٢ الزهاوي
مَا بِي ٨ البارودي	الْأَعْقَابِ ٦ الزهاوي
مُجِيبِي ٥٩ حافظ	النَّجْرِبِ ٧ البارودي
مَشِيبِي ٦٤ حافظ	النَّزَاكِبِ ٢٥ الجواهري
مُقَلَّبِ ١٥ الرصافي	الْحُبِّ ١٤ البارودي
وَالرَّئِبِ ٢ الزهاوي	الْحَرْبِ ٧٠ الرصافي
الصَّخْبِ ٢ الزهاوي	الْخَطَابِ ٤١ حافظ
الْعَضْبِ ٩٦ شوقي	السَّرْبِ ١ الزهاوي
دَهَبِ ٨٥ الزهاوي	الشَّبَابِ ٩ البارودي
ذِقَابِ ٨٦ الزهاوي	الْقَلْبِ ١٧ حافظ
عَجَبِ ٢٥٨ شوقي	العَرَبِ ١٨٩ شوقي
جَائِئِي ٣٥ حافظ	الْقِيَابِ ٣٧ الجواهري
عَوَاقِبِي ٣٣ الرصافي	المُرِيبِ ٦١ الجواهري
يَحْبُهَا ٢٨ شوقي	المُصَابِ ٨٠ حافظ
آدَابِهَا ٨٢ الرصافي	بِالنَّجَارِبِ ٢٨ الجواهري

أَذْنَابُهُ ١ الزهاوي	الْمَكْرُمَاتِ ٥٠ الرصافي
كِتَابُهُ ١٨٥ شوقي	المَوْتِ ١٠٣ شوقي
كَذِبُهُ ٣٨ الرصافي	النَّصِيرَاتِ ٢٢ حافظ
لِشَحْوِهَا ٧ الزهاوي	بِالصَّلَاةِ ١٤ الزهاوي
أَيَّانَا ٨ الزهاوي	بَيْتِ ١٦ البارودي
حَانَا ٢٠٨ شوقي	حَيَاتِي ١٦ حافظ
الْأَمْهَاتُ ٢ الزهاوي	حَيَاتِي ٢ الزهاوي
الْأَمْوَاتُ ٧ حافظ	سَيَّكَارَاتِي ٤١ الرصافي
الصَّدَمَاتُ ١١ الجواهري	سِمَاتِ ٨٨ الرصافي
الكَاتِبَاتُ ١٠ الزهاوي	عَرَافَاتِ ١٢٨ شوقي
بَاءُوا ٩ الزهاوي	مُنْصِلَاتِ ١٣ الزهاوي
ثُبُوتُ ٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٣ شوقي
ثُبُوتُ ٨٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٤٩ شوقي
سُبَاتُ ١٠٤ شوقي	وَالْمَشْرِقِيَّاتِ ٣٦ شوقي
وَالْأَمْهَاتُ ١١ الزهاوي	وَالنَّسَمَاتِ ١٢ الزهاوي
وَتَيَّتُ ٢ الزهاوي	فَسَتْهُ ٥ شوقي
يَقُوتُ ٢ الزهاوي	فَأَيَّتُهُ ١٦٢ شوقي
الْأَوْقَاتِ ٧٠ حافظ	فَرْحَنَّتُهُ ٢١٠ شوقي
الْحَادِثَاتِ ٣٣ شوقي	إِحْدَاثِي ١٥ الزهاوي
الْحُبْرَاتِ ٧٧ حافظ	اِحْتِيَاجُ ٥٨ الجواهري
الْحَرَكَاتِ ٢ الزهاوي	وَالْفَنَجُ ٧٩ الجواهري
الْمُسْكَلاتِ ٢ الزهاوي	يَتَمَوَّجُ ١٦ الزهاوي

قَيِّدًا ٩ شوقي	الحاج ١٠٢ الرصافي
نَقْلًا ١٩ الزهاوي	مُدْلِج ١٧ البارودي
وَالْوِدَادَا ٢٥ حافظ	عَلَّاجُهَا ٨٨ شوقي
وَتَوَلَّدَا ٢٩ الرصافي	مُسْتَبَاحَا ٢١٨ شوقي
يَدَا ٢٧ حافظ	فَأَسْتَرْوُحُ ٦٣ حافظ
اِسْتَعْدَّادُ ٢٤ الزهاوي	الْأَفْرَاحُ ١٩٣ شوقي
الْأُسْدُ ٢٤ البارودي	فَسِيحُ ٢٠ البارودي
الْقَتْدُ ٦٩ الجواهري	مَدَائِحِي ٢ الزهاوي
الْقَصَائِدُ ٣٢ الجواهري	وَأَفْرَاحُ ٤ حافظ
الْمُقَنَّدُ ٢٨ الرصافي	نَصَحُ ١٩ البارودي
النَقْدُ ٢١ شوقي	رَجَعَتْ ١٨ البارودي
تَيِّدُ ٢٥ الزهاوي	يَتَسَبَّحُ ١١٦ شوقي
تَتَجَنَّدُ ٢ الزهاوي	الشَّدَادَا ٢١٧ شوقي
تُسَدُّ ٢٤٣ شوقي	الْعِدَا ٣١ البارودي
جَلِدُ ٣٦ الجواهري	المجيدا ٢٠ الرصافي
جَمَادُ ١ الزهاوي	الْمُسَدَّدَا ٨ حافظ
حُدُودُ ٦٧ الرصافي	بِالْعِدَى ١٨ شوقي
حَدُّ ٣٢ البارودي	حَدًّا ٢٤ حافظ
سَنَدُ ٧٦ الزهاوي	خَالِدَا ٧٧ الزهاوي
صَيَّادُ ٧٤ شوقي	شَرِيدَا ١٩٥ شوقي
مَحْلُودُ ٢٠ الزهاوي	قَدْ قَدْ ١٨ الزهاوي
مَلِيدُ ١٢ شوقي	قِرْدَا ١٠٧ الرصافي

مُسْتَدُّ ١٧ الزهاوي	بِالْعُقُودِ ١ شوقي
مُصَفِّدُ ٧٤ الجواهري	بِالْمُرْصَادِ ٢ الزهاوي
مَلْحُودُ ٢١ الزهاوي	بِعَلِي ٣١ شوقي
وَارِدُ ١٣ الرصافي	بَغْدَادِ ٦ الرصافي
وَجِهَاذُ ٢٥٧ شوقي	بِفُؤَادِي ٢٧ البارودي
وُلْدُوا ٢ الزهاوي	بِقِيُودِ ٤٣ الرصافي
رُبَيْدُ ٢٢ الزهاوي	بِبَنِي ٢٨ البارودي
الْأَجْوَادِ ٢٦ البارودي	جَلَدِي ٢ الزهاوي
الْأَعْوَادِ ١٧٤ شوقي	سِنَادِ ٨ الجواهري
الْأَكْبَادِ ٢ الزهاوي	سُهْدِي ٣٠ البارودي
الْجَمَادِ ٢٦ الزهاوي	عَهْدِ ٢٣ البارودي
الْحُدُودِ ٦٢ الجواهري	عَدِ ٢٢ البارودي
الْحَسَدِ ٣٣ البارودي	فَارَزَدِ ٢٤ الجواهري
الرُّعَادِي ١٠٠ الرصافي	لِلسَّيِّدِ ٣٥ شوقي
الضَّادِ ١٨٢ شوقي	مَجْهُودِي ٢١ حافظ
الْعِبَادِ ٣٤ البارودي	مِدَادِ ٤٩ الجواهري
الْعَبَادِ ٨٢ حافظ	نَادِي ١٣٩ شوقي
الْعَوَادِي ٢٥٤ شوقي	وَأَقْعِدِ ١٣ شوقي
النَّادِي ١١٤ الرصافي	وَالْوِدَادِ ٢٠ شوقي
اليَهُودِ ٣٤ حافظ	وَالْإِعَادِ ٢٩ البارودي
بِالْأَجْسَادِ ٢٨ الزهاوي	وَحْدِي ٦١ حافظ
بِالدِّ ٢٦ الرصافي	وَحِيدِ ٢٧ الزهاوي

وَمَدُّ ١٩ الجواهري	الكُبْرَى ١١ شوقي
يَصِدُّ ٤٠ الجواهري	الْكُرَى ١٣٧ شوقي
يُنَادِي ٢٢٠ شوقي	المجَاهِرَا ٤٣ الجواهري
أَرَادُ ١١٩ شوقي	الْمَجْرَى ١٧ الجواهري
الْأَسَدُ ٢٤٠ شوقي	تُدَارَى ٦٤ الجواهري
الْعَمِيدُ ٧١ حافظ	جَرَى ٩٠ شوقي
الْمَنْفِرْدُ ٤٧ شوقي	حُرًّا ٨٨ الزهاوي
لَبَدُ ٢٦٣ شوقي	حَسِيرَا ٨٣ الجواهري
مَخْلُذُ ١٠٥ شوقي	دُورَا ٣٧ الرصافي
أَشْدُّهَا ١٩٤ شوقي	سَاهِرَا ٣٠ الرصافي
تُجَيِّنَةُ ٢ الزهاوي	عُلْدَا ٧١ الرصافي
رُقَادَةُ ٢ الزهاوي	مَرًّا ٥٥ الرصافي
بَرِيئُهُ ٢٥ البارودي	وَنَارَا ٣١ الزهاوي
حُقُودُهَا ٢٣ الزهاوي	يَتَقَوَّرَا ٩٩ الرصافي
زَنْدُهُ ٢١ البارودي	يَطِيرَا ٢ الزهاوي
عَوْدُهُ ١٢٩ شوقي	أَتَرُ ٢ حافظ
مُجُودُهَا ٥٣ الرصافي	أَشْمَرُ ٣٦ الزهاوي
أَتَرَا ١٥ حافظ	الْأَكْبَرُ ٣٤ شوقي
أَجْدَرَا ٣١ الجواهري	الْحُرُّ ٣٣ الزهاوي
الجَوْهَرَا ٢١٦ شوقي	الضَّمِيرُ ٢ الزهاوي
الدَّهْرَا ٢١ الرصافي	الْكَوْنَرُ ٢٠ حافظ
الْعِنَارَا ٨٢ شوقي	تَبَوَّرُ ٢٢٣ شوقي

تَغْيِيرُ ٨٩ شوقي	الأمير ٦٦ الرصافي
تَنْغِيمُ ٢٩ الجواهري	التعابير ٢٣ الجواهري
تَنْقِطُ ٢ الزهاوي	الحصار ٦٢ شوقي
جَبَّارُ ٥٧ الجواهري	الخور ٧٩ الزهاوي
جَدِيرُ ٢٤٤ شوقي	السَّائِرُ ٣٠ الجواهري
سَعِيرُ ٣٩ حافظ	السَّوَابِجُ ٩٧ الرصافي
صَابِرُ ٣٨ البارودي	الصَّحَارِي ٤٨ شوقي
كَبِيرُ ٦٦ حافظ	الغفور ١٢٦ شوقي
كَسِيرُ ٣٥ الزهاوي	القَجَرُ ٤٢ شوقي
مَوَارُ ٥١ الجواهري	الفَكْرُ ٦٨ الجواهري
نُشُورُ ١٨ حافظ	القبر ٤ الرصافي
والأبرارُ ٢ الزهاوي	المزار ٣٧ الزهاوي
والعشِيرُ ٢ الزهاوي	المُتَطَّلِبُ ٦ الجواهري
والفِكْرُ ٣٤ الزهاوي	بالأبكار ١٥٩ شوقي
وجوارُ ٢٦١ شوقي	يفادير ١٢ الرصافي
وذُكُورُ ٢ الزهاوي	نكفيري ٣٨ الزهاوي
وفقيهُ ١٣٤ شوقي	ثبير ٣٩ الزهاوي
ونكيرُ ٣٢ الزهاوي	حُصَّارُ ١٢٧ شوقي
يسيرُ ٣٧ البارودي	خبر ٩٧ شوقي
أضيرُ ٤١ البارودي	صَخْرُ ٣٦ البارودي
الأسيرُ ٨ الرصافي	صدري ٢ الزهاوي
الأقنارُ ٨٥ شوقي	عَمْرُو ٤٤ البارودي

لِلكَتَرِ ١٥٤ شوقي	كِبَارِ ١٣٨ شوقي
مُذَكَّرِ ٧٧ الرصافي	كَلَرِ ٤ شوقي
وَالْمَفَاخِرِ ٤٥ حافظ	لِلْبَقَرِ ٤٤ الرصافي
الْأَجْرَةِ ٤٥ البارودي	مَسْطَرِ ٤١ شوقي
الْجِدَارَةِ ٢ الزهاوي	مِهْدَارِ ٩ الجواهري
الشَّجَرَةِ ٦١ شوقي	وَبِالْخَذْرِ ٨١ شوقي
تَارَةً ٣٠ الزهاوي	وَتَغْيِيرِ ٤٦ البارودي
كَعْتَرَةٍ ١٠٨ شوقي	وَسَطَرِ ١٤٠ شوقي
مُدَارَةٍ ١٩٨ شوقي	وَسَمِيرِ ٦٩ الزهاوي
مُذَخَّرَةٍ ١٧٥ شوقي	وَقَرِ ٣٩ البارودي
مَسْتِيرَةٍ ٦٣ شوقي	وَوَحْرِ ٤٣ البارودي
مَسَرَّةٍ ٦٠ شوقي	وَوَثْرِ ٣٥ البارودي
مُسْتَظَرَّةٍ ٤٠ البارودي	الْأَخْضَرِ ٣ شوقي
وَالْجَارَةِ ١٩٧ شوقي	الْأَغَرِ ٢١ الجواهري
وَسُمْرَةٍ ٤٢ البارودي	الْحَذَرِ ٦٥ حافظ
بَحْثُهَا ١٠١ الرصافي	الْخَوَاطِرِ ١٦ شوقي
إِطَارِهِ ٣١ الرصافي	الْعُمُرِ ١٨١ شوقي
بِأَمِيرِهِ ١٨ الرصافي	الْكَدَرِ ١٥٨ شوقي
بِجَارَةٍ ٩١ شوقي	تَذَرِ ١٦ الجواهري
النَّاسِ ٢ الزهاوي	سَقَرِ ٢٩ الزهاوي
وَالنُّفُوسِ ٦٩ الرصافي	سَيَرِ ٥٥ حافظ
وَتُرْسِ ٤ الجواهري	كَغَايِرِ ٨٠ شوقي

العلبا ٢٣ حافظ	أنس ٨٣ شوقي
تياعا ٣٤ الرصافي	فارس ٢ الزهاوي
صداعا ٣٤ الجواهري	يسوس ٢٣٥ شوقي
صراعا ٤٠ الزهاوي	أنس ٢ الزهاوي
قراعا ٢٠٧ شوقي	أنسي ١٧١ شوقي
نزا ٧٢ حافظ	بحاس ٨٦ الرصافي
ورعى ٢٣٩ شوقي	نفسى ١ الزهاوي
بسترجعا ٧٦ الجواهري	وحدس ١١ حافظ
الوسيع ٤٢ الزهاوي	السياسة ١٦ الرصافي
تصدع ٤١ الزهاوي	يطيش ٢ الزهاوي
تظلم ٤٣ الزهاوي	مخلصا ٤٧ البارودي
جزوع ٢ الزهاوي	متلصص ٨١ الرصافي
مرتج ٢٧ الرصافي	تنقضا ١٣٣ شوقي
موضع ٥٠ البارودي	ومضى ٧٤ الرصافي
والفجائع ٤٩ البارودي	بغض ٥٧ الرصافي
ولع ١٨٨ شوقي	الأرض ٢ الزهاوي
ومسوع ٥١ البارودي	ترنضوها ٦٨ الرصافي
يلمع ٤٣ حافظ	لغظ ٤٨ البارودي
الأزيع ٤٧ الجواهري	للقنوط ٢ الجواهري
الألمعي ٧٦ حافظ	أجمعا ٦ شوقي
المطلع ٤٤ الزهاوي	استطاعا ٤٠ الرصافي
الناعي ٢٠٢ شوقي	الززا ٤٥ الجواهري

الأشرف ١٩١ شوقي	بأعي ٥٢ البارودي
الألفاف ٦٨ شوقي	بالضفدع ٦٤ شوقي
السلف ٧٥ الزهاوي	ترفع ٧٣ حافظ
الطواف ٢ الزهاوي	ليرفع ٢٠٥ شوقي
بالآلاف ٧٨ الرصافي	مضايح ٣٨ الجواهري
ظريف ٦٥ شوقي	يَهْلِع ٥٦ الجواهري
وأكتفي ٥٣ البارودي	وَقَعَ ١٨٣ شوقي
هفيفة ٢ الزهاوي	أزجعتك ١٤٢ شوقي
ضَعِفَ ٨٣ الرصافي	الثافئة ٨٣ حافظ
الربقا ٤٢ الرصافي	مَعَه ٢٣٦ شوقي
المُرتقى ٥ الجواهري	إيقاعه ٢٥٢ شوقي
تَنَلَقا ٣٧ حافظ	وَحُضِرَها ٢ الرصافي
حَنِيَقا ٤٥ الزهاوي	ومنبه ١٠٠ شوقي
أَخْلَقَ ٦٠ البارودي	كفى ٣٢ شوقي
إِشْفَاقُ ٣٨ شوقي	إِطَافا ٧٠ الجواهري
الأصادق ٥٨ البارودي	يُكْفَى ٧٥ الجواهري
الْفَرَقُ ٧٧ الجواهري	الثَرَفُ ٥٤ البارودي
المُتَرَنِّقُ ٩١ الرصافي	تَجِفُ ٥٥ البارودي
المُتَشَّقُ ٢٤٨ شوقي	تَطْلُفُ ٢ الزهاوي
تَرَقُّ ١٥ الجواهري	وأعنت ٦٢ الرصافي
تَغْدِقُ ١٧٩ شوقي	يَقْطِفُ ٥٠ الجواهري
دمشق ٢٢٥ شوقي	اختلاف ٤٦ شوقي

مَزَقِي ٧٣ شوقي	لَاخْمَقِي ٦١ البارودي
مُشْتَاقِي ٩٩ شوقي	مَطْرُوقُ ٤٧ الزهاوي
وُثُوقِي ٢ الزهاوي	وَالشَّقُّ ٢ الزهاوي
وَضِيْقِي ٥٩ البارودي	يُلْحَقُ ٣١ حافظ
وِيْلَاقِي ١٤٦ شوقي	الْبَاقِي ٥٧ البارودي
حَقَّهَا ٤٦ الزهاوي	الرُّنْدِيْقِي ٦٤ الرصافي
فِرَاقِي ٩٥ شوقي	الطُّبَاقِي ١٦١ شوقي
الشَّرِيْكَا ١٠٦ الرصافي	المُشَاقِّي ٣٨ حافظ
مَمْلُوكَا ٥٨ حافظ	العَلَاقِي ٦٢ البارودي
يَدَاكَ ٣٩ الجواهري	المُتَالَّقِي ١٤ الجواهري
الْحَاكِي ٨٧ الرصافي	الْمَذَاقِي ١٤٨ شوقي
الْمَلِكُ ٢٧ شوقي	الْمَذَاقِي ١٩٩ شوقي
بَنِيكُ ١٩٠ شوقي	الْمُنْطَلِقِي ٢ الزهاوي
شِبَاكِي ٢٢٩ شوقي	بِاشْتِيَاقِي ٦٧ الجواهري
يَخْمُوكُ ١٤٧ شوقي	بِالْمَلَاغِي ٣٢ الرصافي
أَرِيكَ ٤٩ شوقي	بِخُفَاغِي ٤٨ الزهاوي
يَنْحَرُّكَ ٢ الزهاوي	خَالِقِي ٨٠ الزهاوي
يَرَاكَ ١٥ شوقي	خُلُقِي ٣ الجواهري
فَبِكَاهَا ٢٣٢ شوقي	طُرْتِي ١١٠ الرصافي
الْأَحْوَالَا ٥٠ الزهاوي	طَلَاقِي ١١٠ شوقي
الْمَلَا ١١٧ شوقي	طَلِيْقِي ٢ الزهاوي
النِيْلَا ١١٥ شوقي	لَقِي ٥٦ البارودي

تَقِيلُ ٧١ الزهاوي	النِّيلَا ١٥٦ شوقي
صَعْلُ ٦٧ البارودي	انتقالا ٢٤٥ شوقي
غَزَالُ ٥١ شوقي	أَوْحَالَا ١٤ الرصافي
قَلَائِلُ ٦٤ البارودي	تَوَلَّى ٢ الزهاوي
قَلِيلُ ٨٤ شوقي	جَمِيلَا ٢٥٠ شوقي
مَعْسُوءُ ٦٨ حافظ	رَسُولَا ٢٠٦ شوقي
مَقْتُولُ ١٧ الرصافي	رُحَلَا ٣٦ الرصافي
مُهْمَلُ ٢ الزهاوي	سِجَالَا ٧٨ الجواهري
وَعْوِيلُ ٥٦ الزهاوي	عَلَا ١١٢ شوقي
يُحْمَلُ ٦٩ شوقي	قَلِيلَا ٢٣١ شوقي
يُسَالُ ٥٤ الزهاوي	مَالَا ٨٣ الزهاوي
يُظَلُّ ٤٩ حافظ	مَقَالَا ١٣٥ شوقي
يَمِيلُ ١٤٩ شوقي	مَوْئَلَا ٦٢ حافظ
أَطْلَالُ ٩٢ الرصافي	وَطْلُولَا ٤٩ الزهاوي
أَقْوَالِي ٢ الزهاوي	أَرْتَجِلُ ٥٣ الزهاوي
الأَعْمَالُ ٤٥ الرصافي	أَقْوَالُ ٥٦ الرصافي
البُّبُلُ ١٣١ شوقي	الرجلُ ٥١ الزهاوي
التَّرْلِي ٣٠ شوقي	الرسولُ ٢٢ الرصافي
العالي ٥٨ الزهاوي	الطويلُ ٥٥ الزهاوي
القَلَلُ ٦٣ البارودي	المَحَافِلُ ٢٧ الجواهري
المالِ ٢٢٤ شوقي	تَعْقِلُ ٧١ الجواهري
المُسْتَدِلُّ ٦٨ الزهاوي	تَوُّوُلُ ٥٢ الزهاوي

رَحَلَهُ ١٢٥ شوقي	المعالي ٦٧ حافظ
مَالَهُ ٢٣٤ شوقي	النَّشَائِ ١١١ شوقي
أَفْعَالُهَا ٢ الزهاوي	بِالْإِسْتِقْلَالِ ١٠٨ الرصافي
تَبْدِيلُهَا ٧ شوقي	تَقْلٍ ٢٨ حافظ
شَمَائِلُهُ ٦٦ البارودي	خَصِصِلِ ٨١ الجواهري
اعتداله ١٨٦ شوقي	خَوَالٍ ٩٤ الرصافي
تمثيله ٢٢ الجواهري	لي ٥٩ الزهاوي
دَلِيلُهُ ٥٩ الرصافي	مَالِي ٥٧ الزهاوي
وَيَفْعَلُهُ ١١٢ الرصافي	مُعَلَّلٍ ٧٨ الزهاوي
احتراما ٥٤ الرصافي	نُبَالِي ١١١ الرصافي
أَضْمَى ١٧٠ شوقي	وإِذْلَالٍ ١٥٠ شوقي
الأقواما ١٣٦ شوقي	وتَخْيِيلٍ ٦٥ البارودي
الأناما ٨٧ شوقي	ويثَالٍ ١٥١ شوقي
التَّذَمُّ ١٢ حافظ	يَعْقِلِي ٦٥ الرصافي
الزَّمَامَا ١٣٢ شوقي	الطَوِيلُ ١٠٧ شوقي
الصَّنْصَمَا ٢ الزهاوي	قِيلُ ١٧٨ شوقي
العَلَمَا ٧٣ البارودي	مَلَلُ ٧٠ شوقي
جَحِيمَا ٨٤ الزهاوي	البَطَالَةُ ٥٩ شوقي
زُؤَامَا ٦٠ الزهاوي	أَنَسَالُهَا ٢٤٦ شوقي
عَلَامَا ٢١٣ شوقي	الْبَاكِي ٢٤٧ شوقي
عَرَامَا ٨٥ الرصافي	بِذَلَّةٍ ٥٢ شوقي
فَأَقَامَا ٢٦٢ شوقي	دَحَلَهُ ٧٦ الرصافي

كَتَمُوا ٩٦ الرصافي	كَرِيمَا ١٢٠ شوقي
كَرِيمُ ١٢٣ شوقي	مُظَلَّمَا ٨٤ الرصافي
مَتَّهَمُ ٣٣ حافظ	مَنْظَمَا ٢٦ حافظ
مُحَرَّمُ ٥٨ الرصافي	نَظْمَا ١٢ الجواهري
مُغَرَّمُ ٥٠ حافظ	هَشِيمَا ٨٧ الزهاوي
مُقَسَّمُ ٨٠ البارودي	اغْتِيلَامُ ٨٠ الجواهري
مَلَامُ ٧٥ البارودي	الْأَفْهَامُ ١٠٤ الرصافي
مِنْهُمْ ٦٢ الزهاوي	الْأَيَّامُ ١١٤ شوقي
نَعْتَصِمُ ٦١ الزهاوي	الْأَيَّامُ ٨٢ البارودي
هَيَّامُ ٣٦ حافظ	الْبَرَمُ ٦٦ الجواهري
والإسلامُ ١٤٥ شوقي	الدرهمُ ٢٠٠ شوقي
وَقَرَّحُوا ٧٧ شوقي	السهمُ ٧٨ البارودي
وَسَلَّمُوا ٥٢ حافظ	الْفَطِيمُ ٥٥ شوقي
يَتَكَلَّمُ ١ الرصافي	الْقِيَّامُ ٤٦ الرصافي
يُضَامُ ٨٤ حافظ	المُعْدِمُ ٦٥ الجواهري
يَقْتَهُمُ ٨٩ الزهاوي	المِغْصَمُ ٤٢ حافظ
يَنْدَمُ ٧٩ البارودي	بَرَمُ ٢ الزهاوي
الْأَمَمُ ١٠٢ شوقي	خَادِمُ ١٩٦ شوقي
التَقَدُّمُ ٢٣ الرصافي	رِسْوَمُ ١٠ الرصافي
الْحُرْمُ ١٢٤ شوقي	سَلَامُ ٦٨ البارودي
السامي ٨٠ الرصافي	عَنَمُ ٢ الزهاوي
السَّوَاتِمُ ٦٩ البارودي	قَمُ ٤٨ الجواهري

هاشِم ٢٥٣ شوقي	الشِّيم ٧٦ البارودي
القيامة ٢٢٣ شوقي	الطَّعام ٥٢ الجواهري
حمامة ٥٦ شوقي	السلام ٤٠ حافظ
مُسْلِمَة ٥١ الرصافي	بالسلام ١٠١ شوقي
لِحْكُوم ٧١ البارودي	يَدَم ٨١ البارودي
وتَحْمِيها ٩٢ شوقي	بِنائِم ٧ الرصافي
إِدْسُونَا ٢ الزهاوي	تَحْكِيم ٧٧ البارودي
اِقْتِرَانَا ٤٠ شوقي	تُعَلِّم ٧٤ البارودي
الرَّائِيْنَا ٣٩ شوقي	دِعَام ٢٣٠ شوقي
الغَابِرِينَا ١٨٧ شوقي	دَمِي ٢٠١ شوقي
المُنَى ١ الجواهري	رَعِيم ٣٥ الجواهري
الوَاعِظِينَا ٥٤ شوقي	ضَبَّعِم ٢٥ الرصافي
إِنْسَانَا ١٤٤ شوقي	كَهَام ٧٢ البارودي
تَبِينَا ٢ الزهاوي	مِعْطَال ٣ حافظ
جَبَانَا ١٧٦ شوقي	مُلْهِمِي ٩٠ الزهاوي
حُسْنَا ٢٢٨ شوقي	مَضْم ٣٩ الرصافي
خَالِدِينَا ٧٢ الزهاوي	وَقْدِهِم ٧٣ الزهاوي
دَبْدَنَا ١٦٩ شوقي	الْأَنَام ٧٠ البارودي
فَعَنَى ٨٦ البارودي	الْقَلَم ٢٣٨ شوقي
لِوَادِينَا ١٥٧ شوقي	المُقَطَّم ٥٣ شوقي
مَأْقِنَا ١٤ حافظ	عَدَم ٩٣ شوقي
مُقَيِّمِينَا ١٦٨ شوقي	كَالْعَلَم ٦٩ حافظ

الحاني ٧٨ حافظ	وَبْنَانَا ٩٠ الرصافي
الجسان ٧٢ الجواهري	وَمُسْلِمِينَا ٩٣ الرصافي
الْحَيَّانِ ٧٦ شوقي	وَسَقِينَا ٥١ حافظ
الدواوين ٦٠ الرصافي	يُنَى ٢ الزهاوي
الدين ١٣ الجواهري	يَنَاهَا ٢ الزهاوي
الزمان ٧٩ الرصافي	يُواتِنَا ٥٤ الجواهري
الْعَلَى ١٠٥ الرصافي	الْمَنَاقِبُ ٦٤ الزهاوي
الْفَرَقْدَانِ ٣٢ حافظ	أَهْوَنُ ٢ الزهاوي
الْمِحَنُ ٨٤ البارودي	رَهِيئُ ٤٨ حافظ
المِهْرَجَانِ ٤٤ حافظ	سَكَنُ ١٠٩ الرصافي
الهاني ٩٨ الرصافي	نَحْنُ ٢ الزهاوي
البدن ٢ الزهاوي	وَأَدْيَانُ ٦٣ الزهاوي
بِالْأَمَانِي ٨٥ البارودي	وَأَزْمَانُ ٢١١ شوقي
بِالْحُسَيْنِ ٢٢١ شوقي	وَعِلْمَانُ ٢ الزهاوي
بَيَّانِي ٧٩ حافظ	اِثْنَانِ ١١ الرصافي
ترعيان ٧١ شوقي	الْأَشْنَانِ ٧٢ شوقي
ثَانِ ١ حافظ	الْبَرَاهِينِ ٢ الزهاوي
جنوني ٢ الزهاوي	الْبَسَاتِينِ ٦٣ الجواهري
دين ٥٢ الرصافي	الْبَسَاتِينِ ٧٤ حافظ
رَسَنِ ٨٢ الجواهري	التَّمَنَّى ٨٧ البارودي
سِنِّي ٨٣ البارودي	الجاني ١٤ شوقي
شُجُونِي ٢ الزهاوي	الجاني ٤٧ حافظ

أرسانيه ١٧٧ شوقي	عثمان ٢٩ حافظ
بيانه ٥٦ حافظ	عني ٧٩ شوقي
زمانه ٢٢٦ شوقي	فشجاني ٤٦ حافظ
شايه ٦٥ الزهاوي	مظنون ٨٨ البارودي
عمرانها ٢٤ الرصافي	موازين ٢ الزهاوي
مستبينه ٧٢ الرصافي	والداني ١٢٢ شوقي
فتاها ٦٧ شوقي	وامتيهان ٢ الزهاوي
ممشاهها ٧٣ الرصافي	يؤذيني ٦٦ الزهاوي
يراهها ١٥٥ شوقي	أبوئ ٢٢ شوقي
الزهاوي ٤٧ الرصافي	السون ٢٠٩ شوقي
كبوته ٣٧ شوقي	فاعلين ٥ حافظ
الأغنيا ٨٩ البارودي	فكان ١٩ شوقي
الجوازي ٢٢٧ شوقي	فنن ٦٦ شوقي
الدنيا ٧٤ الزهاوي	مفجيين ١٧٢ شوقي
الزريا ٣٥ الرصافي	وطين ١٤٣ شوقي
ثانيا ١٣٠ شوقي	ويزين ٢١٢ شوقي
داعيا ٣٣ الجواهري	المعينة ٧٥ شوقي
شبا ٢٠٤ شوقي	جمعهته ٥٧ حافظ
غاليا ٤٤ شوقي	فتانة ٨٩ الرصافي
همسريا ٤٥ شوقي	والسمينة ٧٨ شوقي
هيا ١٨٠ شوقي	رغبانها ٢٠٣ شوقي
والمعانيا ١١٣ شوقي	شجونه ٤٣ شوقي

عَلِيٍّ ٥٣ حافظ	قَوِيَّةُ ٧ الجواهري
الْأَنَانِيَّةُ ٢٤١ شوقي	هَدِيَّةُ ١٠٣ الرصافي
الثانِيَةُ ٢٩ شوقي	يُعَادِيهَا ١٢١ شوقي
أَهْدِيهَا ٥٤ حافظ	عَلَيْهِ ١٠٩ شوقي
ثَنَائُهَا ٢٥١ شوقي	يُخَفِّيه ١١٥ الرصافي
حَنَائَاهُ ٨١ حافظ	

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرّضا في المجازي

عندما يابحوا أحمد شوقي بإمارة الشعر، قال الزهاوي: «منكم أمير ومنا أمير»، فكانه همس في أذن عقلي الباطن همسة تجلّت في هذا الكتاب، فما إن فرغت من وضع خطته حتى رأيتني قد أخذت ثلاثة شعراء من مصر، وثلاثة من العراق زاعمًا أن هؤلاء قد أحيوا الشعر العربي بعد قرون من الموت السريري. في البدء كان البارودي، لا خلاف، قد لبث زمنًا يحاول أن يلبس عباءة المتسي، ويراهها فضفاضة عليه، حتى تقاذفته رياح السياسة فرفعته إلى رئاسة الوزراء، ثم رمته بعد أشهر في سيلان منفيًا، فلبس عباءة نفسه، فكان بشير عصر جديد في الشعر العربي. ثم مضيت أرتب الشعراء بحسب سنة الميلاد. أفهمنا الزهاوي أن الشعر يمكن أن يقال بلغة عصرية، وزاد فحش شعره بالفكر والفلسفة. وفي مصر اعتل شوقي كتفي البارودي، وظل مثله يقلد القدماء؛ ولكنه، بثقافته العريضة وبحياة مصر السياسية النشطة في زمنه حلّق فوق النور. والقلب كان شاعريته. وواكب حافظ إبراهيم شوقي ونافسه في محافل النهائي والتأيين شعر فيه رنين يصلح للمناير، وعاش شعر حافظ بيا فيه من سهولة وفصاحة ولقطة ما فيه من إيهامات تاريخية اكتظ بها شعر شوقي. وأسهل من شعر حافظ كان شعر الرضائي، فشاعر العراق، على فصاحة لسانه، كان يشبه حافظًا في بوهيميته وفي قلة احتفاله بالإشارات التاريخية. وخاتمة شعراء هذا الكتاب الجواهري، هذا شاعر عاش القرن العشرين كله، تنقص ستتان من أوله وثلاث من آخره. كان منبري الأسلوب كمحافظ، وكانت حياته ترجمة شعرية لحياة العراق السياسية في القرن العشرين، قال الشعر في زمن بني عثمان، وزمن الإنجليز، وزمن فيصل، وكان مقرباً لعبد الكريم قاسم ثم هجره، وناولش العهد البعثي قريباً وبعداً. أصدق التاريخ ما تجده في قصائد الشعراء، فإن زعم زاعم أن هذا الكتاب كتاب تاريخ فليزعم.

مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «إحياء الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب.

تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي.

المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almarshiq.books@gmail.com



1 2 3 4 5 9 6 8 7 5 4 4 8



إحياء الشعر
البارودي والزهاوي
وشوقي وحافظ
والرضا في المجازي